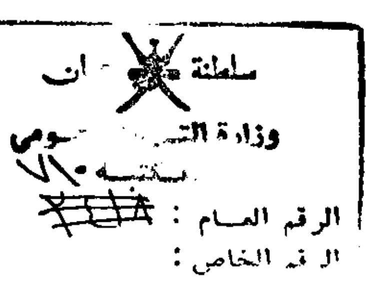


سلطنة عُمان
وزارة التراث القومي والثقافة

هيميان الزاد إلى دار المعاد

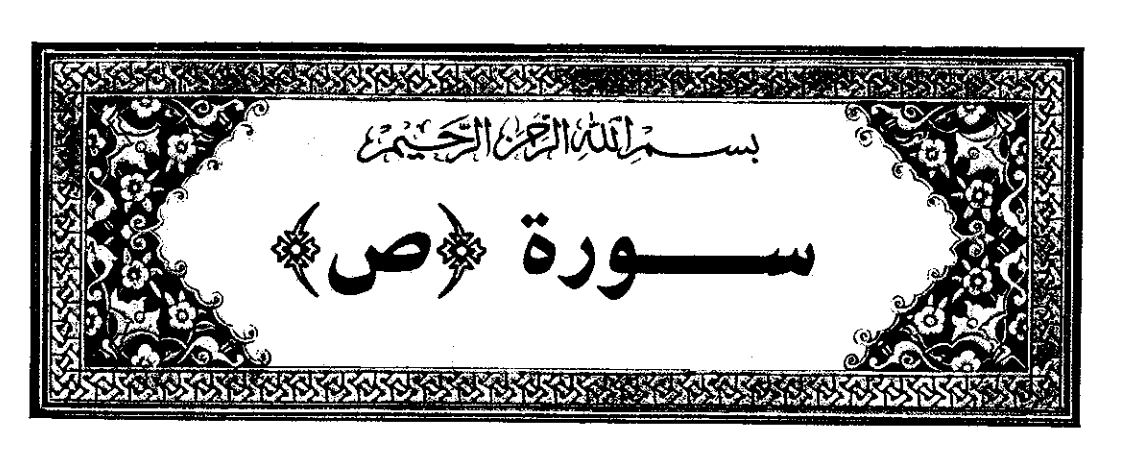
للعالم الحجة
محمد بن يوسف الوهبي الأباضي المصعبي



الجزء الثالث عشر

١٤١٢ هـ - ١٩٩١م




بسم الله الرحمن الرحيم
سورة ﴿ص﴾

﴿بـل﴾ اضراب عن الجواب المقدر اضراب انتقالي أو ابطال لما يدعـون من الامور ويجوز أن يقدر (والقرآن) ما كفر من كفر لخلل وجد فيه بـل* ﴿الذين كفروا﴾ به ﴿في عزة﴾ بعين مهملة وزاي أي فى استكبـار عن الحق والخلق وفي حمية الجاهلية وفى طلب الغلبة والمـراد كفـار مكـة وذلك قـرأه الجمهور؛ وقرأ الكسائي (في غرة بغين معجمـة وراء مهملـة أي فى غفلـة عما يجب النظر فيـه)* ﴿وشقاق﴾ أي خلاف وعـداوة للنبي ﷺ أي مـا كفروا به لخلل بل لعزة وشقاق ونكر العـزة والشقـاق للتعظيم أي في عـزة وشقـاق عظيمين* ﴿كـم﴾ للاخبـار والتكثير مفعـول (لأهلكنـا) والمـراد الوعيد كأنه قيل: نهلككم كـما ﴿أهلكنا﴾ كثيراً * ﴿من قبلهم من قـرن﴾ لكفرهم واستكبارهم عن الايمان كما كفر الكثير المهلك قبلهم فذلك وعيـد على الكفر والمراد بالقرن أمـة من الأمم المـاضيـة * ﴿فنادوا﴾ الفاء بمعنى الـواو أو لترتيب الاخبـار أو على أصلهـا أي أردنـا اهــلاكهم أو وجهنـا الاهلاك اليهم فنادوا أي استغاثوا وتابـوا واستغفـروا حين نـزول العـذاب عليهم والواو في قوله : ﴿ولات حين مناص﴾ واو الحال منفكة عنها واو الجماعة قبلها أو مدغمة فيها و (لا) نافية و (التاء) زائدة لتأكيـد النفي كـما تزاد فى ثم (ثمت) وهي مفصولة والوقف عليها وقد كتبت فيـما ذكـره ابن جريرمتصلة بالحين (لا تحين مناصاً) فى كتاب عثمان وفيه خروج عن قياس الكتابة (ولا تحين مناص). وقرأ الجمهـور بنصب (حين) (لات الحين حين مناص) أي ليس الحين الذي نادوا فيه حين مناص أو عملت عمل (ان) و (حين) اسمها وخبرها محذوف أي لهم أو مهملـة وحين مفعـول لمحـذوف أى (لاأرى حين مناص) وقرىء برفع (حين) على أنه اسم أو على أنه مبتدأ ويلزم هذا الأخير عدم تكرار (لا) مع أنها أهملت ودخلت على الاسمية الا أن يخصص وجوب التكرار بغير لات، وقرىء بـالجـر فقـال الفـراء : ان (لات) تجر الحين، وقيل الكسر بناء لاضافة الحين للمناص المضاف للمبني تقديراً أي مناصهم والمضاف للمبنى يجوز بناؤه ، وقـرىء (لات) بـالكسر على أصل التقـاء السـاكنين والكـوفيـون يقفـون عليهـا بـابـدال التـاء هـاء

والبصريون يقفون بالتاء كتاء الافعال نحو (ثبت وخبت ومات) وبسطت الكلام على ذلك فى حاشية شرح الشذور وغيرها (والمناص) المفر أي الفرار وهو مصدر ميمي بمعنى المنصوص والمراد أنه أهلكنا كثيرا مما سبق زمانهم زمان كفار مكة ونادوا حين لا ينفعهم نداء وهم وحين لا ملجأ لهم ولا نجاة ولم يعتبر كفار مكة بهم حتى وقع بهم مثل ذلك.

قال ابن عباس : كان كفار مكة اذا قاتلوا فاضطربوا فى الحرب قال بعضهم لبعض: (مناص) أي اهربوا وخذوا حذركم فلما نزل العذاب ببدر قالوا: (مناص ولات حين مناص) * ﴿وعجبوا﴾ أي كفار مكة أو كفار قريش من ﴿أن جاءهم منذر منهم﴾ رسول بشر مثلهم مترب فيهم من أنفسهم ينذرهم ويخوفهم بالنار بعد البعث ويبطل تعديدهم للآلهة وهو النبي ﷺ ﴿وقال الكافرون﴾ مقتضى الظاهر وقالوا باعادة الضمير للذين كفروا فأقام الظاهر مقام المضمر ليذكرهم باسم الكفر ما لهم واشعاراً بأن كفرهم جسرهم على قولهم ﴿هذا ساحر﴾ فيما يظهره من معجزة كانشقاق القمر ﴿كذاب﴾ فيما يقول الله سبحانه ﴿أجعل الآلهة الهاً واحداً﴾ أي أيبطل الآلهة ويثبت الهاً واحداً وذلك استفهام توبيخي أي كيف يسع الخلق اله واحد وذلك أنه أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فشق اسلامه على قريش وفرح به المؤمنون فقال الوليد بن المغيرة لأشراف قريش وكانوا خمسة وعشرين رجلاً وهو أكبرهم سناً: امشوا الى أبى طالب وقيل: ان أشراف قريش اجتمعوا عند مرض أبى طالب وقالوا ان من القبيح علينا أن يموت أبو طالب ونؤذي محمداً بعده فتقول العرب (تركوه مدة عمه فلما مات آذوه) ولكن نذهب الى أبى طالب فينصفنا منه ويربط بيننا وبينه ربطاً ولما اجتمعوا على ذلك بأنفسهم أو قال لهم الوليد ذلك فنهضوا الى أبى طالب وقالوا : أنت شيخنا وكبيرنا وقد فعل ما فعل هؤلاء السفهاء بمحمد وإن محمداً يسب آلهتنا ويسفه آراءنا ونحن لا نرضى بهذا فافصل بيننا وبينه فى حياتك بأن يقيم بمنزله ويعبد ربه الذي

يزعم ويدع آلهتنا وسبها ولا يعرض لأحد منا بشيء من هذا فأرسل أبو طالب اليه ﷺ وقال له: ابن أخي وقيل قال: يا محمد هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل عنهم كل الميل فقال ﷺ: وماذا يسألون ؟ فقال : أن ترفض آلهتهم ويدعوك والهك فقال ﷺ : أتعطون كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين بها لكم العجم أي تخضع، وقيل: قال: «تملكون بها العرب وتؤدى لكم العجم الجزية» فقال أبوجهل: لله أبوك ليعطونها وعشراً أمثالها فقال ﷺ : قولوا لا اله الا الله فنفروا وقالوا: هل غير هذا فقال: «والله لو أعطيتموني ملء الأرض ذهباً ، وقيل: قال: «لو جعلتم الشمس في يميني والقمر فى شمالى ما أرضاني منكم غيرها». فقاموا عند ذلك يقول بعضهم لبعض (أجعل الآلهة الهاً واحداً) مع أن الواحد لا يسع الخلق ﴿إن هذا لشيء عجاب﴾ أي عجيب جداً وقريء بتشديد الجيم وهو أبلغ* ﴿وانطلق الملأ﴾ أي الجماعة * ﴿منهم﴾ أي الذين هم جملة هؤلاء الكفار انطلقوا من مجلس أبي طالب أي الضمير للملأ على حذف مضاف من مجلسهم عند أبي طالب عندما أفحمهم النبي ﷺ ﴿أن امشوا﴾ أن حرف تفسير وانما وقعت بعد الانطلاق لان فيه معنى القول دون حروفه اذ ليس المراد بالانطلاق المعنى انطلاق المنتهي بهذا الكلام كما أنه ليس المراد بالمشي المشي المتعارف عليه بل الاستمرار على الشيء قال ابن هشام: (ولأن الانطلاق عن مجلس التقاول يشعر بالقول أو يقدر (لافظين أو ناطقين) (أن امشوا) ونحو ذلك مما يتضمن معنى القول دون حروفه وبسطت ذلك فى حواشي النحو ويجوز بقاء (امشوا) على ظاهره، وقيل: من مشيت المرأة اذا كثرت ولادتها أي انطلقوا قائلين بعضهم لبعض استمروا واجتمعوا على ما أنتم عليه * ﴿واصبروا﴾ أي أحبسوا واثبتوا ﴿على﴾ عبادة * ﴿آلهتكم﴾ وقريء (وانطلق الملأ منهم يمشون أن أصبروا) والكلام فيه كما مر * ﴿ان هذا لشيء يراد﴾ بنا أو بأهل الأرض من ريب الزمان فلا مرد له وهو ظهور محمد ﷺ وعلوه علينا وانقيادنا له؛

وقيل: الاشارة الى ما رواه من زيادة أصحابه؛ وقيل: المعنى ان هذا الذي يدعيه من التوحيد أو يقصده من زيادة الرياسة والترفع عن العرب والعجم لشيء يتمنى أو يريد كل أحد وان دينكم لشيء يطلب أن يؤخذ منكم ويتغلب عليه * ﴿ما سمعنا بهذا﴾ الذي يقوله من التوحيد * ﴿في الملة الآخرة﴾ التى هى ملة عيسى فان النصارى يثلثون قاله ابن عباس وقيل ملة قريش التى أدركوا عليها آباءهم أو يتعلق بمحذوف حال من ذا أي ما سمعنا بهذا التوحيد من أهل الكتاب ولا الكهان ثابتاً في الملة المنتظرة الآتية آخر الملل التى يدعيها محمد * ﴿ان﴾ أي ما * ﴿هذا الا اختلاق﴾ أي كذب * ﴿أأنزل﴾ استفهام انكاري والهمزة الأولى مفتوحة والثانية مضمومة وهما محققتان ويجوز تسهيل الثانية الى جهة الواو لانضمامها ويجوز ادخال الألف بينهما سواء خففت أو سهلت كيف ينزل * ﴿عليه الذكر﴾ أي القرآن أو الوحي مخصوصاً ﴿من بيننا﴾ وهو مثلنا أو أدنى منا شرفاً ورياسة فهم لقصر نظرهم يظنون أن حمل الرسالة من له حطم الدنيا وشرفها * ﴿بل﴾ أي لكن أو للاضراب أي ما كذبوه وحده بل * ﴿هم في شك من ذكري﴾ أي قرآني أو وحيي حيث كذبوا بايماني به فذلك تكذيب لي * ﴿بل﴾ كذبوا لانهم * ﴿لما يذوقوا عذاب﴾ أي لم يذوقوه الى الآن ولو ذاقوه لصدقونا ولكن لا ينفعهم التصديق حينئذ وذلك وعيد لهم ومنشأ التكذيب والشك والحسد والميل الى التقليد والاعراض عن الدليل ﴿أم﴾ منقطعة وفيها معنى الاعراض والاستفهام الانكاري كأنه قال (بل) * ﴿عندهم خزائن رحمة ربك﴾ وهي مفاتيح النبوة وغيرها فيصطفوها لأشرافهم بل هي عطية من ربك ﴿العزيز﴾ في ملكه لايغلب * ﴿الوهاب﴾ الذي يهب ما يشاء لمن يشاء الذي وهب النبوة لمحمد ﷺ ﴿أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما﴾ أي ألهم ذلك أي ليس لهم أن زعموا أن عندهم خزاين رحمة ربك فباطل من أين لهم التصرف في السموات والأرض وما بينهما وثنى الضمير لتأويل

السموات بالفتق أو بالرتق فانه قد كانت رتقاً ففتقت ان كان لهم ذلك * ﴿فليرتقوا﴾ أي يتصعدوا * ﴿في الأسباب﴾ في المعاريج التى توصلهم الى السماء فيأتوا منها بالوحي الى من أرادوا وذلك أمر توبيخ وتعجيز كقوله: (كونوا حجارة) وفيه غاية التهكم والسبب فى الاصل ماتوصل به من نحو سلم وحبل ومعراج وقيل المراد بالأسباب السموات لانها أسباب حوادث الأرض وقيل أبواب السماء وطرقها وهم ﴿جند ما﴾ زائدة أريد بها تقليل أو صفة أريد بها التعظيم على سبيل الهزء بهم والاستخفاف لأن الصفة تستعمل على هذين المعنيين كأنه قيل (جند حقير) * ﴿هنالك﴾ أي فى تكذيبهم البعيد لخسته عن مقام الصدق نعت لجند أو متعلق بقوله * ﴿مهزوم﴾ أي مكسور ومغلوب وقيل: ممنوع من الصعود الى السماء وهو نعت جند وكذا قوله * ﴿من الأحزاب﴾ أي من جنس المتحزبين عن الانبياء قبلهم فقهقروا وأهلكوا وكذلك يهلك من تحزب عليك فهذا وعد بالنصر لنبيه ﷺ وهو بمكة أنه سيهزم جميع المشركين.

قال مجاهد: الاشارة (بهنالك) الى يوم بدر وهو غيب أخبر به ﷺ؛ وقيل: اشارة الى مصارعهم ببدر؛ وقيل: اشارة الى حماية الأصنام أي مهزوم في هذا السبيل سبيل حمايتها واذا كان مهزوماً عما قريب فمن أين لهم التصرف والتدبر فى الأمور الربانية فلا تكترث بقولهم وعزاه ﷺ بقوله * ﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾ أي قبيلته وكذلك أنت * ﴿وعاد وفرعون ذو الأوتاد﴾.

قال ابن عباس : ذو البناء المحكم وقيل الملك الشديد الثابت من قول العرب وهو في عز (ثابت الأوتاد) أي دائم شديد كقول الأسود بن يعفر:

ولقد غنوا فيها نعم عيشة
في ظل ملك ثابت الأوتاد

مأخوذ من ثبات البيت المطنب بأوتاده وغنوا بالغين المعجمة والنون أقاموا.

ورُوي عن ابن عباس ذو الجنود الكثيرة وسميت الأجناد أوتاداً لأن بعضهم يشد بعضاً ويشدون سلطانهم كالوتد يشد البناء أو لكثرة ضربهم الاوتاد فى أسفارهم، وقيل: (ذو البطش) وقيل: اذا غضب على أحد ضرب وتداً في يده اليمنى وأخرى فى الشمال ووتداً فى رجله اليمنى وأخرى فى الشمال فيتركه حتى يموت؛ وقيل: يرسل عليه العقارب والحيات، وقيل: كان له أوتاد وأرسان وملاعب يلعب بها بين يديه * ﴿وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة﴾ أي وأصحاب الغيضة وهم قوم شعيب * ﴿أولئك الأحزاب﴾ المتحزبون على الرسل صلى الله عليهم وسلم * ﴿إن﴾ أي ما ﴿كل﴾ من الأحزاب * ﴿الا كذب الرسل﴾ إما مقابلة الجمع بالجمع أي كل حزب كذب رسوله كقولك (ركب القوم دوابهم) واما أطلق أن كل حزب كذب جميع الرسل فان من كذب نبياً مكذب جميع الأنبياء لان الدعوة واحدة وهي التوحيد ومرسلهم واحد * ﴿فحق﴾ أي وجب ونزل * ﴿عقاب﴾ عليهم لتكذيبهم مع قوتهم فكيف بهؤلاء الضعفاء المكذبين لك وهذا تمثيل والا فقدرة الله لا تتفاوت الاشياء فيها فان قدرته على القوي وقدرته على الضعيف سواء والا أدى الى العجز تعالى عنه ، قرىء باثبات ياء الاضافة وحذفها مدلولاً عليها بالكسرة * ﴿وماينظر﴾ أي ينتظر ﴿هؤلاء﴾ المكذبون لك ﴿الأ صيحة﴾ أي نفخة ﴿واحدة﴾ وهي نفخة القيامة يحل بهم العذاب.

قال قتادة: وقيل يهلكون بها في الدنيا أو هذه الصيحة كأنها حاضرة بين أيديهم كجسم من الأجسام يرونه.

﴿مالها من فواق﴾ أي رجوع اذا جاءت فلا راد لها أو من توقف مقدار (فواق) وهو ما بين الحلبتين وفى هذا المقدار ترجع اللبن داخل الضرع؛ وقيل: ما لها من انقطاع بل تتصل حتى تهلكهم فان تلك الصيحة فهي والا فمعنى أن أفعالهم لم تستوجبها ويعف الله ويدخر للآخرة والفاء مفتوح عند الجمهور.

وقرأ حمزة والكسائي بالضم والمعنى واحد وقال أبو زيد وغيره معنى المضموم ما مر من فواق نحو الناقة والفتح بمعنى الافاقة أي لا يفيقون منها كما يفيق المريض والمغشي عليه* .

﴿وقالوا﴾ لما نزل في سورة الحاقة قوله: ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه﴾ ﴿وأما من أوتي كتابه بشماله﴾ يا ﴿ربنا عجل لنا قطنا﴾ في الدنيا؛ قطنا أي كتاب أعمالنا ننظر فيه ﴿قبل يوم الحساب﴾ وذلك استهزاء؛ والقطّ الكتاب مطلقاً وقيل: الذي أحضر كل شيء وقيل: الكتاب من السلطان بصلة ونحوها وقيل: القط كتاب الحساب وذلك كله من القط بمعنى القطع لانه قطعة من القرطاس وتفسير تعجيل القط بتعجيل صحف الأعمال هو قول ابن عباس وقال أبو العالية: عجل لنا صحفنا بايماننا وهو مثل قول ابن عباس.

وقال ابن جبير: عجل لنا نصيبنا من الخير والنعيم في دنيانا.

وروي عن ابن عباس عجل لنا نصيبنا من العذاب على حد فأمطرعلينا حجارة وقيل: قاله النضر بن الحارث استعجالاً منه بالعذاب وتسمية النصيب (قطاً) مأخوذة من القط بمعنى القطع وعلى كل تأويل فكلا منهم خرج مخرج الاستهزاء والاستخفاف.

﴿اصبر على ما يقولون﴾ من تكذيبك ﴿واذكر عبدنا داود﴾ واقتد به في الصبر واحذر أن تنزل فيلقى كما لقيه من المعاناة على اهماله عنان نفسه أدنى اهمال.

واذكر لهم قصته تعظيماً للمعصية في أعينهم فانهم مع علو شأنه واختصاصه بعظائم النعم والمكرمات لما أتى بها لا يليق بمقامه نزل عن منزلته ووبخته الملائكة بالتمليل والتعريض حتى تفطن فاستغفر وتاب* ﴿ذا الأيد﴾ أي صاحب القوة في الملك وقال ابن عباس: في الدين والشرع والصدع به والقوة في العبادة.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ﷺ: «أحب الصيام الى الله صيام داود وأحب الصلاة الى الله صلاة داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً

وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه» ويروى «يقوم نصف الليل وينام ثلثه ويقوم سدسه» ﴿إنه أواب﴾ * أي كثير الأوب وعظيمه أي الرجوع عما لا يرضاه الله الى ما يرضاه.

قاله مجاهد وغيره وقال ابن عباس مطيع لله وقال السدي مستح بلغة الحبش.

﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن﴾ بتسبيحه ﴿بالعشي﴾ أي العشية وقت صلاة العشاء ﴿والاشراق﴾ هو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوؤها ويصفو شعاعها وهو وقت صلاة الضحى وفعله أشرق كأكرم كما يعلم من المصدر معنى الطلوع ويقال فيه شرقت شروقاً وهو ثلاثي يقال: شرقت الشمس أى طلعت ولما تشرق بضم التاء وكسر الراء أي لم يصفُ شعاعها وسيصفو وصلاة الضحى سنة مستحبة فينا عن الرسول ﷺ.

قال ابن عباس: ما كنت أعلم صلاة الضحى فى القرآن حتى سمعت الله يقول (يسبحن بالعشي والاشراق) وفى رواية عنه كنت أمر بهذه الآية ولا أدري ما هي حتى حدثتني أم هانىء ابنة أبي طالب أن رسول الله ﷺ دخل عليها فدعا بوضوء بفتح الواو أي ماء يتوضأ فتوضأ ثم صلى صلاة الضحى فقال: «يا أم هاني إن هذه صلاة الاشراق».

وروي أنها قالت: (ذهبت الى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب فسلمت عليه فرد فقال: من هذه؟ قلت: أنا أم هاني بنت أبي طالب فقال: مرحباً بأم هاني فلما فرغ من غسله قام وصلى ثمان ركعات ملتحفاً بثوب) قالت وذلك وقت ضحى.

وروي أنه «دخل بيتها يوم الفتح فاغتسل وصلى ثمان ركعات».

وروي «يصبح على كل سلامي من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة، ويجزى عن ذلك ركعتان يركعهما من الضحى» ومعنى أجزاهما عن النهي عن المنكر لا انه اذا لم يصادف منكراً ينهى عنه فصلاهما كان له كأجر النهي والا فالنهي فرض.

وروي «من قعد فى مصلاه أي فى موضع صلاته حين ينصرف من صلاة الصبح حتى يسبح أي يصلي ركعتى الضحى لا يقول الا خيراً غفرت له خطاياه وان كانت أكثر من زبد البحر أي صغائرها التي يصر عليها أو كبايره التى تاب عنها» . فتجعل هذه الصلاة سبباً لقبول توبته.

وروي «من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت أي صلاته الركعتين كأجر حجة وعمرة تامة».

وروى «من صلى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين ومن صلى أربعاً كتب من العابدين ومن صلى ستاً لم يلحقه فى ذلك اليوم ذنب ومن صلى ثمانية كتب من القانتين ومن صلى اثنتي عشرة بنى له الله بيتاً فى الجنة» ﴿والطير﴾ عطف على الجبال أي وسخرنا الطير وهو اسم جمع طاير وقد يطلق على الواحد * ﴿محشورة﴾ أي مجموعة اليه لتسبح معه وتسبيح الجبال هنا والطير حقيقة كذا قيل ومر فيه (ويسبحن) حال من الجبال وانما لم يقل مسبحات لتستحضر لصيغة المضارع الحال الماضية ويدل على الاستمرار التجددي بدل من (مسبحات) ما دام مسبحاً واذا سكت سكتن فاذا ابتدأ ابتدأن و (محشورة) حال من الطير وانما لم تراع المطابقة بين الحالين حيث جيء بالأول بصيغة المضارع الدالة على التدريج وبالثاني باسم الفاعل الدال على الثبوت لأن الحشر جملة أدل على القدرة من الحشر بالتدريج؛ وقرىء، (والطير محشورة) بالرفع على الابتداء والاخبار * ﴿كل﴾ من الجبال والطير وداود ﴿له﴾ أي لله ﴿أواب﴾ أي رجاع الى طاعته بالتسبيح أو كل من الجبال والطير له أي لداود أي لأجل تسبيحه رجاع الى الله وهذه دلالة على المداومة في التسبيح بعد دلالة بقوله عز وجل (انا سخرنا الجبال) . . الخ. على الموافقة فيه وقد علمت أنه اذا رجع الضمير في (له) لداود على تقدير مضاف أي لتسبيحه كما هو قول فرقة فالمراد بكل داود الجبال والطير واذا رجع الى الله كما هو قول فرقة أخرى فالمراد بكل داود والجبال والطير ﴿وشددنا ملكه﴾ أي قويناه بالحرس

والجنود.

قال ابن عباس: كان أشد جنود الأرض سلطاناً أي قوة كان يحرس محرابه الذي يتعبد فيه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل وقيل قويناه بالهيبة والنصرة مع كثرة الجنود.

روي عن ابن عباس: (أن رجلاً من بني اسرائيل ادعى على عظيم من بني اسرائيل انه سلبه بقره فسأله داود فجحد فسأل الآخر البينة فلم تكن فقال: قوما حتى أنظر فى أمركما فأوحى الله الى داود فى منامه أن اقتل المدعي فقال : هذه رؤية ولست أعجل عليه حتى أثبت فأوحى اليه مرة أخرى في منامه كذلك ولم يفعل فأوحى اليه مرة ثانية فى منامه كذلك أن يقتله أو تأتيه العقوبة فأرسل اليه داود فقال : أوحي الـيّ أن أقتلك واني قاتلك لا محالة ، فقال: يانبي الله علام تقتلني وقد اغتصبني بقري؟!

فقال: ان الله أمرني بقتلك. فقال الرجل : يانبي الله ان الله لم يأمرك بقتلي لأجل هذا الذي ادعيت عليه واني لصادق فيما ادعيت ، ولكني كنت اغتلت أباه وقتلته ولم يشعر بذلك أحد فأمر به داود فقتل واشتدت لذلك هيبة بني اسرائيل له فأظهر الله بسبب أمره بقتله أنه القاتل فليقتل والا فليرد ولا يخفى أن المراد بالملك جميع ما وهب له من قوة وجند ونعمة وقرىء (وشددنا) بتشديد الدال للمبالغة والزيادة فى الشدة* ﴿وآتيناه الحكمة﴾ أي القوة أو الاصابة فى الأمور أو كمال العلم واتقان العمل * ﴿وفصل الخطاب﴾ وفصل الخطاب أي تمييز الحق من الباطل أو الكلام المبين بكسر الياء ، وقال قتادة: شاهدان على المدعي أو يمين المدعى عليه ، وقال مجاهد: هو اصابة القضاء وفهمه ، ويراعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والاضمار والاظهار والحذف والوصل عطف جملة على أخرى والفصل ترك العطف للجملة وقيل: (فصل الخطاب) الكلام الذي ليس مختصراً مخلاً ولا مشبعاً عملاً ككلام سيدنا محمد ﷺ وقيل الكلام الذى لاحصر فيه لصاحبه ولا ضعف.

وقال ابن مسعود: علم الحكمة والبصر بالقضاء والفهم وكذلك قال ابن عباس . وقال عليّ : هو ان البينة على المدعي واليمين على المنكر لان كلام المتخاصمين ينقطع وينفصل بذلك وقيل: الشهود والأيمان وقيل هو السلسلة التي أعطيها يعرف بها المحق من المبطل تدلت من جهة السماء من الصخرة ورأسها عند محراب داود وحلوقها مفصلة بالجوهر وقضبان اللؤلؤ الرطب قوتها قوة الحديد ولونها لون النار لا يحدث في الهواء حادث الا صلصلت فيعلم داود عليه السلام ولا يمسها ذو عاهة الا برىء وكانت علامة دخول قومه فى الاسلام يمسونها بأيديهم ويمسحوا أكفهم على صدورهم وينالها من له الحق حتى أنكر رجل لآخر جوهره فعمد الى عصى فنقرها وجعل الجوهرة فيها ومد يده اليها صاحبها فنالها وقام المنكر وأعطى العصى لصاحب الوديعة وهي الجوهرة ليمسكها ليحفظها فتناول السلسلة بعد أن قال اللهم ان كنت تعلم أن هذه الوديعة التى يدعيها أنها وصلته فقرب من السلسلة فتعجب الناس وشكوا فيها وأصبحوا وقد رفعت.

وكان عمر بن الخطاب اذا اشتبه عليه أمر الخصمين قال : ما أحوجكما الى السلسلة وقيل هو قول الانسان بعد حمد الله والثناء عليه (أما بعد) اذا أراد الشروع في كلام آخر وأول من قاله داود وقيل آدم وبسطه في حواشي النحو وسمى (فصل الخطاب) لانه يفصل المقصود عما سبق من نحو حمد وصلاة ويسمى بذلك ولو قلنا أنه ليس المراد فى الآية وهو من محسنات البديع ويسمونه اقتضاباً أى اقتضاعاً وانتقالاً من كلام غير مقصود بالذات الى مقصود مع مراعاة المطابقة بينهما وهو قريب من التخلص وحيث انتقل مع عدم المطابقة فاقتضاب غير قريب منه وهكذا في غير (أما بعد) *

﴿وهل﴾ استفهام معناه التعجب والتقرير بما عنده من الاتيان أو عدم الاتيان أو الاستبطاء وعلى كل حال فالمراد التشويق الى استماع ما بعده وهو مجاز فان (هل) ونحوها وضعت للاستفهام الحقيقي وانما استعملت فى

غيره كالتعجب توسعاً بجامع الجهل فانه كما أن المستقيم تحقيقاً جاهل بما يستفهمون عنه كذلك المتعجب مثلاً جاهل بالسبب وانما يصرف التعجب للمخاطب تعالى الله عنه* ﴿أتاك﴾ يامحمد * ﴿نبأ﴾ أى خبر * ﴿الخصم﴾ مصدر فى الأصل ولذلك يطلق على الواحد وغيره كالمصدر يطلق على القليل والكثير وأطلق هنا على الجمع أو الاثنين * ﴿اذ تسوروا المحراب﴾ أي علوا سوره والسور القطعة من البناء المحيطة يقال تسورت الحائط أي علوته بالصعود عليه كما يقال تسنمت البعير أي علوت سنامه والمحراب الغرفة والبيت يتعبد فيها أو قبة أو المسجد أو الموضع الرفيع من القصر أو المسجد والمراد محراب داود والمتسور ثلاثة بل مع كل واحد من الخصمين جماعة أو اثنان فقط وعبر عنهما بالواو و (اذ) ظرف ماض متعلق بمضاف محذوف أي نبئه تحاكم الخصم اذ تسوروا أو متعلق بـ (نبئه) لتأويله بالواقع ويقدر مضاف أي قصة الواقع في عهد داود أو متعلق بالخصم لانه فى معنى الذين تخاصموا أي المتخاصمين لا متعلق بأتاك لإن اتيان النبأ بالتسور لم يكن في ذلك الزمان الماضي وانما تسوروا عليه حين منعهما الدخول من الباب لشغله بالعبادة فيما تسوروا الا بعد منعهم من الدخول منه ولا خلاف أن هؤلاء الخصم ملائكة بعثهم الله ضرب مثلاً لداود ليختصموا اليه فى نازلة وقع فى مثلها على ما يأتي * ﴿إذ﴾ متعلق بتسوروا أو بدل من (اذ) الأولى * ﴿دخلوا على داود ففزع منهم﴾ أي خاف بسبب تسورهم وهجومهم عليه في يوم احتجابه وعلى الباب الحرس لايتركون الداخل وذلك أنه جزأ زمانه يوماً للعبادة ويوماً للقضاء ويوماً للوعظ ويوماً للاشتغال بحاجته ولما رأوه فازعاً أو قال لهم ما أدخلكم علي ؟ * ﴿قالوا لاتخف﴾ منا؛ نحن رجلان أو فريقان* ﴿خصمان﴾ فعلى انهما اثنان فضماير الجمع لهما مجازاً أو حقيقة خلاف وعلى أنهما فريقان فهي على أصلها بلا إشكال * ﴿بغى بعضنا على بعض﴾ خرج عما حده الله فجئناك لتقضي بيننا وهذا معراض وكناية عن قولهم انك ياداود باغ على

غيرك أو عن قولهم رأينا خصمين بغى أحدهما على الآخر والا فالملائكة لا يبغون والمراد بالقائلين (لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض) الملائكة باتفاق أهل التأويل وظاهر كلام القاضي أنه قد قيل أيضاً غير الملائكة وانما أطلقوا على داود البغي مع أنه كسائر الأنبياء لا يفعل كبيرة باتفاق وان الصغيرة في مثلهم كالكبيرة وقيل لا أو لأنهم أرادوا به ما لا يليق بمقامه ولو كان غير كبيرة وغير صغيرة* ﴿فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط﴾ أى لا تجر في حكمك بضم التاء وكسر الطاء الأولى وسكون الشين من أشط بتشديد الطاء وقرىء ولا تشطط بضم التاء وفتح الشين وتشديد الطاء وقرىء ولا تشطط بفتح التاء وسكون الشين وضم الطاء وكسرها من شط الثلاثي وقرىء ولا تشاطط بضم التاء وكسر الطاء والكل من الشطط وهو البعد أو مجاوزة الحد * ﴿واهدنا﴾ أى ارشدنا * ﴿الى سواء الصراط﴾ أي وسط الطريق وهو العدل والصواب أو الصراط المستوى أي المستقيم وهو العدل والصواب أيضاً فقال لهما داود تكلما فقال أحدهما * ﴿إن هذا أخي﴾ في دين الله أو في الصحبة والأخ بيان أو نعت لاستحضار الترحم لا للبيان والتوضيح والجملة بعده خبراً وهو الخبر والجملة خبر ثان * ﴿له تسع وتسعون نعجة﴾ أي امرأة ﴿ولي نعجة واحدة﴾ والعرب تكني عن المرأة بالنعجة وأصلها أنثى الضأن وأنثى بقر الوحش وذلك تمثيل وليس هناك نعاج ولا بغي كذا قيل وقيل ان النعاج التسع والتسعين مكنى بها أورياء وقرىء بفتح تسع وتسعون وكسر نون نعجة وقرأ حفص بفتح ياء لى ووجه القول انه لا نعاج ولا بغي انهما لم يكونا بين الخصمين * ﴿فقال أكفلنيها﴾.

قال ابن عباس: أعطنيها وملكنيها وقال ابن كيسان: اجعلها كفلي فى نصيبي كما يقال: (أسهم لي) أجعله لى سهماً وقيل انزل عنها وضمها لي واجعلنى كافلاً لها أي مالكاً لها كما أكفل ما تحت يديّ وأملكه أو قائماً بها فان الزوج يقوم بزوجته ويكفيها والمعنى طلقها لأتزوجها * ﴿وعزني في

الخطاب﴾ أي غلبنى فى المخاطبة أي فى المحاججة بأن جاء بحجج لا أقدر على ردها لانه أفصح مني وان حارب كان أبطش مني لقوة ملكه والغلبة له ولو كان الحق لي؛ أو (الخطاب) من قولهم خطبت المرأة وخطبها فخاطبني أي غلبني فى الخطبة وتزوجها وذلك تعريض بداود مع أوريا وقرىء (وعازني) بالألف فزاي مشددة أي حاول غلبتي (وعزاني) بالتخفيف وتعليل اللام والمعنى أيضاً الغلبة * ﴿قال﴾ دواد والله * ﴿لقد ظلمك﴾ أخوك * ﴿بسؤال﴾ أي باستجلاب ﴿نعجتك﴾ الواحدة * ﴿الى نعاجه﴾ التسع والتسعين واضافتها اليهن ولتضمين السؤال معنى الاستجلاب والاضافة تعدى بأل ونعجتك مفعولة أضيف اليه وانما أكد الظلم بالقسم واللام وقد مبالغة فى انكار فعل أخيه المخالط له وانما قال ذلك بعد اعتراف الخصم الاخر أو التقدير لقد ظلمك ان كان له الأمر كما يقول* ﴿وان كثيراً من الخلطاء﴾ أي الشركاء المتخالطين في الاموال* ﴿ليبغي بعضهم على بعض﴾ أي يظلم بعضهم بعضاً فيما تخالطوه أخبر بوقوع ذلك ليحذر وقريء بفتح الياء بعد الغين على تقدير نون التوكيد للحقيقة مدلولاً عليها بالفتح فان كان أوقف فالوقف هنا لا يحسن والا فحذفها لغير وقف ولا ساكن نادر ومنه كالضرورة قوله (ان اضرب عنك الهموم طارفها) وقوله: كما قيل اليوم خالف تعرف بفتح باء اضرب وفاء خالف وقريء بحذف الياء مدلولاً عليها بالكسرة * ﴿الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ فانهم لا يظلمون أحداً * ﴿وقليل ما هم﴾ (ما) زائدة لتأكيد القلة أو اسم نعت لقليل أي قليل عظيم فى الشأن أو في القلة وقليل خبر وهم مبتدأ وقيل (ما) زائدة للابهام والتعجب من قلتهم والتعجب من داود وهي أشد الاعمال ذكر الله على كل حال والانصاف من نفسك ومواساة الأخ في المال * ﴿وظن﴾ أي رجح وقيل علم * ﴿داود أنما فتناه﴾ بتشديد النون ادغاماً لنون الفعل في نون الضمير.

وقرأ أبو عمرو في رواية علي بن نصر بالتخفيف فالضمير الألف راجعاً

للخصمين والجمهور على الأول أي اختبرناه أو أوقعناه في فتنة وبلية أو ابتليناه بالذنب وامتحناه بتلك الحكومة هل ينتبه.

قال المفسرون: تمنى دواد يوماً منزلة آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب فقال: يارب أرى الخير ذهب به آبائى . فقال: لصبرهم على البلاء ابتليت ابراهيم بنمرود وذبح ابنه اسماعيل أو اسحاق، واسحاق أيضاً بذهاب بصره ويعقوب بالحزن على يوسف وذهاب بصره فقال: لو بليتنى لصبرت على مثل ذلك فقال: أبلوك في شهر كذا في يوم كذا فلما كان اليوم دخل محرابه وأغلق الباب وجعل يصلي ويقرأ الزبور فجاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فيها كل لون حسن جناحاها من الدر والياقوت والزبرجد فوقعت بين رجليه فأعجبه حسنها فمد يده ليريها بني اسرائيل فينظروا قدرة الله فطارت ووقعت حيث يطمع فيها فمد يده فطارت الى كوة ، فذهب ليأخذها فطارت فاتبعها بصره ليرى أين تقع فيبعث من يصيدها فأبصر امرأة في بستان على شط بركة تغتسل وقيل رآها على سطح لها ولم ير مثلها فأبصرت ظله فنفضت شعرها فغطى بدنها فزاده ذلك عجباً فسأل فقيل تشايع بنت شايع امرأة أوريا بن حنان وزوجها في غزوة بالفلقاء مع أيوب بن صوريا ابن أخت داود فكتب الى ابن أخته أن يبعث أوريا الى موضع كذا ويقدمه أمام التابوت وكان من قدم أمامه لا يحل له أن يرجع الى ورائه حتى يفتح أو يموت فبعثه ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه أن ابعثه الى عدو كذا وكذا وكان أشد فبعثه فمات في المرة الثالثة فلما انقضت عدتها تزوجها وولدت سليمان .

وهذا الابتلاء بالخصمين كان بقليل بعد دخوله على المرأة وهذه القصة زعمها بعض مروية عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة. وقال بعضهم ان الطائر من الجنة وعن بعض أنه أرسل أوريا الى الجهاد مراراً لذلك حتى مات وأول بعضهم ذلك بأنها حينئذ لم تكن زوجة أوريا بل خطبها فقط فسموها زوجته واستنزله عنها وهي زوجته وكان ذلك حلالاً عندهم فيما

قيل وقيل: استنزله ولم يحل له وذلك كله افتراء يجب تنزيه داود عنه وانما أثبته الاحباريون من أهل الكتاب ونقله بعض المفسرين ولا يلتفت اليه.

وروي عنه ﷺ : «ان من حدث بحديث ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة» وهكذا . روى عن علي وذلك حد الفرية على نبى ضعف حد الافتراء على الغير ولو نسب ذلك الى واحد من الناس لاستنكف منه فكيف بأمين صفي لله نبي ولا دليل عليه فى الكتاب ولا فى السنة وقد أثنى الله على داود قبل هذه القصة وبعدها فكيف يذمه بين مدحه ولو جرى هذا في كلام أحد لاستهجنه العقلاء فكيف يقع فى كلام الله ؟ وقيل: ان داود أحب أن يقتل أورياء فيتزوج امرأته واعترض هذا وما تقدم بأنه منزه عن السعي في أن يقتل مسلماً بغير حق وعن الطمع في زوجته حتى يتوصل بذلك وعن محبة قتل مسلم.

وروي عن ابن مسعود أنه التمس من الرجل أن ينزل عن امرأته أي يطلقها قيل: وكان ذلك حلالاً في ذلك الزمان ولكن عاتبه الله وأنكر شغله بالدنيا ورغبته فيها حتى كان منه ذلك وقد أغناه الله بتسع وتسعين.

وحكى هذا القول عن علماء محققين من أهل التفسير وقيل: انه جزأ الدهر يوماً لنسائه ويوماً للعبادة ويوماً لبني اسرائيل يذاكرهم ويذاكرونه ويتباكون ويوماً للقضاء فجاء يومهم وقالوا هل يأتي على الانسان يوم لا يصيب ذنباً فأضمر في نفسه أنه يطيق ذلك فهذا ذنبه وقيل ذكروا فتنة النساء فأضمر انه ان ابتلي صبر وامتنع ولما كان يوم عبادته جاءته الحمامة وفعل ما مر أولاً وقيل: تمنى أن تكون امرأة أورياء له فلما بلغه موته لم يجزع كما جزع على غيره من جنده فتزوجها فذنبه عدم جزعه وذنوب الأنبياء وان صغرت عظيمة عند الله وقيل أن أورياء خطبها ووطن عليها فلما غاب خطبها داود فتزوجته لجلاله فاغتم أورياء لذلك فعاتبه الله لكونه لم يترك هذه التي هي واحدة لخاطبها وعنده تسع وتسعون ولخطبته على خطبة أخيه وللرغبة ولعل الخطبة على خطبة المسلم حلال عندهم ويدل

على هذا القول قوله ﴿وأعزني فى الخطاب﴾ وقيل: إنه لما قال: لو بلوتني لصبرت بعث الله الملكين فتسوروا عليه فتحاكما وقضى للأول قبل سماع قول الآخر بقوله: (لقد ظلمك بسؤال) . . . الخ، ولا حمامة ولا امرأة وانما مثل مثالاً وقيل: بثبوتهما والذنب الحكم قبل السماع وقيل: حكمه رجلان فحكم قبل السماع وقيل: انه مازال يجتهد فى العبادة حتى برز له حافظاه من الملائكة فكانا يصليان معه فاستأنس بهما فقال: بم وكلتما ؟ فقالا: نكتب صالح عملك ونوفقك ونصرف عنك السوء فقال في نفسه ليت شعري لو خليت ونفسي وتمنى ذلك ليعلم كيف يكون فأمرهم باعتزاله ليعلم بأنه لا غنى به عن الله ففقدهما فجد واجتهد الى أن ظن أنه غلب نفسه فأراه الله ضعفه بارسال الطائر المذكور والقصة المذكورة وقيل: قال لبني اسرائيل: أعدلن بينكم ولم يستثن فابتلي وقيل: أعجبه عمله فأرسل اليه ملكين في صورة رجلين قيل جبرائيل وميكائيل فطلبا الدخول فمنعهما الحرس فتسوروا عليه وهو يصلي وقيل: تسور قوم لقتله فوجدوا عنده ناساً فادعيا التخاصم فعلم غرضهم فأراد الانتقام فظن أن ذلك ابتلاء من الله * ﴿فاستغفر ربه﴾ أي سأله الغفران ولذا تعدى ومن قدر اللام فعلى معنى الخضوع أو معنى أنه قال لربه اغفر لي والفتن والاستغفار والانابة والغفران ولو دل على الذنب لكن لا ذنب غير أن مقام النبوة أشرف المقامات فيطالبون بأكمل الاوصاف فاذا نزلوا عنها الى طبع البشر عاتبهم الله وغفر لهم كما قيل (حسنات الأبرار سيئات المقربين) بل قد قيل: (أنه ما فعل ولكنه هم).

قال ابن عباس: لما دخل عليه الملكان فقضى على نفسه تحولا عن صورتهما وعرجا وهما يقولان يقضي الرجل على نفسه وهو يرى خروجهما وقيل: لما قضى تبسما وذهبا ولم يرهما فعلم أنه معني (فاستغفر ربه) * ﴿وخر راكعاً﴾ أي ساجداً وعبر بالركوع عن السجود لان فيه انحناء كالسجود وقيل خر راكعاً ثم سجد ومكث فى سجوده أربعين ليلة باكياً

حتى نبت الزرع من دموعه وعلى رأسه وأكلت الأرض من جبهته وقال فى سجوده: رب زل داود زلة أبعد ما بين المشرق والمغرب ، رب ان لم ترحم ضعف داود ولم تغفر ذنبه جعلت ذنوبه حديثاً فى الخلق من بعده سبحان الملك الاعظم الذي يبتلي الخلق بما يشاء سبحان خالق النور الهي بأي عين أنظر اليك أي الى رحمتك أو أنتظرها كما ينظر الظالمون من طرف خفي سبحان خالق النور الهي بأي قدم أقوم أمامك يوم القيامة يوم تزل أقدام الخاطئين سبحان خالق النور الهي من أين يطلب العبد المغفرة الا من عند سيده سبحان خالق النور الهي اني لا أطيق حر شمسك فكيف أطيق حر نارك سبحان خالق النور الهي اني لا أطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم سبحان خالق النور الهي الويل لداود من الذنب العظيم الذي أصاب سبحان خالق النور الهي كيف تستر الخاطئون بخطاياهم دونك وأنت تشاهدهم حيث كانوا سبحان خالق النور الهي قد علمت سري وعلانيتي فأقبل عذري سبحان خالق النور الهى اغفر ذنبي ولا تباعدني من رحمتك لهواني سبحان خالق النور الهى أعوذ بنور وجهك الكريم من ذنوبي التى أوبتني سبحان خالق النور الهى فررت اليك بذنوبى واعترفت بخطيئتي اللهم رب اغفر للخاطئين ولا تخزني يوم الدين سبحان خالق النور؛ وجاءه جبريل على تمام الأربعين يوماً التي سجدها ولم يأكل ولم يشرب فقال : ان الله قد غفر لك ما هممت به فدام على بكائه على هيئة من يصدق بالغفران فقال له ما أشبه أولك بآخرك! فقال داود علمت أن الله قادر ولكنه عدل لا يميل فكيف بأورياء اذا جاء يوم القيامة فقال ربي دمي الذي عند داود فقال جبرائيل ما سألت ربي عن ذلك وان شئت فعلت؟ فقال: نعم فعرج جبريل وسجد داود ما شاء الله ثم نزل جبريل فقال: سألت الله ياداود عن الذي أرسلتني اليه فقال: قل لداود أن الله يجمعكما يوم القيامة فيقول له هب لي دمك الذي عند داود فيقول هو لك يارب فيقول فان لك في الجنة ما شئت عوضاً وقيل: نودي ياداود أجائع أنت فتطعم أم ظمآن فتسق أم مظلوم فتنصر فاشتد عليه الأمر لأنه أجيب

في غير مطلب فنحب نحبة احترق لحرها العشب ثم أنزل توبته وقيل: قال الله (قد غفرت لك) فقال كيف وأنت لاتظلم أحداً ؟ فقال: اذهب الى قبر أورياء فناده وأنا أسمعه نداءك فتحلل منه فانطلق وقد لبس المسوح حتى جلس على قبره ونادى يا أورياء فقال من ذا الذي قطع عليّ لذاتي وأيقظني ؟ قال: أنا داود قال ما جاء بك يانبي الله؟ قال أسألك أن تجعلني في حل مما كان مني اليك قال وما كان منك اليّ قال: عرضتك للقتل قال: عرضتني للجنة فأنت في حل فأوحى الله ياداود ألم تعلم أني حكم عدل لا أقضي بالتعنت الا ما أعلمته انك قد تزوجت امرأته فرجع فناداه فأجابه من ذا الذي قطع عليّ لذتى قال أنا داود قال يانبي الله أليس قد عفوت عنك ؟ قال نعم ولكني فعلت بك لمكان امرأتك أي لمكانها في قلبي وقد تزوجتها فسكت ولم يجبه فدعاه مرة أخرى فلم يجبه فدعاه فلم يجبه فقام عند قبره يحثو التراب على رأسه قائلاً الويل لداود اذا نصبت الموازين بالقسط؛ سبحان خالق النور ! الويل لداود حين يسحب على وجهه مع الخاطئين الى النار سبحان خالق النور. فأتاه نداء من السماء ياداود قد غفرت ذنبك ورحمت بكاءك واستجبت دعاءك وأقلت عثرتك قال يارب كيف وصاحبي لم يعف عني ؟ قال ياداود أعطيه من الثواب يوم القيامة مالم تر عيناه ولم تسمع أذناه فأقول له ارض عن عبدي وقيل: يقول ارض ياعبدي فيقول يارب من أين لى هذا ولم يبلغه عملي ؟ فأقول هذا عوض عن عبدي داود فاستوهبك منه فيهبك لي فقال الآن قد عرفت انك غفرت لي فذلك قوله: (فاستغفر ربه وخر راكعاً) . . . الخ . أي ساجداً كما مر أو راكعاً ثم ساجداً كما مر أو خر مصلياً والوجه الأول أن في الركوع انحناء كما في السجود أو لانه متصل بالسجود ومبدى له ووجه تفسيره بالمصلى أن الركوع بعض الصلاة وكأنه أحرم بركعتي الاستغفار * ﴿وأناب﴾ أى رجع الى الله بالتوبة وهذا تمام آية السجدة وهذه السجدة من عزائم السجود عندنا معشر الاباضية وعند أبي حنيفة وأحمد وفي رواية عنه وثبت سجود النبي ﷺ فيها وقال سجدها داود توبة ونسجدها شكراً.

وعن مجاهد: سألت ابن عباس عنها فقال : وما نقرأ (ومن ذريته داود وسليمان) الى (فبهداهم اقتده) فكان داود ممن أمر نبيكم أن يقتدي به فسجدها داود وسجدها رسول الله ﷺ ، وقال له أبو سعيد الخدري : رأيت أني في النوم أكتب سورة (ص) فلما بلغت (وأناب) سجد القلم ورأيت في منام آخر شجرة تقرأ سورة (ص) فلما بلغت (وأناب) سجدت وقال اللهم أكتب لي بها أجراً وحط عني بها وزراً وارزقني بها شكراً وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود فقال ﷺ «وسجدتها أنت يا أبا سعيد قال: لا، قال: أنت أحق بها من الشجرة» ثم تلا رسول الله ﷺ الآية فسجد، فقال: كما قالت الشجرة.

وروي عن ابن عباس: جاء رجل اليه ﷺ وقال رأيت في المنام أني أصلي خلف شجرة فسجدت فسجدت الشجرة لسجودي وسمعتها تقول: (اللهم أكتب لي بها أجراً وحط بها عني وزراً واجعلها لي عندك ذخراً وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود) وليس في هذه الرواية تعيين سجدة الرجل وهل هي سجدة الصلاة أم بعد التلاوة.

قال ابن عباس: فرأيت رسول الله ﷺ قرأ (السجدة) فسجد فسمعته يقول في سجوده مثل الذي أخبره الرجل عن قول الشجرة.

وقال الشافعي: ليست سجدة (ص) من عزائم سجود التلاوة لانها توبة نبي فلا يجب سجودها ، وكذا روي عن أحمد وابن عباس ويؤيده رواية أبى سعيد الخدري بأن رسول الله ﷺ قرأ على المنبر سورة (ص) ولما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه ولما كان في يوم آخر قرأها وبلغ السجدة فتشوف الناس للسجود أي تهيأوا فقال ﷺ «انما هي توبة نبي ولكن رأيتكم تشوفتم» فنزل فسجد فسجدوا وقرأ انابة داود وغفران الله له المشار اليه بقوله ﴿فغفرنا له ذلك﴾ الذنب بكى على خطيئته قيل: ثلاثين سنة لايرقى دمعه ليلاً ولا نهاراً وقيل أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة.

قال وهب بن منبه : قسم الدهر بعدها يوماً للقضاء ويوماً لنسائه ويوماً تسبيح في الجبال والفيافي والساحل ويوماً يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح معهم على نفسه ويساعدونه على ذلك واذا كان يوم سياحته يخرج الى الفيافي ويرفع صوته بالمزامير فيبكي ويبكي الشجر والرمال والطير والوحوش حتى يسيل من دموعه ودموع الطير والوحوش مثل الأنهار ثم يجيء الى الجبال ويرفع صوته ويبكي فتبكي معه الجبال والحجارة والطير والدواب حتى يسيل من بكائهم الأودية ثم يجيء الى الساحل فيرفع صوته ويبكي فتبكي معه الحيتان ودواب البحر وطير الماء فاذا أمسى رجع واذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه أن اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده ويدخل الدار التى فيها المحاريب فيبسط فيها ثلاثة فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها ويجيء أربعة آلاف راهب عليهم البرانيس وفى أيديهم العصي فيجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع داود صوته بالبكاء والنوح على نفسه ويرفع الرهبان معه أصواتهم فما يزال يبكي حتى يغرق الفرش في دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجيء ابنه سليمان فيحمله ويأخذ داود من تلك الدموع بكفيه ويمسح بها وجهه ويقول يا رب اغفر لي فلو عدل بكاء داود بكاء أهل الدنيا لعدله وقيل: ان الوحوش والطير كانت تسمع الى قراءته فلما فعل ما فعل كانت لا تصغى اليها وقالت يا داود ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك.

وعنه ﷺ : « إنما مثل عيني داود مثل القربتين تنطفان ولقد خدد الدموع في وجه داود خديد الماء فى الأرض» .قالوا : لما تاب الله عليه قال يارب غفرت لي فكيف أفعل حتى لا أنسى خطيئتي فاستغفر لي وللخاطئين الى يوم القيامة فوسم الله خطيئته في يده اليمنى فما رفع طعاماً ولا شراباً الا بكى اذا رآها ولا قام خطيباً في الناس الا وبسط راحته فاستقبل بها الناس ليروا وسم خطيئته وكان يستغفر للخاطئين قبل نفسه

أي لأنه قد غفر له .
وعن الحسن كان بعد الخطيئة لا يجالس الا الخاطئين يقول تعالوا الى داود الخاطىء ولا يشرب شراباً الا مزجه بدموعه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعته فلا يزال يبكى عليه حتى يبتل بالدموع ويذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا أكل الخاطئين قال وكان قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر وبعدها يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله.
قال ثابت: كان اذا ذكر عقاب الله تخلعت أوصاله واذا ذكر رحمة ربه تراجعت ﴿وإن له عندنا﴾ يوم القيامة بعد المغفرة * ﴿لزلفى﴾ أي لقربى * ﴿وحسن مآب﴾ أي مرجع ومنقلب في الجنة وقلنا: ﴿ياداود انا جعلناك خليفة﴾ تأوه للنقل من الوصفية الى الاسمية وهو مذكر وتأنيثه بسبب التاء نادر شاذ أي جعلناك مستخلفاً عن الملك * ﴿في الأرض﴾ جعلناك خليفة عمن قبلك من الأنبياء صلى الله عليهم وسلم القائمين بالحق ﴿فاحكم بين الناس بالحق﴾ أي بالعدل أي بحكم الله ولا يقال خليفة الله الا لرسوله وأما الخلفاء فكل واحد خليفة للذي قبله وربما قيل لغيره مجازاً ومبالغة ويقولون لأبي بكر خليفة رسول الله ﷺ ولما ولي عمر قالوا له خليفة خليفة رسول الله ﷺ فرأوا أن الأمر سيطول فاخترعوا له أمير المؤمنين وهو أول من سمي به فقصر هذا الاسم على الخلفاء والحق أنه يجوز أن يقال لجميع الرسل خليفة الله ﴿ولا تتبع الهوى﴾ هوى النفس ولا تتبع ما تهواه النفس مخالفاً لأمر الله، قيل قوله: (ياداود انا جعلناك خليفة) . . . . الخ . دليل على أن ذنبه المبادرة الى تصديق المدعي ونسبة المدعي عليه الى الظلم * ﴿فيضلك عن سبيل الله﴾ بنصب (يضل) في جواب النهي وقيل مجزوم عطفاً على (تتبع) فتح للساكنين و (سبيل الله) دينه الحق وقيل: دلائله التى نصب على الحق وزعم بعضهم أن المراد الدلائل على توحيده ﴿ ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾ ما مصدرية أي بسبب نسيانهم يوم الحساب ويوم

مفعول أو موصولة اسمية أي بالنسيان الذي نسي يوم الحساب وما نسوا ضمير المصدر والمراد بنسيان يوم الحساب ترك الايمان أو ترك العمل له أو ترك الخوف له مع جورهم في القضاء والمراد ضلالتهم عن السبيل فان تذكره يقتضي ملازمة الحق وطرح الهوى ويصح جعله ظرفاً لعذاب أو للاستقرار أي لهم يوم الحساب عذاب شديد بما نسوا من العهد المأخوذ عنهم اذا كانوا ذراً ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما﴾ خلقاً * ﴿باطلا﴾ لا حكمة فيه فهو مفعول مطلق أو ذوي باطل فهو حال من (نا) أي مبطلين أو هو مفعول لأجله مصدر على وزن اسم الفاعل أي لأجل الباطل الذي هو متابعة الهوى بل للحق.

وقال ابن عباس: باطلاً لا لثواب ولا لعقاب * ﴿ذلك﴾ الذي هو البعيد عقلاً أو شرعاً الذي هو الخلق باطلاً * ﴿ظن﴾ مصدر بمعنى اسم مفعول أي مظنون * ﴿الذين كفروا﴾ من أهل مكة القائلين لا بعث ولاحساب * ﴿فويل﴾ أي هلاك وعذاب أو واد فى جهنم أو نحو ذلك * ﴿للذين كفروا من النار﴾ أجاز بعض كون النار نعتاً لويل وكان لهم الويل بسبب ذلك الظن كما دلت عليه الفاء أم للاضراب الانتقالي والاستفهام الانكاري*

﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار﴾ انكار للتسوية بين المؤمنين والكافرين والفجار بعكس ذلك كمساواة دنيا ولا أخرى ويدل لهذا (سواء محياهم ومماتهم) وقيل المراد عدم التسوية فى الآخرة وأنكره بعضهم ويجوز أن يريد (بالمتقين والفجار) ما ذكر قبلها وكرر اعتبار الوصفين آخرين يمنعان التسوية وهم الاتقاء والفجور والتسوية سفه لاتكون من الحكم سبحانه وفى الآية اشارة للحشر فان التفاضل في الدنيا من كل وحه غير واقع لاننا نرى كثيراً من الكفار مرزوق بنعم لم يرزقها المؤمنون فثبت أنه فى الآخرة بعد الحشر بل قيل ان الآية نزلت لما قال كفار مكة نعطى في الآخرة مثل ما تعطون *

﴿كتاب أنزلناه اليك مبارك﴾ وقرىء بنصب (مبارك) فالرفع على أنه خبر كتاب و (أنزلناه) صفة أو على أنه نعت آخر والمبتدأ محذوف خبره (كتاب) أو على أنه خبر ثان والأول (أنزلناه)، و (كتاب) مبتدأ أو على أنه خبر ثان والأول (كتاب) والمبتدأ محذوف و (أنزلناه) ثان والنصب على الحال من الهاء ﴿ليدبروا آياته﴾ أصله ليتدبروا بدلت التاء دالاً وأدغمت في الدال وقرىء على الأصل وقرىء بتاء الخطاب والتدبر التفكر الموصل الى معرفة حقيقة الآيات والمراد بها فان من يقرأ ولا يتدبر كمن له ناقة كثيرة اللبن ومهرة كثيرة الولادة ولايستولدها.

وعن الحسن: قد قرأ هذا القرآن،عبيد وصبيان وغيرهم لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده حتى أن أحدهم ليقول والله لقد قرأت القرآن وما أسقط منه حرفاً وقد والله أسقطه كله ما يرى عليه أثر في خلق ولا عمل والله ما هو يحفظ حروفه واضاع حدوده والله ما هؤلاء بالحكمة ولا الورعة لا أكثر الله من هؤلاء في الناس وقد كثروا وغرضهم الرياء والسمعة. وقوم قرأوه ليصطادوا به المال من البلاد وقوم قرأوه وأسهرهم وهم قليل اللهم أكثرهم، وفي (الاحياء) القرآن من أوله لآخره تحذير وتخويف لايفكر فيه متفكر الا ويطول حزنه ويعظم خوفه ان كان مؤمناً بما فيه وترى الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على حفظها أو رفعها ونصبها لا يهم الالتفات الى معانيه والعمل بما فيه وهل غرور يزيد على هذا وقيل المراد بالتقدير العمل وعندي التفكر في المعنى والعمل * ﴿وليتذكر أولو الألباب﴾ أي وليتعظ به أصحاب العقول السليمة أو ليستحضروا وأما هو كالمركوز في عقولهم (لشدة) تمكنهم من معرفة به بما نصب من الدلايل فان كتب الله بيان لما لايعرف الا من الشرع وارشاد الى ما لا يكفي فيه العقل ويصح أن يكون التدبر لذوي العقول السليمة والتذكر لذوي العقول المركوز فيها . فيها عظيم المعرفة أو التدبر لما لا يعرف الا من الشرع والتذكر لما لا يستنقل به

العقل * ﴿ووهبنا لداود سليمان﴾ أي خلقناه له ابناً ﴿نعم العبد﴾ سليمان وعلل المدح بقولـه * ﴿إنه أواب﴾ بكسر الهمزة فهو تعليل استئنافي كـأنـه قال لانه رجاع في التسبيح والذكر في جميع الأوقات* ﴿إذ﴾ متعلق بأواب أو بنعم ﴿عرض عليه﴾ أي على سليـمان * ﴿بالعشي﴾ أي فى العشي وهو ما بعد الـزوال الخيـل * ﴿الصافنات﴾ القائمات على ثلاثة أرجل واقـامـة الأخرى من المقـدمتين على طـرف الحـافـر وقيـل أو من المؤخـرتين وقيـل الصافن القائم وفي الحديث من سره أن يقوم له الناس صفـونـا أي قيـامـاً كخدم الجبابرة فليتبوأ مقعـده من النـار وقيـل الصـافنـات الجـامعـات بين أيديهن وتلك الصفات لا تكـون الا في العـراب المخلص وصفهن بصفتين وقوفها وهي الصفون وصفة جريها في قولـه ﴿الجياد﴾ جمع جواد أو أجود أو جيد وهو الذي يسرع فى جريه قاله ابن عباس.

ذكر الجمهور أن سليمان عرضت عليه وهو على كرسيه آلاف من الخيـل أصابها أبوه من العمالقة فورثها منه فعرضت عليه لارادة الجهاد بها بعـد أن صلى الظهر فبلغ العرض تسعماية منها فغـربت الشمس وغفـل عن صـلاة العصر أو عن ورد كان لـه. وقيـل: ورثهـا عن أبيـه ولم يصبهـا أبـوه من العمالقة. وقيل كانت ألفـاً فقـط وقيـل غـزا سليـمان أهـل دمشق ونصيبين فأصـاب ألف فـرس وقيـل خـرجت من البحـر لهـا أجنحـة فقعـد يـومـاً فاستعرضها فعرضت عليه وانما لم ينبه للصلاة أو للـورد هيبـة لـه* ﴿فقال اني أحببت حب الخير عن ذكـر ربي﴾ وانما عـدي (أحببت) بعن لتضمينـه معنى (أنبت) من النيابة وأصله بمعنى (آثرت) فيتعـدى بـ (علي) وقيـل: لتضمنه معنى (قعدت وتـأخـرت) وعن بعض أن أحببت بمعنى (لـزمت) وعلى كل فحب الخير مفعـول وقيـل مصـدر تسبيبي أي مثـل حب والخير المال الكثير والمراد به الخيل التى شغلته أو سمى الخيـل (خيرا) بـالـراء أي مالاً لانها سببه لقوله ﷺ «الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيـامـة»

والعرب تسمى الخيل خيراً ، وفى مصحف ابن مسعود حب الخيل باللام والمراد (بذكر ربي) صلاة العصر أو الورد المذكور ، وقرأ غير ابن كثير ونافع وابن عمرو باسكان الياء * ﴿حتى توارت﴾ أي استترت الشمس بدليل ذكر العشي * ﴿بالحجاب﴾ ما يحجبها عن الابصار وهو جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه وهذا من بدع التفاسير وقيل :هو جبل قاف وقيل : ضمير توارت للصافنات، والحجاب الليل واصطبلاتها أي أماكن الدواب * ﴿ردوها﴾ أي الخيل المعروضة * ﴿عليّ﴾ فردوها عليه* ﴿فطفق﴾ بكسر الفاء وفتحها أي شرع واسمه مستتر عائد لسليمان مرفوع المحل وخبرها جملة محذوفة أي يمسح* ﴿مسحا﴾ وفيه دليل على جواز حذف عامل المصدر المؤكد الا أنه علق الجارية لا بالمحذوف فيكون نوعياً والا ان جعل بدلاً من عاملة فلا توكيد لكنه قلت المنابة في الاخبار بالمفرد عن (ردوها) جاعلاً له جواباً عن سؤال قائل كما قال سليمان وهو نبي من أنبياء الله وحيث اشتغل بالدنيا حتى فاتته الصلاة * ﴿بالسوق﴾ جمع ساق وقرىء (بهمز الواو) بضم ما قبلها كأنها المضمومة والواو المضمومة تقلب همزة جوازاً كما بينته في (شرح اللامية) وقال القاضي: قرأ ذلك ابن كثير وقرأ أبو عمرو (بالسؤق) بهمز الواو وضمها.

وقرىء بالساق بأل الجنسية لا اكتفاء بالواحد عن الجمع لأمن اللبس.

قال الزمخشري وتبعه القاضي كذا ظهر لي * ﴿والأعناق﴾ و (مسح السوق والاعناق) قطعها وعقرها بالسيف قاله ابن عباس وأكثر المفسرين وعن بعض قطع أرجلها وذبحها تقرباً الى الله تعالى حيث اشتغل بها عن الصلاة وتصدق بلحمها فعوضه الله خيراً منها وأسرع وهى الريح تجرى بأمره كيف شاء وكان العقر مباحاً لهم ولذلك فعله سليمان وقيل (مسحها) بيده حباً لها واعجاباً بها وقيل (حبسها) فى سبيل الله وكوى سوقها وأعناقها بكّي الصدقة ورجح المسح بيده ونسب لابن عباس وقيل مسح

العنق مسح عرف العنق وعن بعض أنه لم تنته الصلاة بل عرضت عليه مصلياً فأشار اليهم اني في الصلاة فأزالوها فأدخلوها الاصطبلات ولما صلى قال: (اني أحببت حب الخير) أي الذي عند الله فى الآخرة بسبب ذكر ربي فشغلني عن رؤيتها حتى دخلت فردوها فشرع يمسحها تكريماً لانها للجهاد ورجحه الرازى وكأن عن عند صاحب هذا القول بمعنى (ال) والمشهور أنها للمجاوزة و (أحببت) معناه (أنبت) وأبدلت وعوضت) أو للاستعمال و (أحببت) بمعنى آثرت وزعم أنه لو مسحها قطعها لكان القطع معنى في (وامسحوا برؤوسكم) وليس بشيء للقرينة فيهما وقال: على ضمير ردوها للشمس أو للملائكة برد الشمس فردوها فصلى العصر في وقتها ووجه المسح باليد (التكريم) لانها أعظم الأعوان في دفع العدو أعنى الخيل واظهار السياسة وضبط المملكة حيث باشر الأمور بيده ونفسه واختيار عرضها لعلمه بأحوالها* ﴿ولقد فتنا سليمان﴾ اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه بسبب ما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أن سليمان عليه السلام قال: لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتى بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله ولم يقل فطاف عليهن فلم تحبل الا واحدة جاءت بشق رجل وايم الذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون. وفيما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ « قال سليمان: لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس مجاهد يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه قل: ان شاء الله فلم يقل فطاف عليهن فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، وايم الذي نفس محمد بيده لوقال: ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون».

وقيل سبب سلب ملكه أنه ولد له ولد فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض ان عاش له ولد ولم يعفك من الخدمة فسبيله أن نقتله أو نخبله أي نسلب عقله فعلم سليمان ذلك فأمر الملائكة فرفعوه فى الحجاب

وقيل: أمر السحاب فيحمله فبينما هو في بعض أشغاله اذ هو ملقى على كرسيه ميتاً فعاتبه الله على خوفه من الشياطين ولم يتوكل عليه فتاب وسميت شدة حرصه عدم توكل، وقيل: سمع بمدينة تسمى صيدون بجزيرة ملكها عظيم ولا يقدر عليه أحد لتحصنه بالبحر فحملته الريح مع جنوده فنزل عليها وقتل ملكها وسبى ما فيها وأصاب بنت الملك واسمها جرادة لم ير مثلها جمالاً ودعاها للاسلام فأسلمت على قلة فتزوجها وأحبها أكثر من نسائه فحزنت حتى لا يرقأ لها دمع فشق عليه فقال ويحك ما هذا الحزن والدمع؟ فقالت لتذكر أبي وملكه وما أصابه فقال أنت الآن في سلطان أعظم وفى الاسلام الذي هو خير من ذلك قالت: نعم لكن يصيبني ذلك اذا تذكرته فلو أمرت الشياطين أن يصوروه في داري أراه بكرة وعشية لرجوت ذهاب ذلك فصنعوا صورته الا الحياة فألبسنها مثل ثياب أبيها وصارت تسجد لها صباحا ومساء هي وجواريها وصار صنماً معبوداً في بيته وسليمان لا يعلم وبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقه ولا يرد عن أبوابه ساعة أراد حاضراً سليمان أو غائباً فدخل وقال يا نبي الله كبرت وضعفت وحان موتي وأحب أن أخطب الناس قبل الموت أذكر الأنبياء الماضين وأثنى عليهم بما علمت وأعلم الناس بعض ما جهلوه من أمرهم فجمع له الناس فخطب ومدحهم وذكر ما فضلهم الله به حتى بلغ الى سليمان فقال ما كان أحلمك في صغرك وأورعك فيه وأفضلك فيه وأحكم أمرك فيه وأبعدك فيه عن كل ما يكره وانصرف فملىء سليمان غضباً فلما دخل داره دعاه فقال يا آصف ذكرتهم وأثنيت فى كل حال وأثنيت عليّ في صغري فما أحدثت في كبري ؟ قال : يعبد غير الله في دارك أربعين صباح في هوى امرأة قال: في داري ؟ قال: فى دارك قال: انا لله وانا اليه راجعون قد علمت انك ما قلت الا لشيء بلغك فكسر الصنم وعاتب المرأة ومن معها فلبس ثياب الظهيرة لا يصنعها ولا يمسها الا بكر فخرج الى فلاة وأمر أن يفرش له الرماد وتمعك فيه متضرعاً باكياً ويرجع

لداره كل يوم مساء وله أم ولد يقال لها الأمينة اذا أراد الخلاء أو الجماع وضع خاتمه عندها حتى يتطهر ولا يمسه الا طاهراً أو فيه ملكه فتمثل لها صخر المارد وهو شيطان حتى لا تنكر انه سليمان فقال : خاتمي يا أمينة فناولته فتختم به وجلس على سرير سليمان وعكفت عليه الطير والوحش والجن والانس وخرج سليمان فقال لها خاتمي وقد تغير عند كل من رآه فقالت: من أنت؟ قال: سليمان بن داود قالت كذبت قد جاء سليمان وأخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فعرف أنه أدركته خطيئته فجعل يقف على كل دار من دور بني اسرائيل فيقول: أنا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب وصبت عليه عجوز بولها من اناء ويقولون انظروا الى هذا المجنون يزعم أنه سليمان فعمد الى البحر فكان ينقل الحوت لأصحابه الى السوق ويعطونه سمكتين فاذا أمسى باع احداهما برغيف ويشوى الأخرى ويأكل وكان ذلك أربعين يوماً كمدة عبادة الصنم في داره وأنكر آصف حكم الشيطان في المدة فقال لبني اسرائيل فقالوا مثل ما قال فقال دعوني أسأل نساءه فقال هل أنكرتن من حكم ابن داود ما أنكرنا فى عامة الناس ؟ فقلن أشده ما يدع حائضاً ولايغتسل من الجنابة فقال : انا لله وانا اليه راجعون فخرج اليهم وقال في الخاصة أشد مما في العامة ولما تمت أربعون يوماً طار الشيطان ومر بالبحر فقذف الخاتم فبلعته سمكة فأخذها صايد وقد عمل له سليمان صدر يومه فلما أمسى أعطاه سمكتين فباع احداهما برغيف ومزق بطن الاخرى ليشويها فاستقبله خاتمه في جوفها فتختم به ووقع لله ساجداً وأعكف عليه الطير والجن وأقبل الناس وأظهر التوبة وأمر الشياطين أن يأتوا بصخر فطلبوه فأخذوه فأدخله في جوف صخرة وسد عليه بأخرى ثم أوثقها بالحديد والرصاص ثم أمر فقذفه في البحر وقيل: ان سبب فتنته أن جرادة كانت أبر نسائه ويأمنها علي خاتمه فقالت: اقض لأخي على فلان في خصومة فقال: نعم ولن يأتي القضاء له فلم يفعل فابتلي لقوله: نعم فكان ما مر من أمر الشيطان وقيل: ان سليمان

احتجب عن الناس ثلاثة أيام فأوحى الله اليـه احتجبت ولم تنظـر في أمـور عبادي فابتلاه بذلك. قال بذلك سعيد ابن المسيب.

قال الحسن: لايسلط الله الشيطان على نسـاء نبيـه وكـذا قـال المحققـون لايقـدر الشيطـان على التصرف فى ملكـه ونسـائه وانـما أثبت ذلك اليهـود وقيل: ان الشيطان لم يسلط على ذلك ولم ينفذ أمره بـل بقى الملك معطـلاً وقيل: ان سليمان لما افتتن سقط الخاتم من يده فيعيده ولا يتماسك فقال له آصف انك مفتون فخر الى الله تائباً فانى أقوم مقامك وأسير سيرتك الى أن يتوب الله عليك ففر وأعطاه اياه فقام مقامه أربعة عشر يومـاً الى أن رد الله على سليمان ملكه ورجع لسريره وتماسك الخاتم بيده* ﴿وألقينا على كرسيه جسداً﴾ هو ابنه الذي أرسل الى السحاب ألقاه الله جسداً ميتاً لا روح فيـه وقيل: شق الرجل الذي ولدت امرأتـه عـرض عليـه وهـو على كـرسيـه؛ وقيل: صخر سمى جسداً كأنه لا روح فيه لانه تمثل بما لم يكنـه، وقيـل: آصف حين ناب عنه وقيل: جنسد سليـمان * ﴿ثم أناب﴾ قيل قام الجسد مقامه وهـو آصف أو صخـر وقيـل رجـع سليمان الى ملـكـه وقيـل الى الاستغفار وهو قوله * ﴿قال رب اغفر لي﴾ عدم استثنائى ناسياً في حيث قلت (لأطوفن).. الخ أو غفلت عن عبـادة الصنم في داري غير عـالم بـه وغير باحث وأغراني احتجـابي عن النـاس أو قـولي لامـرأتي: (نعم أحكم لأخيك) غير مستثن ناسياً أغفر لي ارسالي ابني الى السحاب والتصوير غير حرام عندهم * ﴿وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعـدي﴾ أي لايكون لأحد من بعدي أهلاً أو هب لي ملكاً يقال فيه لم يؤت أحد مثله كما يقـال لزيد ماليس لغيره أو لا يكون لأحد ليكون معجزة لي مناسبـة لحـالي أو لا تسلبه في باقي عمري وتعطيه لغيري كما سلبته من قبـل هـذا كقـولـه فمن يهديـه من بعـد الله أي سـوى الله، وقيـل: سـأل ذلك ليكـون دليـلاً على رسالته وقبول توبته حيث أجاب له ورد ملكه وزاد فيه وقيـل سـأل ذلك ليختص به كما اختص داود بالانة الحـديد وعيسى باحيـاء المـوتى وابـراء

الأكمه والأبرص قال ﷺ: «إن عفريتاً من الجن عارضني البارحة ليقطع عليّ صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه في سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان (هب لي ملكاً لاينبغي لأحد من بعدي) فرددته خاسئاً» وقيل: لا تعط لأحد من بعدي أو غيرى في زماني أو غيره لعله لا يحافظ فيه على حدودك لعظمته كقول الملائكة: (أتجعل فيها من يفسد) ؟ . . .الخ . وقيل: علم الله أنه لا يقوم به غيره فأمره أن يستوهبه ولم يقل ذلك حرصاً على الدنيا وحسداً كما قال الحجاج حين قيل له: انك لحسود فقال: أحسد مني من قال: (وهب لى ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي) جزاه على الله كقوله: (طاعة أوجب من طاعة الله) لانه اشترط فى طاعته اذا قال: (فاتقوا الله ما استطعتم) وأطلق الاستطاعة وقال: (وأولي الأمر منكم) وانما قدم الاستغفار على الاسباب لمزيد اهتمامه بأمر الدين وليجاب دعاؤه ويحتمل أن الواو عطفت السابق على اللاحق.

وقرأ غير نافع وأبي عمرو وأبي جعفر باسكان ياء بعدي * ﴿إنك أنت الوهاب﴾ الذي يعطي ما يشاء لمن يشاء * ﴿فسخرنا له الريح﴾ وقرىء (الرياح) أي (ذللها لطاعته) اجابة له تنقله في كرسيه وجنوده من الأرض ثم ﴿تجرى بأمره ورخاء﴾ أي حال كونها لينة طيبة لا تزعزع ولا تدفع الدفع المفرط فتحمله غدوها شهراً ورواحها شهراً، وقيل مرخية له العنان لاتعصيه أو رخاء مصدر رخى أي رخاء ﴿حيث أصاب﴾ أي حيث أراد وقصد.

حكى الأصمعي: (أصاب الصواب فأخطأ الجواب) أو حيث صوب جنوده تقول صاب يصوب أي توجه يتوجه اصابه غيره أي وجهه ﴿والشياطين﴾ عطف على الريح ﴿كل بناء﴾ بدل من الشياطين بدل كل بحسب ما عطف عليه وهو (وآخرين) بناء مبالغة من بنى يبني والمراد سخرنا جميع البانين يبنون له كل ما أراد من البنيان العجيب * ﴿وغواص﴾ يدخل البحر ليستخرج اللؤلؤ وهو أول من استخرجه منه * ﴿وآخرين﴾ عطف على كل * ﴿مقرنين﴾ أي مشدودين ليكفوا عن الشر وتشديد الراء للمبالغة * ﴿في الأصفاد﴾ جمع صفد بفتح الفاء (الأصفاد) أي فى القيود فصل الشياطين الى عملة استعملهم فى الافعال الشاقة كالبناء والغوص والمردة قرن بعضهم ببعض في السلاسل ليكفوا عن الشر وللتأديب وكان يجمع أيديهم الى أعناقهم ووجه تسخير المردة أنه أقدر عليهم وقهرهم بالحبس أو أنهم أجسام شفافة لا يمكن تقييدها ومكنه من تقييدهم فى الصفد وسمى العطاء صفداً لانه يربط المنعم عليه بالمنعم ويحتمل انه لم يقيدهم فى الاصفاد بل كفهم عن الشر وزجرهم عنه فعبر عن ذلك بالتقرين في الاصفاد والصفد بمعنى القيد فعله صفد وبمعنى الاعطاء صفد عكس وعد فى الخير وأوعد فى الشر ووجه ذلك أن القيد ضيق وقيل فناسبه صفد لقلة حروفه والاعطاء واسع فناسبه أصفد لكثرة حروفه والوعد للخير وهو خفيف فناسبه قلة الأحرف والايعاد للشر وهو ثقيل فناسبه كثرة الأحرف وقلنا له* ﴿هذا﴾ الذي أعطيناك من الملك والبسطة والتسلط على ما يسلط به غيرك * ﴿عطاؤنا﴾ أي معطانا أو الاشارة الى الاعطاء فيبقى عطاؤنا على ظاهره ويجوز أن تكون الاشارة الى التسخير * ﴿فامنن﴾ باعطاء من تشاء * ﴿أو امسك﴾ عن الاعطاء لمن أردت منعه كذا قيل وظاهره أن (أو) بمعنى (الواو) والأقرب أن أو على أصلها خيرة بين الاعطاء والامساك ؟ ومن قال: الاشارة الى التسخير قال المراد (امتن على من شئت من الشياطين بالاطلاق وأمسك من شئت منهم في القيد) أو في العمل وكل فقد وقفه على قدر النعمة وأباح له

التصرف فيها بمشيئته * ﴿بغير حساب﴾ حال من ضمير (أمسك) ويقدر مثله (لامتن) أي كائناً بغير حساب أي غير محاسب على المن والامساك أو حال من العطاء أو متعلق به أي عطاء عظيم لا يمكن عده (وعلى الآخرين) الجملة معترضة؛ ويدل للأول قول الحسن (ما أنعم الله على أحد من نعمة الا عليه تباعة الا سليمان فانه أعطي أجراً ولم تكن عليه تباعة) * ﴿وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ لما ذكر من نعم عليه في الدنيا اتبعه بذكر ما ينعم به عليه في الآخرة والمراد بقوله عندنا (الآخرة) أو خزائن الله (وبحسن مآب) الجنة أو نعم تحسن عنده * ﴿واذكر عبدنا أيوب﴾ بدل كل أم بيان وهو ابن عيص بن زعربد بن عيص بن اسحق وامرأته ليا بنت يعقوب * ﴿اذ﴾ بدل اشتمال من عبد على اجازة تعدد البدل أو من أيوب على اجازة الابدال من البدل واذ جعلنا أيوب بياناً فلا اشكال في ابدال (اذ) * ﴿نادى ربه أني﴾ أي بأني * ﴿مسّنيَ﴾ بفتح الياء وقرأ حمزة باسكانها وحذفها لالتقاء الساكنين وصلا وفي ذلك حكاية تكلم وهو صحيح لا التفات فيه كقولك قال زيد (اني قائم) وزعم بعض أن الاصل (أن مسه) كان للالتفات (السكاكي) من التكلم الذي هو مقتضى الظاهر الى الغيبة فتفطن لمثل هذا * ﴿الشيطان﴾ نسب المس اليه مع أن فاعله الله لانه سبب بوسوسته في مس الله أيوب اذ تبع الشيطان في وسوسته وليس للشيطان تسليط سوى الوسوسة وقد راعى أيوب الأدب فى دعائه حيث لم ينسبه الى الله في دعائه مع أنه فاعله فلا يقدر عليه الا هو كأنه لو نسبه اليه لكان كالمشتكي بربه وذلك أن الشيطان وسوس له فأعجب بكثرة ماله فلما أطاعه فى الاعجاب مسه الله* ﴿بنُصْب﴾ بضم النون وسكون الصاد وقرأ يعقوب بفتح النون وسكون الصاد (بنَصْب)على أنه مصدر وقرأ (نَصَب) بفتحها وهو لغة وبضمها تثقيلاً للفظ لثقل المعنى أو جمع وهو العنت والمشقة ﴿وعذاب﴾ أي مرضه وما قاسى فيه من أنواع الوصب وقيل: النصب في البدن والعذاب في ذهاب الأهل والمال وقيل: بالعكس وقيل النصب الضر والعذاب والألم وذلك أنه ذهب ماله وولده وصحته، وقيل:

تعرض ابليس لأهله أن تشرك بالله وكان هذا أشد عليه من مرضه فهو النصب والعذاب، وقيل: وسوس الشيطان الى أصحابه فرفضوه وأخرجوه من دورهم فذلك النصب والعذاب، وقيل: وسوس اليه فى مرضه لعظمه بالقنوط وتعظيم المرض وأغراه على الجزع فهذا نصبه وعذابه وقيل: أنه يعوده ثلاثة فارتد أحدهم فسأل عنه فقيل وسوس اليه الشيطان أن الله لايبتلي الانبياء والصالحين، وقيل: لم يبله للاعجاب بل لأن رجلاً استغاثه فلم يغثه وهو مظلوم، وقيل: لانه كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه.

وأنا أقول حاشاه عن ذلك. وقيل: سبب البلاء أنه سأل الله أن يبتليه فيصبر فلم يقدر فسأل الله أن يفرج عنه، وقيل: (مس النصب والعذاب) هو سؤاله للابتلاء وكأنه اعترف بالذنب ولما انقضت مدة بلائه قيل له * ﴿أركض﴾ أي اضرب * ﴿برجلك﴾ الأرض فضربها فنبعت له عين أشار اليها بقوله * ﴿هذا مغتسل﴾ أي موضع اغتسال وهو الماء لانه يغتسل فيه ﴿بارد وشراب﴾ فاغتسل واشرب فتبرأ ويبرأ ظاهرك وباطنك فالاغتسال للظاهر والشراب للباطن، وقيل: نبعت له عينان شرب من واحدة واغتسل من أخرى؛ وقيل: ضرب الأرض برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل وضربها باليسرى فنبعت عين باردة فشرب منها.

وعن قتادة: ان ذلك بأرض الجابية فغسل وشرب وذهب عنه أذى ظاهره وباطنه؛ ومن أكثر من قراءة هذه الآية وهو يحفر بئراً أو ينبش عيناً نبع له باذن الله ماء طيب مبارك* ﴿ووهبنا له أهله﴾ أي جمعناهم بعد تفرقهم أو أحييناهم بعد موتهم وقيل لم يجمعهم ولم يحيهم بل خلق له مثلهم* ﴿ومثلهم معهم﴾ فكان له أهلان * ﴿رحمة﴾ مفعول لأجله والمراد الانعام * ﴿منا وذكرى لأولي الألباب﴾ اى ولتذكير أولي العقول أي وهبنا له لأجل الرحمة له ولأجل تذكير أولي الألباب ليصبروا على البلاء فارحمهم.

قال رسول الله ﷺ: «ما قال عبد قط اذا أصابه هم أو حزن اللهم اني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض فيَّ حكمك عدل في قضائك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو انزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي الا أذهب الله همه وأبدله مكان حزنه فرجاً » قالوا يا رسول الله ينبغي لنا أن نتعلم هذه الكلمات قال : أجل ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن وفى رواية : أنا عبدك وابن أمتك ناصيتي فى قبضتك» وفيها قال رجل من القوم : ان المغبون لمن غبن هؤلاء الكلمات فقال: «أجل فقولوهن وعلموهن من قالهن التماس ما فيهن أذهب الله تعالى حزنه وأطال فرحه و (ماض) خبر مقدم و (فيّ) متعلق به و (حكمك) مبتدأ أو (فى حكمك) جار ومجرور متعلق بماض وماض خبر محذوف أي أنت ماض وكذا في قوله (عدل) في (قضائك) والمراد بالأهل ما شمل المال ماشية وغيرها وفي قوله: (سميت به نفسك) اشارة الى خلق أسمائه وفيه بحث قيل وفى الآية حذف أي (فاستجبنا له ووهبنا) وزعم بعضهم أن الهبة وعد فى الآخرة والأكثرون أنها في الدنيا.

وروي أن أيوب كانت زوجته رحمة بنت افرائيم بن يوسف مدة مرضه تختلف اليه فيتلقاها الشيطان في صورة طبيب ومرة فى هيئة ناصح وغير ذلك فيقول لها: (لو سجد هذا المريض للصنم الفلانى لبرىء) ويعرض عليها وجوهاً من الكفر ، وقال لها يوما : (أسجدي لي يبرأ) وربما عرضت عليه ما قال فيقول: (لقيت عدو الله في طريقك) فلما غضبت لهذا ونحوه حلف لئن برىء من مرضه ليضربنها مائة سوط ولما برىء أمره الله أن يأخذ ضغثاً فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة فيبر بيمينه وقيل: حلف بذلك لانها ذهبت فى حاجة فأبطأت وقيل كان ذلك مع زوجته ليا بنت يعقوب وذلك قوله * ﴿وخذ﴾ عطف على (اركض) * ﴿بيدك﴾

اليمنى * ﴿ضغثاً﴾ أي حزمة صغيرة من الحشيش ونحوه من العيدان؛ وعن بعض ملء الكف من حشيش أو عيدان؛ وعن بعض عن الضحاك وغيره قبضة صغيرة من القضبان ونحوه من الشجر الرطب* ﴿فاضرب به﴾ زوجك* ﴿ولا تحنث﴾ لترك ضربها؛ نهاه عن ترك ضربها فأخذ مائة عود من الأذخر أو غيره وضربها ضربة واحدة وذلك ترخيص من الله لأيوب لرضاه عنها ولها لحسن خدمتها حتى قيل انها باعت ذؤابتيها برغيفين ليأكل وبهما يتعلق اذا قام فحلف لذلك؛ وقيل: قال لها الشيطان: اسجدي لي سجدة وأرد عليكم مالكم وأولادكم فهمّت وأدركتها العصمة فذكرت ذلك له فحلف وقيل: قال لها ان شرب الخمر يبرأ فعرضت له ذلك؛ وقيل: سألته أن يقرب للشيطان بعناق واختلفوا في بقاء رخصة الضغث فقيل: (خاصة بأيوب).

وعليه مجاهد ونسب للجمهور ، وقيل: رخصة عامة باقية فمن حلف أن يضرب زوجته أو عبده أو غيرهما مائة سوط وضربها بالضغث لم يحنث وعليه ابن عباس وعطاء بن أبى رباح، وعلى البقاء والعموم قال أبو حنيفة والشافعي، لا يبرأ الا أن بسط الضغث واصابة كل عود على العرض أو على الطرف أو جمعها وضرب بأطرافها قائمة وقيل: يبرأ ولو لم يصبه كل عود بل البعض لظاهر عموم الآية. وعلى كل حال يشترط صورة الضرب ويترجح عندي قول البقاء والعموم في الايمان وأما الحدود فزعم القاضي أن الرخصة فيها أيضاً فمن وجب عليه مائة سوط مثلاً للزنا أو مثل ذلك ضرب بضغث فيه العدد ، وعليه الزمخشري وغيره دليلهم «أنه أتى بمخدج قد خبث بأمة فقال خذوا عثكالاً فيه مائة شمراخ فاضربوه ضربة» ومذهب الجمهور وهو الحق أنه لا يكون لي ذلك اليوم * ﴿انا وجدناه صابراً﴾ أي علمناه صابراً فيما أصابه في النفس والاهل والمال أما شكوته الى الله سبحانه من الشيطان هو أن لله شكوته بأنه لا يمسي جزعاً فان تمنى العافية وطلب الشفا والمعالجة ومشاورة الأطباء مع التوكل على الله لا يخرج عن الصبر مع أنه طلب الشفا خوفاً من قومه أن يوسوسهم الشيطان في

بلائه فيرتدوا وقد قيل انه لم يبق منه الا القلب واللسان وانه اذا وقعت دودة من جسده ردها فيه وقال كلي من رزقك وقال في مناجاته: (الهي قد علمت اني لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يلهني ما ملكت يميني ولم آكل الا ومعي يتيم ولم أبت شبعان كاسياً ومعى جائع أو عريان فكشف الله عنه ﴿نعم العبد﴾ أيوب * ﴿انه أواب﴾ رجاع الى الله *

﴿وأذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب﴾ ابراهيم علي ما عطف عليه بدل من عبادنا أو بيان.

وقرأ ابن كثير (عبدنا) بالافراد على أن الاضافة للجنس فهو كالجمع فيضع ابدال الثلاثة منه أو المراد به ابراهيم فيعطف اسحاق ويعقوب على عبدنا * ﴿أولي﴾ أي أصحاب ﴿الأيدي والابصار﴾ الايدى القوة في الطاعة قاله الجمهور ومنهم ابن عباس ومجاهد والابصار البصائر في الدين وهو قولهما وقول الجمهور أي يبصرون الحقائق ويعرفون الله وينظرون بنور الله لما كانت الاعمال تباشر بالايدي غالباً، قيل في كل عمل هذا مما عملته يداه ولو كان العمل مما يعمل باليد أو العامل لا يد له وفي الآية تعريض بمن لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في الدين فانهم في حكم من لا يد له من الزمنى وفى حكم من لاعقل له وفيها توبيخهم على ترك المجاهدة والتأمل مع التمكن منهما في حكم من لا يد ولا بصر له؛ قال بعضهم: باليد أكثر الاعمال وبالبصر أقوى الادراكات فعبر بالايدي عن العمل وعن الادراك بالبصر وقيل: للانسان قوي عالمية وعاملية وأشرف ما يصدر عن العالمية معرفة الله فعبر عنها بالبصائر أي بصر القلب وأشرف ما يصدر عن العاملية طاعته وعبر عنها بالايدي كأنه قيل أولي الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة وقيل الايدي والنعم.

وقرأ ابن مسعود :(أولي الايد) بعدم الياء اكتفاء بالكسرة وقيل من التأييد أي التقوية فلا حذف وقَرىء (أولى الاياد) على أنه جمع (أيد) والايدي جمع يد* ﴿انا أخلصناهم﴾ أي جعلناهم خالصين لنا أي

اصطفيناهم* ﴿بخالصة﴾ أي بخصلة خالصة لا شوب فيها واضافتها لقوله ﴿ذكرى الدار﴾ للبيان أي هي ذكر الدار أو خالصة مصدر بمعنى الخلوص أضيف لفاعله.

وقرأ غير نافع وهاشم بتنوين (خالصة) فذكرى بدل أو خبر لمحذوف أو مفعول لمحذوف والدار الآخرة حتى لا يشوبهم هم سواها وانما أطلق الدار فتعرف انها الاخرة لان الاخرة هي الدار الحقيقية وأما الدنيا فمعبر وباء (خالصة) للسببية أي أخلصناهم بسبب هذه الخصلة وبأنهم من أهلها وأخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختبارها، وقيل أخلصناهم لذكر الله والدعاء اليه والى الآخرة وقيل: أخلص بأفضل ما في الآخرة وقيل: المراد بالدار الدنيا وذكرها الثناء الجميل عليهم من الناس وقرىء (بخالصتهم) وقيل: الذكر القرآن وهو ضعيف * ﴿وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار﴾ أي لمن المختارين من أمثالهم من المصطفين عليهم في الخير وفاء المصطفين مفتوحة بقاء على الأصل قيل حذف الألف دلالة على المحذوف والأخيار جمع خير بسكون الياء كسيف وأسياف وميت بسكون الياء وأموات وقيل أو جمع خير بالتشديد للياء وكسرها وانما سكنت ياء الجمع في المصطفين سكوناً حيا لفتح ما قبلها * ﴿واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل﴾ هو نبي وهو ابن عم اليسع أو هو بشر بن أيوب وقيل غير نبي ولقب ذا الكفل لانه كفل ماية نبي من بني اسرائيل فروا اليه من القتل فآواهم، وقيل: كفل بخدمة رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلاة وقرىء (اللّيسع) بتشديد اللام وسكون الياء كأن (ال) دخلت على (ليسع) فيعل من اليسع وهى قراءة حمزة والكسائي وعلى كل فأل زائدة وبسطتها في حواشي النحو وهو أخطوب استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم بعثه الله نبياً * ﴿وكل﴾ أي وكلهم ﴿من الأخيار﴾ وفايدة ذكرهم المأمور به سيدنا محمد ﷺ أن يقتدي بهم في الصبر ويسلك طريقهم وليس بممنوع أن يأمره بالاقتداء بغير النبى وهو ذو الكفل ان قلنا غير نبى * ﴿هذا﴾ الذي تقدم من أمورهم * ﴿ذكر﴾ أي ثناء جميل عليهم وقيل شرف وقيل

نوع من (الذكر) وهو القرآن.

وعن ابن عباس : هذا ذكر من مضى من الأنبياء لما جرى ذكـر الأنبيـاء وثم أشار اليه على جهة الاقتضاب وشرع في ذكر الجنـة وأشـار الى القـرآن بعد ذكرهم الذي هو باب من أبواب القرآن وهذا كـما يقـول المؤلف عنـد تمام الباب اشارة الى الباب المنتهي ليستشعر القارىء أو السامع بـأنـه بـاب آخر ويتهيأ له * ﴿**وان للمتقين**﴾ الشاملين لمن ذكر أو المراد من ذكر كأنـه قيل هذا ثناء جميل عليهم وتشريف في الـدنيـا وان لهم في الآخـرة ﴿**لحسن مآب**﴾ أي مرجـع * ﴿**جنات عدن**﴾ (بـدل) من (حسن مـآب) لا عطف بيان كما قيل: لانه لا تعطف المعرفة على النكرة وعطف بيان وجنات عدن علم غلبه والا فكل جنة جنة عدن أي اقامة ودليل العلمية النعت بالمعرفـة في قوله تعالى ﴿**جنات عدن التي وعد الرحمن عبـاده**﴾ وقد يقال هنا نكـرة كأنه قيل: جنات اقامة * ﴿**مفتحة**﴾ حال من ضمير الاستقرار في خبر ان أم من المتقين أو الابواب نائب (مفتحة) أو حال من (جنـات) سـواء قلنـا بتعريفها أو تنكيرها أو نعت لجنـات ان قلنـا نكـر. (والابـواب) بـدل من ضمير الجنات في (مفتحة) بدل اشتمال ان قلنا أبواب الجنة جزء منها وهـو الواضح ويدل بعض ان قلنا منها ولا يصح أن نجعل الابواب الا نائبـاً لـــ (مفتحة) اذا جعلنا (مفتحة) حالاً من ضمير الاستقـرار ولا ضمير لجنـات في (مفتحة) وقد لزم ابرازه على المشهور بخلاف ما اذا جعلنا (مفتحة) نعتاً أو حالاً من غيره فـانـه يصـح كـون (الابـواب) بـدلاً من ضميره ومعنى مفتحة * ﴿**لهم الأبواب**﴾ مفتحة لهم أبوابها أو الابواب منها قيـل: تفتـح لهم بغير يـد بـل يقـال (افتحي) واذا أريـد غلقهـا قيـل (اغلقي) وقـريء (جنات عدن مفتحة لهم الابواب) بـرفـع (جنـات ومفتحـة) على الابتـداء والخبر أو (جنـات) خبر لمحـذوف أى هـو (جنـات عـدن) ومفتحـة نعت جنات أو خبر لمحذوف أي (هن مفتحة لهم الابـواب) * ﴿**متكئين**﴾ حال مقـدرة من المتقين أي مقـدراً لهم الاتكـاء * ﴿**فيها**﴾ وقيـل: من ضمير (لهم) لا من المتقين للفصل وكـذا الكـلام في جملـة * ﴿**يدعون فيها**﴾ فهما حالان متعددان أو الجملة حال من ضمير متكئين حـال متـداخلـة والاولى

اجعل الجملة استئنافاً لبيان حالهم فيها ويجوز كون متكئين حالاً من واو (يدعون) فان جعل يدعون حالاً فالحال متداخلة أيضاً والاقتصار على الفاكهة للاشعار بأن مطعمهم لمحض التلذذ وأردت باقتصار عليها في قوله * ﴿بفاكهة كثيرة﴾ دون ذكر غيرها مما يؤكل* ﴿وشراب وعندهم قاصرات﴾ أي حابسات * ﴿الطرف﴾ أي العين على أزواجهم لا ينظرون الى غيرهم * ﴿أتراب﴾ أي أسنانهم واحدة وانما سمي من كان كذلك ترباً والجمع أتراب لان التراب مسه وتربه في وقت واحد حين الولادة وهذا تمثيل فانه لا تراب ولا ولادة في الجنة وانما جعلن على سن واحدة لان التحاب بين الأقران أثبت.

قيل: هم مستويات الاسنان والشباب والحسن بنات ثلاث وثلاثين سنة وقيل معنى أتراب متآخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن ولا يتحاسدن وقيل أتراب لأزواجهن * ﴿هذا﴾ المذكور * ﴿ماتوعدون﴾ بالمثناة فوق (التفاتاً).

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالمثناة تحت ليوافق ما قبله في الغيبة * ﴿ليوم الحساب﴾ حال من (ما) أو من ضميرها المحذوف واللام للتوقيت أو بمعنى عند أو متعلق بـ (توعدون) على أنها للتعليل وفي الوعد اشارة الى الوصول لان الله لا يخلف الوعد كما لا يخلف الايعاد وذلك لأن الحساب علة للوصول * ﴿ان هذا﴾ المذكور من الفاكهة والشراب * ﴿لرزقنا﴾ والجملة مفعول لقول وذلك القول حال مقدرة أي مقدراً لهم والقول ان هذا لرزقنا كأنه قال قائلين ان هذا لرزقنا * ﴿ماله من نفاد﴾ أي انقطاع وهذه الجملة حال من الرزق أو خبر ثان لأن * ﴿هذا﴾ اقتضاب ومر بيانه وهو مبتدأ خبره محذوف أي هذا للمؤمنين أو هذا واقع أو كما ذكر وخبر محذوف أي الأمر هذا أو مفعول لمحذوف أي خذ هذا * ﴿وان للطاغين﴾ أي الكافرين * ﴿لشر مآب جهنم﴾ بدل من شر* ﴿يصلونها﴾ يدخلونها ويقاسون حرها حال من جهنم * ﴿فبئس المهاد﴾ جهنم واستعار من فرش النائم أصلية تصريحية * ﴿هذا﴾ خبر لمحذوف أي العذاب هذا أو مفعول لمحذوف من باب الاشتغال وعلى هذا ففاء

﴿فليذوقوه﴾ زائدة وقيل لا تزاد فى الاشتغال فليكن من باب الحذف لدليل أو رابطة أي أما هذا فليذوقوه ومبتدأ خبره * ﴿حميم﴾ والجملة معترضة والفاء استئناف أو زائدة لا عاطفة لأن مدخولها فعل طلب والمعطوف عليه اسمية جزئية تقدم بعضها وتأخر بعض وعلى الاولين يكون (حميم) خبرا لمحذوف أي هو حميم والحميم الحار والمراد ماء حار* ﴿وغساق﴾ بالتخفيف عند الجمهور وبالتشديد عند حفص وحمزة والكسائى ، وهو ما يسيل من صديد جلود وجروح وقروح أهل النار ومن غسقت العين سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يهلك ببرده وعليه ابن عباس.

وعن أبى عبيدة الغساق البارد النتن بلغة الترك وقال أبو عبد الله بن عمرو: هو قيح غليظ لو وقع منه شيء بالمشرق لأنتن من في المغرب، وبالعكس.

وعن الحسن : الغساق عذاب لا يعلمه الا الله وان أناساً أخفوا طاعة فأخفى لهم ثواباً فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وأناساً أخفوا معصية فأخفى لهم عقوبة وقيل الغساق عين في جهنم * ﴿وآخر﴾ بفتح الهمزة والمد عند الجمهور رأى و (عذاب آخر) ﴿من شكله﴾ بفتح الشين ويكسرها أي من مثله وضربه أي من شكل هذا العذاب الذي هو الحميم والغساق أو الاصل ومذوق آخر من شكل هذا المذوق والمراد المماثلة في الشدة والفظاعة ويجوز عود الضمير للحميم والغساق لتأويلهما بما ذكر أو بالعذاب أو بالمذوق أو للشراب الشامل لهما أو للغساق.

وقرأ أبو عمر (وأُخَر) بضم الهمزة وفتح الخاء على الجمعية أي ومذوقات أخر قيل وابن كثير * ﴿أزواج﴾ أي أجناس وأصناف أي عذابهم أصناف فهو خبر لمحذوف ويجوز أن يكون نعتاً لـ (آخر) لجواز أن يكون (الآخر) ضرورياً ونعتاً للثلاثة وخبراً لآخر بأن يجعل مبتدأ وفاعلا لقوله من شكله لاعقاده على موصوف لانه صفة لآخر.

وقال ابن عباس: اذا دخلت القادة النار ودخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة : للقادة * ﴿هذا فوج﴾ أي جمع كثيف وهو أتباعكم* ﴿مقتحم﴾

النـار * ﴿معكم﴾ أي داخلوها كما دخلتموهـا بشـدة والاقتحـام ركـوب الشدة كما كانوا معكم في الضلالة يضرب الجميع بالمقامع حتى يقتحم النار بأنفسهم خوفاً من تلك المقامع فيقول المتبوعون وهم القـادة * ﴿لا مرحباً بهم﴾ أي لا سعة لهم في قلوبنا ومحبتنـا والضمير لـلاتبـاع أو الجملـة نعت فوج أو حال (مقولا فيهم) لا مرحباً وانما قدرت هذا القول لان الدعاء لا يكون حالاً * ﴿انهم صالو النار﴾ من تمام مقول القادة أي داخلوهـا كـما دخلناها.

قال الزمخشري: تعليل للادعاء عليهم . وقيل هـذا فـوج مقتحم معكم لامرحباً بهم انهم صالو النار كلام الـرؤسـاء بعضهم لبعض وهم داخلـون أولاً والفوج الاتباع وقيل: كلام الخزنة و (صالو) جمع مذكر سالم حـذفت نونه للاضافة للنار أصله صاليو بضم الياء ثقل عليها الضم فنقل الى الـلام فحذفت لالتقـاء السـاكنين * ﴿قالـوا﴾ أى الاتبـاع وهم الفــوج المقتحم ﴿بل أنتم لا مرحباً بكم﴾ بل أنتم أحق بما قلتم من الدعاء أو بما قيـل لنـا منه وانما كانوا أحق لضلالهم في أنفسهم وضـلالهم غيرهم كـأنـه قيـل أنتم أحق لضلالكم واضـلالكم لانــكـم ﴿أنتم قـدمتموه﴾ أي العــذاب أو العـذاب أو والصلي بسبب اغوائكم واغرائكم ايـانـا على العقـائد الـزائفـة والأعـمال القبيحـة أو قـدمتم الكفـر والضـلالـة وشرعتمـوه * ﴿لنـا﴾ و (المقدَّم) بكسر الدال هو العمل السوء وجعل الرؤساء (المقـدِّمين) بـالكسر لانهمَ سبب العمل والمقدم بفتح الدال العاملون وجعـل الصلى أو العـذاب هو المقدم بالفتح لانه جزاؤهـم على العمل ومن قال ذلك كلام الخزنة جعل قوله (بل أنتم لا مرحباً بكم) الخ كلام الاتباع أمـا اذا رأيت أحـداً يفعـل سوءاً أو دعوت عليه وأشار الى من زينه له وغره بقوله: (بل أنت يافـلان أحق بهذا الدعاء لانك السبب) * ﴿فبئس القرار﴾ القار فى جهنم أو القرار موضع القرار كالمقر أي بين المقر جهنم لنا ولكـم * ﴿قالوا﴾ أي الاتباع يا ﴿ربنا من قدم لنا هذا﴾ شرعه لنا وزينه لنا * ﴿فزده عذاباً ضعفاً في النار﴾ أي ضعف عليه العذاب.

قال ابن عباس: حيات وأفاعي* ﴿وقالوا﴾ أي كفار مكة وهم في النار

أو الطاغون وقيل أشراف الكفار وقيل كفار قريش وقيل القادة المذكورون * ﴿ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار﴾ أي الأرذال الذين لا خير فيهم ولا جدوى وقيل لانهم كانوا على خلاف دينهم ويعنون فقراء المسلمين الذين يسترذلونهم ويستسخرون بهم.

وقال مجاهد وغيره: قائل هذه المقالة أهل القليب كأبي جهل وأبيّ ابن خلف وعتبة بن ربيعة ومن جرى مجراهم والرجال الذين يشير اليهم عمار ابن ياسر وخباب وصهيب وبلال وسلمان ونحوهم من فقراء المسلمين ﴿أتخذناهم﴾ باثبات الهمزة وفتحها لانها همزة قطع للاستفهام وهمزة الفعل محذوفة لانها همزة وصل والاستفهام للانكار على جني أنفسهم وتوبيخ وارجاع لها عن الاستسخار.

وقرأ حمزة وأبو عمرو والكسائي بوصل الهمزة الا اذا ابتدوا فانهم يثبتونها مكسورة وعليه فالجملة صفة لـ (رجالا) أو حال من (رجالا) أو من الهاء أو تقدر همزة الاستفهام ﴿سخرياً﴾ بضم السين عند نافع وحمزة والكسائي وبكسرها عند غيرهم والياء للنسب أي اتخذناهم أمرهم أمر سخر من سخرنا بهم في الدنيا؛ وقيل: الضم من السخرة والاستخدام والكسر من السخر والاستهزاء * ﴿أم زاغت عنهم الابصار﴾ أم متصلة معادلة لقوله: (ما لنا لا نرى) على أن المراد نفي رؤيتهم لعدم وجودهم معهم فى النار كأنهم قالوا (أليسوا فى النار أم هم فيها وزاغت عنهم أبصارنا) أو متصلة معادلة لقوله (أتخذناهم) على قراءة القطع والاستفهام أو على قراءة الوصل وتقدير الاستفهام ان قدر لدلالة (أم) عليه أي الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم أو تحقيرهم فان زيغ الابصار كناية عن تحقيرهم على معنى انكار الامرين جميعاً مع أنهم فعلوهما جميعاً ويجوز أن تكون منقطعة أي بل استر زلنا لهم والاستسخار منهم كان لزيغ أبصارنا وقصور أنظارنا على رثاثة حالهم والزيغ الميل فانهم خير منا ونحن لا نعلم فمالت أبصارنا تزيغ عنهم في الدنيا * ﴿إن ذلك﴾ الذي حكينا عنهم *

﴿لحق﴾ أي واقع لابدّ * ﴿تخاصم أهل النار﴾ خبر لمحذوف أي هو تخاصم أهل النار أو بدل من حق.

وقرأ ابن أبي عبلة بالنصب بدلا من اسم الاشارة ولو فصل بالخبر أو مفعول لمحذوف.

وقال الزمخشري: نعت لاسم الاشارة وهو خلاف المشهور وهو باطل كما بطل جعله بياناً لانه كالنعت في الجواب.

قال ابن هشام: والاشارة الى سؤالهم وجوابهم سماهما تخاصما تشبيهاً بالمخاصمة والى قول الرؤساء لا مرحباً ... الخ

وقول الاتباع: (بل أنتم لا مرحباً) ولا اشكال أو الى الجميع وسمى تخاصما لاشتماله عليه وهو قولهم (لا مرحباً) وقولهم (بل أنتم) .. الخ * ﴿قل﴾ يامحمد للمشركين من أهل مكة ﴿انما أنا منذر﴾ أي ما أمري الا الانذار أنذركم عذاب الله وأخوفكم النار ﴿وما من اله الا الله الواحد﴾ الذي لا يقبل الشركة في ذات ولا فعل ولا صفة * ﴿القهار﴾ لكل شيء فيجرى كل شيء على مشيئته عز وجل فله الملك والربوبية في العالم كله كما قال ﴿رب السماوات والأرض وما بينهما﴾ وهو خالقها واليه تعود والذي يحكم بينهما انس وجن وملائكة وطير ودواب وماء وحوت وريح والفضاء الذي بينهما فانه كان معدوماً ثم أوجده وغير ذلك وانما ثنى الضمير لتأويل السماوات بالرتق أو لانها كانت رتقاً * ﴿العزيز﴾ الغالب على أمره الذي لا يغلب اذا عاقب العصاة ﴿الغفار﴾ لذنوب أوليائه الذين سبقت لهم السعادة لالتجائهم اليه وفي ذلك اثبات للتوحيد ووعد للمسلمين وايعاد للكافرين فكونه واحداً اشعار بأن ليس له ند يرد قوله أو فعله والقهار مشعر بالترهيب وكونه (رب) يشعر بالتربية والجودة والاحسان والكرم وكونه (غفاراً) يشعر بأنه يغفر الذنوب وان عظمت وكثرت ويرحم فاعلها لتوبته وكونه (عزيزاً) يشعر بأنه غالب له يبطل ذلك منه * ﴿قل﴾ لهم *

﴿هو﴾ أي ما أخبرتكم به من كوني رسولا منذراً فقط وكون الله واحداً قهاراً رب السموات والأرض وما بينهما عزيزاً غفاراً * ﴿نبأ﴾ أي خبر أخبرتكم به * ﴿عظيم﴾.

قال ابن عباس: (القرآن) وقيل: (يوم القيامة) ؛ وعليه الحسن؛ وقيل: (قصص آدم والانبياء) عليهم السلام، وقيل: (قصة آدم) ﴿أنتم عنه معرضون﴾ توبيخ لهم لتماديهم في غفلتهم فانه لا يعرض عنه الا غافل شديد الغفلة وانهم كانوا لا يتفكرون في صدق النبوة وغيرها من نحو التوحيد واحتج على نبوته بقوله: * ﴿ما كان لي من علم بالملأ الأعلى﴾ أي بالجماعة الأعلى شأناً ومكاناً وهم الملائكة * ﴿اذ يختصمون﴾ بقولهم لله في شأن آدم (أتجعل فيها من يفسد) . . . الخ ووجه احتجاجه أنه أخبرهم بأمر لم يعلمه ثم علمه ولم يسلك الطريق الذي يسلك الناس في علم ما لم يعلموا وهو الأخذ على الافواه أو الكتب فما حصل له ذلك الا بالوحي وقيل: (الملأ الأعلى) الملائكة وآدم وحواء وابليس لانهم كانوا في السماء وان قلت لمَ يختصم الملائكة فيما بينهم ؟ قلت نعم بل قالوا: الله وقال لهم الله فكان اختصامهم معه ولان قول الله بواسطة ملك لا يخلق كلام يسمعونه في الهواء ولا كما يكون في الوجه الأول الذي أجبت به فذلك الملك من جملة الملأ الأعلى وعلو ابليس علو مكانة فقط مقالته مقالة الاغواء وطلب الأنظار الى يوم يبعثون ونحو ذلك وقول آدم وحواء (ربنا ظلمنا أنفسنا). . الخ * ونحوه وما قالا لابليس وشبه التقاول بالاختصام بجامع ان كلا يقول للآخر (وإذ) متعلقة بمضاف محذوف أي من علم بالملأ الأعلى؛ وقيل: اختصم الملائكة في الكفارات وغفر الذنوب ونحو ذلك فالاختصام كان بينهم اذا فعل العبد حسنة اختلفوا في قدر ثوابه حتى يقضي الله ويقول ملك اليمين لا تكتب السيئة حتى تمضي سبع ساعات وذكر قومنا هنا حديثاً زعم بعضهم أنه رواه معاذ وبعض انه رواه مالك

ويعض عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «أتاني ربي في أحسن صورة قالوا: (يعنى في المنام) فقال: يا محمد هل تدري فيما يختصم الملأ الأعلى قلت : لا قال : فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي أو قال في نحري فعلمت ما في السموات وما في الارض قال: يامحمد هل تدري فيما يختصمون قلت نعم في الكفارات، والكفارات المكث في المساجد بعد الصلاة والمشي على الاقدام الى الجماعات واسباغ الوضوء على المكره ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه وقال يا محمد اذا صليت فقل: (اللهم اني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني اليك غير مفتون قال: والدرجات افشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام) وفي رواية (قلت لبيك وسعديك في المرتين وفيهما وعلم ما في المشرق والمغرب) وفي رواية لما قال النبي لا أعلم قال الله: اختصموا في الكفارات والدرجات فأما الكفارات فاسباغ الوضوء في الغدوات الباردة ومشي الاقدام الى الجماعات وانتظار الصلاة بعد الصلاة وذكر الدرجات كما مر وفي هذه الرواية بعد قوله (حب المساكين) أن تغفر لي وترحمنى ويعد قوله (غير مفتون) وأسألك حبك وحب من يحبك وعملاً يقربني الى حبك وقالوا قال رسول الله ﷺ قال ان هذه الرؤية حق فارسموها وتعلموها وادرسوها.

قلت: مذهبنا نحن الاباضية أنه تعالى لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة ولا في اليقظة ولا في المنام والحديث من موضوعات الكاذبين كيف يريه الله نفسه وهو نهانا عن التشبيه منزه عنه وعن المخبأ والصورة وهو لا تدركه الابصار ولو رآه كان في رؤيته تشبيه بالخلق فى ادراكه واحاطة الجهات وكذا يلزم من المخبأ احاطة الجهات به وخلو الاماكن عنه وان صح الحديث قدر مضاف أي أتاني رسول ربى وهو ملك والملك يجوز وصفه بالصورة دون الله لان التصوير التركيب والله هو المصور لغيره ففي أحسن

صورة متعلق أتاني أو بمحذوف حال من الرسول محذوف ويجوز تعليقه بمحذوف حال من ياء أتاني أي حال كوني في أحسن صورة زاده الله جمالاً وحسناً وقت مجيء الرسول وتغير لشدة الوحى وان جعل في أحسن صورة بمعنى أحسن صفة من الانعام عليه فجايز ويمتنع وصفه بالمخبأ وأما يده فالضمير للرسول المحذوف والملك يوصف باليد والفم والأنف ونحوهما مما لا بشاعة فيه لكنها من نور وتعالى الله عنها وعن المس نعم يوصف باليد بمعنى النعمة والرحمة كما يوصف بها بمعنى القوة ولا يوصف بالبرد والحر هذا واختصام الملأ في أي الكفارات والدرجات فضل وسميت كفارات لانها تكفر الذنوب وهي سبب التكفير والمكفر حقيقة هو الله ويلزم من فعلها التكفير* ﴿إن﴾ أي ما * ﴿يوحى اليّ إلا أنما أنا نذير مبين﴾ أي ما يوحي الي الا اني لست الا منذراً بالعذاب بين الانذار أو مبين ما تأتون وما تذرون أي لم يوح اليّ الا أن أنذر وأبين؛ والمصدر نائب يوحى وأجاز الزمخشري تقدير لام التعليل و (اليّ) نائب وذلك على فتح (أنما) وأما على قراءة كسره فهو أعني انما وما بعده نايب فحكى أي أن يوحى الى هذا اللفظ* ﴿اذ﴾ بدل من اذا المذكورة والجملة معترضة أو مفعول أي ذكر وقت * ﴿قال ربك للملائكة﴾ بأن خلق لهم كلاماً مستقلاً سمعوه أو أرسل اليهم رسولاً * ﴿اني خالق بشراً﴾ هو آدم * ﴿من طين﴾ أصل الكلام انى خالق خلقاً من طين استخلفه في الارض وأفعل كذا وكذا في شأنه فاختصر الكلام اكتفاء بذكره في البقرة وعبر بالبشر فى الحكاية نظراً للمعنى ولم يعبر للملائكة بالبشر لانهم مايدرون ما البشر وعبروا لهم به وهم عارفوه من المعنى العام وهو الظهور أي اخلق خلقاً ظاهراً يباشر وعلى هذا فالخليقة نظراً للمعنى لا للفظ الخطاب أو ذكرهم البشر والخليقة جميعاً واقتصر على بعض الصفات وهو الخلق والبشرية لانه المقصود لانذار المشركين على استكبارهم على النبي ﷺ أن يقع بهم مثل ما وقع لابليس على استكباره على آدم .

قال القاضي: ومن الجائز أن يكون مقاولة الله اياهم بواسطة ملك وأن

يفسر الملأ الأعلى بما يعلم الله سبحانه والملائكة وقواعد المذهب تمنع الأخير وهو ادخاله في اسم الملأ* ﴿فاذا سويته﴾ أتممت خلقه وعدلته ﴿ونفخت﴾ أجريت * ﴿فيه من روحي﴾ أي من الروح التى خلقتها اجعلها في خلقي وملكتها فالاضافة للملك على سبيل التشريف كما نقول (بيت الله) ولست تريد انه فيه و (ناقة الله) ولست تريد انه يفعل بها ما يفعل الخلق والروح جوهر شريف لطيف يحيا به الانسان بنفوذه فيه يسري فيه سريان الضوء في الفضاء والنار في الفحم * ﴿فقعوا﴾ الفاء رابطة وقعوا أمر من وقع أي فخروا * ﴿له ساجدين﴾ سجود تحية وتعظيم بالانحناء أي فخروا مطأطئين تعظيماً له أو اخضعوا له في أحوالكم وعظموه أو اسجدوا لله الى جهته تعظيماً كما يسجد الى الكعبة * ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ هذا يوهم أن ابليس سجد معهم لانه متعبد فيما بينهم فما زال هذا الايهام بقوله ﴿الا ابليس﴾ وهو أبو الجن أي لكن ابليس ﴿استكبر﴾ أي تعظم أي ادعى العظمة وحاولها ﴿وكان من الكافرين﴾ جملة حالية أي هو في حال الاستكبار كافر وفي علم الله السابق وظهر كفره في حال الاستكبار (وأجمع) للاحاطة لا كما قال الزمخشري: ان اجمع تفيد وقوع السجود في وقت واحد)، قاله ابن هشام وهو كما قال وانما يفيد الاجماع في وقت واحد لفظ مع نحو (جاءوا معا) ﴿قال﴾ الله ﴿يا ابليس مامنعك أن تسجد﴾ أي من أو عن أن تسجد ﴿لما خلقت﴾ أي للجسم الذي خلقت ﴿بيديّ﴾ أي توليت خلقه بلا واسطة أم أو أب أو غيره ولو خلقه وحده لكان بواسطة وذلك تشريف له والياء مشددة ياء التثنية وياء الاضافة وقرىء بالتخفيف على الافراد و (يد الله) قدرته وقوته ولكن لما كان أكثر الاعمال تباشر باليدين أو باليد عبر باليدين أو باليد كما يقال في عمل القلب وفي عمل من لا يد له (هذا ما عملته يداك) وذلك الاستفهام انكار لصحة المانع وتوبيخ وبخه على ترك السجود لآدم مع أمر الله له بالسجود ومع أنه خلقه بيده فهو أعلم بحاله ومع سجود الملائكة له ﴿أَستكبرت أم كنت من العالين﴾ ؟ باثبات الهمزة مفتوحة همزة قطع للاستفهام والتوبيخ

والتقرير وباسقاطها مقدرة واثبات همزة الوصل خطأً لا نطقاً الا ان بدىء بها ثبتت مكسورة نطقاً أيضاً أو بعدم الاستفهام أصلاً فيكون (أم) كانت بمعني (بل) كانت واثبات الهمزة مفتوحة واعدامها قراءتان والمعنى تكبرت بنفسك من غير استحقاق أم كنت من القوم الذين يتكبرون لثبوت علوهم أو المعنى أخذت الكبر لك الآن والعظم أم كنت قديماً ممن لا يليق أن يكلف مثل هذا لعلو مكانك وهذا تمثيل فانه ليس في ذلك الوقت من هو عال عن السجود له وتحقيق بالنظر أن الخلق الموحود في قدرة الله العالي وهو نبينا لكن يبقي التجوز في الجمع ومانعه من السجود أنه مخلوق فكيف يسجد لمخلوق وأنه مخلوق من الطين وابليس من النار ، قاله الزمخشري.
والحق أن مانعه مجرد خلقه من الطين وخلق ابليس من النار كما قال الله عز و جل* ﴿قال﴾ ابليس مخبراً بمانعه من السجود ﴿أنا خير منه﴾ من آدم الذي خلقته بيديك وقال استدلالاً على كونه خيراً منه* ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ والنار أفضل من الطين لانها تغلبه وتأكله وتضيء وهذا قياس من الشكل الأول متضمن لقياس آخر أي لو كان مثلي لم يحسن أن أسجد له لعدم مزيته فكيف أسجد له وأنا خير منه ؟ ولقد أخطأ لأن مآل النار الى الرماد الذي لا ينفع والطين أصل لما هو نام كالانسان والشجر المثمر؛ والانسان والشجر المثمر أفضل ولو سلمنا أن النار خير من الطين بوجه أو بوجهين أو أكثر لكن الطين خير من وجوه أكثر من تلك الوجوه مثل رجل له نسب لكنه عار عن كل فضيلة ولا شك أن الذي لا نسب له لكنه فاضل عالم أفضل وأيضاً أخطأ في مراعاة جانب الخالق فان الحق أن يراعى جانب الخالق فيسجد لمن أمره أن يسجد له ولو كان دونه تعظيماً لأمر الخالق كما سجد الملائكة وهم أفضل تعظيماً لأمره وهلا اقتدي بهم حيث أمر معهم بالسجود ولم يعلم أن السجود لمن هم دونه لو صح أنه دونه بأمر الله أو غلّ وأدخل في العبادة من السجود لله لما فيه من طرح الكبر وخفض الجناح ولو اعتبر عظمة الأمر لسجد وكم من سلطان يستخدم بعض خدمته لبعض ولا مانع من كون معنى قوله (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) ؟ ما منعك أن تسجد لمن خلقته وعلمته وهلا

امتثلت أمري ورجحت أمري وعلى مثل أن يأمر الملك وزيره أن يزور بعض السفلة فيمتنع اعتباراً بسفله فيقول له مامنعك أن تتواضع لمن لا يخفي عليّ سفلة هلا راعيت أمري وخطابي وتركت اعتبار سفلة أو من أنت حتى يمنعك من السجود ما لم يمنعهم* ﴿قال فاخرج منها﴾ أي من الجنة وقيل: من السموات وقيل: من الخلقة التي أنت فيها البياض والنور والحسن فكان أسود مظلماً قبيحاً وقد افتخر بخلقته قبل التغيير * ﴿فانك رجيم﴾ أي مرجوم مطرود لان من طرد رمي بالحجارة على اثره والرجم الرمي بها أو لأن الشياطين يرمون بالشهب وهو مطرود من الرحمة ومحل الكرامة وقوله * ﴿وان عليك لعنتي الى يوم الدين﴾ يوم الجزاء توكيد لقوله (انك رجيم) فان اللعنة الطرد وقيل (الرجيم) المطرود من الجنة أو السموات أو الخليقة أو الكل واللعنة الطرد من الرحمة وان قلت ما وجه جعل يوم الدين غاية للعنة مع أنه لا غاية لها ؟ قلت: كيف وقد قال الله عز وجل ﴿فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين﴾ ولكن المعني أن عليه اللعنة في الدنيا فاذا كان يوم الدين زيد له مع اللعنة أنواع من العذاب تكون اللعنة سهلة عندها أو ينساها لذلك فكأنها انقطعت.

وعندي أنه أفاد لعنته في الدنيا بالتصريح وفي الآخرة بالافهام فانه اذا اتصلت لعنته الى يوم الدين ولم يتب وأناله التوبة ومات مصراً فما له في الآخرة الا الخزي واللعنة فلزم من اتصال لعنته الى يوم الدين لعنته في يوم الدين* ﴿قال﴾ * يا * ﴿رب فأنظرني﴾ أي أخرني ولا تمتني ﴿الى يوم يبعثون﴾ أي الناس والجملة نعت والرابط محذوف أي فيه ان ينون (يوم) وان لم ينون فالجملة مضاف اليه ولا حذف.

قال أبو عمرو عثمان بن سعيد آيات (ص) ست (ولي نعجة) (وما كان لي من علم) فتحها حفص (اني أحببت) فتحها الحرميان وأبو عمرو. (مسني الشيطان) سكنها حمزة (لعنتي الى) فتحها نافع * ﴿قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم﴾ عند الله بحيث لا يتقدم ولا يتأخر والوقت وقت النفخة الأولى ويوم الوقت هو اليوم الذي وقت النفخ جزء منه* ﴿قال فبعزتك﴾ أي سلطانك وقهرك والباء للقسم * ﴿لأغوينهم

أجمعين﴾ لأضلنهم * ﴿الا عبادك منهم المخلصين﴾ بفتح اللام أي الذين أخلصهم الله عز وجل لطاعته وعصمهم من الضلالة وبكسرها أي الذين أخلصوا قلوبهم لله وأخلصوا أعمالهم وهو داخل في اخلاص القلوب أو أخلصوا أعمالهم مما يفسدها مطلقاً وضبطوها * ﴿قال فالحق والحق أقول﴾.

قال ابن هشام في الشمائل السفرية مسألة علام انتصب الحقان في قوله تعالى (فالحقَّ والحقَّ) أقول الجواب ان الحق الاول منصوب بنزع باء القسم والحق الثاني منصوب بالفعل الذي بعده * ﴿لأملأن﴾ جواب للقسم والجملة بينهما معترضة لتقويلة معنى الكلام والتقدير أقسم بالحق لأملأن * ﴿جهنم منك وممن تبعك منم أجمعين﴾ وأقول الحق انتهى كلام ابن هشام . قيل ويجوز كون الأول منصوباً على المصدرية والثاني مفعولاً لأقول أي أحق الحق وأقوله والذي عندي أن الحق الأول مفعول به لأحق فان أحق بمعنى أثبت ويجوز تقدير أثبت أو أفعل أو نحوهما أو منصوب على الاغراء ذكره بعض وسواء في جره بباء القسم المحذوفة منصوباً بعد حذفها أن يكون بمعنى الصواب وأن يكون اسماً لله أن الله هو الحق المبين وانما أقسم بالحق بمعنى الصواب تعظيماً له .

وقرأ حمزة: قال بعضهم وعاصم برفع الحق الأول ولا خلاف بين السبعة في نصب الثاني وكذا قرأ مجاهد وقريء برفعهما أما رفع الأول سواء نصب الثاني أم رفع فعلى انه مبتدأ محذوف الخبر جوازاً أو بالعكس أي فالحق قسمي أو الحق مني أو قسمي الحق أو الحق أنا وأنا الحق.

قال مجاهد: والمعنى فالحق أنا واما برفع الثاني فعلى الابتداء وأقول خبر والرابط محذوف أي أقوله ومثل هذا الحذف حيث يلتبس المبتدأ بالمفعول المقدم لولا فعله قليلاً وخصه بعضهم بالضرورة كقول أبي النجم (كله لم أصنع) وأجازه بعض مطلقاً ونصبهما معاً قراءة الجمهور ورفعهما قراءة ابن عباس وقريء بجرهما الأول على تقدير الباء والثاني مبتدأ أو مفعول أي الحق أقول وأقول الحق ومنع من ظهور الرفع أو النصب كسره لحكاية وقريء برفع الأول وجره مع نصب الثاني وتخريجه على ما ذكرنا واذا قدر

الحق مفعولاً مقدماً فانما قدم للحصر وانما أعيد ظاهراً لا ضمير القوية وأجمعين توكيد للكاف ومن لا من الكاف والهاء كما قيل والمراد بالكاف الشيطان وحده ومن تبعه تابعوه من الجن والانس؛ وقيل: المراد من جنسك والمراد بمن تبعك الانس * ﴿قل ما أسألكم عليه﴾ أي على القرآن أو على تبليغ الرسالة أو الوحي * ﴿من أجر﴾ من صلة وأجر مفعول ثان لسألتكم* ﴿وما أنا من المتكلفين﴾ أي من المدعين المتصنعين بما ليسوا من أهله على ما عرفتم من حالي فضلاً عن أن تنحل النبوة والقول القرآن من نفسي . قال ﷺ : «للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لاينال ويقول ما لا يعلم» ونادى مناديه: اللهم اغفر للذين لا يدعون والذين لايتكلفون الا أني بريء من التكلف وصالحوا أمتي.

وصالحوا معطوف على ضمير بريء أو على محل الرفع في اسم ان عند بعض أو مبتدأ محذوف الخبر أي بريئون وعلى العطف على اسم ان فانما أخبر ببريء عن الجميع لانه فعيل بمعنى فاعل.

قال ابن مسعود: (يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من العلم أن يقول فيما لا يعلم الله أعلم) * ﴿ان هو﴾ أي القرآن * ﴿الا ذكر﴾ أي تذكير وعظة من الله * ﴿للعالمين﴾ أي الجن والانس والانس من دون الملائكة وقد يقال المراد ما سوى الله فانه قد اتعظت به الملائكة والأرض والجبال وغيرها* ﴿ولتعلمن﴾ يا كفار مكة * ﴿نبأه﴾ أي خبره أي ما فيه من الوعد والوعيد أو صدقه باتيان الوعد والوعيد* ﴿بعد حين﴾ .

قال ابن عباس وقتادة والحسن : (بعد الموت) وقال ابن زيد : (يوم القيامة) وقيل : بعد ظهور الاسلام يعلمه من بقي ومن مات علمه بعد الموت وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم اللهم بحق هذه السورة وبركة سيدنا محمد إخز النصاري وأهنهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم*




بسم الله الرحمن الرحيم
سورة ﴿الزمر﴾

ســـورة ﴿الزمــر﴾

وهي مكية باجماع غير ثلاث آيات نزلت في شأن وحشي قاتل حمزة بن عبد المطلب ﴿قل ياعبادي الذين أسرفوا﴾ . . .الآيات وهن الى ﴿لايشعرون﴾ مدنيات .

وقيل الا آية واحدة وقيل الا قوله ﴿قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾ وقوله ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾ . . . الآية .

وقيل : ﴿قل ياعبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم﴾ عوضاً عن هذه وقيل من قوله : ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا﴾ . . . الى آخر السورة مدني .

وقيل سبع آيات وهى اثنتان وسبعون آية وقيل خمس وسبعون آية وألف كلمة وماية واثنتان وسبعون كلمة وأربعة آلاف حرف وتسعمائة وثمانية أحرف .

وعنه ﷺ «من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة وأعطاه الله ثواب الخائفين» .

قالت عائشة رضي الله عنها : (كان رسول الله ﷺ كل ليلة يقرأ سورة بني اسرائيل والزمر ومن علقها في عضده قيل فيه خير ولم يزل الناس مقيمين على شكره وأحبوه وتسمى سورة الغرف» .

بسم الله الرحمـن الرحيم

﴿تنزيل﴾ مبتدأ ﴿الكتاب من الله﴾خبر أي ثابت من الله أو تنزيل من الله أو تنزيل خبر لمحذوف أي هذا تنزيل أو المتلو تنزيل ومن الله متعلق بتنزيل أو بمحذوف خبر ثان أو حال من الكتاب لصلاحية المضاف للعمـل لانـه مصدر أو تنزيل فعلى الحالية من الكتاب عامل الحال تنزيـل وعلى الحاليـة من تنزيل عامله معنى الاشارة أو بمحذوف خبر لمحذوف أي هو من الله.

قال القاضي تبعاً للزمخشري: الظاهر أن الكتـاب هـو السـورة اذا جعـل التنزيل خبر لمحـذوف والقـرآن اذا جعـل مبتـدأ خبره من الله ويجـوز ارادة السورة أو القرآن مطلقاً وكذا في قـراءة النصب على المفعـوليـة أي اقـرأ أو الزم وما أحسن أن تجعل المراد بالكتاب الجنس أي الكتب الهادية الشارعـة تنزيلها من الله * ﴿العزيز﴾ في ملكه * ﴿الحكيم﴾ في صنعه يضع الأشياء موضعها واذا جعل للجنس كان الاخبار تقدمة وتوطئة لقولـه سبحـانـه * ﴿انا أنزلنا اليك﴾ يـا محمـد * ﴿الكتاب﴾ أي القـرآن ملتبسـاً أي مختلطـاً وممزوجاً * ﴿بالحق﴾ أو متعلقاً بـ (أنزلنا) ويجوز كونها للسببيـة أي بسبب اظهار الحق واثباته وتفصيله * ﴿فاعبد الله مخلصاً له الدين﴾ مصغياً ومحصاً له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية القلب وقيل الدين هنا بمعنى الطاعة؛ وقيل: المعتقدات وأعمال الجوارح و (مخلصـا) بكسر الـلام حـال من ضمير (أعبد) و (الدين) مفعول (مخلصاً) وقرىء برفع (الدين) اما على أنه فاعل (مخلصـاً) وهـو مجـاز اسنـادي أسنـد الاخـلاص للـدين وهـو في الحقيقة لصاحبه واما على أنه مبتدأ وخبره له وقدم للحصر وان جعلنـا لام الاختصاص مفيدة للحصر فالتقديم بتأكيد الحصر وكون لام الاختصـاص للحصر فيه خلاف ذكره الشنواني فالجمع بينه اذا جعـل مبتـدأه وبين قـول ﴿ألا لله الدين الخـالص﴾ توكيد أي الا هو الـذي وجب اختصـاصـه بـأن تخلص له الطـاعـة من كـل شـائبـة لاطـلاعـه على الغيب والسر وانفـراده

بصفات الألوهية ولانه لحقيق بذلك لخلوص نعمته على استجرار المنفعة بها والدين الخالص شهادة أن لا اله الا الله عند قتادة والاسلام عند الحسن * ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ أي من دون الله (الذين) مبتدأ واقع على المشركين لا كفار مكة فقط كما قيل خبره قول محذوف ناصب للجملة بعد أي قائلون ﴿ما نعبدهم﴾ أو قالوا ما نعبدهم ، كما قرأ ابن مسعود وابن عباس أو (يقولون ما نعبدهم) أي ما نعبد الأولياء وهم الملائكة وعيسى والأصنام * ﴿الا ليقربونا الى الله زلفى﴾ أي قربى أي تقريباً مفعول مطلق وتضعف الحالية ولو اتخذوا عائد الى المشركين المعبر عنهم بالذين و (واو يقربونا) للأولياء. اذا قيل لهم من ربكم ومن خلق الأشياء قالوا الله فيقال فما عبادتكم سوى الله من الملائكة أو عيسى والأصنام فيقولون: (ليقربونا الى الله) ويشفعو لنا عنده أو الخبر * ﴿ان الله يحكم بينهم﴾ وبين المسلمين يدخل الله المسلمين الجنة والمشركين النار، يحكم بين أهل الأديان يوم القيامةفيجازي كلا بما يستحقه ويجوز كونه لهم ولأوليائهم يحكم بينهم بادخال الملائكة وعيسى الجنة بلا تلذذ الملائكة بنعم الجنة وادخال المشركين مع أصنامهم النار (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) ويجوز وقوع (الذين) على الملائكة وعيسى والأصنام والواو في (اتخذوا) على المشركين ولو لم يتقدم لهم ذكر بدليل السياق والرابط محذوف أي اتخذوهم وهذا الضمير المقدر راجع للذين الواقع على الملائكة وعيسى والأصنام أي الذين اتخذهم المشركين أولياء في الخبر (ان الله) . . . الخ وحيث جعل الخبر أن الله في ذلك الوجه أو غيره فجملة القول حال من واو (اتخذوا) أو بدل من جملة (اتخذوا) وقرأ أبيّ : (ما نعبدكم الا لتقربونا) بالخطاب حكاية لما خاطبوا به آلهتهم، وقرىء (وما نعبدهم) بضم النون اتباعاً للباء والساكن بينهما حاجز غير حصين * ﴿في ما هم فيه يختلفون﴾ من أمر الدين أما اختلاف المشركين والمشركين في أمر الدين فظاهر أما اختلافهم مع معبودهم فان الملائكة وعيسى والأصنام يلعنونهم* ﴿ان الله لايهدي﴾ أي لايرشد ﴿من هو كاذب﴾ في نسبة الولد الى الله حيث جعلوا بعض

مايعبدون بنات الله وهم الملائكة أو حيث جعلوا عزير ابن الله.
وذلك أن قوماً من اليهود زعموا أن عزيراً ابن الله وعبدوه ليقربهم زلفى كما عبد قوم من النصارى عيسى ليقربهم وقالوا انه ابنه وقيل كاذب في ادعاء أن أولياءه يشفعون له ويقربونه. وقرأ الجحدري (كذاب) بالمبالغة وقرأ بعضهم (كذوب) كذلك ووجه (أنه لا يهديهم) أنه سبق هلاكهم في علمه * ﴿كفار﴾ بعبادة غير الله مبالغة في الافتراء على الله وملائكته حيث جعلوهم بنات لله لانهم بجهلهم يحسبون اصطفاء الله لهم واختصاصه لهم اتخاذهم أولاداً كما يشير اليهم بقوله * ﴿لو أراد الله أن يتخذ ولداً﴾ كما زعموا * ﴿لاصطفى﴾ أي اختار ﴿مما يخلق ما يشاء﴾ فيختار الذكور لا الاناث لكنه لم يرد اتخاذ الولد لانه محال ولو أراد الله اتخاذ الولد لاصطفى بعض خلقه واختاره وقربه كما يختص الرجل ولده ويقربه اصطفاء بدل اتخاذ الولد لامتناعه وكونه محالاً لمخالفته تعالى للاجسام والاعراض كأنه قال لو أراد اتخاذ الولد لم يزد على هذا الاصطفاء والتقريب ولم يرد عنه راد وقد اصطفى الملائكة وقربهم * ﴿سبحانه﴾ تنزيها له عما لا يليق كاتخاذ الولد والشريكة * ﴿هو الله الواحد﴾ ذاتاً وفعلاً وصفة ولو كانت له زوجة لم يكن واحداً لانها ـ حاشاه ـ تكون من جنسه ومثله ولاجنس له ولا مثل فلا ولد له اذا لم تكن له صاحبة * ﴿القهار﴾ الغلاب لكل شيء فكيف يكون له شركاء والقاهرية المطلقة تنافي قبول الزوال المحوج الى الولد واستدل على كمال قهره وقدرته بقوله * ﴿خلق السموات والأرض بالحق﴾ متعلق بخلق أو بحذف نعت لمصدر محذوف أي خلق كائناً بالحق * ﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾ يدخل الليل على النهار فيزيد النهار ويدخل النهار على الليل فيزيد الليل فما نقص من أحدهما زاد في الآخر ومنتهى النقص تسع ساعات ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعة كأن الذي يزيد يكون منه على الآخر جزء فيستره وكأن الآخر الذي ينقصه يلج في الذي يزيد فيستتر ككور العمامة يستر لياً أو بعضه

وقيل يغشى أحدهما الآخر وقيل يدخل هذا على هذا فيزيله فاذا أغشاه فكأنه ألبسه ولف عليه كما يلف اللباس على لابسه واذا غيب أحدهما الآخر، فكأنه شيء لف على آخر فغيبه أو هذا يكر على هذا كراً متتابعاً كتتابع أكوار العمامة بعضها على بعض يقال كار العمامة وكورها وقال بعضهم الليل والنهار عسكران عظيمان يكر أحدهما على الآخر بقدرة الله قاهرهما * ﴿وسخر الشمس والقمر كل يجري﴾ في فلكه* ﴿لأجل مسمى﴾ أي الى أجل مسمى محدود وهو منتهى دوره ومنقطع حركته وذلك يوم القيامة * ﴿ألا هو العزيز﴾ الغالب على أمره المنتقم من أعدائه القادر على كل ممكن الغالب على كل شيء ﴿الغفار﴾ لذنوب التائبين العظيم الرحمة والاحسان أو الغالب الغفار الذي يقدر على أن يعاجلهم بالعقوبة وهو يحلم عنهم ويؤخرهم الى أجل مسمى فسمى الحلم مغفرة ولولا حلمه لقطع عنهم الشمس والقمر أو منفعتهما * ﴿خلقكم من نفس واحدة ﴾ هي آدم * ﴿ثم جعل﴾ أي خلق * ﴿منها زوجها﴾ حواء وثم هنا استعملت كالواو لمطلق التشريك أو كالفاء لمجرد الترتيب وعلى هذا المراد بالخلق اخراجنا كالذر بل هى المهملة أن تعد ما بين اخراجنا كالذر وخلقها أو أريد بالخلق ارادته وقضاء أي أراد وقضى خلقكم من نفس واحدة فان ارادته أزلية بينها وبين خلقها ما لا عدد له وان كانت الارادة ارادة ايجاد متصلة بوقت الايجاد فبمعنى وهى أيضاً للمهملة مراعاة لمعنى واحد اما لانه من جملة المعطوف أو للعطف على واحدة اعتباراً لاشتقاقه كأنه قيل (من نفس توحدت ثم جعل) . . . الخ أو للترتيب الذكري فقط أو للمهلة والتراخي في المنزلة لا في التراخي في الوجود وذلك أن خلقنا واحداً بعد واحد من الآباء والأمهات عادة مستمرة وخلق حواء من قصيراه فهو أعلى دلالة على الله والقصيرى عظم أسفل الأضرع يلي الشاكة ﴿وأنزل﴾ أي قضى وقسم فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماء لانها مكتوبة في اللوح المحفوظ وقيل خلق وقيل أنزل من السماء ماء وبه

يخرج النبات وهي لاتعيش الا بالنبات فكأنه أنزلها والا فالدواب فيها قال مخلوقة من بقية طين آدم وكذا الطير وقيل الكلام على ظاهره وان أصولها خلقت فى الجنة ثم أنزلها ﴿لكم من الأنعام﴾ الابل والبقر والغنم وهم ماعز وضأن * ﴿ثمانية أزواج﴾ الذكر زوج والانثى زوج فذلك ثمانية والزوج الواحد المقرون بآخر وكل واحد منهما زوج وغير المقرون فرد لا زوج لعدم ازدواجه مع الآخر واطلاق الزوج على الاثنين كلام العامية أو لغة * ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم﴾ الخطاب للناس وفيه بيان كيفية خلق الناس والأنعام اظهاراً لما فيها من عجائب القدرة لكن خصهم بالخطاب لشرفهم ولانهم المقصودون ودليل التخصيص قوله: (أمهاتكم) وقوله: (تصرفون) أي الى الشرك فان الامهات في بني آدم وأما الدواب فيقال لها أمات وقيل: يقال في الجميع أمات وأمهات وانه لافائدة فى خطاب غير العاقل وقد يقال خاطب الجميع ولو كانت الدواب لا يفيد خطابها تغليباً أو خلق الله العقل فيها حين الخطاب ولكن الخطاب في (تصرفون) للناس فقط * ﴿خلقاً من بعد خلق﴾ خلقكم نطفاً ثم علقاً ثم مضغاً ثم عظاماً عارية ثم مكسوة لحماً * ﴿في ظلمات ثلاث﴾.

قال ابن عباس: ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة وعليه مجاهد.

وقيل: ظلمة صلب الأب وظلمة الرحم وظلمة البطن .

وقالت فرقة : ظلمة الصلب وظلمة الرحم وظلمة المشيمة.

ذكر آيات قدرته في خلق السموات والأرض وتكوير الليل على النهار والنهار على الليل واتبع ذلك بذكر خلق الانسان وأعقبه بذكر خلق الحيوان وأعقبه بذكر ما اشترك فيه هؤلاء الحيوانات من الخلق في البطن والظلمات الثلاث وفي ذلك تنبيه على توحيد الخالق الذى لايستحق العبادة غيره وتوهين لأمر الأصنام كما قال * ﴿ذلكم﴾ الذي خلق الأشياء* ﴿الله﴾ خبر* ﴿ربكم﴾ خبر ثان أو بدل وذلك كما يذكر زيد بأمر عظيم فتقول تعظيماً لزيد (ذلك زيد) و (الله) بدل أو بيان وربكم خبر والله مبتدأ ثان قائم مقام الضمير تعظيماً وتربية للمهابة أو الاشارة الى الفعل وبتقدير

مضاف أي ذلك الفعل فعل الله ولا يكون الله نعتاً لاسم الاشارة لانه ليس اسم جنس* ﴿له﴾ لا لغيره * ﴿الملك لا اله الا هو﴾ لا خالق ولا معبوداً بحق الا هو ﴿فأني تصرفون﴾ أي كيف يعدل بكم ويمال عن عبادته الى عبادة غيره وعن طريق الحق بعد هذا البيان * ﴿إن تكفروا﴾ أي تشركوا ﴿فان الله غني عنكم﴾ أي عن ايمانكم والمراد غني عنكم في ذواتكم وما يصدر منكم لم يخلقكم جراً لمنفعة أو دفعاً لمضرة فانه الغنى المالك القاهرعلى الاطلاق والاحتياج نقص تعالى عنه فثبت أنه غني عما سواه بل أنتم المحتاجون اليه لاستضراركم بالكفر واستنفاعكم بالايمان

﴿ولايرضى لعباده الكفر﴾ رحمة لهم لانه يوقعهم في المهلكة ولذلك وسع رحمته وكثر دلائل توحيده وكفر من كفر لسابقة علمه تعالى وتفريط ذلك الكافر وتركه الاستنفاع بالدلائل مع أنه لايرضى له الله الكفر أي لا يحبه له أي لايختاره له بل أنكره ونهاه ولكن كان كفره بارادة الله الأزلية فانه لا يعصي مغلوباً وقيل الارادة حقيقية فيما لم يقع والرضى فيما وقع وقد يستعمل هذا بدل هذا وقد بان لك أن المراد بالعباد الكفار والمسلمين وان الكفر للكافر غير مرضٍ لله أي غير محب له وان كان بارادته وذلك قول السلف.

وقال ابن عباس: المراد بالعباد من سبق في علمه أنه يؤمن كالملائكة والمسلمين فالمراد بالعباد الخصوص وعليه فمعنى لا يرضى لعباده الكفر لايحبه لهم أو لا يريده.

كما أن الخطاب في (تكفروا) (وعنكم) للكفار في قول ابن عباس وأجازه غيره أن يكون عاماً ومن الناس من جهل وغوى وزعم أن الله يرضى الكفر لعباده الذين شقوا وفسر (لا يرضى لعباده الكفر) بأنه لا يرضاه للسعداء أما هذا التفسير على من لا يريده للسعداء ولا يحبه لهم فمقبول لابأس به وأما أن يقول: (رضي الله الكفر للذين شقوا) أي (أحبه لهم) فمنكر بل اراده فى علمه أي سبق علمه به. هذا مذهبنا به معشر الأباضية ﴿وإن تشكروا﴾ أي تؤمنوا وتعملوا صالحاً أي تستعملوا قلوبكم فيما خلقتها له وهو الايمان وجوارحكم فيما خلقتها له وهو

الاقرار والعمل* ﴿يرضه لكم﴾ لانه سبب فلاحكم يثيبكم عليه وذلك في الخطاب عام ويحتمل الخصوص تبعاً لما قبله.

قال رسول الله ﷺ: «من قال رضيت بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً وجبت له الجنة». بمعنى أن هذا من أسباب السعادة لا موجب للسعادة بمجرده والهاء راجعة للشكر المفهوم من (تشكروا) ويشبع ضمها مراعاة لتحرك ما قبلها فى رواية عن نافع وعن أبى عمرو وكذا قرأ ابن كثير والكسائى وخلف وورش وابن ذكوان وابن محيض وابن وردان وحمزة ويعقوب وحفص وهشام وغيرهم وروي عن السوسي وهشام وشعبة وغيرهم اسكانها * ﴿ولا تزر﴾ نفس * ﴿وازرة وزر﴾ نفس * ﴿أخرى﴾ أي لا تذنب نفس ذنب أخرى أي لا تؤاخذ به ولا تحمله ﴿ثم الى ربكم مرجعكم﴾ أي رجوعكم كائن الى ربكم فالمرجع هنا مصدر ميمي أي ترجعون اليه في الآخرة * ﴿فينبئكم﴾ أي يخبركم* ﴿بما كنتم تعملون﴾ في الدنيا فيجازيكم ﴿انه عليم بذات الصدور﴾ أي بصاحبة القلوب أي بالأشياء التى فى القلوب أو بنفس الصدور كما تقول انه عالم بذلك البيت أي بأحواله وأحوال الصدور ما فيها ولا يخفى عليه خافية من أعمالكم * ﴿واذا مس الانسان﴾ الكافر* ﴿ضر﴾ أي بلغه ما يكره من الشدائد والبلاء * ﴿دعا ربه منيباً﴾ أي طلبه راجعاً * ﴿اليه﴾ متضرعاً في ازالة ذلك الضرر وزوال ماتنازع العقل في الدلالة على أن مبدأ الكل منه * ﴿ثم اذا خوله﴾ أعطاه* ﴿نعمة منه﴾ أي من الله أصله جعله خائل نعمة بعد ما أعطاه اياها كقولك (زيد خائل مال) أي حسن القيام عليه حافظ له.

يروى أن رسول الله ﷺ « كان يتخول أصحابه بالموعظة » . أو أصله جعله خائلاً أو مفتخراً وعن بعضهم؛ معناه ملكه وحكمه فيه ابتداء من الله لا مجازاة ولا يقال في الجزاء خول * ﴿نسي﴾ أي ترك * ﴿ما كان يدعو اليه﴾ أي الضر الذي كان يدعو الله عز وجل الى ازالته (فما) واقعة

على غير العالم بكسر اللام أو المعنى (نسي ربه) الذي كان يدعو الى ازالة الضر (فيا) واقعة على العالم أو ما مصدرية أي نسي دعاءه اليه وعن بعض (نسي عبادة الله والتضرع اليه) * ﴿من قبل﴾ أي بيان لحال الكفرة من الالتجاء الى الله فى حال الضرورة مع ما هم فيه من الكفر * ﴿وجعل لله أنداداً﴾ أي شركاء وأصناماً * ﴿ليضل﴾ بضم الياء من الاضلال أي ليردغيره * ﴿عن سبيله﴾.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وورش بفتح الياء من الضلال أي ليكون ضالاً وانما علل جعل الأنداد لله بلا ضلال أو الضلال لانه نتيجة جعل الأنداد له تعالى فهو تعليل غائي لا تعليل باعث غرضي فانه ليس باعثاً الى جعل الأنداد فيا هي الا لام المال وسبيله هو دين الاسلام* ﴿قل﴾ لهذا الكافر ﴿تمتع﴾ أي تلذذ * ﴿بكفرك قليلاً﴾ زماناً قليلاً أو تمتعاً قليلاً فى الدنيا بقية أجلك وفي التعبير بالتمتع اشارة الى أن الكفر نوع تلذذ ومجرد شهوة لا دليل له من العقل ولا من غيره ويجوز أن يراد تمتع فى عمرك لا فى بقيته فقط وذلك أن المقصود بالأمر بالتمتع بالتهديد لا حقيقته من دعائه الى التمتع بالكفر فلا يقال كيف يأمره بالتمتع فيما مضى من عمره مع انقطاعه خلاه الله مع كفره يتمتع به اذا لم يقبل الايمان فيموت كافراً قانتاً من التمتع في الآخرة وذلك خذلان وتخلية له وهواه * ﴿انك من أصحاب النار﴾ وذلك عام في كل كافر وقيل نزلت في عتبة وقيل فى أبى حذيفة المخزومي * ﴿أمَّن هو قانت﴾ أي قائم بوظائف الطاعات مطلقاً وقيل الطاعات الواجبات وقيل القنوت الاقامة على الطاعة.

وقال ابن عمر: قراءة القرآن وطول القيام وحكي عنه أنه طول القيام في الصلاة.

وعن ابن عباس: القانت المطيع وقيل: قارىء القرآن وهو قول ابن عمر والاستفهام للتقرير أو للانكار ومن بالخفة مبتدأ خبرها محذوف أي أمن هو قانت كذلك الكافر المتمتع أو كغيره وذلك قراءة حمزة والحجازيين نافع وابن كثير ويقال لهما الحرميان أيضاً وقرأ غيرهم بتشديد الميم أي (أم من هو قانت خير) ويجوز على قراءة حمزة والحجازيين تقدير (أم من هو قانت

خير أم هذا القارىء وأجاز القراء كون الهمزة للنداء في هذه القراءة أيا من هو قانت أنت من أصحاب الجنة) وأبعده ابن هشام بأنه ليس فى القرآن نداء بغير يا واعترض بأن له نظائر كاعهن والزبانية وضيري فانها ذكرت مرة فيه وأجيب بأن الكلام فيها احتمل وجهين أحدهما أقرب وأجازه ابن عطية وأبعده بأنه أجنبى عما بعد وعما قبل.

وأجيب بأن الأمر بالقول قبله والأمر بعده للنبي وهو مناسب له وقرب ابن هشام قول الفراء بسلامته من المجاز فان الاستفهام الانكارى والتقريري مجاز ومن دعوى كثرة الحذف أي (أمن هو قانت خير أم هذا الكافر) الا أن يقدر (أم من هو قانت كهذا أو كغيره) وذلك الحذف كله لدليل * ﴿آناء الليل﴾ أي ساعاته أوله وآخره ووسطه.

وقيل: الواحد إنْو بكسر الهمزة وسكون النون وقيل: (أنيّ) كرضيّ أو (إنْي بكسر الهمزة وسكون النون (وأنَي) بفتح الهمزة والنون والمراد بالقانت العموم .

وقال ابن عباس: أبو بكر وعمر، وقيل ابن مسعود وعمار وسلمان .

قلت: وأيضاً باق لان العبرة عندنا معشر الاباضية بعموم اللفظ لابخصوص السبب ولان تعليق الحكم بمشتق يشعر بالعليه فيدخل بالعلة كل من وجدت فيه وهي القنوت وزعموا عن ابن عمر أن المراد عثمان ولاصحة له وقال الفخر بعد حكايته الصحيح العموم * ﴿ساجدا وقائما﴾ فى الصلاة والواو لعطف وصف على آخر لموصوف واحد وهما حالان من ضمير (قانت) وقرىء برفعهما على تعدد الخبر وفى الآية تنبيه على فضل قيام الليل وترجيحه على النهار لان الليل أستر فيكون أبعد عن الرياء ولأن ظلمة الليل تجمع الهمم وتمنع البصر عن النظر ويقل كلام الناس فيتفرغ القلب للطاعة ولأنه وقت النوم والراحة فيشق قيامه فيكون الثواب أكثر.

قال ابن عباس: من أحب أن يهون الله عليه الوقوف يوم القيامة فليره الله فى ظلمة الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه * ﴿يحذر الآخرة﴾ حال أو تعليل جملي استئنافي والمنهي يجتنب عذاب الآخرة ويخافه

أي يترك أسبابه وهي المعاصي وقرىء يحذر عذاب الآخرة.

يا أخـي قف على بـاب المناجاة وقـوف لهفـــان

واركب ســـفون الصـــلاح فهـذا المـــوت طوفـان

اخواني انما الليل والنهار مراحل ومراكب العمر قـد قـاربت السـاحـل، فانتبه لنفسك وازدجر يا غافل يا هذا أنت مقيم في مناخ الراحلين ، ويحك اغتنم أيام القدرة قبل صيحة الانتزاع فما أقرب ما ينتظر وما أقل المكث فيما يزول ويتغير * ﴿ويرجو رحمة ربه﴾ جنته وقيل مغفرته أضاف الرحمـة الى نفسه في مقام الرجاء دون الآخرة وعذابها في مقام الحذر اشعاراً بأن جانب الرجـاء أكمـل وأولى أن ينسب اليـه ولـذلك رخص غير واحـد أن يغلب الرجاء الخوف عند الموت بل قال انه أولى ويحرم خلو القلب من أحدهما.

دخل النبي ﷺ على شاب وهـو في المـوت فقـال لـه : «كيف نجـدك؟ فقال: أرجو الله يارسول الله واني أخاف ذنـوبي فقـال ﷺ لا يجتمعـان في قلب عبد في مثل هذا الوقت الا أعطاه الله ما يرجو وأمنه ما يخاف».

وقال الله تعالى: [لا أجمع على عبـدي خـوفين ولا أمنين من خـافني في الدنيا أمنته في الآخرة ومن أمنني في الدنيا خوفته فى الآخرة] *

﴿قل هل يستوي الذين يعلمون﴾ ما عند الله من الثـواب والعقـاب * ﴿والذين لا يعلمون﴾ ذلك وذلك انكار لاستواء الفريقين واحتجـاج على نفي الاستواء بالعلم وعدمه لمزية العلم فهو أبلـغ من قـولك هـل يستـوى الفريقان والمراد بالعالمين العاملون ولكن أطلق العلم سبب العمل وفي ذلك ازدراء عظيم بهؤلاء العلماء المخـــالفين الـذين يفتـون العلـوم ولا يعملـون ويمن كان من أهل مذهبنا في هـذا العصر يـدعي العلم وهـو خـارج عنـه ويفتن بالدنيا ويجوز أن يكون المعنى على التشبيه أي كـما لا يستـوى الـذين يعلمون والذين لا يعلمون كذلك لايستوى القانتون والعاصون؛ وقيـل: (الذين يعلمون) عمار وأصحابه و (الذين لايعلمون) أبو حذيفـة بن المغيرة المخزومي ومن معه فكل على كل حال فالآية متفتحة بالعمل مختتمة بالعلم والعمل مجاهدة والعلم مكاشفة فاذا اجتمعا دلا على الكمال والفضل.

واعلم أن المراد هنا اثبات العلم ونفيه لا بيان العلوم ولا بيان عموم المعلوم أو خصوصه (فيعلمون) الأول والثاني منزلان منزلة اللازم لا مفعول لهما مقدر ولا مذكور أي هل يستوى هؤلاء المؤمنون العالمون والكافرون الجاهلون وان شئت فقل هو كذلك لكن كني عن فعل له مفعول مخصوص دلت عليه قرينة فالمراد مطلق العالمين بغض النظر عن كونهم مسلمين وكافرين لكن ذلك كناية عن قولك هل يستوى المؤمنون العالمون كذا وكذا المشركون الجاهلون له وعلى الأول اقتصر السعد.

والظاهر عندي جوازهما معاً كما أثبتهما.

﴿انما يتذكر أولو الألباب﴾ أي لا يتعظ الا أصحاب العقول أي لا يؤثر التذكير والوعظ الا فيهم وقرىء (يذكر) بتشديد الذال أبدلت التاء (ذالا) وأدغمت في الذال وفى الآية تعريض بالكفار أنهم لا عقل لهم كالبهائم وان طبع التذكر منهم طبيعي من البهمة و(انما) للتعريض* ﴿قل﴾ يا محمد للمؤمنين حكاية عن الله.

﴿ياعبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم﴾ احذروا عذابه بترك المعاصي ولزوم الطاعات*

﴿للذين أحسنوا﴾ أي آمنوا وعملوا الصالحات.

﴿في هذه الدنيا حسنة﴾ أي جنة فى الآخرة.

قاله مقاتل وهو أولى وقال السدي: الحسنة الصحة والعافية والظهور في الدنيا وولاية الله ويصح المجموع والآية نزلت في جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وأصحابه حين عزموا على الهجرة الى أرض الحبشة وقيل حين نزل بهم البلاء فأمر الله بالثبات على الدين وحضهم على الهجرة لامساك الدين والتمكن منه بقوله.

﴿وأرض الله واسعة﴾ فارتحلوا من مكة لما فيها من الشرك وعدم التمكن من الدين وفيه حث على الهجرة من البلد الذي تظهر فيه المعاصي ولا يقدر على ابطالها وانكارها ولكن لا تجب بعد فتح مكة؛ وقيل: المراد من أمر بالمعاصي في بلد فليهرب منه على ما مر؛ وقيل: المراد من هاجر الى أرض الحبشة مطلقاً وقيل من آمن وهو فى بلد من بلاد المشركين أي لا

عذر في ترك الاحسان الا من اعتل بوطنه وأهله وعدم التمكن وعدم جمع الهمم بل يجب عليه أن يهاجر الى أرض يجد فيها الاحسان والتمكن وجمع الهمة وأن أرض الله واسعة وأن يصبر على البلاء من خروج الوطن والأهل لانه ﴿انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ وأن يقتدوا بالأنبياء والصالحين في المهاجرة والصبر ليزدادوا احساناً الى احسانهم ومعنى (بغير حساب) قيل انهم لا يحاسبون على أجرهم وهو ضعيف وقيل لا يحاسب على نعيم الدنيا ولا يؤخذ بذنب فهو يدخل الجنة بغير حساب وقيل بغير عدد مكيال وميزان وهذا تمثيل للتكثير.

قال قتادة: ليس ثم والله مكيال ولا ميزان.

قال الحسن: لا يهتدي اليه حساب ولا يعرف. قال: كل مطيع يكال له كيلاً ويوزن له وزناً الا الصابرين لانه يحثى لهم حثياً.

وقال ﷺ: «ينصب الله الموازين يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الحج فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتي لأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ديوان وينصب عليهم الأجر صباً» وقرأ الآية.

فقال حتى تمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسامهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل ومعنى الميزان الترجيح والتنقيص.

وروي أنه لما نزل ﴿والله يضاعف لمن يشاء﴾ قال النبي ﷺ: «اللهم زد أمتي».

ولما نزل ﴿انما يوفى الصابرون﴾ .. الخ قال: رضيت يارب.

وقيل: المراد بالأرض الواسعة أرض الجنة ترغيباً في التقوى و(في هذه الدنيا) متعلق (بأحسنوا) أي من أحسن فى الدنيا فله الحسنة فى الآخرة وقيل بمحذوف وجوباً أناب عنه (للذين) على الخيرية فانه متعلق بما يتعلق به (للذين) وهو والخبر أي (من أحسن) من ثبتت له الحسنة فى الدنيا من الصحة والعافية والظهور وولاية الله كما مر ﴿قل اني﴾ سكن ياءه غير نافع*

﴿أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين﴾ من الشرك والاخلاص جعل

الحركات والسكنات سراً وجهراً لله وحده بلا ممازجة هواء أو نفس أو غيرهما* ﴿وأمرت﴾ بذلك* ﴿لأن أكون﴾ أي لأجل أن أكون* ﴿أول المسلمين﴾ فقدمهم في الدنيا والآخرة لان السبق انما هو بالاخلاص انى أول من يسلمك مطلقاً وهو أول من أسلم من قريش أيضاً أو لأن أكون أول من دعا نفسه الى ما دعي اليه غيره ليقتدي بي فى فعل وقول ولا أوصف بصفة الملوك الذين يأمرون ولا يفعلون أو أن أفعل ما أستحق به الأولية من أعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب ويجوز أن تكون اللام زايدة والظاهر التعليل على ما مر وهى بمعنى الباء وانما أعاد (أمرت) مع أن (ضربت زيداً وعمرا) أوصل وأولى من (ضربت زيداً) أو (ضربت عمراً) اشعاراً للمغايرة فان الأمر بالعادة والاخلاص غير الأمر بالكون أو المسلمين فكان الأمر الثاني شيئاً غير الأول وقد قيل أمره أولاً بالاخلاص وهو من عمل القلب وثانيا بالاسلام وهو من عمل الجوارح والاسلام عندنا يطلق على التوحيد والايمان والدين ولا بأس باطلاقه على العمل وانما أمر بالكون أولاً ليستفيد أجر السبق ولأن الأحكام انما تستفاد منه ولينبه على أن غيره أحق * ﴿قل إني﴾ سكن ياءه غير نافع وابن كثير وأبى عمرو.

﴿أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾ انى أخاف بترك الاخلاص وبالكون على ما أنتم عليه من الشرك أو الرياء عذاب يوم عظيم هو له نزلت لما قال قريش ما حملك على ترك ملة آبائك وقومك وانما أمره الله بقول ذلك جواباً لهم وزجراً لغيره من المعاصي فانه مع جلالته وعصمته خايف حذراً من المعاصي.

﴿قل الله أعبد مخلصاً له ديني﴾ أمر بالاخبار بأنه يعبد الله وحده كما دل عليه بتقديم المفعول وقوله: (قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين) أمر بالاخبار بأنه مأمور من الله باحداث العبادة والاخلاص فلا تكرار بينهما وللحصر المذكور قال:

﴿فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾ زجر وتهديد وتوبيخ وهو مبالغة فى الخذلان حيث خلاهم وعبادة ما شاء والمهلكة لهم واشعار بأنهم لا يعبدون

الله وكمل الزجر بقوله* ﴿قل ان الخاسرين﴾ هم * ﴿الذين خسروا أنفسهم﴾ أي أن الكاملين فى الخسران وأسبابه هم الذين خسروا أنفسهم بالقائها في النار * ﴿وأهليهم يوم القيامة﴾ أي هذا الاهل من الأزواج والخدم في النار هم الذين خسروا باضلالهم فأوقعوهم في النار مع أنفسهم وان كان هذا الأهل من أهل الجنة فقد خسروه بمبارقته أبداً وقيل المراد بالأهل الأهل في الجنة ، كما قال ابن عباس (جعل الله لكل انسان منزلاً وأهلاً في الجنة فمن أطاع كانا له ومن عصى خسرهما ودخل النار) وعلامة نصب (أهليهم) الياء ملحق بالزيدين ووصف خسرانهم بغاية الفظاعة بقوله:

﴿ألا ذلك هو الخسران المبين﴾ حيث جدد جملة مستقلة لذمه وجعلها اسمية للتأكيد وأتى فيها بألا التي للتنبيه وتوكيد مضمون الجملة وعرف طرفين للحصر وأكد بضمير الفعل وحصر به أيضاً ونعت الخسران بالمبين وبين ذلك الخسران بقوله: ﴿لهم من فوقهم ظلل﴾ جمع ظلة وهى ما غشى وغم كالسحابة والسقف أي لهم فوقهم طباق.

﴿من النار ومن تحتهم ظلل﴾ طباق من نار ظللت على غيرهم ممن دركتها أسفل فهم معذبون بظلهم وظل من تحتهم فالمراد احاطة النار بهم من جميع الجهات كما تقول ضربت زيداً الظهر والبطن اذا أردت عممته بالضرب فهى غطاؤهم وفراشهم أو سمى الطبقة التي تحتهم ظلة مجازاً من باب اطلاق أحد الضدين على الآخر كتسمية الأرض بالسماء والعكس أو لمشابهة تلك الطبقة بالظلة التى فوقه صورة وحراً وضراً ﴿ذلك﴾ العذاب*

﴿يخوف الله به عباده﴾ ليجتنبوا ما يوقعهم فيه وقيل المراد بالعباد المؤمنون فقط اذا سمعوا حال الكفرة في الآخرة خافوا وأخلصوا.

﴿ياعبادي﴾ باثبات الباء ساكنة وقرىء بحذفها * ﴿فاتقون﴾ خافون واحذروا عذابي عظة من الله ونصيحة قيل: وقوله (يا عبادي فاتقون) دليل على أن المراد بقوله عباده المؤمنون والنداء راجع الى (فاتقون) فالفاء زائدة أو الى ما قبله كما تقول: قام زيد فأبو بكر فالفاء عاطفة على ما قبل عطف انشائية فعلية على خبرية اسمية أو للاستئناف أو راجع محذوف معطوف

عليه بالفاء أي (اعملوا يا عبادي فاتقون).

﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها﴾ (فعلوت) من الطغيان مصدره واوه وتاؤه زائدتان للمبالغة كالملكوت والرحموت والرعبوت والرهبوت لكن قدمت لامه وهو الألف على عينه وهو الغين المعجمة سميت به الشياطين أو الشيطان للمبالغة في الطغيان ووجه المبالغة أنه مصدر سمي به كقولك لكثير الصوم هو صوم وانه زيدت فيه الواو والتاء وكأنه نفس الطغيان والمراد به هنا الجماعة من الشياطين وقيل الأصنام ولذلك أنث الضمير الآتى وأما أن يراد الشيطان فالتأنيث عليه في الضمير يجيء على القليل أو النادر لأن تاءه ليست للتأنيث وقيل الطاغوت الدنيا أصلها الجهل وفروعها المآكل والمشارب وزينتها التفاخر وثمرتها المعاصي وميزانها العقوبة وقيل الطاغوت الكهنة وعليه فتأنيث ضميرها ما نظر للفظه على القلة أو الندور واما الازادة جماعة الكهان وقرىء (الطواغيت أن يعبدوها) في تأويل مصدر بدل اشتمال من الطاغوت كأنه قال: (والذين اجتنبوا عبادة الطاغوت) والمراد سلمان وأبو ذر وزيد بن عمرو بن نفيل كانوا فى الجاهلية يقولون لا اله الا الله والمراد اجتنابهم في الجاهلية فلا يرد أن سلمان انما أسلم بالمدينة ولأنه تكون الآية مدنية .

﴿وأنابوا الى الله﴾ أي رجعوا الى عبادة الله بالكلية بعدما أسلموا ﴿لهم البشرى﴾ في الدنيا بالثناء عليهم بالعمل الصالح وعند نزول الموت وهم حينئذ في الدنيا وعند الوضع بالقبر وعند البعث وعند الوقوف بالحساب وعند جواز الصراط أي عند نجاتهم من الصراط وعند دخول الجنة وفي الجنة كل بشارة في موضع من تلك المواضع غير الأخرى وقد بشرهم الرسول بالجنة.

﴿فبشر عباد الذين يستمعون القول﴾ أي القرآن ﴿فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله﴾ وهو ما فيه نجاتهم من الواجبات بفعلها والمحرمات بتركها وقيل (أحسنه) مثل العفو عن الظالم وقد أجاز لهم الانتصار منه وقيل: (أحسنه) تشديداته وقيل: يستمعون القول الحسن كله فيتبعون أحسنه وقيل: (أحسنه) القرآن وقيل يستمعون الى القول مطلقاً ويميزون

حسنه من قبيحه وأحسنه من حسنه لنفوذ أبصارهم والمراد بالعباد سلمان وأبو ذر وزيد بن عمرو بن نفيل وعبر بالظاهر تعظيماً لهم بوصفهم بالاستماع والاتباع وقيل المراد بالمجتنبين والمستمعين عبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعثمان سمعوا اسلام أبي بكر فذكر فآمنوا.

روي ذلك عن ابن عباس ولا صحة لهذه الرواية وهذا التأويل عندنا وقيل: المراد بالمجتنبين سلمان وأبو ذر وزيد بن عمرو وبالمستمعين عبدالرحمن ومن معه فالاظهار على أصله والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب بل صحح بعضهم أن المراد العموم.

وعن ابن عباس: المستمع الرجل المستمع يجلس مع القوم فيستمع الحديث السيء والحسن فيحدث بأحسن ما سمع و (يا عبادي) ساكنة تحذف وصلاً (وتثبت) وقفاً عند بعض وفتحها أبو شعيب وصلاً ويسكنها وقفاً. وعن ابن حمدون عن اليزيدي فتحها وصلاً وحذفها وقفاً والباقون يحذفونها فى الحالين وبه نقرأ (والذين) نعت عباد ومنهم من يقف على عباد ويستأنف (الذين) وخبره أولئك . . . الخ.

﴿وأولئك هم أولو الألباب﴾ أصحاب العقول المتأثرة فيها هداية الله أي ارشاده ودلالته.

﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب﴾ لم يقل حقت لان تأنيث الفاعل مجازى وهو ظاهر لا ضمير وللفصل و (حق) بمعنى وجب وتقرر و (كلمة العذاب) ما سبق في علم الله من أنه من أهل النار . قاله ابن عباس؛ وقيل: كلمة العذاب (لأملأن جهنم منك وممن تبعك) وقيل: قوله (هؤلاء في النار ولا أبالي) والهمزة من جملة مدخولة الفاء وقدمت لتمام الصدر والفاء للعطف أو للاستئناف وذلك مذهب سيبويه والجمهور في الهمزة ومذهب الزمخشرى وغيره أن الهمزة محذوفة معطوف عليها بالفاء أي (أنت مالك أمرهم) ومن شرطية والفاء في قوله.

﴿أفأنت تنقذ من في النار﴾ رابطة لجواب الشرط والهمزة قبلها زائدة

لتوكيد الأولى وأصلها بعد الفاء و (من في النار) هو (من حق عليه كلمة العذاب) وأعاده ظاهراً للتوكيد والذم وللدلالة على أن من حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لتحقق وقوعه ولو أضمر على الأصل وقال (أفأنت تنقذه) لفات ذلك وفات الاعلام لأن اجتهاده ﷺ في دعائه الى الايمان سعى في انقاذهم من النار ويجوز تقدير متعلق (في النار) مستقبلاً أي من يدخل أو يثبت فى النار أو شبه استحقاقهم العذاب وهم في الدنيا وفعل موجبه بدخول النار واجتهاده في الدعاء بانقاذهم من النار ويجوز أن يكون (أفأنت) مقدماً في النار ففيها دليل على الجواب أي (أفأنت تحصله) وعلى كل ففائدة (أفأنت تنقذ) الخ. مع مامر أن الله هو الذي يقدر على الانقاذ أى الاخراج والتنجية لايقدر غيره فلا تقدر على تحصيل الايمان له.

وعن ابن عباس: المراد أبو لهب وولده.

﴿لكن الذين اتقوا ربهم﴾ استدراك لمقدر أي انك ولو لم تقدر على تحصيل الايمان بمن حقت عليه كلمة العذاب لكنك قادر على تحصيله لمن وجبت له كلمة الرحمة* ﴿لهم غرف﴾ أي بيوت غير مباشرة للارض بل فوق المباشرة* ﴿من فوقها غرف﴾ فذلك علالي بعضها فوق ﴿مبنية﴾ كبناء المنازل على الأرض مسواة كتسويتها عليها في أرض الجنة أو في الهواء ﴿تجري من تحتها﴾ أي تحت الغرف السفلية والفوقية ﴿الأنهار﴾ كما تجري تحت المنازل وذلك تحضيض على التقوى ومقابلة لظلل أهل النار* ﴿وعد﴾ مصدر مؤكد لجملة لهم غرف الخ لانها وعد فعاملها محذوف وجوباً نابت عنه الجملة نحو له عليَّ ألف اعترافاً وهو أيضاً نوعي في اضافته لا الى قوله * ﴿الله﴾ وذلك جائز بل النوعى والعددي يدلان أبداً على التوكيد زيادة على ذلك * ﴿لا يخلف الله الميعاد﴾ أي الوعد أصله الموعد قلبت الواو ياء لسكونها بعد كسرة وخلف الوعد اما للشح واما لظهور أن الموعود ليس أهلاً والله جواد لاتبدو له البدوات.

قال ﷺ: «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب ليتفاضل ما بينهم»

، قالوا: يارسول الله تلك منازل الأنبياء لايبلغها غيرهم قال: «بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» والترائي اكتساب الرؤية لبعد المرئي والدري المضيء والغابر الماضي النافد الداخل في العلو والباقى في افق الناحية العليا في جهة السماء ووفق نبيه والأمة على معتبر من مخلوقات بقوله: ﴿ألم تر﴾ يا محمد والأمة تابع أو يا من تأتي منه الرؤية.

﴿أن الله أنزل من السماء ماء﴾ ماء المطر * ﴿فسلكه﴾ أدخله * ﴿ينابيع﴾ أي مسالك ينابيع منها ومجارى أي أجراه عيوناً* ﴿في الأرض﴾ كعروق الجسد فينابيع ظرف مكان أو مفعول أو مشبه بأحدهما على الأول وحال على الثاني مجازي أو ظرف أيضاً ويجوز كونه حالاً تحقيقاً أي قنوات تابعات ويجوز كونه مصدراً أي أنبعه ينابيع كقعدت جلوساً وهو جمع ينبوع.

وعن الشعبي: كل ماء في الأرض فهو من السماء نزل ، ينزل منها الى الصخر ثم يقسمه الله.

﴿ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه﴾ أي هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض ودهمة وسواد وغيرها وهذا لكونه حقيقة أولى من القول بأن ألوانه أصنافه كبر وشعير وسلت وذرة لانه مجاز ومن القول بأن المراد الهيئات والأصناف لانه جمع بين الحقيقة والمجاز * ﴿ثم يهيج﴾ أي ييبس.

وقال الأصمعي: يتم يبسه لانه اذا تم يبسه حان له أن يذهب ويثور عن موضعه هاج الشيء ذهب بشدة * ﴿فتراه مصفراً﴾ حادثة له الصفرة ليبسه* ﴿ثم يجعله حطاماً﴾ مفتوتاً مكسوراً أو مفتتاً متكسراً.

﴿إن في ذلك لذكرى﴾ أي لتذكرة ودليلاً على أن ذلك مثل الحياة الدنيا وعلى وجود الله لأن ذلك صنعة عجيبة لابد من صانع حكيم* ﴿لأولي الألباب﴾ ولايتذكر بذلك غيرهم وقيل الذكرى التنبيه على البعث من القبور واحياء الموتى قياساً على اخراج الزرع، والزرع كل ما يحرث وقرىء (مصفاراً) بالألف والتشديد لأن صفرته لا تدوم مثل حمار الفجر* ﴿أفمن﴾ في الهمزة ما مر*

﴿شرح الله صدره للاسلام﴾ لطف الله به ووسع صدره وفتحه للاسلام ورغبه فيه وهداه الى قبول الحق * ﴿فهو على نور من ربه﴾ أي بيان هداية ومعرفة والاهتداء للحق ويقين.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: تلا رسول الله ﷺ الآية فقلنا يارسول الله كيف انشراح صدره؟ قال: « اذا دخل النور القلب انشرح وانفتح » قلنا: يا رسول الله فما علامة ذلك قال: «الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت به» . وروي قبل نزول الموت ، وروي قبل نزوله.

وفي الحديث تفسير الصدر بالقلب ذكر القاضي أن الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق بالنفس القابل للاسلام وخبر (من) محذوف أي فمن لطف به وشرح صدره كمن لم يلطف به فهو حرج الصدر قاسي القلب كأنه قال(أفمن شرح الله قلبه للاسلام فهو على نور من ربه كمن لم يشرح له صدره وهو قاسي القلب).

﴿فويل للقاسية قلوبهم﴾ قسوة القلب شدته وقلة انفعاله للوعظ مأخوذة من قسوة الحجر فهي استعارة لعدم قبول الوعظ كما إن شرح الصدر استعارة لتحصيل النظر الجيد والايمان وقبولها.

قال ﷺ: «لاتكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم فان كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وان أبعد الناس من الله القلب القاسي».

قال مالك بن دينار: ماضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلبه.

ذكر الله (الشرح) وأسنده الى نفسه أي ذاته والقساوة وأسندها للقلب وخالقها الله * ﴿من ذكر الله﴾ أي عن ذكر الله كما قرىء به ولك أن تجعل (من) للتعليل فيكون أبلغ من الذم لأن من يقسو قلبه بسبب ذكر الله أقبح وذلك أنه كلما ذكر الله وسمعوا كذبوا فتتزايد القسوة بالتكذيب مرة بعد أخرى والنفس الشيطانية الخبيثة الجوهر البعيدة عن قبول الحق انما يزيدها القرآن قسوة ورأس الأدوية القرآن فاذا حصل به للنفس داء وقسوة فمرضها لا يرجى زواله وكانت في نهاية الشر.

قال ابن مسعود: ما غضب الله على قوم الا نزع الرحمة من قلوبهم وعنه وعن أصحاب رسول الله ﷺ : سألوا رسول الله ﷺ فقالوا: حدثنا فنزلت.

وروى قومنا ان الشرح نزل فى حمزة رضي الله عنه والقسوة في أبي جهل وابنه.

قال ابن هشام: من للتعليل وقيل: للمجاوزة وقيل تكون للابتداء ورجح المجاوزة وقال الابتداء يرجع الى الويل أو الى الذكر لان هذه القسوة تجيء منه ولا مانع من تعليقها بالويل بمعنى العذاب أو الهلاك ولا يمنعه الفصل كما قيل. وقيل: نزل (الشرح) فى أبى بكر والقسوة فى أبيّ بن خلف وقيل فى رسول الله ﷺ وأبى جهل لعنه الله.

﴿أولئك في ضلال مبين﴾ أي واضح يظهر بأدنى تأمل . وعن ابن عباس أن قوماً من الصحابة قالوا : يارسول الله حدثنا بأحاديث حسان وأخبرنا بأخبار الدهر فنزل قوله تعالى * ﴿الله نزل﴾ ابتدأ بالله وأخبر بـ (نزّل) تفخيماً لأحسن الحديث ورفعاً له واستشهاده على حسنه وتأكيداً لاسناد التنزيل الى الله وأنه من عنده وأن مثله لا يجوز أن يصدر الا عنه وتنبيهاً على أنه وحي ومعجز مباين لسائر الاحاديث* ﴿أحسن الحديث﴾ هو القرآن وأحسنيته من جهة اللفظ فانه أفصح الكلام وأبلغه وليس بشعر ولا كنثرهم ومن جهة المعنى فانه منزه عن التناقض والاختلاف مشتمل على أخبار الماضين والغيب والوعد والوعيد * ﴿كتاباً﴾ بدل من أحسن أو حال منه ولو جامداً لتأويله بـ (مكتوباً) ولو قيل لايحتاج لتأويل لوصفه بقوله * ﴿متشابهاً﴾ يشبه بعضه بعضاً في الصحة والأحكام والبناء على الحق والصدق ومنفعة الخلق وتناسب ألفاظه واعجازه وتبكيته وتصديق بعضه لبعض * ﴿مثاني﴾ حال متعددة أو حال من ضمير (متشابهاً) أو نعت ثاني لكتاب أو حال منه أو تمييز لـ (متشابهاً) وهو جمع مثنى بالفتح فالسكون اسم مكان أي موضع الثني أي التكرار ليرسخ في النفوس فانها لنفورها عن الحق لايؤثر فيها الا بالتكرار ولذلك كانت عادة رسول الله

ﷺ تكرار الوعظ ثلاث مرات وسبعاً والمراد بالثني ما يعم التكرار أكثر من مرتين فلا يرد أنه كثيراً ما يعاد فيه لله حديث ثلاث مرات أو أكثر أو معنى الثني قرن الوعد بالوعيد والأمر بالنهي والرجاء بالخوف وهكذا كالخبر والحكم وقيل إنه يثني فى التلاوة فلا يمل بل يزيد حلاوة مع أن الطبع موكول بمعاداة المعاداة وهذا مما يخالف به غيره وان قلت كيف أطلق مثاني وهو جمع على كتاب ؟ قلت: هو تحليل الى كل أجزائه كقولك: زيد أجزاء فهما بمعنى * ﴿تقشعر﴾ أي ترتعد وتضطرب فاؤه القاف وعينه الشين ولامه العين والراء الأولى لام ثانية زائدة وقيل بالعكس وكذا أمثاله كما بينته في شرح اللامية وقيل أصوله القشع وهو الجلد اليابس وزيدت الراء مشددة ليدل على معنى زائد.

﴿منه جلود الذين يخشون ربهم﴾ تنقبض جلودهم عند ذكر الوعيد المخوف أو مطلق فلشدة حلاوة القرآن وقيل المراد بالجلود القلوب وقيل المراد التمثيل والكناية لشدة خوفهم والظاهر الأول.

قال ﷺ: «اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة ورقها » ، أي طاحت ووقعت. وروي «حرمه الله على النار» ، وقرأ أبيّ عن النبي (فرقت قلوب) فقال: اغتنموا الدعاء عند الرقة فانها رحمة.

قال عبد الله بن عروة بن الزبير لجدته أسماء بنت أبي بكر: كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ يفعلون اذا قرىء عليهم القرآن ؟ قالت كما نعتهم الله تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم فقال لها ان أناساً اليوم اذا قرىء عليهم خر أحدهم مغشياً عليه فقالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

وقال قتادة: (نعت الله أولياءه بأنهم تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم انما ذلك في أهل البدع وهو من الشيطان الرجيم.

وعن ابن عمر مثل ذلك قال: يدخل الشيطان في جوفهم ومر عمر برجل من أهل العراق ساقطاً فقال: ماله ؟ فقيل: قرىء عليه القرآن أو

سمع ذكر الله فقال : إنا لنخشى الله وما نسقط.

وقال ابن سيرين : بيننا وبين هؤلاء أن يقعد أحدهم على حائط ويمد ويقرأ عليه القرآن كله فان رمى بنفسه فهو صادق. وفي قوله القرآن كله تصديق لهم وتعريض بأنه ولو قرىء عليهم كله لما رمى بنفسه وذلك تغليظ على المرامين والمتضعين وأما من يغشى عليه لضعف قواه وقوة الوارد عليه فممدوح وكذا الكلام في الصحة.

﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله﴾ قيل اذا ذكرت آيات الوعيد اقشعرت جلودهم واذا ذكرت آيات الرحمة لانت جلودهم وسكنت قلوبهم وعن بعض تلين جلودهم عند الرجاء وتقشعر عند الخوف وانما ذكر الجلود وحدها في الخوف أولاً ثم قرن بها القلوب فى الرجاء لان الخشية محلها القلب وهى سبب الاقشعرار فكأن القلوب مذكرة واذا ذكروا الله وأصل أموره وأولاها الرحمة زالت شدة الخوف بالرجاء بالقشعريرة باللين. قاله الزمخشري وقيل لأن المكاشفة في مقام الرجاء أكمل منها في مقام الخوف لان الخير مطلوب بالذات والخوف ليس بمطلوب فاذا كان الخوف اقشعر الجلد واذا كان الرجاء اطمأن القلب ولان الجلد وانما قال (الى ذكر الله) ولم يذكر الرحمة لانهم يلينون ويرجون بمجرد ذكر الله أي النطق به لأن أصل أمره الرحمة والرأفة والرحمة سبقت غضبه فاذا ذكر تبادرت رحمته ورأفته قبل كل شيء والمراد الى ذكر رحمة الله فحذف المضاف وانما عدي (تلين) بـ (إلى) لانه ضمن معنى ما يتعدى بها كأنه قيل: (اطمأنت الى ذكر الله) وقيل: (الى) بمعنى لام التعليل أو بمعنى مع أو عند* ﴿ذلك﴾ المذكور الذي هو أحسن الحديث * ﴿هدى الله يهدي به من يشاء﴾ هدايته.

وقال الزمخشري: الاشارة الى الكتاب، وقيل يجوز أن تكون الى الاقشعرار أي ذلك امارة هدى الله والهداية والارشاد والتوفيق هنا أي يهدي من سبق علمه بسعادته الى تلك الخشية ويستحب لتالي القرآن أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل آية وفهم حال يتصف يه قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغير ذلك ومتى

تمت معرفته كانت الخشية أغلب الأحوال على قلبه كما كان النبى ﷺ يكسوه من كل آية حال يناسب معنى تلك الآية وعن بعضهم الاقشعرار واللين بتأويل ما ذكر وسماها هدى لحصولها به وهما أثره .

﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ أي من موصل له فى الطريق *

﴿أفمن يتقي بوجهه﴾ يحذر به يتحفظ به كما يقي بالدرقة * ﴿سوء العذاب﴾ أي شدته * ﴿يوم القيامة﴾ وخبر من محذوف أي أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم العذاب يوم القيامة كمن أمن من العذاب بدخول الجنة أو كالمتنعم في الجنة وقدره ابن هشام كمن يتنعم في الجنة ومعنى الاتقاء بوجهه أنه تغل يداه ورجلاه الى عنقه فلا يبقى له ما يتقي به الا وجهه الذي هو أعز اعطاء وعليه كان يتقى بغيره وقيل المراد بالوجه الجملة وقيل يرمى به في النار منكوساً فأول ما يمس منه النار وجهه وقيل يجر على وجهه فيها وقيل: تغل يداه لعنقه وفى عنقه جبل عظيم من الكبريت فتشعل النار فيه. قلت يحتمل أن تكون الآية كناية عن كثرة العذاب يتقيه بجوارحه حتى وجهه وهذا أبلغ.

وروي أنها نزلت في أبي جهل لعنه الله * ﴿وقيل﴾ أي قالت الخزنة وعبر عنه بالماضي لتحقق الوقوع * ﴿للظالمين﴾ مطلقاً وقيل كفار مكة والاصل وقيل لهم أي لمن لم يتق فعبر عنه بالظاهر ليصفهم بالظلم ويشعر بأن الظلم هو سبب للقول لهم * ﴿ذوقوا﴾ وذلك أن الظالمين مشتق وتعليق الحكم بالمشتق يؤذن بعليته * ﴿ما كنتم تكسبون﴾ أي ذوقوا جزاء ما كسبتم من المعاصي ووباله * ﴿كذب الذين من قبلهم﴾ الرسل قيل أي من قبل كفار مكة فهذا دليل على أن المراد بالظالمين كفارها.

﴿فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ أي من جهة لا تخطر ببالهم ولا يعلمون أنه يأتيهم منها فقد أتاهم منها فجأة غافلين * ﴿فأذاقهم الله الخزي﴾ العذاب والهوان والذل كالمسخ والخسف والصيحة والقتل والجلاء.

﴿في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا﴾ أي المكذبون ﴿يعلمون﴾ لا مفعول له لتنزيله كاللازم أو له مفعولان حذفاً لعدم تعلق

الغرض بها والمراد أن عذاب الآخرة المعد لهم أكبر لشدته ودوامه من ذلك الخزى الدنيوي لو كانوا من أهل الادراك والنظر وذلك تمثيل لقريش بمن مضى.

﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾ يحتاج اليه الناس في أمر دينهم* ﴿لعلهم يتذكرون﴾ يؤثر فيهم الذكر والوعظ * ﴿قرآناً﴾ حال من (هذا) مؤكدة له ولو كان جامداً لتأويله بمشتق أي مقروء وقيل: لايحتاج الى التأويل لنعته بقوله * ﴿عربيا﴾ أو منصوب على المدح أي امدح قرآناً عربياً * ﴿غير ذي عوج﴾ أي منزهاً عن النقائص.

وقال ابن عباس: غير مختلف وقيل غير ذي مخلوق وافترى بعضهم عن سبعين من التابعين أنه لا خالق ولا مخلوق قلت الصواب إنه مخلوق والشاهد فى الآية وهو قوله (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن) ولولا أنه مخلوق لما صح له الضرب فيه وغير ذلك من دلائل مذكورة في محلها وقيل: المراد بالعوج الشك واللبس كقوله :

وقد أتاك يقين غير ذي عوج
من الاله وقول غير مكذوب

وانما لم يقل مستقيماً أو غير معوج بل قال (غير ذي عوج) لينفي أن يكون فيه عوج قط ولان العوج يختص بالمعاني دون الاعيان ويقال في الاعيان (عوج) بفتح العين والواو وقيل: سويّ (وأنظر حاشيتي على القطر وشرحه المسماة الحواشي المحمدية على شرح المقدمة الهاشمية) * ﴿لعلهم يتقون﴾ الشرك والتكذيب وهذه علة أخرى قدم الأولى ولعلهم يتذكرون لان الحذر يكون بعد التذكر والنظر * ﴿ضرب الله مثلاً﴾ للموحد والمشرك وبدأ بمثل المشرك * ﴿رجلاً﴾ بدل من مثلا) أو مفعول أول (ومثلاً) ثان أو بالعكس والمثل كلام عربي أو مطلقاً شبه مضربة بمورده * ﴿فيه﴾ خبر و ﴿شركاء﴾ مبتدأ و ﴿متشاكسون﴾ صفة والجملة صفة (رجلا).

وقال الزمخشري: (فيه) متعلق بشركاء فشركاء مبتدأ ومتشاكسون خبر فيجوز تعليق (فيه) والتشاكس الاختلاف والتنازع وسوء الخلق فذلك مثال

للمشرك * ﴿ورجلاً سلماً﴾ فتح السين واللام عند نافع وابن عمر والكوفيين وقرىء بفتح السين وسكون اللام وقرىء بكسر السين وسكون اللام والكل مصادر نعت بها مبالغة أو لتقدير مضاف أي (ذا سلم) أو لتأويلها بالوصف أي (سالماً) كما قرأ ابن كثير وأبو عمرو وقرىء (ورجل) فرجل مبتدأ سوغ الابتداء به التقسيم والتنويع وسالم خبراً ورجل مبتدأ وسالم نعته والخبر محذوف أي وهناك رجل سالم أي خالص * ﴿لرجل﴾ وذلك مثال للموحد أي اضرب لقولك مثلاً وقل لهم ما تقولون فى رجل مملوك بين قوم مشتركين فيه متنازعين مختلفين أخلاقهم سيئة لا سماع فيها فصاروا يعذبونه بفظائعهم في أوقاتهم ودولهم ويضايقونه في كثرة العمل فهو في عناء منهم أو هو مملوك يتنازعون فيه كل يقول هو لي فصاروا يتجاذبونه ويستعملونه في مشاق فهو في عناء وتحير لا يدري أيهم يرضي بخدمته وعلى أي يعتمد في حاجته فكذلك عابد الاوثان يعتقد أن نفعه وضره عندها هو معذب بالفكر بها ويحرس حاله منها ومتى توهم أنه أرضى صنماً منها بالدج مثلاً تفكر فيما يصنع مع الآخر لانه يتراءى له أن كل واحد منها يدعي أنه معبوده وانهم يتغالبون ويتنازعون عليه وما أشبه حال المملوك للناس بتلك الحال وفي رجل مملوك لرجل واحد فهو معتن بما لزمه من خدمته معتمد عليه فيما يحتاج من رزق وقضاء حاجة عارف بما يرضيه وما يسخطه ومن يعبد أوثاناً لا يدري على أيها يعتمد في الربوبية وقضاء الحوائج ولا يغفرون له زلته والواحد الآخر يغفر زلة من اعتنى به وحده ولم يشرك به غيره وأما من يعبد صنماً واحداً فهو كعابد صنمين أو أكثر لان غير ذلك الصنم مثله لا فرق بينهما فكأنه مريد لأن يعبده ذلك العابد وحاشا ذوات الأصنام أن تريد العبادة وانما مثل في جانب المملوك وجانب المالك بالرجل لان الطفل والمرأة لا يتفطنان لما يرضيان به غيرهما أو يسخطانه ولا لمصالحهما في الخصام كالرجل ﴿هل يستويان﴾ انكاراً لاستوائهما أعنى المملوكين أي لايستويان * ﴿مثلاً﴾ أي صفة وحالاً فان مملوك شركاء في تعب كما مر وفي حيرة أيهم يخدم اذا طلبوه مرة و (مثلا) تمييز ولذا أفرد لأن التمييز لبيان الجنس (مثلا)

وقرىء (مثلين) كقولك (الزيدون أكثر أموالاً) وعليه يجوز عود الضمير للمثلين لأن المراد مثل الرجل في ومثل رجل سلم كقولك كفى بهما رجلين* ﴿الحمد لله﴾ كل الحمد لأن (ال) للاستغراق لله وحده لأن اللام للاختصاص على ما مر لانه هو المنعم بالذات ومن أنعم عليك سواء فانعامه من الله أجراه على يده والمالك على الاطلاق فالحمد لله دون غيره من المعبودات وقيل: كأنه لما ثبت أنه لا اله الا الله الواحد الحق بالدلائل الظاهرة والأمثال الباهرة قال: قل الحمد لله على حصول البينة.

﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ لشدة جهلهم ان المستحق للعبادة هو الله فأشركوا به غيره.

﴿انك ميِّت وانهم ميِّتون﴾ جعلهم واياهم قد ماتوا لأن الجميع يموت قطعاً أو لانهم بصدد الموت أو الصفتان للاستقبال وبهما يستدل من يجيز ابقاء الصفة المشبهة على لفظها اذا أريد بها الحدوث وقيل: تنقل الى وزن فاعل كما قرىء (انك مائت وانهم مائتون) ويجاب عن القراءة الأولى بانها لثبوت مجاز أو بأنها لا تنقل اذا أريد الماضي والمراد هنا المضي مجازاً كما مر فأنظر (شرحى على اللامية) فذلك انهم تربصوا برسول الله ﷺ الموت فأخبر أن الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الباقى بالفاني .

وقال قتادة: نعيت الى النبي ﷺ نفسه ونعيت اليكم أنفسكم.

﴿ثم انكم﴾ المراد هنا انك واياهم وغلب الخطاب.

﴿يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ فتحتج عليهم بأنك على الحق فى التوحيد وانهم على الباطل في التشريك واجتهدت فى التبليغ والارشاد واجتهدوا فى التكذيب والعناد وتعذر الاتباع بقولهم: (اطعنا سادتنا وكبراءنا) والسادة بقولهم (أغوتنا الشياطين) و (وجدنا آباءنا).

وقال ابن عباس: الخطاب عام لكل محق ومبطل وظالم ومظلوم يتخاصم الموحدون والمشركون فيما بينهم والموحدون فيما بينهم والمشركون فيما بينهم.

وقال الزبير : لما نزلت هذه الآية ، قلنا : يارسول الله ؛ أيكرر علينا ما كان بيننا فى الدنيا مع خواص الذنوب ؟ قال: «نعم ، ليكررن عليكم

حتى يؤدى الى كل ذي حق حقه» فقال الزبير : والله ان الأمر لشديد!
وقال ابن عمر: لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى هذه الآية نزلت فينا وفي أهل الكتاب. ويروى في (أهل الكتابين) تخاصمهم لا فينا فيما بيننا كيف نختصم وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت أنه فينا نزلت.
وقال أبو سعيد الخدري : (كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا) .
وقال ابراهيم النخعي: قالت الصحابة ما خصومتنا ونحن اخواناً فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا.
قلنا معشر الاباضية: في مثل هذه المقتلة المحق فيها من وافق كتاب الله والمبطل من خالفه أيا ما كان ، وفى الحديث «من كان عنده مظلمة لأخيه من عرض أو مال فليتحلله اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم وان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم تكن له حسنات أخذ من سيئة صاحبه فحمله عليه».
وقال ﷺ: «أتدرون من المفلس ؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال: ان المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فان فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار».
قلت: هذه رواية غير مقبولة عندنا وأما من تاب وأدى ما عليه من تبعات الا بعضاً نسيها فان الله يؤدي عنه ويقبل توبته المجملة وتدخل فيها تلك التبعة وهذا هو الصحيح عندي وان اشتهر خلافه ولا يصح عندنا أن يتحمل من سيئات صاحبه.
قال أبو العالية: نزلت الآية فى الموحدين والصحيح انها خطاب للنبي والمشركين ﷺ ويدل له قوله * ﴿فمن أظلم﴾، انكار * ﴿ممن

كذب على الله﴾ باثبات الولد والشريك له والصاحبة وقولهم هذا حلال وهذا حرام ونحو ذلك* ﴿وكذّب بالصدق﴾ أي بالقرآن والوحي والرسالة* ﴿اذ جاءه﴾ أي وقت مجيئه من غير تفكر في أمره وتوعدهم توعدا فيه احتقار بقوله* ﴿أليس في جهنم مثوى﴾ أي موضع الثواء أي الرجوع والاقامة والنزول فهو اسم مكان والاستفهام لانكار النفي أو لتقرير المنفى مثبتاً ﴿للكافرين﴾ الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق قال للعهد الذكري أوالحصوري كأنهم حصروا بل حصروا بلى يا ربنا لهم مثوى فيها.

﴿والذي جاء بالصدق وصدق به﴾ هو النبي ﷺ فالجمع في قوله* ﴿أولئك هم المتقون﴾ الحاذرون للشرك والمعاصي للتعظيم كما قيل إن الجمع في (رب ارجعون) للتعظيم وقيل المراد النبي ومن آمن معه كما أريد بموسى هو وقومه فى قوله ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون﴾ فيما زعم بعض ولذلك جمع وقيل المراد الفريق الذي جاء فرد نظر اللفظ فجمع نظراً للمعنى ومعنى التصديق واضح ومعنى محبي الصحابة بالصدق تكلمهم ونقله لغيرهم، وقيل: (الذي جاء بالصدق) النبي والمصدق به غيره مراد به الفريق وأبو بكر أي الذي صدق به فحذف الموصول دون صلته بدلالة المذكور أجازه ابن مالك اذا عطف على مثله والكوفيون مطلقاً ومنع غيرهم قاله ابن هشام ويقال مثل هذا فى قول بعض (الذي جاء بالصدق) جبرائيل جاء بالقرآن والذي صدق به محمد ﷺ وقيل: (الذي جاء بالصدق) الأنبياء وهم المصدقون به أي المخوفون به غيرهم وقيل: (الذي جاء بالصدق) أهل القرآن يجيئون يوم القيامة وقد أدوا حقه فهم المصدقون به.

وقال ابن عباس: الذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ والصدق لا اله الا الله وتصديقه به تبليغه وقرىء و (صدق به) للتخفيف أي وصدق به الناس أي أداه اليهم من غير كذب أو تحريف على حد صدقنا وعده وقيل: صار صادقاً به لانه معجزته وقرىء (صدق به) بالبناء للمفعول والتشديد وقرىء والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به ونسب لابن مسعود

وقول بعضهم ان الذي في الآية أصله (الذين) حذفت نونه يرده الافراد فى (جاء وصدق) الا أن أراد أن الأصل أن يقول (الذين) بالنون ويجمع في (جاء وصدق) وأتى بالذي اسم جنس وأفرد فيهما نظراً للفظ؛ وقول بعضهم أن المراد (بالصدق على) يرده أفعاله بأصحاب رسول الله ﷺ.

﴿لهم مايشاءون عند ربهم﴾ من الجزاء والكرامة في الجنة * ﴿ذلك جزاء المحسنين﴾ فى أقوالهم وأفعالهم * ﴿ليكفر﴾ أي ليمحو ويستر محواً شديداً والتشديد للمبالغة أي لتعظيم المحو وهو متعلق بالمحسنين أي الذين أحسنوا للتكفير وقيل بمحذوف أي يسرهم الى ذلك ليكفر لأن التكفير انما هو بعد التيسير للخير.

﴿الله عنهم أسوأ الذي عملوا﴾ أي أعظم ما عملوا من السوء وغيره مغفور بالأولى تنبيهاً بالأعلى على الأدنى فهو اسم تفضيل باق على معناه مضاف الى ما هو أعظمه أو هو للاعلام بانهم يستعظمون الذنوب ويحسبون انهم مقصرون مذنبون وانما يصدر منهم من الذنوب أعظم ذنب وأقبحه ويجوز أن يكون خارجاً عن معنى التفضيل فمعناه السيء الذي عملوا وقرىء أسوأ بألف بعد الواو وبعدها همزة جمع سوء* ﴿ويجزيهم أجرهم﴾ أي يعطيهم ثوابهم على العمل الصالح ولا يؤاخذهم بذنوبهم.

﴿بأحسن الذي كانوا يعملون﴾ أحسن اسم تفضيل باق على معناه والمراد بأحسن أعمالهم وحسنها ولكن اقتصر لفظاً على أحسنها لشرفها فهو مضاف الى ما فضل عليه أو هو للاعلام لأن حسن أعمالهم بفتح السين هو الأحسن عند الله لاخلاصهم فيها اخلاصاً قوياً أو هو خارج عن معنى من معنى التفضيل والمعنى محسن أعمالهم بفتح السين.

﴿أليس الله بكاف عبده﴾ تقوية لنفس النبي ﷺ والاستفهام لانكار النفى أو التقرير بها بعد النفي وهكذا في مثل ذلك والعبد النبى ﷺ ويحتمل أن تكون الاضافة للجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائى (عباده) بالجمع فالمراد الأنبياء ومنهم النبي ﷺ وقيل الأنبياء والمؤمنون.

﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾ أي أثبتوا أو عبدوا من دونه وهى الأصنام وفى الآية اطلاق الذين على غير العقلاء تشبيهاً بالعقلاء وذلك أن

قريشاً قالوا له ﷺ لتكفّن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منها جنون فذلك هو التخويف وقيل بعث خالداً الى العزى ليكسرها فقال له خادمها أحذركها ياخالد ان لها شدة لا يقوم لها شيء فهشم أنفها فأنزل الله (أليس الله بكاف عبده) أي نبيه أن يعصمه من كل سوء وذلك لأنه أمر لخالد ويجوز أن يريد العبد أو العباد على الاطلاق لا للنبي ولا للأنبياء ولا هم للمؤمنين وقرىء (بكافي عباده) و (كافي عبده) على الاضافة وبكافى بالباء مفاعلة من الكفاية وهو أبلغ من يكفي ببنائه على لفظ المغالبة أو بالهمزة من المكافأة وهى المجازاة * ﴿ومن يضلل الله﴾ حتى غفل كفاية الله له وخوفه بما لا ينفع ولا يضر* ﴿فما له من هاد﴾ مرشد * ﴿ومن يهد الله فما له من مضل﴾ لان فعله لا يرد كما يدل عليه قوله * ﴿أليس الله بعزيز﴾ غالب مانع ﴿ذي انتقام﴾ من أعدائه وذلك وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بأنه ينتقم لهم منهم وينصرهم * ﴿ولئن﴾ اللام مؤذنة بالقسم ولسبقها على الشرط كان الجواب لها * ﴿سألتهم﴾ أي هؤلاء المشركين* ﴿من خلق السموات والأرض﴾ وما فيها وما بينهما * ﴿ليقولن الله﴾ أي خلقهن الله وأوجب ابن هشام الاول لقوله (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم) وانما يقرون بأن الخالق لهن الله الوضوح والبرهان على تفرده بالخالقية؛ وجمهور الخلق مقرون بوجود الله القادر الحكيم فان فطرة العقل شاهدة بصحة ذلك فان من تأمل عجائب السموات والأرض وما فيهما من أنواع الموجودات علم أن ذلك من ابتداع قادر حكيم أمر الله نبيه ﷺ أن يحتج عليهم بأن ما يعبدون جلب نفع ولا دفع ضر بقوله: ـ

﴿قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله﴾ من الأصنام ﴿ان أرادني﴾ بفتح الياء وسكنها حمزة * ﴿الله بضر﴾ وجملة * ﴿هل هن كاشفات ضره﴾ مفعول ثان لرأى عن العمل فيها بالاستفهام ولولاه لجاء مفرداً أو جملة نائبة عنه بلا تعليق أو الجملة نابت ما ناب مفعول (رأى) الثالث معلقاً مضمناً معنى (أخبروني) والأول محذوف هو الياء وبسطت ذلك فى حاشية شرح الشذور * ﴿أو أرادني برحمة﴾ أي نعمة وخير *

﴿هل هن ممسكات رحمته﴾ باضافة كاشفات لضر وممسكات لرحمة بتخفيف وقرأ أبو عمرو بتنوينها ونصب (الضر والرحمة) على المفعولية على الأصل ذكر القراءتين ابن هشام وغيره والهمزة أصلها بعد الفاء أو داخلة على المحذوف أي اتحققتم ان خالق العالم هو الله سبحانه وتعالى فرأيتم بعد ذلك ان آلهتكم تكشف ضراً أي تزيله أرادني الله بـه وتـرد رحمـة أرادني الله بها وانما ذكر فى قوله (ويخوفنك بالذين) بأنه مقام تعظيمهم للاصنام وأنت هنا واعتبر تأنيثها وهن اللات والعزى ومناة لانه يقـوم مقـام تضعيف ورد وتعجيز لانهن اناث أضعف ما تدعون لهن وتهكم عليهم باثبات الانـوثيـة لها كأنها نساء عاقلات واحترس بأنهن لا يملكن نفعاً ولا ضراً ولما قال ﷺ لهم (أفرأيتم ما تدعون) . . الخ ، أفحمهم فسكتوا فنزل.

﴿قل حسبي الله عليه يتوكل المتـوكلـون﴾ وفيه تهكم كـأنـه أثبت الضر لأصنامهم فأمر نبيه ﷺ أن يعتصم بالله ويلتجيء اليـه من أن تضره وتهكم آخر بأن هذه الكلمة وهي (حسبي الله) الخ كـافيـة فى دفـع ضرهـا ومعنى (حسبي الله) هو ثقتى وعليه اعتمادي وكفايتي وقدم (عليه يتوكل) للحض والتوكل والثقة أي لا يثق من كان أهلاً للثقة لعلمهم بأن النفع والضر من الله الا على الله.

﴿قل ياقوم اعملـوا على مكـانتكم﴾ أي على قـوتكم من مكن مكـانــة الثلاثى لثبوته عندنا بمعنى التمكن أي اجتهدوا من العداوة والمراد الحـال أي اعملوا على حالتكم التى أنتم عليهـا استعـارة لاسم العين للمعنى كـما يستعار لفظ حيث وهنا للزمـان مـع انهـما وضعـا للمكـان وقـرأ أبـو بكـر (مكاناتكم) بالجمع * ﴿اني عامل﴾ ما أمرت به على مكانتي فحذفـه لـذا اختصارا ولزيادة الوعيد فان المعمولات كثيراً ما تحذف للتهويـل والتفخيم ولان حال لا تقف بل تزيد قوة وشدة لان الله ناصره ومعينه ومظهـره على الدين كله كما قال.

﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيـه﴾ صفة عذاب أي يذله ويهينـه (ومن) موصولة وفعول تعلم بمعنى تعـرف أو استفهـاميـة مبتـدأ ويـأتيـه عذاب خبره والجملة سـدت مسـد مفعـولي (تعلم) وعلق بـالاستفهـام أو

مفعول تعلم بمعنى (تعرف) وقد أتاهم عذاب أخزاهم يوم بدر وغيره * ﴿ويحل﴾ ينزل * ﴿عليه عذاب مقيم﴾ دائم وهو عذاب النار * ﴿انا أنزلنا عليك الكتاب﴾ أي القرآن * ﴿للناس﴾ أي لأجل الناس ولأجل حاجتهم اليه في مصالحهم دنيا وأخرى يبشرون وينذرون به فيقوى داعيهم الى الطاعة ويضعف داعي المعصية * ﴿بالحق﴾ متعلق بانزل كأنه قيل أنزلناه بالحق عليك ليهتدي به الناس ولست محتاجاً الى هدايتهم ولا مضرور بضلالتهم* ﴿فمن اهتدى فلنفسه﴾ أي فاهتداؤه لنفسه أو فقد اهتدى لنفسه أو هو اهتدى لنفسه أي فائدة اقتدائية ترجع اليه لا لغيره والحصر من لام الاختصاص ان شئت فقدر مؤخراً أي فلنفسه اهتداء أو فلنفسه قد اهتدى أو اهتدى فيفيد الحصر أيضاً.

﴿ومن ضل فانما يضل عليها﴾ يرجع وبال ضلالته عليها أي على نفسه وفى الآية دلالة على أن العبد مختار فى أفعاله لا مجبر فلذا صح له الثواب والعقاب.

﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ لن توكل عليهم لتجبرهم على الهدى وانما أمرت بالبلاغ وقد فعلت والتكليف مبني على الاختيار والآية منسوخة عند بعض أصحابنا وغيرهم بآية (السيف) والحق أنها باقية لانه لامنافاة بينهما ولعل تسمية مثل ذلك نسخاً اصطلاح بعض* ﴿الله﴾ وغيره* ﴿يتوفى الأنفس﴾ أي يقبض الأرواح ﴿حين موتها﴾ أي حين موت أجسادها أو موت الارواح انقضاء آجالها والمراد بالانفس الاجساد وتوفيتها اماتتها وهى أن يسلب مابه حييت وأحسست وأدركت وصحت أجزاؤها واذا سلب ذلك فإنها هي سلبت لعدم الانتفاع بها والتوفي فى القرآن اما الاماتة كما هنا واما الانامة كما في ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل﴾ واما رفع كما قال بعض في ﴿اني متوفيك ورافعك الي﴾ وحقيقة الكل القبض والاذهاب ولا منافاة بين آيتنا هذه وقوله تعالى ﴿قل يتوفاكم ملك الموت﴾ وقوله ﴿توفته رسلنا﴾ فان اطلاق التوفية أي الاماتة على الملائكة مجاز لحضورهم وتسببهم أو توفيتهم قبضهم الأرواح وللملك الموت أعوان منهم ينتزعون الروح معه من سائر البدن فاذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت ولا بأس

بهذا ولو شدد صاحب السؤالات على من قال ان ملك الموت يقبض الروح أو مراده التشديد على من يقول يقبضها بمعنى يميت لا على من يقول قبضها جعله لها في يده بعد نزع الله لها وقوله اخرجي.

﴿والتي لم تمت في منامها﴾ أي ويتوفى النفس التي لم تمت في منامها أي يقبض الذات التى لم تمت أي نفسها وروحها أو المراد النفس التي لم يمت جسدها.

﴿فيمسك التي قضى عليها الموت﴾ أي يمسك الانفس التي قضى عليها الموت الحقيقي أى لا يردها الى جسدها* ﴿ويرسل الاخرى﴾ أي النفس النائمة التى لم يقض عليها بالموت الى جسدها * ﴿الى أجل مسمى﴾ أي الى وقت ضربه لموتها وقيل يتوفى الانفس يستوفيها أو يقبضها وهي الأنفس التى تكون منها الحياة والحركة ويتوفى الأنفس التى لم تمت في منامها وهي نفس التمييز لا نفس الحياة لان نفس الحياة اذا زالت زال معها النفس بفتح الفاء والنائم يتنفس وربما تحرك وذلك أن لكل انسان نفسين نفس تكون بها الحياة وتفارقه عند الموت وتزول بزوالها الحياة والنفس الأخرى يكون بها التمييز وتفارقه عند النوم وتبقى نفس الحياة.

وعن ابن عباس: في ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التى بها العقل والتمييز والروح التى بها النفس والتحرك فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه.

وعن علي ابن طالب: تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه من النوم عادت الروح للجسد بأسرع من لحظة.

وروي عن بعض أن أرواح الاحياء والاموات تتلاقى فى المنام فتتعارف ما شاء الله فترجع أرواح الاحياء والصحيح ما مر ولا لتعليق التوفي والموت والمنام جميعاً بالأنفس وعنو بنفس الحياة والحركة ونفس العقل والتمييز غير متصف بالموت والنوم وانما الجملة هى التى تموت وتنوم، وعن بعض روح وحياة ونفس فاذا نام خرج طرف من نفس التمييز ولها الشعاع الى الجسد كشعاع الشمس الى الارض فيرى بها الرؤيا وكأنه بأرض

أخرى وتبقى الروح والحياة فى الجسد فيتحرك ويتنفس واذا أراد أن يميته فى المنام أمسك النفس الخارجة ويقبض الروح أيضاً ويموت فى منامه.

وقال ابن مسعود: سبب فى السماء بالمشرق والمغرب فأرواح الموتى وأرواح الأحياء الى ذلك السبب فتتعلق نفس الميت بنفس الحي فاذا أذن لهذه الحياة بالانصراف الى جسدها لتستكمل رزقها الى فناء أجلها أمسكت النفس الميتة وأرسلت الأخرى الى أجل مسمى أي الى منتهى أجلها.

وروي هذا عن ابن عباس وقال: انما الارسال من الامساك وقيل معناه يقبض عن تصرف الأرواح مع بقائها فى الأجساد فيمسك المقتضي أجلها بازالة حق بقائها ويرسل الأخرى باعادة تصرفها.

وقال ابن جبير: يقبض أرواح الأموات عند الموت وأرواح الأحياء عند النوم فيتعارفون ما شاء الله فيمسك أرواح الموتى ويرسل أرواح الأحياء. والتوفية مأخوذة من توفية العدد أي يقبض أرواحكم أجمعين.

وعن رسول الله ﷺ : «اذا آوى أحدكم الى فراشه فليأخذ داخلة ازاره فلينفض بها فراشه وليسم الله ، فانه لا يعلم ما خلفه بعد على فراشه ، فاذا أراد أن يضطجع ، فليضطجع على شقه الأيمن ، وليقل : سبحانك ربي ، وضعت جنبي ، وبك أرفعه ان أمسكت نفسي فاغفر لها ، وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين».

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبى ﷺ : «اذا آوى الرجل الى فراشه ابتدره ملك وشيطان فيقول الملك اختم بخير ويقول الشيطان اختم بشر فان ذكر الله ثم نام بات الملك يكلؤه فان استيقظ قال الملك افتح بخير وقال الشيطان افتح بشر قال الحمد لله الذي رد اليّ نفسي ولم يمتها في منامها الحمد لله الذي يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده أنه كان حليماً غفوراً الحمد لله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض الا باذنه ان الله بالناس لرؤوف رحيم الحمد لله الذى يحيى الموتى وهو على كل شيء قدير فان وقع من سريره فمات دخل الجنة».

وقال ﷺ: «من قال حين يأوى الى فراشه لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله ، الله أكبر غفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر أو غفرت خطاياه» شك الراوي.

وقال ﷺ : «من آوى الى فراشه طاهراً يذكر الله حتى يدركه النعاس لم ينقلب ساعة من الليل يسأل الله شيئاً من خير الدنيا والآخرة الا أعطاه اياه».

وقرأ حمزة والكسائى بضم القاف وكسر الضاد بباء مفتوحة ورفع الموت * ﴿ان في ذلك﴾ المذكور من التوفية والامساك والارسال * ﴿لآيات﴾ علامات على كمال قدرته وحكمه وشمول رحمته حيث لا تعطل في امساك وبما تمسك وارسال ما ترسل أو علامات عليا لبعث ولا قادر على ذلك سواه* ﴿لقوم يتفكرون﴾ في كيفية تعلق النفس بالبدن وخروجها عنه وهو حي وخروجها عنه وهو ميت وارسالها الى الأجل وما يحكم به من السعادة والشقاوة أو في البعث* ﴿أم اتخذوا﴾ أم منقطعة فيها اضراب واستفهام انكار والواو لقريش * ﴿من دون الله﴾ أي من دون اذنه وقيل غير الله ﴿شفعاء﴾ آلهة يشفعون لهم كما قالوا (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) ولا يشفع غير الله الا أن ارتضاه الله وأذن له وارتضى المشفوع له.

﴿قل لو كانوا لايملكون شيئاً ولايعقلون﴾ الهمزة محلها بعد الواو وداخلة على محذوف كما مر أي يشفعون ولو كانوا . . . الخ وتعبدونهم ولو كانوا . . . .الخ، والضمائر للشفعاء* ﴿قل لله﴾ لا لغيره ﴿الشفاعة جميعاً﴾ ليس منها شيء لغيره الا من أذن له فهو الأهل للعبادة دون من لا يملك شيئاً أقل قليلاً فضلاً عن الشفاعة ولاعقل له يميز* ﴿له﴾ لا لغيره ﴿ملك السموات والأرض﴾ كله فلا يملك أحد شفاعة الا باذنه ورضاه * ﴿ثم اليه﴾ لا الى غيره * ﴿ترجعون﴾ يوم القيامة فله الملك في الدنيا والآخرة *

﴿واذا ذكر الله وحده﴾ دون آلهتهم أو قيل لا اله الا الله * ﴿اشمأزت

قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ انقبضت ونفرت عن التوحيد قاله ابن عباس وقيل: استكبرت وهو لازم كأمثاله وقيل يتعدى أيضاً (اشمأزت كرهة) ذكره الصبان * ﴿واذا ذكر الذين من دونه﴾ وهم الأصنام أثبتوهم من دونه أي غيرهم أو عبدوهم من دونه والمراد أن الأصنام أدنى مرتبة عندهم من الله كما قالوا (ليقربونا) والمراد ذكروا مع أو ذكروا وحدهم ﴿اذا هم يستبشرون﴾ أي فاجأهم الاستبشار لشدة حبهم لها ونسيانهم حق الله وذلك مبالغة في كراهة التوحيد وحب الشركة فاذا ذكر الله وحده امتلأت قلوبهم غماً حتى ينقبض جلد وجوههم لان فيه نفياً لآلهتهم واذا ذكرت آلهتهم امتلأت قلوبهم سروراً حتى تنبسط بشرة وجوههم لذكرها وذلك انه اذا اشمأز القلب من عظم غم انقبضت الروح لداخله فيظهر على الوجه أثره مثل الغبرة والظلمة عكس الاستبشار.

وقال مجاهد: نزلت في قراءته ﷺ سورة والنجم عند الكعبة بمحضر من الكفار وقرأ ﴿أفرأيتم اللات والعزى﴾ ... الآية ، وألقى الشيطان في أسماعهم تلك الغرانيق العلى و (استبشروا) عامل اذا الشرطية معنى اذا الفجائية أي يفاجئهم الاستبشار اذا ذكر الذين من دونه.

﴿قل اللهم فاطر السموات والأرض﴾ أي مبدعهما ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ ما غاب وما حضر وصف نفسه بكمال القدرة بابداع السموات والأرض وبكمال العلم بعلم الغيب والشهادة ﴿أنت﴾ وحدك *

﴿تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون﴾ من أمر الدين ولا حيلة لغيرك فيه اهدني يا الله لما اختلف فيه من الحق وأنت القادر لكمال قدرتك على الحكم بينهم لكمال عفوك؛ أمر نبيه بالدعاء بأسماء عظام ورد الحكم الى عدله وذلك الأمر يتضمن الاجاب واعذار نبيه ﷺ وتسليته ووعيدهم ولما أخبر الربيع بن خيثم وكان قليل الكلام جداً بقتل الحسين لعن الله قاتله لقتله ظلماً وقالوا الآن يتكلم قال آه أي أتوجع أو قد فعلوا وقرأ قل اللهم.. الخ وما زاد وقيل زاد على أثره قتل من كان رسول الله ﷺ يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه.

وسأل أبو سلمة بن عبد الرحمن عائشة رضي الله عنها بأي شيء كان نبي الله ﷺ يفتتح صلاته اذا قام الليل قالت: بقوله اللهم رب جبريل ومكاييل واسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما أختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم*

﴿ولو أن للذين ظلموا﴾ أنفسهم بالكفر أو ظلم العباد * ﴿ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب﴾ شدته * ﴿يوم القيامة﴾ والمراد لو أن لواحد من الظلمة ما في الأرض ومثله لهان عليه وفدى به نفسه ولكن لا تقبل الفدية هنالك وما ذلك الا تمثيل فانهم لو ثبت لهم أضعاف ذلك الى ما لا يحصى فانه يهون ويفتدون به ولات حين قبول فداء فلا يخفي ما في ذلك من الوعيد الشديد والاقناط الكلي لهم من النجاة * ﴿وبدا﴾ أي ظهر حين بعثوا ونوقشوا في الحساب أو حين قرأوا صحائفهم .*

﴿لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون﴾ أي يعالجون ويكتسبون ظنه أي ما بعد حتى لا ينالوه باكتساب الظن وذلك وعيد شديد آخر لهم أي بعد أن يظنوه واقعاً بهم من العذاب.

وقال السدي: ظنوا حسنات عملوها فاذا هي سيئات ومنها انهم تقربوا الى الله بعبادة الأصنام فظهرت عبادتها معصية لله والتقرب معصية.

وعن سفيان الثوري انه قرأ الآية فقال: ويل للمرائين ويل للمرائين من هذه الآية وذلك انهم يرجون ثواب أعمالهم ولا ثواب لهم عند الله.

وقال عكرمة بن عمار: جزع محمد بن المنكدر عند موته، فقيل له: لِمَ؟ فقال: أخشى آية من كتاب الله ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ ويحتمل أن يريد (بما لم يكونوا يحتسبون) ما نووه من المعاصي ونيلة الكافر شر من عمله* ﴿وبدا لهم سيئات ما كسبوا﴾ مساوىء أعمالهم من الشرك والظلم في صحائفهم بعد خفائها عنهم احصاء أحصاه الله ونسوه أو أراد بالسيئات أنواع العذاب التى يجازون بها على ما كسبوا وعبر عنها بالسيئات

لانها جزاء السيئات أو لانها كريهة قبيحة وجزاء سيئة سيئة * ﴿وحاق﴾ أي نزل وأحاط * ﴿بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ من العذاب ويكذبون به أو جزاء عملهم القبيح الذي يلعبون ويسخرون به * ﴿فاذا مس﴾ الفاء عاطفة على قوله اذا ذكر الله وحده الخ وهى خالية عن السببية وهو خلاف الغالب في الفاء العاطفة للجملة أو فيها معنى السببية كأنه جعل اشمئزازه عن الله سبباً لدعائه الله على وجه التهكم وعكس الأمر والانكار والتعجب حيث أقام الاشمئزاز سبباً للالتجاء وذلك أن الحق أن يؤمن بالله ويلتجىء اليه فتكون ذلك سبباً للدعاية وترك ذلك وجعل مكان الكفر كما تقول مستهزئاً: (أنت قتلت أبا زيد فيكرمك زيد) وكأنه قيل يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر آلهتهم فاذا مس أحدهم ضر دعا من اشمأز عنه دون من استبشر بذكره وما بين ذلك معترض مؤكد لانكار ذلك عليهم كأنه قيل يا محمد لايحكم بيني وبين هؤلاء الذين يجترئون عليك هذا الجزاء ونحوها ينقبضون عن ذكرك وحدك ويستبشرون بذكر آلهتهم ولو وحدهن ويدعونك اذا مسهم ضر دونها الا أنت والذين ظلموا عام أو خاص بهم * ﴿الانسان﴾ (ال) فيه للجنس بدليل ولكن أكثرهم لا يعلمون* ﴿ضر دعانا ثم اذا خولناه﴾ أعطيناه تفضيلاً منا عليه لا مكافأة لما فعل ولا لكونه أهلاً.

قال الزجاج: التخويل العطاء عن غير مجازاة واعلم ان المعطوف اذا دخل العاطف على (اذا) هوجوا بها وكذا يتسلط العامل عليه فقولهم جواب اذ لا محل له ليس على اطلاقه فحينئذ معنى صدريتها ان عاملها لايسبقها وكذا مثلها وكنت أعتقد ذلك مدة ثم رأيته للصبان ﴿نعمة﴾ واحدة وفي هذا تشنيع لأمره بأن يخرج عن العهد بواحدة أو المراد الجمع أو الجنس الصادق على الواحدة وغيرها والمراد بالنعمة المال وغيره * ﴿منا﴾ لا من غيرنا ولا مكافأة لصنيع له حسن بل ابتداء منا ففيه التوكيل لمعنى التخويل ﴿قال انما أوتيته﴾ الفاء ضمير عايد لما ان جعلت اسماً موصولاً وان جعلت حرفاً كافا فعائد الى النعمة لتأويلها بالمال كأنه قيل ما

أعطيت ذلك المـــال الا ﴿على علم﴾ أي لعلم مني بوجـوه كسبـه كقـول قارون على علم عندي أو لعلم من الله بأني أهل له أو كائنـاً على علم بـاني سأعطاه لاني أهل له أو لتـأويـل النعمـة بـالشيء أو بـالقسم أو السهم من النعم أو تأويلها بهـذا الحـاضر أو المنعم بـه وفي ذلك اعجـاب بـالنفس الا قولك لعلم من الله فانه اعجاب بها واعتزاز بالله وليس كـما يقـول بـل هي الضمير للنعمة أو لما نظر لمعنى (ما) فانها واقعة على النعمة أو اللفظ (مـا) وأنث للاخبار عنه بالمؤنث كقولهم ما جاءت حاجتك بنصب الحـاجـة على الخبرية لجاءت واسمه مستتر مؤنث للاخبار عنه بحاجة عائد لمذكر وهو ما الواقعة مبتدأ أو قرىء بل هو للتذكير اعتبارا للفظ (ما) أو لتأويـل النعمـة بالمذكر كما مر فتنة ابتلاء أيكفـر أم يشكـر ﴿بل هي فتنة ولكن أكثـرهم لا يعلمون﴾ ان ذلك ابتلاء واستدراج قيل هذا اشارة الى قـارون لقـولـه انـما أوتيته أو هذه الكلمة لاطلاق الكلمة على الجملة كثيراً وقـرىء قـد قـالـه بالتذكير على معنى القول والكلام وذلك المـذكـور * ﴿قد قالها الـذين من قبلهم﴾ يعني قارون وغيره من قائلي ذلك اذ قارون وقومه فانـه قـال وهم رضوا فكأنهم قالوا ذلك على أن المراد بها مر غير ما يشمل قارون ونحوه*

﴿فما أغنى عنـه مـا كـانـوا يكسبـون﴾ ما الأولى نـافيـة أو استفهـاميـة انكـــارية مفعول لأغنى والثانية اسم موصول أو حرف موصول أي الذين كانوا يكسبونه من متاع الدنيا أو كسبهم مـا أغنى عنهم من العـذاب شيئـاً ﴿فأصابهم سيئات ما كسبوا﴾ ما كسبوه أو كسبهم أصابهم جزاء سيئاته أو السيئات الجزاء كما مـر * ﴿والذين ظلموا من هؤلاء﴾ المعاصرين لك يـا محمد من أهل مكة وليس هذا دليلاً على أن المقصـود بـالانسـان ومـا معـه العمـــوم ولا الخصـــوص و(من) للبيـــان أي وهم هؤلاء المـعـــاصرون أو للتبعيض أي بعضهم * ﴿سيصيبهم سيئات﴾ أي جزاء * ﴿ما كسبوا﴾ أو جزاء سيئـات مـا كسبـوا كـما أصـاب من قبلهم وقـد قحطـوا سبـع سنين وحبس عنهم الرزق وقتلت أشرافهم ببدر ولم يغنهم كسبهم شيئاً كـما قـال

* ﴿وما هم بمعجزين﴾ أي فائتين عذابنا ثم مطروا سبع سنين وبسط لهم الرزق وقال الله لهم * ﴿أو لم﴾ الهمزة بعد الواو أو داخلة على محذوف أي أفعلوا ذلك ولم* ﴿يعلموا أن الله يبسط﴾ يوسع * ﴿الرزق لمن يشاء﴾ امتحاناً * ﴿ويقدر﴾ أي يقبض ويضيق عمن يشاء ابتلاء ولا باسط ولا قابض سواه * ﴿ان في ذلك﴾ الذي يحدثه من بسط وقدر كغيرهما ﴿لآيات﴾ دلائل على وجود الصانع * ﴿لقوم يؤمنون﴾ ﴿قل﴾ يا محمد حكاية عن الله * ﴿يا عبادي﴾ سكن ياءه وجعلوا حذفها وصلاً أبو عمرو وحمزة والكسائى وفتحها الباقون والأصل (ياعباد الله) وعبر باليا ففيه الالتفات (السكاكي) والاصل؛ قل: قال الله لكم ياعبادي والمراد بالعباد العموم، وقيل: اضافتهم لضمير الله الذي هو الياء مخصصة بالمؤمنين في عرف القرآن* ﴿الذين أسرفوا﴾ أي أفرطوا في المعاصي وأكثروا منها وجنوا * ﴿على أنفسهم﴾ وأثقلوا عليها * ﴿لاتقنطوا﴾ لاتيأسوا وقيل القنوط أعظم من اليأس.

قرأ نافع والجمهور بفتح النون قال أبو حاتم فيلزمهم أن يقرأوا من بعد ما قنطوا بكسرها ولم يقرأ بها أحد قلت فتحوا في المضارع نظراً للغة ما يكسر الماضى ونطقوا بالماضى مفتوحاً على لغة وقرأ أبو عمرو (ولا تقنطوا) بكسر النون وكذا الكسائى على قياس قنط بفتحها وقرىء (لاتقنطوا) بضم النون مضارع قنط بالفتح * ﴿من رحمة الله﴾ أي مغفرته المستلزمة لرحمته أي انعامه فانه لا يغفر لأحد الا وينعم اذ لا واسطة للمكلفين بين الرحمة والعذاب وفي ذلك اشعار بعظم الجود فانه مع عظم ذنوبهم نقلهم الى الدرجة الثانية وهي الرحمة وطوى عن ذكر الأولى وهي نحو الذنب وعدم المؤاخذة به * ﴿ان الله يغفر الذنوب جميعاً﴾ عفواً بشرط التوبة منها بدليل التقييد بها في مواضع من القرآن والسنة والمطلق يحمل على المقيد وقد ذكرت في القرآن مراراً شرطاً للغفران فذكرها فيما ذكرت

ذكر لها فيما لم تذكر وانما تحذف لدليل والقرآن في حكم كلام واحد لا يتناقض حاشاه وأيضاً لا يليق أن يذكر لهم انه يغفر الكبائر بلا توبة مع انه ناه عنها لان ذلك يؤدي بهم الى الاجتراء عليها كيف وقد أخفي الصغائر لئلا يجترىء عليها من حيث أنه غفرها ويدلل ذلك تعقيب الآية بقوله ﴿وأنيبوا الى ربكم﴾ لئلا يطمع طامع كالقاضى في حصول المغفرة بلا توبة ويدل له أيضاً قراءة ابن مسعود وابن عباس (يغفر الذنوب جميعاً) أي لمن يشاء بالتوبة واما (إن الله لايغفر أن يشرك به) الخ فقد مر ما فيه واما * ﴿انه هو الغفور الرحيم﴾ فاستئناف معلل لغفره الذنوب بالتوبة أي يغفرها ويقبل التوبة منها لان من شأنه الغفران العظيم والرحمة العظيمة وملكه وغناه واسع لذلك والمراد بالآية التنبيه على أنه لايجوز لمن عصى الله أي عصيان كان أن يظن أن لا يغفر له ولا تقبل توبته وذلك مذهبنا معشر الاباضية وزعم القاضي وغيره أن غير الشرك يغفر بلا توبة ومشهور مذهب القوم أن الموحد اذا مات غير تائب يرجى له وانه ان شاء الله عذبه بقدر ذنبه وأدخله الجنة وان شاء غفر له .

ومذهبنا ان من مات على كبيرة غير تائب لا يرجى له.

وعن ابن عباس رضي الله عنه ان ناساً من أهل الشرك أكثروا الزنا والقتل والانتهاك فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد ان الذي تقول وتدعونا اليه لحسن أو تخبرنا بأن لما عملنا كفارة فنزلت الآية ونزل ﴿ان الذين لا يدعون مع الله﴾ الى ﴿يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ يبدل شركهم ايماناً وزناهم احصاناً.

وقال عطاء بن يسار: بعث رسول الله ﷺ الى وحشي يدعوه الى الاسلام وقيل بعد ما طلب التوبة وهو قاتل حمزة رضي الله عنه فعلى الأول فأرسل كيف تدعوني وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنى (يلق آثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة) وانا قد فعلت ذلك كله فنزل (الا من تاب) الخ فأرسل اليه بها فقال هذا شرط شديد لعلي لا أقدر عليه فهل غير ذلك فنزل (ان

الله لا يغفر أن يشرك) الخ فكتب اليه بها فقال أرانى بعد في شبهة فلا أدرى أيغفر لي أم لا فنزلت (قل ياعبادي) الخ فكتب اليه بها فقال وحشي نعم فجاء فأسلم وكذلك على رواية من قال انه طلب التوبة الا قوله كيف تدعوني فانه قال أريد التوبة وأنت تقول كذا ونزلت الآية.

وكذلك روي عن ابن عباس وقال ابن اسحق نزلت هذه الآية في عياش ابن ربيعة والوليد ابن الوليد وهشام بن العاص ونفر كانوا أسلموا ثم فتنوا وعذبوا في مكة ولم يهاجروا فافتتنوا وظنوا انه لا توبة لهم فنزلت وقيل كانت الصحابة يقولون لا يقبل صرفهم ولا عدلهم أسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا به فنزلت وذلك قول عمر وكتبها بيده الى عياش والوليد وكذا قال ابنه والنفر وقيل الى هشام فاسلموا وهاجروا وقال قوم نزلت في كفار قالوا ما ينفعنا الاسلام وقد زنينا وقتلنا النفس وأتينا كل كبيرة وقيل قال أهل مكة يزعم محمد ان من عبد الأوثان وقتل النفس لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد فعلنا ذلك.

وعن ابن عمر قال: كنا معشر أصحاب رسول الله ﷺ نرى أو نقول ليس شيء من حسناتنا الا وهو مقبول حتى نزل (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) فقلنا: ما هذا الذي يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر فكنا اذا رأينا من أصاب شيئاً منها قلنا هلك فنزلت الآية فكففنا عن القول في ذلك وكنا اذا رأينا أحداً أصاب شيئاً من ذلك خفنا عليه وان لم يصب منها شيئاً رجونا له ومما يدل على أن الشرط التوبة انه قيل لرسول الله ﷺ بعد قوله: «ماأحب أن لى الدنيا بما فيها بهذه الآية ومن أشرك فسكت ساعة ثم قال الا من أشرك ثلاثاً» رواه ثوبان وقدم لفظ العباد الدال على الخضوع المقتضي للترحم وأضافهم لنفسه وأكد بأن ذكر لفظ الله مع أن المقام للاضمار وأعاد (إن الله يغفر الذنوب جميعاً) مع أن قوله (لا تقنطوا) الخ كاف وقال (جميعاً) مع أن (إن الله يغفر الذنوب) كاف تأكيداً قيل وقرأ رسول الله وفاطمة (يغفر الذنوب جميعاً ولا يبالى) قال على وابن مسعود وابن عمر هذه

أرجى آية في القرآن ودخل ابن مسعود المسجد فاذا بقاص يقص يذكر النار والأغلال وقام على رأسه فقال لم تقنط الناس ؟ ثم قرأ (الآية) ومذكر منادى بمحذوف أو خبر لمحذوف أي يا مذكر أو أنت مذكر وقال ﷺ كان في بنى اسرائيل رجل قتل تسعاً وتسعين انسانا وخرج فسأل راهباً هل لي من توبة فقال لا فقتله وجعل يطوف يسأل فقال له رجل ائت قرية كذا فأدركه الموت في الطريق فاختصمت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله الى هذه أن تقربي والى هذه أن تباعدي وقال قيسوا ما بينهما فوجد أقرب الى هذه بشبر فغفر له وفي رواية لما قتل ذلك الراهب سأل عن أعلم أهل الأرض فسأله فقال نعم لك توبة ومن يحول بينك وبينها انطلق الى أرض كذا فان بها اناساً يعبدون الله فاعبد معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق وتوسط الطريق فمات فاختصمت الملائكة فقال الله قيسوا وأمر جهة القرية أن تقرب وقيل قال لهم ملك في صورة آدمي قيسوا فوجدوه أدنى الى أرض القرية بشيء فتولاه ملائكة الرحمة وذلك لا يصح في شرعنا بل يقود نفسه ويعط الديات فان نفد ما عنده وقد تاب نصوحاً أرضى الله عنه الخصماء وقال ﷺ«أسرف رجل على نفسه» وفي رواية «لم يعمل حسنة قط فلما حضره الموت قال لبنيه اذا مت فأحرقونى ثم اطحنوني ثم ذروني في الريح فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبنى عذاباً ما عذبه أحداً ففعلوا فأمر الله الأرض أن تجمع ما فيها ففعلت فاذا هو قائم فقال ما حملك على ما صنعت؟ فقال: مخافتك أو خشيتك فغفر له بذلك قلت وذلك اختصاص من الله به والا فالأمر بالاحراق معصية مات عليها وشكه في قدرة الله على احضاره جهل كبير ان لم يخلق الله فيه من العقل الا ما يفهم به انه اذا أحرق وطحن وذر لم يمكن جمعه فلم يؤاخذه الله.

وقال ﷺ: «كان في بني اسرائيل رجلان متحابان أحدهما مذنب والآخر مجتهد فكان يقول للمذنب أقصر فوجده يوماً على ذنب فقال له اقصر فقال له خلني وربي أبعثت عليّ رقيباً فقال والله لا يغفر الله لك أو لا يدخلك الجنة وماتا فجمعهما فقال للمجتهد أكنت على ما في يديّ قادرا اذهب الى

النار وقال للمذنب اذهب الى الجنة وذلك لتوبة المذنب قبل موته وموت المحتهد على كبيرة عظيمة هي الاقناط من الرحمة والقطع بالنار لمن فتح له باب التوبة من غير أن يشترط عدم التوبة وفي الحد يث القدسي: [يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان ولا أبالي] ـ وما الأولى ظرفية مصدرية ـ [يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء أي سحابها أو ما بدا لك منها ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم انك لو أتيتني بقراب الأرض أي ما يقارب ملئها بضم القاف خطايا ثم لقيتني لاتشرك بى شيئاً أتيتك بقرابها مغفرة].

قلت لا يخفي ان مجرد الاستغفار انما يكفي في الذنب بين العبد وربه وان الشرك وغيره من المعاصي الكبار سواء في اشتراط التوبة لغفرها وما أوهم أن غيره يغفر بلا توبة فانه مجرد الاشعار بعظم الشرك ﴿وأنيبوا الى ربكم﴾ ارجعوا اليه بالتوبة والطاعة ليغفر لكم هذا وأنت خبير بأن تلك الآية السابقة وان نزلت في شأن الخصوص فالمراد العموم والعبرة بعموم اللفظ* ﴿وأسلموا له﴾ اخضعوا له وأخلصوا العمل* ﴿من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون﴾ لا تمنعون عنه * ﴿واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم﴾ أي اتبعوا الأحسن وهو ما أنزل وهو القرآن أو أحسنه ما أمر به دون ما نهى عنه أو الغرائم دون الرخص أو الناسخ دون المنسوخ أو ما هو أنجى وأسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة واختاره القاضي (ومثله فيتبعون أحسنه) وذلك أن القرآن كله حسن وكله أحسن من غيره.

قال الحسن: الزموا الطاعةطاعة الله واجتنبوا معصيته فانه أنزل في القرآن ذكر القبيح ليجتنب وذكر الأدون لئلا ترغب فيه والأحسن لتؤثره وتختاره وتأخذ به وليس القرآن من حيث ما يدل بعضه أحسن من بعض وانما الأحسنية بالنظر لمصالح العبد وفي الأحاديث هو قرآن على أن بعضاً أحسن من بعض * ﴿من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة﴾ بسرعة وفجأة * ﴿وأنتم لاتشعرون﴾ لا تعلمون بمجيئه فتصلحوا ما أفسدتم ويحتمل أن يكون المراد

المبالغة في ذمهم فانهم لشدة غفلتهم يفاجئهم العذاب كانهم جماد لا يحس واحذروا * ﴿أن تقول نفس﴾ أو الاصل اتبعوا . . . الخ كراهة أن تقول آه احذروا أن تقول فحذف المضاف مفعولا لأجله أو الأصل لئلا تقول وحذف لام الجر ولا النافية واختار ابن هشام الأول لأن المحذوف كلمة واحدة وحذف المضاف من حديث البحر وحذف لا النافية قليل في غير جواب القسم الذي هو مضارع ونكر نفساً للاحتقار أو للتكثير لكثرة من يقول ياحسرتي كقوله*

ورب بقيـــع ان هتــفـــت بجـــــوه
أتـــانى كـــريم ينفض الرأس مغضبـــاً

أي كرام والبقيع الموضع الذي فيه أصول الشجر أصناف والجو ما بين السماء والأرض ويجوز أن يريد نفساً مخصوصة شديدة كفر تعذب عذاباً عظيماً أبهمها وزعم بعض أن التنكير للتقليل * ﴿يا حسرتا﴾ منادى مضاف لياء قلبت الفاء والكسر فتحاً فالألف ضمير خفض نص عليه المرادي وبسطته فيما كتبت عليه وقرىء (ياحسرتي) بالياء على الأصل وقرىء (ياحسرتاي) بهما قال الزمخشرى جمعاً بين العوض والمعوض عنه قلت بل الألف حينئذ زائدة للتكثير ومد الصوت والحسرة والندم والحزن والاغتمام على ما فات قال ﷺ : «الحسرة أن يرى أهل النار منازلهم من الجنة» ﴿على ما فرطت﴾ أي قصرت * ﴿في جنب الله﴾ أي في طاعة الله أو في حق الله.

وقال مجاهد : (في أمر الله) وقيل في ذات الله على تقدير مضاف أي في عبادة ذات الله وقيل: الجنب الجهة أي في جنب طاعته وقيل: في قرب الله أي في التقرب الى رحمته وقيل: في الجهة الموصلة الى رضاه فيقدر في جنب رضاه ويجوز كون الجنب الجهة والمراد كناية عن الحق ولا جهة هناك اذ لايوصف الله بها كما تقول زيد كثير الرماد ولو لم يكن عنده شيء من الرماد كناية عن جوده.

وقرأ ابن مسعود (في ذكر الله) وكذا حفصة وما مصدرية أى على تفـريطي أو اسم واقع على التفريط أي على التفريـط الـذي فـرطتـه أو على تفـريـط فرطته * ﴿وان كنت﴾ ان مخففـة أي اننى كنت * ﴿لمن الساخرين﴾ اللام للفرق بين الاثبات والنفي وفيها تأكيد أو ان نافية واللام بمعنى الا والجملة حال والساخرون المستهزئون بدين الله وكتابه ورسوله والمؤمنين.

قال قتادة : ألم يكفه تضييع طاعة الله حتى سخر من أهلها ؟!.

وروي انه كان في بنى اسرائيل عالم أتاه ابليس فقال له تمتع من الدنيـا ثم تب فأطاعه وأنفق ماله في الفجور فمات في أحسن لذاتـه فقـال (يـا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين ذهب عمري في طاعـة الشيطان وأسخطت ربي) قال ذلك نادماً حيث لاينفع الندم فحذرنا الله على أن نكون مثله * ﴿أو تقول﴾ عطف على تقول أي وتقـول النفس * ﴿لو﴾ حـرف شرط * ﴿ان الله هداني﴾ بلفظه فاهتـديت* ﴿لكنت من المتقـين﴾ للشرك والمعاصي أو للعـذاب لكنـه ليس من أهـل اللطف فيلطف بـه وأمـا الهداية بالاكراه فخارجة عن الحكمة ولا ثـواب لهـا وأمـا الـوحي فقـد كـان وأعرض عنه * ﴿أو نقول حين ترى العـذاب﴾ عياناً * ﴿لو﴾ حرف تمن ﴿أن لي كرة﴾ رجعة الى الدنيا مصدر (كرّ) دال على الـوحـدة * ﴿فأكون﴾ النصب في الجواب التمنى وهو دليل على أن (لو) للتمنى قاله بعض، وقـال ابن هشام: لا دليل فيه لجواز عطف مصدر (أكون) على (كرة) وجعل (لو) شرطيـة والجـواب محذوف أي لنجـوت من العـذاب أو نحـو هـذا * ﴿من المحسنين﴾ من المؤمنين أو من الـذين أحسنـوا اعتقـادا وفعـلا وهم المؤمنـون و(لـو) في ذلك لمنـع الخلـوي أي لابـد أن تقـول شيئـاً من ذلك لتحيرهـا ولاكتسابها العذر بما لا يغني لا لمنع الجمع لجواز أن تقول ذلك كلـه ﴿بلى﴾ رد لما تضمنه قوله (لو أن الله هداني) من النفي لان مضمـونـه ان الله منتف أو ليس واحداً لانهم في الدنيا يقولون هذا وما بعد بلى زيادة جواب أو هـو الجـواب لانـه يتضمن ان الله واحـد وان فسرنـا قـولـه: (لـو أن الله هـداني)

بقولك: ماهديتنى بالدلالة والوحي فظاهر طابقه الجواب وان قلنا معناه ما هديتني بالالجاء أو بالألطاف فمعنى اجابته ان هدايتنا لك انما هي الدلالة فقط وذلك ان (بلى) تقع في السلب لا في الاثبات الا قليلاً محتملاً للتأويل ﴿قد جاءتك آياتى﴾ أسباب الهداية وهي القرآن والوحي والنبي ﴿فكذبت بها واستكبرت﴾ قلت ليست من الله ولا اله أصلاً واستكبرت عن الايمان بها * ﴿وكنت من الكافرين﴾ بها أو كنت من الجاحدين لله ولو أقررت به لجحودك آياته وعدم قبولها وفتح الكاف والتاء مراعاة للمعنى وقرىء بكسرهن مخاطبة للنفس وانما أخر (بلى) وما بعدها مع انها جواب لقوله (لو ان الله هداني) لانه لو قدم على قوله أو تقول حين لزم الفرق بينه وبين قرينه وتقول (لو أن الله) وبين قول (نفس) ولو قدم على تقول (نفس) لزم تقديم الجواب أو على (تقول) (لو ان لى كرة) لزم ذلك والفصل بين (تقول نفس) وقرينيه ولو أخر (لو ان الله هدانى) الى ما قبل جوابه لفات الترتيب اللفظي المطابق للمعنوي فان التحسر على التفريط في الطاعة قبل الاعتذار بفقد الهداية وهذا الاعتذار قبل تمني الكرة ويصح أن يكون جواباً لقوله (لو ان الله هدانى) وقوله: (لو ان لي كرة) أو له فقط وذلك أن فيه معنى لم أتمكن في الدنيا من الاحسان فأجاب بأنك تمكنت لمحيبى آياتى وسلىّ نبيه صلى الله عليه وسلم وصبره بما يتضمن الوعيد لمعاصريه كغيرهم من أهل الكر وقال * ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله﴾ بأن قالوا ان لله ولداً وشريكاً أو قالوا الاشياء لنا ان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل * ﴿وجوههم مسودة﴾ مبتدأ وخبر والجملة حال من (الذين) والرؤية بصرية أو مفعول ثان والرؤية علمية وفي الكل يقين لانه اذا رآهم تيقن كما في الدنيا أو يقيناً زائداً والبصرية أولى بالمقام مع أن العلم أيضا يكون بالبصر في ذلك اليوم زيادة على كونه بتصديق الغيب قبله والرابط بين الحال وصاحبه أو بين المفعول الأول والثاني الهاء واسوداد وجوههم بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل أو بما ينالهم من الشدة فان الظاهر ان الاسوداد حقيقة قيل وهو مخالف لسائر أنواع السواد *

﴿أليس في جهنم مثوى﴾ أي موضوع ثوءه ورجوع أو اقامة * ﴿للمتكبرين﴾ عن الايمان والطاعة والاستفهام انكار أو تقرير على ما مر * ﴿وينجي الله﴾ وقرىء (ننجى) بالنون واسقاط لفظ الجلالة * ﴿الذين اتقوا﴾ الله أي أطاعوه أو الشرك والمعاصي أي حذروها أي ينجيهم من جهنم واسوداد الوجوه ذكر حالة المتقين ونجاتهم ليعادل حالة الكفار وشقاوتهم وذلك ترغيب فيها وترغيب عن تلك والاشياء تبين بأضدادها فوجوه المتقين مبيضة بل كلهم كالكافر مسود وخص الوجه لانه معطفه وموضع الزينة ﴿بمفازتهم﴾ مصدر ميمي أي بسبب فوزهم أي فلاحهم وظفرهم والمصدر يصلح للقليل والكثير وقيل مصدر ميمي بمعنى النجاة تخصيصاً بأنهم أقسامها وقيل العمل الصالح وعليه ابن عباس وسماها بمفازة أي فوز لانها سببه وقيل اسم مكان أي موضع الفوز أي بالطريق التى تؤدي بهم الى الفلاح أو النجاة وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائى والكوفيون (بمفازاتهم) جمع مؤنث سالم مطابقة لجمع المضاف اليه وتصريحاً بأن لكل متق مفازة وجعل الباء للسببية يغنى عن قول بعضهم بتقدير مضاف وان الأصل بسبب مفازتهم وهي متعلقة بـ (ينجيّ) ولا تعلق بـ (يمس) الا على القول انه لـلا صدر بلا وجملة ﴿لايمسهم السوء﴾ حال مطلقاً من (الذين) أو استئناف لبيان (المفازة) ان لم تعلق الباء به أي لا يصيبهم مكروه * ﴿ولا هم يحزنون﴾ وذلك هو فوزهم بمكانهم من الجنة لا يصيبهم سوء ولا حزن وهذه الاسمية معطوفة على الفعلية (فلا) زائدة أو مستأنفة فلا نافية وذكر (لا) قبلها مغن عن تكرارها ولو كان هذه مستأنفة لان المعنى متصل * ﴿الله خالق كل شيء﴾ من ايمان وكفر وخير وشر وكل ما هو كائن دنيا وأخرى *

﴿وهو على كل شيء وكيل﴾ أي أن الاشياء كلها موكولة اليه في القيام بحفظها ولو لم يعتقد ذلكم الكفار لانه القادر على الحفظ أو معنى (وكيل) متولى التصرف فيها.

﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ أي مفاتيح خزائن السموات والأرض كناية عن كونه مالك أمرها وحافظها وقادرا أن يعطي ويمنع حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذي يملك مقاليدها أي مفاتيحها ولانه لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وقيل: (مقاليد السموات) خزائن الرحمة والرزق والمطر ومقاليد الأرض النبات وقيل سأل عثمان النبي ﷺ عن الآية فقال: «يا عثمان ما سألني عنها أحد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير» أي له هذه الكلمات يوحد بها وينجد وهى مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المتقين أصاب خير السموات والأرض ولا ينال خير رحمة الآخرة الا المتقي وخير الدنيا يصيبه كل أحد.

قال ابن عباس: المقاليد المفاتيح وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه وقيل جمع (مقليد) وقيل جمع (مقلاد) قيل (من قلدت الشيء) لزمته وقيل جمع (اقليد) على غير قياس لزيادة الميم في الجمع عن المفرد و (إقليد) فارسي عربته العرب وصيرته عربياً كما يخرج المهمل عن الاعمال بالاستعمال مثل أن تسمي أحدا بدين أو تذكره وتريد لفظه وأصلها في الفارسية (أكليد) بالكاف ويجمع قياساً على (أقاليد) *

﴿والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون﴾ الأصل (وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون) واعترض بينهما ما يدل على أنه خالق الاشياء كلها وهو مهيمن عليها فلا يخفي عليه شيء من أعمال المكلفين وما يستحقون من الجزاء وأصل العبارة (ويهلك الله الذين كفروا بآياته) أو (يخسر الله الذين كفروا بآياته) وترك ذلك مع مطابقته (لينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم) للاشعار بأن العهدة في هلاك الكافرين بأنهم خسروا أنفسهم وفي فلاح المؤمنين فضل الله وليكون مصرحاً بوعد ومعرضاً بالوعيد كما هو عادة الكرماء ويجوز أن يكون قوله (والذين

كفروا) متصلاً معنى ولفظاً بقوله (له مقاليد) . . الخ فلا اعتراض بمكانه قيل : (له مقاليد السموات والارض) خلقاً وقبضاً وبسطاً والذين كفروا أن يكون الأمر كذلك أولئك هم الخاسرون فالمراد بالآيات دلائل قدرته واختصاصه بأمر السموات والأرض أو الكلمات السابقة في تفسير المقاليد وتعريف الطرفين للحصر وأكد ذلك بضمير الفصل أي (ما خسر الا الكافرون) * ﴿قل أفغير الله تأمرونيّ﴾ بفتح الياء عند نافع وابن كثير * ﴿أعبد أيها الجاهلون﴾ .

قال ابن هشام غير منصوب بـ (تأمروني) على اسقاط الخافض أي تأمروني بغير الله وأعبد في تأويل مد بصر اشتمال من غير الأصل أتأمروني بغير الله عبادته لان أصل (أعبد) (أن أعبد) فحذفت (أن) فارتفع الفعل كما يدل عليه (أعبد) بالنصب في قراءة وجاز (غير) مفعولا ثانياً لِـ (تأمر) مع أن ثانيه لا يكون ذا تأويل معنى من حيث أن الذات لا يؤمر بها لكونه قد أبدل منه اسم المعنى وهو العبادة والبدل هم المعتمد وحال محل المبدل منه انما قدرت لعبادة مضافاً اليه وهو الهاء ليكون رابطاً لبدل الاشتمال ويجوز أن يكون غير مفعول لـ (أعبدوا) (أعبد) غير مقدر بأن وجملة (تأمرونى) اعتراض للدلالة على انهم أمروه بعبادة غير الله بعد تلك الدلائل والوعيد وذلك أن قريشاً أمروه أن يستلم بعض آلهتم فيؤمنوا بالله ولقولهم ذلك مع قيام الدلائل وصفهم بالجهل مخاطباً لهم به واما أن يجعل (غير) مفعولا (لأعبد) ويقدر (ان) (فلأن) معمول الصلة لا يسبق الموصول وأما أن ينتصب بمجموع (تأمروني أعبد) لتضمنه معنى (تعبدونني) بضم التاء وفتح العين وكسر الياء مشددة أي (تصيرونني عابداً وتقولون لى اعبد) فجائز ولكنه تبقى قولة (أعبد) معطلاً لأنا لم نقدر (ان) أو جملة (أعبد) مفعول (تأمر) لتضمن معنى (تقول) و (غير) مفعول (أعبد) والاصل (أعبد) بصيغة الأمر وعبر بصيغة المضارع وتخفيف نون (تأمروني) قراءة نافع بنون

مخففة وفتح الياء وقرأ غيره بتشديدها ادغاماً لنون الرفع في نون الوقاية وقرأ ابن عامر بنونين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة وعلى قراءة نافع المحذوف نون الوقاية لانها ثانية وكسرت نون الرفع للياء وهو مذهب ابن هشام والمبرد والسيرافي والفارسي وابن جنى وأكثر المتأخرين وقال سيبويه واختاره ابن مالك ان المحذوف نون الرفع.

﴿ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ أي أوحيَ اليك والى الأنبياء قبلك هذا الكلام أي الى كل نبي ولذلك أفرد التاء وضميري عملك وتكون كما تقول (كسوت الزيدين جبة) أي كسوت كل واحد جبة غير جبة الآخر وكذلك قوله للنبي (لئن أشركت) غير قوله لآخر (لئن أشركت) أو المراد هذا الكلام كررته لهم أو متضمنة ولاتفاقه أعتبر واحداً كما تقول (كسوتهم جبة) وأنت تريد لبسها لواحد بعد واحد أو لئن أشركت الخ عائد الى قوله (اليك) ويقدر آخر لقوله الذين ويجمع أي (لئن أشركتم) الخ والخطاب للرسل لفظاً وللأمم معنى فهو تعريض بها لان الرسل لا يشركون وفائدة خطاب الرسل بذلك تهييجهم واقناط الكفار وتعظيم أمر الشرك والا فشركهم محال وكثيراً ما يفرض المحال لغرض.

وقال الزمخشري: (يكون غير مبال كقوله: (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً) يعنى على سبيل الالجاء لكن وجد الصارف واطلاق الاحباط من خصائصهم لان شركهم أقبح وحاشاهم عن الكبائر فلو أمكن وصدر منهم حبط ما مضى عملهم فلا يمهلون بعد الردة ولو تابوا ومقيد بعدم التوبة فاذا تابوا قبل وكذا من جعل كبيرة فانه ان كان سعيداً يوفقه الله للتوبة ويقبل حسناته السابقات واللاحقات كلها ويثيبه على ما في حال فسقه أو قبله من الحسنات وفي المرتد زلة يعيد ما مضى من فرائضه بعد غسل ثيابه وجسده ولو رجع في حينه الى الاسلام وقيل يعيد الحج فقط وقيل ان كانت شروطه حين الرجوع وقيل لا يعيد شيئاً والراجح عندنا بطلان

عمل المرتد فلا يثاب عليه ولو رجع بدليل الآية وأما من يرتد منكم عن دينه فالآية فالاحباط مرتب على الردة ودخول النار مرتب على الموت وجعل بعضنا المرتد عمداً والمرتد زلة سواء والبسط في غير السورة وعطف الكون من الخاسرين على احباط العمل عطف المسبب ولازم على سبب وملزوم واللام الأولى مشعرة بقسم محذوف والثانية للتأكيد واقعة في جوابه والثالثة مثلها لعطف جملتها على جملة الثانية و (يحبط) مفتوح الياء والباء وقرىء مضموم الياء مكسور الباء ونصب العمل أي ليحبطن الله والشرك وبضم الياء وفتح الباء و (العمل) نائب وبنون ونصب العمل*

﴿بل الله فاعبد﴾ الفاء زائدة و (الله) مفعول (أعبد) وقيل: لما أمروه باستلام آلهتهم قال لا تعبد ما أمروك به بل ان كنت عاقلاً فاعبد الله فحذف الشرط ويرده أن معمول الجواب غير (اما) لا يسبق الفاء الا نفس أداة الشرط وقدم المفعول للحصر أي لا تعبد الا الله فهذا رد عليهم وقال الفراء مفعول لمحذوف معطوف عليه بالفاء أي بل اعبد الله فاعبد والتكرير للتعظيم حق التعظيم أو بل وحده أي أفرده فاعبد.

قال ابن هشام: الفاء في نحو (بل الله فاعبد) جواب لأما مقدرة عند بعض وفيه اجحاف أي أن (اما) نابت عن (مهما يك من شيء) وأجيب بجواز حذف حرف النداء مع نيابته عن (ادعو) وزائدة عند الفارسي قيل ويبعده ان الزيادة خلاف الاصل مع وجود غير عاطفة عند غيره أي تنبيه فاعبد الله فحذف وقدم المنصوب لئلا تقع الفاء صدراً أي وللحصر قيل وفيه تعسف بحذف المعطوف عليه وتقديم المنصوب قلت لاتعسف*

﴿وكن من الشاكرين﴾ له على ما أنعم عليك به من جعلك سيد الخلق وغير ذلك وفيه اشارة الى موجب حصر العبادة فيه فانه اذا كان منعماً عليك حتى وجب شكره فلا بدّ أن تعبده وأن تفرده بالعبادة لانه المنفرد بالانعام عليك*

﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ أي ما عظموه حق عظمته حيث أشركوا به غيره وما عظموه في قلوبهم حيث وصفوه بما لا يليق وقرىء بتشديد الدال الأولى.

قال ابن عباس: نزلت في قريش مع الآيات قبلها ، وقال في قوم من اليهود تكلموا في صفات الله فألحدوا وجسموا وأتوا بكل تخليط، وقيل في رجل من أهل الكتاب أتى رسول الله ﷺ فقال : يا أبا القاسم بلغك أن الله سبحانه يحمل الخلايق على أصبع والأرضين على أصبع والشجر على أصبع فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه فنزل ذلك رداً عليهم حيث اعتقدوا ذلك على ظاهره ونزل

﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾ أي قادر على ذلك كقدرة أحدنا على ما يحمل بأصبعه فخاطبنا بما نتخاطب به لنفهم وقيل قال جبريل يا أبا القاسم ان الله يمسك السموات يوم القيامة على أصبع والأرضين على أصبع والجبال على أصبع والشجر والأنهار على أصبع والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يهزهم فيقول أنا الملك فضحك رسول الله ﷺ تعجب مما قال وقرأ تصديقاً لما قال ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ أما ضحكه ففرح باطلاعه على أن المقصود التمثيل للقدرة القاهرة وانه لا أصبع ولا كف وهذا كما تقول: (شابت لمة الليل) كناية عن ظهور الصبح لبياضه كالشيب ولا رأس لليل ولا شعر ولا لمة وانما ذلك تخييل وكثير من كلام الله ورسله على هذا فينزل به الجاهلون بعلم الاستعارة والكناية أو ضحك استهزاء بمن فهم ذلك على ظاهره بأن قد سمع ذلك قبل وفي رواية (ضحك حتى بدت نواجذه).

وروي عن رسول الله ﷺ : «يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهم بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك الجبار أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوي الارضين بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ؟ وفي رواية يقول أنا الله ويقبض أصابعه ويبسطها ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين

المتكبرون وفي رواية يقول: «أنا الله ويقبض أصابعه ويبسطها أنا الملك» وفي رواية يقبض الأرضين يوم القيامة وتكون السموات بيمينه ويقول أنا الملك وفي رواية يقبض الارض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض ولقد عظم عندي جهل بعض قومنا القائلين أنه يجب علينا أن نقف في ذلك بلا تكييف ونؤمن به مجملاً .

والحق عندنا معشر الاباضية أنه يجب تأويل ذلك بالقدرة على من خطر له وصفه بذلك أو سئل ولم يدر التأويل ويقول: ﴿ليس كمثله شيء﴾ ومن وصفه بذلك لظاهر القرآن وحمله على الحقيقة نافق؛ وقيل أشرك فان اليمين والشمال والجهة من صفات الخلق ولا سيما ما في الشمال من النقص والضعف بل ذلك كله كناية عن القدرة والهون كما يقدر أحدنا على قبض شيء بأصبعه أو يده ويهون عليه والكناية من باب المجاز؛ وقيل: لاحقيقة ولا مجاز وبسطتها في شرحي على شرح عصام الدين والمراد بالأرض الأرضون لان المقام للتفخيم ولمقابلتها بالسموات وللتقوية بجميعها ولو احتمل أن يكون تقوية لادخال أجزاء هذه الارض ما بدا وما خفي و (جميعاً) حال من (قبضته) أو من ضمير مستتر لانها بمعنى مقبوضة والقبضة مرة من القبض أما تسميته بالمصدر أو بمعنى المقبوضة كالقبضة بضم القاف أو تقدير مضاف أي ذات قبضة وجاء الحال منه على هذا الحذف الاضافة أو لان يعني أن الأرضين يبلغن قبضة واحدة من قبضاته أي قدراً قليلاً عنده كما تقول: (الجزور أكلة لقمان والقلة جرعته) و (يوم) متعلق بقبضته و(بيمينه) متعلق (بمطويات) وقرىء بنصب (قبضة) على الظرفية المكانية ولو كان محدوداً تشبيهاً بالمبهم فصاحب الحال ضمير الاستقرار في يمينه فان ذلك الظرف متعلق بمحذوف خبر وقرأ الحسن البصري (مطويات) بالنصب على الحال من ضمير الاستقرار فان يمينه حينئذ خبر وهذا قول الاخفش والفراء وابن مالك في التسهيل وشرحه، ومن منع تقديم الحال على عاملها الظرفي وهو جمهور البصريين عطف السموات على المستتر في (القبضة) لانها بمعنى

المقبوضة والفضل موجود على الأرض ومطويات عندهم حال من السموات فلا تعطف على الارض لان الحال لايجيء من المبتدأ فان عطف عليه فالحال من ضمير قبضته واختار ابن هشام مذهبهم والطي ضد النشر وخص اليمين لان طي الكتاب بها وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه قدرته وقيل مطويات بيمينه مغنيات بقسمه لأنه أقسم أن يغنيها وهذا القول الاخير ضعيف * ﴿سبحانه وتعالى﴾ بعيداً بعداً شديداً * ﴿عما يشركون﴾ أي عن الاشراك فما مصدرية أو عما يجعلونه له شريكاً فما اسم * ﴿ونفخ في الصور﴾ أي في القرن وهي النفخة الأولى * ﴿فصعق﴾ خر ميتاً من الفزع أو مغشياً عليه.

﴿من في السموات ومن في الأرض﴾ والمراد ما يشمل الدواب * ﴿الا من شاء الله﴾ حملة العرش وقيل اسرافيل وميكائيل وجبرائيل أما عزرائيل فآخر الخلق موتاً وقيل آخرهم جبرائيل والبسط في (النمل).

﴿ثم نفخ فيه أخرى﴾ نفخة أخرى أو مرة أخرى وهى النفخة الثانية ولا ثالثة ومن أثبت الثالثة قال الأولى للفزع والغشيان والثانية للموت والثالثة للبعث وقال ان الصعق الغشيان ولم يذكر الله الثانية عنده في الآية وهي نفخة الموت أو وارد فيها ولم يذكر الأولى وهى نفخة الفزع وذكر الثالثة التي ينفخها اسرافيل* ﴿فاذا هم قيام﴾ من قبورهم أو واقفون تحيراً ﴿ينظرون﴾ في الجهات نظر المبهوت اذ فاجأهم أمر عظيم وقيل: ينظرون ما يفعل بهم و (ينظرون) خبر ثان أو حال من ضمير قيام وأخرى نائب أي نفخة أخرى أو مرة أخرى أو النائب (فيه) وأخرى مفعول مطلق أي نفخة أخرى أو ظرفي مرة أخرى بالنصب وقرىء (قياما) على الحالية من (واو) ينظرون و(ينظرون) خبر.

وعن أبي هريرة: ما بين النفختين أربعون قالوا: عاماً ، قال: أبيت قالوا: يوماً قال : أبيت قالوا : ساعة قال : أبيت أي امتنعت من بيان ذلك لانه ليس مما تدعو اليه الحاجة وعنده علمه وقيل امتنعت أن أسأل النبي صلى الله عليه وسلم فلا علم عنده كما روي أنه لما سئل قال: لا أدري

والصحيح الأول وقد روي بينهما أربعون عاماً وينزل الله من السماء ماء كالمني ينبتون به كالبقل وكل ابن آدم يفنى الا عجم الذنب فمنه يركب يوم البعث والله قادر على خلقه واعادته لا من شيء * ﴿وأشرقت الأرض﴾ أي ضاءت وعظم ضوؤها وقرئ بالبناء للمفعول من شرقت بالضوء امتلأت به وأشرقها الله ملأها من الشروق بمعنى الاغتصاص امتلأت كما يمتلئ الحلق فيغتص ويشرق* ﴿بنور ربها﴾ أي بعدل ربها أطلق النور على العدل كما يطلق على القرآن ولا أزين للبقاع وأعمر لها من العدل يقال أشرقت الآفاق بعدل فلان وأظلمت بجور فلان وفي الحديث «الظلم ظلمات» وأضاف الرب لضمير الأرض اشارة الى أن الله هو الذي يعدل فيها وانما يجوز فيها غير خالقها ولانه العدل ولانه مزينها بالعدل أو المراد أنه يخلق فيها نوراً ويجوز أن يراد بالنور الحقيقة وبقدر مضاف أي (بنور عدل ربها) وزعم قومنا ان الله يتجلى للقضاء فتضيء به الارض ضوءا عظيما لا يتضار به كما يتضار بنور الشمس في اليوم الصاحى ويح قوم أثبتوا لربهم جهة ولوناً والمراد (الأرض) أرض المحشر * ﴿ووضع الكتاب﴾ (ال) للحقيقة أو للاستغراق أي صحائف الاعمال وقيل: اللوح المحفوظ لان فيه أعمال الخلق من المبتدي الى المنتهى وقيل الحساب.

﴿وجيء بالنبيين﴾ رسلا أو غير رسل ليشهدوا على أممهم ولهم ﴿والشهداء﴾ شهيد في سبيل الله يشهدون للأمم وعليهم؛ وقيل: يشهدون للرسل بالتبليغ وقيل: جمع شاهد كعاقل وعقلاء وهم أمة محمد ﷺ يشهدون بذلك وقيل الحفظة والأخيار وكونه جمع شاهد أولى من حيث المعنى والأول أولى من حيث صيغة الجمع وقد يقال جمع شهيد بمعنى الشاهد وقيل الشهداء الحفظة فقط.

﴿وقضي بينهم بالحق﴾ أي بالعدل والضمير للعباد كلهم أعني المكلفين وقيل: الحيوان كله حتى يقتص الجماء من القرناء * ﴿وهم لايظلمون﴾ لايزاد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم أو لا يزاد في ثوابهم أو عقابهم

على قدر أعمالهم أو على ما سبق به علم الله * ﴿ووفيت كل نفس ما عملت﴾ يحضر لها عملها فتجازى عليه أو يوصل اليها جزاء ما عملت و(ما) موصول اسم أو حرفي * ﴿وهو أعلم بما يفعلون﴾ من الشاهدين بأفعالهم لا يخفي عليه شيء منها ولا يفوته ولكن استشهد لهم لزيادة تبشير المؤمنين وافراحهم وزيادة تخويف الكفار واحزانهم * ﴿وسيق﴾ سوقاً عنيفاً مبني للمفعول من ساق يسوق * ﴿الذين كفروا الى جهنم زمراً﴾ أي (أمماً) كل أمة وحدها وقيل جماعات جماعة اثر جماعة على تماديهم في الضلالة والمفرد زمرة وقيل الزمرة الجماعة القليلة والاشتقاق من الزمر وهو الصوت لان الجماعة لا تجلو عنه أو من قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروءة.

﴿حتى اذا جاءوها فتحت أبوابها﴾ السبعة ليدخلوها وانما فتحت بعد مجيئهم لا قبله وأوقفوا بعد فتحها اذلالا لهم كما هو حال المسجونين يجاء بهم الى السجن فيوقفون يهددون وابقاء لحرها وحتى للابتداء وقرأ الكوفيون (فتحت) بالتخفيف على الأصل أما التشديد فللمبالغة.

قال ابن هشام وزعم الأخفش ان (اذا) جر (بحتى) * ﴿وقال لهم خزنتها﴾ توبيخاً وتعزيراً * ﴿ألم يأتكم رسل منكم﴾ من جنسكم وبعض منكم ظاهرون لكم تفهمون كلامهم لا من الملائكة أو الجن فتهابون ولا تفهمون وقرىء (ألم يأتكم نذر منكم).

﴿يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا﴾ (هذا) بدل من (يوم) أو مفعول (للقاء) مشاراً به للعذاب والمراد باليوم الوقت وهو وقت دخولهم النار وكثيراً ما يستعمل اليوم في مطلق الوقت ولا سيما أوقات الشدة ويصح خلافا للزمخشرى أن يراد يوم القيامة فان وقت دخولهم منه وقد أنذروا به وما يقع فيه واعلم انه لولا الرسل ما قطع عذر الكفار ولكن حيث وجد رسول قطع عذر من لم يكن على دين من طرق الانبياء ولو لم يبلغه دين ذلك النبي فأهل الفترة والجاهلية مقطوعو العذر لتقدم الأنبياء عليهم

السلام واما تعليل توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب فالتـأكيـد زيـادة في الحجة لانه لا تكليف الا بالسماع* ﴿قالوا بلى﴾ أتونا وتلوا علينا.

﴿ولكن حقت كلمـة العـذاب﴾ وجبت وكلمـة العـذاب قـول الله فيهم بالشقاوة وحكمه بها لسوء أعـمالهم وقيـل قـولـه: (لأمـلأن جهنم من الجنـة والناس أجمعين)* ﴿على الكافرين﴾ الأصل علينا وبه ينطقون كـما قـالـوا: (ربنا غلبت علينا شقوتنا) ووضع الظاهر موضعه ليصرح بالكفر اشعاراً بأنه علة كلمة العذاب وذلك أن قوله (ولكن) . . . الخ من كلامهم أما لو قلنـا من كلامه تعالى فالأصل عليهم وعبر بـالظـاهـر لمـا تقـدم * ﴿قيل ادخلوا أبواب جهنم﴾ أبهم القائل لعلمه مما مر وهو الخزنة أو لتهويل مـا يقـال لهم * ﴿خالدين فيها﴾ حال مقدرة أي مقدري الخلود وناوين له كما لابن هشام فيها لا في أبوابها والقول برجوعه للابواب لان منهـا الـدخـول أو لانهـا من جهنم على قـول مجـاز لا دليـل عليـه * ﴿فبئس مثـوى المتكبرين﴾ جهنم حذف لفظ المخصوص بالذم للعلم به وان قلت التعبير بـالمتكبرين انـما هـو ليفيد أن سبب دخولهم جهنم واقامتهم فيها هو التكبر فـان الأصـل (فبئس مثواهم) وعبر بالظاهر لذلك فينا في ما سبق دخولهم أن دخولهم لكون كلمة الله حقت قلت نعم عبر بالظاهـر ليفيـد أن التكبر سبب ولكنـه مـع سـائر مقابحهم مسببه عن كون كلمتـه (حقت) فكـان التكبر ونحـوه علـة للعلـة الأخرى التى هى كون كلمته حقت فلا منافاة والشقي ولو عمل بعمل أهل الجنة لابد أن يموت على عمل أهل النار والسعيد ولـو عمـل بعمـل أهـل النار لابد أن يموت على عمـل أهـل الجنـة و (ال) في فـاعـل (نعم وبئس) للجنس أو للعهد أطلته في النحو.

﴿وسيق الذين اتقـوا ربهم﴾ تسـاق مـراكبهم ويحث بهـا اسراعـاً الى دار الكرامة والرضوان فانها يذهب بهم راكبين وقيل يساقون بـأنفسهم راكبين أي يسرع بهم والتقوى علة بهذا الفوز* ﴿الى الجنة زمراً﴾ أمما أمة بعد أخرى أو جماعات بعضها اثر بعض على تفاوت مراتبهم شهداء وزهـاد وعلـماء وقـراء

وعباد * ﴿حتى﴾ ابتدائية لا جارّة لـ (اذا) خلافاً للاخفش * ﴿اذا جاءوها﴾ جوابها محذوف دل عليه (سيق) وأهلته لذلك غاية (حتى) الواو في قوله ﴿وفتحت﴾ للحال أي يساقون حتى يصلوها مفتحة لهم * ﴿أبوابها﴾ كذا يفهم من كلام بعضهم وذلك أن أبواب الجنة قبل المجيء كمنازل أفراح وسرور ويحصل بوجودها مفتوحة فرح يعلمه الله بخلاف أهل النار يجدون أبواب جهنم مغلقة وبوجودها كذلك يحصل لهم ذل وهوان لا رجاء يغنيهم يومئذ بدخولها.

وقال المبرد: جواب (اذا) محذوف بعد (خالدين) أي سعدوا وقيل تقديره (فادخلوها) فحذف لدلالة الكلام وقيل: قال لهم خزنتها وزيدت فيه الواو وقيل: (فادخلوها) المذكور وقيل فادخلوها محذوف أو على تقدير الجواب ادخلوها يقدر القول أي يقال لهم وقيل حذف ابهاماً ولا يعرف ولا يحيط به الوصف وقيل الجواب فتحت وزيدت الواو ويدل له اسقاطها في كتاب ابن مسعود وقيل كذلك ولكن زيدت لتدل على الثمانية فان أبواب الجنة ثمانية فهي واو الثمانية ولم تزد في آية النار لان أبوابها سبعة والعرب تعطف بالواو ما فوق السبعة لان السبعة عدد تام وما فوقه عدد آخر.

قال ابن هشام: لو كان لواو الثمانية حقيقة لم تكن في الآية منها اذ ليس فيها ذكر عدد البتة بل ذكرت الأبواب جملة لا عدداً ولانها لم تدخل على الأبواب بل على جملة هي فيها وقد مر انها مفخمة عند قوم وعاطفة عند آخرين .

وقال المبرد والفارسي وجماعة : واو الحال . وقيل: واو الثمانية ، وذلك أن من عادة قريش انهم يعدون من الواحد فيقولون: خمسة، ستة، سبعة والثامن أو ثمانية وتكون السبعة عددا تاماً ان العدد اما فرد أو مركب من فردين أو من زوج وفرد وذلك موجود في الثلاثة أو من زوجين وهذا في الثلاثة والأربعة سبعة فتمت بها الاحوال وما فوقها تكرار لذلك فالثمانية زوج وزوج والتسعة زوج وفرد وقيل وجهه ان السموات سبع والأرضين سبع

والأيام سبع والاشواط سبع والسعي سبع والجمرات سبع وغير ذلك أبواب النار وانما زادت الجنة لغلبة الرحمة على الغضب والتوجيهان ضعيفان في اثبات اللغة وورد أن أول من يفتح له باب الجنة نبينا ﷺ فلو كان الفتح قبل المجيء اكراماً لوجدها مفتوحة وأجيب بأنه لو وجدها مفتوحة لفات التنبيه على مقامه واظهاره بكلام رضوان فانه يقرع ويقول له رضوان بك أمرت ولا أفتح لأحد قبلك فكان الفتح عند مجيئه أولا اشارة الى أنه المراد وغيره تابع ثم تستمر مفتوحة افراحاً للمؤمنين ولان من فيها من الحور والولدان يتشوقون الى أهلها فتفتح قبل مجيئهم استبشاراً وتطلعاً اليهم أو الأبواب التى تفتح قبل مجيئهم أبواب منازلهم في الجنة وأما باب الجنة فلا يفتح الا بعد قدومه ﷺ وهذا أثبته الدماميني والأول أولى وقرأ الكوفيون بتخفيف (فتحت).

﴿وقال لهم خزنتها سلام عليكم﴾ * أنتم سالمون من كل مكروه بعدما حيوهم بما تضمن البشارة بالسلامة من الآفات ويشمل السلامة أيضاً من آفات المحشر * ﴿طبتم﴾ قال ابن عباس: طاب لكم المقام وقيل طهرتم من دنس المعاصي وقيل اذا نجوا من النار حبسوا بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض حتى اذا هذبوا وطيبوا ادخلوا الجنة فيقول لهم رضوان وأصحابه (سلام عليكم طبتم) وهذا الاقتصاص زيادة تطهير والا فقد ماتوا وهم موفون أو من القصاص الأخروي مثل أن تكون على مسلم تبعة نسيها مثل ضربة وقد تاب نصوحاً ونسيها وقيل طبتم أعمالا ونية ومستقراً وجزاء * ﴿فادخلوها خالدين﴾ مقدرين الخلود كما مر والفاء سببية أي ادخلوها بسبب طيبكم وما طاب واحد منا معشر العصاة الا بتطييب الله له وقال علي: اذا سيقوا اليها وجدوا عند بابها عينين تحت الشجرة يشربون من احداهما فيطهر باطنهم بعدما يغتسلون من الأخرى فيطهر ظاهرهم وتتلقاهم الملائكة على أبواب الجنة قائلين: (سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين).

﴿وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾ بالجنة * ﴿وأورثنا الأرض﴾ أرض

الجنة وظاهر بعض أن اطلاق الأرض عليها مجاز وايراثهم اياها تمليكهم اياها وعبر بـ (أورث) اشارة الى انهم أتاهم ذلك مخلفاً من أعمالهم كما يموت رجل ويخلف ماله أو الى انهم يتصرفون فيها كتصرف الوارث فيما ورث أو ورثوا عن أهل النار أماكنهم؛ قيل: وجملة (قالوا) معطوفة على (ادخلوها) المحذوف المقدر جواباً ﴿نتبوأ﴾ أي ننزل * ﴿من الجنة حيث نشاء﴾ لكل واحد منا جنة واسعة يتبوأ منها حيث شاء لا من جنة غيره لانه لا يحتاج لغيرها أو قالوا ذلك لان في الجنة مواضع مباحة لا يمنع واردها وقيل ان هذه الأمة يدخلون الجنة قبل الأمم فينزلون حيث شاءوا * ﴿فنعم أجر العاملين﴾ للصالحات والمخصوص بالمدح محذوف أي (الجنة) نظير (فبئس مثوى المتكبرين) وعبر (بالعاملين) لا بالضمير اشعاراً بأن سبب ذلك الفوز العمل والأجر الثواب. روي انه اذا شربوا واغتسلوا من العينين المذكورتين فلن تشعث رؤوسهم أبداً ولن تتغير جلودهم أبداً كما يدهن أحد بالدهن فتتلقاهم الملائكة على كل باب قائلين (سلام عليكم) الى (خالدين) ثم تتلقاهم الولدان يطوفون بهم يقولون أبشروا أعد الله لكم كذا ويذهب الغلام الى الزوجة يبشرها بقدوم الزوج فيقول جاء فلان باسمه في الدنيا فتقول أنت رأيته فيستخفها الفرح حتى تقوم على باب من منزلها ثم ترجع فيجيء فينظر الى تأسيس بنيانه بلؤلؤ أحمر وأبيض وأخضر وأصفر وكل لون ثم يجلس فينظر فاذا زرابي مبثوثة وأكواب موضوعة ثم يرفع رأسه فلولا أن الله أقدره لذهب بصره انما هو كالبرق ثم يقول (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) * ﴿وترى الملائكة حافين﴾ قاعدين على حافة العرش محيطين بها* ﴿من حول العرش﴾ أي من جانبه و (من) لابتداء الحقوق أو زائدة عند من أجاز زيادتها في الاثبات ومع المعرفة مطلقاً أو في نحو (قبل وبعد وحول) من الظروف.

﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ الجملة حال ثانية والأولى (حافين) فذلك من تعدد الحال أو حال من ضمير (حافين) فهي متداخلة والباء للمصاحبة متعلقة بمحذوف حال أي كائنين مع حمد ربهم وقيل الباء على أصلها أي

تسبيحهم بتأنٍ بحمد الله وفضله أو المراد لفظ الحمد أي يسبحونه بقولهم: (الحمد لله) قيل: يقولون: (سبحان الله والحمد لله) والظاهر؛ العموم أي يذكرونه بأوصاف جلاله .

فقد روي انهم يقرأون ﴿طه﴾ وغيرها وتسبيحهم تلذذ لا تعمد لعدم التكليف هنالك ولا مشقة لهم فيه بل تنعم وفي ذلك اشعار بأن أعلى درجات الأبرار وأعلى لذاتهم والاستغراق في ذكر الله وصفاته قاله القاضي * ﴿وقضي بينهم بالحق﴾ بين العباد بادخال بعضهم الجنة وبعضهم النار أو بين أهل الجنة بتنزيلهم منازلهم متفاضلين بقدر أعمالهم أو بين الملائكة باقامتهم في منازلهم بقدر تفاضلهم في العبادة ولا يقال ثوابهم الجنة بل رضى الله لعل الأصح وانما يتلذذون فيها بذكر الله وخدمة المسلمين * ﴿وقيل﴾ أي قال أهل الجنة المقضي بينهم أو الملائكة المقضي بينهم ولم يذكرهم للعلم بهم من المقام ومن شهرة التعظيم * ﴿الحمد لله﴾ على تمام وعده أو على قضائه * ﴿رب العالمين﴾ .

قال قتادة: ابتدأ الله الخلق بالحمد في قوله: (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض) وختم بالحمد في آخر الأمر وهو استقرار السعداء والأشقياء في منازلهم فنبه على حمده في بداية الأمور وخواتمها فمن هذه الأية جعل (الحمد لله رب العالمين) خاتمة المجالس والمجتمعات في العلم والقرآن والذكر والدعاء وجعل فاتحة كتابه (الحمد لله رب العالمين) فيه يبدأ وبه يختم اللهم بحق هذه السورة وبركة سيدنا محمد اخز الروم وغلب الموحدين والمسلمين عليهم وصلى اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم*


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة غافر

ســـورة ﴿غافـــــر﴾

وتسمى سورة (المؤمن) وسورة (الطول) وهى مكية قال الحسن : الا قوله: ﴿وسبح بحمد ربك﴾ لان الصلوات نزلت بالمدينة وقال ابن عباس وقتادة: الا قوله ﴿الذين يجادلون في آيات الله﴾ والتى بعدها الى قوله: ﴿لا يعلمون﴾. قيل نزلت في اليهود لما ذكروا الدجال وقيل في الحواميم كلها انها مكيات وآياتها خمس وثمانون وقيل اثنتان وثمانون وكلماتها ألف ومائة وتسع وتسعون وحروفها أربعة آلاف وتسعمائة وستون حرفاً (الميمات) في القرآن (الم) ميادين؛ الراءات (المر) بساتين و (الحاءات) مقاصير و(المسبحات) عرائس و (الحواميم) ديابيج و (المفصل) رياضات والخانات ما سوى ذلك فمن قطف من البساتين دخل المقاصير وشم الآس ولبس الديباج وتنزه في الرياض ودخل غرف الخانات قطعه ذلك عما سوى الله فقالوا من كتب السورة وعلقها زالت قروحه وغيرها.

قال ﷺ : «من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له» . وقال من قرأها الى (المصير) وآية (الكرسي) صباحاً حفظ المساء أو مساء حفظ الصباح وينبغى أن يقال: (يا غافر الذنوب اغفر لى يا قابل التوب اقبل توبتي يا شديد العقاب اعف عني ويا ذا الطول تطول عليّ بخير) وقال: «الحواميم ديباج القرآن» أي خلت من الأحكام وقصرت على المواعظ والزجر وطرق الآخرة محضاً وقال: «من أراد أن يرتع في رياض مونقة من الجنة فليقرأ الحواميم» وقال: «ان مثل صاحب القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلاً فمر باثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب اذ هبط على روضات دمثات فقال عجبت من الغيث الأول فهذا أعجب منه وأعجب فقيل ان مثل هذا الغيث الأول مثل عظم القرآن وان مثل هؤلاء الروضات الدمثات مثل الحواميم في القرآن» وقال: (لكل شيء لباب ولباب القرآن الحواميم) و (الدمث) السهل *

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حم﴾ الله أعلم وقيل اسم السورة خبر لمحذوف أو مفعول لمحذوف أو قسم وقيل حروف أقسم بها ، وقال ابن عباس: اسم الله الأعظم وقيل عنه (الر) و (حم) و (نون) حروف الرحمن مقطعة وقيل: (الحاء) افتتاح أسمائه (حكيم وحميد وحى وحليم و حنان) والميم افتتاح أسمائه (ملك ومجيد ومنان ومتكبر ومصور).

وقال الضحاك والكسائى ان (حم) تهجى لانها تصير (حُمَّ) بضم الحاء وتشديد الميم المفتوحة كأنه يقول (حُمَّ الأمر) أي (قدر ووقع وقضى ما هو كائن) ؛ ابن كثير وأبو عمرو بين الفتح والكسر والباقون بالامالة صريحاً وهي رواية ورش عن نافع وقرىء بفتح الميم وتسكينها بالفتح للتخفيف والكسر على الأصل في التقاء الساكنين أو الفتح نصب باضمار (اقرأ) ومنع الصرف للتأنيث والتعريف أو للتعريف وكونه على زنة أعجمى كقابيل وهابيل أو فتح نائب عن الجر على القسم أو نصب على نزع الخافض ووجه التعريف والتأنيث انه علم سورة * ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم﴾ بكل شيء والعزيز الغالب القادر وقيل لا مثل له ووصف نفسه بالعزة والعلم لما في القرآن من الاعجاز والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة * ﴿غافر الذنب﴾ ساتره وهو صفة ترغيب * ﴿وقابل التوب﴾ أى الرجوع الى الله وهو صفة ترهيب .

قال ابن عباس : غافر الذنب لمن قال: (لا اله الا الله) وقابل التوب لمن قال: (لا اله الا الله) * ﴿شديد العقاب﴾ لمن لا يقول: (لا اله الا الله). قلت: قابل توبة المشرك والمنافق شديد العقاب لمن مات منافقاً أو مشركاً وشديد العقاب صفة ترهيب * ﴿ذي الطول﴾ صفة ترغيب والطول بفتح الطاء الغنى والسعة وقيل الفضل والنعم وقيل الفضل بترك العقاب وأصله الانعام الذي تطول مدته على صاحبه والطول بضم الطاء ضد القصر .

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه افتقد رجلاً ذا بأس من أهل الشام فقيل له تتابع في هذا الشراب فقال عمر لكاتبه أكتب من عمر الى فلان سلام عليك وأنا أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم (حم تنزيل) الى قوله (المصير) وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحياً ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما أتته الصحيفة جعل يقرأها ويقول قد وعدني الله أن يغفر لي وحذرنى عقابه فلم يزل يرددها حتى بكى ثم نزع فأحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر أمره قال هكذا اذا رأيتم أخاكم قد زل فسددوه ووفقوه وادعوا الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشياطين عليه وانما أمرهم بالدعاء له ودعوا لجواز الدعاء بالهداية والتوبة لمن ليس في الولاية .

واشتهر عن جمهور الأصحاب المنع وانما الواضح أن لا يدعى له بغفران الذنب أو دخول الجنة ولو استلزمتها الهداية والتوبة وغير واحد من الأنبياء يقول (اللهم اهد قومي) وقومه مشركون وانما جاء بثلاث صفات للرغبة وبواحدة للرهبة متوسطة بين الثلاث دلالة على أن رجحان رحمته على غضبه واحاطتها به وانما قرن (قابل) بالواو التى تفيد مطلق الجمع ليفيد الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين أن يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وأن يجعلها محاة للذنوب كأنه لم يذنب كأنه قال جامع المغفرة والقبول أو قرنه بالواو المفيدة للمغايرة اشعاراً بتعدد النعمة غفر الذنب نعمة وقبول التوب نعمة أخرى مغايرة لتلك اذ ربما يتوهم الاتحاد والأصل في العطف التغاير ولأن الغفر الستر فيكون الذنب كذنب باق فأعقبه بالتوب لأنه يمحو الذنب والتائب من ذنب كمن لا ذنب له وكل من (غافر وقابل وذي) نعوت عطف ثانيها وهن معارف لان اضافة الكل محضة وليس المراد (بغافر وقابل) الدلالة على الحدوث بل المراد الثبوت ولو أريد (يغفر ويقبل) الآن أو غداً لكانت لفظية وهما صفتان مشبهتان من جانب الثبوت فقط وأما (شديد) فصفة مشبهة اضافته لفظية وكأنه منون والعقاب مرفوع فاعله فهو لكونه

نكرة بدل مقدم على نعت عند مجيز تقديمه وعليه الزجاج وعلى منعه وهو المشهور (فغافر وشديد وذي) ابدال على القول بجواز تعدد البدل أو كل بدل من الآخر قبله على قول جواز الابدال من البدل والكل مشتق الا (ذي) وفي ابدال المشتق خلاف منعه ابن هشام وان قلنا اضافة شديد محضة كما قيل فالكل نعوت ولولا هذه الاضافة بها فيها لأعرضنا الى النعت عن الابدال بالكلية ولما عرضت جعل من جعل الكل ابدالاً كما لو جاءت تفاعيل القصيدة كلها على (مستفعلن) الا جزءا واحدا جاء على (متفاعلن) حكمنا عليها بأنها من الكامل ولولا هذا الجزء لقلنا من الرجز ومن أجاز كون المنعوت وصفاً أجاز كون (شديد) بدلا و (ذي) نعته ثم انه يجوز ابدال النكرة من المعرفة مطلقاً وقيل ان كانت بدل كل كما هنا وقيل ان وصفت أو أفادت ما لم يفد البدل وفي جعل (شديد) بدل بين الصفات الفصل به ويعامله المجدد بينها وكونه هو المقصود دون الموصوف وفي وصفه ما يقتضي أنه المقصود حيث وصف بها قبل البدل وما بعده وأجاز بعضهم نعت المعرفة بالنكرة فيجوز كون (شديد) نعتاً ولو نكرة وقيل هو نعت على تقدير (ال) حذفت لمطابقة الصفتين قبلها والصفة بعدها وقيل نعت اكتفاء بكونه على صورة المعرفة ومما يسهل جعل الكل ابدالا لا من اللبس واما من جهالة الموصوف وأبسط من ذلك في حاشية شرح القطر لي وعن أهل الاشارة (غافر الذنب) فضلاً و (قابل التوب) وعداً (شديد العقاب) عدلاً.

﴿لا اله الا هو اليه المصير﴾ فرد أو تقديم اليه للحصر والمصير المرجع مصدر ميمي فمعناه الرجوع وانما يصار اليه ليجازى المطيع والعاصي وكونه الهاً واحداً يوجب الاقبال اليه بالكلية * ﴿ما يجادل في آيات الله﴾ بالباطل طعناً فيها وقصداً الى ادحاض الحق واطفاء نور الله * ﴿الا الذين كفروا﴾ بها عناداً لوضوح الحق ان الحق لا يخفي على ذي بصيرة ولو كان لم يعدم خلاف معاند واما الجدال فيها لايضاح ملتبسها وحل مشكلها واستنباط معانيها والرد على من زاغ كقومنا فجهاد عظيم في سبيل الله فيسهل الله له

سبيله ومعه الله لاحسانه فليخلص نيته ولهذا قال ﷺ «ان جدالاً في القرآن كفر» والتكبر جدال أي نوع من الجدال كفر وهو المذكور في القرآن قال أبو العالية آيتان ما أشدهما على الذين يجادلون في القرآن يعنى خوف الجدال المحرم قوله: (ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا) وقوله: (ان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد) وقال ﷺ : «المراء في القرآن كفر» وسمع قوماً يتمارون فقال: «انما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض وانما أنزل الكتاب يصدق بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوه وما جهلتم فكِلوه الى عالمه». وسمع رجلين يختلفان في آية فخرج فقال: « انما هلك من قبلكم باختلافهم في الكتاب» والفاء في قوله * ﴿فلا يغررك﴾ للسببية ووجهها ان الله شهد عليهم بالكفر لجدالهم شقاوة وأهل هوان فيجب على من تحقق ذلك أن لا يعتقد لهم فضلاً ولا يرجح لهم حالاً كأنه قال اذا كانوا كفاراً فلا يغررك ﴿تقلبهم﴾ اقبالهم وذهابهم بالتجارة النافعة والمكاسب المربحة والمزارع والمساكن أي يتصرفون بذلك ﴿في البلاد﴾ بلاد الشام واليمن وغيرهما كانت قريش يتقلبون فيها بأموال مصيرهم ومصيره الزوال وأمامه شقاوة الابد لجدالهم كفراً وانتقام منهم لعدم شكرهم على تلك الأموال والابدان أخذوا من غير حل ووضعوا في غير حل استعانوا على الكفر وقرىء فلا (يغرك) بعدم الفك بضم الراء مشددة أو فتحها أو كسرها وضرب فيهم مثلاً بقوله * ﴿كذبت﴾ .. الخ تسلية لرسول الله ﷺ وتصبيراً له وردعاً لهم أي يؤخذون عن قريب كما أخذ من قبلهم لتكذيبهم وجدالهم.

﴿قبلهم قوم نوح والأحزاب﴾ الذين تحزبوا وتجمعوا على رسلهم تكذيباً وجدالاً * ﴿من بعدهم﴾ أي بعد قوم نوح كعاد وثمود وفرعون وغيرهم ﴿وهمت كل أمة﴾ من قوم نوح والأحزاب بعدهم ﴿برسولهم﴾ وقرىء برسولها* ﴿ليأخذوه﴾ ليقتلوه ويهلكوه كما قال: (فأخذتهم). قاله ابن عباس وقتادة والعرب تقول للقتيل أخيذ وقيل: (ليأخذوه) ليعذبوه وقيل ليأسروه

يقولون فلان أخذ أي أسر * ﴿وجادلوا بالباطل﴾ بما لاحقيقة له* ﴿ليدحضوا﴾ أي يزيلوا ويبطلوا* ﴿به الحق﴾ الذي جاء به الرسل * ﴿فأخذتهم﴾ أى أهلكتهم وعذبتهم جزاء لهم وجدالهم أرادوا أن يكونوا آخذين فكانوا مأخوذين * ﴿فكيف كان عقاب﴾ تقرير وتعجيب بما صار فيهم فانكم تمرون على مساكنهم فتعاينون أثر الأخذ والاهلاك نزل بهم ماأرادوا نزوله بالرسل وقيل المراد أليس عقابي مستأصلاً لهم.

﴿وكذلك حقت كلمةُ ربك﴾ وعيده أو قضاؤه بالعذاب أو تحقق في الخارج ما قال وفي مصحف ابن مسعود (وكذلك سبقت كلمات ربك) أي (حقت كلمات ربك) *

﴿على الذين كفروا﴾ من قومك كما حقت على هؤلاء الكفار لأجل الكفر ﴿انهم أصحاب النار﴾ بدل اشتمال ان أريد بكلمات ربك الألفاظ بأن الألفاظ مشتملة على المعاني والمعاني سببتها وبدل كل ان أريد بها المعاني وهى الوعيد أو القضاء وأريد بالوعيد والقضاء الموعود المقصود وزعم القاضي أنه بدل كل ان أريد اللفظ واشتمال ان أريد المعنى ويجوز أن يكون على تقدير لام العلة أي لانهم وجمع (كلمات) قراءة نافع وابن كثير وقرأ الباقون بالافراد ﴿الذين﴾ مبتدأ ﴿يحملون العرش﴾ حمل حقيقة على الصحيح بأن الاصل الحقيقة ولا دليل على المجاز والدلائل كرواية كونه على عواتقهم وكواهلهم وكونه يحمل يوم القيامة بثمانية ثقلة وهو الآن أربعة والاصل حمل ذلك على ظاهره وكذلك حفيف الملائكة حوله حقيقة وزعم القاضي أن الحمل والحفيف مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن قربهم من رحمة ذي العرش ورضاه وتوسطهم في نفاذ أمره.

وقرأ ابن عباس (العُرش) بضم العين .

روي أن حملة العرش أقدامهم في الأرض السفلى ورؤسهم قد أحدقت بالعرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم أشد خوفاً من أهل السماء السابعة وأهل السابعة أشد من السادسة وهكذا وقال ﷺ : « أذن لي أن أتحدث عن ملك من حملة العرش ما بين شحمة أذنيه وعاتقه مسيرة سبعمائة

سنة وروي سبعمائة عام وبين أضلالهم وركبهم ما بين السماء والأرض وقال ﷺ «لا تفكروا في عظمة الله ربكم ولكن تفكروا فيما خلق من الملائكة فان خلقاً من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الأرض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وانه يتصاغر من عظمة الله حتى يصير كأنه الوضع وليس من حملة العرش كما لا يخفي».

وعن ابن عباس: حملة العرش ما بين كعب أحدهم الى أسفل قدمه مسيرة خمسمائة عام ويروى أن أقدامهم في تخوم الارضين أى أصولها والأرضون والسموات الى حجرهم وهم أفضل الملائكة والصحيح ان جبرائيل أفضل.

وقال ﷺ: «ان الله تبارك وتعالى أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلاً لهم على سائر الملائكة» أي ما خلا جبرائيل فيسلم وليسوا بأفضل منه وقالﷺ: «لعل لواحد منهم وجه رجل ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر ولكل واحد أربعة أجنحة جناحان على وجهه مخافة أن ينظر الى العرش فيصعق وجناحان يخفق بهما في الهواء والعرش جوهرة خضراء وهو من أعظم المخلوقات وبين كل قائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام وفي رواية «ثلاثين ألف عام» ويكسى كل يوم ألف لون من النور لا يستطيع أن ينظر اليه خلق من خلق الله والأشياء كلها فيه كحلقة في فلاة وبينه وبين السابعة سبعون ألف حجاب حجاب نور وحجاب ظلمة وهو قبلة لأهل السماء كالكعبة لأهل الأرض» ﴿ومن حوله﴾ العطف على (الذين) وحوله جانبه (والذين) حوله هم الكروبيون وعن بعضهم انهم أفضل الملائكة وساداتهم وأعلى طبقاتهم وأولهم وجوداً، قيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم أحد الا وهو يسبح بما يسبح به الآخر وفي رواية يدبر ويقبل صف واذا استقبل بعضهم بعضاً هلل هؤلاء وكبر

هؤلاء ومن وراء هؤلاء الصفوف سبعون ألف صف قيام أيديهم على أعناقهم وعواتقهم اذا سمعوا تكبير هؤلاء وتهليلهم رفعوا أصواتهم بقولهم سبحانك وبحمدك ما أعظمك وأحلمك أنت الله لا اله غيرك أنت الأكبر والخلق اليك كلهم راجعون .

وصرح بعض أصحابنا بمنع (ما أفعل) في صفات الله مثل (ما أعظمه) و(ما أحلمه) والصحيح الجواز لكثرة وروده في الحديث ومن وراء هؤلاء مائة ألف صف من الملائكة وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم أحد الا يسبح بتحميد لايسبحه الآخر ما بين جناحي أحدهم مسيرة ثلاثمائة عام وما بين شحمة أذنه الى عاتقه أربعمائة عام .

قال قومنا: واحتجب الله من الملائكة الذين حول العرش سبعين حجاباً من ظلمة وسبعين حجاباً من نور وسبعين حجاباً من در أبيض وسبعين حجاباً من ياقوت أحمر وسبعين حجاباً من زبرجد أخضر وسبعين حجاباً من ثلج وسبعين حجاباً من برد وما لا يعلمه الا الله عز وجل.

قلنا معشر الأباضية: من قال ذلك كفر لانه يلزم منه أن يكون مقابلاً للحجاب غير محتجب عنه والحجاب خلق ومرتفعاً به ومحتاجاً اليه ومحدوداً بحجاب وأمان يقال احتجب عن خلقه بمعنى امتنع من أن يراه ويقابله فجائز وان صح ذلك حديثاً فمعناه احتجب أمر عظيم من أموره بذلك والله يعلمه ما هو * ﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ ينزهونه عما لا يليق بجلاله ويعترفون بأنه المنعم على الاطلاق يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والاكرام ليس لهم كلام غير التسبيح والتحميد والتكبير والتمجيد.

قال ابن عباس: يقولون سبحان ذي العز والجبروت سبحان ذي الملك والملكوت سبحان الله الذي لا يموت سباح قدوس رب الملائكة والروح وينفون عنه الرؤية والملاقاة تعالى عنهما فايمانهم وايمان غيرهم بطريق النظر لا بالمعاينة والعبارة تقتضي أن الحمد حال والتسبيح أصل لان الحمد مقتضي حالهم والتسبيح مشعر به كذا قيل وجملة (يسبحون) خبر (الذين) *

﴿ويؤمنون به﴾ فائدة هذا مع علمه من التسبيح والحمد اظهار فضل الايمان وتعظيم أهله ومساق الآية لذلك وللاشعار بأن حملة العرش ومن حوله مع عظمهم آمنوا ولم يعاندوا وقيل قوله (ويؤمنون به) اطناب من حيث ان ايمانهم لا ينكره من يثبته وحسن ذكره اظهار شرف الايمان ترغيباً فيه ولقوله (يؤمنون) به فائدة أخرى وهي التنبيه على أن الأمر لو كان كما تقول الفرقة الضالة الواصفون الله بالجسم أن حملة العرش ومن حوله معاينون لله حاشاه لما وصفوه بالايمان أي التصديق وانما يوصف به الغائب ولما وصفوه به على سبيل الثناء علم أن ايمانهم بطريق النظر والاستدلال كغيرهم وقد راعى المناسبة بينهم وبين غيرهم في الايمان بغير المعاينة بقوله:

﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾ مع قوله ويؤمنون به كما تقول (زيد مذنب يستغفر للمذنبين) وحاشا الملائكة عن الذنب وتقول (زيد كان فقيراً ويرحم الفقراء) كأنه قيل (ويؤمنون ويستغفرون ممن كان في مثل حالهم وصفتهم) وفي الاستغفار (للذين آمنوا) تنبيه على أن الاشتراك في الايمان يجب أن يكون أدعى شيء الى النصيحة وأبعثه على تمحيص الشفقة وان تفاوت في الاجناس وتباعدت الأماكن هذا سماوي وذا أرضي وذلك ملك وذاك انسان ولعظمة الايمان قارن وجانس بين المتباعدين أشد التباعد وبين المعصومين عن الذنب والمذنبين كثيراً فلا أخوة أقوى من أخوة الايمان وهذا الاستغفار منهم عوض عن قولهم (أتجعل فيها من يفسد)... الخ وتدارك فينبغي لمن تكلم في أحد بما يكره أن يستغفر له ان كان أهلاً للاستغفار وينفعه بشيء ان لم يكن أهلاً له وذلك ان كان ذلك التكلم على وجه غير مقبول في الشرع واستغفارهم طلبهم المغفرة لذنوب المؤمنين وطلب الرحمة .

قال رجل لبعض الصالحين ادع لي واستغفر لي فقال له: تب واتبع سبيل الله يستغفر لك من هو خير منى وتلا الآية قال بعضهم: وجدنا أنصح العباد للعباد الملائكة وأغش العباد للعباد الشياطين وتلا الآية وزعم القاضي أن استغفارهم شفاعتهم وحملهم على التوبة والهامهم ما يوجب المغفرة والمراد بمن في الأرض في (ويستغفرون) لمن في الأرض مؤمنو من في الأرض وقيل

(يستغفرون) أيضاً للكافرين بمعنى طلب الهداية لهم وبين الاستغفار بقوله* ﴿ربنا﴾ الخ فلعله مفعول لمحذوف أي يقولون يا ربنا . . . الخ وهذا المحذوف في محل رفع خبر ثان للذين كما أن (يستغفرون) معطوف على الخبر أو على ما عطف على الخبر فهو في محل رفع أو ذلك المحذوف حال من (واو) يستغفرون وكما (يستغفرون) بما في الآية و (يسبحون) بما مر يفعلون بغير ذلك زعم شمر بن حوشب ان حملة العرش ثمانية أربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك قال وكأنهم يرون ذنوب بني آدم وزعم هارون بن رباب أن حملة العرش ثمانية يتجاوبون بصوت حسن فأربعة يقولون سبحانك وبحمدك على حلمك بعد علمك وأربعة يقولون سبحانك وبحمدك على عفوك بعد قدرتك * ﴿وسعت كل شيء رحمة وعلماً﴾ رحمة منصوب على التمييز المحول عن الفاعل أى ربنا وسعت رحمتك وعلمك كل شيء وانما حول الاسناد عن الرحمة الى الله للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم كأنه في ذات العلم ذاته العلم والرحمة الواسعان ولانه الفاعل لهما وقدم الرحمة لانها المقصودة بالذات هنا دون العلم وفي ذلك تنبيه على تقديم الثناء على الله لما هو أهله قبل المطلوب بالدعاء ولما ثنوا بذلك لمطلوبهم قالوا * ﴿فاغفر للذين تابوا﴾ أي الذين علمت منهم التوبة ففيه مراعاة للصفتين المذكورتين قبل الرحمة والعلم * ﴿واتبعوا سبيلك﴾ دينك الحق الذي جعلته طريقاً ودعوت العباد لسلوكه * ﴿وقهم عذاب الجحيم﴾ نجهم منه وهذا معلوم من قوله (اغفر للذين تابوا) ولكن ذكره تأكيداً واشعاراً بشدة العذاب بحيث نه يطلب التحفظ منه .

﴿ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم﴾ اياها ومن جاز الاتصال مع اتحاد الرتبة اذا وجد اختلاف ما أجاز تقدير وعدتهما وقرىء (جنة عدن) بالافراد ﴿ومن صلح﴾ بفتح اللام وقريء بضمها .

﴿من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم﴾ وقرىء وذريتهم بالافراد عن سعيد ابن جبير ان الرجل يدخل الجنة قبل قرابته فيقول: أين أبي أين أمي أين ابني أين زوجتي فيلحقون به لصلاحهم ولتنبيهه عليهم وطلبه اياهم واشتياقه

اليهم وقيل يقال له لم يعملوا عملك فيقول اني كنت أعمل لي ولهم فيقال لهم ادخلوهم الجنة فاذا اجتمع بأهله في الجنة كان أكمل لسروره ولذاته.

وأقول : أما هذا على ظاهره فلا يصح لانه لايدخل أحد بعمل أحد وقد قال المصطفي ﷺ لعمه وبنته وغيرهما (اعملوا لأنفسكم) وانما يلحقون به لصلاحهم كما قال ابن جبير ومعناه ان عملهم لا يدخلون به في ذلك الوقت لقصوره بل يبطىء بهم فيقال رحمة له ادخلوها الآن وقد سبق في علم الله دخولهم الآن فلم يخرج ذلك عن معنى الشفاعة.

﴿انك أنت العزيز الحكيم﴾ معنى العزيز الغالب الذي لا يمتنع عليه مقدور والحكيم الذى يفعل ما تقتضيه الحكمة ومما اقتضته الوفاء بالوعد فمعزته لا يفعل الا بالحكمة * ﴿وقهم السيئات﴾ أي احفظهم عما يسوءهم وهو عذاب الآخرة فالسيئات العذاب أو احفظهم عن المعاصي فلا يعصوك فالسيئات المعاصي دعوا بالمعاصي دعوا بأن لا يفعلوها لئلا يعذبوا والمراد بها : السيئات ويقدر مضاف أى عقوبة السيئات، والسيئات الصغائر أي تعذبهم عليها أو الكبائر أي كفرها عنهم بأن نوفقهم للتوبة وتقبلها وفائدة استغفارهم مع انهم تابوا أنه سبب قبول توبتهم أو زيادة الرحمة فذلك كالشفاعة فلا يقال لا فائدة له ووعد الله لهم بالغفر وهو لا يخلف الميعاد، قيل وقوله :

﴿ومن تقِ السيئات يومئذ﴾ أي يوم اذ كان في الدنيا دليل على أن المراد بالسيئات المعاصي والوقاية منعهم منها وعليه الرازي ولا دليل فيه لجواز أن يكون المراد ومن تقه العذاب أو (عقاب السيئات يوم القيامة) * ﴿فقد رحمته﴾ يوم القيامة بدخول الجنة أو أنعمت عليه في الدنيا بأن لا يدخل النار في الآخرة وان قلت ما فائدة (وقهم السيئات) بعد (وقهم عذاب الجحيم) ؟ قلت : التعميم بعد التخصيص فانه عام (وقهم عذاب الجحيم) خاص وطلب السبب وهو وقاية السيئات التي هي سبب وقاية عذاب الجحيم وسبب دخول الجنة بعد طلب المسبب وهو دخولها وذلك على أن المراد

بالسيئات المعاصي ووقايتها المنع منها أي التوفيق الى تركها* ﴿وذلك هو الفوز العظيم﴾ أي ذلك المذكور الذي هو الرحمة والوقاية أو كلاهما هو الفلاح والنعيم العظيم الذي لا ينقطع * ﴿ان الذين كفروا يُنادَون﴾ بفتح الدال عندنا بالبناء للمفعول أي تناديهم الملائكة يوم القيامة وفسر النداء بقوله :

﴿لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم﴾ فالجملة مفسرة أو هو مبني للفاعل فتضم الدال أي (ينادُون) الله والملائكة وأنفسهم فجملة (لمقت الله أكبر) مفعول أو نائب لمحذوف معطوف أومحذوف حال أي فيقال لهم أو فيقال (الله والملائكة) أو ينادون الله قائلاً والملائكة قائلين وعلى أنهم ينادون أنفسهم ينادون تكون الجملة تفسيراً أو مفعولاً للنداء انهم ينادون بناء على ان ما تضمن معنى القول ينصب الجمل وهو قول الكوفيين والمقت البغض وقيل أشده ومفعوله محذوف دل عليه أنفسكم أي لمقت الله اياكم في الدنيا اذ تدعون الى الايمان فتأبون أكبر من مقتكم أنفسكم الآن اذا وقعتم في النار باتباع هواهن وهن أمارات بالسوء وعن الحسن لما رأوا أعمالهم الخبيثة مقتوا أنفسهم فنودوا لمقت الله.

وقال مجاهد وقتادة وابن زيد: اذا دخلوا النار مقتوا أنفسهم وتناديهم ملائكة العذاب على جهة التوبيخ (لمقت الله اياكم في الدنيا اذ تدعون الى الايمان وتختارون عليه الكفر أكبر من مقتكم أنفسكم الآن) وقيل: معنى (مقت الله اياكم الآن أكبر من مقت بعضكم لبعض الآن) كما قال (يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً) واللام لام ابتداء للتأكيد واختار بعض انها في جواب قسم محذوف زيادة في التأكيد.

﴿اذ تدعون الى الايمان فتكفرون﴾ اذ ظرف متعلق بالمقت الأول ، قاله الزمخشري وفيه الفصل بين المصدر ومعموله بأجنبي وهو الخبر لانه لو كان معمولاً للمبتدأ متمما له لكان من جهة كونه مبتدأ لا من جهة كونه مصدرا

وبأجنبى آخر وهو من مقتكم أنفسكم وفيه الاخبار عن المصدر قبل تمام معموله ويجاب بانه نوسع في ذلك لان المعمول ظرف فجاز الفصل بينه وبين المصدر نص عليه ابن الحاجب فقول بعضهم وأقره شيخ الاسلام ان ذلك فيما اذا كان عامله قوياً وهو هنا ضعيف لكونه مصدراً مردوداً وقيل يتعلق(بمقت محذور فأدل عليه (لمقت) الاول وصوبه ابن هشام ولا يتعلق بمقتكم لانهم لم يمقتوا أنفسهم اذ دعوا بل حين رأوا العذاب اللهم الا أن يعلق به على جهة التهكم والتنديم كأنه قيل أكبر من المقت الذي مقتم أنفسكم فى الدنيا اذ تدعون ولم يمقتوا أنفسهم فيها ولكن تهكم عليهم به قال تركتم مقت أنفسكم فى الدنيا على حد (الصيف ضيعت اللبن) ثم ظهر أنه يجوز تعليقه بمقتكم على معنى اذا صح كونكم تدعون أي مقتوا أنفسهم فى الآخرة وهى التي صح فيها عندهم انهم يدعون فى الدنيا الى ما ينجيهم وببعض تعليقه به على أن المراد بأنفسكم أمثالكم من المؤمنين فيكون (اذ) للدنيا أو للتعليل لمحذوف أي يفعل بكم ذلك الذى هو نداء الملائكة أو (الله) لهم بالمقت أو جعلهم منادين ومقت الله ومقتهم أنفسهم لانكم تدعون فتأبون* ﴿قالوا ربنا أمتنا﴾ موتتين * ﴿اثنتين وأحييتنا﴾ حياتين* ﴿اثنتين﴾ أو المراد فيهما مرتين اثنتين فهما مفعولان مطلقان أو ظرفان .

ذكره ابن هشام والاماتة الأولى خلقهم لا حياة فيهم ثم كانت وانما سماه اماتة لشبهه به أو كما يقال سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل أو كما تقول لحافر البئر ضيق فمها ووسع أسفلها وليس ثم كبر نقلت منه البعوضة الى صغر ولا صغر نقل منه الفيل الى كبر ولا وسع نقل منه فم البئر الى ضيق ولا ضيق نقل منه أسفلها الى وسع وانما أريد الانشاء من أول مرة على الصغر والكبر والضيق والوسع وذلك أن الصغر والكبر مثلاً جائزان في الأمر واحد من غير ترجيح فى قوة موجدها فاذا اختار الموجد الصانع أحدهما فقد صرفه عن الجائز الآخر حتى كأنه كان المصنوع كبيراً ثم صغره وكذا الضيق والوسع والاماتة الثانية اعدام حياتهم عند انقضاء آجالهم والحياة

الأولى اجراء الروح فيهم اى آجالهم والثانية البعث .
قاله ابن عباس ويدل له قوله تعالي: (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً) الخ وقال السدي : الحياة الأولى احياؤهم في قبورهم للسؤال والثانية احياء البعث والاماتة الأولى اخراجهم من الدنيا والثانية اماتتهم في قبورهم بعد السؤال ولم يعودوا للحياة التى في الدنيا لانهم بصدد ذكر ما انتبهوا به وذكر مواطن البلاء وقيل الحياة الاولى الحياة الدنيا والثانية احياء يوم القيامة والاماتة الاولى اخراجهم من الدنيا والثانية اماتتهم بعد السؤال ولم يعدوا أحياء السؤال لقصر مدته أو قيل احياء الدنيا والاحياء فى القبر مستمر الى البعث لا يموتون بموت الصعق داخلين فى قوله (الا ما شاء الله) واماتة خلقه بلا روح واماتة الاخراج من الدنيا أصح والفاء فى قوله * ﴿فاعترفنا بذنوبنا﴾ للسببية أي اعترفنا بذنوبنا لانا رأينا الحياتين والاماتتين لما رأوا تكرر الاحياء والاماتة علموا انه قادر على الاعادة كما قدر على الانشاء فأقروا انهم مسيئون فيما فعلوا واعتقدوا وقت لم يخشوا العاقبة فتخرقوا في المعاصي من انكار البعث وغيره ومعنى الآية كلها متصل بمعنى بغضهم أنفسهم لما تيقنوا العذاب ﴿فهل الى خروج﴾ من النار الى الدنيا لنطيع ربنا* ﴿من سبيل﴾ التنكير للتنويع أى الى نوع من الخروج سريع أو بطيء أم لا سبيل وهذا كلام من غلبة اليأس والقنوط قيل وجوابهم محذوف أي لا خروج وعلى هذا وعلى يأسهم وقنوطهم جاء قوله ﴿ذلكم﴾ العذاب الدائم الذي أنتم فيه وذلكم المقت الواقع منكم أو المنع من الخروج والزجر أو ذلك كله ﴿بأنه﴾ أي لأنه ﴿اذا دعي الله وحده﴾ بأن قيل لا اله الا الله وحده (حال) أي (منفرداً) واما كونه مفعولاً مطلقاً لحال محذوف ناب عنها أي نوحده توحيداً وحده * ﴿كفرتم﴾ بالتوحيد ﴿وان يشرك به﴾ بنحو اللات والعزى * ﴿تؤمنوا﴾ بالاشراك * ﴿فالحكم لله﴾ المستحق العبادة حيث حكم عليكم بالعذاب الدائم * ﴿العلي﴾ الشأن* ﴿الكبير﴾ المتعال عن أن يشرك به والذي يطابق كبرياؤه أن يكون عقابه كذلك لا التى كنتم تشركونها ولم يأخذ

أصحاب العلم قولهم (لا حكم الا لله) من الآية فان المراد بالحكم فيها حكمه على أهل النار لأن أريد العموم لفظاً ومعنى وأريد المعنى الخصوص واللفظ يقضي بالعموم والعبرة به لا بخصوص السبب وعلى كل حال فالحق مع من قال (لا حكم الا لله) فان غيره لا يحكم الا فيما لم يحكم فيه وأما ما حكم فيه فلا معقب لحكمه.

﴿هو الذي يريكم آياته﴾ دلائل توحيده من الريح والسحاب والرعد والبرق وغير ذلك لتوحدوه وتمتثلوا أوامره وتنتهوا عن مناهيه.

﴿وينزل لكم من السماء رزقاً﴾ مطراً سبباً للرزق وريحاً سبباً لصلاح الاثمار وحراً وبرداً كذلك وغير ذلك من أسباب الرزق والماء نفسه رزق أيضاً * ﴿وما يتذكر الا من ينيب﴾ أي وما يتعظ ويعتبر بآيات الله الا من يتوب من الشرك ويرجع الى الله والمعاند لاسبيل الى تذكره واتعاظه لانهماكه فى التقليد والاتباع بخلاف من أقبل اليها وتبع الدليل فان يجزم بالحق* ﴿فادعوا الله﴾ أي اعبدوه * ﴿مخلصين له الدين﴾ من الشرك وان غاظ ذلك أعداءكم وهم الذين ليسوا على دينكم كما قال * ﴿ولو كره الكافرون﴾ أي المشركون * ﴿رفيع﴾ خبر ثان لهو أو خبر لمحذوف * ﴿الدرجات﴾ أي الصفات وعظم الصفات صفة معقولة أثبتها دلالة على الوحدانية فانه مرتفع الصفات عما سواه كله فلا شيء يشاركه فى الربوبية فرفع الدرجات كناية عن علو شأنه وقيل (رافع) درجات الأنبياء والأولياء والعلماء فى الدنيا والآخرة.

وقال ابن جبير : سماء فوق سماء والعرش فوقهن وقيل مصاعد الملائكة الى أن تبلغ العرش وهو دليل عزته وملكوته وعلى الأول فانما عبر بالدرجات افهاما للسامعين وقيل مصاعد الملائكة الى السموات وقرىء (رفيعَ) بالنصب على المدح * ﴿ذو العرش﴾ خبر آخر دليل محسوس على الوحدانية فان من كان العرش الذي هو جسم عظيم السموات والكرسي والأرضون فيه كالدنانير فى الفلاة وقبضته لا يصح أن يشرك به وهو كامل القدرة حتى انه (ذو العرش) أي مالكه وخالقه وخص العرش بالذكر لانه أعظم*

﴿يلقي الروح﴾ خبر آخر للدلالة على أن الروحانيات أيضاً مسخرات لأمره باظهار آثارها وهو الوحي فى تمهيد النبوة بعد تقدير التوحيد .

قاله القاضي وأقول الالقاء الانزال والروح الوحي القرآن وغيره مما لم يتل. قاله الضحاك وقال السدي الروح النبوة ومكانتها ويجوز أن يكون الروح عاماً لكل ما ينعم الله به على عباده المهتدين في تفهم الايمان والمعقولات الشرعية وقيل الروح جبرائيل وسمى ذلك كله روحاً لان النفع به كالنفع بالروح فى البدن وبه تحيا الأرواح * ﴿من أمره﴾ بيان للروح على أن الروح الوحي لانه أمر بالخبر ومبدئه والآمر بالمد هو الملك المبلغ أو يتعلق بـ(يلقي) مطلقاً وقيل (من) بمعنى الباء. قال ابن عباس: أمره قضاه قال بعض ان جعلت الأمر جنساً للامور (فمن) للتبعيض أو (لابتداء الغاية) وان جعلنا الأمر من معنى الكلام (فمن) إما (لابتداء الغاية) أو بمعنى (الباء) * ﴿على من يشاء من عباده﴾ هو الأنبياء على أن الروح الوحي أو جبرائيل أو النبوة أو الصالحون كلهم على أن الروح ما أنعم الله به عليهم فى الايمان ﴿لينذر﴾ علة للالقاء ﴿يوم التلاقِ﴾ أي ليخوف من ألقى الله عليه الروح الناس بيوم تلاقي أهل السماء والارض والارواح والاجساد والعابدين والمعبودين والظالم والمظلوم ومعنى ملاقاة المعبود كالذي في (ومن كان يرجو لقاء ربه) لكن لقاء بعض لقاء خير ولقاء بعض لقاء شر وقيل يلتقى الخالق والمخلوق وقيل الظالم والمظلوم وقيل المرء وعمله ويؤيد عود ضمير (ينذر) الى (لام التعليل) والقرب وقيل يعود الى (الله) وقيل الى (الروح) قيل واذا فسر الروح بما أنعم به على المسلمين فالضمير (لله) لا (لمن) وقرىء (لتنذر) بالتاء الفوقية خطاباً للنبي أو ارجاعاً للروح لانها تؤنث. وعن بعضهم انها قراءة الجمهور وان الياء التحتية قراءة أبيّ بن كعب وجماعة وقرىء (لينذر يوم) بالياء للمفعول والتحتية ورفع (يوم) وقرىء باسقاط ياء التلاقي * ﴿يوم﴾ بالنصب بدل من يوم الأول واذا رفع الأول رفع * ﴿هم﴾ مبتدأ * ﴿بارزون﴾ خبر والجملة مضاف اليها (يوم بروزهم) ظهورهم بالخروج من

قبورهم أو كونهم لا يسترهم جبل ولا أرض ولا بناء ولا غيره لأن الأرض اذ ذاك قاع صفصف لا عوج فيها ولا أمتاً أو انكشافهم لا ثياب عليهم كما جاء فى الحديث يحشرون حفاء عراة عزلاً أي لا سلاح معهم وبروز أعمالهم وسرائرهم أو لكونهم فى أرض براز يسمعهم الداعى وينفذهم البص أو جميع ذلك.

﴿لا يخفى على الله منهم شيء﴾ من أعيانهم وأعمالهم وأحوالهم وهم يصيرون بحال لا يتوهمون فيه ما يتوهمون فى الدنيا من انهم لا يراهم الله اذا استتروا بالحيطان والحجب وان الله لا يعلم كثيراً مما يعملون ففائدة ذلك ازالة توهمهم على أنه لا ساتر هناك وبيان وتقرير لبروزهم ﴿لمن الملك اليوم﴾ ؟ أي تنطق الحال بهذا السؤال أي تدل عليه وتشعر كما تقول نطق الحال ولا نطق حقيق وتجيب بقوله ﴿لله الواحد القهار﴾ لخلقه والحال أبداً مشعرة بتخصيص الملك لله وخصت تلك الحال بزوال الاسباب وارتفاع الوسائط أي زوال ما به يدعي المشركون الشركة وقيل يقول الله (لمن الملك اليوم) أي يخلق هذه الالفاظ فتسمع أو ينادى بها ملك فيسكت الله العالم هيبة فيقول (لله الواحد القهار) بأن يخلق هذه الألفاظ فتسمع أو يقولها ملك وقيل يقول ذلك فيجيبه أهل الجنة (لله الواحد القهار) وقيل يجيبه أهلها تلذذاً لانهم كانوا يقولونه في الدنيا ونالوا به الدرجة الرفيعة في العقبى وأهل النار على سبيل الذل والصغار والندامة حيث لم يقولوه فى الدنيا وقيل يجمع الله الخلائق يوم القيامة فى صعيد واحد بأرض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فأول ما يتكلم به (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) وقيل اذا أفنى الله الخلق قال: (لمن الملك اليوم)فلا مجيب ويقول: (لله الواحد القهار) أي لخلقه بالموت ثم أعلم أهل الموقف أن اليوم يوم جزائكم بقوله:

﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت﴾ خيراً أو شراً قيل هذا دليل ان على المنادى بفتح الدال هو المجيب والآية نتيجة لكون (الملك لله) فيجزيها فى ذلك اليوم وذلك انهم يكتسبون بعقائدهم وأعمالهم هيئات توجب لذتها وألمها ولا تشعر بما أوجبته لشغل الكفلاء اياهم ومنعه لهداهم فاذا جاء ذلك اليوم

زالت العوائق والشواغل لتدرك تلك اللذة والألم.

قاله القاضي وأعقب تلك النتيجة التي هي المجازاة ان الظلم مأمون بقوله * ﴿لا ظلم اليوم﴾ بمجازاة أحد بها لم يفعل ولا ينقص ثواب المحسن والزيادة فى الجزاء على قدر عمل المسيء فكل ما يلقاه الشقي من العذاب المخلد طبق عمله وأعقب هذا ان الحساب لا يبطؤ بقوله * ﴿إن الله سريع الحساب﴾ يحاسبهم مرة كما يرزقهم مرة على كثرة لا يشغله حساب عن حساب لان حسابه المجازاة على الأعمال واظهار جزائها لهم والحكم عليها بها وهو بذلك فى الأزل السابق علم وعبر ابن عباس تمثيلاً بأنه اذا أخذ فى الحساب لم يقل أهل الجنة الا في الجنة ولا أهل النار الا في النار وما قيل انه يحاسبهم قدر نصف نهار الدنيوي اما تمثيل لسرعة واما حقيقة لكن لا للعجز عما دونه * ﴿وأنذرهم يوم الآزفة﴾ أي يوم القيامة وسميت القيامة آزفة لأزوفها أي لقربها وقيل يوم الخطبة الآزفة وهى مشارفتهم دخول النار وعند ذلك ترفع قلوبهم فتلصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا ولكنها معترضة وقيل يوم الموتة الآزفة والمشهور الأول ولك أن تقدر المنعوت فى كل هكذا يوم الساعة الآزفة أو الطامة الآزفة * ﴿إذا﴾ بدل من يوم * ﴿القلوب لدى﴾ عند* ﴿الحناجر﴾ الاحلاق صارت من شدة الهول والخوف حتى كانت عند الحلق فلا تخرج من الفم فيموتوا ولا ترجع لمواضعها كما مر * ﴿كاظمين﴾ حال من محذوف هو عامله أي يفعل بهم ذلك كاظمين أو يعذبون كاظمين أو لدي القلوب لهم كاظمين ولهم متعلق بمحذوف معرفة نعت للقلوب أو ينكره لان (ال) فى القلوب للجنس أم من مضاف اليه محذوف منوي المعنى نابت عنه (ال) أي قلوبهم كاظمين ولهم متعلق بمحذوف معرفة نعت للقلوب أو ينكره لان (ال) في القلوب للجنس أو من مضاف منوي اليه محذوف المعنى نابت عنه (ال) أي قلوبهم كاظمين وجاء الحال من المضاف اليه لان المضاف جزؤه أو حال مقدرة من (هاء) أنذرهم أي وأنذرهم مقدرين الكظم أو

ناوين أو منوياً لهم مقدراً لهم مقدرا لهم.
قال القاضي تبعاً للزمخشرى أو حال من القلوب وفيه مجيء الحال من المبتدأ وهو ضعيف أو حال من ضمير الاستقرار في (لدى) الراجع للقلوب ووجه جمعه جمع عامر ومذنب مع أن القلوب غير عاقلة انها وصفت بالكظم الذي هو من أفعال العقلاء كقوله (رأيتهم لي ساجدين) وقوله (فظلت أعناقهم لها خاضعين) وانها محل العقل والكظم رد الغيظ والجزع فى الصدر فقلوبهم ممتلئة غماً هذا أو جمعت صفتها ذلك الجمع لان أصحابها عقلاء فعوملت معاملتهم قيل فمعنى الآية انهم يطمعون فى رد ما يجدونه فى حناجرهم والحال تغالبهم * ﴿ما للظالمين من حميم﴾ أي من محب وقيل من قريب مشفق وقيل من محب مشفق ﴿ولا شفيع يطاع﴾ وجملة (يطاع) نعت (شفيع) قيل على المحل وهو الرفع لأعلى اللفظ وهو الجر بمن بواسطة العطف لأن (من) تدخل على الجمل وأجازه أبو حيان على اللفظ اغتفاراً في التابع بواسطة ما لا يغتفر فيه بلانيه ويطاع مستعاراً ليشفع فان الطاعة تكون لمن فوقك كما أن الشفعة تقبل ممن له فوقية والنفي منسحب على الشفيع والطاعة أي الشفاعة لان الشفعاء هم أولياء الله وليسوا بشافعين للكفار ولان لهم فضلا عن قبول شفاعتهم اذ لا يحبون ولا يشفعون الا من أحب الله ولان الشفاعة انما هى للسعداء زيادة فى الفضل وانما لم يكتف بقوله (ولا شفيع) كما قال الحسن (والله ما يكون لهم شفيع البتة) ليقوم انتفاء الموصوف وهو الشفيع مقام الشاهد على انتفاء الصفة وهى الطاعة لان الصفة لا تمكن بلا موصوف وكذا كما يقال لك(أكتب) وتقول (لا قلم لى أكتب به) أي تمكن الكتابة ولا قلم ؟ وكيف تكون الشفاعة ولا شفيع ؟ وذلك مبالغة فى انكار الشفاعة.
وأجاز أبو حيان فى البحر أن يكون النفى منسحباً على الصفة فقط آخذاً بظاهر النعت كما تقول (لا قلم لى أكتب به) وأنت تريد أن لك قلماً لايكتب وذلك انهم لهم شفعاء في زعمهم وهم الأصنام ولا يشفعون لهم ولو طلبوا

الشفاعة لهم لم يطاعوا وهو عندي جائز وصوب بعضهم الأول وواجبه والضمائر قيل (الظالمين) ان كانت للكفار فانما وضع لفظ (الظالمين) موضع المضمر للدلالة على اختصاص ذلك بهم وان علته هي ظلمهم كذا للقاضي وأقول ليس ذكره مخصصاً ولو قال لهم لأفاد الاختصاص نعم أفاد العلة وقيل هذه الآية كلها اعتراض بليغ فى الكلام ﴿يعلم﴾ الله * ﴿خائنة الأعين﴾ الخائنة اسم فاعل نعت لمحذوف أي نظرة خائنة الأعين كمسارقة النظر الى ما لا يحل كما يفعل أهل الريب وكالنظرة الثانية عمداً بعد نظرة عدم العمد فانها خفية فان المراد بها هنا أن يعينك لا عن عمد ثم تتركها ناظرة مدة قليلة .

قال الزمخشرى: ولا يصح أن يريد الخائنة من الأعين لأن قوله: ﴿وما تخفي الصدور﴾ أي القلوب لا يساعد عليه ولعل وجهه أن المراد علم خيانتها لا هي نفسها كما أن المراد ما تصوره القلوب لا القلوب والظاهر عندي جوازه لانها عنون عنها بالخيانة فالمراد علمها من حيث خيانتها لا من ذاتها فالاضافة للتبعيض وقد أجاز أبو حيان واستظهر انها اضافة صفة لموصوف أي الأعين الخائنة ويجوز أن يكون خائنة مصدر جاء على وزن اسم الفاعل كالعاقبة والعافية وقد جمعت منها فى شرح اللامية كثيراً أي خائنة الأعين والآية متصلة معنى بقوله (يلقى الروح) . . . الخ فصلت بالتعليل وأحوال يوم القيامة فهو خبر آخر عن (هو) ومن منع تعدد الخبر قدر لكل واحد مبتدأ وقيل متصلة بقوله (لا يخفى عليه شيء) وفيهما بعد بين الآيتين ولاسيما الأول واستحسن بعضهم الثاني وقوله بتناسب والمعنيين وضعفه بالبعد وقيل متصلة (بسريع الحساب) وهى عبارة عن علم الله بجميع الخفيات فما من خفي الا وهو متعلق العلم والجزاء فمن ذلك كسر الجفن والغمز بالعين والنظرة التي تفهم معنى وفى بعض (كتب الله انا مرصاد لهم أنا العالم بمجال الفكر وكسر الجفون) وقال بعضهم المراد بالنظر الى ما حرم الله مطلقاً جهراً أو خفية قليلاً أو كثيراً وما تخفي الصدور ما لم يظهر على عين

أو غيرهما وعن أم معبد الخزاعية عن النبي ﷺ انه كان يدعو « اللهم طهر قلبى من النفاق وعملي من الرياء ولساني من الكذب وعيني من الخيانة فانك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور» قال بعضهم ومن علم اطلاع الله عليه يكون مراقباً لربه وعلامته أن يكون محاسباً لنفسه ومن لم تصح محاسبته لم تصح مراقبته قيل ويستعان على حفظ البصر يعلم أن نظر الله سابق على نظره الى ما ينظر اليه.

﴿والله يقضي بالحق﴾ أي الذي هذه صفاته وأفعاله المالك الحاكم على الاطلاق لا يقضي الا بالعدل لاستغنائه عن الظلم لانه لا يقضي بشيء الا وهو حقه فهو يجازى الحسنة بعشر وأكثر والسيئة بواحدة وينصف المظلوم من الظالم وينعم بالجنة ويعذب بالنار ﴿والذين يدعون﴾ بالتاء الفوقية عند نافع وهشام وبالتحتية عند غيرهم والفوقية على اضمار قل أي قل (والذين تدعون) أو على الالتفات من الغيبة للخطاب ووجه اضمار قل تنزيه نفسه عن خطابهم والمعنى والأصنام الذين تعبدون.

﴿من دونه لا يقضون بشيء﴾ وهذا تهكم بهم لان مالا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضي ولا يقضي ولا يفعل ولا لا يفعل كما لا يقال الجدار تكلم ولا سكت وانما يوصف بعدم الفعل من يمكن صدور الفعل منه فكأنه قدر أصنامهم وفرضها انها مما يمكن منه القضاء ولم تقض وهذا على السخرية بهم * ﴿ان الله هو السميع﴾ لأقوال الخلق * ﴿البصير﴾ بأفعالهم وسمع الله علمه بالاقوال فالبصير بعد السميع صفة خاصة بعد خاصة وفى الصفتين تقرير لقولهم بعلم ما يفعلون فيجازيهم وتعريض بها يدعون من دون الله بأنها لا تسمع ولا تبصر وابطال لما قد يفهمونه من تهكمه عليهم بقوله لا يقضون بشيء من أنها بحيث توصف بعدم القضاء أو بالقضاء * ﴿أو لم يسيروا في الأرض﴾ قال بعضهم الضمير لكفار قريش * ﴿فينظروا كيف﴾ خبر كان * ﴿كان عاقبة﴾ اسم كان ولم يقرن (كان) بالتاء لانه مؤنث مجازي ظاهر والجملة مفعول بنظر وانما أخرجه عن العمل في المفرد الى العمل في

الجملة الاستفهام فذلك نوع من التعليق *

﴿الذين كانوا من قبلهم﴾ المكذبين الرسل كعاد وثمود * **﴿كانوا هم أشد منهم قوة﴾** وقع ضمير الفصل بين معرفة ونكرة لان هذه النكرة وهي (أشد) شبيهة بالمعرفة لانها لا تدخلها (ال) لانها اسم تفضيل مجرد من (ال) والاضافة قاله ابن هشام وهو توكيد أو بدل من الواو وذلك قراءة غير أبى عمرو وقرأ هو (كانوا هم أشد منكم قوة) بالكاف وعليه مصاحف أهل الشام* **﴿وآثارا في الأرض﴾** من مصانع وقصور وحصون وسلاح وما يوصف بالشدة من أثارهم فالقوة مسلطة على الأثار أو زاد وأكثر آثاراً كقوله (متقلد سيفاً ورمحاً) أي وماسك رمحاً * **﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾** أي اهلكهم وذنوبهم تكذيب الرسل وقيل بالعموم وهو واضح * **﴿وما كان لهم من الله﴾** متعلق بـ (واق) * **﴿من واق﴾** من حافظ مانع من عذابه ساتر عنه فليعتبر العاقل بغيره فان الذين مضوا من الكفار أشد قوة من هؤلاء المعاصرين لرسول الله ﷺ فلم تنفعهم قوتهم* **﴿ذلك﴾** الأخذ * **﴿بأنهم﴾** أي لأنهم.

﴿كانت تأتيهم رسلهم بالبينات﴾ بالمعجزات الظاهرة والاحكام الواضحة ورسل اسم كانت وتأتيهم مع الضمير المستتر فيه العائد المرسل لأنه في نية التقديم خبرها وانما قدم الخبر الفعلي على الاسم لانه لا يوهم ان الاسم فاعل للفعل لان (كان) لابد لها من أسم ويجوز كون اسم كانت ضمير القصة ورسل فاعل (يأتي) والجملة خبر.

﴿فكفروا فأخذهم الله إنه قوي شديد العقاب﴾ أما قوته فتمكنه مما يريد غاية التمكن وأما شدة عقابه فكونه لا طاقة بأقل قليله.

﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ أي بكلام يدل على وحدانيتي وعلى رسالته* **﴿وسلطان مبين﴾** حجة الواضحة أي معجزات وقيل الآيات المعجزات وسلطان مبين ، الحجة الواضحة فالعطف مرادف ونكتته وصفها بالسلطان أي القوة والوضوح أو الايضاح والمراد بالسلطان المبين بعض الآيات كالعصى واليد والعطف عطف خاص على عام لتفخيم شأن ذلك الخاص.

﴿الى فرعون وهامان وقارون﴾ خص هامان وقارون بالذكر بعد فرعون تنبيهاً على مكانتهما من الكفر ولكونهما أشهر رجال فرعون وقيل ان قارون هذا ليس بقارون بني اسرائيل وعن بعض انه هو ، وقيل: خصهم لأن مدار التدبير في عداوة موسى كان عليهم ﴿فقالوا﴾ هو أي موسى * ﴿ساحر كذاب﴾ فسموا الآيات والسلطان المبين سحرا وكذباً وعن بعضهم ساحر فى أمر العصى واليد كاذب في قوله (انى رسول الله) وفي ذلك تسلية لرسول الله ﷺ وبيان لعاقبة من هو أشد معاندة له * ﴿فلما جاءهم﴾ أي موسى * ﴿بالحق﴾ بالنبوة والصدق * ﴿من عندنا قالوا﴾ أي فرعون وهامان وقارون * ﴿اقتلوا أبناء﴾ جمع ابن * ﴿الذين آمنوا معه﴾ هذا قتل آخر بعد بعث موسى وظهوره وقتل الأطفال من بني اسرائيل الذين معه وشبانهم وأهل القوة منهم ليردوهم عن دينهم أو لمجرد عقوبة ولكن هذا القتل الاخير الذي أمروا به لم يقع منه شيء والقتل الاول قتل الاطفال قبل ولادة موسى لما أخبرته الكهنة بمولود يزيل ملكه وقيل انه قتل الأطفال أولاً وخرق بطوناً قبل الولادة وبعدها ولما سمع بولادته جعل يقتل الأطفال أيضاً ثم أمسك ولما بعث عاد قتلاً ووقع لكن قتل الأطفال وغيرهم كما مر فالمراد بالأبناء ما يشمل البلغ كما تقول لأهل الظهور من قبيلة أو مدينة هؤلاء أبناء القبيلة أو المدينة * ﴿واستحيوا نساءهم﴾ للاسترقاق والخدمة والسين والتاء للابقاء أي (أبقوهن أحياء) وعلى الاصل أي طلبوا حياتهن أي تسببوا فى حياتهن بترك قتلهن * ﴿وما كيد الكافرين﴾ فرعون وقومه والعبرة بعموم اللفظ فيعم كل كافر ويحتمل ارادة العموم قصد أو المراد كفر الشرك أو هو كفر النفاق باعتبار الحقيقة جمع بين معنيين فى لفظ واحد أو تقول بالجمع بينهما وعلى جواز الجمع * ﴿الا في ضلال﴾ يذهب كيدهم باطلا ضائعاً ويحيق بهم ما أراد الله والمراد ان كيدهم راجع عليهم بهلاكهم ويناسب التفسير بالبطلان والضياع القول أن القتل الثاني لم يقع ولم يتحقق بل ضاع كيده الأول وهو القتل الاول حيث لم يوفق لقتل موسى ولم يغن عنهم ونفذ

الله مراده من ظهور موسى ولما أراد القتل لم ينفع بل ازداد أهل الايمان ايماناً.

﴿وقال فرعون ذروني أقتل موسى﴾ قال لملئه اتركونى أقتله وكان فيهم من يكفه عن قتله لعلمه في قلبه انه نبي وقيل قالوا انه ليس الذي تخافه بل هو ساحر وهو لا يغلب سحرتنا وان قتلته ظنت العامة انه محق صادق وانك قتلته لعجزك عن جوابه وانما يقاومه ساحر واحد والظاهر ان فرعون تيقن ان موسى ﷺ نبى وما جاء به حق لا سحر ولكن فيه عناداً وكبراً وقد كان قتل في أهون شيء فكيف بمن يزيل ملكه؟ ولكنه خاف ان هم بقتله عوجل بالهلاك ولا يتيسر له قتله وقوله * ﴿وليدع ربه﴾ أي ليمنعه مني شاهد على شدة خوفه من دعائه ربه فهذا اكتساب شجاعة واظهار لها وعدم مبالاة به فى ظاهر لسانه وفي قلبه خوف شديد هو الذي منعه من قتله وأوهم قومه انهم هم الذين يكفونه وقيل لما بهرتهم آياته انهدر كيده واضطربت معتقدات أصحابه فقال ذرونى أقتل وليس هذا قول الجبارين المتمكنين من انفاذ الأمور وذلك اضطراب وأظهر له المؤمن من مخالفته ثم أظهر أعني فرعون لهم انه انما يريد نصحهم وحماية دينهم لا غير بقوله * ﴿انى أخاف أن يبدل﴾ موسى ﴿دينكم﴾ بغيره كانوا يعبدون الأصنام ويدل على عبادتها وعبادته ويدرك آلهتك وقبل أن يعبر سلطانكم * ﴿أو أن يُظهِر﴾ موسى * ﴿في الأرض الفساد﴾ الفتنة التي يذهب معها الأمن وتتعطل المكاسب والمزارع والمعاش ويهلك الناس قتلاً وضياعاً وكأنه قال اني أخاف فساد دينكم ودنياكم وذلك قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وهو ما فى مصاحف أهل الحجاز وقرأ غيرهم أو أن يظهر بالهمزة وسكون الواو أي أخاف أن يفسد دينكم ويغيره ان قدر ويفسد دنياكم بسبب ما يظهر من الفتن ان لم يقدر على ابطال دينكم بالكلية الا أن ابن كثير وابن عامر كالكوفيين غير حفص يفتحون الياء والهاء ويرفعون الفساد وقرىء (يظهر) بتشديد الظاء والهاء أي أن يتتابع الفساد ويتعاون.

﴿وقال موسى﴾ لما سمع ما توعد له فرعون لقومه * ﴿انى عذت﴾

بادغام الذالفي التاء عند نافع فى رواية وأبى عمرو وحمزة والكسائى وبالفك عند غيرهم أي (اعتصمت) وبه نقرأ عن نافع * ﴿بربي وربكم﴾ فقيل: ان المقصود بحكاية قوله اظهار ان موسى لم يأت فى دفع الشر الا باعتصامه بالله سبحانه فلا جرم أن يعصمه وصدر بأن تأكيداً واشعاراً بأن المؤكد فى دفع الشر هو العياذ بالله وخص لفظ الرب من بين أسمائه تعالى لأن المطلوب الحفظ والتربية واضافة اليه واليهم بعثاً لهم على أن يقتدوا به فيعوذون بالله عياذه به ويعتصموا اعتصامه به واستجلاباً للاجابة منهمك له لاجتماعهم فى مربوبية الله وقال * ﴿من كل متكبر﴾ عن الحق لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة الموجود فيهم هذا الوصف الذي هو التكبر وليكون تعريضاً بفرعون فيكون أبلغ وللاشعار بأن علة القول (وتكبر) والرعاية ان الكبر وصف لله فاستعاذ ممن شاركه فيه * ﴿لا يؤمن بيوم الحساب﴾ فهو يعمل أعمالاً على مقتضى انه لا حساب اجتمع فئة التجبر والتكذيب بالجزاء وعدم المبالاة بالعاقبة فهو مستكمل لأسباب القسوة والجراءة على الله وعباده فلا يترك عظيمة الا ارتكبها * ﴿وقال رجل مؤمن﴾ وقرىء بسكون الجيم اسمه حزقيل رضي الله عنه وقيل حزقيال وقيل اسمه شمعان وقيل حبيب وذكره الزمخشري (سمعان أو حبيب ، وقيل : خربيل أو حزبيل.

وقال ابن اسحاق اسمه جبريل وابن عباس . وأكثر العلماء على الأول * ﴿من آل فرعون﴾ من أهل صفة الرجل وهو قوله من تقديم النعت بالظرف على النعت بالجملة * ﴿يكتم ايمانه﴾ وهو أولى عند بعض وهو قريب من أقارب فرعون قبل ويدل له قتل فرعون أبناء الذين معه وقول هذا المؤمن (فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا) دليل ظاهر على أنه ينتظم لقوله .

قال مقاتل وهو ابن عم فرعون قال الرازى كان جاريا مجرى من ولي العهد له ومجرى صاحب السر له ومن قال انه قبطي ومن قال انه اسرائيلى ومن قال انه غريب موحد يظهر لهم انه على دينهم وهو على التوحيد فقالوا

ان المراد بالآل القوم لا القرابة أو يعلقون من (آل) بكتم وقيل كان حزقيال مؤمن آل فرعون نجاراً وهو الذي نجر التابوت لأم موسى حين قذفته فى النيل قيل: كان خازناً لفرعون خزن له مائة سنة وكان مؤمناً مخلصاً يكتم ايمانه الى أن ظهر موسى على السحرة فأظهر أمره فقتل مع السحرة صلباً .

قال قومنا عن رسول الله ﷺ: سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن أبى طالب وصاحب يس ومؤمن آل فرعون فهم الصديقون حبيب النجار مؤمن آل يس وحزقيل مؤمن آل فرعون وعلي مؤمن آل محمد ﷺ وهو أفضلهم» وانتهى. وذكر «وأبو بكر الصديق هو أفضلهم».

وسئل أبو الفضل ابن الجوهرى على المنبر أن يتكلم بشيء من فضائل الصحابة فأطرق قليلاً ثم رفع رأسه وقال:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه

فكل قرين بالمقارن مقتدي

ما تريد بقوم قرنهم الله بنبيه وخصهم بمشاهدة وحيه وقد أثنى الله تعالى على رجل مؤمن من آل فرعون كتم ايمانه وأسره فجعله فى كتابه وأثبته فى المصاحف لكلام قاله فى مجلس من مجالس الكفر وأين هو من عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذ جرد سيفه بمكة وقال : والله لا أعبد الله سراً بعد اليوم * **﴿أتقتلون رجلاً﴾** هو موسى * **﴿أن يقول ربي الله﴾** أي لأجل أن يقول والاستفهام توبيخي وتعجبي وانكاري واذا فسر القتل بارداته كان أبلغ فى الانكار قيل ويجوز أن يكون قوله أن يقول ظرف زمان نيابة أي وقت أن يقول أي(أتقتلونه) فى وقت القول بدون أن تفكروا وعلى تقدير لام التعليل كأنه قيل أترتكبون الفعلة الشنعاء التى هي قتل النفس المحرمة وما لكم علة قط فى ارتكابها الا كلمة الحق التى نطق بها وهي قوله (ربي الله) أي (ما ربي الا الله) لتعريف الطرفين مع أنه لم يحضر لتصحيح قوله بينة واحدة بل بينات كما قال عز وجل * **﴿وقد جاءكم بالبينات﴾** التي رأيتم وعرفتم * **﴿من ربكم﴾** من عند من نسب اليه الربوبية وهو ربكم لا ربه وحده وهذا

استدراج لهم الى الاعتراف وتليين لشدة امتناعهم وكسر من سطوتهم واعتدائهم ﴿وان يك كاذباً فعليه كذبه﴾ يعود عليه كذبه لا يتخطاه ضرره فلا تحتاجون الى دفعه بالقتل.

﴿وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم﴾ والمراد يصبكم لصدقه ولكنه جاء بما يداريهم به ويسلك معهم به طريق الانصاف فى القول ويأتيهم من جهة المناصحة ويعلم أنه أقرب الى تسليمهم لقوله وأدخل فى تصديقهم له وقبولهم وذلك انه قضي له بعض حقه فلا يظنون انه تعصب له ولذلك قدم الكذب وأطلق وأخر الصدق وقيده بالبعض كأنه قال لا أقل من أن يصيبكم بعض وعيده ويحتمل أن يريد بالبعض المصيب لهم ما يصيبهم فى الدنيا وهو أظهر احتمالاً عندهم وقال أبو عبيدة المراد بالبعض هنا الكل وأنشد قول لبيد

تراك أمكنة اذا لم أرضها
أو يرتبط بعض النفوس حمامها

(فتراكِ) اسم فعل بمعنى اترك كنزال أي أترك أمكنة اذا لم أرضها اذ لم ترتبط الحمام بعض النفوس أى كلها وهو يوم القيامة ورد بأن المراد بعض النفوس نفسه أي الى أن يموت من هو مشهور معروف لا يخفى ويجاب بأنه أراد أنه ذكر البعض ليوجب الكل فأشار بالبعض الى الكل ولا يقوم دليل على منع الكل فى البيت نعم هو محتمل فلا شاهد له فيه ومع أبى عبيدة غيره فى ذلك ولا خطأ فيه غايته انه أطلق اسم أحد الضدين على الآخر كقولك للسماء أرض أو أطلق اسم البعض على الكل ومن رد عليه كان أجفى من أن يفهم ما قلت وأيضاً يحتمل أن يريد أنه أطلق لفظ البعض وأراد الكل وهو العذاب كله وبقي البعض الآخر وهو النعيم وذلك أنه وعدهم بالنعيم ان آمنوا وبالعذاب ان كفروا فالعذاب كل لانه يصيبهم كله وعبر عنه بالبعض فكأنه قال يصيبهم بعض الوعدين وهو العذاب كله * ﴿ان الله لايهدي﴾ الى دينه* ﴿من هو مسرف كذاب﴾ على الله هذا من

كلام المؤمن ولما ينقض وهذا احتجاج ثالث والأول (أتقتلون) الخ * والثـاني (وان يك كاذباً) الى (يعدكم) والمراد بهذا الثالث اما الاحتجاج لموسى بـأنـه نبي ولو كان مسرفاً كذاباً لما هداه الله الى البينات وعضده بـالمعجـزات وذلك قضية من الشكل الأول وأما من أخذلـه الله وأهلكـه فـلا حـاجـة الى قتلـه فانكم متخلصون منه بلا قتل .

قال القاضي ولعلـه أراد المعنى الاول وخيـل اليهم الثـاني لتليين شكيمتهم وعرض به لفرعون فانه مسرف كذاب لا يهديه الله الصواب قيل ما تلقاه أبو بكر عن رسول الله ﷺ أشد مما تـولاه المؤمن من فـزع من طـوافـه فـأخـذوه بمجامع ردائه فقالوا أنت تنهانا عما يعبد آباؤنا فقال نعم فقام أبو بكر فالتزمه من ورائه رافعاً صوته(أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينـات) قال ذلك وعيناه تسفحان حتى أطلقوه قال عمرو بن العاص أشد مـا فعـل المشركون برسول الله ﷺ أنه كـان يصلي بفنـاء الكعبـة وأقبـل عقبـة بن أبى معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه فى عنقه وخنقه خنقاً شـديـداً فأقبل أبو بكر رضي الله عنه فأخذ بمنكبـه ودفعـه عن رسـول الله ﷺ وقـال (أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم).

وعن جعفر الصادق ان مؤمن آل فرعون قـال ذلك سراً وأبـو بكـر قـالـه ظاهراً * ﴿يا قوم لكم الملك اليوم﴾ أراد مطلق الزمان قبل مجيء بأس الله * ﴿ظاهرين﴾ حال من الكاف الى (غالبين) * ﴿فى الأرض﴾ أرض مصر علوا فيها على بني اسرائيل وغيرهم وقهروا الناس وكأنه قال فلا تفسدوا أمركم ولا تتعرضوا لبأس الله فانه لا يطاق ولا مانع منه وانما أدخل المؤمن نفسـه فيهم بقوله * ﴿فمن ينصرنا من بأس الله﴾ من عذابه ان قتلتم من لا يحل قتلـه من أوليـاء الله * ﴿ان جاءنا﴾ لانه منهم في القرابـة أو في المكـان والمحضر وليعلمهم بأن الذي ينصحهم به له فيه معهم سهم وفي التحقيق ما قال لهم ذلك بادخال نفسه معهم الا استجـلابـاً لقبـول النصيحـة والا فهم يجـزون دونه ، نعم عذاب الدنيا ربما أصاب المؤمن وتلك الأقوال الصادرة منه تقضي

زوال هيبة فرعون ويدل لذلك اسكاته فرعون حتى كأنه اعتذر كما قال عز وجل * ﴿قال فرعون ما أريكم الا ما أرى﴾ ما أشير عليكم الا بما أشير به لنفسي من الرأي والنصيحة وهو قتل موسى لا استصوب الا قتله *

﴿وما أهديكم الا سبيل الرشاد﴾ وما أهديكم بهذا الرأي الا سبيل الصواب أو ما أعلمكم الا ما أعلم من الصواب ولا أدخر منه شيئاً ولا أسر عنكم خلاف ما أظهر يعنى أن قلبه فيه ما في لسانه وهو كاذب بل خائف لكنه يتجلد ولولا خوفه لأنفذ أمره وقرىء بتشديد الشين من رشد المكسورة اللام فهو (رِشِّيد) أي صالح كذا قيل .

قلت انما تبنى صيغة المبالغة من فاعل لا فعيل فعله من راشد من المكسور أو هم من رشد المفتوح المتعدي وعن بعض أنه من أرشد ويرده أن صفة المبالغة تبنى من الثلاثى لا غير الا ما شذ كادراك من أدرك وسار بناء على جواز تشديد الهمزة من أسار أي سور أي بقية وقصار من قصر بالتشديد أي نظف الثوب وجبار من أجبر بل قيل من درك وسار وقصر بالتخفيف وجبر فلا شذوذ والتشديد فى الاية للسبب كتمّار ولبّان أي صاحب تمر وصاحب لبن * ﴿وقال الذي آمن﴾ من آل فرعون وكتم ايمانه قاله الجمهور وقالت فرقة المراد موسى محتجين بقوة كلامه وذكره عذاب الآخرة وغير ذلك ولم يكن كلام مؤمن آل فرعون الا ملاينة * ﴿يا قوم اني أخاف عليكم﴾ لتكذيبكم له وتعرضكم له * ﴿مثل يوم الاحزاب﴾ أفرد اليوم مع أن كل حزب بيومه الدامر اما ان المراد الزمان مطلقاً والزمان يطلق على القليل والكثير ولان (ال) في الاحزاب للحقيقة فالمقصود باليوم الحقيقة الصادقة فى متعدد أو لان الاصل يوم أيام الاحزاب أي يوم من أيامهم والمراد باليوم أيام والقرينة اضافه للجمع المفسر لقوم نوح وعاد وثمود على سبيل المثال فلم يخف ان كل قوم منهم له يوم دامر وهذا فى كل مفرد أضيف لمتعدد لكل واحد مثل ذلك المفرد وأطلته فى حاشية شرح الشذور ﴿مثل دأب قوم نوح﴾ يقدر مضاف أي مثل جزاء دأب قوم نوح والدأب

العادة سميت لان صاحبها دائم عليها وكأنه قال أخاف عليكم جزاء مثل جزاء ما كانوا عليه دائما أي دائما من التكذيب وايذاء الرسل وسائر المعاصي و(مثل) عطف بيان من (مثل الأول) على جوازه فالكرة لان اضافة (مثل) للمعرفة لا تفيد التعريف * ﴿وعاد وثمود والذين من بعدهم﴾ كقوم لوط وجزاء الكل التعذيب فى الدنيا قبل عذاب الآخرة * ﴿وما الله يريد ظلماً للعباد﴾ فلا يعاقبهم الا بذنوبهم بعد اقامة الحجة فتدميرهم عدل لانهم استوجبوه بها ويجوز أن يكون المعنى لا يريد لهم أن يظلموا أنفسهم فحين ظلموها عاقبهم بظلمهم فكأنه قال ويحذر لهم الظلم وعلى الاول فالنفي فيه أبلغ منه فى (وما ربك بظلام) لان نفي ارادة الفعل أو قربه أعظم من نفى الفعل ولو كان معنى (وما ربك بظلام) انتفى الظلم عنه انتفاء بليغاً .

﴿ويا قوم اني أخاف عليكم يوم التنادِ﴾ المعنى باثبات الياء وحذفها استغناء بالكسر والمراد يوم القيامة لانهم ينادي بعضهم بعضاً فيه للاستغاثة أو يستغيثون بالملائكة أو بأهل الخير كقولهم (أنظرونا نقتبس) أو بأنبيائهم أو بالله ولات حين استغاثه أو يتصايحون بالويل والثبور أو لانه يدعى كل اناس بامامهم أو لانه ينادي أصحاب النار أصحاب الجنة وان قبضوا وأصحاب الجنة أصحاب النار هل وجدتم وعليه قتادة ولانه ينادى فيه بالسعادة الا ان فلان بن فلان سعد سعادة لا شقاوة بعدها وبالشقاوة الا أن فلان بن فلان شقي شقاوة لا سعادة بعدها أو لانه ينادي بعد ذبح الموت يأهل الجنة ويا أهل النار خلود لا موت أو لانه ينادي المؤمن ﴿هاؤمُ اقرأوا كتابيه﴾ والكافر ﴿يا ليتنى لم أوت كتابيه﴾ وقيل المراد التذكير بكل نداء فيه مشقة على الكافر .

وقرأ ابن عباس والضحاك وأبو صالح (يوم التنادّ) بتشديد الدال فلا بد من نداء كبير اذ هرب يهرب بعضكم من بعض كقوله : (يوم يفر المرء من أخيه) وعليه ابن عباس والسدي وعن الضحاك اذا سمعوا زفير النار عدوا فلا يأتون قطراً من الأقطار الا وجدوا ملائكة صفوفاً فيرجعون لأماكنهم

فبينما هم يموجون بعضهم في بعض اذ نادي مناد أقبلوا الى الحساب وعن بعض اذا طويت السموات نزلت ملائكتها وداروا في الارض صفاً خلف صف على الناس فاذا رأى الخلق هول القيامة وأخرجت جهنم عقاً أتى أصحابها الكفار وندوا عن النار الى كل جهة وذلك قوله * ﴿يوم تولون﴾ تفرون عن النار قاله مجاهد وقال قتادة منصرفين عن موقف الحساب الى النار * ﴿مدبرين﴾ حال مؤكد لعامله * ﴿مالكم من الله﴾ أي من عذابه ويتعلق بعاصم * ﴿من عاصم﴾ من صلة وعاصم مبتدأ وخبره لكم أو فاعل لكم والعاصم المنجي ويجوز أن يكون المعنى لا ينجيكم من الله عاصم فهو كناية عن انه لا عصمة لهم لانه اذا لم يرسل الله لهم عاصماً فلا عاصم لهم ويجوز أن تكون من المبدل أى مالكم بدل الله عاصم * ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف﴾ بن يعقوب .

قاله فرقة منهم الطبري على أن فرعون بقِي الى موسى وعليه وهب ابن منبه وعن أشهب عن مالك انه بلغه انه عُمِّر أربعمائة سنة وأربعين سنة وقالت فرقة فرعون آخر سمي لتجبره أو لانه نسل فرعون وقيل المراد بيوسف يوسف بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب أقام فيهم نبياً عشرين سنة* ﴿من قبل﴾ أي من قبل موسى * ﴿بالبينات﴾ بالمعجزات الظاهرة وقيل المراد (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) * ﴿فما زلتم في شك﴾ في بيناته كما قال * ﴿مما جاءكم به﴾ .

قال ابن عباس: من عبادة الله وحده * ﴿حتى اذا هلك﴾ وأنتم شاكون كافرون غير مقتنعين بنبوته أي حتى اذا مات * ﴿قلتم﴾ ضماً الى تكذيب رسالته رسالة من بعده *

﴿لن يبعث الله من بعده رسولاً﴾ فليس هذا تصديقاً لرسالته أو قالوا ذلك جزماً بأن لا يبعث بعده رسولا مع الشك فى رسالته أو لتصديقهم به وجحدوا بألسنتهم فعملوا عمل الشاك وهم شاكون فى الظاهر أو المراد لن يبعث الله من بعده من يدعي الرسالة أي لن يقدره لهم وانما أسسوا نفي

الارسال تشبهاً وتمنياً على الباطل لا على برهان وقرىء (ألن) يبعث بهمزة الاستفهام التقريري كأن بعضاً يقرر بعضاً بنفي الارسال * ﴿كذلك﴾ أي مثل ذلك الاضلال الذي أضله الله هؤلاء الشاكين فى يوسف * ﴿يضل الله﴾ فى العصيان أي يخذل مراعاة للفظ من * ﴿من هو مسرف﴾ مشرك * ﴿مرتاب﴾ من قومك بمحمد أو من غيرهم وذلك من جملة ما خاطب به هؤلاء الشاكين وزاد الكاف فيه خطاباً لنبينا ﷺ والمراد بمرتاب شاك في دين الله مع توضيحه بالبينات لغلبة الانهماك في التقليد وهو اسم فاعل أصله مرتيب بكسر الياء تحركت بعد فتح فقلبت الفا بعد زوال حركتها * ﴿الذين﴾ بدل (من) لوقوعها على الجمع أو بيان كذلك لتفسير الاسراف والارتياب *

﴿يجادلون فى آيات الله بغير سلطان﴾ باسكان اللام وقرىء بضمها حجة قوية وبرهان * ﴿أتاهم﴾ ضمير المستتر لسلطان والجملة صفته أي من غير برهان آت لهم من الله بل بتقليد وعناد وبشبهة داحضة وجملة * ﴿كبر مقتا﴾ تمييز أي بعضاً والوصف بالكبر للدلالة على خروجه عن نظائره *

﴿عند الله وعند الذين آمنوا﴾ مستأنفة وضمير (كبر) للجدل المفهوم من (يجادلون) ويجوز أن يكون (الذين) مبتدأ والجملة خبره ويقدر مضاف أي (وجدال الذين يجادلون كبر) فضمير (كبر) للجدال المحذوف أو يقدر المبتدأ قبل (كبر) وهو الجدال المفهوم من (يجادلون) وكبر خبره والجملة خبر الذين ان جعلناه مبتدأ وعلى الاستئناف من قوله (كبر) يجوز كون فاعله ضميراً أو غير كاف * ﴿كذلك﴾ الاولى على أنها اسم بمعنى مثل أي كبر مثل ذلك الجدال قيل أو منعوت أي كبر جدال ثابت كذلك وظاهر بعض أن الفاعل محذوف أي كبر جدالهم وهو مذهب غير متصور لان الفاعل لا يطلق جواز حذفه على الصحيح وجملة ﴿يطبع الله﴾ أي يختم أي يترك التوفيق مستأنفة والظاهر ان (كذلك) منها والفاعل غيرها وفائدتها الدلالة على موجب جدالهم* ﴿على كل قلب﴾ بعدم التنوين للاضافة الى قوله * ﴿متكبر

جبار﴾ .

وقرأ أبو عمرو وابن ذكوان بتنوين (قلب) و (متكبر) نعته وصفاً للقلب بالتكبر لانه مركزه ومنبعه كما نسب الاثم للقلب لانه مركزه فى قوله عز وجل ﴿أثم قلبه﴾ والاثم الكل والرؤية للعين والسمع للأذن فى قولك رأته عيني وسمعته أذني بدل قولك رأيته بعيني وسمعته بأذني ويجوز تقدير مضاف أي على كل ذي قلب متكبر فمتكبر نعت لذي والامر واضح مطلقاً فانه متى تكبر القلب تكبر صاحبه وبالعكس وكل على القراءتين لعموم طبع الله على كل متكبر لا لعموم الضلال جميع القلب كما قيل ولما عجز فرعون عن مقاومة موسى تنحى الى المحرقة وقال ما حكى الله عنه بقوله *

﴿وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً﴾ أي مر الجند أن يبنوا لى بناء صريحاً أي ظاهراً يرى وان بعد وصرح الشيء ظهر .

يروى انه طبخ الآجر لهذا الصرح ولم يطبخ قبله وارتفاعه أربعمائة ذراع بعث الله جبرائيل فمسحه بجناحه فكسره ثلاث كسر تفرقت اثنتان ووقعت ثالثة في البحر فأنظر سورة القصص ونسب هنا البناء وفي القصص الجعل لهامان مع انهما للعملة لانه سبب أمر وهى نسبة انشائية * ﴿لعلي أبلغ الأسباب﴾ الطرق عند السدى والابواب عند قتادة وقيل عنه لعله يجد مع قربه من السماء سبباً يتعلق به وكلما وصل الى شيء فهو سبب وانما عرفها هنا بأل التي للحقيقة ولم تعين ما هى له أسباب ثم عين بقوله * ﴿أسباب السموات﴾ طرقها أو أبوابها أو حبالاً لتفخيم شأنها فان بلوغها أمر عجيب فأوردها على ابهام لتشوق النفس الى بيانها وجاء بالبيان بعد ذلك ليوافي المخاطب متفرغاً اليه فبذلك يعطي حق التعجب فأسباب عطف بيان من الاسباب وهذا أولى من الابدال * ﴿فاطلع﴾ بالرفع عطفاً على (ابلغ) وقرأ حفص بالنصب فقيل انه على جواب الترجى فالمعطوف مصدر اطلع والمعطوف عليه مصدر مصوغ من (أبلغ) كأنه قال لعلي أجد البلاغ بالاطلاع وذلك مذهب الكوفيين وقيل: نصب فى جواب لعل لاشرابها معنى التمنى

وقيل: العطف على (أبلغ) بتقدير (ان) حذفت وارتفع أي (لعلي أن أبلغ فاطلع) أي لعل أمري البلوغ أو لعلى ذو بلوغ أو بلوغ بمعنى بالغ أو عطف مصدر اطلع على الأسباب على حد (فلبس عباءة) فاندفع قول الكوفي بنصب جواب الترجى قاله ابن هشام وانما استعمل لعل فيما لا يمكن اما لانها بمعنى(ليت) وهو قول الجزولى فى الاية واما لامكان البلوغ في جهله واما محرفة كما مر * ﴿الى اله موسى﴾ من سماء الى سماء ولو لم يحصل له من أنواع الشرك الا حكمة بأن الله فى مكان محدود له جوانب لكفاه قيل لعله أراد أن يبنى له رصداً فى موضع عال يرصد عليه أحوال الكواكب التى هي أسباب سماويه تدل على الحوادث الأرضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله اياه أو يرى فساد قول موسى ﷺ ان اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه ووصوله اليه وذلك لا يتأتى الا بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وذلك لجهله بالله سبحانه وكيفية استنبائه * ﴿واني لأظنه﴾ أي موسى ﴿كاذبا﴾ فى قوله ان له الها غيره وأنه أرسله * ﴿وكذلك﴾ أي مثل تزيين ظن الكذب ومحاولة البلوغ والاطلاع * ﴿زين لفرعون سوء عمله﴾ الذي هو غير الظن والمحاولة وفاعل التزين هو الله على وجه التسبب لانه مكن الشيطان منه وأقدره عليه أو على النظر الى أنه خالق التزين. قال: (زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون) أو فاعله الشيطان ويدل على أنه الله.

قرأه بعض (زين) بالبناء للفاعل وضميره على هذه القراءة عائد لاله موسى قطعاً و ﴿صد﴾ بفتح الصاد أي فرعون ويدل له ﴿وما كيد فرعون الا في تباب﴾ والمفعول محذوف أي صد الناس * ﴿عن السبيل﴾ طريق الهدى بالشبهات وقرأ حمزة والكسائي وعاصم (صد) بضم الصاد أي (صده الله) وقرىء (صد) بكسر الصاد نقلاً من الدال المدغمة لان الاصل صدد بضم الصاد وكسر الدال الاولى وقرىء (صد) بفتح الصاد وضم الدال مع التنوين عطفاً على سوء عطف خاص على عام أو عطف تفسير* ﴿وما كيد فرعون الا فى تباب﴾ خسران وهلاك ومنه (تبت يدا أبي لهب) قال مجاهد

وقتادة أي كيده فى ابطال آيات موسى لم يؤثر وضاع* ﴿وقال الذي آمن﴾ من آل فرعون وكتم أو موسى على ما مر ويقوي على انه موسى قوله * ﴿يا قوم اتبعون﴾ فى التصديق بالله والرسالة وان احتمل أن يريد ان المؤمن من آل فرعون قال اتبعون فى اتباع موسى وقرىء (اتبعونى) باثبات الياء والحذف قراءة نافع* ﴿أهدكم﴾ جواب الأمر أي أهدكم بالدلالة * ﴿سبيل الرشاد﴾ الصلاح الدنيوي والأخروي وذلك كناية عن ان فرعون وقومه في الغي وعظهم أولاً اجمالاً وفسر بعد ذلك مفتتحاً بذم الدنيا وتصغير شأنها لانها رأس كل خطيئة ومجلاب الشقاوة قائلاً * ﴿يا قوم انما هذه الحياة الدنيا﴾ أي القصيرة القريبة الزوال * ﴿متاع﴾ أي شيء قليل يتمتع به ويزول قريباً أو يتمتع أي تمتع هذه الحياة الواناً تمتع قليل والتنكير للتحقير وثنى بتعظيم الآخرة وانها الوطن الدائم خيره وشره قائلاً * ﴿وان﴾ الحياة * ﴿الآخرة هي دار القرار﴾ الثبوت والدوام والباقى خير من الفاني فانه لو كانت الدنيا ذهباً فانياً والأخرى حزناً باقياً لكانت الآخرة خيراً من الدنيا فكيف والدنيا زخرف فان والاخرة ذهب باقى قال الغزالي من أراد أن يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق أوقاته في الذكر والتلاوة والتفكر فى حسن المآب ومن أراد أن ترجح حسناته فليستوعب أكثر أوقاته فى الطاعة فان خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فأمره فى خطر لكان الرجا غير منقطع والعفو منتظر .

هذا منه ترغيب والا فالعاصي والمطيع أمرهما في خطر والرجا والخوف لازمان لهما ويجوز أن يريد بالآخرة الدار اللا آخرة والمراد واحد ثم ثلث بذكر الاعمال الموجب قبيحها للعذاب وحسنها للتلذذ مرغباً بأن القبيح بمثله والحسن بلا حساب وانه لا ينفع الا مع الايمان.

﴿من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها﴾ عدلاً يؤخذ منه ان الجناية تغرم بمثلها والآية عموم وزعم بعض قومنا ان المراد من عمل الشرك فجزاؤه جهنم خالدا ومن عمل غيره فجزاؤه بقدر عمله ثم يرحم ولو شاء الله لكان الأمر كما قالوا.

﴿ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهـو مؤمن﴾ مصدق بالله ورسله وكتبه * ﴿فأولئك يدخلون الجنة﴾ صرح بذلك أقسام العمال ذكور واناث وجعـل الجواب اسمية وصدرها باشارة البعيد من حيث علـو منـزلتـه وتبيين الثـواب لتغليب الرحمة والا فالسيئة أيضاً تعم عاملها ذكراً أو أنثى وجزاؤها ظـاهـر وهو النار ولم يذكر الخنثى المشكل لان اشكاله عندنا وهو عند الله ذكر وأنثى وان قلنا خلق ثالث فهو دخل أيضاً لان المراد بذكر وأنثى العموم كما تقول زيد يفعل كذا صباحاً ومساء وأنت تعنى عموم الأوقات وانـما جعـل العمـل عمدة شرطاً لمن والايمان حالاً للدلالة على انه قيد لقبول العمل وامن ثـوابـه حيث يبطل العمل بعدمه أعلى من ثواب العمل ولـو كـان الايـمان أيضـاً لا ينفع بلا عمل * ﴿يرزقون فيها﴾ مستأنفة أو حـال من الجنـة أو من (واو) يدخلون مقدرة أي مقدراً لهم رزق ما يشـاءون فيـه * ﴿بغير حساب﴾ أي بلا عدد وبلا موازنة عمل بل أضعاف مضاعفة فضلا منه وقيل لا يحاسبون على ما رزقوا فيها ولا على ما رزقـوا فى الـدنيـا وقـرىء (يـدخلـون) بـالبنـاء للمفعول من الادخال أي يدخلهم الله وقراءة نافع يدخلون بالبناء للفـاعـل من الدخول وعليها جريت * ﴿ويا قوم﴾ عطف هذا دون الثاني لانـه ليس بياناً للمجمل بخلاف الثاني فانه في بيان المجمـل فـأعطى حكمـه فى عـدم العطف وكرر النداء ثانياً وثالثـاً زيـادة فى التنبيـه والايقـاظ عن نـوم الغفلـة وتصريحاً بانهم قومه يسره ما يسرهـم ويحزنه ما يحـزنهم وهم فيـما يهلكهم وهـو عالم بوجه خلاصهم فهو ينصحهم ويتحزن ويتلطف بذلك ليقبلـوا نصحـه وذلك على وجه الاستجلاب والا فليس يحـزنـه عـذاب الآخـرة ان أصـابهم وعذاب الدنيا لانهم أعداء الله وأيضاً كرر اهتماماً بما يدعو اليـه ومبـالغـة فى توبيخهم اذ يدعونه للنار ويدعوهم للجنة كما قال:

﴿ما لـيّ أدعوكم الى النجاة﴾ أي الى سبب النجاة من النار الى الجنة وهو التوحيد والطاعة*

﴿وتدعوننى الى النار﴾ سبب الوقوع فيها وهو الشرك والعصيان كما قال*

﴿تدعوننى لأكفر بالله﴾ الجملة بدل كل من (تدعونني) أن أريد بالكفر ما يشمل المعاصي والشرك ويدل بعض ان أريد به الشرك وان أراد به وبقوله (تدعونني الى النار) الشرك كان بدل كل ، وزعم القاضي انه يجوز أن تكون الجملة عطف بيان وهو باطل لانه لا يكون جملة ولا المعطوف عليه والدعاء يتعدى بالى وباللام كما رأيت كالهداية وهو بمعنى ها هنا وان أراد القاضي ان البيان هو لا كفر كما يدل عليه قوله أو بيان فيه تعليل فباطل أيضاً لان الجار والمجرور لا يكونان عطف بيان ولو لم يذكر (تدعونني) الثاني صحت بداية لأكفر من قوله الى النار وتعينت.

﴿وأشرك به ماليس لي به﴾ أي بربوبيته * ﴿علم﴾ والمراد انه ليس ماتثبتون له الربوبية باله فضلاً عن ان علمه الهاً فنفى المعلوم بنفي العلم وذلك أن الالوهية انما هي عن برهان واعتقادها انما هو عن اتقان وعطف (أشرك) عطف خاص على عام ان أريد بالكفر ما يعم المعاصي والشرك وعطف مرادف أن أريد به الشرك وعطف مباين ان أريد ما على الشرك * ﴿وأنا أدعوكم الى العزيز﴾ الغالب على أمره فينتقم من الكافر * ﴿الغفار﴾ لذنوب المشرك والموحدين التائبين* ﴿لاجرم﴾ لابد فلا عاملة عمل ان والجرم بوزن فعل بفتح الفاء والعين من الجرم بضم الجيم واسكان الراء كالرشد بفتح الراء والشين وبضمها واسكان الشين ومثلهما العدم والعدم أي قطع لبطلان دعوة الأصنام ويقول البصري لا رد لما دعوه اليه لا يصح ولا أتبعكم و (جرم) فعل ماض بمعنى كسب والفاعل مستتر عائد الى دعائهم له وما بعد ذلك مفعول أي حصل دعاؤهم الى بطلان ما يدعون أو بمعنى حق وما بعده فاعل أي حق.

﴿أنّما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة﴾ أي وجب بطلان دعوته الى عبادته أصلاً لانه جماد لا مقتضى لألوهيته أو وجب عدم دعوة مستجابة أو عدم استجابة وليس داعياً الى ذلك فى الدنيا ويتبرأ من فاعله فى الآخرة ويكره ذلك فى الدنيا ويعلن فاعل ذلك ومر الكلام على لا

جرم * ﴿وأن مردنا﴾ مصدر ميمي أي ردنا أي مرجعنا * ﴿الى الله﴾ بالموت فيجازينا بأعمالنا * ﴿وأن المسرفين﴾ بالشرك والمعاصي أوبها.

﴿هم أصحاب النار﴾ ملازموها لشركهم ومعاصيهم أو بالمعاصي فقط من غير الشرك ، قال قتادة: المسرفون المشركون وقال مجاهد: السفاكون الدماء بغير حل وقال الذين غلب شرهم خيرهم وهم المسرفون* ﴿فستذكرون ما أقول لكم﴾ يذكرونه عند معاينة العذاب يوم القيامة وعند موتهم يوم لا ينفع الذكر وقرىء (فستذكرون) بضم التاء وفتح الذال وكسر الكاف مشددة أي (يذكر بعضكم بعضاً).

﴿وأفوض أمري الى الله﴾ قاله لما توعدوه لمخالفة دينهم أى أرد أمرى الى الله ليعصمني من كل سوء * ﴿ان الله بصير بالعباد﴾ فيجازيهم ويكفي من فوض اليه قيل خرج من بينهم فطلبوه فلم يقدروا عليه كما قال * ﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا﴾ شديد مكرهم وهو القتل وما هموا به من أنواع العذاب نجاه الله مع موسى في البحر وفر فى جملة المتبعين وقيل الضمير لموسى بناء على أن القائل هم كما مر والوقاية المنع والحفظ ومن قرأ وراء ظالم (فستذكرون) الى (العباد) فلا يصيبه منه ضرر باذن الله تعالى* ﴿وحاق﴾ أي نزل * ﴿بآل فرعون﴾ أي بفرعون ولم يذكره بالعلم لانه أولى بالشر فهو تشبيه بالادنى على الأعلى * ﴿سوء العذاب﴾ الغرق وقيل النار وقيل القتل وذلك أن المؤمن فرّ الى جبل فاتبعه طائفة فوجدوه يصلي والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعباً فقتلهم فرعون فعلى هذا فالمراد آل فرعون فقط أي طائفة من جملة جنده وقيل (سوء العذاب) خوف النكال في الدنيا وعذاب الآخرة* ﴿النار﴾ بدل من سوء أو بيان ان أريد بالسوء عذاب الآخرة والا فمبتدأ والخبر* ﴿يعرضون عليها﴾ والجملة مستأنفة والنار خبر لمحذوف أن أريد بسوء العذاب عذاب الآخرة وعلى أنه بدل أو خبر لمحذوف فجملة (يعرضون) مستأنفة أو حال من النار قيل أو من (سوء) وأنث لانه بمعنى النار بالبناء للمفعول من الادخال.

قال الزمخشري : أو منصوب على الاختصاص ورده ابن هشام بعدم سبق شيء ضمير تكلم أو مخاطب وحده أو مع غيره وفى جعل النار خبراً لمحذوف سؤال كأنه قيل ما سوء العذاب فقال هو النار وفى جعل النار مبتدأ تعظيم النار وتهويل عذابها والاعراض على النار الاحراق بها وادخالها وعرض الأمير الأسير على السيف قتله به * ﴿غدوا وعشياً﴾ صباحاً ومساء من أيام الدنيا يعذبون بالنار فيهما وأما فى غيرهما فاما أن لا يعذبوا لانهم ليسوا بعد قيام الساعة ويجوز عندي أن يكون المراد عموم الزمان كما تقول ضربت زيداً الظهر والبطن تريد أنك عممته بالضرب والأكثرون نصوا على خصوص الوقتين .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان أرواحهم فى أجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشياً الى يوم القيامة .

وقال ﷺ : « ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة» ويقال لآل فرعون هذا مقعدكم الى يوم القيامة.

وفى ذلك دليل على بقاء النفس وعذاب القبر ويدل له أيضاً حديث «ان الميت اذا دفن سمع حفيف نعال المنصرفين وان الكافر تدخله الرائحة المنتنة والظلام وانه لو نجا أحد من عذاب القبر لنجا منه سعد وانه ضغط ضغطة اختلف بها أضلاعه وانه استعاذ من عذاب القبر وان الكافر تنهشه تسع وتسعون تنيناً حتى تقوم الساعة» وانه المراد بالعيشة الضنكة وان العذاب الثاني من (سنعذبهم مرتين) والأول عذاب الحدود فى الدنيا ولا بعد ذلك فان النائم يتألم ويتلذذ بجنبك ولا تعلم فغير آل فرعون كانوا يعذبون فى القبور وحيث كانوا قبل يوم القيامة ﴿ويوم تقوم الساعة﴾ يقال لهم * ﴿أدخلوا﴾ بضم الخاء ﴿آل فرعون﴾ أي يا آل فرعون قال منادي بمحذوف و ﴿أشد العذاب﴾ مفعول، وقرأ نافع وحمزة والكسائى ويعقوب وحفص

وهم قراؤنا باثبات الهمزة مفتوحة وكسر الخاء والامر للملائكة و (آل وأشد) مفعولان للادخال (وآل) فرعون أتباعه (وأشد العذاب) النار لانه أشد من عذاب الغرق وما بعده .

قال ابن عباس: ألوان العذاب غير الذي كانوا يعذبون به منذ غرقوا وقيل أشد العذاب جهنم فحاق بهم ما هموا به للمسلمين (من حفر لأخيه جباً وقع فيه منكباً) كأنهم لما سمعوا وعيد المسلمين بالنار وقول المؤمن (هم أصحاب النار) اهتموا باحراقهم بالنار مثل نمرود فوقع بهم الاحراق واهتموا بالسوء مثل القتل فوقع بهم السوء وهو الاحراق * ﴿واذ يتحاجون﴾ أي وأذكر وقت يتحاجون يتخاصمون* ﴿فى النار﴾ والضمير لجميع كفار الأمم ومن عطفه على (غدوا) أو على (عشياً) فقد خصه بآل فرعون* ﴿فيقول الضعفاء للذين استكبروا﴾ أي الرؤساء * ﴿انا كنا لكم﴾ فى الدنيا ﴿تبعا﴾ جمع تابع كخادم وخدم أو مصدر أخبروا به عن ذواتهم لتأويله باسم الفاعل أو تقدير مضاف أي ذوى تبع أو للمبالغة فى المتابعة حتى انهم نفس المتابعة ﴿فهل أنتم مغنون﴾ اسم فاعل أصله مغنيون بكسر النون ونقلت اليه ضمة الياء لثقلها وحذفت الياء للساكنين أي دافعون أو حاملون ﴿عنا نصيبا﴾ أي جزاء مفعول لمغنون لتضمنه معنى الدفع أو الحمل أو لمحذوف أى دافعون أو (حاملون) على أن (مغنون) لم يتضمنه أو هو بمعنى (دافع) وتضمن مغنى حامل ﴿من النار﴾ نعت لـ (نصيبا) وان جعلنا (نصيباً) بمعنى (اغناء) مفعولا مطلقاً غمن النار متعلق بـ (مغنون).

﴿ قال الذين استكبروا إنـا﴾ ايانا واياكم * ﴿كل﴾ مبتدأ ﴿فيها﴾ خبره والجملة خبر (إن) وقرىء بالنصب توكيداً لاسم (ان) والاصل (كلنا) وعوض التنوين عن المضاف اليه أو حال منه على قول مجيزة ومن أجاز تقدم الحال على عاملها الظرفي مطلقاً أجاز كونه حالاً من الضمير المستتر في (فيها) والخبر لان على هذه القراءة هو (فيها) قال ابن هشام وليس (كلاً) توكيداً خلافاً للفراء والزمخشري بل (بدل) من اسم (ان) وابدال الظاهر من

ضمير الحاضر بدل كل جانب اذا أفاد الاحاطة وبدل الكل لا يربط وكل بالعامل اذا لم تتصل بالضمير وتبدل وفى كونها حالاً قطعها عن الاضافة لفظاً ومعنى وبسطت ذلك فى النحو والمعنى نحن وأنتم فى النار كيف تغنى عنكم ولو قدرنا لأغنينا عن أنفسنا * ﴿ان الله قد حكم بين العباد﴾ بادخال هذا الى الجنة وهذا الى النار ولا مبطل لحكمه فينقص من عذاب أحد أو يدخله الجنة * ﴿وقال الذين فى النار﴾ مطلقاً لان دعاءهم لا يجاب * ﴿لخزنة جهنم﴾ لانهم لطاعتهم بحيث يجاب دعاؤهم لو صادف محلاً وخزنة جهنم القائمون بها وبعذاب أهلها وهم ملائكة والاصل لخزنتها أي النار فوضع الظاهر موضع المضمر للتهويل والمراد مطلق النار والمراد بجهنم الموضع المخصوص من داري العذاب وهو أبعد دركاتها وذكرها اعلاماً بأنها محل الكفار كفر الشرك لكن قد يقال الكلام يعم المنافقين أو اعلاما بأنها موضع الخزنة وجهنم فارسية وقيل عبرية أصلها كهنام من قولهم بئر جهنام بكسر الجيم والهاء وتشديد النون أي بعيدة القعر.

﴿ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً﴾ قدر يوم دنيوي* ﴿من العذاب﴾ فحذف المضاف وهو ظرف والمفعول محذوف من البيان أي يخفف فى قدر يوم شيئاً من العذاب أو من للتبعيض ويجوز كون المضاف مفعولاً ناب عنه (يوماً) و(من) للبيان.

﴿قالوا أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات﴾ هذا قول الملائكة تهكماً والزاماً بالحجة وتوبيخاً على اضاعة الدعاء والتضرع وتعطيل أسباب الاجابة لا عذر لكم بعد مجيء الرسل * ﴿قالوا﴾ أي الكفار * ﴿بلى﴾ أتتنا رسلنا بالبينات ﴿قالوا﴾ أي الخزنة ﴿فادعوا﴾ أنتم وهذا هزء بهم واشعار بانا لا نجترىء فى هذا الدعاء واقناط عن الاجابة حيث ان الملك المقرب لا ينفع دعاءه وحيث انه امتنع عن الدعاء وغيره وهم الكفار لا يجاب لهم وذلك أن الشفاعة لغير الظالم مع الاذن بها ومد السبق على الفصل بين العباد مع انها قبله لا تقبل الا للسعيد ولا تطلب الا له ثم صرحت الخزنة بعدم اجابة دعاء هؤلاء

بقولهم:
﴿وما دعاء الكافرين الا في ضلال﴾ ضياع وبطلان لا يقبل وقيل هذا من قول الله تعالى لرسوله ﷺ كقوله:
﴿انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا﴾ بالغلبة والقهر .
قاله ابن عباس ، وقيل بالحجة وقيل بالانتقام من الأعداء وقلت بذلك كله لوقوعه ولو غلبوا أحياناً امتحاناً لكن العبرة بالعاقبة قيل وغالب الأمر وقد قتل يحيى بن زكريا وانتصر له الله بعد حين بقتل سبعين ألفاً ونصر الأنبياء نصر المؤمنين مع أنه جعل لهم وداً ونصراً في حد ذاتهم وحضت الشريعة على نصرهم .
قال ﷺ: «من رد عن أخيه فى عرضه كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم» وقال: «من حمى مؤمناً من منافق يغتابه بعث الله ملكاً يحميه يوم القيامة» * ﴿ويوم يقوم الأشهاد﴾ هو اليوم الأخير فلهم نصر الدنيا والآخرة والأشهاد الملائكة والأنبياء والمؤمنون وقيل الحفظة والأنبياء والمؤمنون وقيامهم يوم القيامة للشهادة على الناس مطلقاً والملائكة يشهدون أيضاً للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب وقيل المراد الملائكة فقط .
قال الزجاج: الاشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب وقال الطبري: جمع شهيد كشريف وأشراف ﴿يوم﴾ بدل من (يوم) * ﴿لا ينفع﴾ بالياء عند الكوفيين ونافع والفوقية المثناة عند الباقين * ﴿الظالمين معذرتهم﴾ مصدر ميمي بمعنى الاعتذار والقياس ان يفتح داله وما جاءت الا مكسورة أي يعتذرون ولا ينفع اعتذارهم أو لو جاءوا باعتذار لم ينفعهم ولكنهم لا يجيئون قال (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) وانما لم تنفع لبطلانها لانهم يعتذرون عن الكفر وقد جاءتهم الرسل وتمكنوا من التصديق والعمل فأعرضوا ﴿ولهم اللعنة﴾ البعد من رحمة الله * ﴿ولهم سوء الدار﴾ أي عذاب الدار الآخرة وقيل أشد عذابها وقيل جهنم ﴿ولقد آتينا موسى الهدى﴾ المعجزات والصحف والتوراة والشرائع وجميع ما أتاه من باب الدين كالحكم وقيل النبوة

وقيل التوراة والحكمة * ﴿وأورثنا بني اسرائيل الكتاب﴾ التوراة من بعد موسى وقيل سائر الكتب المنزلة على أنبيائهم أي جعلناها وراثية * ﴿هدى وذكرى﴾ مفعول لأجله أو حال أي (هادين ومذكرين) منا أو حال من (الكتاب) أي هادياً ومذكراً ويجوز تقدير مضاف أي ذوى هدى أو ذا هدى والهداية والارشاد والذكرى اسم مصدر بمعنى التذكرة والتذكير * ﴿لأولي الألباب﴾ لأصحاب العقول السليمة وهم المؤمنون العاملون به ويحتمل أصحاب العقول مطلقاً ذكروا وهدوا به فلم ينتفع الا السعداء وهو متعلق بذكرى أو بهدى على التنازع قيل وذكر الله ذلك المذكور من (آتينا موسى الكتاب) وما بعده تأنيساً لسيدنا محمد ﷺ * وضربا لأسوة وتذكيراً بما كانت العرب تعرفه من أمر موسى فأنت يا محمد لست ببدع من الرسل * ﴿فاصبر﴾ يا محمد * ﴿ان وعد الله حق﴾ وعده بنصر أو أيده بأن يهلك عدوهم ويظهر دينهم واقع لأجله لا محالة ولا يخلف الميعاد * والمراد وعده لك بالنصر وللمؤمنين حق واقع كما نصر موسى ومن معه على فرعون وقومه.

قال الكلبي: نسخت آية القتال آية الصبر قلت ينبغى ألا نسخ فى مثل هذا بل أمره بالصبر على ما يكره منهم مع انه يقاتلهم، وقد بلغ ملكه منتهى الخف والحافر * ﴿واستغفر لذنبك﴾ قل اللهم اغفر ذنبي مع أنه لا ذنب لك، لأزيدك درجة وسنه للمذنب وذلك أن مجامع الطاعة التوبة عما لاينبغي والاشتغال بما ينبغى والأول مقدم وهو التوبة من الذنوب وقيل ذنبه ما كان الأولى له خلافه كترك الأولى والأفضل وقيل ذنبه ما صدر منه قبل النبوة وقيل صغائر قلت فى وصف نبينا بكبيرة أشرك ولا يوصفون بصغيرة أيضاً ولا يشرك واصفهم بها وما فعلوه قبل النبوة ليس صغيرة ولا كبيرة، هذا مذهبنا معشر الاباضية وكأنه سمى اهتمامه بأمر الأعداء ذنباً مع انه طاعة لأن الأولى الاقبال على الطاعة التى هي سواه والله يكفيه أمرهم ويظهر دينه ﴿وسبح﴾ مقترناً * ﴿بحمد ربك بالعشي والابكار﴾ المراد

التعميم لما بين الوقتين أيضاً (والتسبيح) التلفظ بما يدل على تنزيه الله عما لايليق و (الحمد) الثناء بالجميل وقيل (التسبيح) هنا الصلاة و (الحمد) الشكر فقال ابن عباس: الصلوات الخمس، وقال الحسن : (أراد صلاة العصر وصلاة الفجر وقيل كان الواجب بمكة ركعتين عشية وركعتين بكرة.

قال الطبري: البكرة من طلوع الفجر الى طلوع الشمس وقيل من طلوع الشمس الى ارتفاع الضحى و ﴿ان الذين يجادلون فى آيات الله﴾ القرآن* ﴿بغير سلطان﴾ برهان * ﴿أتاهم﴾ نعت سلطان والمراد بالمجادلين كفار قريش ويدخل بعموم اللفظ كل مجادل مبطل * ﴿ان﴾ نافية ﴿في صدورهم إلا كِبْرٌ﴾ تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم أو ارادة الرئاسة والنبوة والملك وقيل: نزلت في اليهود بقول يخرج صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال ويبلغ سلطانه البحر والبر وتسير معه الانهار وهو آية من آيات الله فيرجع الينا الملك فسمي تمنيهم كبراً لانهم يريدون به ابطال آياته تعاظماً ويدل انهم أرادوا النبوة بغياً وحسدا قوله (لو كان خيراً ما سبقونا اليه) * ﴿ما هم ببالغيه﴾ نعت لكبر أي لا يبلغون مقتضى كبرهم من الرئاسة ونحوها كالنبوة بل تحتها كل رياسة وجملة ان النافية وما بعدها خبر لان * ﴿فاستعذ بالله﴾ التجىء اليه من كيد من يحسدك ومن جميع ما يضرك وقيل من فتنة الدجال وقيل من شر هؤلاء * ﴿انه هو السميع﴾ أي العليم بما يقولون وما تقولون * ﴿البصير﴾ بما يعملون وما تعمل فهو عاصمك منهم ﴿لخلق السموات والأرض﴾ مع عظمهن * ﴿أكبر من خلق الناس﴾ بعدد فثاتهم والمراد أنه أكبر فى الصدور وأما الله فلا تتفاوت الاشياء فى قدرته والآية متصلة بالجدال قبلها لان جدالهم فى آيات الله مشتمل على انكار البعث وهو أصل الجدال فحاجهم بما أقروا به خلق السموات والأرض مع عظمهن عن اعادة الانسان بعد موته وتحتمل الآية التوبيخ لهم بأن هذا الخلق العظيم لم يتكبر فكيف تتكبرون واللام للمبتدأ والخلق مصدر مضاف لمفعوله ﴿ولكن أكثر الناس﴾ كفار مكة * ﴿لا يعلمون﴾ لانهم لايتفكرون

لتوغلهم في التقليد واتباع الهوي فهم عمي والمسترشدون بصيرون فهؤلاء الذين لايتفكرون كأنهم لا ينظرون السموات والأرض أي لايرون بعضها ولا يعتقدون وجودها مع انهم راءون ومعتقدون وجودها فلم يستدلوا بها على توحيد خالقها، وقيل المراد (بخلق الناس) الدجال (وبأكثر الناس) اليهود المجادلون في أمره وفي الحديث «أنه ما بين خلق آدم وقيام الساعة أكبر من الدجال» أي أعظم فتنة وشوكة ولذلك كان يستعيذ من فتنته وأمان عينه اليمنى عوراء كعنبة طافية أى عالية وان كل نبي أنذر قومه به والله لا يرى ولا يحد ولا يوصف بالعين ولا بعورها وانه مكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل مسلم وتتقدمه سنة تمسك السماء ثلث قطرها والأرض ثلث نباتها وثانية أكثر وثالثة تمسكان الكل فيموت البهائم وان من أشد فتنته أن يقول للاعرابى ان أحييت أباك وأخاك أفتعلم اني ربك ؟ فيقول: نعم فيتمثل الشيطان بهما وانه ان خرج والنبى ﷺ حي كفاه والله خليفة المؤمن وانه يقل الطعام يومئذ ويفقد ويجزى المؤمنين ما يجزى أهل السماء من التسبيح وروي تكفيهم سورة الكهف .

وروى البعض ويمكث أربعين سنة كالشهر وهو كالجمعة وهي كاليوم وهو كالساعة وروي كاضطرام السعفة في النار وروي يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم هذه وانه تقدر له أوقات الصلوات موسعة ما بينهن وان اسراعه كالغيث وان من أدركه فليقرأ فواتح سورة الكهف يجز من فتنته وان عيسى ﷺ ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق يدركه عند باب لدي فيقتله وان معنى (ناراً) في رأي العين هى ماء في الحقيقة وماء هو نار تحرق وان من أدرك ذلك فليقع في ناره فانها ماء عذب بارد وانه ما أخبر نبي قومه بعوره الا نبينا ﷺ وانه يجيء بمثل نار هي جنة وبمثل جنة هى نار وانه أهون على الله من أن يكون له جبل خبز ونهر ماء كما قيل ويأتيه الرجل يحسب أنه مؤمن فيتبعه لشبهاته ويدخل كل أرض الا مكة والمدينة تحرسها الملائكة ينزل بسبخة المدينة فترجف المدينة ثلاثاً فيخرج

اليه كل كافر ومنافق وانه يأتي من المشرق من خراسان الى المدينة وينزل دبر أحد فتصرفه الملائكة الى الشام وفيه يقتل ويتبعه أقوام كأن وجوههم المجان (المطرقة) أى الترسة في الصلابة ويتبعه من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم (الطيالسة) وانه يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى ويقول أنا ربكم ومن قال أنت ربي فقد فتن ومن قال (ربي الله) فقد عصم ويجيء اليه خير الناس يومئذ فيقول أشهد انك الدجال الذي حدثنا به رسول الله ﷺ فيقول أتؤمنون انى ربكم ان قتلت هذا وأحييته فيقولون نعم فيفعل فيقول الرجل ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه، وقد رآه تميم الدار في غاره وأخبره بمبعث النبي وموته فانتفخ حتى ملأه فرحاً فضربه ملك ورأى دابته ينبح جرو من بطنها يركله وكانوا يقولون انه ابن صياد اليهودي ورد بدخوله المدينة وولادته وهو بلاء للعباد أقدره الله على أشياء كالاحياء والاماتة باذن الله وزهرة الدنيا والخصب واتباع كنوز الأرض وأمره السماء بالامطار والأرض بالانبات فتفعلان ثم يعجز ويبطل أمره فلا يقدر على قتل الرجل مرة أخرى ويثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت وهو ثابت عند أصحابنا من أهل المغرب وأنكره بعض المشارقة وبعض المعتزلة وأكثر الجهمية وأثبته المحدثون وقومنا ومن قبح منكره قبحه الله لانه ما أنكره الا لعدم ثقة المخبرين به ويقول انهم يكذبون على الصحابة وزعم الجبائى والمعتزلي وموافقوه من الجهمية وغيرهم انه يوجد وان ما يأتى به خيالات لاحقائق لها ولو كانت حقاً لتوضحت حتى تشابه معجزات الأنبياء فتقع الشبهة في الدين ورد بأنه لم يدع النبوة فيكون ذلك تصديقاً له بل يدعي الربوبية دعوى كاذبة لرؤيته وتجسمه وحده ونقصه وعجزه عن ازالة العور في عينيه وازالة كتابة كافر بين عينيه وانما تغبر به عوام لشدة الفاقة بخلاف أهل العلم والتوفيق فيزدادون يقيناً وقيل معنى موته أهون على الله من أن يكون له جبل خبز ونهر ماء انه أهون أن يجعل الله ذلك مضلاً للمؤمنين ﴿وما يستوي الأعمى﴾ أي الجاهل * ﴿والبصير﴾ أي العالم شبه الجهل بالعمى

بجامع عدم الاهتداء بالمنافع والعلم بالبصر بجامع الاهتداء اليها فاشتق منها أعمى بمعنى جاهل وبصير بمعنى عالم والمراد الاعمى والبصير الحقيقان مثل فيهما الجاهل والعالم ويظهر التفاوت بعد البعث ولا ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وهم المحسنون ﴿ولا المسيء﴾ والمراد الجنس وكأنه قال لا يستوى المحسنون والمسيئون وزيدت لا فالمسيء للتأكيد اشعاراً بأن المقصود مقابلته للذين آمنوا وعملوا الصالحات وانه لا يساويه فيما له من الفضل والكرامة وعطف الذين مع المسيء على الاعمى والبصير للتغاير في المقصود فان القصد أولاً نفي استواء العمى والبصر وثانياً نفي استواء المحسن والمسيء والقصد أولاً والدلالة بالتمثيل وثانياً الدلالة بالتصريح * ﴿قليلاً ما تتذكرون﴾ قليلاً نعت لمصدر محذوف مقدم وما زائدة لتوكيد القلة أي يتذكرون تذكراً قليلاً جداً أو ما نكرة مبهمة تزيد ابهاما نعت بـ (قليلاً) أو منعوتة ويجوز كون (قليلاً) نعت لظرف محذوف أي (زماناً قليلاً) والضمير للناس أو الكفار وقرأ الكوفيون بالمثناة فوق (خطاباً) للناس فهو أعم من الكفار ومساو لارجاع الضمير للناس في القراءة الأولى أو المقصود الكفار ملتفتاً اليهم بالخطاب أو أمر النبى بخطابهم أي قل لهم قليلاً ما تتذكرون والتذكر الاتعاظ ﴿ان الساعة﴾ يوم القيامة * ﴿لآتية لا ريب﴾ لا شك ﴿فيها﴾ أي في مجيئها وقيامها اذ لابد من جزاء ولاجماع الرسل عليها * ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ بها وبالبعث بعد الموت لقصور نظرهم * ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ أي اعبدوني وحدي بدليل قوله * ﴿ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون﴾ بفتح الياء وضم الخاء ، وقرأ ابن كثير وأبو بكر بضم الياء وفتح الخاء * ﴿جهنم داخرين﴾ ذليلين صاغرين وهو حال مقارنة أو مقيمين فهي حال مقدرة والدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن والاستجابة الاعطاء للثواب كما مر وهو تفسير مجاهد.

قال الحسن: اعملوا وأبشروا فانه حق على الله أن يستجيب أي بمقتضى الوعد وفسر به الآية وقيل معنى الدعاء والعبادة التوحيد وقيل الدعاء السؤال

أيضاً أو لأن الدعاء من أبوابها والاستجابة اجابة الدعاء فذلك تفضل ووعد لأمة محمد ﷺ بالاجابة للدعاء .

وفي الحديث ان الدعاء هو العبادة وقرأ الآية وان لم يسأله بغضب عليه وان الدعاء مخ العبادة وانه لا أكرم على الله من الدعاء.

وعن ابن عباس أفضل العبادة الدعاء وعن كعب أعطى الله هذه الأمة ثلاث خلال لم يعطهن نبي كان يقول لكل نبي (أنت شاهد على خلقي) وقال لنا (لتكونوا شهداء على الناس) وكان يقول (ما عليك من حرج) وقال لنا (ما يريد الله أن يجعل عليكم من حرج) وكان يقول (ادعنى أستجب لك) وقال (ادعونى استجب لكم).

وعن عبادة بن الصامت عنه ﷺ: «ما على الارض مسلم يدعو الله بدعوة الا أتاه اياها أو صرف من السوء مثلها ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم فقال رجل من القوم اذا نكثر قال الله أكثر أي رحمة أو اجابة» وزاد أبو سعيد الخدري أو يدخر له من الأجر مثلها وعن أبى هريرة عنه ﷺ عنه تعالى : [أنا عند حسن ظن عبدي وأنا معه اذا دعاني] وشروط الدعاء منها الاخلاص في الدعاء واحضار القلب وكون المطلوب مصلحة للانسان ثم اما أن يعجل الله له الاجابة في الدنيا أو يؤخر ويدخر له في الآخرة أو يكفر ذنوبه بقدر دعائه ما لم يستعجل يقل دعوت ولم يجب لي.

قال ابن عطاء الله : لايكون تأخر أمد الاجابة مع الالحاح في الدعاء موجباً ليأسك فهو ضمن لك الاجابة فيما يختار لك لا فيما تختار لنفسك وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد وقيل المعنى (ادعونى أستجب بالنصر والثواب) .

وعن ابن عباس : وحدونى أغفر لكم وعبر بالموصول ليومي بصلته الى طريق بناء الخبر على اسم (ان) فان الاستكبار عن العبادة دال على أن الخبر من جنس العقاب والاذلال.

﴿الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه﴾ لا غيره فوحدوه أي لتستريحوا

فيه خلقه الله بارداً مظلماً ليؤدي الى ضعف الحركة وهدوء الحواس؛ ﴿والنهار مبصراً﴾ أي وجعل لكم النهار مبصراً واسناد الابصار لمن في النهار لا للنهار أي تبصرون فيه أو من اسناد ما للمسبب للسبب ومن الاسناد للآلة أي تبصرون به وانما لم يقل والنهار لتبصروا أو ليبصروا كما قال لتسكنوا ولم يقل جعل لكم الليل ساكنين فيه أو ساكنا كما قال والنهار مبصر لان الحال يفيد التعليل ككلام ومبصر حال والمفعول الثاني محذوف أي لكم وقيل (مبصر) مفعول ثان وأيضاً لو قيل لتبصروا فيه فأتت فصاحة الاسناد المجازى ولو قال (ساكناً) لم تتميز الحقيقة والمجاز لأن الليل يوصف بالسكون حقيقة فلا يدرى ساكناً هو على الحقيقة أو ساكنين فيه على المجاز وأيضاً في اسناد الابصار الى النهار مبالغة وكأنه لقوة الابصار فيه مبصر بنفسه وقوة الابصار فيه زيادة في النعمة أو لم يقل جعل لكم الليل ساكناً لان المبالغة في السكون غير مطلوبة لانه ينبغى ترك السكون في بعضه للحركة في العبادة ونحوها ويجوز جعل (مبصراً) بمعنى (مضيئاً) مجازاً وانما جعل النهار مبصراً لنتمكن فيه من قضاء الحوائج * ﴿ان الله لذو فضل﴾ أي فضل عظيم واسع كثير ولو قال لمتفضل أو لمفضل لم يفد ذلك ولدل على الحدوث * ﴿على الناس﴾ متعلق بفضل.

﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ الله وهم لا يؤمنون به أنه المنعم فضلاً عن الشكر وانما لم يقل (أكثرهم) ليخصص كفران النعمة بهم صراحة.

﴿ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو﴾ الاشارة الى المعلوم التمييز بالافعال الخاصة التى لا يشاركه فيها أحد (والله) خبر أول (ورب) خبر ثان (وخلق) خبر ثالث (ولا اله الا هو) خبر رابع أي هو الجامع لهذه الاوصاف الالوهية والربوبية وخلق كل شيء والوحدانية وكل واحد مقرر لما قبله ومخصص وقرىء بالنصب فقيل على الاختصاص ويضعفه انه لم يتقدم ضمير بمعناه بل ظاهر وانه لم تقرن بأل ولعله منصوب على المدح والحمد أو حال من الخبر لأن المبتدأ اسم اشارة وعلى النصب فجملة (لا اله الا هو)

مستأنفة * ﴿فأنى﴾ أي كيف حال من (واو) * ﴿تؤفكون﴾ أي تصرفون عن الحق والايمان مع قيام البرهان عليه وقيل ظرف أي من أين أي من أي جهة يصرفكم الشيطان والنفس وأعوانهما عن الايمان الى الشرك وقرىء (يؤفكون) بالمثناة التحتية * ﴿كذلك﴾ أي افكاً ثابتاً كذلك الافك الذى أفكتموه *

﴿يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون﴾ الباء زائدة في مفعول يجحد على القلة أي يجحدون آيات الله أو للمصاحبة أي يجحدون الله مع آياته أو يجحدونه مع أن آياته الدالة عليه موجودة.

﴿الله الذي جعل لكم الأرض قراراً﴾ أي مستقراً أي موضع ثبوت وتمكن تستقرون عليها وقيل منزلاً في حال الحياة وحال الممات وبعده * ﴿والسماء بناء﴾ سقفاً كالقبة فانها في منظر العين مضروباً على الارض كالقبة قلت بل كونها كالقبة واقع تحقيقاً ذكر بعض أن السموات كقشور البصل.

﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾ بضم الصاد وقرىء بكسرها جمع صورة وأحسنها خلق القامة منتصبة ظاهرة لا خافية متناسب الاعضاء والتخطيطات قابلة للصنائع والكمالات لا منكبين كالبهائم ولم يخلق خلقاً أحسن صورة من الانسان وهو يتناول بيده.

﴿ورزقكم من الطيبات﴾ اللذائد وقيل جمع ما خلق من المآكل والمشارب من غير رزق الدواب المختصة به وجعل الأرض قراراً والسماء بناء والتصوير واحسانه والرزق من الطيبات استدلال ثان بأفعال أخرى مختصة به * ﴿ذلكم﴾ المختص المتميز بهذه الافعال الأخرى*

﴿الله ربكم فتبارك الله رب العالمين﴾ تعالى عن الجحود مع هذه الآيات وكل ما سواه مفتقر اليه معرض للزوال مربوب له * ﴿هو الحي﴾ أي هو المنفرد بالحياة الذاتية القديمة الدائمة فهو الفعال لما يريد العالم التام القادر القدرة التامة * ﴿لا اله الا هو﴾ لا أهل للعبادة سواه ومن عبد سواه أضاعها اذ لا موجود يساويه في ذات أو فعل أو صفة * ﴿فادعوه﴾ فاعبدوه

* ﴿مخلصين له الدين﴾ مخلصين له الطاعة من الشرك والرياء ونحوهما من مفسداتها قائلين:

﴿الحمد لله رب العالمين﴾ فالجملة مفعول لحال محذوفة متعددة على أن صاحبها الواو متداخلة على أنه ضمير (مخلصين) المستتر وكأنه قال (فادعوه واحمدوه على نعمه ومنها خلقه) الدعاء أي العبادة منكم.

وعن ابن عباس رضى الله عنه: من قال لا اله الا الله فليقل على اثره الحمد لله رب العالمين ﴿قل اني نهيت﴾ قال الله له ذلك حين دعوه للكفر * ﴿أن أعبد الذين تدعون﴾ تعبدون أو تسمون آلهة.

﴿من دون الله لما جاءني البينات من ربي﴾ وقد كان عقله والهام الله اياه نهاية عن عبادتهم قبل مجيء البينات ثم جاءت مقوية ومؤكدة وهى أقوى في ابطال مذهبهم بل قد تضمنت البيانات آيات العقل كقوله (أتعبدون ما تنحتون) الخ فذكر البينات ذكر لأدلة العقل.

﴿وأمرت أن أسلم لرب العالمين﴾ أي أن أنقاد وأخلص له ديني ﴿هو الذي خلقكم من تراب﴾ أي خلق أباكم منه فحذف المضاف أو أراد أنه خلقنا منه باعتبار أن أصلنا وهو آدم منه وانا كنا أجزاء منه وخرجنا كالذر ثم عدنا أو انا خلقنا من النطفة وهى من الأغذية والأغذية من النبات والنبات من التراب.

﴿ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً﴾ المراد جنس الطفل وحقيقته أي يخرجكم على حقيقة الفعل ولكون الغرض بيان الجنس اقتصر على الواحد لوجود الحقيقة أو المراد يخرج كل واحد منكم طفلاً والعلقة الدم الغليظ المتجسد * ﴿ثم﴾ يبقيكم أحياء * ﴿لتبلغوا﴾ متعلق بذلك المقدر * ﴿أشدكم﴾ تكامل قوتكم من الثلاثين السنة الى الأربعين * ﴿ثم لتكونوا﴾ عطف على لتبلغوا أو يقدر له مثل ما قدر له * ﴿شيوخا﴾ بضم الشين عند نافع وأبي عمرو وحفص وهشام وبكسرها عند غيرهم وقرىء (شيخاً) بالافراد وارادة الحقيقة أو على معنى ثم ليكون كل واحد شيخاً ممن

أراد الله حياته الى الشيخوخة وعن بعضهم ان (طفلاً وشيخاً) في مثل ذلك ونحوهما افراد مستعملة بمعنى الجمع موضوعة وخصه كثير للضرورة وذلك كله تنبيه على الوحدانية بالعبرة في ابن آدم وتدرج خلقه حالة الطفولية وهي حالة البنوة وحالة تكامل القوة وحالة الشيخوخة وهى حالة الضعف.

﴿ومنكم من يتوفي من قبل﴾ أي من قبل الشيخوخة أو بعد بلوغ الاشد أو قبل ذلك كله وهو أن يخرج سقطاً بعد ما نفخ فيه الروح * ﴿ولتبلغوا﴾ متعلق بمحذوف أي ونفعل ذلك لتبلغوا ولا مانع من تقدير نبقيكم أحياء لتبلغوا ولا مانع من عطفه على (لتبلغوا) أو لتكونوا كما قال * ﴿أجلا مسمى﴾ يوم الموت فالمراد جنس الأجل أو وليبلغ كل واحد منكم أجلاً على ما مر والمسمى المحدود المعين عند الله وقيل المراد يوم القيامة فعلى الاول لا اشكال في التقدير تقدير (نفعل أو نبقي) ولا في العطف وعلى الثانى فتقدير (نفعل) أولى ويجوز غيره كما مر أي (نبقيكم) مدة لتوافوا يوم القيامة على حال سابق في علم الله بعد موتكم ويضعف جعل اللام بمعنى (الى) مطلقاً ولاسيما مع المضارع ﴿ولعلكم تعقلون﴾ ما في ذلك من الحجج والعبر والأحوال العجيبة من القدرة الباهرة الدالة على توحيده وقدرته فتؤمنون *

﴿هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى أمراً﴾ أى أراد قضاءه أي ايجاده في الخارج بعد علمه به في الأزل.

﴿فانما يقول له كن فيكون﴾ أي يكونه من غير كلفة بل بمجرد أن يخلق لفظ كن هكذا مسموعاً وما هذا الا لشيء علمه والا فيوجد بدون خلق هذا اللفظ ويمكن أن لا يكون هناك قول ولا لفظ ولكن اذا وصل أجل شيء سابق في علمه وقع وعبر بقول (كن) تمثيلاً لسرعته وذلك نتيجة قدرته على الاحياء والاماتة وما ذكر من أفعاله الدالة على توحيده وعلى أنه لا يمتنع عليه مقدور دلت على النتيجة الفاء الأولى وأما الثانية فعاطفة على (يقول) أو للاستئناف أو لقدرته الذاتية الكاملة التى لا تحتاج الى عدة كأنما يريد قضاه أياماً كان هو أهون شيء وأسرع موجود وكونها للاستئناف أثبته ابن

مالك وأنكره ابن هشام في بعض كتبه وقرىء بنصب (يكون) بأن محذوفة والمصدر معطوف على مصدر مقدر من القول.

﴿ألم تر الى الذين يجادلون في آيات الله﴾ القرآن ورسالة نبينا ﷺ * ﴿أنى يصرفون﴾ عن التصديق وقيل نزلت في القدرية وكرر ذم المجادلة لتعدد المجادل أو المجادل فيه أو للتأكيد قاله القاضي.

﴿الذين كذبوا بالكتاب﴾ القرآن * ﴿وبما أرسلنا به رسلنا﴾ من سائر الكتب أو المراد بالكتاب جنس كتب الله وبما أرسلنا غيرها من الوحي والشرائع ومن ذلك التوحيد والبعث والمكذبون كفار مكة * ﴿فسوف يعلمون﴾ جزاء التكذيب ومن المحق وذلك وعيد وتهديد * ﴿اذ الأغلال في أعناقهم﴾ اذ هنا للاستقبال بدليل سوف وهذا أبطله الجمهور فيجعلونها للماضي تنزيلاً للمستقبل منزلة ما وقع لتحقق الوقوع * ﴿والسلاسل﴾ بالرفع عطفاً على الأغلال فهى في الاعناق أو مبتدأ خبره محذوف أي في أرجلهم أو خبره * ﴿يسحبون﴾ بالبناء للمفعول والرابط محذوف أي بها وقريء بالنصب مفعول (يسحبون) ببنائه للفاعل عطفاً للفعلية على الاسمية أو الواو للحال ولو كانت الجملة مضارعية مثبتة (لبدأها) بالمفعول وبالجر على المعنى لان في الكلام قلباً أصله اذ الاعناق في الاغلال والسلاسل أو اذ أعناقهم الخ أو لا قلب بصحة الاعناق طرفاً للاغلال والعطف على (الاغلال) قيل أو الجر بباء محذوفة كما قرىء بثبوتها متعلقة بيسحبون وجملة (يُسحَبون) بالبناء للمفعول على هذا أيضاً حال أو معطوفة على الاسمية والسحب الجر * ﴿في الحميم﴾ أي في جهنم أو الذائب الشديد الحر * ﴿ثم في النار يسجرون﴾ قال مجاهد (تسجر) النار بهم أي توقد (وسجرت) التنور ملأته ناراً أو ملأته بالوقود (والسجير) الحبيب لانه ملىء بالحب وقال السدي: (يسجرون) يحرقون والمراد انهم ينقلون من نوع عذاب الى آخر وأجوافهم مسجورة بالنار مملوءة والنار محيطة بهم أجرنا اللهم من نارك فانا عائذون بجوارك* ﴿ثم قيل لهم﴾ أي يقال لهم * ﴿أين ما كنتم تشركون﴾

من الأصنام ﴿من دون الله قالوا﴾ أي يقولون * ﴿ضلوا عنا﴾ فقدناهم فلم نرهم وذلك قبل أن تقرن بهم آلهتهم أو بعده ولكن ضلوا عنهم اذ وبخوا وهم مقرونون بهم لكن لما لم ينفعوهم فكأنهم ضالون عنهم والمراد أين شركاؤكم فيشفعون لكم *

﴿بل لم نكن ندعو من قبل شيئاً﴾ اضطراب وقع الى الكذب وقيل لم ندع شيئاً نافعاً بل شيئاً لا يعتد به وقيل ضاعت عبادتنا فكأنا لم ندع شيئاً أي تبين لنا بطلان ذلك ثم تحضر آلهتهم ان قلنا غابت انكم وما الخ * ﴿كذلك﴾ أي اضلالا ثابتاً كذلك الضلال الذي ضلت آلهتهم * ﴿يضل الله الكافرين﴾ عما ينفعهم في الآخرة أو يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوها وطلبتم أن تطالبوا لم يتصادفوا بالفاء لا بالقاف * ﴿ذلكم﴾ العذاب النازل بكم وقيل ذلكم الاضلال أو الضلال * ﴿بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق﴾ كالاشراك وانكار البعث والمعاصي وقيل تبطرون وتتكبرون بغير الحق * ﴿وبما كنتم تمرحون﴾ تتوسعون في الفرح وقال مجاهد: تبطرون وبين تفرح وتمرح جناس والعدول من الغيبة الى الخطاب في ذلك وما بعده مبالغة في التوبيخ * ﴿ادخلوا أبواب جهنم﴾ السبعة المقسومة لكم أي يقال لهم ادخلوا وهذا القول قبل المحاورة لانها بعد دخولهم* ﴿خالدين﴾ حال مقدرة * ﴿فيها﴾ أي في جهنم فالضمير عائد على المضاف اليه * ﴿فبئس مثوى المتكبرين﴾ عن الايمان جهنم أي بئس ماهو الاصل فبئس مدخل المتكبرين كما تقول زر بيت الله فنعم المزار وصل في المسجد الحرام فنعم المصلى ولكن عبر بالمثوى لان الدخول مقيد بالخلود بمعنى المكوث وسبب للثواء * ﴿فاصبر ان وعد الله﴾ بعذابهم ونصرك * ﴿حق﴾ وذلك تأنيس له ﷺ * ﴿فإمّا﴾ ان الشرطية وما الزائدة أدغمت نون (ان) بعد القلب فيما يدل على ذلك التوكيد بالنون ولولا ما الزائدة لما أكد بعد (إن).

﴿نرينك بعض الذي نعدهم﴾ اياه من العذاب في حياتك وهو القتل والاسر يوم بدر وغيره فتقر عينك وجواب (إن) محذوف أى

فـذاك ﴿أو نتوفينك﴾ نمتك قبل تعذيبهم ﴿فالينا يرجعون﴾ بالموت بعدك أو يرجعون يوم القيامة فننتقم منهم أشد الانتقام لأعمالهم والجملة جواب معطوف على الشرط أى وان نتوفينك على حذف بعضها أي قد يرجعون بقد التحتية أو التوقعية باعتبار المخاطب أو هم يرجعون والتحقيق ان هذه جواب لذلك كله أي ان أريناك ولم نرك فمرجعهم الينا وان قلت من أين يفهم أشدية العذاب ؟ قلت: من ذكر الرجوع في معرض العقاب.

﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك﴾ ثلاثمائة وثلاثة عشر وأنت رابع أربعة عشر وقيل ثلاثمائة واثنا عشر وأنت ثالث ثلاثة عشر وهو الصحيح وجملة الانبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً .

﴿منهم من قصصنا عليك﴾ خبره وحاله وهو القليل المذكور في القرآن * ﴿ومنهم من لم نقصص عليك﴾ وهم الكثير وكل بآيات ومعجزات وجادله قومه وكذبوه فصبر فاصبر أنت وهذه تسلية قال بعضهم بعث الله ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بنى اسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس وعن علي ان الله بعث نبياً أسود فهو ممن لم يقصص عليه.

﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله﴾ لانهم عبيد أمرهم بيد ربهم لا يقدر واحد منهم أن يأتى بأية طلب بها الا أن قدرها الله وكأنه قال أرسلنا كثيراً من الرسل وماكان لواحد أي يأتي بأية طلب بها الا ان قدرها الله وكأنه قال أرسلنا كثيراً من الرسل وماكان لواحد أن يأتى بآية اقترحوها عليك أي طلبوها من غير روية والمعجزات قسم كالأرزاق وقيل ان الآية نزلت رداً على العرب في انكار أن يبعث الله بشراً رسولاً.

﴿فاذا جاء أمر الله﴾ قضاه بين الانبياء والامم يوم القيامة* ﴿قضي﴾ بين الأنبياء والأمم * ﴿بالحق﴾ بالعدل وقيل أمر الله بالعذاب في الدنيا والاخرة والقضاء بانجاء المحق وتعذيب المبطل * ﴿وخسر﴾ أي هلك * ﴿هنالك﴾ أي وقت القضاء والمجيء فهنا مستعملة في الزمان أو المراد في مكان القضاء وهو المحشر * ﴿المبطلون﴾ المجادلون في آيات الله بغير سلطان المقترحون

الآيات بعد ظهور ما يغنيهم عنها وذلك وعيد وتهديد لهم وان شئت فقل المراد بالقضاء اظهاره والا فقضاؤه أزلي وبالخسران ظهور بطلان سعيهم وهم في كل وقت خاسرون ويجوز أن يريد بأمر الله ارسال رسول وبعث نبي وبالقضاء انفاذ الارسال والبعث وبخسران المبطلين بيان ضلالهم * ﴿الله﴾ لاغيره ﴿الذي جعل﴾ أوجد وخلق * ﴿لكم الانعام﴾ الابل خاصة بدليل الركوب والبلوغ عليها والحمل عليها كالفلك زيادة على الأكل منعا والمنافع والمشار لها وغيرها فيها ويجوز أن يريد الابل والبقر والغنم فالحكم بالركوب والبلوغ والحمل حكم على المجموع لا الجميع فيصرف لقابله ويصرف سواء للجميع.

﴿لتركبوا منها ومنها تأكلون﴾ تركبوا شيئاً من الابل وتأكلون شيئاً منها ومن للتبعيض أو للابتداء ويصح ارادة الانعام كلها كما مر فان منها ما يؤكل كالغنم وما يؤكل ويركب وهو الابل والبقر وركوب البقر قليل، بل قال الطبري الآية تعم الخيل والبغال والحمير فانها تركب ويحمل على البغل والحمار أيضاً وغير ذلك مما ينتفع به من البهائم * ﴿ولكم فيها منافع﴾ كاللبن والنسل والوبر والصوف والجلد واكتساب الاموال.

﴿ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم﴾ السفر عليها وحمل الأثقال والسفر بها هو للحج أو للغزو أو لطلب العلم أو لغير ذلك وانما قال تأكلون بالرفع فلم يدخل في التعليل وقال (ولكم فيها منافع) لا لتصلوا الى منافعكم لان الركوب يشمل الركوب للحج والغزو وبلوغ الحاجة من الهجرة لنحو اقامة دين أو احرازه أو لطلب علم أغراض دينية تجب وتندب فتتعلق بها ارادة حكم بخلاف المباح من الانتفاع والأكل فانهما للتعيش والتلذذ وقيل لم يأت بالاكل على صيغة التعليل لانه لابد منه ضروري وأيضاً لم يعلل في النفع والأكل للفرق بين العين والمنفعة.

﴿وعليها وعلى الفلك تحملون﴾ لم يقل وفي الفلك لان ما حمل عليها يعلوها فصح الاستعلاء وليطابق عليها والفلك السفن ومفاد ذلك أنكم

محمولــون في البر والبحــر في البر على الانعــام وفي البحــر على الفلك * ﴿ويريكم آياته﴾ دلائل وجوده وقدرته الدالة على توحيده.

﴿فأي آيات الله تنكرون﴾ ليس منها شيء يمكن انكاره لوضــوح الجميع فأي آية منها تنكرون وأي مفعول تنكرون واجبة التقـديم لانهـا استفهـامية والاستفهام انكارى انكار توبيخى واقعة على الآية ولم تقرن بالتـاء لانهـا غير صفة وانما تلحق فصيحاً الصفة كضارب ومضروب وقد تلحق أياً وهى لغـة ضعيفة ومثلها حمار وحمارة وانسان وانسانة بـل آيـة بـالشـذ أغـرب وأضعف لشدة ابهامها.

﴿أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كانت عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشـد قـوة وآثـاراً في الأرض﴾ من نحو القصور والمصانـع وقيـل (آثار) أرجلهم لعظم اجـرمتهم* ﴿فما أغنى عنهم﴾ ما نافية أو استفهاميـة مفعــول لأغنى أي شيء أغنى أو مفعــولاً مطلقــاً أي أن اغنــاء أغـنـى والاستفهام بمعنى النفي والاغناء الحفظ والنفع * ﴿ما﴾ اسم موصول فاعل (أغنى) أو حرف موصول والفعل بعدها في تأويل مصـدر فـاعـل لأغنى * ﴿كانوا يكسبون﴾ أي ما أغنى عنهم ما كسبوه أو كونهم كـاسبين أو كسبهم أهلكهم الله بذنوبهم مع انهم أكثر وأقوى من هؤلاء العـرب المعـانـدين لك يامحمد.

﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينـات﴾ المعجزات الظاهرة والآيـات الـواضحـة والضمير لكفار الأمم الماضية * ﴿فرحوا﴾ الضمير لهم وكذا في قوله * ﴿بما عندهم من العلم﴾ والفرح رضاهم بعلمهم واكتفاؤهم به عن بينات الرسـل أو فرح استهـزاء وضحك منكـرين لهـا ان رجعنـا ضمير (فـرحـوا) للكفـار وضمير (عندهم) للرسل وعلم الرسل واضح وعلم الكفار ما اعتقدوه وظنوه من انهم لا يبعثون ولا يحاسبون وسماه علماً بالنظر لما هم فيه من اعتقـاده أو تهكماً وكانوا يقولون (ما أظن الساعة قـائمـة) و (لا نعـذب) و (لئن رجعت الى ربي ان لي عنــده للحسنى) و (لئن رددت الى ربى لأجــدن خيراً منهــا

منقلباً) يفرحون بذلك وينكرون الآيات أو أراد بعلمهم الدنيا وبالمعاش كعلم الفلاسفة والدهريين من بني يونان اذا سمعوا بالوحي دفعوه وصغروا علم الانبياء بالنظر الى علمهم.

وعن سقراط لما قيل له لو هاجرت الى موسى انه قال: نحن قوم مهذبون لا حاجة بنا الى من يهذبنا أو المراد الكناية عن عدم فرحهم بالبينات الموجبة لأقصى الفرح ولا علم عندهم ولا فرح فهذا تهكم بهم بنسبة العلم أو جاءتهم الرسل بعلم من الله وجعلوا بدل الفرح به الفرح بما عندهم وكون ضمير (فرحوا) للكفار مذهب مجاهد وقيل للانبياء فانهم لما رأوا تماديهم على الجهل علموا سوء عاقبتهم وفرحوا بعلمهم وشكروا الله عليه * ﴿وحاق﴾ نزل ﴿بهم﴾ أي بالكفار قيل وهذا يقوي ان المراد ضحكهم واستهزاؤهم بما عند الأنبياء من العلم * ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ أي العذاب الذي يستهزئون به أو جزاء ما استهزأو به من الفرائض والمعجزات ﴿فلما رأوا بأسنا﴾ عذابنا أو شدته.

﴿قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين﴾ من الاصنام ﴿فلم يك﴾ لم يصح ولم يستقم * ﴿ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا﴾ لامتناع قبوله حينئذ وهكذا من عاين العذاب أو أمر من الآخرة عند الموت قال الزمخشري فاء (فما أغنه) نتيجة للاكثرية والاشدية وأما (فلما جاءتهم) فجر مجر البيان لقوله (فما أغنى) نحو رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء وقوله لما رأوا تابع لقوله (فلما جاءتهم) كأنه قال فكفروا (فلما رأوا بأسنا آمنوا) فكذلك(فلم يك ينفعهم ايمانهم) تابع لايمانهم لما رأوا بأس الله ورؤية البأس سببها مجيء الرسل وامتناع نفع الايمان سببه الرؤية * ﴿سنة﴾ مفعول لاحذروا فهو تحذير أو مصدر نوعي لاضافته الى قوله * ﴿الله﴾ وعامله محذوف وجوباً وأصله توكيدي أي سن الله ذلك سنة وأيضاً نوعي أو صفة بقوله * ﴿التي قد خلت في عبادى﴾ أي مضت وجمع في عباده الأمم السالفة وتلك السنة هى عدم قبول ايمانهم عند معاينة العذاب * ﴿وخسر

هنالك﴾ أي وقت رؤيــة البــأس فهنــا مستعملــة في الــزمــان مجــازاً *
﴿الكافرون﴾ بذهاب الدارين وقيل ظهر خسرانه لكل أحـد وهم خـاسرون
في كل وقت وفي ذكره ان الايمان لا ينفع عند رؤية البأس حض على المبادرة
وعنى الزمخشري بقوله ان (فما أغنى) عنهم نتيجة لقوله (كانوا أكثر منهم) انه
كالنتيجة لانه انما يكون نتيجة على القلب اذ المعنى انهم اجتمعوا مـع قـوتهم
وحصلوا ما زاد فيها من المـال وما يلجأون اليه من ليغنيهم اذا جـاءهم أمـر
الاغناء التام فـانقلب التـدبير عليهم ومـا أغنى عنهم ذلك (ويـا قـومي انى
أخاف) في الثلاثة قرئت مفتوحة ومسكنـة وكـذا (ادعـوني أستجب) (ومـالي
أدعوكم) (وأمري الى الله) وأثبت ابن كثير ياء التلاقي والتنادي وصلاً ووقفـاً
وأثبتها وصلاً ورش واختلف النقل عن غيره وثبت ياء (اتبعوني أهـدكم) ابن
كثير ووصلاً ووقفاً وقلون وأبو عمرو وصلا اللهم بحق هذه السورة وبـركـة
سيدنـا محمـد غلب المسلمين على الـروم وصلى الله على سيـدنـا محمـد وآلـه
وصحبه وسلم*


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة فصلت

ســورة ﴿فصلت﴾

وتسمى سورة السجدة و حم السجدة وتسمى المصابيح وهى مكية آيـاتها أربع وخمسون وقيل ثلاث وخمسون وكلماتها سبعمائة وست وتسعون وحروفهـا ثلاثة آلاف وثلاثمائة حرف وخمسون حرفاً .

قال ﷺ : «من قرأ سورة السجدة أعطاه الله بكل حرف عشر حسنـات» وقالوا من كتبها ومحاها بماء المطر وسحق بذلك الماء كحلاً واكتحل به لبياض العين نفع منه ومن الرمـد وعلـل العين فـان تعـذر الكحـل فليغسـل العين بذلك المـاء فانه نافع .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حـم﴾ مبتـدأ وخبر * ﴿تنزيل﴾ وهذا على انه اسم السـورة وان جعـل تعديدا للحروف فتنـزيـل خبر لمحـذوف وكتـاب بـدل أو خبر آخـر أو خبر لمحذوف وتنزيل مبتدأ خبره كتاب وسوغ الابتداء بـه وصفـه بقـولـه * ﴿من الرحمن الرحيم﴾ أو تعليقه بـه بمعنى منـزل أو ﴿كتاب﴾ بدل من تنزيـل و ﴿فصلت آياته﴾ خبره وعلى غير هذا الجملة نعت كتاب ولعـل افتتـاح هـذه السور السبع بحم وتسميتها بها لتصديرهـا ببيـان الكتـاب وتشـاكلهـا نظماً وترتيباً ولم تذكر أول السورة قبلها والحكم لله والعلم له وذكر بعضهم ان حم من أسماء القرآن وأضاف التنزيل اضافة معنوية الى الرحمن الرحيم انه قيـوم المصالح الدينية والدنيوية وتفصيل الآيات تمييزها وجعلها واضحة شتى حكماً وأمثالاً ومواعظ ووعداً ووعيداً وغير ذلك وقرىء (فصلت) بالبناء للفـاعـل وعدم وعدم التشديد أي انفصـل بعضهـا من بعض بـاختـلاف الفـواصـل والمعاني كما تقول فصـل زيـد من البلـد بمعنى انفصـل أو فصلت بين الحق والباطل وقيل معنى تفصيلها أو فصلها تنزيلها أو نزولها نحـو مـا لأمـره * ﴿قرآنا عربياً﴾ باللسان العربي فهو سهل وذلك امتنان بسهولته قراءة وفهـما

ومدح له فقيل منصوب على المدح أي امدح قرآنا عربيا ومن قال على الاختصاص فانما هو جار على القليل لعدم سبق ضمير حضور بمعناه وعدم قرنه أو قرن ما أضيف اليه بأل بل لا اضافة أصلاً ولعله حال من الهاء لان المضاف جزء من المضاف اليه لأن آيات القرآن باعتبار كل على حدة أو جملة جملة جزء منه ولصحة الاستيفاء بالمضاف اليه * ﴿لقوم يعلمون﴾ العربية وهم العرب والاعراب نزل بلغتهم ليفهموه ويفهموه غيرهم وقيل المراد بالقوم أهل العلم أو النظر وقيل لقوم يعلمون الدلايل وخصوا بالذكر لانهم أهل الانتفاع به وتشريفاً لهم وليس في القرآن الا ما هو من كلام العرب اما من أصل لغتهم واما مما عربوه واستعملوه من لغة غيرهم واللام متعلقة بتنزيل أي تنزيل من الله لهم أو بفصلت أو بمحذوف نعت بـ (قرآناً) أو حال منه أو من ضمير (عربياً) وفي الاول الفصل بين العامل والمعمول مع أن العامل مصدر والمعمول أجنبي والنعت أولى ليكون كما قبله وما بعده فلا يفصل بين النعوت بما ليس نعتاً ان جعل (بشيراً) نعتاً*

﴿بشيراً ونذيراً﴾ نعتان للقرآن أو حالان أي بشير لأوليائه بالثواب ونذير لأعدائه بالعقاب وقرىء بالرفع نعتان لكتاب أو خبر ان لمحذوف* ﴿فأعرض أكثرهم﴾ قال الثعالبي وغيره سبب نزول ذلك كله أن عتبة بن ربيعة بعثته قريش الى سيدنا محمد ﷺ وآله وصحبه ليكلمه في شأن ما يقوله فجاءه فعرض عليه الرياسة والمال وغيرهما فسكت ﷺ منتظراً لأمر ربه ثم قال اسمع منى ما أقول

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿تنزيل الكتاب﴾ الى أن قرأ ﴿فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾ وجعل يده على فمه وناشده بالرحم التي بسببها أن يكف عن قوله مخافة نزول العذاب عليه وعلى أمثاله فرجع الى قومه فقالوا لقد جاء بغير الوجه الذي ذهب به وقالوا ما وراءك يا عتبة ؟ قال: لقد سمعت منه كلاماً لم أسمع بمثله ليس هو بشعر ولا بسحر ولا كذب ولا كهانة فخلوا سبيله وليكونن له شأن عظيم ونبأ جسيم لما علمتم من صدقه فيما يقول وقد خفت نزول العذاب بكم من جهته ولقد ظننت ان

صاعقة العذاب على رأسي * ﴿فهم لا يسمعون﴾ سماع تأمل واذعان لاعراضهم عن تدبره وقبوله لتكبرهم فعدم السماع كناية أو استعارة عن عدم القبول* ﴿وقالوا﴾ أي مشركو مكة للنبى ﷺ ﴿قلوبنا في أكنة﴾ أي أغطية جمع كنان * ﴿مما تدعونا﴾ أنت * ﴿اليه﴾ فلا نفقه ما تقول.

﴿وفي آذاننا وقر﴾ بفتح الواو وقرىء بكسرها صمم من ثقل يمنع السمع وذلك لنبوء قلوبهم عن قبول الحق واعتقاده كانها في غلف تمنع من نفوذه ومج أسماعهم له كأن بها صمماً عنه ولتباعد المذهبين والدينين؛ ما رأوا كأنهم فصلوا عنه ﷺ بحاجز مانع من جبل ونحوه فلا تلاقي ولا ترائى كما قال * ﴿ومن بيننا وبينك حجاب﴾ يمنعنا عن التواصل والموافقة وهو مخالفة الدين و (من) زائدة عند ابن مالك على قاعدته في الظروف غير المتصرفة ولو في الاثبات والتعريف والحق انها هنا للابتداء وللدلالة على أن الحجاب ابتدأ منهم ومنه واتصل وسطاً ولم يبق فراغ ولولاها لم يفد الكلام الا أن (بيننا وبينك حجاب) دون افادة اتصاله منهم اليه وانما لم يقولوا على قلوبنا أكنة فيوافق قولهم (في آذاننا وقر) لحصول الموافقة مع ذلك إن المعنى واحد بدليل (انا جعلنا على قلوبهم أكنة) * ﴿فاعمل﴾ عمل مقتضى دينك * ﴿اننا﴾ بنونين خطاً وثلاث نطقاً وقرىء (انا) بواحدة مشددة * ﴿عاملون﴾ على مقتضى ديننا أو فاعمل في ابطال أمرنا اننا عاملون في ابطال أمرك * ﴿قل﴾ في جواب قولهم (قلوبنا في أكنة) الخ ﴿انما أنا بشر مثلكم﴾ لا ملك ولا جني لا يمكنكم الأخذ عنه فضلاً عن أن لا تسمعوا وعن أن يكون بينكم وبينه حجاب * ﴿يوحى اليّ انما الهكم اله واحد﴾ أي يوحى الي ان المعبود واحد لا متعدد وهذا ليس شيئاً يثقل على القلوب والاسماع بل سهل تقبله بل يدل العقل والنقل وقد صحت نبقى (انما أنا بشر) لان ما أقول لكم انما هو عن وحي لا إني ملك أو جني فوجب عليكم اتباعي فيما يوحى الي ومنه الاستقامة ﴿فاستقيموا اليه﴾ استووا اليه بالتوحيد والعمل واخلاص العبادة غير ذاهبين يميناً ولا شمالاً ولا ملتفتين الى ما يسول لكم الشيطان من اتخاذ الاولياء والشفعاء واستقيموا بالتوحيد والاخلاص تائبين اليه من الشرك والمعاصي واستقيموا في أفعالكم متوجهين اليه * ﴿واستغفروه﴾ من ذنبكم

وشرككم * ﴿وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة﴾ لجهلهم واستخفافهم بأمر الله وعدم تصديقهم بوجوبها وانكارهم الثواب والعقاب عليها وعلى غيرها وعدم اشفاقهم على الفقراء قاله الحسن واستوجبوا الويل بمنع الزكاة ففي الآية دليل على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة ومنها الزكاة وكما يوجبه منعها انكاراً لفرضها وهو نوع شرك يوجبه منعها مع اعتقاد فرضها وهو نفاق وخص منع الزكاة كفراً من بين أنواعه تعظيماً له فان المال شقيق الروح فاذا بذل فهو دليل على الثبات والاستقامة وانما لانت شكيمة المؤلفة بلقمة زكاة وما تظاهر المشركون في ولاية الصدق الا يمنعها فناصبهم الحرب وفي ذلك حض للمؤمنين على أدائها وتخويف شديد من منعها والزكاة من قناطر الاسلام لا ينجو من يقطعها.

وقال ابن عباس وقيل الجمهور المراد بالزكاة لا اله الا الله محمد رسول الله وما جاء به من حق لانه زكاة الأنفس وتطهيرها من الشرك كما قال موسى لفرعون (هل لك أن تزكي) ويرجحه ان الآية مكية والزكاة مدنية وعليه الربيع ومجاهد وقال الضحاك ومقاتل الزكاة هنا النفقة في الطاعة وقيل المراد لايفعلون ما يزكي أنفسهم وهو الايمان والطاعة وقيل كانت قريش يطمعون الحاج ويحرمون من آمن برسول الله ﷺ و (يؤتون) مبنى للفاعل أي تؤتيون ثقلت الضمة على الياء فنقلت التاء المكسورة قبلها وحذفت الساكنين وأصله (أتى) كأكرم الالف تعد بالهمزة هو همزة (أتى) كرمى قلبت الفا لما دخلت همزة التعدية ولما دخل حرف المضارع حذفت همزة التعدية وقلبت الألف واو الضم * ﴿وهم بالآخرة﴾ متعلق بـ (كافرون) * (وهم) توكيد لفظي فصل بالظرف ولو أجنبياً للتساهل في الظرف * ﴿هم كافرون﴾ والجملة حال مشعرة بأن منع الزكاة لاستغراقهم في طلب الدنيا وانكارهم للاخرة كفروا بالبعث.

﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون﴾ غير مقطوع مننت الحبل قطعته وقيل لا يمن عليهم لان المن على الفضل لا على الاجرة وذلك الجزاء جعله الله لسعة رحمته أجراً كانهم استوجبوه بعملهم مع أنه

تفضل في الحقيقة والأول لابن عباس وقيل عنه غير منقوص وقال مجاهد غير محسوب وقيل نزلت في المرض واذا عجزوا عن الطاعة وقد نووها نية صحيحة انهم لهم عليها أجراً لا يقطع كما انهم فعلوها بأشد صحة وعن أبي موسى الاشعري سمعت رسول الله ﷺ مراراً يقول «اذا كان العبد يعمل عملاً صالحاً فشغله عنه مرض أو سفر كتبت له مصالح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم» وقيل معنى غير ممنون انه عطية الله لا مَنَّ فيها وانما يدخل المن عطية البشر * ﴿قل أئنكم﴾ بهمزتين خالصتين الاولى للاستفهام الانكارى التوبيخى والثانية همزة (ان) ؛ وورش يحذف الاولى لانه ينقل حركتها للحرف قبلها وبعضهم ينطق بالثانية بين الهمزة والياء وبعضهم بألف بين الهمزتين والتسهيل للثانية بينها وبين جنس حركتها وهو مذهب نافع * ﴿لتكفرون بالذي خلق الأرض﴾ مع سعتها وغلظها * ﴿في يومين﴾ لا أكثر يوم الأحد ويوم الاثنين وقيل في قدر يومين ولا يوم ولا ليل اذ ذاك وانما خلقها في يومين لما علمه هو وقيل تعليماً للخلق بعدم العجلة وهو قادر على خلقها في أسرع من لمحة وقيل خلق بعضها في يوم في أسرع ما يكون وبعضها الآخر في يوم كذلك وقيل المراد بالأرض جنس الأرضين خلق أصلها في يومين ثم خلق لها صورا بها صارت أنواعاً .

﴿وتجعلون له أنداداً﴾ أمثالاً شركاء ولا يصح له ند واحد فضلاً عن جماعة والعطف تفسير فان كفرهم أي شركهم هو جعل الأنداد وتغاير فالمراد بكفرهم الالحاد في ذاته وسائر صفاته وجعل الانداد الحاد في صفة الوحدانية كيف تجعل أصناماً خسيسة شركاء لمن خلق الارضين وهي لا تقدر على دفع ذباب نزل عليها * ﴿ذلك﴾ الخالق للأرض في يومين * ﴿رب العالمين﴾ مالك ما سواه وخالقه ومربيه المستحق للعبادة* هؤلاء الانداد * ﴿وجعل﴾ استئناف لا عطف على الصلة التي هي خلق الفصل بما خرج عن الصلة وهو (تجعلون له أنداداً) ويجوز عندي العطف والجملة معترضة نطقاً معطوفة على (تكفرون) محلها رفع * ﴿فيها﴾ أي في الارض * ﴿رواسي﴾ جبالا ثوابت* ﴿من فوقها﴾ لاتحتها ولا مركوزة فيها لتكون المنافع في الجبال

معرضة لطالبها حاضرة لمحطها وليعتبر الناظر فيها وبارتفاعها ويرى أنها أثقال على أثقال كلها مفتقرة الى ماسك وقد مسكها الله بقدرته * ﴿وبارك فيها﴾ أي أنزل البركة فيها أكثر خيرها ماء وزرعاً وضرعاً ونباتاً وأنماه ومن خيراتها البحار والاشجار وأصناف الحيوان وما يصاد * ﴿وقدر فيها أقواتها﴾ أي أوجد فيها أرزاق أهلها ناساً وجناً ودواب وطيراً وحوتاً وخلق لكل نوع ما يعيش به وما يصلح له وقيل قسم فيها أقوات أهلها ومعايشهم ومصالحهم .

وقرأ ابن مسعود: (فيها أقواتها) ، وقال الضحاك: أراد بأقواتها أرزاق أهلها ومنافعهم يجعل في بلد ما ليس بالآخر من نحو ملبوس ومطعوم ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة وقيل قدر الخبز لأهل قطر والسمك لأهل قطر وهكذا وقيل المراد الزراعة وهي أكثر الحرف بركة وأضاف الاقوات للارض على حذف مضاف كما رأيت أو لحلولها فيها وخروجها عنها وكذا قال السدي وفسر الاقوات بالأرزاق وقال مجاهد المراد قوت الارض نفسها من المطر والمياه وقال قتادة أقوات الارض من الجبال والانهار والاشجار والصخور والمعادن والاشياء التى بها قوام الارض ومصالحها .

وروى ابن عباس في هذا حديثاً وذلك تشبيه بالقوت الذي هو قوام الحيوان * ﴿في أربعة أيام﴾ باليومين الأولين خلق الأرض في يومين: الأحد والاثنين وقدر الأقوات في يومين الثلاثاء والأربعاء وفيهما خلق كل ما في الارض من جبل وغيره ولم يقل في يومين ليدل على اتصال اليومين باليومين وعلى الفرد لكله أي فذلك كله في أربعة أيام ولو قال في يومين لجاز أن يكون أطلق كلا من اليومين الأولين والآخرين على أكثرهما لان اليومين قد يعلقان على أكثر كذا قيل وفيه أن أربعة كذلك .

وعن الزجاج قد اتمت في أربعة أيام وأراد بالتتمة اليومين الأخيرين * ﴿سواء﴾ كاملة مستوية لا زيادة ولا نقص وهو بالنصب عند الجمهور حال من أربعة لاضافته قاله ابن هشام وقيل حال من ضمير (فيها) أو لضمير (أقواتها) ويدل لابن هشام قراءة الحسن ويعقوب بالخفظ على أنه نعت لاربعة لكن يجوز كونه نعتاً وانما نعت به وجعل حالاً مع أنه مفرد

مذكر مطلقاً لان أصله مصدر والمصدر يطلق على الواحد المذكر وغيره وقيل هو بالنصب مفعول مطلق اسم مصدر أي استوت استواء والجملة نعت ويدل له قراءة الجر لكن يجوز كونها نعتاً لاربعة أو حال منها وقرأ جعفر بن القعقاع بالرفع أي هى سواء والجملة نعت أيام وأربعة أو حال أربعة * ﴿للسائلين﴾ عن مدة خلقها وخلق ما فيها اعتباراً أو تعنتاً وهو خبر لمحذوف أي هذا الحصر للسائلين وعلقه قتادة بسواء.

وقال ابن زيد وجماعة متعلق بقدر على أن معناه الطالبون وهذا يتم على قول الزجاج ان معنى في أربعة في تتمة أربعة كذا قيل وحكي عن ابن زيد والجماعة تعليقه بسواء أي مستو مهيء أمر هذه المخلوقات ونفعها للمحتاجين الطالبين.

﴿ثم استوى الى السماء﴾ أي عمد وقصد الى خلقها من (استويت) الى كذا توجهت اليه غير ملتفت الى غيره وهو من الاستواء ضد الاعوجاج قصد خلقها ولا صارف له عنه وقصده توجه حكمته وارادته وثم لتفاوت ما بين الخلقتين لا للتراخى في المدة لان السماء خلقت قبل الأرض (والارض بعد ذلك دحاها) ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها. قاله القاضي والتحقيق انها للتراخى في المدة قيل كان عرشه على الماء وأخرج من الماء دخاناً فارتفع على الماء وعلا عليه فأيبس الماء فجعله أرضاً واحداً ثم فتقها أرضين ثم خلق السماء من الدخان المرتفع والاشارة في قوله تعالى بعد ذلك دحاها الى جرم السماء لا لوصفها ودحى الأرض وبسطها بعد خلق جرم السماء أو أراد بخلق الارض في يومين فضاءه بأن يخدشها فيها لايجادها * ﴿وهي دخان﴾ بخار كالدخان أمر الريح فضربت الماء وعليه العرش فارتفع منه البخار فخلق منه السماء.

﴿فقال لها وللأرض ائتيا﴾ من الاتيان أي أتياً بما أدرت منكما وخلقته فيكما من التأثير وقبول الاثر وابراز ما أودعتكما من الأوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة فذلك بعد وجود جرمها أمرهما باتيان صفة فهناك محذوف أي أوجدهما فقال لهما أو معنى الامر ياتيان بالأمر بالوجود على أن الخلق

السابق بمعنى قضائه أو تقديره في مدة مستقبله والترتيب لتفاوت الخلقتين أو للاخبار أو اتيان السماء وجودها وحدوثها واتيان الأرض أن تصير مدحوة أو المراد (ايت ياسماء مقيمة سقفاً لمن يكون في الارض وايت يا أرض مدحوة قرارا وفراشا لأهلك) كما تقول: (جاء عمله مرضياً) أو (لتأت كل منكما صاحبتها الاتيان الذي أريد وتقتضيه الحكمة من كون الأرض قراراً للسماء والسماء سقفا لها) ويقويه قراءة بعضهم (فقال لها وللارض وائتيا) بفتح الواو وهو فاء الكلمة وكسر التاء (وقالتا) (وائتيا) بفتح الواو وكذلك والتاء من المؤاتاة وهي الموافقة وتحتمل هذه القراءة معنى (وافقا أمرى ومشيئتي). وقرأ ابن عباس: (آتيا) بفتح الهمزة بعدها ألف وكسر التاء وقالتا (أتينا ، آتينا) بفتحها كذلك وفتح التاء أي أعطيا من أنفسكما من الطاعة ما أرتكما منكما * ﴿طوعاً أو كرهاً﴾ حال أي طائعتين أو كارهتين أو ذواتي طوع أو كره أو مفعول مطلق أي طعتما طوعاً أو كرهتما كرهاً والجملة حال أو طائعتين طوعاً أو كارهتين كرهاً واتيان طوع أو كره وذلك تمثيل للزوم تأثير قدرته فيهما وقيل التقدير (آتيا) طوعاً والا ألجأتكما أن تأتيا كرهاً * ﴿قالتا أتينا طائعين﴾ انما جمع صفتهما بالياء والنون مع انهما غير عاقلتين بوصفهما بوصف العاقل من الطوع والكره والخطاب والجواب وقيل لانهما حينئذ عاقلتان أوجد الله فيهما العقل وقيل تغليباً للعاقل لأن المعنى أتينا بمن فينا ومعنا مع انهما اثنتان باعتبار فتق كل الى سبع أو مجاز وقيل حقيق ثم ان الخطاب والجواب حقيقتان أقدرهما الله على الجواب الا أن ما فيهما غير موجود حينئذ فليس بمجيب ولا مخاطب أو الخطاب والجواب لا تحقيق فيهما والمراد تصوير أثر قدرته في المقدورات أي أراد اتيانهما أي وجودهما فأتيتا ولم يمتنعا شبههما بالمأمور المطيع الوارد عليه أمر المطاع فذلك استعارة تمثيلية مركبة وهي تشبه حالا منتزعة من متعدد بحال منتزعة من متعدد شبة ارادة وجودهما أو عدم امتناعها بأمرك أحد وطاعته لك أو شبهها بالمأمور والقول تخييل هذا ما ظهر لي وعن ؛ بعض قال الله أخرجا ما خلقت فيكما من المنافع أما أنت ياسماء فاطلعى شمسك وقمرك ونجومك وأنت يا أرض افتقى أنهارك

وأخرجي ثمارك ونباتك * ﴿فقضاهن﴾ خلقهن وأوجدهن وفصلهن وضمير الجمع باعتبار فتقها سموات و ﴿سبع﴾ حال أو الضمير لمبهم فسره قوله سبع ﴿سموات﴾ فتبع تمييزه ﴿في يومين﴾ الخميس والجمعة قيل خلق السموات يوم الخميس والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة وانتهى الخلق آخر الساعة من يوم الجمعة وخلق فيها آدم وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة قيل وهذا دليل على أنه لو قال في يومين في موضع أربعة أيام سواء لم يعلم انهما يومان كاملان أو ناقصان وما قاله أخصر وأفصح وأحسن طبقا لما عليه التنزيل من أن يقول خلق الأرض في يومين كاملين وقدر فيها أقواتها في يومين كاملين أو يقول بعد ذكر اليومين تلك الأربعة أيام سواء والجملة ستة أيام*

﴿وأوحي في كل سماء أمرها﴾ أي ما أمر به من فيها من العبادة أو ما أمر به فيها ودبره من خلق الملائكة قيل والشمس والقمر والنجوم وغيرها .

قال ابن عباس: خلق في كل سماء خلقاً من الملائكة وخلق ما فيها من البحار والجبال والبرد وما لا يعلمه الا الله وعن مجاهد وقتادة أوحى الى سكانها من الملائكة واليها ما يشاء من الأمور التى بها القوام والصلاح حملها عليها اختياراً أو طبعا * ﴿وزينا السماء الدنيا﴾ القريبة للأرض * ﴿بمصابيح﴾ أي بنجوم تشرق كالمصابيح * ﴿وحفظاً﴾ مفعول مطلق بمحذوف أي وحفظناها حفظاً من الآفات أو من الشياطين الذين يسترقون السمع يرجمون أو مفعول لأجله على المعني أى خلقنا المصابيح أو خصصنا السماء بها زينة وحفظاً وضمير حفظناها للسماء وقيل مفعول لمحذوف أي جعلناها أي الكواكب حفظاً للسماء من المسترقين يرجمون بالشهب* ﴿ذلك﴾ المذكور من صنعه* ﴿تقدير العزيز﴾ في ملكه * ﴿العليم﴾ بخلقه وفي ذلك اشارة الى كمال القدرة والعلم * ﴿فان أعرضوا﴾ أي كفار قريش عن الايمان بعد هذا البيان * ﴿فقل أنذرتكم﴾ أي خوفتكم* ﴿صاعقة﴾

مفعول مقيد أي بصاعقة عذابا مهلكاً أو داهية مهلكة * ﴿مثل صاعقة عاد وثمود﴾ أي مثل عذابهم المهلك أو داهيتهم وقيل الصاعقة تختص بالوقعة الشديدة من نحو صوت الرعد ونحو النار تنزل من السماء فشبه العذاب الشديد بتلك الوقعة واستعار اسمها له لان عاد لم تعذب الا بريح أي عذاب شديد الوقوع كأنه صاعقة .

وقرأ النخعي: (صعقة) مثل صعقة بفتح الصاد واسكان العين فيهما وهى فعلة للوحدة من الصعق بالفتح فالسكون أو بالفتح فالكسر يقال صعقته الصاعقة بفتح العين صعقاً باسكانها فصعق بكسرها صعقاً بفتحها وهو من مطاوعة الثلاثى المكسور للثلاثى المفتوح أي اهلاكاً واحداً أو هلكة واحدة فعلى الاولى الاضافة للمفعول وعلى الثانى للفاعل ولا مجاز في هذه القراءة وخص عاد وثمود بالذكر لوقوف قريش في اليمن وفي الحجاز وفي طريق الشام على بلادهم * ﴿اذ﴾ متعلق بمحذوف حال من صاعقة عاد وثمود لان المضاف وهو (مثل) صالح للعمل لانه بمعنى مماثل لا نعت للصاعقة الاولى ولا متعلق (بأنذرتكم) لفساد المعنى نعم يجوز تعليقه بمحذوف معرفة نعت للثانية * ﴿جاءتهم﴾ عاد وثمود.

﴿الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم﴾ أي من جميع جوانبهم أي اجتهدوا بهم من كل جهة وأعملوا كل حيلة مقبلين اليهم ومدبرين عنهم كما تقول (ضربته الظهر والبطن) وأنت تريد عمومه.

وقال الحسن: من جهة الزمان الماضي بالانذار عما جرى فيه على الكفار من الوقائع ومن جهة المستقبل بالتحذير عما أعد لهم في الآخرة.

وقال الثعلبي: جاءتهم الرسل من قبلهم وبعد وجودهم عمتهم الرسالة خبراً ومباشرة فذلك عبارة عن الكثرة واحاطة الرسالة بهم قبل وبعد وحضرة فلا يبحث بأنه كيف يأتيهم من بعدهم وكيف يلحقهم تقصير بهم وكيف يخاطبونهم (انا بما أرسلتم به كافرون) بل قد وصلهم خبر من قبلهم ومن بعدهم فذلك مجيء أخبرهم هود وصالح ودعوهم الى الايمان بهم جميعاً

فالخطاب لهما ولمن أخبرهم به وقيل (بين أيديهم الرسل) أتى آباءهم ومن خلفهم الرسل اليهم وقيل بالعكس وقيل (من خلفهم) بعد اكتمال اعمارهم وبعد تقدم وجودهم في الزمان * **﴿ألّا تعبدوا الا الله﴾** أي بأن لا تعبدوا الا الله فان مصدرية وان جعلتها مفسرة لم تقدر حرف الجر وعلى المصدرية فهى خفيفة ناصبة ولا نافية أو مخففة واسمها ضمير الشأن محذوفاً ولا ناهية * **﴿قالوا لو شاء ربنا﴾** ارسال الرسل أو دعوة الخلق * **﴿لأنزل ملائكة﴾** رسلاً دعاة لا بشراً فلستم برسل * **﴿فانا بما أرسلتم به كافرون﴾** أي كافرون بما أرسلتم به في زعمكم فاثبات الارسال مقيد عندهم بزعم الأنبياء لا اقرار به أو المراد التهكم كقول فرعون (ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون) وروي ان أبا جهل قال في ملأ من قريش قد التبس عليكم أمر محمد فلو التمستم رجلاً عالماً بالشعر والكهانة والسحر فيكلمه ثم أتانا ببيان عن أمره فقال عتبة أنا عالم بذلك لا يخفي عليّ جاءه فقال يامحمد أنت خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله ؟ فيم تشتم آلهتنا وتضللنا ؟ ان أردت الرياسة عقدنا لك اللواء وكنت رئيساً ما بقيت وان كان بك شدة الشهوة زوجناك عشر نسوة تختارهن من قريش وان أردت المال جمعنا لك ما يغنيك وعقبك وهو ساكت ولما فرغ قرأ (حم) الى (صاعقة عاد وثمود) فأمسك على فيه كما مر فاحتبس في بيته ولم يخرج لقريش وقالوا انه قد صبأ فجاءوا فقالوا ماحبسك الا انك صبوت فغضب وأقسم لا يكلم بهذا أبداً ثم قال والله لقد كلمته فجهلني بما ليس شعراً ولا كهانة ولا سحراً ولما بلغ (صاعقة عاد وثمود) أمسكت فاه وناشدته بالرحم وقد علمتم انه اذا قال صدق فخفت نزول العذاب.

وروي أن أبا جهل لما احتبس عتبة قال قد صبأ وأعجبه طعام محمد لفاقة هو فيها فانطلق بقومه اليه وقالوا ذلك وانا نجمع لك مالا يغنيك وعقبك فغضب وقال: لقد علمتم اني من أكثر قريش مالا وذكر ما مر وقيل ان عتبة سيد حليم في قومه جلس يوما بنادي قريش ورسول الله جالس وحده في

المسجد فقال يا معشر قريش ألا أقوم اليه فأكلمه وأعرض عليه أموراً فلعله يقبل بعضاً ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أن أصحابه ﷺ يزيدون ويكثرون ؟ قالوا بلى يا أبا الوليد فقال: له يا ابن أخى انك حيث علمت من البسطة في العشيرة والمكان في النسب وأتيت قومك بأمر عظيم فرقت جماعتهم وسفهت أحلامهم وعبت آلهتهم وكفرت بمن مضى من آبائهم فاستمع أعرض عليك أموراً تنظر فيها فقال ﷺ قل يا أبا الوليد فقال ان كنت تريد مالا جمعنا لك من أموالنا ماتكون به أكثرنا مالاً يا ابن أخى وان أردت شرفاً سودناك علينا وان كان هذا الذي بك رئيا أي جناً لاتستطيع رده طلبنا لك الطب وقال غير ذلك حتى فرغ فقال ﷺ: أقد فرغت يا أبا الوليد قال نعم قال فاسمع مني قال «قل بسم الله الرحمن الرحيم (حم كتاب فصلت) ومضى فيها وهو ناصت ملقيا يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يستمع حتى انتهى الى السجدة فسجد قال أسمعت يا أبا الوليد فأنت وذاك فقام عتبة الى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك قال ما ورائى اني قد سمعت قولاً والله ما سمعت بمثله قط ما هو بشعر ولا بسحر ولا كهانة يا معشر قريش اطيعونى خلوه وما هو فيه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه شأن فان يصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وأنتم أسعد الناس به قالوا سحرك والله بلسانه قال هذا رأيي لكم فاصطنعوا ما بدا لكم*

﴿فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق﴾ تعظموا على أهلها بما لايستحقون به التعظيم وهو القوة وعظم الاجرام واستولوا عليهم من غير أن يكونوا أهلا للاستيلاء ﴿وقالوا﴾ لما خوفوا بالعذاب * ﴿من أشد منا قوة﴾ استفهام انكارى أى لا أحد أشد قوة منا اغتراراً بقواهم كان الواحد منهم ينزع الصخرة ويقلعها من الجبل وهي عظيمة ويضعها حيث شاء وذلك كله بيد واحدة لما هددهم هود قالوا نحن نقدر على دفع العذاب بفضل قوتنا

* ﴿أو لم يروا﴾ أو لم يعلموا ﴿ان الله الذي خلقهم﴾ وخلق طولهم وعرضهم وقوتهم * ﴿هو أشد منهم قوة﴾ القوة شدة الجسم وصلابته وهى نقيضة الضعف والقدرة ما لأجله يصح الفعل من الفاعل بذات أو بصحة جسم وهى نقيضة العجز والله لا يوصف بالجسم والصلابة فلا يوصف بالقوة الا على معنى القدرة ولكنه قال أشد منهم قوة مع اختلاف القوتين لاعتبار حقيقة القوة وهى زيادة القدرة فصح (أشد منهم قوة) كما صح هو أقدر منهم على معنى انه يقدر بذاته قدرة لا تتناهى على ما يقدرون عليه باكتسابهم وازدياد قدرهم.

﴿وكانوا بآياتنا يجحدون﴾ عطف على (استكبروا) أي رسخ الكبر فيهم واستمروا على الجحود جحود بعد جحود اذا كانوا أحياء والباء زائدة أي جحدوا كتبنا أو معجزاتنا وهم يعرفون انها حق.

﴿فأرسلنا عليهم ريحاً﴾ بسبب قولهم (من أشد) وجحودهم كما تدل عليه الفاء ﴿صرصراً﴾ من الصر أو الصرير وكرر فاء الكلمة وهي (الصاد) للمبالغة والصر البرد الذي يصر أي يجمع بمعنى انه لا ينصرف مع وجوده والريح تجمع وتطوى بشدتها أو تحرق بشدة بردها والصرير الصوت ريح شديدة الصوت في هبوبها بلا مطر أرسل عليهم منها قدر خرق الخاتم وقيل خرق الابرة وهي ريح عذاب ومثلها الريح العاصف والقاصف والعقيم وارياح الرحمة الذاريات والمرسلات والمثيرات والناشرات * ﴿في أيام﴾ آخر شوال من الأربعاء الى الأربعاء وما عذب قوم الا في يوم الاربعاء * ﴿نحسات﴾ بسكون الحاء عند كثير وأبي عمر ونافع وقال بعض وابن عامر وبكسرها عند الباقين وهو الرواية عن ابن عامر والمسكن وصف كسهل أو أصله الكسر كالفرح بالكسر سكن تخفيفاً أو مصدر نعت به مبالغة أو مقدر بالوصف أو بالاضافة والنحس الشؤم والشقاء نقيض السعد قاله مجاهد وغيره وقال ابن عباس (متتابعات) وقيل (شديدة) أي شديدة البرد وقيل ذات غبار وتراب ثائر لا يكاد يبصر منها ويتصرف فيه قيل أمسك

الله عنهم المطر ثلاث سنين ودامت عليهم الريح من غير مطر والنحس في تلك الايام لهم للناس مطلقاً وروي عن أبي الحارث امالة فتح السين وليست رواية صحيحة * ﴿لنذيقهم﴾ بالنون وقرئ بالتاء الفوقية اسناداً للاذاقة الى الريح لانها السبب أو الى الأيام لانها المحل * ﴿عذاب الخزي﴾ الذل واضافة اليه اضافة فاعل لفعله على قصد الوصف به أي العذاب الخزى بدليل *

﴿في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى﴾ واللام للابتداء كما تقول فعل سوء وأنت تريد فعلاً سيئاً والخزي الذل حقيقة للمعذب واسناده للعذاب مجاز في الاسناد للمبالغة كقولك (انه شعر شاعر) ينعت (شعر) بأنه في نفسه (شاعر) (وليل لايل) أي شديد الظلمة مثلاً (وليلة ليلاء) ومعنى (أخزى) أشد خزياً أي ان عذاب الآخرة المعد لهم أشد من الذي أصابهم في الدنيا*

﴿وهم لا ينصرون﴾ بمنعهم من عذاب الآخرة كما لم يمنعوا عن عذاب الدنيا * ﴿وأما ثمود﴾ بالنصب ومنع الصرف للعلمية وتأنيث القبيلة وبالصرف باعتبار القوم وبالرفع ومنع الصرف وبالصرف والرفع أولى لوقوعه بعد (اما) ولعدم احواجه الى المحذوف وبه نقرأ والمنصوب مفعول لمحذوف يقدر بعد الفاء على الاشتغال قاله ابن هشام وقرئ بضم الثاء*
﴿فهديناهم﴾ دللناهم على سبيل الهدى وأوضحناه لهم قاله ابن عباس وغيره ففيه اطلاق الفعل واردة الدلالة عليه وهذا مجاز بناء على أن حقيقة الهداية الايصال لا الدلالة وان قلنا انها موضوعة أيضاً لمجرد الدلالة كما وضعت للايصال فحقيقة وقيل معنى (هديناهم) دللناهم على الضلالة والرشد استعمالا للهداية في مجرد الدلالة مجازاً أو حقيقة وعلى كون الهداية حقيقة في الايصال الى الهدى وتحصيله فقد استعملها في مجرد الدلالة اشعاراً بأنه مكنهم وأزاح عللهم ولم يبق لهم عذر حتى كأنهم مهتدون * ﴿فاستحبوا﴾ اختاروا والاستفعال للمطاوعة أي حببه الشيطان فاستحبوه أو لموافقة المجرد

أو المطلب والعلاج اشارة الى أن العمى مثل الشيء الكريه الذى يكتسب بشدة فكأن محبة العمى بعيدة لا تكون الا باكتساب * ﴿العمى﴾ أي الكفر استعار له لفظ العمى كما أوضحته في حاشية شرح الشيخ عمرة الثلاثي على النونية وشرحه على الرابية والهدى تجريد ان اعتبرناه بمعنى الاسلام والايمان وترشيح ان اعتبرناه بمعنى الاهتداء بالعين * ﴿على الهدى﴾ أي الايمان والاسلام ويجوز استعمال (العمى) في حقيقته من عدم البصر وكناية عن الكفر فتفطن وذلك الى الآن فان شريعة الايمان مبينة لليهود والنصارى المختلطين بنا وغيرهم ولكنهم أعرضوا واشتغلوا بالضلال.

﴿فأخذتهم صاعقة العذاب الهون﴾ أهلكتهم صاعقة من السماء وأضافها للعذاب مبالغة والهون مصدر بمعنى الهوان وصف به العذاب مبالغة أو تقدير مضاف أو تأويلاً بالمهين ويجوز كونه بدلا من العذاب وكونه نعتاً لصاعقة فان المصدر ولو مذكرا يوصف به المؤنث * ﴿بما كانوا يكسبون﴾ من الشرك والمعاصي وفي أخذهم بكسبهم دلالة على انهم قادرون على أفعالهم لا مجبرون عليها والا لما أخذوا بها وعلى أن الفعل كسب لفاعله والله خالقه مقدر له عليه * ﴿ونجينا﴾ من تلك الصاعقة * ﴿الذين آمنوا﴾ بالله ورسله * ﴿وكانوا يتقون﴾ يجتنبون الشرك والمعاصي وهم صالح ومن معه؛ يتقون الله أي يطيعونه ويحذرون عقابه * ﴿ويوم﴾ مفعول لمحذوف أي وأذكر أو معطوف على مفعول (يتقون) ﴿يُحْشَرَ﴾ بفتح النون وضم الشين أي نجمع * ﴿أعداء الله﴾ بنصب أعداء وهم المخالفون لأمر الله وذلك قراءة نافع وقرأ الباقون بالياء مضمومة والشين مفتوحة ورفع أعداء على النيابة وقرىء (يحشر) بفتح الياء وضم الشين أو كسرها أي (يحشر الله) (وأعداء) بالنصب وقرىء (نحشر) بالنون وكسر الشين ونصب (أعداء) * ﴿الى النار﴾ لانترك واحدا ولا نغفل عنه وفي ذكر الجلالة بعد النون التفات من التكلم الى الغيبة أي خلق الكلام على هذه الطريقة وحاشاه عن الالتفات والمراد ترك التكلم واثبات الغيبة والغيبة اصطلاحية وهي ما ليس تكلماً ولا

خطاباً ولو كان الشيء حاضراً ولفظ الجلالة لكونه اسماً ظاهراً لفظ غيبة والله في كل مكان وفعل ذلك لتربية المهابة والتعظيم ومقتضى الظاهر ويوم نحشر أعداءنا* ﴿فهم يوزعون﴾ يساقون ويدفعون وقال السدى وقتادة وأهل اللغة يحبس أولهم حتى يلحق آخرهم وقول القاضي لئلا يفترقوا والمراد الاخبار بكثرتهم وانتشارهم.

﴿حتى اذا ما جاءوها﴾ أي النار أي حضروها قال أبو حيان وابن هشام وغيرهما ما بعد (اذا) زائدة للتوكيد اذ لا بدّ من وقوع الشهادة عليهم وقت مجيئهم اياها * ﴿شهد عليهم سمعهم﴾ أي ذوات سمعهم وهي الآذان * ﴿وأبصارهم وجلودهم﴾ الجلود المعروفة عند الجمهور وقيل الجوارح وقيل الفروج * ﴿بما كانوا يعملون﴾ تنطق أذناه بما سمعتا مما لا يحل وعيناه بما رأتا وفمه بما أكل مما لا يحل وأنفه بما شم مما لا يحل ويداه بما مستا مما لا يحل وفرجه بما زنى وسائر جلوده بما فعلت حتى ان لسانه تنطق لحمته بدون ارادته وبلا تحريك بما تكلمت مما لا يحل وعن رسول الله ﷺ «ان العبد أي الكافر يقول يارب أليس وعدتنى أن لا تظلمني قال فان ذلك لك قال فاني لا أقبل عليَّ شاهد الا من نفسي فيختم على فيه وتتكلم أركانه بما عمل فيقول بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أدافع».

وعن أنس كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: «هل تدرون مم أضحك» قلنا: الله ورسوله أعلم قال: من مخاطبة العبد ربه يقول يارب الم تجرنى من الظلم؟ فيقول بلى فيقول فاني لا أجيز اليوم على نفسي الا شاهد مني فيقول كفي بنفسك اليوم عليك حسيباً وبالكرام الكاتبين عليك شهوداً فيختم على فيه ويقال لأركانها انطقى فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل» وذلك انهم يحسبون أن لاتشهد أركانهم عليهم نطق ذلك حقيق باقدار الله على ذلك كما أنطق الشجرة ويخلق فيه كلاماً وتكلم بلا لسان وقول القاضي انه تحتمل أن يريد بالشهادة أن يخلق فيها آثاراً يدل حالها على أعمالهم يضعف قوله * ﴿وقالوا

لجلودهم﴾ أي وسمعهم وأبصارهم والمراد بالجلود ما يشمل جلود سمعهم وأبصارهم هنا أو المراد هناك بالجلود ما يشمل ذلك وعطف الجلود عطف عام والاقتصار على الجلود هنا دليل ﴿لم شهدتم علينا﴾ سؤال توبيخ أو تعجب ويجوز أن يضع قوله وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا موضع قوله وتعجبوا بشهادتها ﴿قالوا﴾ أي الجلود.

﴿أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء﴾ مما نطق ، وقيل ينطق يوم القيامة كل شيء وهذا يراد احتمال القاضي أن المراد بالشهادة لسان الحال وتأويل هذا الجواب منها بدلالة الحال بعيد والمعنى (ما نطقنا به باختيارنا) بل أنطقنا الذي أنطق الاشياء وليس نطقنا بعجيب في قدرة الذي أقدر الحيوان أو كل شيء على النطق وقدر على خلقكم وانشأكم بعد أن كنتم معدومين وعلى اعادتكم كما قال.

﴿وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون﴾ وهذا من كلام الجلود وقيل تم كلامها في قوله (كل شيء) وهذا ابتداء من الله كالذي بعده وموقعه تقريب نطق الجلود وعدم غرابته بالانشاء والاعادة.

ومذهبنا معشر الأباضية ومذهب قومه أن الاجساد التي أطاعت وعصمت هي التي تبعث لتجازى وهي التي تشهد وتأويل بعض انطق بارادة النطق منها لا محوج اليه.

﴿وما كنتم تستترون أن يشهد﴾ أي من يشهد أو مخافة أن يشهد أو لئلا يشهد وفيه حذف لا النافية واللام معاً والاستتار الاختفاء وقيل المراد ما كنتم تظنون أن يشهد.

﴿عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم﴾ قال مجاهد: أي كنتم تستخفون عنها عند فعل القبائح والمعاصي لانكم لاتعلمون انها تشهد عليكم بل تنكرون شهادتها من حيث تكذيبكم بالبعث والجزاء وان ما تستخفون عن الناس بالحيطان ونحوها وتظنون ان الله لا يعلم ما أخفيتم.

كما قال﴿ ﴿ولكن ظننتم﴾ وقرىء (أعمتهم) ﴿ ﴿ان الله لا يعلم كثيراً﴾ هو ماأخفيتم من أفعالكم وما في قلوبكم ﴿ ﴿مما تعملون﴾ فاجترأتم على المعاصي وقال ابن عباس: كان الكفار يقولون ان الله لا يعلم ما في أنفسنا ولكنه يعلم ما يظهر .

قال ابن مسعود: اني لمستتر بأستار الكعبة اذ دخل ثلاثة نفر كثير شحم بطونهم، قليل فقه قلوبهم ، قرشي وختناه ثقفيان ، أو ثقفي وختناه قرشيان، فتكلموا بكلام لم أفهمه ، فقال أحدهم : أترون أن الله يسمع كلامنا هذا ، فقال الآخر: انا اذا رفعنا أصواتنا سمعه ، واذا لم نرفع أصواتنا لم يسمعه ، فقال الآخر: ان سمع منه شيئاً سمعه كله ، فقال عبد الله : فذكرت ذلك للنبي ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿وما كنتم تستترون﴾ الى قوله ﴿من الخاسرين﴾ .

وقوله: (ثقفيان وقرشي) شك منه وعن بعض أن الثقفي عبد ياليل والقرشيين ختناه ربيعة وصفوان بن أمية وقولهم يسمع ما أجهرنا لا ماأخفينا الحاد الى أنه يسمع بأذن وهيهات ما سمعه الا علمه وقال السدي معنى (كنتم تستترون) الخ أنه كان يمكن لكم الاستتار عنها وموقعه انكم لو استترتم عن الناس فالاعضاء شاهدة حاضرة ﴿ ﴿وذلكم﴾ الظن وهو ظن ان الله لا يعلم الخ ﴿ وذا مبتدأ و ﴿ظنكم﴾ خبره ﴿ ﴿الذي ظننتم بربكم﴾ و ﴿أرداكم﴾ أي أهلككم خبر ثان وهو الخبر وظنكم بيان أو بدل وانما يمتنع من نعت الاشارة بما جرد من (ال) لا من الابدال منه وبيانه بمجرد منها وعن ابن عباس أرداكم طرحكم في النار ﴿ ﴿فأصبحتم من الخاسرين﴾ اذ صار ما منحكم الله من الاعضاء وغيرها من النعم في الدارين سبباً للشقاوة فيها وفي ذلك تنبيه لمن ينتبه على أنه حق عليه أن يستحضر في الوقت ان غلبه رقيباً حتى يكون في حال الانفراد خائفاً مثله في حال خلط الناس أو أكثر ولا ينبسط في انفراده مراقبة من التشبه بهؤلاء الظانين .

وعن جابر بن عبد الله سمعت النبي ﷺ يقول قبل وفاته بثلاث:

«لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله عز وجل» ذان قوماً قد ارداهم سوء ظنهم بالله فقال تبارك وتعالى (وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين) * ﴿فان يصبروا﴾ على العذاب * ﴿فالنار مثوى لهم﴾ منزل لهم لا خلاص لهم منه ولا ينفعهم الصبر ولا ينفكون به عنه وعن بعضهم ان الأصل (فان يصبروا أو لا يصبروا) والتحقيق أن المقابل هو قوله * ﴿وان يستعتبوا﴾ أي طلبوا العتبى أي الرضى لعدم صبرهم * ﴿فما هم من المعتبين﴾ أي المرضيين أي يسألوا الرجوع الى ما يحبون لم يجابوا ولم يعطوه وان يستقيلوا فلن يقالوا وأن يعتذروا فلن يعذروا ونظيره (أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص) .

وقرأ غير الجمهور ببناء (يستعتبوا) للمفعول وبناء (معتبين) للفاعل أي ان طلب منهم ان رضوا ربهم فما هم فاعلون لا سبيل لهم اليه لفوات الامكان وقيل ببناء معتبين للمفعول أي لا يقبل ارضاءهم * ﴿وقيضنا لهم﴾ أي قدرنا وقيل: يسرنا لهم أي الكفرة وقيل كفار مكة وقيل (قيضنا) بمعنى بعثنا ووكلنا وهيأنا * ﴿قرناء﴾ نظراء أخدانا من الشياطين قال بعضهم ومن الانس جمع قرين ويحتمل أن يكون التقييض مأخوذا من المقايضة وهى المعارضة وثوبان قيضان متكافئان أي عوضناهم القرناء لكفرهم بدلا من الهداة أو من القيض وهى قشر البيض أي يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وعنى (تقيض القرناء لهم) وهو ينهاهم عن اتباع خطوات الشيطان عدم توفيقهم وخذلانهم لاستحبابهم الكفر ويدل له (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين) .

﴿فزينوا لهم ما بين أيديهم﴾ من أمر الدنيا واتباع الشهوات حتى آثروه على الآخرة ﴿وما خلفهم﴾ أي وأمر ما خلفهم أو انكار ما خلفهم وذلك الامر هو انكار العاقبة وان لا بعث ولا حساب وقيل ما بين أيديهم ما هم عاملوه وما خلفهم ما عزموا على فعله وقيل علموهم وقرروا لهم في أنفسهم معتقدات سوء في الأمور التى تقدمتهم من أمر الرسل والأنبياء ومدح عبادة

الأصنام الى غير ذلك مما يقال انه بين أيديهم وذلك كل ما تقدمهم واتصل اليهم خبره وأثره وكذلك أعطوهم معتقدات سوء فيها خلفهم وهو كل ما يأتي بعدهم من القيامة والبعث ونحوهما * ﴿وحق عليهم القول﴾ وجب ووقع عليهم كلمة العذاب أو مقتضى القول وهو العذاب ﴿في أمم﴾ أي في جملة أمم حال من الهاء وقيل في معنى مع ومثله ادخلوا في أمم وعن بعض المراد بالأمم من الجن وهذا سبق قل بل منهم ومن الانس لوصف أمم بقوله* ﴿قد خلت﴾ أي مضت وقيل هلكت * ﴿من قبلهم من الجن والانس﴾ عملوا مثل أعمالهم.

﴿انهم كانوا خاسرين﴾ تعليل جلي استئنافي لاستحقاقهم العذاب والضمير في (إن لهم وللأمم) وقيل: (لهم) مثل (هاءات) لهم وأيديهم وخلفهم وعليهم وقبلهم وتحتمل هذه الضمائر العود لهم والقرناء أعني (هاء) عليهم وقبلهم وانهم وواو كانوا.

﴿وقال الذين كفروا﴾ وهم مشركو مكة كأبي جهل وغيره جافوا استمالة القلوب بالقرآن فقالوا عند قراءة النبي ﷺ أو قالوا اذا قرأ افعلوا كذا *

﴿لا تسمعوا لهذا القرآن﴾ مصدر بمعنى القراءة وليس العلم بالغلبة وهو كتاب الله لان الاشارة لا تنعت بما ليس اسم جنس لا سيما العلم فانه لا ينعت به أصلاً والا تعينت البدلية والبيان أي باعدوا عنه حتى لا تسمعوا أو سدوا أسماعكم لئلا تصبوا أو لا تتبعوه * ﴿والغوا فيه﴾ اذا حضرتم لئلا تسمعوا فتصبوا كذلك قيل والتحقيق ان المراد احضروا ولا تسمعوا والغوا فيه لئلا يستمع له غيركم ممن آمن أو ممن لم يؤمن فيؤمن وشوشوا عليه واللغو فيه هو الصياح والتصفير وانشاد الشعر والكلام الساقط لتشوشوا على القارىء والمستمع واللغو الكلام الساقط وما ذكر وقال ابن عباس: اللغو فيه من اللغط وهو كثرة الأصوات يوحى بعضهم الى بعض اذا رأيتم محمداً يقرأ فعارضوه بالرجز والشعر وقيل أكثروا الكلام حتى يختلط عليه ما يقول وقيل الغوا بالمكاءة والتصفير وقيل صيحوا في وجهه .

وقال أبو العالية : عيبوه واشتموه ووجه الظرفية ان اللغو يقع في أثناء القراءة قرىء بفتح الغين من لغى يلغى كسعى يسعى وهو قراءتنا وقرىء بضمها من لغا يلغو كدعاء يدعو والمعنى واحد * ﴿لعلكم تغلبون﴾ أي تغلبونه على قراءته فيسكت أو تطمسون أمر محمد وتميتون ذكره وتصرفون القلوب عنه فهذه الغاية التى تمنوها (ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) .

﴿فلنذيقن الذين كفروا﴾ أي هؤلاء اللاغين والآمرين لهم بدليل فاء السببية وأتى بالظاهر ذماً لهم باسم الكفر وان سبب الاذاقة الكفر ومنه الالغاء والأمر به وقيل المراد عامة الكفار فيدخلوا تحت هذا العموم * ﴿عذاباً شديداً﴾ هو عذاب الدنيا في بدر وغيره .

وعن ابن عباس : هو عذاب بدر .

﴿ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون﴾ أسوأ خارج عن معنى التفضيل أي سيء فيجزيهم بسيئاتهم كلها والذي عملوا شامل لأعمالهم كلها أو القبيح بالاضافة عليه للبيان وان أبقى (أسوأ) على معنى التفضيل فالاضافة للتبعيض أي الذي هو أسوأ في جملة أعمالهم مطلقاً أو في جملة أعمالهم السيئة ومر كلام ذلك في ذلك كما يجزون بالأسوأ يجزون بالسيء وقيل: (أسوأ أعمالهم الشرك) وهذا الجزاء في الآخرة وقيل المراد أقبح جزاء أعمالهم .

وعن سالم بن عبد الله عن أبيه: خرجت مرة فمررت بقبر من قبور الجاهلية فاذا رجل خرج من القبر يتأجج ناراً في عنقه سلسلة ومعي أدواة من ماء فلما رآني قال لي يا عبد الله اسقني فقلت عرفني فدعاني باسمي أو كلمة تقولها العرب يا عبد الله أي يا من هو عبد لله اذ خرج على اثره رجل من القبر فقال لي: يا عبد الله لا تسقه فانه كافر ثم أخذ السلسلة فجذبه فأدخله القبر ثم أضافني الليل الى بيت عجوز الى جانب قبر فسمعت من القبر صوتا يقول : بول وما بول شن وما شن فقلت للعجوز ما هذا قالت كان زوجاً لي وكان اذا بال لم يتق البول وكنت أقول له ويحك ان الجمل اذا

بال تفاجى وكان يأبى ، فهو ينادي من يوم مات بول وما بول قلت فما الشن قالت جاء رجل عطشان فقال دونك الشن فاذا ليس فيه شيء فخر الرجل ميتاً فهو ينادي منذ مات (شن وما شن) فلما قدمت على رسول الله ﷺ أخبرته فنهى أن يسافر الرجل وحده وزعم بعض ان الذي خرج من القبر أبو جهل وأحاديث الترغيب والترهيب نعمل بها ولو موضوعة ومن نهيه ﷺ عن مسافرة الانسان وحده قوله ﷺ «الشيطان يهم بالواحد والاثنين فاذا كانوا ثلاثة لم يهم بهم» * ﴿ذلك﴾ الأسوأ وذلك الجزاء وانما يشار الى الاسوأ أي أنه الجزاء أو العمل على تقدير مضاف منظور اليه في الاشارة والا فالعمل لا يكون جزاء وزعم بعضهم ان الاشارة للعذاب الشديد بناء على أنه في الآخرة * ﴿جزاء أعداء الله﴾ بتخفيف الهمزة الثانية وبابدالها واو مفتوحاً ولتحقيقها واتفق قالون وورش على تحقيق الأولى ﴿النار﴾ بدل أو بيان لجزاء أو خبر لمحذوف ويجوز أن يشار الى العذاب عذاب الدنيا والنار مبتدأ وجملة * ﴿لهم فيها دار الخلد﴾ خبره ومعنى ثبوت دار الخلد لهم في النار ان لهم في النار مساكن يخلدون فيها أو المراد ان النار في نفسها دار خلد أى دار اقامة فالظرفية على هذا الاخير مجازية كقوله عز وجل ﴿لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة﴾ ورسول الله نفسه هو الاسوة ثم ان كان علم البديع حقاً فما أرى الآية الا من باب التجريد وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة أمراً مماثلاً له في تلك الصفة لأجل المبالغة في كمال تلك الصفة في ذلك الأمر الاول حتى كأنه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة الى حيث يصح أن ينتزع منه موصوف آخر بتلك الصفة والامر الأول هو النار وصفته الشدة والثاني هو الدار انتزع من النار داراً أخرى وجعلها معدة في جهنم للكفار تهويلاً لامرها ومبالغة في اتصافها بالشدة * ﴿جزاء﴾ مفعول مطلق لنجزي أو لجزاء والاعتراض مغتفر والفعل محذوف.

﴿بما كانوا بآياتنا يجحدون﴾ أي يلغون فيها فذكر الجحود الذي هو سبب اللغو والمراد مطلق الانكار والآيات القرآن * ﴿وقال الذين كفروا﴾

بعد دخول النار فانهم يرون عظم سوء المنقلب فيعظم غيظهم بمن هو سبب ضلالتهم ويريدون أن يحطوه في أشد عذاب ﴿ربنا﴾ يا ربنا ﴿ارنا﴾ بكسر الراء كسراً تاماً عند نافع وكسراً مختلساً عند الدوري وهو رواية أبي عمرو عن اليزيدي وباسكانها للتخفيف عند ابن كثير وابن عامر وأبي بكر وأبي شعيب والكل أمر من (أرى) الرباعي أعني أمرا نحوياً والا فانما هو دعاء أي بصرنا أي أحضرهما واجعلنا رائين لهم وقيل معنى المسكن تعطنا قال الخليل اذا قلت أرنا ثوبك بالكسر فالمعنى بصراً أو بالسكون فالمعنى اعطيناه والاصل واحد مثل (أتاه) بهمزة فألف أصل معناه أحضر وهو أتى بهمزة لا ألف بعدها ثم دخلت عليه همزة التعدية وقلبت همزته ألفاً كما مرّ ثم اشتهر بمعنى أعطى * ﴿اللذين﴾ وشدد ابن كثير وسكن مد الياء.

﴿أضلانا من الجن والانس﴾ أي الجنسين اللذين حملانا بالغرور والتزيين على الضلالة وهما المضلون من الجن والمضلون من الانس بكسر الضادين ويجوز تقدير الشيطانين اللذين والمراد جنس الشياطين شياطين الجن وشياطين الانس لان الشيطان يطلق على الانسي ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن﴾ وذلك باحتمالية هو ما يقتضيه اللفظ وعليه جماعة من المفسرين وقيل المراد هو ابليس وقابيل لانهما سنا الكفر والقتل بغير حق جميعاً ومن سن الكفر أولاً ابليس ومن سن القتل قابيل ودعا ابليس اليه والى كل معصية قبله. قال بعض وهذا ضعيف والأول أقوى * ﴿نجعلهما تحت أقدامنا﴾ ندوسهما انتقاماً منهما وقيل نجعلهما في أسفل طبقة وهي أشد عذاباً * ﴿ليكونا من الأسفلين﴾ ذلاً.

قال ابن عباس: ليكونا أشد عذاباً وقيل الاسفلين مكاناً وهو الدرك الاسفل من النار ويجوز ارادة الاسفلية ذلاً ومكاناً معاً ولما قالت اليهود ربنا الله وعزير ابنه ومحمد ليس نبياً فلم يستقيموا وقال أبو بكر رضي الله عنه ربنا الله وحده ومحمد عبده ورسوله فاستقام نزل فيه قوله تعالى.

﴿ان الذين قالوا ربنا الله﴾ اعترافاً بربوبيته وحده * ﴿ثم استقاموا﴾ ثم

لتراخي الاستقامة عن الاقرار في المرتبة وفضلها عليه لان فيها التصديق والعمل والتراخي في الوجود لان الاقرار مبدأ الاستقامة أي رتبة تكون بعدها الاستقامة أي العمل أو لانها عسرة يقل تبعها للاقرار وعن بعضهم استقاموا على التوحيد وغيره مما وجب عليهم وعن أبى بكر استقاموا فعلاً كما استقاموا قولا وروي انه تلاها وقال ما تقولون فيها فقالوا: استقاموا فلم يذنبوا ولم يلبسوا ايمانهم بخطيئة لما روي انه رضي الله عنه سئل عن الاستقامة فقال أن لا تشرك بالله شيئاً والمشهور عنه وعن جماعة هو هذا لم يختل ايمانهم ولم يضطرب ومن اختلاله واضطرابه عمل الكبائر.

وقال عمر رضى الله عنه: الاستقامة اخلاص العمل ونسب لعثمان وقرأها عمر على المنبر فقال استقاموا والله بطاعته ولم يروغوا روغان الثعلب فعلوا الأمر وتركوا النهى وقال علي أدوا الفرائض وعليه ابن عباس وعن الحسن استقاموا بالطاعة واجتناب المعصية وعليه جماعة وكان اذا تلاها قال اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة وقيل استقاموا على الشهادة حتى ماتوا .

قال سفيان بن عبد الله الثقفي لرسول الله ﷺ: أخبرني بأمر أعتصم به فقال: «قل ربى الله ثم استقم» فقال ما أخوف ما تخاف عليَّ «فأخذ رسول ﷺ بلسان نفسه فقال هذا» وتلك الاقوال كلها وان اختلفت مفهوماً متحدة صدقاً وكما لا بدّ من الاقرار لا بدّ من العمل والاخلاص وكل من الثبات على الايمان واخلاص العمل وأداء الفرائض أجزء للاستقامة يتركب منها لا تحصل الا باجتماعها لا جزئيات لها كما قال القاضي لأدائه الى أن كل واحد استقامة وهو لا يصح الا باعتبار الاستقامة اللغوية هذا (ولا تخافوا) مفعولاً (لتتنزل) لتضمنه معنى (تقول) أو بمحذوف أي (قائلين) لا تخافوا والخوف غم يلحق لتوقع المكروه * ﴿تتنزل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولاتحزنوا﴾ الحزن غم يلحق لوقوع المكروه من فوات نافع أو حصول ضار فالمعنى ان الله كتب لكم الأمن من كل غم وقيل: المراد لا تخافوا ما تقدمون عليه من الآخرة ولا تحزنوا على ما خلفتم من أهل وولد فانا

نخلفكم في ذلك وقيل (لاتخافوا) من الموت وما بعده (ولاتحزنوا) على ما خلفتم وقيل لاتخافوا من ذنوبكم ولا تحزنوا فأنا أغفر لكم وكثيراً ما يقع الحزن لما لم يقعه .

وعن مجاهد: لا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم من دنياكم.

﴿وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾ اياها على ألسنة الرسل في الدنيا * ﴿نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا﴾ أي حفظتكم فيها وقيل أنصاركم قرنكم الله بنا نلهمكم الحق ونحملكم على الخير وذلك كما أن شياطين الجن والانس قرنوا بالكفار يزينون لهم الشر وتقول الملائكة لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة كما قال * ﴿وفي الآخرة﴾ وهذا الاقتران بهم في الآخرة حتى يدخلوا الجنة شفاعة منهم لا يعلم عظمها الا الله فانها حيث يتهادى الكفرة وقرناؤهم وذلك مؤانسة لهم عند مشاهدة الخوف * ﴿ولكم فيها﴾ أي في الجنة * ﴿ما تشتهي أنفسكم﴾ من الكرامات واللذات * ﴿ولكم فيها ما تدعون﴾ ما تتمنون وقيل ما تطلبون ومعناه أعم مما تشتهي أنفسكم وهو افتعال من الدعاء أصله (تدتعيون) بسكون الدال وفتح التاء بعدها وكسر العين وضم الياء بعدها أبدلت التاء دالاً وأدغمت فيها الدال وثقلت الضمة على الياء ونقلت للعين فحذفت للساكن * ﴿نزلا﴾ النزل رزق النزيل وهو الضيف أي رزق مهيأ وهو حال مما تدعون أو خبر لكان محذوفة على القلة ومفعول لجعل محذوفاً وفائدة الاعلام بأن ما يدعون وجميع تلك الكرامات بالنسبة الى ما يعطون مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف والكريم اذا أعطي هذا النزل فما ظنك بما بعده من الكرامات والالطاف وأشار بقوله.

﴿من غفور رحيم﴾ الى أن ذلك كله وما بعده يعطيه لهم مع انهم مذنبون يغفر لهم ويرحمهم بذلك بعد الرحمة العامة لهم ولغيرهم في الدنيا وها هنا انتهى كلام الملائكة .

وعن النبي ﷺ : «اذا فنيت أيام الدنيا عن هذا العبد المؤمن بعث الله الى نفسه من يتوفاها فيقول صاحباه اللذان يحفظان عليه عمله ان هذا قد كان

أخاً لنا وصاحباً وقد حان اليوم فراق فأذنوا لنا أو قال دعونـا نثن على أخينـا فيقال أثنينا عليـه فيقـولا ن جـزاك الله خيرا ورضي عنك وغفـر لك وأدخلك الجنة فنعم الأخ كنت والصاحب ما كان أيسر مـآنتك وأحسن مؤونتك على نفسك ما كانت خطاياك تمنعنا أن نصعد الى ربنـا فنسبـح بحمـده ونقـدس ونسجد له ويقول الذي يتوفاه أخـرج أيهـا الـروح الطيب الى خير يـوم مـر عليك فنعم ما قدمت لنفسك أخرج الى الروح والريحان وجنـة النعيم ورب عليك غير غضبان واذا فنيت أيام الدنيا على العبد الكافر بعث الله الى نفسه من يتوفاها فيقول صاحباه اللذان يحفظان عليه عمله ان قد كان لنا صاحبـا وقد حان منه فراق فأذنوا لنا ودعـونـا نثن على صـاحبنـا فيقـال اثنيـا عليـه فيقولان لعنـة الله عليـه وغضبـه عليـه لا غفـر الله لـه وأدخلـه النـار فبئس الصاحب ما كان أشد مؤونته وما كان معيناً على نفسـه ان كـانت خطـايـاه وذنوبه لتمنعنا أن نصعد الى ربنا فنسبح له ونقدس لـه ونسجـد لـه ويقـول الذي يتوفينه أخرج أيها الروح الخبيث الى شر يوم مر عليك فبئس ما قدمت لنفسك أخرج الى الحميم وتصلية الجحيم وربي عليك غضبان» وفي الحديث تذكير الروح واطلاق الثناء على الذم قال الرازي ان جوهر النفس من جنس الملائكة يتصل الهامهم بالروح ويتأثر والتعلقات الجسدية والتدبيرات البدنيـة هى الحائل بينها وبين المـلائكـة فـاذا زال العـلائق زال الغطـاء وظهـروا لهـا والموالاة بينهم وبينها في الدنيا وتبقى الى الآخرة .

﴿ومن أحسن قــولا ممن دعــا الى الله﴾ الى توحيده وعبادتـه والاستفهـام انكاري أي لا أحد أحسن * ﴿وعمل صالحا﴾ فيما بينه وبين ربه وعباد ربه ﴿وقال انني من المسلمين﴾ أي أعتقد كما تقول هذا قول جابر وتريد مذهبه أو اعتقد وتلفظ بأنه من المسلمين تفاخر على المشركين بالاسـلام واتخـاذاً لـه ديناً واظهاراً لدين الله والآية عامة لكل من جمع تلك الخصال الثلاث قـديـماً وحديثاً من الأنبياء وغيرهم من العالمين العاملين قاله الحسن ومقاتل وجماعـة وقيل المراد من جمعها من هذه الأمة وقال ابن عباس المـراد النبي ﷺ وعنـه

انهم أصحاب النبي ﷺ وقيل المراد المؤذنون ويضعفه ان الآية مكية والأذان شرع بالمدينة .

وعن عائشة : ما كنا نشك ان هذه الآية نزلت في المؤذنين وهي عامة في كل من جمع بين الثلاث وهذا منها اثبات لنزولها في المؤذنين لا رجوع عنه كما يتوهم وأخبره ان المعنى عام لكل من قال وعمل ودعا الى الله بالمعجزات والحجج والسيف وهم الانبياء أو بالحجج وهم العلماء مطلقاً العلماء بالله والعلماء بصفاته والعلماء بأحكامه أو بالسيف وهم المجاهدون أو بالنداء للصلاة وهم المؤذنون فانهم يدعون الى التوحيد والعبادة والصلاة ويعملون ذلك وقد قيل العمل الصالح هنا صلاة ركعتين بين الأذان والاقامة وغلب الآذان وان الدعاء بينهما لا يرد والعمل اما من القلب وهو المعرفة أو من الجوارح ومنها اللسان ﴿ولا تستوي الحسنة﴾ كالصبر والحلم والعفو * ﴿ولا السيئة﴾ كالغضب والجهل على الغير والاساءة قاله ابن عباس: لا تستويان في الجزاء وحسن العاقبة (ولا) زائدة لتوكيد نفي الاستواء وقيل: المراد أن الحسنات متفاوتات والسيئات متفاوتات فبعض الحسنات أعظم من بعض وبعض السيئات كذلك فلا نافية والفعل مقدر أي ولا تستوي السيئات ويجوز الاعراب الأول مع البقاء على هذا المعنى وهو ان الاستواء المنفي هو بين حسنتين وكذلك هو بين سيئتين * ﴿ادفع بالتي﴾ أي الخصلة التي * ﴿هي أحسن﴾ أي السيئة وهي مفعول (ادفع) (وأحسن) خارج عن معنى التفضيل والمراد حسنة أى ادفع السيئة بالتى هى حسنة أو باق على معناه أي أحسن من غيرها من الحسنات أي أحسن ما يمكن الدفع به فيجوز أن يقدر بالحسنة التي وجهه ان من دفع بالحسنة هان عليه الدفع بما دونها ومن أساء اليك فالحسنة أن تعفو عنه والحسنة أن تحسن اليه مكان اساءته لك مثل أن يذمك فتمدحه ويقتل ولدك فتفدي ولده من يد عدوه وانما لم يقرن ادفع بالفاء لانه جواب سؤال كيف أصنع ولو قرن بالفاء لتوهم العطف كذا قيل فتفوت المبالغة التى يفيدها كونه استئنافاً بيانياً وهو كونه جواب سؤال

مقدر وعن مجاهد وعطاء (التي هي أحسن) السلام عند اللقاء قلنا: هو لاشك دفع لشر سابق اعتقاده ولشر يجلبه عدمه والآية جامعة لمكارم الأخلاق وأنواع الحلم.

﴿فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ والفاء قبل (اذا) الفجائية في نحو (خرجت فاذا الاسد) زائدة لازمة عند الفارسي وجماعة والمازني وعاطفة عند أبي الفتح وغيره والمسببية المحضة بلا عطف عند أبي اسحاق والزجاج قاله ابن هشام (واذ) للمفاجأة حرف وخبر الذي جملة كأنه ولي وان قلنا ظرف فهي خبر والذي مبتدأه وظرف متعلق بخبر (الذي) مقدراً أي فاذا الذي الخ زالت عداوته وثبتت بدلها المحبة وزعم بعضهم انه متعلق بمعنى التشبيه بعده مع أنه جعل (الذي) مبتدأه (وكأنه ولي) خبره وتحتمل الفاء الربط (واذا) لمجرد المفاجأة لان المعنى انك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي أي القريب أو الناصر الحميم المشفق وقيل (الولي) الصديق والحميم القريب.

قيل نزل ذلك في أبي سفيان بن حرب وكان عدواً مؤذياً لرسول الله ﷺ فصار ولياً مصافياً لان المسلمين بعد شدته بالمصاهرة التى بينه وبين رسول الله ﷺ * ﴿وما يلقاها﴾ أي وما يؤتى هذه الخصلة والخليقة والدفعة بكسر الدال أو بفتحها أو الفعلة وهى الدفع بالتى هي أحسن وزعم بعض ان الضمير لجملة (لا اله الا الله) ولا دليل عليه * ﴿الا الذين صبروا﴾ أي حبسوا أنفسهم على ما يكرهون فان تلك الخصلة تكون بحبس النفس على عدم الانتقام.

﴿وما يلقاها الا ذو حظ عظيم﴾ منهم عظيم من الخير والثواب وكمال العقل وفسره ابن عباس بالثواب وفسره قتاده بالجنة قال الحسن والله ما أعظم أمر دون الجنة أي وما يلقاها الا من وجبت له الجنة * ﴿وإما﴾ ان الشرطية وما الزائدة ﴿ينزغنَّك﴾ شبه وسوسة الشيطان وبعثه الى ما لا ينبغي وصرفه عن تلك الخصلة وغيرها من الخير بالنخس بنحو اليد والشوكة

بجامع الايقاع في أمر لم يكن والاخراج عن أمر كان فاستعار لهم النزغ الذي هو اسم للنخس واشتق منه ينزغ بمعنى يوسوس بنحو الحقد والغضب وما كان من الجوارح فبعد النزغ في القلب وعن بعضهم ان الشيطان ينزغ في اليد فتبطش ويدل له حديث «لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح إلا ينزغ الشيطان في يده فيلقيه في حفرة من حفر النار ولعل النزغ في اليد مجاز ومحله القلب أو شيء سوى الذي في القلب لكن لا بدّ من الذي في القلب.

﴿من الشيطان نزغ﴾ مصدر أسند اليه النزغ مبالغة كقولك صام صومه بالرفع وجد جده بالرفع والمراد بالنزغ الشيطان سمي بالمصدر مبالغة فيكون في الكلام تجريد الا ان أريد بالشيطان الجنس * ﴿فاستعذ بالله﴾

ومن علماء قرطبة (ردها الله وجميع الاندلس للاسلام) من يدعو بقوله: (اللهم لا تجعل صدري للشيطان مراغاً ولا تجعل قلبي له مجالاً ولا تجعلني ممن استفزه بصوته وجلب عليه بخيله ورجله وكن لي من حبائله منجياً ومن مصائده منقذاً ومن غوائله مبعداً اللهم انه وسوس في النفس ما لايطيق اللسان ذكره ولا تستطيع النفس نشره مما نزهك عنه علو عزك وسمو مجدك فازل يا سيدي ما سطر وامح ما زور بوابل من سحائب عظمتك وطوفان من بحار نصرتك وأسلل عليه سيف ابعادك وأرشقه بسهام قضائك احرقه بنار انتقامك واجعل خلاصي منه زائداً في حزنه ومؤكداً لأسفه) قال واسمه محمد بن ميسرة ربما كان العبد خالياً مشتغلاً بالتلاوة ويجد وسوسة وقساوة تحول بينه وبين حلاوة الذكر وربما كان ذلك مع الاجتهاد في القراءة لان الذكر اما ذكر خوف ورهبة لاجتماع القلب وصدق النية وبه تنقطع علائق حبل الشيطان وتزول وسوسته ولا يقوى على ذلك واما ذكر أمن وغفلة وهذا لا تفارقه الوسوسة وان أديم لان على القلب غشاوة مانعة للحلاوة وأنفسنا وطية لا تقدر على اخراجه عنها للأبد بل تجتهد وتستعين بالله فيعينك وتثق به فلا يخذلك ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين﴾

وقد علم الله ان البشر يثور بهم الغضب ونحوه أحياناً فدلهم على ما يزيل ذلك وهو الاستعاذة أي طلب العصمة من شره * ﴿انه هو السميع﴾ للاستعاذة وغيرها من الاقوال * ﴿العليم﴾ بنيتك وصلاحك وأفعالك وبنية غيرك وصلاحه وأفعاله * ﴿ومن آياته﴾ الدالة على قدرته وحكمته ووحدانيته.

﴿الليل والنهار والشمس والقمر﴾ تعديد للآيات ليعتبر بها.

﴿لاتسجدوا للشمس ولا للقمر﴾ لانهما مخلوقان مأموران مثلكم ليسا أهلين للسجود وان كانت لكم فيهما منافع لان النفع منهما بتسخير الله فهو الذي هو أهل للسجود ونهاية التعظيم كما قال.

﴿واسجدوا لله الذي خلقهن﴾ أي الأربعة والمقصود منها بالذات الشمس والقمر اشعاراً بأنهما من جملة مما ليس له اختيار كالليل والنهار فمن أين لهما السجود ولو قال خلقها بالافراد لصح لان جماعة ما لا يعقل يحكم عليها بحكم الأنثى بتأويل الجماعة ويحكم الاناث كأن كلا منها مؤنث ولو قال (خلقهم) لجاز تغليباً للمذكر غير وقيل الضمير للآيات جميعاً التي منها الأربع وقيل الشمس والقمر وجمع لان أقل الجمع اثنان كما ادعى بعضهم أو مجاز أو لانه يقال شموس وأقمار باعتبار الأيام والليالي وفي الحديث عن أنس تقرأ: «حم السجدة وتسجد عند السجدة وتدعو فانه يستجاب لك» وجرب الراوي فصح.

﴿ان كنتم اياه تعبدون﴾ لعل ناساً منهم يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون انهم يقصدون بالسجود لها السجود لله فنهوا عن هذه الواسطة وأمروا بأن يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصاً ان كان اياه يعبدون ويقولون (اله واحد) والسجود هنا عند الشافعي وبعض أصحابه وحكاه الرافعي عن أبى حذيفة وأحمد، وهو قول الحسن ورواه مسروق عن ابن مسعود لاقتران الأمر بالسجود وقال أبو حنيفة السجود بعد لا يسامون لانه من تمام المعنى مع ما قبله وهو الاصح عند أصحاب الشافعي وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن جبير وقتادة *

﴿فان استكبروا﴾ عن السجود لله وحده.

﴿فالذين عند ربك﴾ وهم الملائكة * ﴿يسبحون له﴾ يتلفظون له بألفاظ التقديس والتسبيح عندهم بمنزلة النفس من آدم فيما قيل * ﴿بالليل والنهار﴾ الماهية باستغراق أفرادها أي أبداً والياء بمعنى (في) ويدل على الأبدية قوله * ﴿وهم لايسأمون﴾ لا يضجرون فيفتروا وما بعد الفاء قائم مقام الجواب لانه سبب والجواب مسبب أي (فان استكبروا) فدعهم فان الله أي لان الله لا يعدم ساجدين وعابدين بالاخلاص وهم الملائكة المقربون المنزهون له بالليل والنهار عن الأنداد والعندية ظرف مكان مجازي عبارة عن المنزلة والكرامة لا ظرف مكان حقيقي وفي ضمن ذلك حقارة لهؤلاء الكفار وقرىء بكسر الياء وهو لغة بكسر نون حرف المضارعة في غير الرباعي ولو ياء وبسطت ذلك في شرح اللامية.

﴿ومن آياته انك ترى الأرض خاشعة﴾ وترى في تأويل المصدر ميتدأ ومن آياته خبر فلذلك فتحت الهمزة قاله ابن هشام وغيره وخشوع الأرض يبسها وخلوها من النبات شبهها بالخضوع وسماها خشوعاً واشتق منه خاشعة.

﴿فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت﴾ اختصبت وتزخرفت بالنبات شبه ذلك بتحرك المختال في زيه وهى قبل ذلك كالذيل الكاسف البال في الاطمار الرثة والعابس الذي يكاد يبكي وسماه اهتزازاً واشتق منه اهتز وقيل اهتزازها تخلل أجزائها وتشققها للنبات * ﴿وربت﴾ أي انتفخت وزادت وعلت بالنبات فوقها يقال (ربا) بالألف بذلك المعنى وقرىء (ربأت) بالهمزة أي ارتفعت وعلت ان النبات عند قرب خروجه ترتفع له الأرض وعند بعضهم في معنى (ربت) علا سطحها الماء وانتفخت به ثم شبه لمنكري البعث احياء الموتى باحياء الأرض فقال.

﴿ان الذي أحياها﴾ أخصبها شبه الاخصاب بالاحياء واستعار له لفظ الاحياء واشتق منه (أحيا) بمعنى أخصب بجامع الانتفاع والنمو كالحي

ينتفع به وينمو * ﴿لمحيي الموتى﴾ جمع (ميت) بالتشديد * ﴿انه على كل شيء قدير﴾ من الاحياء والاماتة وغيرهما * ﴿ان الذين يلحدون﴾ بضم الياء وكسر الحاء من ألحد وقرأ حمزة بفتحهما من ألحد أي يميلون عن الحق ألحد الحافر وألحد مال وحفر في جنب استعير للانحراف في تأويل القرآن عن جهة الصحة وعن موضعه قاله ابن عباس ومنه اللحد في القبر * ﴿في آياتنا﴾ بالتكذيب والعناد والمشاقة وقال مجاهد بالمكاء والتصدية واللغو وربما في ارادة جميع ذلك * ﴿لايخفون علينا﴾ فانا نجازيهم على الحادهم ففى الآية تهديد ووعيد وقد قيل نزلت في أبي جهل.

﴿أفمن يلقى في النار﴾ هو أبو جهل وفي التعبير بالالقاء ما ليس في التغيير بالدخول لانه مشعر بأنه يطرح فيها طرحاً.

﴿خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة﴾ من النار وهو حمزة وقيل عمار ابن ياسر قال قومنا وقيل عثمان والدلائل تدل على خلافه وفي مقابلة الالقاء في النار باتيان (آمنا) لا يخفي من التفاوت ﴿اعملوا ما شئتم﴾ أمر تهديد.

﴿انه بما تعملون بصير﴾ وعيد بالمجازاة وتهديد آخر أي عليم بأعمالكم يجازيكم عليها قيل المراد بهم وبمن يلقى في النار الملحدون *

﴿ان الذين كفروا بالذكر﴾ أي القرآن وهم قريش * ﴿لما جاءهم﴾ ان وما بعدها بدل من (ان الذين يلحدون في آياتنا) فالخبر (لا يخفون) وقيل استئناف والخبر ما يقال لك الا ما قد قيل والرابط محذوف أي ما يقال لك في شأنهم وقيل الخبر لما جاءهم جوابها محذوفاً مع الرابط أي لما جاءهم كفروا به ورد بأنه لم يفد هذا الخبر زيادة على اسم (ان) وما معه وأجيب بأنه أفاد تقييد الكفر بحيز المجيء وقيل لا يأتيه الباطل والرابط محذوف أي منهم قال ابن هشام بعد ذكر تلك الأقوال وهو أي الأخير بعيد لان الظاهر ان لايأتيه من جملة خبر انه وقيل الخبر محذوف تقدير يجازون بكفرهم وهالكون أو معاندون أو نحوها وقال أبو عمرو وعمر بن عبيد الخبر (أولئك ينادون) واعترض قوله: (مايقال لك) ثم رجع الى الذكر (ولو جعلناه) والأول

الاختيار وقيل: الخبر (انه لكتاب عزيز) وهو ضعيف لا وجه له الا ان قدر بعد (عزيز) (آمن به غيرهم) وجعلت الواو زائدة ولا يخفي بعده وقيل: الخبر (لما جاءهم هلكوا أو ضلوا) وزعم بعضهم ان الخبر يقدر بعد (حميد) وانه هو أشد اظهارا لمذمة الكفار به لان قوله (وانه لكتاب عزيز) داخل في صفة الذكر المكذب فلم يتم ذكر المخبر عنه الا بعد استيفاء وصفه وهكذا الى (حميد).

﴿وانه لكتاب عزيز﴾ منبع حماه الله من الطعن فيه بصحة معانيه وألفاظه صحة لا يصحها كلامهم وقال ابن عباس كريم على الله وقيل: ينبغي أن يعز ويجل ولا يلغى فيه لان الخلق عجزوا عن معارضته وقيل منعه الله من الباطل أو التحريف.

﴿لا يأتيه الباطل﴾ أي خلاف الحق وقيل الشيطان وعليه قتادة والسدي*

﴿من بين يديه ولا من خلفه﴾ لا يجد اليه الباطل سبيلاً من جهة من الجهات فعبر عن العموم بذكر الأمام والخلف وقيل محفوظ من أن ينتقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه والباطل الزيادة والنقصان وقيل لا يأتيه التكذيب من الكتب التى قبله الموجودة معه الى الآن هي أوامرها ولا يجيء بعده كتاب يبطله وقيل لايأتيه الباطل بما أخبر عنه مما مضى ولا فيما تأخر وقيل لا يبطل منه شيئاً من نظره اليوم ولا من نظره بعد فانه ولو طعن فيه الطاعنون وتأوله المبطلون لكن ظهر بطلان قولهم هو ظهور الشمس على أيدي العلماء (إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون).

﴿تنزيل من حكيم حميد﴾ عظيم الحكمة يحمده كل مخلوق بما ظهر عليه من النعم الا ما في قلوب الكفار وأما نفس لحمة القلب وسائر الأعضاء فجامدة في نفسها ولو منعها الكافر من التصرف في الخير وأيضاً هو حميد ولو لم يثن الكافر بحمده ولم يعلمه على أن غالب الكفار يعلمون ان الله منعم (وتنزيل) خبر لان ولو سبقه الخبر الفعلي وهو (لا يأتيه الباطل) الا جعلت هذه الجملة نعتاً أو حالاً فلا يكون من تقديم الخبر الفعلي ويجوز جعل

الكل نعوتاً وجعل تنزيل خبر المحذوف * ﴿ما يقال لك﴾ من ألسنة كفار قومك ﴿الا ما قد قيل للرسل من قبلك﴾ بألسنة أقوامهم من الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب المنزلة والوحي وهذا تسلية للنبي أو ما يقال لك من الله الا مثل ما قد قيل منه للرسل من التوحيد ونحوه * ﴿ان ربك لذو مغفرة﴾ للتائبين * ﴿وذو عقاب أليم﴾ لمن أصر على الكفر وقيل ذو مغفرة ورحمة لأنبيائه وذو عقاب أليم لأعدائهم ويجوز أن يكون قوله (ان ربك) الى آخره مراد به لفظه بدلاً من ما قد قيل أي ما قيل لك (الا ان ربك). . الخ أي ما أوحى اليك والى الرسل الا وعد للمؤمنين بالمغفرة وللكافرين بالعقوبة والقصد تخويف العصاة أو أنه ذو مغفرة وذو عقاب فمن حقه أن يرجوه المطيع ويخافه العاصي * ﴿ولو جعلناه﴾ أي الذكر * ﴿قرآنا أعجمياً﴾ كما قالوا هلا نزل بلغة العجم وهى خلاف لغة العرب * ﴿لقالوا لولا﴾ حرف تحضيض * ﴿فصلت آياته﴾ بينت بلسان نفقهه أي لو جعل أعجميا لما تركوا التعنت * ﴿ءاعجمي وعربي﴾ بهمزتين مفتوحتين عند أبي بكر وحمزة والكسائي وغير هشام يبدل الثانية ألفا ويمد وأبو عمرو وقالون يشبعان المد لا من قولهما ادخال الألف بين الهمزة المحققة والملينة وابن كثير يجعل الثانية بين بين بلا فصل وهو قياس قول حفص وابن ذكوان لان من مذهبهما تحقيق الهمزتين من غير فاصل وعن بعض ان ابن ذكوان يشبع المد هنا وفي (ان كان ذا مال) ورد بأنه لا يفصلهما بالألف ولو حققنا فكيف اذا سهلت الثانية حكى الأخفش عنه تسهيلها ولم يذكر الفصل والاستفهام انكاري أي لكلام أعجمى ومخاطب عربي أو قرآن أعجمي ورسول عربي وذلك مستلزم للمحذور والاعجمي الذي لا يفهم ولا يفهم كلامه من أي جنس كان والعجمي منسوب الى أمة العجم وذلك من كلام الله وقيل من كلامهم أي كيف ينزل الكلام أعجميا الى العرب وقرأ هشام والحسن (أعجمي) بهمزة واحدة بدون استفهام أي قرآن عربي ورسول عربي والمعنى انهم في اتباع الهوى والتعنت ولو كان ما كان لانهم غير طالبين للحق بل

متعنتون ويجوز على هذه القراءة أن يكون ذلك بيانا للتفصيل أي لو فصلت آياته بعضه عربي للعرب وبعضه أعجمي للعجم ويجوز أن يراد بالعرب المرسل اليهم وهم العرب ولو كانوا جماعة؛ وعربي مفرد تمثيلاً بالواحد المذكر كما تقول اذا رأيت امرأة قصيرة عليها لباس طويل (اللباس طويل والملابس قصير) من غير أن تقول اللابسة لان الغرض بيان التنافر بين اللباس والشخص اللابس من حيث هو لا بيان كونه مؤنثاً وعن بعضهم ان سبب النزول تخليط كان من قريش من أجل حروف وقعت في القرآن مما عرب من كلام العجم كسجيل واستبرق وقيل ان رسول الله ﷺ يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمي وكان يهودياً أعجمياً يكنى أبا فكيهة فقال المشركون انما يعلمه يسار فضربه سيده وقال أنت تعلم محمدا فقال هو والله يعلمني فنزلت الآية * ﴿قل هو﴾ أي الذكر

﴿للذين آمنوا هدى وشفاء﴾ أي القرآن لمن قضى الله ايمانه هدى أي ارشادا للحق عن الضلالة وشفاء أي ازالة لما في الصدور من الشك والشبهة والجهل والشرك شبه هذه القبائح بالمرض فأطلق على ازالتها الشفاء وقيل: شفاء من الاسقام والاوجاع * ﴿والذين﴾ مبتدأ * ﴿لا يؤمنون﴾ أي لم يقض الله أن يؤمنوا * ﴿في آذانهم﴾ جمع أذن خبر لقومه* ﴿وقر﴾ والجملة خبر (الذين في آذانهم) منه وقر أو (وقر) خبر لمحذوف والجملة خبرا للذين أي هو في آذانهم وقر وقيل: ويدل له قوله * ﴿وهو﴾ أي الذكر وهو القرآن * ﴿عليهم عمى﴾ أي شيء خفي لتعاميهم عن سماعه وعما يريهم من الآيات وقال أبو حيان: عمى مصدر والوقر الثقل في السمع شبههم بالاصم والاعمى وقرىء (عماء) بالمد (وعم) باعراب على الميم (كبرعم) بالكسر للميم والاعراب على الياء المحذوفة ويجوز عند مجيز عطف معمولين على معمولين عاملين أن يعطف (الذين) على (الذين) (ووقر) على (هدى أو شفاء) (ففي آذانهم) متعلق باستقرار الذين أو بمحذوف حال (وقر) كأنه قال وهو للذين لا يؤمنون في آذانهم وقر واستغنى بهم واللام الاولين *

﴿أولئك يُنَادَوْنَ﴾ يوم القيامة* ﴿من مكان بعيد﴾ بكفرهم وقبيح أعمالهم حتى يسمع أهل الموقف ليفضحوا على رؤوس الخلائق ويكون من أعظم توبيخ.

قاله الضحاك وقال مجاهد : شبههم لمن ينادى من بعيد يسمع الصوت ولا يفهم تفصيله أو لا يسمع أصلاً وذلك تمثيل بعدم فهمهم وقبولهم وعدم القائهم السمع نحو ما يقال لهم ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ هو التوراة أو (ال) للجنس والمراد جميع كتبه * ﴿فاختلِف﴾ مبني للمفعول * ﴿فيه﴾ نائب أي اختلف قومه فيه فمنهم مصدق به ومنهم مكذب كما اختلف قومك في كتابك ﴿ولولا كلمة﴾ وجملة * ﴿سبقت من ربك﴾ نعت لكلمة والخبر محذوف ومن أجاز ذلك خبر ما بعد لولا اذا كان مقيداً جعلها خبراً والكلمة سابقة الوعد بالقيامة وفصل الخصومة في يوم القيامة أو تقدير الآجال أو تأخير العذاب * ﴿لقضي بينهم﴾ في الدنيا فيما اختلفوا فيه وعجل هلاك المكذبين * ﴿وانهم﴾ أي اليهود * ﴿لفي شك منه﴾ أي من كتاب موسى أو من موسى ويجوز عود اسم (ان) على الذين لا يؤمنون ومجرور من على القرآن * ﴿مريب﴾ أي موقع في الريبة وموجب للاضطراب * ﴿من عمل صالحاً﴾ أي عملاً صالحاً وهو مفعول به أي مفعول مطلق على حد خلق الله السموات * ﴿فلنفسه﴾ أي فعمله لنفسه وجزاؤه لنفسه ونفعه لنفسه ويجوز إن اللام زائدة والنفس مفعول مقدم للحصر لعامل مقدر بعده أي فمنه نفع ونظيره في الزيادة (ان كنتم للرؤيا تعبرون) والاولى ما مر بدليل * ﴿ومن أساء فعليها﴾ أي فاساءته عليها أو جزاؤه أو جزاؤها أو ضره بضعف جد زيادة عليّ فيجعل مجروراً مفعولاً لمحذوف أي فعليها ضر بفتح الراء أي فاياها ضر والحصر مستفاد على تقدير المبتدأ من المقام ومن لام الاختصاص في الاول أو يقدر المبتدأ بعد المجرور أو من تقدم المفعول على تقدم الفعل .

ذكر ابن هشام بعض ذلك يرجع تقدير المبتدأ كثرة حذفه بعد فاء الجواب

وان قلت لو قدر الفعل لم تكن الفاء قلت كانت للفصل بينه وبينها ولحذفه أو لتقدير (قد) أو هي زائدة أو لتقدير مبتدأ أي فهو أنفع فهو اياها ضر.

﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ المبالغة في النفي أي انتفي انتفاء بليغاً ظلمه للعباد ظلام للنسب أي بذي ظلم أو على أصله رداً على من كفر ونسب المبالغة في الظلم لله.

قال ابن هشام : يصاغ فعّال للنسب غالباً في الحرفة شاذ في غيرها وحمل عليه قوم وما ربك بظلام أو قاسه بعضهم في الحرفة وبعضهم مطلقاً وقيل لا مطلقاً وذلك نصيحة بليغة للعامل وترجية وتخويف أي له الخير ان فعله والشر ان فعله ولا يظلم بنقص الثواب للمطيع أو حرمانه وبعذاب غير المسمى * ﴿اليه﴾ لا الى غيره * ﴿يرد علم الساعة﴾ يوم القيامة اذا وقع السؤال عنها لانه لا يعلمها الا الله * ﴿وما﴾ موصول اسمي معطوف على الساعة * ﴿تخرج﴾ بالتأنيث نظرا لمعنى ما لوقوعها على الثمرات * ﴿من ثمرات﴾ من البيان وقرأ غير نافع وحفص وابن عامر (من ثمرة) للافراد والمراد الجنس * ﴿من أكمامها﴾ من للابتداء والاكمام جمع كم بكسر الكاف وهو وعاء الثمر وهو الكفر وقيل يشق قاله ابن عباس أي لا يعلم الساعة وما يخرج من الأكمة الا الله وقرىء (من أكمامهن) ويجوز كون ما نافية (ومن) الاولى زائدة و (ثمرات) فاعل (تخرج) كما ان (ما) نافية في قوله ﴿وما تحمل﴾ (ومن) زائدة في الفاعل في قوله * ﴿من أنثى﴾ أي تحقق انه لا تخرج ثمرات من أكمامها ولا تحمل أنثى * ﴿ولا تضع﴾ حملها ﴿الا بعلمه﴾ أي مع علمه عدد الثمرات وصغرها وكبرها وأيامها وحلوها وصفاتها وأيام الحمل وساعاته ومتى يكون الوضع وذكرا أو أنثى وغير ذلك والمراد التمثيل بذلك أنه لا يعلم الغيب الا الله وان قلت الرجل الصالح من أهل الكشف يقول فيصيب مثل الرجل الذي في وارجلان يرى انسانا فيخبره باسمه واسم أبيه وانه سعيد أو شقي وقد قال العلامة يوسف بن ابراهيم غاية المنجم أن يعلم سعادته أو شقاوته وأخبر الامام أفلح ببقرة تذبح غداً

أو لا وان في بطنها جنيناً وقالت أخته ان في ذنبه بياضاً أو وقع الشك هل البياض في ذنبه أو وجهه وذبحت كذلك وجد الجنين ذنبه فيه بياض ملتو الى وجهه وغير ذلك قلت ذلك الهام من الله واعلام وليس غيباً استأثره الله به ثم ان المنجم ليس علمه يقيناً فلا يمكن القطع والكاهن يسمع من الجان * ﴿ويوم يناديهم﴾ أي واذكر يوم ينادى الله المشركين ﴿أين شركائي﴾ أي الذين تزعمونهم شركائي (وشركائي) مبتدأ وأين خبره والجملة مفسرة للنداء أو مفعول به لتضمنه معنى القول أو في اضافة الشركاء الى الياء تهكم وتعنيف وفتح ابن كثير الياء وأجاز بعضهم على ضعف عود الهاء لكل معبود من دون الله من انسان أو غيره * ﴿قالوا﴾ أي المشركون ﴿آذناك﴾.

قال ابن عباس: أعلمناك قلت هو انشاء أي أخبرناك الآن أي أوجدنا اعلامك الآن بقولنا.

﴿ما منا من شهيد﴾ (من) الأخيرة زائدة أي ليس منا شهيد لهم بالشركة اليوم وقد سمعنا وأبصرنا وعاينا العذاب وكل منا اليوم موحد ففي السؤال عنهم توبيخ أو ليس منا مشاهد لهم لانهم ضلت عنهم شركاؤهم حال التوبيخ واذا رجعنا ضمير (يناديهم) الى (الشركاء) كما قيل أو (المشركين) كما مر صح عود (الواو) للشركاء أي (قالت الشركاء ليس منا من يشهد لهؤلاء المشركين بانهم محقون).

﴿وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل﴾ يعبدون في الدنيا أي غابت عنهم معبوداتهم ومن قال حضرت حال التوبيخ قل ضلالها وغيبتها عدم نفعها وكأنها غير حاضرة وكأنها مفقودة والله عالم قبل كل شيء وما سؤاله الا توبيخ لهم ثم بعد وصولى هذا الموضع نظرت في الكشاف فرأيته أجاز كون (آذناك) انشاء لاخبار (بالايذان) قد كان كما تقول أعلم الملك انه قد كان من الأمر كيت وكيت فالحمد لله على موافقة علامة ثم رأيته صرح بوجه آخر قد ظننته وهو أن يكون اخباراً أي علمت من قلوبنا وعقائدنا أي وأحوالنا الآن انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكأنهم

أعلموه والحمد لله على الموافقة وذكر وجهاً آخر لم يحضرني ببال الا تخييلاً وهو (آذناك) اخبار بايذان كان منهم وأعيد عليهم السؤال اعادة للتوبيخ * ﴿وظنوا﴾ أي أيقنوا كقوله (وظنوا ان لا ملجأ) * ﴿ما لهم من محيص﴾ أي مهرب مصدر ميمي أي هروب من العذاب أو اسم مكان أي مكان يهربون اليه والجملة مفعول الظن علقت بحرف النفي وأجاز بعض أن يكون الوقف على (ظنوا) وان الظن رجحان لا يقين وان المفعول محذوف أي (ظنوا ان قولهم ما منا من شهيد) جملة منجاة لهم وهو بعيد جداً وكذا (ما منا من شهيد) جملة مفعول(آذنا) ثان معلقة بالنفي ويجوز حذف المفعول الثاني (وما منا من شهيد) استئناف منهم * ﴿لايسأم﴾ لا يمل * ﴿الانسان﴾ الكافر (وال) لجنس الانسان الكافر وقيل نزلت في كفار قريش وقيل نزلت في الوليد ابن المغيرة وقيل في عتبة ابن ربيعة * ﴿من دعاء الخير﴾ المال والصحة والولد وغيرهما والدعاء السؤال والطلب .

وقرأ ابن مسعود: من الدعاء بالخير وكذا في مصحفه قال ابن هشام اضافة دعاء للخير اضافة مصدر لمفعوله والفاعل محذوف أى دعاء الخير ﴿وان مسه الشر﴾ من نحو ضيق في مال ﴿فيئوس قنوط﴾ أي هو يئوس قنوط مثل به ابن هشام بقوله : (من عمل صالحاً) الى آخر لحذف المبتدأ في كثير جواب الشرط واليأس كثير انقطاع الرجاء وعظيم انقطاعه والقنوط بمعناه توكيد له والذي كثر وعظم ظهور أثر اليأس منه فيتصاغر وينكسر وذلك وصف عظيم للكافر باليأس ما فضل الله بالغ فيه بالاتيان بالوصفين صفتي مبالغة وتكرير الوصف ومن (القنوط) من ظهور أثر اليأس جاء زيادة على اليأس وذلك دليل على ان المراد بالانسان الكافر انه (لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) وزعم بعضهم ان الانسان مطلق وضمير مسه للكافر وفيه شبه الاستخدام والتحقيق ان المراد الكافر بدليل اليأس والقنوط وقوله هذا الخ * ولذلك فسرنا (الخير) بنحو المال والصحة والولد والمسلم لايطلب هذا وحده ولا يطلبه بالذات بل يطلبه ليوصله للجنة ويطلب معه الهداية في العون.

﴿ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء﴾ ضارة له وهي شدة وبلاء ومعنى (أذقناه) آتيناه (والرحمة) نحو الغنى والصحة أو ازالة الضراء ﴿مسته ليقولن﴾ جواب القسم المقدر قيل ان المدلول عليه باللام وزعم أبو البقاء انه جواب الشرط والفاء محذوفة وفيه حذفها في السعة واجابة الشرط مع تأخيره عن القسم والذي صححوه ان الجواب للسابق فجواب (ان) محذوف وقيل جواب القسم مغن عنه * ﴿هذا﴾ الذي أتاني ﴿لي﴾ حيث استحققته بعملي وفضلي ودائم لي لا ينقطع تغلب عليهم كفرهم حتى أنساهم تقلب الدنيا بأهلها من خير الى شر * ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ وهذا الكافر لم ير النعمة تفضيلاً من الله عليه وأنكر القيامة.

﴿ولئن رجعت الى ربي﴾ بفتح الياء عند نافع وأبي عمرو وسكنها غيرهما (رجع) هنا (متعد) ولذا بني للمفعول وكان نائبه ضمير المفعول * ﴿ان لي عنده للحسنى﴾ بفتح اللام للتأكيد في اسم (ان) والجملة جواب القسم لسبعة ولذا لم تقرن بالفاء والمراد بالحسنى الكرامة وهي الجنة وما يريده فيها من نحو مال وبنين وذلك أنه قاس أمر الآخرة على أمر الدنيا وقال كما أعطاني في الدنيا يعطيني في الآخرة لاعتقاده ان ما أصابه في الدنيا لاستحقاق غير منفك عنه وعن بعض أن للكافر أمنيتين يقول في الدنيا (ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى) وفي الاخرة (ياليتني كنت ترابا) واعلم ان الاماني على الله وترك الجد في الطاعة مذموم لكل أحد قال ﷺ : «الكّيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله» * ﴿فلننبئنّ﴾ أي لنخبرن ﴿الذين كفروا بما عملوا﴾ وقال ابن عباس: فلنوقفن الذين كفروا على مساوىء أعمالهم ونبصرهم عكس ما اعتقدوا فيها (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً) وذلك انهم ينفقون أموالهم رئاء الناس وطلباً للافتخار والاستكبار لا غير ويحسبون انما هم عليهم سبب الغنى والصحة وانهم مستوجبون بذلك عند الله كرامة قال شيخ الاسلام قوله (وما أظن الساعة قائمة) لا ينافي اننا نظن الا ظناً

لان المراد هنا نفي الظن الكامل بقرينة قائمة بدل (تقوم) * ﴿ولنذيقنهم﴾ شيئاً * ﴿من عذاب غليظ﴾ أي شديد وجملة (العذاب الغليظ) متوزعة على الكفار (ومن) للبيان أي أشياء هو عذاب غليظ ومن أجاز زيادة (من) في الاثبات (فعذاب) مفعول به ومن غلظه دوامه عليهم﴿واذا أنعمنا على الانسان﴾ أي الجنس الكافر ولو قيل أراد هنالك وهنا بالانسان العام لصح وذلك لان هذه الكبائر قد تصدر ممن يريد الله سعادته ويموت على التوبة وعليه فأعاد الجنس بالظاهر في قوله (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) تمييزاً لمن مات على الكفر وللاشعار لموجب العقاب وهو الكفر * ﴿أعرض﴾ عن الشكر وذلك انه أبطرته النعمة وكأنه لم يلق بؤساً قط فنسي المنعم وأعرض عن شكره * ﴿ونأى﴾ أي بعد ولم يصل لشكر ولا طاعة* ﴿بجانبه﴾ أي بنفسه مجاز لان جهة الشيء تنزل منزلته نحو كتبت الى مجلس فلان وجهته وذلك كما يقال في المتكبر ذهب به الكبر والخيلاء وذهبا بنفسه ويجوز أن يريد بالجانب جزءه فيكون بمعنى الجنب والمراد انحرف عن سبيل الله بكليته تكبراً كقولك (ثنى عطفه) وتولى بركته وقرىء (انا) بتقديم الهمزة على النون و (ناء) بتأخيرها على الألف لان الكل يستعمل أيضاً بمعنى بعد وقرىء (نا) بكسر النون كسراً خالصاً وامالة فتح الهمزة فكسر النون تبع وعلى جعل الهمزة بعد الألف ابن ذكوان والباقون قبلها ومن أمال خلاد وأبو شعيب والباقون يخلصون الفتح * ﴿واذا مسه الشر﴾ نحو فقر ومرض ﴿فذو﴾ أي فهو ذو ﴿دعاء عريض﴾ أى واسعه العرض كناية عن كثرة دعائه وتضرعه وادامتها وعبر بالعريض أي الشىء اذا كثر عرضه ووسعه فمن شأنه كثرة طوله جداً على ما يقتضيه وسع عرضه وذلك مبالغة واخبار بوسع العرض والطول احدهما تصريحاً والآخر تلويحاً فلا حاجة لقول بعض عريض وطويل والعرض والطول حقيقتان في الاجرام ﴿قل﴾ لكفار مكة ﴿أرأيتم﴾ الهمزة ليست للاستفهام بل هي أول الكلمة يقال أرى (أخبر) فكأنه أخبروني قال ﴿ان كان﴾ أي القرآن وهو الذكر ﴿من عند الله﴾ كما قلت ﴿ثم كفرتم به﴾

وجواب (ان) محذوف أي أهلكتم كذا قيل بل دل عليه ما قبله أي فاخبروني ما تصنعون أو أخبروني * ﴿من أضل﴾ فانكم كذبتم به لا بحجة واثقة وأنتم على غير يقين ولعله حق فأهلكتم أنفسكم والكلام على (أرأيتم) بمعنى (أخبروني) بسطته في النحو (ومن) استفهامية انكارية أي لا أحد أضل وجملة (من أضل) مفعول (أرأيتم) * ﴿ممن هو في شقاق﴾ أي خلاف ومعاندة * ﴿بعيد﴾ عن الحق والمراد بـ (ممن) هؤلاء الكفار والأصل من أضل منكم فوضع الظاهر موضع الضمير بيانا لحالهم وذماً لهم بالشقاق البعيد وتعليلاً لمزيد ضلالتهم *

﴿سنريهم آياتنا في الآفاق﴾ أقطار الدنيا شرقاً وغرباً مما فتح لرسول الله ﷺ وللخلفاء من بعده من القرى والاظهار على الملوك وتغليب القليل على الكثير والضعفاء على الأقوياء واجراء خوارق على أيديهم ونشر دعوة الاسلام في أقطار المعمورة وبسط دولته أقاصيها ولم تر وقعة الا آية تقوي اليقين والايمان وتدل أن دين الاسلام هو الحق ﴿وفي أنفسهم﴾ ماظهر فيما بين أهل مكة وما حل بهم من الفتح قاله السدي وجماعة قيل وهذا تأويل حسن يتضمن الاعلام بغيب ظهر بعد ذلك عكس ما بين الموحدين والنصارى في هذا الواقع عام ألف ومائتين وسبعين وما قبله من القرن العاشر وقال قتادة والضحاك: (في الآفاق) ما أصاب الأمم المكذبة في أقطار الأرض قديماً وفي أنفسهم يوم بدر وقال ابن عباس: (في الآفاق) منازل الأمم الخالية (وفي أنفسهم) البلاء والأمراض وقيل: (في الآفاق) أخبار الغيب عنها وأثر النوازل فيها وفي أنفسهم ما في أبدانهم من عجائب الصنع وقيل (في الآفاق) مافي السماء من القمرين والنجوم وغيرها وما في الارض من شجر ونبات وغير ذلك (وفي أنفسهم) من لطيف الصنع وبديع الحكمة ﴿حتى يتبين لهم انه﴾ أي الذكر وهو القرآن ﴿الحق﴾ المنزل من الله بالبعث والحساب والعقاب يعاقبون على كفرهم وقيل الضمير للشرع وقيل للتوحيد وقيل للرسول وقيل لله* ﴿أو لم يكف بربك﴾ الباء زائدة للتأكيد (وربب) فاعل

وفيه اشارة الى معنى (أو لم) تحصل الكفاية بربك وزيادتها في فاعل كفي كثيرة وتزداد أيضاً في فاعل افعل في التعجب على المشهور في نحو (أحسن بزيد) وغير المشهور انها غير زائدة ومجرورها ليس فاعلاً وتزاد أيضاً في غير ذلك.

﴿أنه على كل شيء شهيد﴾ يدل من ربك بدل اشتمال أي أو لم يكفهم في صدقك انه لا يغيب عنه شيء فهو يحقق أمرك باظهار الآيات الموعود بها كما حقق سائر ما وعد به وهو مطلع بعلم حالك وحالهم فلا ارتدعوا عن الماضي * ﴿الا انهم في مرية﴾ أي في شك وقرىء بضم الميم والمعنى واحد وهو لغة كخفية وخفية * ﴿من لقاء ربهم﴾ من القيامة والبعث والجزاء.

﴿الا إنه بكل شيء محيط﴾ اجمالاً وتفصيلاً ظاهراً وباطناً أحاط بالأشياء علماً وقدرة فهو مجازيهم على مريتهم اللهم بحق هذه السورة وبركة نبيك محمد غلب الموحدين على النصارى واكسر شوكة النصارى وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة «الشورى»

سـورة ﴿الشـورى﴾

﴿حم﴾ ﴿عسق﴾ وتسمى سـورة (عسق) وسـورة (الشـورى) وسـورة (شورى) وهي مكية عنـد ابن عبـاس والجمهـور وعليهم مؤلف الضيـاء من أصحابنا من أهل عُمان وقال مقاتل فيها مدني وعن ابن عباس ان فيها أربع آيات مدنيات (قل لا أسألكم) الآيات الأربع وقيـل فيهـا من المـدنى (ذلك الـذي يبشر) الى (بـذات الصـدور) (والـذين اذا أصـابهم البغي) الى (من سبيل) وآياتها ثلاث وخمسون وكلماتها ثلاثمائة وستون وحـروفهـا ثـلاثـة آلاف وخمسمائة وثمانون قال ﷺ : «من قرأ سورة حم عسق كـان ممن يصلي عليـه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له»

وقالوا من كتبها وعلقها أمن من شر النـاس ومن عقـد ابهـام يمنـاه وقـال (كما أنزلناه) الى (الـريـاح) (الله الـذي) الى (الـرحيم) و (يـوم الآزفـة) الى (يطـاع) (علمت كل نفس) الى (الجوارى الكنس) و (القرآن) الى (شقاق) وقرأ (كهيعص) ليمناه و (حم) و (عسق) ليسراه ودخل على جبار لم يضره ، جرب ذلك مراراً فظهرت بركة هذا وعن بعضهم انها مكية الا (أم يقـولـون افتراه) الى قوله (بصير) فانها نزلت في الأنصار ولو (بسط الله) الـخ نـزلت في أهل الصفة*



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حـم عسق﴾ مجهول المعنى وان جعل اسماً للسورة فهو خبر لمحذوف أو مفعول لمحذوف وانما فصل العين عن الميم ليطابق سائر الحواميم وقيل لانهما أعنى (حم وعسق) اسمان للسورة وعـدا آيتين وسئـل الحسين ابن الفضـل لم قطع حروف (حم عسق) ولم يقطـع حـروف (المص) و (المـر) و (كهيعص) فأجاب بأنها بين سور أوائلها حم فجرت مجرى نظـائرهـا وان (حم) مبتـدأ و(عسق) خبر وزعم بعض ان أهل التأويل لم يختلفوا في نحـو (كهيعص) انهـا حروف تهج واختلفوا في (حم) فأخرجها بعض من حيـز الحـروف وجعلهـا فعلاً فقال معناها (حم الأمـر) أي قضي وبقي (عسق) على أصلـه وعن ابن عباس ان (حم عسق) حروف بأعيانها نزلت في كل كتب الله ولذلك قال.

﴿كذلك يوحى اليك والى الـذين من قبلك﴾ وروي عنه أن الحاء حلمـه والميم مجده والعين علمه والسين سناه بالمـد أي نوره والقاف قدرته وانه أقسم بهن وقيل ان العين من عزيز والسين من قدوس والقـاف من قـاهـر وقيـل: الحاء حرب في قريش تذل عزيزهم وتعز ذليلهم والميم ملك يتحول من قوم الى قوم والعين عدو لقريش يقصدهم والسين سنون كسني يوسف والقاف قـدرة الله في خلقه وقيل الحاء حوض نبينا ﷺ والميم ملكه الممدود والعين عزه الموجود والسين سناه المشهود والقاف قيامه في المقام المحمود وقربه من الملك المعبود. وقرأ ابن مسعود (حم سق) ورواها بعض عنه وعن ابن عباس وهو خـلاف ما مر عنه والاشارة الى الايحاء أو الى معـانى السـورة أو الى الكتـاب أي مـا يوحى مثل ايحاء هذه السورة أو مثل ما فيها من المعاني أو مثل ذلك الكتاب

وان قلت كيف يصح (يوحي اليك) مثل هذه السورة أو مثل معانيها وقد أوحاها حقيقة قلت ارادته انه يوحي اليك مثل هذه السورة أو مثل معانيها وقد أوحاها حقيقة قلت أراد انه يوحي اليك مثلها من السور والمعاني وكذا يوحى اليك مثل القرآن وهو ما عداه من الوحى وذكر الايحاء بلفظ المضارع ليدل على أن ايحاء مثل ذلك عادته فيما مضى وكأن هذه العادة الماضية حاضرة أي كرر الله هذه المعاني والايحاء في كل كتبه للتنبيه العظيم واللطف البليغ للاوائل والاواخر * ﴿الله﴾ فاعل (يوحي) وقرأ ابن كثير (يوحى) بالبناء للمفعول فهو خبر والكاف الداخلة على (ذا) مبتدأ أي (مثل ذلك) يوحى ومن أجاز تقديم النائب مطلقاً واذا كان ظرفاً قال (كذلك) جار ومجرور نائب (والله) على هذه القراءة فاعل (ليوحى) مبنياً للفاعل محذوف دل عليه ذلك المبني للمفعول كقراءة بعضهم (يُسَبح له بالغدو والآصال رجال) ببناء (يسّبح) للمفعول (وله) نائب أو ما بعده (ورجال) فاعل لمحذوف أي سبح رجال بالبناء للفاعل كأنه قيل من يوحي؟ فقال: الله وقرىء (نوحي) بالنون والبناء للفاعل فالله مبتدأ و ﴿العزيز الحكيم﴾ صفتان على كل حال مقررتان لعلو شأن الموحى به كما مر بيانه في السورة قبلها ومرت الاشارة اليه في هذه وجملة قوله.

﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ خبره وعلى الأوجه الاخرى مستأنفة لتقرير عزته وحكمته وقوله ﴿وهو العلي العظيم﴾ عطف على التي قبلها أو استئناف وعن بعضهم ان تقدير (يوحي) الخ (يوحي اليك والى الذين من قبلك اخبار الغيب) والعزيز في ملكه والحكيم في صنعه و (له ما في السموات وما في الارض) ملكاً وخلقاً وعبيداً و (العلّي) على خلقه و(العظيم) الكبير * ﴿تكاد السموات﴾ بالياء عند نافع والكسائى وقرأ غيرهما بالتاء المثناة فوق * ﴿يتفطرن﴾ يتشققن من عظمة الله عز وجل قيل يدل عليه

مجيئه بعد (العلّي العظيم) وقيل من ادعائهم له ولداً وهو مطاوع (يتفطر) بالتشديد فهو أبلغ ولابلاغه في قراءة أبي بكر وأبي عمرو (ينفطرن) بالنون مطاوع (فطر) بالخفة وحكى يونس عن ابن عمر تتفطرن بتائين التاء الأولى تاء المضارعة والتأنيث قيل وهذا التأنيث توكيد للنون فذلك تأكيد للتأنيث وهو غريب للجمع بين أداتي التأنيث وهما التاء والنون ومثله ما في نوادر ابن الاعرابي: الابل تشممن ﴿من فوقهن﴾ (من) للابتداء أي يبتدىء الانفطار من جهتين الفوقانية وهي العرش والكرسي وصفوف الملائكة المرتجة بالتسبيح والتقديس جعل كلمة الكفر مؤثرة في ذلك الفوق وبالأولى أن تؤثر في التحت ففي ذلك مبالغة ومعنى السموات في (يتفطرن) من عظمة الله وقيل المراد بفوقهم ما علا منهن وهو السماء السابعة وقيل من فوقهن تنشق كل واحدة فوق التي تليها والضمير على ذلك كله للسموات وقيل الضمير للارض في قوله وما في الأرض لارادة الجنس بها وقال الاخفش علي بن سليمان: الضمير لجماعات الكفار والفرق الملحدة أي من فوق الجماعات على حذف مضاف أي من فوق قوله:

﴿والملائكة يسبحون بحمد ربهم﴾ أي مع حمد ربهم وقيل يصلون بأمر ربهم فالباء على الاولى للمصاحبة أي ينزهونه عما لا يليق به ملتمسين بحمدهم اياه والمصدر مضاف لمفعوله أي حامدينه وعلى الثاني للتعدية وان جعلت الحمد مضافاً للفاعل كما في الثاني وأبقي الحمد على أصله أي بما حمد به نفسه فهي للاستعانة.

﴿ويستغفرون لمن في الأرض﴾ أي من المؤمنين بدليل (ويستغفرون للذين آمنوا) (فاغفر للذين تابوا) الخ فوصف الذين استغفر الملائكة لهم وهو بموجب الاستغفار وهو الايمان والتوبة واتباع السبيل وبدليل أولئك عليهم لعنة الله والملائكة ولا يستغفرون لمن يلعنون فانما يستغفرون لأولياء الله ولاحظ في استغفارهم للمشرك والمنافق الموحد غير التائب وهو مذهب السدي في المشرك في تفسير الآية وقال فرقة المراد من في الارض عموماً لكن

نسخ بقوله (يستغفرون للذين آمنوا) قلت ضعيف لان الاخبار لا يدخله النسخ الا نسخ اللفظ ولان الحمل على عدم النسخ والتقييد بقيد مذكور في آية أخرى مثلاً أولى وقالت فرقة بعموم الآية والاستغفار للكافر طلب الهداية له وهي سبب الغفران وقيل بالعموم والمراد بالاستغفار طلب الرزق وقيل أن لا يعاجلهم بالعقوبة على حد (ان الله يمسك السموات والارض) الى (حليماً غفوراً) (ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) وقيل الاسباب المقربة للطاعة كالالهام ولا شفاعة للكافر ووجه اتصال ذلك بقوله (يتفطرن) انه (يتفطرن) هيبة من جلاله وملائكته يداومون على العبادة والتسبيح والتحميد والاستغفار لمن في الارض خوفاً من سطواته عليهم أو انهم (يتفطرن) اقدام المشرك الكافر على تلك الكلمة الشنعاء والملائكة يوحدونه وينزهونه عما يصفه المشرك به ويحمدونه على لطفه بهم ويستغفرون لمؤمني أهل الأرض المتبرئين من تلك الكلمة ومن أهلها أو يطلبون من ربهم أن يحلم عن أهل الأرض ولا يعاجلهم حرصاً على النجاة وطمعاً في التوبة .

﴿ألا ان الله هو الغفور﴾ لأوليائه * ﴿الرحيم﴾ بهم وذلك اخبار باجابته لدعائهم واستغفارهم كأنه قال استغفروا واسترحموا ففعلت بأن رزقت الناس حلمت عنهم وهديت من هديت ومحوت ذنوب المؤمن وقبلت شفاعتهم له ورحمت الكل رحمة دنويتى والمؤمن أيضاً برحمة الآخرة لاني عظيم الغفران والرحمة قطعاً وتحقيقاً ولا مثل لي فيها وذلك تقرير للعظمة .

وقال القاضي : ان فسرنا الاستغفار بالشفاعة للمؤمن وبالمعنى العام له ولغيره فالآية تقرير لعظمته وان فسرناه بالحلم عنهم فهى دلالة على تقدمه عما نسب اليه وان عدم المعالجة بالعذاب على تلك الكلمة الشنعاء باستغفار الملائكة وفرط غفران الله ورحمته ولك أن تقول المراد بالاخبار باجابة الدعاء فيما طلبوا من الغفران وبزيادة الرحمة .

﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ شركاء وأنداداً * ﴿الله حفيظ﴾ رقيب * ﴿عليهم﴾ أي على أحوالهم وأعمالهم فمجازيهم بها لا يخفي عليه منها شيء

ولا رقيب عليهم سواي كما قال * ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ أي بموكل بهم أو بموكول اليه أمرهم ولا قهرهم على الايمان انما عليك البلاغ ولا تهتم بعدم ايمانهم والمراد العموم وقيل كفار قريش وما يفهم ترك القتال من هذه الآية منسوخ وذلك تسلية للنبي ﷺ ووعيد للكافرين .

قال الرازي في شرح الأسماء الحسنى : مامن عبد حفظ جوارحه الا حفظ الله عليه قلبه، وما من عبد حفظ الله قلبه الا جعله حجة على عباده* ﴿وكذلك﴾ أي ايحاء ثابتاً كذلك الايحاء أو ايحاء مثل ذلك الايحاء* ﴿أوحينا اليك قرآنا﴾ مفعول أوحينا وان أرجعنا الاشارة الى معنى الآية المتقدمة لتكرره في القرآن فالكاف اسم مفعول لأوحينا وقرآنا حال منه وقيل المعنى كما قضينا أمرك هكذا وأمضيناه أوحينا اليك قرآناً * ﴿عربيا﴾ بلسان العرب تفهمه ويفهمونه * ﴿لتنذر﴾ تخوف ولا تجاوز الانذار وقرىء بالياء فالضمير للقرآن وهو تارة يتعدى الواحد كما هنا وهذا الواحد قوله* ﴿أم القرى﴾ يعني مكة صانها الله ويقدر مضاف أي أهل أم القرى ﴿ومن حولها﴾ من العرب وقيل المراد ناس قرى الارض كلها ويقدر الثاني مجروراً بالحرف أي لتنذرن بالقرآن أو بالآخرة أو بالعذاب وتارة يتعدى الاثنين كقوله تعالى ﴿وتنذر﴾ وقرىء بالياء فالضمير للقرآن * ﴿يوم الجمع﴾ يوم القيامة يجمع فيه الخلق والأرواح والاجساد والاعمال والعمال وهو المفعول الثاني والاول مقدر حذف للتهويل أي وتنذرهم ويجوز كون (تنذر) الاول متعديا لاثنين ويقدر الثانى أي لتنذر أم القرى ومن حولها عذاب الآخرة أو نحو هذا * ﴿لاريب﴾ أي شك * ﴿فيه﴾ أي في يوم الجمع وقيل في الجمع.

قال القاضي تبعاً للزمخشرى على عادته : ان الجملة المعترضة لامحل لها ولم يظهر له وجه الا ان قلنا الجملة بعد هذه حال من الضمير المقدر أي يوم جمعهم أو الجمع لهم أو المستتر على القول باستتار الضمير في المصدر أو من الناس المحذوف والحال مقدرة ﴿فريق﴾ مبتدأ سوغ الابتداء به التقسيم أو

التنويع وخبره * ﴿في الجنة﴾ وكذا * ﴿وفريق في السعير﴾ أي النار ورابط الحال محذوف أي فريق منهم وهذا نعت مسوغ أيضاً وقيل الخبر محذوف أي منهم فريق والمعنى يجمعهم مقدراً كون بعضهم في الجنة وكون بعضهم في السعير والضمير للمجموعين والجمع يدل عليه وقرىء بنصب (فريق) على الحال المقدرة أو لمعنى يجمعهم في ذلك اليوم مفترقين في مسجدين ويجمعهم في الموقف مشارفين ومقاربين للتفرقة والموافق للصناعة ما مر.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص: «خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم قابضاً على كفيه ومعه كتابان فقال: أتدرون ما هذان الكتابان ؛ قلنا لا يا رسول الله فقال الذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفاً في الاصلاب وقبل أن يستقروا نطفاً في الارحام اذ هم في الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم اجمالاً من الله عليهم الى يوم القيامة ، ثم قالَ الذي في يساره هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل النار وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفاً في الاصلاب وقبل أن يستقروا نطفاً في الارحام اذ هم في الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم اجمالاً من الله عليهم الى يوم القيامة» ، فقال عبد الله بن عمرو ففيم العمل اذا قال اعملوا وسددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وان عمل أي عمل وان صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وان عمل أي عمل ثم قال فريق في الجنة وفريق في السعير عدل من الله وفي قوله (يده اليمنى ويساره) التفات (سكاكي) ومقتضى الظاهر في يدي اليمنى وفي يساري*

﴿ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة﴾ قال ابن عباس: على دين واحد دين كفر أو ايمان وقيل: علي دين الاسلام وعن بعضهم ولو شاء جعلهم مؤمنين على القهر كقوله (ولو شاء ربك لآمن من) الخ (ولو شئنا لاتينا) الخ بدليل

(أفأنت تكره) الخ بادخال همزة الانكار على الكره بكسر الراء لا على الفعل أي الله وحده القادر على هذا الاكراه أي ولو شاء (مشيئته) حكمته فكلفهم وبنى أمرهم على ما يختارون كما قال * ﴿ولكن يدخل من يشاء﴾ ادخاله بأن يوفقه * ﴿في رحمته﴾ أى جنته وقيل الاسلام وهو الموحد الموفي ولو أعيد ضمير (يشاء) الى (من) يصح والمكلف الذي يشاء الادخال والمؤمن العامل ومن أعرض عن الايمان أو العمل وهو لايشاء ويدل على ارادة المؤمن بذلك مقابلته بقوله * ﴿والظالمون﴾ أي الكافرون* ﴿ما لهم من ولي﴾ يدفع عنهم العذاب* ﴿ولا نصير﴾ أي مانع من العذاب أي يترك المشركين والمنافقين بلا توفيق وغير العبارة الى ذلك عن قوله (ويدخل من يشاء فى عذابه) مع أنه المطابق لها مبالغة فى الوعيد لان الكلام فى الانذار وليصرح بالظلم الذي هو الموجب للخزي.

قال ابن عبد الحق: وقد علمت ـ رحمك الله ـ ان الناس يوم القيامة صنفان صنف مقرب مصان وآخر مبعد مهان صنف نصبت لهم الاسرة والحجال وجمعت لهم الرغائب والآمال وآخرون أعدت لهم الاراقم والظلال والمقامع والاغلال وضرب الأهوال والأنكال وأنت لا تعلم في أيهما أنت ولا في أي الفريقين كتبت.

نزلوا بمكة فى قبائل نوفل ☆ ونزلت بالبيداء أبعد منزل
فتقلبوا فرحين تحت ظلالها ☆ وخرجت بالصحراء غير مظلل
وسقوا من الصافى المعتق رية ☆ وسقيت دمعة واله متململ

وبكى سفيان الثوري ليلته الى الصباح فقيل له: أبكاؤك هذا على الذنوب فأخذ تبنة من الأرض فقال الذنوب أهون من هذا اني أبكي خوف الخاتمة وقد قيل: (لا تكف دمعك حتى ترى فى المعاد ربك)، وقيل: يا ابن آدم الأقلام عليك تجري وأنت فى غفلة لا تدري، يا ابن آدم دع التنافس فى هذه الدار حتى ترى ما فعلت بك الاقدار وسمع بعض الصالحين منشداً:

يـا راهبـى حـــران ما فعــلت هنـــد

فبكى الى الصباح فقيل له فقال قلت في نفسي ما فعلت الأقدار فيّ وما ذا جرت به عليّ * ﴿ أم ﴾ منقطعة فيها اضراب انكار كـ (بل والهمزة) والاضراب عن حجة أو مقالة الكفار وقيل للانكار فقط * ﴿اتخذوا﴾ أي الكفار * ﴿من دونه أولياء﴾ الأصنام * ﴿فالله هو الولي﴾ جواب محذوف أي ان أرادوا أولياء بحق فالله هو الولي بحق الذي تنفع ولايته وقيل لا شك ان قوله (أم اتخذوا) انكار وتوبيخ لمعنى انه لا ينبغي أن يتخذ من دونه أولياء وحينئذ يترتب عليه قوله تعالى (هو الولي) من غير تقدير شرط كما يقال لا ينبغي أن يعبد غير الله فالله هو المستحق للعبادة وفيه نظر اذ ليس كل ما فيه معنى الشيء حكمه حكم ذلك الشيء والطبع المستقيم شاهد صدق على صحة قولنا (لا تضرب زيداً فهو أخوك) بالفاء بخلاف (أتضرب زيداً فهو أخوك) استفهام انكاري فانه لا يصح الا بالواو الحالية .

قاله السعد وقال ابن عباس: هو وليك يا محمد وولي من اتبعك وعن بعضهم أم للانتقال والانكار ليسوا أولياء والولي الناصر للمؤمنين والفاء لمجرد العطف.

﴿وهو يحيي الموتى﴾ من شأنه احياؤهم وقد أحيا أمواتاً في الدنيا ومحيي الجميع في الآخرة *

﴿وهو على كل شيء قدير﴾ فهو الحقيق بأن يتخذ وليا دون من لايحيي ميتاً ولا يقدر على شيء هذا وقد قال بعضهم في قوله (لتنذر أم القرى) الآية ظاهرها مكة وباطنها القلب (ومن حولها) الجوارح فانذرهم كي يحفظوا قلوبهم وجوارحهم من لذة المعاصي وتتبع الشهوات (وتنذر يوم الجمع) أي يوم جمع أهل الأرض على ذكره لجمع أهل السموات (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) فان يغرس الشوك لا يجني عنباً فاصنعوا ما شئتم فان الطريق طريقان فأي طريق وردتم على أهله (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) ظاهرها الكفر وباطنها الحركات العدل وسكناته ولو شاء لجعلهم كلهم في

طاعته ويدخل من يشاء في رحمته والظالمون الذين يدعون الحول والقوة ما لهم من ولي ينصرهم ولا نصير يعينهم فى دفع عذاب أو رفع عقاب.

﴿وما اختلفتم﴾ أنتم والكفار * ﴿فيه من شيء﴾ ديني أو دنيوي وقيل المراد الديني* ﴿فحكمه﴾ مردود * ﴿الى الله﴾ يحكم يوم القيامة باثابة المحق وعقاب المبطل وقيل تحاكموا فيه الى رسول الله ﷺ فان حكمه حكم الله وقيل ما اختلفتم فيه من المتشابه فارجعوا فيه الى المحكم من كتاب الله وسنة النبي * ﴿ذلكم﴾ الحاكم بينكم.

﴿الله ربي عليه توكلت﴾ فى رد كيد أعداء الدين* ﴿واليه أنيب﴾ أرجع فى كفاية شرهم وقيل توكلت فى جميع الأمور وأنيب في المعضلات والهموم والمهات هذا وقيل ما اختلفتم فيه من المشكلات فقولوا الله أعلم ويجوز حمله على اجتهاد المجتهدين بناء على جواز الاجتهاد فى زمانه ﷺ فى أحكام الشريعة وقيل لا يجوز* ﴿فاطر السموات والأرض﴾ مبدعها خبر آخر لا مع الاشارة أو خبر لمحذوف أو مبتدأ خبره * ﴿جعل لكم﴾ وقرىء بالجر بدلاً من الله وجملة ذلكم الله الخ معترضة وكذا انا جعلناه نعتاً له ويجوز كونه بدلاً من هاء اليه وابدال المشتق ضعيف * ﴿من أنفسكم أزواجاً﴾ أي من جنسكم زوجات والجعل الخلق وقيل قال (من أنفسكم) بأنه خلق حواء من ضلع آدم *

﴿ومن الانعام أزواجاً﴾ أي وجعل الانعام من جنسها أزواجاً كالنساء لنا وتجوز ارادة الاصناف ذكوراً واناثاً وهنا الاول وقال بعضهم أظهر* ﴿يذرأكم﴾ بكثرة من الذرء وهو البث ويقال أيضاً الذرء والذرو كالدلوء وقيل يخلقكم وعليه مجاهد أي يخلقكم نسلاً بعد نسل وقرناً بعد قرن وهذا معنى زادت به لفظ الذرء على الخلق وضمير الخطاب للمخاطبين والانعام تغليباً للمخاطب العاقل على غيره وذلك من أصل الخطاب لمن يعقله وغير المخاطب يوافقه يخلقهم بل يذرؤهم * ﴿فيه﴾ أي فى الرحم وقيل في البطن دل عليهما جعل لكم من أنفسكم أزواجا أي يخلقكم في البطن أو الرحم

(وفي) ظرفية وكذا ان رجعنا الضمير للتدبير أو الجعل وهما بمعنى وهـو انـه جعل الناس والانعام أزواجاً ليكون بين ذكورهم واناثهم توالد وتناسل ووجه ظرفيته انه جعل التدبير كالمتبع المبث والتكثير ويجوز كـونهـا للسببيـة على أن الضمير للتـدبير والجعـل أي يكثـركم بسبب الجعـل أزواجـاً وقيـل الضمير للتزويج ﴿ليس كمثله شيء﴾ الكاف زائدة لتوكيد نفي (المثـل) ومن أجـاز زيادة الاسماء أجاز كون الزائد (مثل) ولا يلزم فصله بين الجار ومجـروره لانـه المجرور بالكاف حينئذ لا الهاء وانما حكمنا بالزيادة لئلا يلزم ثبـوت (المثـل) وعلى زيادة الكاف فهو من مجاز الزيادة ولا زيادة بـل المـراد بـالمثـل الـذات كقولك ليس كذاته شيء أو الصفة كقوله له المثـل الأعلى أي الصفـة وتطبيق ذلك على الكتابة أبلغ أي المماثلة بنفيـه عمن يكـون مثلـه فكيف عن نفسـه وهذا لا يستلزم المثل له كما انك تقول مثل الامير يفعل كـذا ولم تـزد اعترافـاً بوجود المثل له وتقول فلان كثير الرماد تريد انه سخي ولو لم يكن عنده رماد أصلاً وكما تقول مثلك لا يبخل وأنت تريد نفي البخـل عن مخاطبك لانك اذا نفيته عمن يسـد مسـده ومن هـو على أخص أوصـافـه فقـد نفيتـه عنـه وكقولك أيفعت لذاته وبلغت ترابه تريد أيفع هو وبلغ وكقولك بنت صيفي في سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لذاتـه أردت الطيب الطـاهـر نفسه أو الذات بكسر اللام وتخفيف الذال جمع لذة وهو تربك ومن الكنايـة (بل يداه مبسوطتان) كناية عن الجود والايدى هنـاك فـالمعنى ان مثـل مثلـه منفي فكيف بمثله وأيضاً مثل مثلك مثل لك فيلزم من نفيه نفي لمثليـه لك كذا زعم بعضهم والذي عندي ابدال هذا الآخر بقولك انك اذا نفيت مثـل المثل فقد نفيته المثلية من أصلها ولو كان المثل لكان الله مثلا له وهـذا ضـد قولك ليس مثل مثله شيء ثم ظهـر لي ان هـذا هـو مـراد ذلك البعض وان شئت فقل كما قال السعد انه من الكناية بطريق نفي الملزوم بنفي اللازم فان الله تعالى موجود فاذا نفى (مثل) مثله فلم يصح نفي مثلـه كـما تقـول ليس لاخي زيد أخ أي ليس لزيد أخ فظاهـر اللفـظ ثبـوت المثـل لله واتفق مثـل

ذلك المثل وليس ذلك مراد بل المراد نفي المماثلة عن الله تعالى فالآية من الكناية التي أريد فيها لازم المعنى الذي وضعت له العبارة فقط الا مع ذلك المعنى الموضوعة هي له فان المعنى الموضوعة هي له هو نفي المماثلة عمن هو مماثل له وعلى الاخص أوصافه وقيل الكاف اسم مؤكد اضافته لمثل ونسب ابن هشام زيادة الكاف للاكثرين وعلى زيادة (مثل) الطبري * ﴿وهو السميع﴾ لكل قول أي عالمه* ﴿البصير﴾ لكل ما يبصر أي عالمه.

﴿له مقاليد﴾ قال ابن عباس : (مفاتيح) وقال السدي : (خزائن) وقال مجاهد: فارسية استعيرت هنا لوقوع كل أمر تحت قدرته وعن بعض انه يقدر مضاف على تفسير ابن عباس أيضاً أي مقاليد خزائن أي مفاتيحها ويدل لهذا يبسط ويقدر.

﴿السموات والأرض﴾ * مفاتيح الرزق السموات المطر وغيره وفى الارض النبات وغيره * ﴿يبسط﴾ يوسع.

﴿الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ أي يضيق على من يشاء لان مفاتيح الرزق بيده.

﴿انه بكل شيء عليم﴾ من البسط والتضييق وغيرهما وبصلاحه فيفصل كما أراد فيبسط لمن علم الغنى خيراً له ويضيق على من علم الفقر خيراً له.

﴿شرع لكم من الدين﴾ بين لكم وسن طريقاً واضحاً من الدين تطابقه عليه الأنبياء كما قال * ﴿ما وصى به نوحاً﴾ وهو أول الانبياء وأصحاب الشرائع كذا قيل أو المراد الاولية بعد الطوفان والا فقبله آدم وشيت أو من قبله لم يصل موصله * ﴿والذي أوحينا اليك﴾ من القرآن وشرائع الاسلام والعطف على (ما) ونوح هو أول من حرم البنات والأمهات والأخوات.

﴿وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى﴾ المراد شرع لكم من الدين ما شرع لأنبياء وخص الخمسة بالذكر لانهم أكابر الانبياء وأصحاب الشرائع المعظمة والاتباع الكثيرة وأولو العزم عيسى؛ نوح فان تباعه قليل أمته كثيرة * ﴿أن أقيموا الدين﴾ ان مفسرة ومن أجاز وصل المصدرية بالامر جاز كونها

مصدرية والمصدر بدل من (ما) الاولى أو الثانية أو الآى أو من (هاء) به الاول والثاني وذلك لاتحاد معناهن وخبر لمحذوف أي وذلك المشروع واقامة الدين وهو التوحيد والطاعة والايمان بالرسل والكتب ويوم الجزاء وسائر ما يجب اعتقاده ولم يرد (شرائع) التي هي مصالح الامم على حسب أحوالها لاختلافها (لكل جعلنا منكم شرعه ومنهاجاً) نحن الانبياء أخوة لعلات؛ أبونا واحد وأمهاتنا شتى وقيل المراد تحليل الحلال وتحريم الحرام وقيل تحريم الأمهات والاخوات والبنات فانه أجمع على تحريمين من نوح الى نبينا ﷺ وعليهم وقيل (إقام الصلاة وايتاء الزكاة والتوحيد) اتفقت عليها الانبياء وقيل اقامة الدين والالفة والجماعة وترك الفرقة كما قال * ﴿ولا تتفرقوا فيه﴾ في هذا المشروع *

﴿كبر على المشركين ما تدعوهم اليه﴾ من التوحيد واقامة الدين ، قال قتادة: كبر عليهم لا اله الا الله * ﴿الله يجتبي﴾ أي يختار* ﴿اليه﴾ أي الى الله والى ما تدعوا اليه أو الى الدين والمراد أنه يختار دينه * ﴿من يشاء﴾ قيل وذلك تسلية له ﷺ.

﴿ويهدي اليه من ينيب﴾ يرشد اليه ويوفق من يقبل الى طاعته * ﴿وما تفرقوا﴾ أي أهل الاديان المختلفة بأن وحد بعض وأشرك بعض وقيل الامم السابقة وقيل أوائل اليهود والنصارى وقيل أهل الكتاب بدليل (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب) . . الخ وعليه ابن عباس.

﴿الا من بعد ما جاءهم العلم﴾ ان الفرقة ضلال متوعد عليه على ألسنة أنبيائهم ذلك انهم يرتدون بعد أنبيائهم وقال ابن عباس: يعني أهل الكتاب، وقيل: محمد ﷺ ، وكانوا يتمنون أن يبعث اليهم نبي * ﴿بغياً بينهم﴾ بغياً من كفارهم بينهم وبين مؤمنيهم عداوة أو طلباً للدنيا أو بغياً منهم على محمد ﷺ *

﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ وهي الوعد بتأخير الجزاء * ﴿الى أجل مسمى﴾ يوم القيامة أو الموت * ﴿لقضي بينهم﴾ أي غلب المحق على المبطل وأنزل العذاب على المبطل حيث افترق عن الحق.

﴿وان الذين أورثوا الكتاب﴾ أي حقيقة الكتاب فيشمل كتباً (وأورثوا) من أورث الرياض مبنياً للمفعول متعد لاثنين الاول نائب والثاني منصوب والمراد اليهود والنصارى وقرىء ورثوا بالبناء للمفعول والتشديد وورثوا بالبناء للفاعل والتخفيف ﴿من بعدهم﴾ أي من بعد أنبيائهم * ﴿لفي شك منه﴾ أي من الكتاب أي من كتب أنبيائهم وقيل من بعد الامم الخالية لا يعلمونه كما هو ولا يؤمنون به حق الايمان أو عدم الايمان أصلاً وتوريثه لهم تخليفه لهم أو (والذين أورثوا الكتاب) المشركون بعد أهل الكتاب أو المراد (ان الذين أورثوا الكتاب) وهم أهل الكتاب فى زمان الرسول لم يوقنوا به ولو أيقنوا به لآمنوا لك أو ان المشركين الذين أورثوا الكتاب وهو القرآن بعد أهل الكتاب أو بعد الأمم الخالية قبلهم لفي شك من الكتاب الذي هو القرآن ويجوز عود الهاء للنبى ﷺ وقيل (الذين) هم العرب (والكتاب) القرآن (والهاء) للاجل المسمى وهو البعث أو يوم القيامة وقيل كان الناس بعد الطوفان مؤمنين ولما مات الآباء اختلف الأبناء وذلك حين بعث اليهم النبيين مبشرين ومنذرين ﴿مريب﴾ موقع في الريب وهو الشك وذلك مبالغة أو مقلق أو كثر الافراد كقولك أرض مسبعة بضم الميم وكسر الباء كثيرة السباع ﴿فلذلك﴾ اللام للتعليل متعلقة بـ (فادعُ) والاشارة الى التفرق أي ﴿فادع﴾ الناس لأجل ذلك التفرق المهلك الا الاتفاق على الملة الحنفية المشروعة فحذف الغاية أو المفعول للعلم بها وحذف المفعول للتعميم أو اللام بمعنى الى والاشارة الى الحنفية والفاء تفيد التعليل والفاء الثانية زائدة أو رابط لجواب اما محذوفة ﴿واستقم﴾ على ذلك المشروع وغيره مما شرع لك أو على الدعوة اليه وهو مستقيم والمراد اما زيادة الاستقامة فانها لاتتناهى أو الدوام على الاستقامة ﴿كما أمرت﴾ أي كما أمرك الله وكان قوله (استقم كما أمرت) شديد على النبي ﷺ قال : «شيبتني هود واخواتها» فقيل له لم ؟ فقال لان فيها (استقم كما أمرت) وأمره بالاستقامة أمر لنا بالمعنى الحقيقي أى حقيقة الاستقامة الأمر جودة في الدوام عليها والزيادة فيها وايجادها من أول مرة منا

أو المراد أمرنا بها ﴿ولا تتبع أهواءهم﴾ الباطلة أي هو وترك التوحيد والضمير لقريش وقيل لأهل الكتاب وقيل للكفار مطلقاً.

﴿وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب﴾ أي بالكتب كلها لا ببعضها فقط كالكفار المتفرقين عن الصواب * ﴿وأمرت لأعدل بينكم﴾ في الحكم اذا تحاكمتم الّي أو في تبليغ الشريعة وقال ابن عباس: ان لا أفرض عليكم سوى ما فرض الله وقيل كل ذلك (وقل آمنت) اشارة الى كمال القوة النظرية وقيل هو أمر يعم سائر أمته وقوله ﴿وأمرت لأعدل بينكم﴾ اشارة الى كمال القوة العملية والعدل في الحكم يعم سائر أمتي واللام بمعنى الباء أي بالعدل وقيل زائدة والباء مقدرة وهذا ضعيف لانه لم يعهد حذف (ان) بعد الباء وقيل للتعليل أي أمرت بما أمرت به من الشريعة لأعدل بينكم.

﴿الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ أي خالق الكل ومتولي أمره واحد يجازي كلا منا على عمله قيل ما في ذلك هنا يفهم ترك القتال منسوخ قلت يحتمل انه لا (يفهم) له فى ذلك فلا نسخ فان كلاً يجازى بعمله ولو أمر بالقتال * ﴿لاحجة﴾ أي لا محاجة أي لا خصومة وجدال * ﴿بيننا وبينكم﴾ لظهور الحق ولم يبق الا العناد فلا وجه لايراد الحجج بيننا وبينكم وزعم بعض ان هذا منسوخ بآية السيف لافهامه ترك الاحتجاج والاكتفاء بالتبليغ دون السيف قلت لم يرد ذلك بل أراد مجرد الخلق الرافع للنزع فلا نزع سواء أمر بالقتال أو لم يؤمر بل يحتمل ان المراد لم يبق لذكر الحجج وجه لعدم قبولهم لها مع وضوحها بل بينكم وبينهم المسايفة * ﴿الله يجمع بيننا﴾ يوم القيامة لفصل القضاء بيننا * ﴿واليه المصير﴾ المرجع يجمعنا وينتقم منكم لنا والجمع والصيرورة واقعان أمر بالقتال أو لم يؤمر فلا وجه للادعاء انهما يفهمان ترك القتال وان هذا الذي أفهماه منسوخ وبالجملة فالآية غير منسوخة كذا ظهر لى ثم رأيت الزمخشري نص عليه والله أعلم بسروري اذ ذاك والضمير في (بيننا) الآخر للنبي ومن معه والمشركين فلا تكرر بين الارادة المشاكلة لقوله (ربنا وربكم وأعمالنا وأعمالكم) ولم فعل ذلك في الآخرة تركا للتكرار كذا ظهر لى وربي أعلم *

﴿والذين يحاجون في الله﴾ أي يخاصمون في دين الله النبي ومن معه قال بعضهم أراد اليهود وقال بعضهم أراد اليهود والنصارى قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم وأولى بالحق فهذه خصومتكم ، قلت نبيهم موسى طلب أن يكونوا من أمة محمد ﷺ وما هذا الا لفضل نبينا على غيره من الانبياء لكن فضلاً لا يؤدي الى نقص ومن نقص كفر.

قال ابن عباس ومجاهد: نزلت في طائفة من بني اسرائيل همت برد الناس عن الاسلام واضلالهم واختلافهم وقيل: فى قريش لانهم يحاولون هذا المعنى * ﴿من بعد ما﴾ مصدرية * ﴿استجيب له﴾ بعد استجابة الناس للنبي ودخولهم فى الاسلام وقيل بعد ما استجاب الله لرسوله ﷺ ونصره بعد بدر وأظهر دين الاسلام وقيل بعد ما استجاب له أهل الكتاب وأقروا بنبوته واستفتحوا به والا ظهر عود الهاء الى الله ورجعه بعض الى الدين والشرع * ﴿حجتهم داحضة﴾ باطلة زائلة.

﴿عند ربهم وعليهم غضب﴾ على الاطلاق لعنادهم * ﴿ولهم عذاب شديد﴾ فى الآخرة لكفرهم قاله القاضي.

﴿الله الذي أنزل الكتاب﴾ جنس الكتب وقيل القرآن * ﴿بالحق﴾ متعلق بأنزل أو بمحذوف حال من الكتاب أي ملتبس بما هو ثابت صحيح صواب من الاوامر والنواهي والاخبار وغيرها أو من الاحكام والدلائل والعقائد والواجب من التحليل والتحريم * ﴿والميزان﴾ أي العدل سمي ميزاناً لان الميزان آلة للعدل والتسوية .

قاله ابن عباس ومجاهد وغيرهم لانه يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس قال الثعلبي عن مجاهد وبعضهم عن ابن عباس الميزان آلة الوزن التي بين الناس أمرهم بالوفاء ونهاهم عن البخس ولا شك انه جزء من العدل.

﴿وما يدريك﴾ ما استفهامية * ﴿لعل الساعة قريب﴾ يوم الحساب ووضع الموازين أي اعملوا وسووا واعملوا بالشريعة قبل أن يفاجئكم يوم العدل بينكم والتوفية لمن وفى والتطفيف لمن طفف وذلك أنه ﷺ ذكر الساعة وعنده مشركون فقالوا متى تكون وجملة ما بعد (لعل) علق (يدري) عن العمل فيها

لعل فهي في محل نصب مع لعل مفعولان ثان وثالث (لأدرى) وان قلنا من (درى) المتعدية لواحد فمفعول ثان وذكر القريب لتأويل الساعة أو قريب مجيئها ولما حذف روعي تذكيره أو لانه فعيل بمعنى فاعل وقال الفراء لان (قريباً) فى المسافة لا يؤنث فرقاً بينه وبين قرب الرحم وزعم بعض ان (فعيلاً) يأتي للنسب أي ذات قرب وهو باطل لأن النسب لا يمنع تأنيث المنسوب تقول قريشية وقيل مصدر أي ذات قرب وهو باطل بل وصف وقيل لان التأنيث مجازي ويرده أن المجازى التأنيث اذا سبق يجب تأنيث ضميره.

﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها﴾ يقولون متى هي ظنا منهم انها غير آتية واستهزاء .

﴿والذين آمنوا مشفقون﴾ خائفون * ﴿منها﴾ لايمانهم وانما خافوا منها لخوفهم من عذاب الله اذ لايدرون بمصيرهم * ﴿ويعلمون انها الحق﴾ لا الباطل فالحصر بالنسبة للباطل وهو ما لم يثبت فى القبول الشرعي وعلى

لاه بدنياه والأيام تنعاه ☆ والقبر غايتهُ واللحد مأواه
يلهو فلو كان يدرى ما أعدد له ☆ اذاً لأحزنه ما كان ألهاه

وبينما سليمان بن عبد الملك فى المسجد الحرام اذ أوتي بحجر منقوش فطلب من يقرأه فأتى بوهب بن منبه فاذا فيه : ابن آدم انك لو رأيت قرب ما يفنى من أجلك لزهدت فى طول أملك ولرغبت فى الزيادة من عملك ولقصرت من حصرك وحبلك وانما يلقاك عدا ندمك وقد زلت قدمك وأسلمك أهلك وحشمك وفارقك الولد والقريب ورفضك الوالد والنسيب فلا أنت الى دنياك عائد ولا فى حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة فبكى سليمان بكاءا شديدا.

﴿ألا إن الذين يمارون في الساعة﴾ يجادلون فيها بانكارهم أو شكهم من المرية وهي الجدال أو الشك أو من (مرية) الناقة مسحت ضروعها بشدة

الحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة قاله القاضي * ﴿لفي ضلال بعيد﴾ عن الحق ان البعث أشبه بالغائبات الى المحسوسات فانك كل ليلة تموت وتبعث فمن لم يهتد لتجويزه فهو عما وراءه أبعد.

﴿الله لطيف بعباده﴾ البر والفاجر كثير الاحسان اليهم يلقي صنوفاً من البر لا تبلغها الافهام وقيل لطيف بمعنى رفيق وعن ابن عباس حفي * ﴿يرزق من يشاء﴾ لم يخل أحد من احسانه لكن الاحسان أصناف والقسم تتفاوت على ما تقضي الحكمة فيصير لبعض العباد صنف من الاحسان لم يكن للآخرين يرزق هذا مالا وهذا ولداً ونحو ذلك فمن رزقه شيئاً ومده فقد رزق من يشاء ما لم يرزق به غيره وقيل اللطف بهم انه لم يهلكهم جوعاً بمعاصيهم ويرزق من يشاء دليل عليه كذا قيل وعن بعضهم اللطيف فى الرزق جعله من الطيبات وعدم دفعه مرة واحدة وقيل المراد بالعباد المؤمنون ولطفه بهم توفيقهم * ﴿وهو القوي﴾ القادر على كل ما يشاء * ﴿العزيز﴾ الغالب المنيع الذي لا يغلبه غيره ولا يدافعه.

﴿من كان يريد حرث الآخرة﴾ شبه العمل والسعي للآخرة بالحرث أي بالقاء البذر لان لكل منهما تولداً فالسعي لها يتولد منه الثواب كما يتولد الزرع من القاء البذر فاستعار اسم الحرث للسعي وذلك على أن الحرث على معناه المصدري ، وشبه الثواب بما ينتج من الزرع فاستعار له اسم الحرث وهذا على أن المراد بالحرث الزرع الحاصد من القاء البذرة.

﴿نزد له في حرثه﴾ نضاعف له الحسنة الى عشر والى سبعمائة وأكثر قاله مقاتل وقيل الزيادة التوفيق والاعانة وتسهيل سبيل الخيرات والطاعة *

﴿ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته﴾ نعطه شيئاً * ﴿منها﴾ لا ما يريده بل قسمته التي فرغ منها ولم يذكر لعامل الآخرة نصيباً في الدنيا لاهانة نصيب الدنيا بحب ثواب عمله في الآخرة * ﴿وما له في الآخرة من نصيب﴾ لانه لم يعمل لها ولم ينوها بعمله وهذا هو الذي اشتغل بالدنيا لذاتها وأما من يعمل

للآخرة ويعمل فى الدنيا لأجل الآخرة فليس من ذلك ومنه من يعمل عمل الآخرة للدنيا قال ﷺ : « بشر هذه الامة بالبنا والرفعة والتمكين فى الارض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له فى الآخرة من نصيب » وهذا تهكم * ﴿أم﴾ بمعنى بل الانتقالية أو الاضراب عن أرادة حرث الدنيا وبمعنى همزة التقرير * ﴿لهم﴾ لكفار مكة * ﴿شركاء﴾ شياطين زينوا لهم الشرك وانكار البعث والقبائح والعمل للدنيا * ﴿شرعوا﴾ أي الشرك* ﴿لهم﴾ أي للكفار * ﴿من الدين﴾ الفاسد * ﴿ما لم يأذن به الله﴾ ما لم يأذن به ربه من الشرك ونحوه مما مر وقيل الشرك الشياطين والمغوون من أسلاف الكفار والشركة وهي في الكفر والغواية وليس المراد أن هؤلاء الكفار المكيين المعاصرين لسيدنا محمد ﷺ جعلوا الشياطين والمغويين آلهة وتشريع الشياطين بالتزيين وقيل الشرك أوثانهم ونسبت اليهم حيث قال لهم لانهم متخذونها شركاء كما تنسب الى الله باعتبار انهم لعنهم الله شركوها به وجعلها شارعة لهم ما لم يأذن به لانها سبب ضلالتهم أو شبهاً بمن شرع وادعى بعضهم ان الشركة الأوثان وان (واو) شرعوا للكفار المعاصرين وان الهاء بعده للاوثان وان (شرعوا) معناه (أثبتوا) ونهجوا ورسموا.

﴿ولولا كلمة الفصل﴾ أي الوعد بالفصل يوم القيامة والجزاء أو القضاء السابق بتأجيل ذلك * ﴿لقضي بينهم﴾ أي بين الكافرين والمؤمنين باظهار المؤمنين وتعذيب الكائن في الدنيا وقيل بين الكافرين وشركائهم* ﴿وان الظالمين﴾ أي المشركين ﴿لهم عذاب أليم﴾ في الآخرة وقرىء بفتح الهمزة عطفاً لمصدر الاستقرار على الكلمة أي (ولولا كلمة الفصل وثبوت العذاب الاليم فى الاخرة للظالمين لقضي بينهم في الدنيا) فان العذاب الاليم غالب عذاب الآخرة . وهي قراءة مسلم بن جندب ﴿ترى﴾ ببصرك أو بقلبك بعد رؤية البصر وقبلها والاول أنسب.

﴿الظالمين مشفقين﴾ خائفين يوم القيامة حيث لا ينفع الخوف *

﴿مما كسبوا﴾ من الشرك والأعمال القبيحة (وما) مصدرية أي من

كسبهم* ﴿وهو﴾ عائد الى (ما كسبوا) على تقدير مضاف أي جزاء ما كسبوا أو عائد الى الجزاء أو العذاب دل عليه المقام * ﴿واقع بهم﴾ ولا تنفعهم شفاعتهم حينئذ والباء للالصاق أي متصل بهم أو بمعنى على.

﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات﴾ الجنة كلها حسنة والمواضع التى تخصص بها المؤمنون أحسن من المواضع المشتركين فيها فهى روضات الجنات أي أطيب بقاعها وأنزهها وعلى طريقة هؤلاء تجعل هذه المواضع التي هي أحسن لمن جمعوا بين القول والعمل وما دونها للآتين بالقول فقط وهذا لا يصح عندنا معشر الاباضية ولك أن تقول للجامع بين القول والأعمال الكثيرة وما دونها للجامع بينها وبين الأعمال القليلة أو لمن مات غير عامل وهو واف بدين الله مثل مشرك أسلم فمات وبالغ واف جنَّ قيل العمل*

﴿لهم ما يشاءون عند ربهم﴾ وتعلق بما تعلق به لهم وهو الاستقرار ولو علق بلهم لنيابته عن الاستقرار لجاز ﴿ذلك﴾ الذي ذكر المؤمنين *

﴿هو الفضل الكبير﴾ الذي يصغر دونه ما لغيرهم في الدنيا * ﴿ذلك الذي﴾ مبتدأ وخبر *

﴿يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ عائد الى محذوف على القلة انه مجرور بما لم يجر بموصول أي (يبشر الله به) وان أوقعنا (الذي) على التبشير فالعائد (هاء) المصدر فلا قلة أي (ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده) وجعل يونس (الذي) حرف مصدر أي (ذلك تبشير الله عباده) وضم الياء وفتح الباء وتشديد الشين مكسورة هي قراءة نافع وعاصم وابن عامر وقرأ الباقون بفتح الياء وسكون الباء وضم الشين من بشر الثلاثي وقرىء (يبشر) بضم الياء واسكان الباء وكسر الشين خفيفة من (أبشر) ونسبت هذه القراءة أيضاً لهؤلاء الباقين ابن كثير وابن عمر وحمزة والكسائي واجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض أترون ان محمداً يسأل عما يتعاطاه أجراً فنزل* ﴿قل لا أسألكم﴾ لا أطلب منكم * ﴿عليه﴾ تبليغ

الرسالة أو على ما أتعاطاه من التبليغ والبشارة وهذا انما يصح على أن الآية السابقة معناها ان الله يبشر من آمن وعمل صالحاً فـآمنـوا واعملـوا لتبشروا بالمروضات والاستعلا مجازين وعلى للتعليـل * ﴿أجرا الا المودة﴾ المحبة * ﴿في القربى﴾ الاستثناء متصل أي لا أسألكم أجراً الا المودة حال كـونهـا فى القربى أي الا مودة قرابتي والحال مقـدرة وليس هـذا أجـراً في الحقيقـة لان قرابته قرابتهم فصلتهم لازمة لهم هذا.

وروي عن أبي بكر : (أرقبوا محمداً ﷺ فى آل بيته فمودة قـرابتـه ﷺ من لم يبدل ولم يغير مثل فاطمة وحمزة والعباس وابنه رضي الله عنهم واجبة).

قال ﷺ : «حـرمت الجنـة على من ظلم أهـل بيتي وآذانى في عترتي ومن اصطنع صنيعة الى أحد من ولد عبد المطلب ولا يجازيه عليها فأنـا أجـازيـه عليها غداً اذا لقيني يوم القيامة »

وقال: «اني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيـه النـور والهـدى فخـذوا بكتاب الله واستمسكوا به» وحث عليه ورغب كثيراً ثم قـال : «وأهـل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي» وقال : « من مـات على حب آل محمـد مـات شهيـداً؛ الا ومن مـات على حب آل محمد مات مغفوراً له الا ومن مات على حب آل محمد مـات تـائبـاً الا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً متكمل بالايـمان الا ومن مـات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير الا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجـماعـة الا ومن مـات على حب آل محمـد يزف الى الجنـة كـما تـزف العـروس الى زوجهـا الا ومن مـات على بغض آل محمدجاء يوم القيامة مكتـوبـاً بين عينيـه آيس من رحمـة الله ومن مـات على بغض آل محمد مات كافراً الا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحـة الجنة ».

وروي أن الانصار قالوا فعلنا وفعلنا كأنهم افتخروا فقال العباس وابنه لنـا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأتاهم فى مجالسهم فقال: «يا معشر الانصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال ألم تكـونـوا

ضلالا فهداكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال أفلا تجيبوني قالوا ما نقول يارسول الله قال ألا تقولون ألم يخرجك قومك فآويناك أو لم يكذبوك فصدقناك أو لم يخذلوك فنصرناك فما زال يقرر حتى جثوا على الركب وقالوا أموالنا وما فى أيدينا لله ولرسوله» فنزلت الآية وذلك كله صحيح الرواية لكن المراد بالذين لم يبدلوا فخرج على نحوه ممن بدل قتل ومن قال ﷺ «لايدخل قاتله الجنة» ولم تصح عندنا معشر الاباضية رواية انه لما نزلت قيل ومن قرابتك الذين تجب علينا مودتهم فقال علي وفاطمة وابناهما ورواية ان علياً شكا الى رسول الله ﷺ حسد الناس فقال أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا على أيماننا وشمائلنا وذرياتنا خلف أزواجنا.

وعن ابن أرقم: أهل بيته من حرم عليه الصدقة من بني هاشم وبنى عبد المطلب آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس، وقيل معنى (لا أسألكم عليه أجرا) الا أن تودوني لقرابتي ففي للتعليل وهذا واجب عليهم أيضاً وليس بأجرة على التبليغ والمراد استكفاف شرهم وعليه ابن عباس فيما روي عنه أيضاً وغيره ونزلت في مكة فى صدر الاسلام قيل أو المراد استنصارهم قال ابن عباس وقتادة وابن اسحق لم يكن بطن في قريش الا وبين رسول الله ﷺ وبينهم قرابة ولما كذبوه نزلت أي انكم قومي وأحق من يجيئني ويطيعني فاذا أتيتم فاحفظوا حق القرابة ولا تؤذوني ولا تهيجوا علي وقيل أتت الانصار رسول الله ﷺ بمال جمعوه وقالوا هدانا الله بك وأنت ابن أخينا ويعروك نوائب وما لك سعة فاستعن بهذا فنزلت فرده وهذا يدل على أنها مدنية أعني الآية ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعاً أي (لا أسألكم أجراً) لكن أسألكم وأذكركم مودتي لقرابتي أو المودة حالة كونها فى أهل القرابة متمكنة فيهم كما تقول لي فى آل فلان مودة وأنت تريد انهم فى محل مودتي ومستقرها ولذا لم يقل مودة القربى أو للقربى والقربى مصدر وقيل القربى التقرب الى الله بالطاعة أي لا أسألكم الا أن تطيعوا الله وتوددوا اليه.

روي عن ابن عباس أيضاً والحسن وقيل الآية نزلت بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله ﷺ وأمرهم فيها بمودته وصلة رحمه ولما هاجر الى المدينة وآواه الانصار ونزل (قل ما سألتكم من أجر فهو لكم أن أجري على الله) ناسخاً لهم الحاقاً له باخوانه الانبياء مثل قول نوح وغيره (ان أجري الا على رب العالمين) ونسب هذا للضحاك والحسين بن الفضل ولعل المراد نسخ ما يتوهم منها من كون المودة أجرة ومن الملاينة والا فلا يصح نسخ مودته ولا نسخ مودة آله فان مودتهم فرض وقرىء الا مودة فى القربى * ﴿ومن يقترف حسنة﴾ أي يكتسبها قال السدي: هي مودة قرابته ﷺ نزلت في أبي بكر ومودته لهم والظاهر العموم في كل حسنة لكن لما ذكرت عقب ذكر (المودة فى القربى) تناولت المودة تناولاً أولياً وغيرها كأنه تابع لها * ﴿نزد له فيها حسناً﴾ * بمضاعفة الثواب وبجعلها حسنات كثيرة وتعظيمها وقرىء (يزد) بالياء أى الله و قرىء (حسنى) مصدراً (كالبشرى) * ﴿ان الله غفور﴾ للذنوب * ﴿شكور﴾ للقليل من الطاعة يضاعفه ويوفى الثواب عليه * ﴿أم﴾ للانتقال والتوبيخ فهي بمعنى بل وهمزة التوبيخ أو الاضطراب عن كلام قبيح منهم .

﴿أم يقولون افترى على الله كذباً﴾ بنسبة القرآن الى الله أو بادعاء النبوة والافتراء أقبح أنواع الكذب *

﴿فان يشأ الله يختم على قلبك﴾ يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم وقد فعل ، قاله مجاهد وقيل ان (يشأ الله) خذلانك (يختم على قلبك) فينسيك القرآن والوحي ويقطعه حتى تكون ممن يخون فى الكلام ويفتري وعليه قتادة والمراد استبعاد الافتراء عن مثله والتنبيه على انه ركبوا من تخوينه أمراً عظيماً وقيل فان يشاء الله يختم على قلبك فلا تعقل ولا تنطق بالافتراء فان الله قادر عليك فكيف تفتري وهو يبغض الافتراء ولا يصرفك عنه وقال القشيرى الخطاب لجنس القائل على طريق الالتفات من الغيبة للخطاب *

﴿ويمح﴾ استئنـاف لا عطف على (يختم) وسقـوط الـواو غالب المصاحف وقيل في قليلها تبعا لسقوطها نطقاً للساكنين قالـه أبـو حيـان وابن هشـام * ﴿الله الباطل﴾ الذي يقولونه ويفعلونه* ﴿ويحق الحق بكلماته﴾ ثبته بالقرآن فى الكلمات الاقوال الواردة بالكلمات قضاؤه ووعده فالكلمات المعاني وقد محق الباطل وأثبت الحق وأعلى كلمـة الاسـلام وجعـل أهلهـا غـالبين ويجـوز أن يتصل معناه بمعنى قبله أي ومن عادة الله محق البـاطـل واحقـاق الحق فلـو كان مفترياً لمحقه * ﴿انه عليم بذات الصدور﴾ لا يخفى عليه مطابقة ما في اللسان لما في القلب وعدمها وهو عليم بـالأشيـاء في صـاحبـة الصـدور أي الكائنة في صدرك وصدورهم أو بالخصلـة صـاحبـة الصـدور أو بـالصـدور ذواتها وأنفسها أي مطلع عليها بما فيها.

وعن ابن عباس نزل (الا المودة في القربى) فوقع فى قلوب قـوم انـه يحثهم على أقاربه بعده فنزل (انه عليم بـذات الصـدور) وأخبرهـم ﷺ بـما وقـع فى قلوبهم فتابوا وقالوا انا نشهد انك صادق فأنزل.

﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عبـاده﴾ عن للمجاوزة المجازيـة أي يصرف توبتهم بأن يقبلها ويعوضهم الثواب عنها ولا يتركها معهم بأن لايقبلها (لو) للابتداء أي يأخذها منهم وقبولها هو عدم المؤاخذة بما فعلوا وتبديله حسنات واعطاء الثواب على ما فعلـوا من الخير فعطف (العفـو) عن السيئـات عليـه بعض بيان له والتوبة أن يندم المـذنب على مـا فعـل ويعيـد الفـريضـة التي تركها ويرد المظالم ان ظلم ولا تصح التوبة بدون الـرد الا ان غفـر المظلـوم وأن يذيب نفسه فى الطاعة كما أذابها فى المعصية ويذيقها مرارة الطـاعـة كـما أذاقها حلاوة المعصية وأن يبكي بدل كل ضحك وأن يعزم على ألا يعود لان المرجوع عنه قبيح واخلال بالواجب .

وعن جابر بن عبد الله : دخل اعرابي مسجد رسـول الله ﷺ وقـال اللهم اني أستغفرك وأتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له علي : يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك تحتاج الى التوبة فقال له وما

التوبة يا أمير المؤمنين فذكر له الستة الأوائل.

ولا تصح التوبة الا بالكف عن الذنب وهو داخل فيما مر وعن بعض أن التوبة الاقبال الى الطاعات والاقلاع عن المعصيات والندم على مافات والعزم على ملازمة الخيرات وعن بعض التوبة العزم على ترك الذنوب والاقبال بالقلب الى علام الغيوب وقيل التائب من كسر شبابه على رأسه وكسر الدنيا على رأس الشيطان ولزم الفطام حتى أتاه الحمام وقيل التوبة ترك المعاصي نية وفعلاً والاقبال على الطاعة نية وفعلاً وقيل الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة قال ﷺ «والله انى لأستغفر الله وأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة» وقال «يا أيها الناس توبوا الى الله فانى أتوب اليه في اليوم مائة مرة» وقال «الله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في أرض دوية أي فلاة ومفازة مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اشتد الحر والعطش أو ما شاء الله قال أرجعوا لي مكان الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها طعامه وشرابه فأخذها فقال غلطاً لشدة فرحه اللهم أنت عبدي وأنا ربك».

وقال «ان بالمغرب باباً عرضه مسيرة سبعين عاماً للتوبة لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع» الخ وقال «ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر» وقال «ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار وبالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» (ويده) هنا رحمته (وفرحه) هو محبته لا السرور لانه لا يوصف به وتوبة المشرك تمحو ما قبلها ولو مات مشركاً أو منافقاً ويؤاخذ بها بعدها ان لم يتب عنه وتوبة الموحد ان شاء محا بها ذنبه وان شاء عاقبه بها دنيا أو أخرى أو فيهما وجزم بعض قومنا بالمحو ﴿ويعفو عن السيئات﴾ كباراً ان تيب عنها وصغاراً ان لم يعتقد معاودتها ولم يمتنع من التوبة واجتناب الكبائر * ﴿ويعلم ما تفعلون﴾ فيثيب عليه ان كان حسناً ويعاقب ان كان سيئاً.

وقرأ حمزة وحفص والكسائى تفعلون بتاء الخطاب * ﴿ويستجيب﴾ أي الله * ﴿الذين﴾ مفعول مقيد أي للذين * ﴿آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي يجيب دعاءهم ويعطيهم ما يسألون* ﴿ويزيدهم من فضله﴾ على ما يسألون واذا ضمن (يستجيب) معنى (يعطي) فالمفعول مسرح وقيل (يستجيب) معناه يثيب على الطاعة فالمفعول مسرح ويزيدهم على ثوابها تفضلاً وسمى الاثابة على الطاعة استجابة لان الطاعة كدعاء وقيل: (يستجيب) بمعنى (يثيب) فالمفعول مسرح ويزيدهم من فضله بثواب أعمالهم فان أعمالهم لا توجب الرحمة .

وقال ابن عباس: يستجيب بمعنى يشفعهم في اخوانهم ويزيدهم بشفعهم في اخوان اخوانهم والمفعول أيضاً مسرح وروي الأول عن ابن عباس أيضاً ومعاذ والسين والتاء ليستا للطلب وقيل: (الذين) فاعل و (يستجيب) معناه يجيب فالسين والتاء كذلك أي يجيبون له بالطاعة ويزيدهم على مالها من الثواب وذلك انه يدعوهم للطاعة وقيل (الذين) فاعل والسين والتاء للطلب أي يطلبون الاجابة من ربهم فيجيبهم ويزيدهم على مطلوبهم*

﴿والكافرون لهم عذاب شديد﴾ جهنم بدلاً بما للمؤمنين من الثواب والتفضل وذلك لعدم استجابتهم وتوبتهم والمؤمنون تابوا والتائب من ذنبه كمن لا ذنب له*

☆☆ أحب أناساً لم تضر ذنوبهم☆☆

قيل لابن أدهم: ما بالنا ندعو فلا نجاب؟ فقال: لانه دعاكم فلم تجيبوا والله يدعو الى دار السلام ويستجيب الذين آمنوا *

﴿ولو بسط الله الرزق لعباده﴾ جميعاً أي وسعه ﴿لبغوا في الأرض﴾ أي طغوا (ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى) وذلك على الغالب (والبغي) الظلم يظلم بعض بعضاً أو التكبر والمعاصي والعلو وكفى بحال قارون عبرة وفى الحديث: «أخوف ما أخاف على أمتي زهرة الدنيا وكثرتها» وقال ابن عباس: طلب منزلة بعد منزلة ومركب بعد مركب وهكذا قيل الانسان

متكبر بالطبع فأوجد الغنى والقدرة رجع لأصله من التكبر والتواضع والبغي مع الفقر والضعف أقل بالنسبة اليه مع الغنى والقدرة وجاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال: اخبرني يا رسول الله بجلساء الله يوم القيامة أي بالمقربين فقال «هم الخائفون الخاضعون المتواضعون الذاكرون الله كثيراً» قال يارسول الله: أفهم أول الناس يدخلون الجنة قال: لا قال: فمن أول قال الفقراء يسبقون الناس اليها فتخرج منها ملائكة فيقولون ارجعوا للحساب فيقولون على ما نحاسب ما أفضيت الأموال الينا فنقبض ونبسط فيها وما كنا أمراء نعدل ونجور ولكن جاء أمر الله فعبدنا حتى أتانا اليقين ﴿ولكن ينزل بقدر مايشاء﴾ بتنوين (قدرٍ) (وما) مفعول بنزل والقدر التقدير أو بمعنى القدر بالسكون وقرىء بالتخفيف من الانزال والمعنى يبسط لبعض دون بعض كما قال*

﴿انه بعباده خبير بصير﴾ يعلم سرهم وعلانيتهم فيرزقهم ما يصلح بهم وتنزيل الرزق اعطاؤه أو خلقه أو انزاله من اللوح المحفوظ . قال علي: ينزل الرزق من السماء كالقطر الى كل نفس بما كتب لها.

وفي الحديث : « اني لا أعلم شيئاً يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار الا وقد أمرتكم به ولا أعلم شيئاً يباعدكم من الجنة ويقربكم من النار الا وقد نهيتكم عنه ان الروح الأمين أي جبرائيل قد نفث أي ألقى فى روعي أي قلبي ان نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وان أبطىء عنها فاتقوا الله واجملوا فى الطلب ولا يمنعكم استبطاء شيء من الرزق أن تطلبوه بمعصية الله فان الله لا ينال ما عنده بمعصيته وانه لمقسوم » وقال الله [من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة واني لأغضب لأوليائي كما يغضب الليث الحرد أي (الأسد الشديد الذى على هيئة الغضبان) وما تقرب الـيّ عبدي المؤمن بمثل ما افترضت عليه وما يزال عبدي المؤمن يتقرب الـيّ بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً ان دعاني أجبته وان سألني أعطيته وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الغنى وان من عبادي المؤمنين

لمن لا يصلح ايمانه الا الفقر وان منهم لمن لا يصلح ايمانه الا الصحة وان منهم لمن لا يصلح ايمانه الا السقم انى أدبر أمر عبادي لعلمي بقلوبهم فاني عليم خبير] .

وعن خباب بن الارت وعمر بن حريثة وكانا من أهل الصفة: نزلت فينا أهل الصفة لما نظرنا الى أموال بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع فتمنيناها وقيل في العرب اذا اخصبوا تحاربوا * ﴿وهو الذي ينزل الغيث﴾ أي المطر وسمي غيثاً لانه يغيثهم والتشديد قراءة نافع وابن عامر وعاصم من التنزيل وقرأ غيرهم بالتخفيف من الانزال*

﴿من بعد ما قنطوا﴾ ما مصدرية أي من بعد قنوطهم من نزوله أو اسم أي؛ من بعد القنوط الذي قنطوه والقنوط اليأس وفتح نون (قنطوا) قراءة الجمهور وقرأ الاعمش بكسرها لغتان * ﴿وينشر﴾ يبسط * ﴿رحمته﴾ أي المطر يجعل فيه البركة والمنافع أو يبسط رحمته مطلقاً الغيث وغيره والبسط التوسيع والاكثار ينزل رحمته سهلاً وجبلاً فى النبات والحيوان.

قيل لعمر : أشد القحط وقنط الناس فقال: مطروا اذاً أشار للآية أو الى أن الفرج عند الشدة وقيل الرحمة الشمس بعد شدة المطر والبرد مثلاً تزيل البرد وتنفع النبات والثمار وعن بعض حبس المطر سبع سنين حتى قنطوا ثم أرسل وذكر الله انعامه الدال على توحيده كما قال * ﴿وهو﴾ لا غيره ﴿الولي﴾ المحسن للمؤمنين وغيرهم يتولاهم جميعاً باحسانه الدنيوي ويخص المؤمنين بالأخروي وقيل: الناصر للمؤمنين وولي الله من يواضب على طاعته وعلامته أن يكفيه فى جميع الاحوال أمر دينه ويصون قلبه أن يتعلق بمخلوق في دفع شر أو جلب نفع ويقوم الله على قلبه بكل نفس يحقق آماله عند اشاراته ويعجل مآربه عند خطراته وأن يرزقه مودة فى قلوب أوليائه وأن ينجيه من الشر بعد قصده وعكس ذلك من امارات السوء * ﴿الحميد﴾ في ذاته أهل للحمد لانه المنعم انتبه الى كونه محموداً للمؤمنين وجحده بعض الكفار أصلاً وأنكره بعض بلسانه فقط فحامدوه هم المؤمنون وهو فعيل بمعنى مفعول.

﴿ومن آياته خلق السموات والأرض﴾ فانهن لعظمهن واتقانهن أعظم دليل على وجود صانع قادر تدل بذاتهن وصفاتهن * ﴿وما بث﴾ أوجد وخلق وفرق ونشر والعطف على السموات والأرض أي وخلق ما بث بسكون اللام أو على خلق أي (ومن آياته ما بث) * ﴿فيهما﴾ أي فى النوعين أحدهما السموات أو باعتبار انهن كن سماء ففتقت والآخر الأرض المراد بها الجنس فهي الأرضون * ﴿من دابة﴾ أي ملك وناس قاله مجاهد أي وغيرهما من جن وحيوان وغيرهما حتى الطير فانه يدب تارة وأطلق الدابة على الملائكة تغليباً أو شبه طيرانهم بالدبيب أو لهم مشي مع الطيران أو أراد بالدابة الحي والدبيب مسبب والحياة سبب أو خلق فى السموات أنواعاً من الحيوان يدبون قيل: أو أراد الحيوانات التى توجد في السحاب وقد تقع أحياناً كالضفادع ونحوها والسحاب داخل فى اسم السماء أو أراد وما بث فى أحدهما وهي الأرض أو نسب الدابة الى المجموع لانها فى بعضه نحو (في بني تميم شاعر مجيد أو شجاع بطل) وانما هو فى فخذ منهم أو فصيلة ونحو ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ ويحتمل الاضافة أي من أحدهما.

﴿وهو على جمعهم اذا يشاء قدير﴾ (اذا) خارجة عن الشرط متعلقة بجمعهم أو شرطية جوابها المتعلقة به هي محذوف أي فهو يجمعهم لا فهو على جمعهم قدير لانه قادر على الجمع فى كل وقت لكن لا يجمعهم الا يوم القيامة وهو المراد ومجيء شرط (اذا) مضارعاً وارد لكنه بالنسبة الى كونه ماضياً قليل وفي الآية دليل على جواز حذف الجواب مع كون الشرط مضارعاً مجرداً من (لم) الا أن قيل يجوز في غير الجازم فقط أو ان (اذا) هذه خارجة عن الشرط.

﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ فاسقاط الفاء عند نافع وابن عباس وهو قراءة ابن عامر وأردت بالاسقاط عدم الاتيان بها (وما) موصولة و (بما كسبت أيديكم) خبرها لا شرطية الا عند من أجاز حذف الفاء من الجواب مطلقاً والجمهور يقرأون بالفاء على انها زائدة في خبر ما

الموصولة لتضمن معنى الشرطية أو رابطة على انها شرطية والباء سببية وما مصدرية أو موصول اسمى والايدي جمع يد والمراد تقبيح المعاصي الى الخلق فان ما يصيبهم من المكاره هو بسبب عملهم باليد أو غيرها وعبر بالأيدى لكثرة العمل بها والحاصل انه كنى بعمل اليد عن عمل الجوارح وغيرها والمراد بسبب بعض عملهم بدليل * ﴿ويعف﴾ بحذف الواو عطفاً على جملة الجواب اذا جعلت ما شرطية والا فحذفها تخفيف وقرىء باثباتها استئنافاً ﴿ويعفو﴾ ويجوز العطف * ﴿عن كثير﴾ أي فلا يصيبكم بسببه مكروه وذلك في المحرم وغيره فان المؤمن يصيبه مكروه لعمل قبيح صدر منه ويغفر له كثيراً بلا اصابة مصيبة أي شدة وبلاء .

وفي الحديث « ما من اختلاج عرق ، ولا خدش عود ، ولا نكبة حجر ، الا بذنب ، ولما يعفو عنه الله أكثر». ورأى مرة الهمداني على ظهر كف شريح قرحة فقال : ما هذا قال: بما كسبت يدي ويعفو عن كثير.

وفي الحديث «ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء فى الدنيا فبما كسبت أيديكم والله أكرم من أن يثني عليكم العقوبة فى الآخرة وما عفا الله عنه فى الدنيا فالله أحلم من أن يعود فيه بعد عفوه». قال علي: حق على المسلمين يعفون وهذا فى المؤمن وهو أرجى حديث وعن عليّ ، هذه الآية أرجى آية في كتاب الله عز وجل وفي الحديث : «لا يصيب المؤمن شوكة فما فوقها الا رفع الله بها له درجة وحط خطيئة».

وقال عكرمة: ما من نكبة أصابت عبداً فما فوقها الا بذنب لا يغفر الا بها أو درجة لاترفع الا بها . وقيل لابى سليمان الداراني : ما بال العقلاء أزالوا اللوم عمن سواهم ؟ فقال : لانهم علموا ان الله تعالى انما ابتلاهم بذنوبهم؛ قيل: من لم يعلم ان ما وصل اليه من الفتن والمصائب باكتسابه وان ما عفا عنه مولاه أكثر كان قليل النظر في احسان ربه اليه وقيل: أيضاً العبد ملازم للجنايات في كل أوان وجنايته في طاعته أكثر من جنايته فى معاصيه لان جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله مطهر

عبده من جناياته بأنواع المصائب ليخفف عنه أثقاله في القيامة ولولا عفوه ورحمته لهلك فى أول خطوة وزعم بعضهم ان الآية مخصوصة بالمجرمين وما أصاب الانبياء والاطفال والمجانين والمؤمنين فللتعريض للأجر العظيم قلت بل يصيب الأطفال أيضاً من ذنوب آبائهم فيما قيل ويصيب الأنبياء أيضاً لشيء فعلوه أو زيادة درجة صبرهم وكذا المؤمنون .

وعن الحسن ان الله كتب عنده كتاباً ان ذنب كذا عقوبته كذا فيعفو عن أكثره وأخذ رسول الله ﷺ بوجه رجل فقال : ما هذا ؟ قال يارسول الله كنت في طريق فرأيت امرأة فجعلت أنظر اليها حتى صدمت بوجهي الحائط ولم أشعر فقال ﷺ : ان أراد الله بعبد خيراً عجل عقوبة ذنبه فى الدنيا واذا أراد بعبد شراً أمسك عليه بذنبه حتى يوافيه يوم القيامة ولا تزال البلايا بالمؤمن في جسده وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة .

وروى بعضهم عن الحسن ان معنى الآية (في الحدود) أي ما أصابكم من حد من حدود الله فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير فيستره على العبد حتى لا يحد عليه * ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ الله أي بفائتيه فيما أراد اتصاله بهم من المصائب وغيرها * ﴿في الأرض﴾ أي لا تفوتونه هرباً في الأرض أو لاتفوتونه حيث كنتم من الأرض وقيل: هذا الخطاب للمشركين فقط أي لايفوتنا بعثكم حيث كنتم فنعذبكم* .

﴿ومالكم من دون الله من ولي﴾ متول بالرحمة يمنعكم من المصائب أو من البعث والعذاب* ﴿ولا نصير﴾ ينصركم بدفع العذاب أو المصائب بعد المجيء *

﴿ومن آياته الجوارى﴾ أي السفن الجارية باثبات الياء وقفاً ووصلاً عند ابن كثير ووصلاً عند نافع وأبي عمرو وقرىء الجوار بضم الراء حذفاً للام واعراباً على العين.

﴿في البحر كالأعلام﴾ أي الجبال وقيل القصور وكل مرتفع علم ووجه الشبه ؛ العظم.

﴿ان يشأ يسكن الرياح﴾ وقرأ بعض القراء غير نافع (الريح) بالافراد ﴿فيظللن﴾ أي السفن أي يصرن أو يبقين مدة النهار أو غيره والأصل مدة النهار يستعمل فيما دونها وفى غيره * ﴿رواكد﴾ ثوابت لا تجري * ﴿على ظهره﴾ أي ظهر البحر ويظللن بالفتح مضارع ظل أصله ظلل بالكسر مضارع ظلل بالفتح.

﴿ان في ذلك لآيات لكل صبار﴾ على بلاء الله * ﴿شكور﴾ لنعمائه وذلك هو المؤمن فانه هو الموصوف بالصبر على شدة البلاء والشكر فى الرضاء والرخاء فهو كامل الايمان لان الايمان نصفه صبر ونصفه شكر وفى الآية مدح له وقيل: المراد لكل من ترك همته وحبس نفسه على النظر فى آيات الله ﴿أو يوبقهن﴾ أي يباعدهن عن قدرة الرئيس وحيلته بارسال ريح لا تليق أو بغيرها فيغرقن .

ويقال أيضاً أوبقته أي أنشبته أمر يهلك فيه والاهلاك هنا الاغراق يغرق أهلها معها ولا يتعين أن المراد يغرق أهلهن وحدهم كما قيل أي اما أن يمسكهن فلا يجرين أو يغرقهن وهذا فى الجزاء أو رفع الدرجات وينجى ما شاء والعطف على (يسكن) * ﴿بما كسبوا﴾ من الذنوب * ﴿ويعف عن كثير﴾ من الذنوب يعاقبهم في الدنيا ببعض ويترك المعاقبة ببعض والواو فى (كسبوا) الى كاف الجواري ويجوز أن يكون المراد (ويعفوا عن كثير) من الناس فلا يغرقهم في سفنهم أو ينجيهم من الغرق ولو غرق معهم وقرىء (ويعفو) بذكر الواو للاستئناف وقرأ نافع حذفها عطف على المجزوم * ﴿ويعلم﴾ بالرفع عند نافع وابن عامر على الاستئناف والنصب عند الباقين والجمهور عطفاً على محذوف أي لينتقم منهم ويعلم وقال الزجاج عطفاً على المصدر المتوهم ومن الجواب لان مضمون الجزاء لم يحققه وقوعه فشبه الواقع بعده الواقع فى جواب الاستفهام وهو قليل رضيه ابن هشام وقال الزمخشري: ضعيف لا تخرج عليه الآية فى قراءة مستفيضة وقرىء بالجزم عطفاً على الجواب أي وان يشأ يجمع بين ثلاثة أمور هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير

آخرين * ﴿الذين﴾ فاعل * ﴿يجادلون في آياتنا﴾ وجملة * ﴿ما لهم من محيص﴾ مفعول (يعلم) معلقاً عنها بالنفي ساد مسد مفعولين والمراد المشركين (والمحيص) الملجأ أي ليس لهم ملجأ من عذابنا لتكذيبهم القرآن.

﴿فما أوتيتم من شيء﴾ (من) البيان ما وضميرها المحذوف أي (ما أوتيتموه) وهو شيء من زينة الدنيا والخطاب للكفار والمؤمنين وقيل للكفار * ﴿فمتاع﴾ أي فهو متاع * ﴿الحياة الدنيا﴾ يتمتع به قليلاً في الدنيا ثم يزول (ما) شرطية أو موصولة دخلت الفاء في خبرها لشبهها بالشرطية * ﴿وما﴾ لم تضمن معنى الشرط * ﴿عند الله﴾ في الآخرة من الثواب * ﴿خير وأبقى﴾ من متاع الدنيا وذلك ان الذي في الدنيا يوصف ببقاء بعده زوال وما في الآخرة يبقى أبداً أو أبقى بمعنى باق والذي في الدنيا لا يبقى لفنائه.

﴿للذين آمنوا وعلى ربهم﴾ متعلق بقوله * ﴿يتوكلون﴾ وقدم للحصر والجملة معطوفة على (آمنوا) والمناسبة حاصلة بينهما لان فى هذا المضارع استمراراً تجدديا فهو شامل للمضي لانه كلما عراهم أمراً وخطر ببالهم توكلوا أو حال وقرنت بالواو ومع بدئها بمضارع سبق معموله وذلك وعظ للعباد وتحقير لأمر الدنيا وترغيب فى نعيم الآخرة .

وعن علي : اجتمع لأبي بكر رضي الله عنه مال فتصدق به كله فلامه المسلمون وخطأه الكافرون فنزلت الآية.

﴿والذين يجتنبون كبائر الاثم﴾ قال الحسن: الكبيرة ما توعد فيه بالنار ومنها نفس الاصرار على الصغيرة والعطف من عطف النعوت لمسمى واحد أو مفعول لمحذوف أي امدح الذين أو خبر لمحذوف أي (الممدوحون الذين) ويصح أن يكون (الذين) غير (الذين) الأول وكل منهم جامع لتلك الصفات ولكنه مدح كلا بما بالغ فيه وكل اجتنب الكبائر والفواحش ويغفر الا صنفاً يقتصر وكل يقيم الصلاة ويشاور وينفق لكن بعضا اجتنب الكبائر والفواحش من أول الأمر وبعضا يفعل ويتوب وعلمت أن التشاور ليس فرضاً مخرجاً عن الاسلام بتركه وكذا النفقة غير المتعينة.

وعن ابن عباس: الاثم ؛ الشرك وقرأ حمزة والكسائي (كبير الاثم) بالافراد والفواحش قيل: عطف مرادف وقيل: المراد به موجبات الحدود وعليه مقاتل فالعطف عطف خاص على عام وكذا على قول السدي انها الزنا وعلى قول انها ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال * ﴿واذا ما غضبوا﴾ ما زائدة واذا ظرف خارج عن الشرط متعلق بـ (يغفرون) ولذا لم يقرن بالفاء قوله * ﴿هم يغفرون﴾ مع انه جملة اسمية ولك أن تقول شرطية متعلقة به وهم توكيد للواو وزعم بعض هذا تكلف وان المراد الدوام وهو بالاسمية قلت اذا جعل (هم) توكيداً (فيغفرون) يفيد الدوام التجددي وكذا في (والذين اذا أصابهم) الخ واختار ابن هشام انها خارجة عن الشرط وجعل القول بأن الضمير توكيد تعسفاً وقول بعض ان جوابها محذوف دل عليه ما بعدها تكلفاً من غير ضرورة ومن أجاز خلو الجواب غير الصالح شرطاً من الفاء مطلقاً أجاز كون الجملة اسمية جواباً لإذا لكنه رده ابن هشام وغيره قبل الابتداء بالضمير والاخبار (بيغفرون) للدلالة على انهم الأخصاء بالمغفرة حال الغضب وكذا (فهم ينتصرون) وهذه تقوية لكون الجملة اسمية وذلك المعنى على عمومه قبل الهجرة وبعدها لا على معنى انه منسوخ بعد الهجرة كما قد يقال ان الغفر بمعنى عدم المجازاة مطلوب فيما بين المؤمنين وفيما بينهم وبين الكافرين ومن قال نسختها آية السيف قال بقي بين المؤمنين.

﴿والذين استجابوا لربهم﴾ أي أجابوه الى ما دعاهم من التوحيد والطاعة نزلت فى الأنصار فيا قال الزمخشري تبعاً لابن زيد * ﴿وأقاموا الصلاة﴾ أتوا بها مستقيمة أو أداموها وصلوا الصلوات خمساً وقد كانت يوم نزول الآية ركعتين غدوة وركعتين عشية والمراد الصلاة المفروضة *

﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ يتشاورون فيا يبدو لهم لا ينفردون برأي ولا يعجلون والشورى مصدر كالفتيا أي أمرهم ذو شور أو اسم مصدر شاور وتشاور عن بعض نزل ذلك مدحاً لقوم كانوا قبل الاسلام وقبل قدوم رسول الله ﷺ اليهم في المدينة اذا كان بينهم أمر اجتمعوا وتشاوروا ذلك لأن

المشاورة المحبة والاتصال والمعونة وفي الحديث: «ما تشاور قوم الا هدوا لأحسن ما بحضرتهم» وقال الحسن : لأرشد أمرهم وعنه أن المراد يتشاورون فى كتاب الله وعن بعضهم أن أمرهم التوحيد * ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ فى طاعة الله انفاق نافلة وعن بعض أراد الزكاة وكانت حينئذ غير محدودة وهو ضعيف *

﴿والذين اذا أصابهم البغي﴾ أي الظلم من أي ظالم * ﴿هم ينتصرون﴾ وقيل: المراد من المشركين وان الانتصار باللسان لانهم لم يؤمروا بالقتال حينئذ والصحيح ان الظلم من أي ظالم وان الانتصار باللسان أو بالفعل.

قال ابن زيد: جعل الله المؤمنين صنفين صنفا يعفون عمن ظلمهم وصنفا ينتصرون.

وقال ابراهيم النخعي: اذا قدروا عفوا والا كرهوا الذل لان فى عدم الانتصار اغراء المتغلب على الظلم فهم يعفون عن الضعيف وينتصرون من القوي الذي لم يذعن للحق.

وقال عطاء: المراد المؤمنون الذين أخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم ثم مكنهم الله فى الأرض حتى انتصروا .

وقيل: المراد اذا أصاب بعضهم البغى انتصروا له تغييراً للمنكر وانما مدحهم للانتصار اما لان انتصارهم لأجل أن لا يهان بدين الله لانهم لأجله ظلموا واما لئلا يجترىء العاصي على المعاصي ويزيد واما بغضاً لعصيان الله ولان المظلوم أخوه المسلم أو لأنه انتصر بمثل ما ظلم ولم يزد كما قال.

﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ مثل أن يقول له مثل ما قال فيه اذا قال له أخزاك الله قال له أخزاك الله ونحو ذلك الا أن قال يا مشرك أو يا زاني فانه يقول يا منافق أو يا فاسق أو نحوهما واذا ضربه ضربة ضربه مثلها حيث يجوز فان بعض الأفعال لا يفعل مثلها وذلك فى الظهور وأما فى الكتمان فلا يجوز عندنا معشر الأباضية الاقتصاص باليد ذلك انه اذا كان القائل أو الفاعل ظالماً والا لم يرد عليه وقيل المراد القصاص والجراحات فقط وانما

سمى الفعلة التي هي جزاء سيئة مع انها مباحة لمشابهتها السيئة صورة أو لمقارنتها فى الذكر أو لانها تسوء من عوقب بها .

وقد يقال المراد بالأولى والثانية جميعاً ما يسوء فيشمل ما فعل خطأ لا عمداً فيقتص من فاعله كذا قيل فتأمل وعن الفخر : النقصان حيف والزيادة ظلم والتساوي عدل ونقول انما يكون النقص حيفاً اذا كان المجازى غير المظلوم وكان قادراً ويدل على هذا وعلى أن الانتصار مباح مشرع وانه غير مرغوب فيه وان العفو أولى قوله * ﴿فمن عفا﴾ عمن بغى عليه * ﴿وأصلح﴾ الود بينهما بالعفو وأتى بما يصلح بينهما * ﴿فأجره على الله﴾ ولابد وهو وعد مبهم للتعظيم لا يعلم كنهه.

قال الحسن: اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان على الله له جزاء فليقم فلا يقوم الا من عفا. وفي هذا وفي قوله (واذا ما غضبوا) الخ حض على كسر الغضب والتدريب في اطفائه وهو جمرة جهنمية وباب من أبواب جهنم قال رجل للنبى ﷺ : أوصني قال «لا تغضب» قال: زدني قال: «لاتغضب» قال: زدنى قال: «لاتغضب» ومن جاهد هذا العارض من نفسه حتى غلبه فقد كفي أمراً عظيماً في دنياه وآخرته.

وأتاه ﷺ رجل فقال: علمني يا رسول الله كلمات أعيش بهن ولا تكثر علي فأنسى فقال ﷺ «لا تغضب» أي أعيش معهن.

وفي رواية : قل لي قولاً ينفعنى الله به وأقلل لي لعلي أعقله فقال لاتغضب فأعاد عليه مراراً قوله زدني فيعاود له لا تغضب.

ولما رأى يحيى أن عيسى مفرقه قال أوصني قال لاتغضب قال لا أستطيع قال لاتقتن مالاً قال عسى .

وفي الحديث: من كف لسانه عن أعراض المسلمين أقال الله عثرته يوم القيامة ، ومن كف غضبه عنهم وقاه الله عذاب يوم القيامة. وقال الله عز وجل: [من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ومن ذكرني حين يغضب ذكرته حين أغضب فلا أمحقه حين أمحق] ولم يرد بنفسه تعالى سوى عدم الملأ وسوى ذاته * ﴿انه لا يحب

الظالمين﴾ الذين يبتدئون بالسيئة والذين يتجاوزون في المجازاة وفي الآية تحذير للمجازي أن يتجاوز حقه وتنبيه على أن الانتصار لا يكاد يؤمن فيه التجاوز لا سيما حال الغضب والتهاب الحمية فيكون ظالماً وعن بعضهم الظالمون المشركون وقال ابن عباس : المراد المبتدئون بالسيئة ﴿ولمن﴾ اللام للابتداء وزعم بعضهم انها مشعرة بالقسم * ﴿انتصر بعد ظلمه﴾ من اضافة المصدر لمفعوله أي بعد ظلم غيره اياه ويدل له قراءة بعض بعد ما ظلم بالبناء للمفعول والسياق السابق واللاحق.

﴿فأولئك ما عليهم من سبيل﴾ لمن يعاقبهم أو يعاتب أو يعيب والسبيل الطريق وقال الحسن: الحجة والاشارة بأولئك لمراعاة معنى من بعد مراعاة لفظه.

﴿انما السبيل على الذين يظلمون الناس﴾ أي يبتدئونهم بالسيئة *

﴿ويبغون في الأرض بغير الحق﴾ أي يعملون بالمعاصي من تكبر وفساد وطلب ما لايستحقون تجبراً وان فسرنا البغي بالظلم الشديد (فغير الحق) توكيد لمتعلقة وعن بعضهم (غير الحق) الكفر والتكذيب والحق ان الآية عامة لكل ظالم .

قال ﷺ لكعب بن عجرة : «أعيذك بالله يا كعب من أمراء يكونون من خشي أموالهم وصدقهم فى كذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منهم ولا يرد علي الحوض يا كعب الصلاة برهان والصوم جنة حصينة والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ياكعب انه لا يربو لحم نبت من سحت الا كانت النار أولى به».

﴿أولئك لهم عذاب أليم﴾ أي موجع على ظلمهم وبغيهم ﴿ولمن صبر وغفر﴾ هذه اللام تصح للابتداء وللقسم أعني تشعر به والله من صبر على الظلم ولم ينتصر وفوض أمره الى الله .

﴿ان ذلك لمن عزم الأمور﴾ خير من صبر والرابط محذوف أي ان ذلك منه أو ان فعله ذلك فخاف المنعوت أو المبدل منه والاشارة للمذكور الذى هو الصبر والغفر وان رجعت لمن هي فهي الرابط فبتقدير مضاف أي لمن

أهل عزم الأمور (وعزم الأمور) احكامها واتقانها وهو مصدر باق أو بمعنى مفعول أومعزوم الأمور أي من الأمور المطلوبة شرعاً قيل عزم الأمور محكمها ومتقنها والحميد العاقبة منها ومن رأى الآية فيما بين المؤمنين والكافرين وان الصبر للمشركين أفضل قال ان الآية نسخت بآية السيف ومن رآها بين المؤمنين قال محكمة والصبر للمؤمن والغفران أفضل اجماعاً.

وفي الحديث: «ينادى يوم القيامة من كان له عند الله أجر فليقم فيقوم خلق ورروي عنق من الناس كبير فيقال لهم ما أجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا في الدنيا فيقال لهم ادخلوا الجنة بفضل الله أو باذنه وعن بعض ان الصابر يؤتى بصبره الثواب فالرغبة في الثواب أتم عزم.

وسب رجل رجلاً في مجلس الحسن فكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق فتلا الآية فقال الحسن: عقلها والله وفهمها اذ ضيعها الجاهلون.

وقال ابن أبي الأحوص: «يا رسول الله أن لي جاراً يسيء مجاورتي أفأفعل به كما يفعل بي قال: لا ان اليد العليا خير من اليد السفلى» . وأراد باساءة المجاورة أنه يضره برائحة طعامه أو اظهاره ولا يعطيه بدليل قوله: «ان اليد العليا» الخ فكأنه قال اعطه ولو لم يعطك فان اليد العليا المنفقة والسفلى الآخذة وان بلا سؤال وقال الجمهور الآخذة بعد السؤال أعنى انها تسأل فتعطى وقيل: المانعة أو أراد بالاساءة المجاورة أنه غير عفيف فيده السفلى والعليا هي المتجففة أو أراد بالاساءة الضر من حيث الطعام وخيره فقال: لا تضره بما ضرك وبين خصوص الضر من حيث المال بعد ذلك بقوله: ان اليد الخ واذا احتج الى كف زيادة البغي وقطع الأذى فترك العفو مندوب اليه كما يدل له قوله ﷺ لعائشة رضي الله عنها «دونك فانتصري» بعد ما أسمعتها زينب رضي الله عنها ما تكره فنهاها ولم تنته * ﴿ومن يضلل الله﴾ يخذله *

﴿فما له من ولي من بعده﴾ أي فما له ناصر يتولاه بالهداية ويمنعه من العذاب سواه أو بعد اضلال الله له * ﴿وترى الظالمين﴾ كل ظالم وقيل المراد (المشركون) * ﴿لما رأوا العذاب﴾ أي حين رأوا العذاب وهو يوم القيامة (فلما) بمعنى (حين) تستعمل في الماضي والمستقبل واستعملت هنا في

المستقبل وعبر بالفعل الماضي لتحقق الوقوع ومن قال بمعنى (اذ) فاستعمالها هنا فى المستقبل مجاز عنده * ﴿يقولون﴾ قبل دخول النار وقال الحسن بعده ﴿هل الى مرد﴾ مصدر ميمى أو اسم زمان * ﴿من سبيل﴾ هل طريق الى الرد الى الدنيا يثبت فنؤمن ونرد الظلم * ﴿وتراهم﴾ بعينيك * ﴿يعرضون عليها﴾ أي على النار دل عليها ذكر العذاب * ﴿خاشعين﴾ خائفين متواضعين * ﴿من الذل﴾ متعلق بخاشعين أى لأجل الذل ﴿ينظرون﴾ الى النار خوفاً منها * ﴿من طرف﴾ من العين * ﴿خفي﴾ ضعيف النظر غير ظاهر لما كانوا فيه من الهم وسوء الحال حتى انهم لايستطيعون النظر بجميع العين بل ينظرون ببعضها بتحريك ضعيف للجفن يسارقون النظر كالمحبوس أحضر اليه السيف فهو لا يقدر أن يفتح أجفانه ويملأ عينيه وهكذا نظر المكاره وذلك تفسير قتادة والسدي وقيل يحشرون عمياً فلا ينظرون الا بقلوب فهو النظر من طرف خفي فان نظر القلوب خفي وهو تعسف (ومن) للابتداء أي يبتدىء نظرهم اليها من تحريك الجفن فلا يكاد يتحرك وقيل (من) بمعنى الباء وعليه يونس والاخفش وعلقا (من الذل) بـ (ينظرون) فالوقف على (خاشعين) وفى ذلك كله تحقير لأمر الكفرة ووصف لحالهم ليجتنب وتصبير.

﴿وقال الذين آمنوا﴾ يوم القيامة أو بعد دخول الجنة * ﴿ان الخاسرين﴾ هم﴿الذين خسروا أنفسهم﴾ بتعرضهم لدخول النار والخلود وعدم الوصول الى الحور المعدة لهم لو آمنوا وعملوا الصالحات ﴿وأهليهم﴾ أى أهلكوهم بالاضلال أو خسروهم بمفارقة الأهل لهم الى الجنة أو خسروا أملهم المعد لهم فى الجنة * ﴿يوم القيامة﴾ متعلق بـ (قال) أي يقول الذين آمنوا يوم القيامة اذا رأوا العذاب والنعيم وتحسروا يقولون خسروا أنفسهم فى يومنا هذا وهو يوم القيامة وعبر بيوم القيامة ويجوز أن يكون قولهم فى الدنيا فيتعين التعليق بخسروا.

﴿ألا ان الظالمين فى عذاب مقيم﴾ أي دائم وهذا مقول لله أو مقول

للمؤمنين فعلى الأولى فهو مستأنف تصديق من الله لقولهم (والظالمـون) عـام وقيل المشركون.

﴿ومـا كـان لهم من أوليـاء ينصرونهم من دون الله﴾ أى لا ولي غـير الله يمنعهم من عذابه وادعى بعضهم ان (من دون الله) بمعنى (من عذاب الله) والتحقيق ان المـراد بـه غير الله الا ان أراد أنـه بـالأولى (ينصرهم ويحبسهم ويقصر بهم دون الله) أي دون عذابه كما يقال غلقت الباب دونه*

﴿ومن يضلـل الله فـما لـه من سبيـل﴾ الى الرشـد فى الـدنيـا والنجـاة في العقبى* ﴿استجيبوا لربكم﴾ أجيبوه بالتوحيد والطاعة أو أجيبـو داعي الله محمداً ﷺ.

﴿من قبل أن يأتي يوم لا مرد لـه من الله﴾ هو يوم القيامة وقيل يوم الموت والمراد مصدر ميمي و (من الله) خبر لا (وله) نعت اسمها على القول ببنـاء اسمها ولو منعوتاً أو خبر ثان والأول له والمراد انه لا يـرده الله بعـد وصـول أجله أو متعلق بيأتى أي من قبل (أن يأتي) منه يوم لا يرده أو لا يقدر أحد على رده) ويضعف تعليقه بمـرد الا أن علق لـه (بـرد) أو بمحـذوف نعت وقدر الخبر ويجوز تعليقـه بـاستقـرار المجعـول خبراً أو نعتـاً ﴿مـا لكم من ملجأ﴾ تلجأون اليه * ﴿يومئذ﴾ أي يوم اذا أتى اليوم اذ لا مخلص لكم من العذاب وقيل من اليوم وقيل من الموت * ﴿ومالكم من نكير﴾ مصدر لنكر الثلاثي وقيل اسم مصدر أنكر والمراد انكم لا تقـدرون على انكـار شيء من أعمالكم تشهد عليها الملائكة وألسنتكم وجوارحكم وقيل التنكير المتعة وقيـل النصرة وقيل النكير وصف الثلاثي أي لا أحد ينكر علينا ما أنتم فيه فيصرفه عنكم * ﴿فان أعرضوا﴾ عن الاجابة.

﴿فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾ يحفظ أعمالهم فيجازيهم بها أي لست رقيبـاً ومحاسباً * ﴿ان عليك﴾ أي ما عليك * ﴿الا البلاغ﴾ وقد بلغت وليس عليك سواه مثل أن تكرههم وقد نسخ ذلك بـآيـة الجهـاد وفى ذلك تسليـة لرسول الله ﷺ.

﴿وإنا اذا أذقنا الانسان﴾ أي الجنس بدليل مراعاة معنى الجمع في (وان تصبهم) وان راعى لفظه في (فرح) ولم يرد الا المجرمين المشركين * ﴿منا رحمة﴾ نعمة كالصحة والغنى وأمور الدنيا * ﴿فرح بها﴾ لانه لا همة له فى غير الدنيا* ﴿وان تصبهم سيئة﴾ قحط أو مرض وغيره من المكاره* ﴿بما قدمت أيديهم﴾ من القبائح * ﴿فان الانسان﴾ المشرك ولو فسر هنا وهنالك بالمنافق والمشرك لصح والمراد فانه كفور ووضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على أن الجنس موسوم بكفران النعمة ولهذا أيضاً وضع علة الجزاء مقامه أي وان تصبه سيئة بعمله نسى النعمة رأساً ويذكر البلية ويعظمها ولا يتأمل سببها لان الانسان * ﴿كفور﴾ بليغ الكفران فان المشرك كفر كفر شرك لا يصبر على البلاء ولا يشكر على الرخاء لانه لايؤمن بيوم الجزاء والمنافق كافر كفر نفاق تغلبت عليه شهواته فلم يصبر ويشكر وعبر (بإذا) فى اذاقة النعمة لانها كثيرة متحققة الوقوع ظاهرة عادة مطلوبة بالذات وعبر فى اصابة السيئة (بأن) لانها وان تحقق وقوعها لكن غير مجزوم بها عندهم وقليلة بخلاف اذاقة النعمة ولما ذكر اذاقة النعمة واصابة السيئة أشار الى أنه يقسمها كيف أراد بقوله ﴿لله ملك السموات والأرض﴾ يتصرف فيهما كما يريد ﴿يخلق ما يشاء﴾ لا ما يشاؤه غيره كالذي يشاءون الذكور وربما (تشاء) موافق ما يشاء خلقاً * ﴿يهب﴾ بدل من يخلق بدل بعض * ﴿لمن يشاء اناثاً﴾ فقط قال ﷺ من ابتلي بشيء من هذه البنات فأحسن اليهن كن له حجاباً من النار» .

وعن واثلة بن الاسقع : من يمن المرأة تبكيرها بالأنثى قبل الذكر لان الله بدأ بذكر الاناث وقدم الاناث لانهن مكروهات فهل لأدفعهن عنكم من تعبدون من الاصنام لكراهتكم لهن فأبان مشيئة الله في كل الخلق وفي كل منهم فهو الذي يخلق ما يشاء ولا دخل لصنم فى ذلك أو قدمهن تأنيساً

بهن ليهتم بصونهن والاحسان اليهن أو لتطييب قلوب آبائهن أو لان سياق الكلام انه فاعل ما يشاء لا ما يشاء الانسان فكان ذكرهن من حيث انهن من جملة ما لايشاء الانسان أهم ولان الكلام فى البلاء والعرب تعدهن بلاء أو لانهن أكثر ليكثر النسل أو للمحافظة على الفواصل المحتومة بالباء قيل أو لجبر تأخيرهن فى قوله ذكراناً واناثاً *

﴿ويهب لمن يشاء الذكور﴾ وحدهم وأخرها لما مر وعرفها جبر لتأخيرها وللفواصل المبينة على سكون الاعجاز عند الوقف وما يجرى مجراه ولو لم يعرفه لكان الوقف بالفتح وبعده ألف مبدلة عن التنوين وللتنويه والتشهير كأنه قال هؤلاء المعلومين الذين منهم العلماء الاعلام وفرسان الاقتحام والذكور أحق بالتقديم لولا ذلك لانهم أفضل وأسبق خلقاً فان آدم قبل حواء لكن من غير بطن وولدت الذكر قبل الأنثى * ﴿أو يزوجهم ذكراناً واناثاً﴾ عبر (بأو) ان هذا قسم المشترك بين القسمين وهو من لم يعقم ومعنى يجعلهم كذا قيل والتحقيق ان المعنى يقرنهم أو ينوعهم الا أن أراد بجعلهم أزواجاً وأنواعاً واذا رجع الضمير للأولاد المعلومة من السياق فذكراناً واناثاً حالان مؤسسان واذا رجع للاناث والذكور فمؤكد (ان) لصاحبها والمراد انه يهب لمن يشاء ذكوراً واناثاً * ﴿ويجعل﴾ لم يعطف بأو لافصاح هذا القسم بما به قسيم المشترك بين الأقسام السابقة * ﴿من يشاء عقيماً﴾ لا يلد ولا يولد له .

وعن ابن عباس واسحاق وابن بشر وغيرهما وهب الله لشعيب ولوط أناثاً (بنتين)لا ذكر فيهن ووهب لابراهيم الذكور لا أنثى فيهم ووهب لنبينا ﷺ أربع اناث وذكوراً ثلاثة القاسم وعبد الله ويسمى (الطاهر والطيب) وابراهيم وأعقم يحيى وعيسى فذلك هو المراد بالآية وأنت خبير أن عيسى ويحيى لم يتزوجا والتحقيق ان الآية عامة وهذا يصلح تمثيلاً وقال محمد بن الحنفية يريد بقوله (أو يزوجهم) قرن الذكر والأنثى في بطن وهذا يناسبه تفسير هبة

الاناث بولادة الانثى وحدها من بطن وكذا فى الذكور وبنات نبينا ﷺ فاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم وقيل فى بنيه طيب بدل مطهر * ﴿انه عليم﴾ بما يخلق * ﴿قدير﴾ على ما يشاء فهو يفعل بحكمة واختبار .

ولما قالت اليهود للنبي ﷺ ألا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبياً كما كلمه موسى ونظر اليه فقال موسى لم ينظر اليه فنزل * ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً﴾ في المنام كما رأي ابراهيم ﷺ أنه يذبح ابنه وكما رأى داود أنه يقتل الرجل وقد مر في (ص) أو بالهام كما ألهمت أم موسى أن تقذفه فى البحر وكما ألهم النحل.

قال النخعي: وكان من الأنبياء من يخط له فى الأرض.

قال مجاهد: أوحى الله الزبور فى قلب داود قال ابن هشام وغيره (كان) ناقصة والخبر ما لبشر ووحيا استثناء مفرغ من الاحوال فهو حال من ضمير يكلم الله أي موحياً أو من هالة أي موحى اليه أو موصل ذلك من وراء حجاب أو موصل اليه بفتح الصاد على الحالية من الهاء أو يرسل بالنصب أي أو ارسالاً أي ذا ارسال أو مرسلاً بالفتح أو الكسر كذلك واما أن يكون خبرها وحياً والتفريغ فى الاخبار أي ما كان تكليمه الا وحياً أو ايصال لا من وراء حجاب، وارسالاً وجعل الارسال والايحاء تكلماً على تقدير تكليم وحي أو تكليم ارسال (ولبشر) متعلق (بكان) أو بمحذوف أي أعني لبشر أو ارادتي لبشر أي ثابتة لبشر ومفعول أعني محذوف أي أعني التكليم أو هو بشر فيقدر أعني بعده تصح زيادة اللام أو (كان) تامة وفاعلها أن يكلم (ولبشر) متعلق بها مر أو زائدة فان يكلم مبتدأ ولبشر خبر وعليها فالتفريغ في الاحوال المقدرة فيما ذكروا فى (لبشر) كذا ولا تعلق من يكلم لانه قيل حرف الاستثناء ما قبلها لا يعمل فى شيئين بعدها قاله بعض ولا بعطف يرسل على (يكلم) لانه يلزم منه نفي الرسل أو المرسل اليهم أي (وماكان لبشر أن يكلمه الله ولا أن يرسل رسولاً) * ﴿أو من وراء حجاب﴾ ما هذا

الا تمثيل والله لا يحتجب بشيء والمراد انه يخلق كلاما فى الهوى أو فى جرم فيسمع فقط حتى قيل انه لاتعرف جهة المكلم كما كلم موسى والملائكة وأراد جبريل يكلم النبي ولا يراه فالمحتجب جبرائيل وقد يراه .

ومر علي بقصاب يقول: والذي احتجب بسبع طبقات فعلاه بالدرة وقال: له تب ان الله أقرب اليه من حبل الوريد قال أفلا أكفر بشيء قال علي لا لانك حلفت بغير الله . وذلك بأن من يحتجب غير الله وهذا من علي مراعاة اللفظ في اليمين لا النوي والا فالحالف نوى الله .

وفي رواية قال أخطأت ثكلتك أمك ان رب العالمين ليس بينه وبين خلقه حجاب لانه معهم أينما كانوا فقال: ما كفارة ماقلت قال: أن تعلم ان الله معم أينما كنت ومن قال ان موسى كلمه ربه مشافهة أو قال: انه كلم نبينا ليلة الاسراء و غيرها مشافهة كفر ومال الى جهة اليهود وقريش المائلين الى التجسيم الآية النازلة ردا عليهم ﴿أو يرسل رسولا﴾ ملكا يكلمه النبي ويراه ومر أنه لا يراه غالباً وادعى بعضهم ان (أو يرسل رسولا) تكرير لقوله أومن وراء حجاب ووجهه ان المراد بوراء الحجاب كلام الملك بدون رؤية وبارسال الرسول ارسال الملك ليكلمه ظهر أو اختفى فالتكرير ان ما اعتبره من جانب شموله للاختفاء فهو في التحقيق عطف عام على خاص كقوله ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير﴾ ولكن المشهور اختصاصه بالواو وقيل: المراد يرسل نبياً أوحى اليه مناماً أو الهاماً أو سماعاً لكلام مخلوق في الهواء أو في الجرم الى غيره قيل: وفي الآية دليل على أن الرسالة من أنواع التكليم وان من حلف لا يكلم فلاناً وهو ينوي المشافهة ثم أرسل رسولاً حنث (ووحيا) مصدر (وحى) أو اسم مصدر (وحى) وعامله محذوف من لفظه وهو يكلم لان الوحي كلام خفي فى سرعة وعن بعضهم كلام خفي يدرك بسرعة (ومن وراء) متعلق بمحذوف مصدر معطوف أي كلاماً أو اسماعاً من وراء حجاب أو بمحذوف لمصدر أي كلاماً

ثابتاً من وراء وجملة (يرسل) بالرفع عند نافع وابن عامر وابن عباس وأهل المدينة معطوفة على حرف النفي وما بعده والمصدر نوعي بالنظر أو ليكلم لان الوحي نوع من الكلام ويجوز كونه منصوباً على الاستثناء أو مصدراً حالاً مؤولاً بالوصف الذي هو اسم فاعل ان جعل صاحب الحال هو لفظ الجلالة أي الا موجباً أو الا واجباً أو مسمعاً من وراء حجاب أو مرسلاً بكسر الحاء والميم والسين واسم مفعول ان جعل صاحب الحال هو (بشراً) والهاء فيفتح ذلك ويقال موحى وقدر بعض مكلماً من وراء حجاب ويكلم من وراء حجاب بفتح اللامين وكسرهما وقرأ غير من ذكر بنصب (يرسل) عطفاً لمصدره على (وحياً) والنصب بان مضمرة جواز على حدة

☆ولبس عباءة وتقرَّ عيني☆ قاله ابن هشام وعن بعضهم أن (يرسل) بالرفع خبر لمحذوف والجملة معطوفة على (وحياً) بمعنى (موحياً) ويجوز عطف الفعل مرفوعاً على (وحياً) لانه بمعنى (موحياً) أو موحى والنصب فى قوله ﴿فيوحي﴾ تبع لنصب (يرسل) ورفعه تبع لرفعه وضمير (يوحي) للرسول أي يكلم الرسول أي المرسل يكلمه ﴿باذنه﴾ أي باذن الله ﴿ما يشاء﴾ أي الله وقيل ضمير هو يوحي أيضاً والفاء كالواو أو لترتيب الاخبار أو جعل تكليم الرسول كلاماً لله لانه يأمره ﴿انه عليٌّ﴾ عن صفات المخلوقين من الوصف باللسان والفم والمشافهة والصوت والجهة والرؤية.

قالت عائشة رضي الله عنها: (من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية أو لم تسمعوا ربكم يقول (وماكان لبشر) .. الآية * ﴿حكيم﴾ في صنعه يجرى أفعاله على ما اقتضته الحكمة من كلام بالوحي تارة ومن وراء حجاب تارة وارسال رسول تارة أخرى ومن غير ذلك * ﴿وكذلك﴾ أي مثل ايحائنا الى غيرك من الرسل.

﴿أوحينا اليك روحا من أمرنا﴾ الذي نوحيه اليه والروح القرآن لان به حياة القلب وقال ابن عباس : (نبوة) وقيل: رحمة وقيل: جبرائيل وقيل:

جميع ما أوحى اليه والأمر قال بعض: واحد الأمور وقيل: بمعنى القول فمن للابتداء*

﴿ماكنت تدري ما الكتاب ولا الايمان﴾ ما خبر استفهامية والكتاب مبتدأ وأجيز العكس والجملة سدت مسد مفعولي (تدري) علق عن العمل بالاستفهام والمراد انك لم تدر قبل الوحي ما الكتاب وهو القرآن ولا شرائع الايمان وتفاصيله أو المراد بالايمان نوع خاص منه لم يجب بالفور حتى أوحى اليه به والا فالأنبياء مؤمنون من أول الوجود بالاتفاق الا شذوذاً جاز وكونهم على غير الايمان قبل البعثة وقائل ذلك مخطىء قيل وفي الآية دليل على انه لم يتعبد قبل النبوة بشرع مخصوص وقال ابن خزيمة الايمان هنا الصلاة (وما كان الله ليضيع ايمانكم) أي صلاتكم وكان يتعبد على دين ابراهيم ثم تبين له شرعه بالوحى موافقاً لشرع ابراهيم كله وقيل بعضه .

وقال أبو العالية : (المراد بالايمان الدعوة اليه).

وقال الحسن بن الفضل: (أهل الايمان من يؤمن ومن لايؤمن) *

﴿ولكن جعلناه﴾ أي الكتاب وقيل الروح وقيل الايمان وعليه ابن عباس والكل يهتدي به كالنور.

﴿نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا﴾ نرشد ونوفق من له السعادة عندنا* ﴿وانك لتهدي﴾ تدل بفتح التاء وكسر الدال عند الجمهور وقرأ حوشب بضم التاء وفتح الدال وعاصم بضم التاء وكسر الدال ﴿الى صراط مستقيم﴾ أي تدعو بالوحي الى طريق مستقيم هو دين الاسلام كما قرأ وانك لتدعو والمفعول حذف للعموم أو لعدم تعلق الغرض به حتى كان الفعل لازم وقيل المراد بالصراط الجنة * ﴿صراط﴾بدل كل من صراط.

﴿الله الذي له ما في السموات وما في الأرض﴾ خلقاً وملكاً وتعبيداً ومن قوله وكذلك أوحينا اليك روحاً الى هذا تعديد للنعمة وتوقيف على مقدارها*

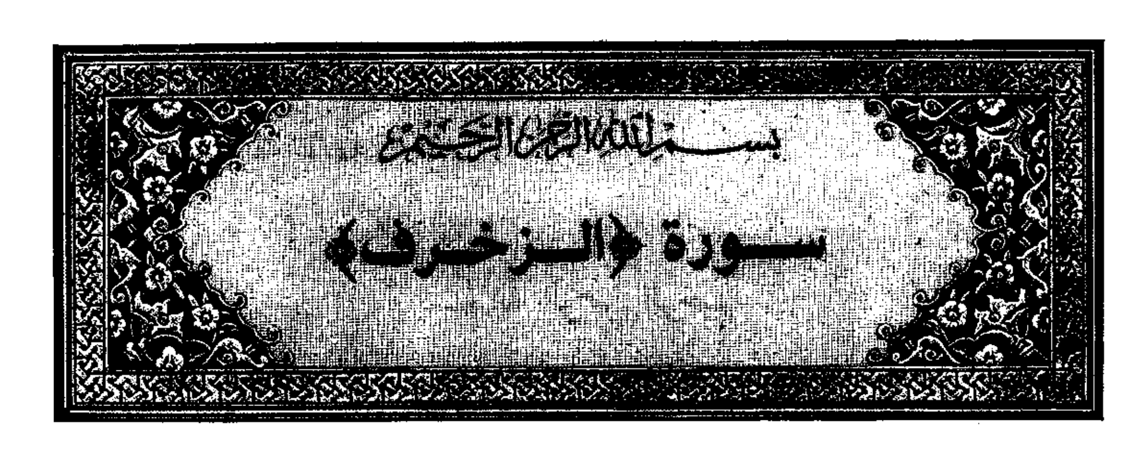
﴿الا الى الله تصير الأمور﴾ يوم القيامة أي ترجع اليه فيثيب المحسن

ويعاقب المسيء فهذا وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين .

قال ابن أبي الجعد وغيره احترق مصحف فلم يبق منه الا (الا الى الله تصير الأمور) وغرق مصحف فامتحى كله إلا (ألا الى الله تصير الأمور) وتقديم (الى الله)على (تصير) للحصر والاهتمام أي الاشارة الى عظمته .

قال الشاذلي: (ان أردت أن تغلب الشر كله وتلحق الخير كله ولا يسبقك سابق وان عمل ما عمل فقل: (يا من له الخير والأمر كله أسألك الخير كله وأعوذ بك من الشر كله فانك أنت الغنى الغفور الرحيم أسألك بالهادي محمد ﷺ الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما فى السموات وما في الأرض الا الى الله تصير الأمور معرفة تشرح بها صدري وتضع بها وزري وترفع بها ذكري وتيسر بها أمري وتنزه بها فكري وتقدس بها سري وتكشف بها ضري وترفع بها قدري انك على كل شيء قدير.

اللهم بحق المصطفى علينا ﷺ وحق السورة افعل لي ذلك واكسر شوكة النصارى وغلب الموحدين والمسلمين عليهم وصل اللهم وسلم عليه وعلى آله وصحبه.


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة ﴿الزخرف﴾

سـورة ﴿الزخـرف﴾

مكية كلها وقال مقاتل الا قوله ﴿واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا﴾ فانه نزل بالمدينة وقيل: (فى السماء) وآياتها تسع وثمانون بتقديم التاء على المهملة ثمانمائة وثلاثون وحروفها ثلاثة آلاف وأربعمائة.

وفي الحديث من قرأ (سورة الزخرف) كان ممن يقال له يوم القيامة (ياعبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب).

وقالوا من كتبها ومحاها بماء المطر وسقاها صاحب السعال نفعه وان سقيت للمرأة المخالفة نفعها.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حم﴾ مر الكلام فيه * ﴿والكتاب﴾ أي القرآن أقسم به أو به وبما قبله فيكون على الآخر معطوفاً ولعل اقسام الله بالأشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه * ﴿المبين﴾ من أبان القاصر ومعناه الظاهر الواضح لفظاً ومعنى أو من بان المتعدي أي بين طرق الهدى وما يحتاج اليه من الديانة وبين الخير من الشر والسعيد من الشقي وعلى الأول فالمراد وضوحه لسامعيه من العرب بحيث لا يشكل وقيل وضوحه للمتدبرين.

﴿إنا جعلناه﴾ أوجدنا الكتاب وخلقناه فهو مخلوق وقيل صيرناه فافهم وقيل بيناه وقيل سميناه وقيل وصفناه وقيل أنزلناه * ﴿قرآنا عربياً﴾ بلغة العرب وأساليبهم وقرآناً مفعول ثان على التصيير وحال على غيره والجملة جواب قسم بالكتاب الذي هو القرآن وجعل قوله (انا جعلناه عربياً) لتكون

من الأيمان الحسنة البديعة لتناسب المقسم والمقسم عليه وكونهما من واد واحد لكن التحقيق ان المقسم عليه جعله عربياً لا جعله قرآناً ولذا عبرت بالتناسب لا بالاتحاد لعدمه لان المقسم به ذات القرآن ﴿لعلكم تعقلون﴾ تفهمون معانيه يا أهل مكة والترجي بالنسبة للخلق أو لعل للتعليل أجازه غير واحد ﴿وإنه﴾ أي الكتاب وهو القرآن ﴿في أم الكتاب﴾ أي أصله وهو اللوح المحفوظ لانه أصل للكتاب الذى هو القرآن وغيره من الكتب السماوية والكتاب وهذا جنس وسمي اللوح المحفوظ اما لانه الاصل كما مر تنسخ منه الكتب وهمزة (إن) مكسورة عطفاً على الجواب أو للاستئناف وقرىء باسقاط الواوين بفتح الهمزة وكسرها في (إن) الأولى وقرأ حمزة والكسائي بكسر همزة لم وفي متعلقة بناء على جواز تقديم معمول خبر (إن) على لام التأكيد المقرون بها الخبر أو حال منه أو من ضمير كذلك* ﴿لدينا﴾ أي عندنا فيه ما مر في تعليق في أو هو بدل من في ومجرورها أو حال من مجرورها أي حال كون أم الكتاب محفوظاً عندنا فى التغيير* ﴿لعليّ﴾ رفيع الشأن فى الكتب لكونه معجزاً من بينها وقيل (عليّ) على الكتب * ﴿حكيم﴾ ذو حكمة بالغة ومشتمل عليها ومحكم لا ينسخه غيره ولا يتطرقه الفساد والبطلان (وعليّ حكيم) خبران لان وبعضهم يزعم ان (فى أم الكتاب) خبر (وعليّ) خبر آخر مقرون باللام وكأنه أراد في ان (أم الكتاب) خبر غير أول مقدم ولذا لم يقرن باللام وقرن الاول وهو (عليّ) أو أراد انه خبر أول وقرن باللام لانه من أخبار (ان) فكأنه الاول وهو ضعيف قال قتادة وغيره معنى انه (في أم الكتاب) انه منسوخ فيه وهو هناك (عليّ حكيم) وقيل فى اللوح المحفوظ ذكره ودرجته ومكانته من العلو والحكمة وعلي كل ففي ذلك تشريف للقرآن * ﴿أفنضرب عنكم الذكر صفحاً﴾ الهمزة مما بعد الفاء أو من محذوف أي أنهملكم فنضرب والاستفهام انكاري ونضرب معناه نبعد وننحي استعار الضرب بمعنى الطرد للتنحية والابعاد بعد تشبيه حالة التنحية والابعاد بطرد نحو الناقة عن الحوض أولاً مجاز بل

بمعنى مطلق الترك والاعراض عن الشيء تقول ضرب عن كـذا واضرب أي اعرض والذكر الدعاء الى الله والتذكير بعذابه والتخويف من عقابه .

وقال أبو صالح: العذاب نفسه وقال الضحاك ومجاهـد: القـرآن وقيـل: الوحي والقرآن و (صفحاً) مصدر (صفح) بمعنى أعرض مفعول لأجله أي (أفنعزل عنكم انزال القرآن والزام الحجة به اعراضنا عنكم) أو ظرف مكـان بمعنى جانب أي أفننحيه عنكم جانباً ويؤيده قراءة (صفحـاً) بضم الصـاد ويجوز فى هذه القراءة أن يكون حالاً جمع صفوح بفتح الصاد أصلـه صفـح بضم الصاد والفاء وسكنت الفاء تخفيفاً أي صافحين معرضين وذلك انكـار أن يكون الأمر على خلاف ما قدم من انزال الكتاب قرآنـاً عـربيـاً ليعقلـوه ويعملـوا بمـوجبـه أو (صفحـاً) مفعـول مطلق قـال بعض نضرب نمسك وصفحاً امساك والذكر القرآن أي نمسكه عنكم فلا نأمركم ولا ننهاكم وعن ابن عباس ومجاهد ان صفحاً بمعنى العفو والغفـران للـذنـوب كـأنـه يقـول (أفترك تذكيركم وتخويفكم عفواً عنكم وغفراً لاجرامكم) وقال قتـادة وغيره: صفحاً بمعنى (مفعولاً عنه) أي نتركه يمر لا تؤخـذون بقبـولـه ولا بتـدبـره فكان المعنى (أفنترككم سدى) ؟.

وعن قتادة : (والله لو كان هذا القـرآن رفـع حين رده أوائل الأمـة لهلكـوا ولكن بلفظه ورحمته كرره عليهم عشرين سنة أو ما شاء الله ومـا سبق كـونـه يكون لا محالة.

عن ابن عبـاس: (أول مـا خلق الله القلم فقـال: أكتب قـال: رب ومـا أكتب؟ قال: ما هو كائن فجرى القلم بما هو كائن الى يوم القيامـة قـال : فأعمال العباد تعرض كل يوم اثنين ويـوم خميس فيجـدونهـا على مـا هـو فى الكتاب ﴿أن كنتم قوماً مسرفين﴾ مكثرين الذنوب وقيل مشركين بكسر همزة (ان) عند نافع وحمزة والكسائي وهي شرطية جوابها دل عليـه مـا قبلهـا وانـما أتى بان الشرطية الدالة على الشك مع ان اسرافهم مقطوع به اخراجـاً لمحقق

مخرج المشكوك فيه استجهالاً بهم كما يقول الأجير ان كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالم بذلك ولكنه يخيل في كلامه ان تفريطك فى الخروج عن الحق فعل من له شك في الاستحقاق مع وضوحه استجهالاً له أو لقصد التوبيخ وتصوير ان الاسراف من العاقل في هذا المقام يجب أن لا يكون الا على سبيل الغرض والتقدير كالمحال لاشتمال المقام على الآيات الدالة على أن الاسراف لا ينبغى صدوره عن العاقل فهو كالمحال والمحال وان قطع بعدم وقوعه ولكن تستعمل فيه ان الموضوعة للشك لتنزيله فنزلت ما لم يقطع بكذبه قصداً للتبكيت وقرأ الباقون بفتح الهمزة فان حرف مصدر ولام التعليل مقدرة وهى تعليل لما قبلها على معاينة منها قولك أفترك الوحى والأمر والنهي لكونكم قوما مسرفين لا نفعل ذلك قرىء (اذ كنتم) باذ التعليلية وهذه القراءة مؤيدة للتي قبلها ويجوز عند الكوفيين كون ان هذه المفتوحة شرطية وقبله ابن هشام ويؤيده وقوعها في محل المقصورة فى القراءة الأخرى.

﴿وكم أرسلنا من نبي في الأولين﴾ (في) للظرفية وقيل بمعنى (من) وقيل بمعنى (الى) * ﴿وما يأتيهم﴾ أي هؤلاء الأولين.

﴿من نبي الا كانوا به يستهزئون﴾ كما استهزأ بك قومك فذلك تسلية لرسول الله ﷺ والرسل قبله اثنا عشر وثلاثمائة وهو الثالث عشر وذلك رواية أبي ذر وغيره وقيل: ثلاثة عشر وهو الرابع عشر بعد ثلاثمائة ويحتملها رواية أبي قلاية ثلاثمائة وبضعة عشر وكلهم كذب وتكذيبهم حالة ماضية مستمرة ولاستمرارها قال: (يستهزئون) لا استهزأوا *

﴿فأهلكنا أشد منهم بطشاً﴾ أهلكنا الاولين الذين هم أشد من قومك المسرفين بطشاً فالهاء للمسرفين بلفظ الغيبة اخبار للنبي بهم والمراد ناشد الاولين ولم يرجع اليهم ضميراً ليصفهم بالاشدية وفى ذلك تهديد للمسرفين بأن يصيبهم مثل ما أصاب الاولين وهم أشد * ﴿ومضى مثل الأولين﴾

سبق فى آيات من القرآن صفتهم في الاهلاك وهذا من جملة تهديدهم وقيل: سلف أمرهم وصاروا عبرة غابر الدهر وقال صاحب عنوان الدراية قال شيخنا وهو أبو عبد الله التميمي:

يا ويح من غره الدهر فسر به ☆ لم يخلص الصفو الا شيب بالكدر
هو الحمام فلا تبعد زيارته ☆ ولا تقل ليتني منه على حذر
أنظر لمن باد تنظر آية عجباً ☆ وعبرة لأولي الألباب والعبر
أين الألى جنبوا خيلا مسومة ☆ وشيدوا ارماً خوفاً من القدر
لم تغنهم خيلهم يوماً وان كثرت ☆ ولم تفد ارم من الحادث النكر
بادوا فعادوا حديثاً ان ذا عجب ☆ ما أوضح الرشد لولا سيء الظر
تنافس الناس فى الدنيا وقد علموا ☆ ان المقام بها كاللمح بالبصر

وحال الأولين عجيب حقه أن يسير مثلاً * ﴿ولئن سألتهم﴾ أي قومك * ﴿من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ احتجاج على قريش وغيرهم يوجب عليهم التناقض أقروا بالخالق وعبدوا غيره وأقروا أيضاً بعزته وعلمه ومع ذلك أنكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم وذلك أخرجوا بهم وما بعده استدلال منه تعالى بذكر مصنوعاته ويجوز أن يكون (العزيز العليم) لم يقولون لكنه من لازم قولهم خلقهن لله مما تضمنه أقم مقام هذا القول منهم الراء الزاما للحجة ولام لين دليل قسم محذوف ولام ليقولن لام جوابه وعلامة رفع يقول (نون) محذوفة كراهة ثلاث نونات والفاعل واو محذوفة لسكون المدغم بعدها.

﴿الذي جعل لكم الأرض مهاداً﴾ فراشاً كمهد الصبي واقفة ساكنة يمكن الانتفاع بها وقرىء (مهداً) بفتح الميم وسكون الهاء.

﴿وجعل لكم فيها سبلاً﴾ أي طرقاً تسلكونها ﴿لعلكم تهتدون﴾ الى حكمة الصانع بالنظر في صنعه ولتهتدوا الى مقاصدكم في أسفاركم.

﴿والذي نزل من السماء ماء بقدر﴾ بقدر حاجتكم اليه ولم يكن طوفاناً أو

كثيراً يضر البلاد وغيرها ولم يكن قليلاً غير كاف وقيل القدر القضاء وقيل التقدير والتحذير ينزل فى كل ماء مقدر لا يزيد ولا ينقص لكن يكثر هنا مرة وهنالك مرة وعليه ابن عباس وقيل ينزل فى كل عام ما سبق فى علمه أن ينزل فيه فماء قليل وماء كثير* ﴿فأنشرنا﴾ أحيينا به شبه ازالة قحطها باحياء ميت * ﴿به بلدة ميتاً﴾ أي يابسة قاحطة وذكر ميتاً لتأويل البلدة بالبلد والمكان أو لأن الاصل ميت بالتشديد وأصله فعيل فقيل التذكير مع المؤنث وسماها ميتاً لزوال النماء عنها كما يزول عن الحيوان بموته * ﴿كذلك﴾ أي مثل ذلك الانشار * ﴿تخرجون﴾ احياء من قبوركم يرسل الله ماء كمني الرجل من السماء فينبتون كما تنبت الأرض .

وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بفتح التاء وضم الراء .

﴿والذي خلق الأزواج كلها﴾ أي الأصناف كالشتاء والصيف والليل والنهار والأرض والسماء وكل واحد زوج لا كل اثنين كما قيل وعن بعض كل ما سوى الله فهو زوج والفرد الله * ﴿وجعل﴾ أي خلق * ﴿لكم من الفلك﴾ أي السفن * ﴿والأنعام﴾ كالابل ﴿ما تركبون﴾ ركوب السفينة يتعدى بفي وركوب الدابة بنفسه ويعدي الركوب هنا بنفس أي تركبونه تغليباً لركوبها على ركوب السفينة ووجه التغليب ان التعدي بالنفس أصل للتعدي بالحرف وان السفن مصنوعة للركوب والدابة مخلوقة له أو ان ركوب السفينة قليل والدابة كثير كذا قيل وليس هذا مطرداً فى الازمان والاماكن وقد يقال التحقيق ان ركوب السفينة يجوز تعديه بنفسه فلا تغليب (ومن) للتبعيض أو البيان ﴿لتستووا﴾ لام التعليل والفعل منصوب وزعم بعض انها لام الأمر والفعل مجزوم وأمر المخاطب باللام ضعيف كقوله (لتقسم أنت يا ابن خير قريش فلتقض حوائج المسلمين) قاله ابن هشام * ﴿على ظهوره﴾ أي ظهور ما تركبون جمع الظهر نظراً لمعنى ما هو الفلك والانعام وأفرد الضمير وذكره نظراً للفظها *

﴿ثم تذكروا نعمة ربكم﴾ فى قلوبكم اعترافاً بنعم الله وتعظيماً له *

﴿اذا استويتم عليه﴾ ذكر وأفرد نظر اللفظ ما خص الله الأنبياء وبعض الصديقين بمعرفة نعمه في جميع حالاتهم فعظمت عندهم حتى رأوا ما رأوا وشاهدوا ما شاهدوا بخلاف غيرهم ممن لم يعرفها الا فى مطعمه ومشربه وملبسه ومركبه فقد صغرت عنده نعم الله فصار فى جانب التسفل.

﴿وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا﴾ أي ذلله *

﴿وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون﴾ هذا ما يقوله عند استوائه على الدابة وقيل ذكر النعمة أن يقول قبل هذا القول الحمد لله الذي من علينا بمحمد ﷺ وهدانا للاسلام وعلمنا القرآن وأما السفينة فيقول بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم .

وعن ابن عمر ؛ أن رسول الله ﷺ اذا استوى على راحلته وفي رواية على بعيره خارجاً لسفر «حمد الله تعالى وسبح وكبر ثلاث تكبيرات وقال (سبحان) الى (لمنقلبون) اللهم انا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى والعمل بما ترضى اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو لنا بعده اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل اللهم اني أعوذ بك من وعثاء السفر أي مشقته وكآبة المنظر أي الحزن فانه يرى في الوجوه وسوء المنقلب أي الرجوع غير مبرح مضرور أي أهل ومال أو ولد كما صرح به في رواية هكذا وسوء المنقلب في الأهل والمال والولد واذا رجع قال ذلك وزاد آبون تائبون عابدون لربنا حامدون» .

وروي عن أبي هريرة انه ﷺ يقول اذا قرب راحلته ليركب وأحياناً اذا ركبها : «بسم الله اللهم أزو لنا الأرض وهون علينا السفر اللهم أنت الصاحب الى الولد».

وعن علي بن ربيعة : (شهدت علي بن أبي طالب وقد أتى بدابة ليركبها فلما وضع رجله في الركاب قال بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ثم قال الحمد لله ثلاث مرات ثم قال الله أكبر ثلاثاً ثم قال سبحانك اني ظلمت نفسى

فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت ثم ضحك فقلت: ياأمير المؤمنين لِمَ ضحكت ؟ فقال: رأيت رسول الله ﷺ فعل كما فعلت فقلت: يا رسول الله من أي شيء ضحكت فقال: ان ربك يعجب من عبده اذا قال اغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب غيرك فان صح الحديث فما ضحكه جل عن النقائص الا رضاه وفي الحديث «ان على ظهر كل بعير شيطاناً فاذا ركبتموها فسموا الله» ومعنى (مقرنين) مطيقين وأصله من أقرنت الشيء بمعنى وجدته قريني والصعب لا يكون قرينه الضعيف وقرىء بالتشديد مكسوراً كذلك والمعنى واحد وعنه ﷺ «اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله واذا استوى عليها قال الحمد لله على كل حال (سبحان) الى (لمنقلبون) وكبر ثلاثاً وهلل ثلاثاً» ورأى الحسن قائلاً عند الركوب سبحان الذي سخر لنا هذا فقال أبهذا أمرتم فقال وبم؟ قال: أن تذكروا نعمة ربكم نبهه على الحمد وهذا من أحسن مراعاتهم لآداب الله رزقنا الله اياها.

قال الزمخشري: (ما أحسن بالعاقل النظر في لطائف الصناعات فكيف بالنظر الى لطائف الديانات وقد قيل ان من يركب ولم يقل ما قال الله فعطب هلك وقد قيل يقال ذلك أيضاً عند ركوب السفينة ووجه اتصال (وانا الى ربنا لمنقلبون) بما قبله انه كثيرا ما ينقلب راكب دابة الى ربه بموته لعثورها أو نفورها وراكب سفينة يغرق ولا يترك ذكر ذلك في كل مخوف كطلوع نخلة ونزول بئر ومن ملك شيئاً من هذه الحيوانات فليرفق به ويحسن اليه لينال رضى الله ويكن العبد معظماً لربه نفاعاً لخلقه خيراً في قومه مشفقاً على عباده فان رأس المعرفة تعظيم أمر الله سبحانه والشفقة على خلقه وبينما رجل وقيل امرأة يمشي بطريق فاذا اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب فخرج فاذا بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا العطش مثل الذي بلغ مني فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسك بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له ذكر ذلك رسول الله ﷺ فقالوا: فان لنا في البهائم أجراً فقال: في كل كبد رطبة أجر قلت: وكذا في

الاساءة الى الحيوان اثم ويستثنى من ذلك ما يضر كالحية والأسد .

وعن ابن عمر عن النبي ﷺ : (دخلت امرأة النار فى هرة حبستها فلا هى أطعمتها ولا هى أطلقتها تأكل من خشاش الأرض)

ودخل ﷺ حائطاً من حيطان الانصار فاذا جمل قد أتى فجرجر وذرفت عيناه فمسح رسول الله ﷺ سراته وذر فاه فسكن فقال: من صاحب الجمل؟ فجاء فتى من الانصار فقال: هو لي يا رسول الله فقال له: أما تتقى الله في هذه البهيمة التى ملكك الله ان شكا اليّ انك تجيعه وتذيبه) والسراة الظهر والذرفاء ما وراء الاذنين . هذا وينبغي للراكب أن يستحضر ركوب الجنازة وشتان بين من يستحضر ذلك وبين من يركب مهملاً وناوياً للمعاصي ركب سلطان من بلد الى بلد مسيرة شهر ولم يصح من الخمر الا بعد الوصول فلم يشعر بمسيره * ﴿وجعلوا﴾ حال من واو ليقولن المحذوفة أي ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليعترفن بالله وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف جزءا وصفوه بصفات الخلق والماضي يقع حالاً مقروناً بالواو ولو جرد من قد وقيل: لا إلا ان قرن بها أو قدرت وعليه تقدر كما رأيت أو يقدر مبتدأه أي (وهم جعلوا) ويصح الاستئناف والجعل الاثبات فهو متعد أو واحد للاعتقاد أو التصيير لاثنين * ﴿له﴾ أي الله ﴿من عباده﴾ من خلقه* ﴿جزءاً﴾ أي ولداً وهو الملائكة يقولون انهم بناته تعالى واطلاق الجزء على الولد لانه جزء أبيه وزعم بعض الكذابين أن الجزء في لغة العرب يطلق على الأنثى وفسر به الآية وادعى انه يقال أجزأت المرأة بمعنى أتت بجزء وهو الولد وصنع بيتاً هو قوله :

ان أجزأت حرة يوماً فلا عجب قد تجزىء الحرة المذكار أحياناً

فلعنه الله ولعن أمثاله وقيل جعلوا له جزءا نصيباً وحظاً وهو الملائكة زعموا انهم بناته وذلك المعنى على القولين قول الأكثرين ويؤيده السياق وقال قتادة: المراد بالجزء الأصنام ونحوها وقرىء (جزء) بضم الزاي كالجيم وعليه أبو بكر وقرأ أبو جعفر بتشديد الزاي * ﴿ان الانسان﴾ القائل ذلك

أو حقيقة الانسان مطلقاً ﴿لكفور مبين﴾ كثير الجحود للنعمة مبالغة واضحة ومن ذلك نسبة الولد اليه لفرط جهله والكفر أصل للكفران كله.

﴿أم اتخذ مما يخلق بنات﴾ (أم) بمعنى همزة الانكار والتوبيخ قال بعض وللاضراب وقدر بعضهم مع ذلك القول أي أتقولون اتخذ وفي (أم) أيضاً التعجب بالنظر الينا وذلك انهم لم يكفهم جعل الجزء له حتى جعلوه أخس وهو الأنثى ﴿وأصفاكم﴾ أخلصكم ﴿بالبنين﴾ وتنكير بنات وتقديمهن وتعريف البنين وتأخيره لما مر فى أواخر الشورى وكأنه قيل هب ان اتخاذ الولد جائز فرضاً وتمثيلاً أما تستحيون من هذه القسمة الضيزى وهي ادعاء ايثاره اياكم بخير الجزءين وهو الذكر وتركه لنفسه شرهما وهم الأنثى اليت أنتم أنفر خلق الله عنها حتى انهم يقولون الله صاحب بنات فألحقوا البنات به فيقتلونهن وحتى انهم يشتد غمهم عند ولادتهن كما قال *

﴿واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن﴾ أي بالجنس الذي جعله له * ﴿مثلا﴾ بمعنى المثل بكسر وسكون وذلك أن الولد يماثل أباه * ﴿ظل﴾ أي صار * ﴿وجهه مسوداً﴾ كثير الكآبة والغم حتى كان وجهه أسود لما يرى عليه أو هو سواد يأتي لذلك ومسوداً للتكثير والا لقال أسود بالتخفيف وللدلالة على الحدوث وقرىء مسواداً للتكثير والدلالة على الحدوث والاشعار بالزوال وقرىء برفع مسوداً ومسواد على أنه خبر وجهه والجملة خبر ظل واسمه مستتر عائد للمبشر ﴿وهو كظيم﴾ مملوء القلب من الكرب والغم ولد لعربي أنثى فهجر بيت امرأته فقالت:

ما لأبي حمزة لا يأتينا ☆ يظل فى البيت الذي يلينا
غضبان ألاّ نلد البنينا ☆ ليس لنا من أمرنا ما شينا
وانما نأخذ ما أعطينا ☆ حكمة خالق قدير فينا

وليس من نسبة الولد الى الله قول البربر * باب (رب) لان مرادهم سيدي الا انه لفظ قبيح يزجر عنه * ﴿أو مَن﴾ الهمزة انكار أحقية جعل

من هذه صفته ولداً له وللتوبيخ والتعجيب وهي مما بعد واو العطف أو من محذوف والمعطوف محذوف أي ويجعلون أو يجعل *

﴿من يُنشّأُ في الحلية﴾ ولدا لله وهذا تحقير لشأنه (وينشأ) يتربى (والحلية) الزينة والنعمة من نحو ذهب وفضة وحجر وغير ذلك وذلك هو الأنثى وذلك انها لنقصانها احتاجت أن تزين نفسها فعلى الرجل اجتناب تصنع النساء ويأنف منه ويزين باطنه بالتقى .

وقرأ حمزة والكسائي وحفص بضم الياء وفتح النون وتشديد النون مفتوحة أي يربي أو قرىء (ينشوا) أي يتربى ويناشىء أي يربي كعالاه بمعنى أعلاه ويجوز تقدير ناصب من مادة الاتخاذ بل هو أولى لسبقها ويجوز كون (من) مبتدأ أي (أو من هذه حالته ولده) فحذف الخبر * ﴿وهو في الخصام﴾ أي المجادلة وفى مصحف ابن مسعود وهو في الكلام * ﴿غير مبين﴾ غير مظهر ومقرر لحجته عند الخصام لا يبان له لحجته وهذا نقص آخر وذلك لضعف عقلهن وحالهن.

قال قتادة: (قلما تكلمت امرأة تريد حجتها الا تكلمت بالحجة عليها، وقلما تجد امرأة الا تفسد الكلام وتخلط المعاني)

وقال ابن زيد: المراد بمن (ينشأ في الحلية) الأصنام لانها تحلى بالذهب والفضة وغيرهما ولا تعرف الكلام أصلاً وفي الخصام متعلق (بمبين) وتقدم معمول المضاف اليه على المضاف لان الاضافة غير محضة. قاله ابن مالك وقال ابن هشام يعطى الشيء حكم ما أشبهه فى معناه نحو (زيداً غير ضارب) لانه في معنى (انا زيد لا اضرب) ولولا ذلك لم يجز اذ لا يتقدم المضاف وكذا معموله لا تقول (زيداً أول ضارب) ودليل المسألة وهي في الخصام غير مبين الخ.

﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن﴾ العبودية مثال لزلفاهم هذه قراءة نافع وابن كثير ويعقوب وابن عباس قيل وابن عامر وقرأ الباقون من السبع (عباد) وقرىء عبيد * ﴿اناثا﴾ وقرىء (أناثى) وهو جمع الجمع كفروا

بنسبة الولد الى الله ونسبة أخس النوعين اليه وجعلهم الملائكة ذلك الأخس مع أنه أكرم خلق الله فاحتقروهم * ﴿أشهدوا﴾ انكار وتوبيخ وتعجيب أي جعلهم الله شاهدين حاضرين* ﴿خلقهم﴾ أي خلق الله اياهم أي لم يحضرهم عند خلق الملائكة فيعلموهم اناثاً وهو تجهيل وتهكم بهم والهمزة الثانية مضمومة مسهلة بين الهمزة والواو عند نافع وبادخال ألف بينهما عند قائلين في رواية وقرأ الباقون أشهدوا بهمزة واحدة مفتوحة وفتح الشين.

﴿ستكتب شهادتهم﴾ على الملائكة انهم بنات الله وقرىء سيكتب بالمثناة تحت والباء للفاعل ونصب شهاداتهم وفاعله ضمير الله وقرىء (سنكتب) بالنون كذلك وقرىء شاداتهم بالرفع مع التاء والجمع وبالنصب بالكسرة مع الياء التحتية مع النون * ﴿ويسألون﴾ عنها يوم القيامة سؤال توبيخ ويعاقبون عليها وذلك وعيد مفضح لهم قيل لما قالوا ذلك سألهم النبي ﷺ ما يدريكم انها بنات الله ؟ قالوا سمعنا آباءنا ونحن نشهد انهم لايكذبون فقال الله ستكتب شهادتهم ويسألون وعن سليمان بن راشد انه بلغه ان أمرأ لايشهد شهادة في الدنيا الا شهد بها يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ولايمتدح عبداً في الدنيا الا أمتدح يوم القيامة على رؤوس الاشهاد.

قال القرظي: وهذا صحيح تدل له الآية وقوله (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) وقرىء (يسألون) بياء مضمومة فسين مفتوحة فألف فهمزة فلام.

﴿وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم﴾ ما عبدنا الملائكة فعبادتنا اياهم بمشيئة فهو راض بها واذا لم يعاقبنا وهذا كفران الى الثلاثة السابقة عبادة الملائكة وادعاء رضى الله بها وهذا كما تقول المجبرة قبحهم الله وليس فى العباد أبغض الى الله من حمل ذنبه على الله زعم بعضهم انهم لو قالوا ذلك جادين لا مستهزئين لكانوا مؤمنين ويرده انه لا دليل على انهم قالوه استهزاء بل دلت على عدم الاستهزاء حكاية انهم جعلوا من عبادة جزءا أو انهم قالوا باتخاذ الملائكة بنات وانهم عبدوهم ذكر ذلك عندهم ذما لهم وشهادة بالكفر

ولو كان هزءا لكان النطق بالمحكيات قيل هذا المحكي الذي هو ايمان عند ذلك البعض لو نطقوا بها بالجد مدحاً لهم من قبل انها كلمات مكفرات وان جعل هذا المحكى وحده مقولاً بهزء فما ذلك الا تعويج فى الكتاب الذي لا يطرقه الباطل ولو كانت هذه كلمة حتى نطقوا بها هزؤا لم يكن لقوله تعالى.

﴿ما لهم بذلك من علم ان﴾ أي ما * ﴿هم الا يخرصون﴾ يحدسون ويكذبون لان من قال لا اله الا الله على طريق الهزء كان الواجب أن ينكر عليه استهزاؤه ولا يكذب به لانه لا يجوز تكذيب الناطق بالحق جاداً أو هازئاً ويرده أيضاً انهم لو قالوا ذلك جداً لم يكن ايماناً لانهم قالوه مع بقائهم على خصال من الشرك واستدلالا لهم بأنه لو شاء الرحمن ما عبدناهم استدلال ينفي مشيئته عدم العبادة على امتناع النهي عنها أو على حسنها وذلك باطل لان المشيء ترجيح بعض الممكنات على بعض مأموراً كان أو منهياً عنه حسناً أو غيره ولذلك جهلهم بأنه لا علم لهم بذلك وانه (ما هم الا يخرصون) قرىء يتعجلون تمحلاً وباطلاً يكذبون والاشارة الى القبول بالرضى بعبادة الملائكة ويجوز أن تكون الى أصل الدعوى كأنه لما أبدى وجوه فسادهم وحكى شبههم المزيفة نفى أن يكون لهم بها علم عن طريق العقل وتفسير بعضهم ما لهم بقولهم ان الملائكة بنات الله من علم (ان هم الا يخرصون) فى ذلك لقول لا فى تعليق عبادتهم بمشيئة الله تمحل مبطل .

قاله الزمخشري ولما نفى ذلك عن العقل قال مضرباً ومنكراً لن يكون لهم سند من جهة النقل * ﴿أم آتيناهم﴾ أعطيناهم* ﴿كتاباً من قبله﴾ من قبل القرآن أو من قبل أدعيائهم أو من قبل الرسول ينطق بصحة ما قالوه من عبادة غير الله وقولهم ان الملائكة بنات الله وقولهم ان الله لم يكره ذلك ﴿فهم به مستمسكون﴾ أي بذلك الكتاب *

﴿بل قالوا انا وجدنا آبائنا على أمة﴾ بضم الهمزة وقرىء بكسرها والمعنى على كل حال هو الملة والدين وقال الطبري: (الطريقة) والمراد ملة الشرك ودينه وطريقه وتغلبت الاسمية عليها ويجوز البقاء على الأصل فالأمة بالضم

الطريقة التى تؤم أي تقصد كالدخلة للمدخول اليه والرحلة للمرحول اليه وبالكسر الحالة التى يكون عليها من هو (آم) أي قاصد وقيل المراد النعمة وقيل: هى والحال الحسنة.

﴿وانا على آثارهم مهتدون﴾ آثار جمع أثر وهو أثر نحو القدم (وعلى) متعلقة بـ (مهتدون) أو حال من المستتر فيه (ومهتدون) خبر ان أو بمحذوف خبر أول أي ثابتون أو ماشون على اثرهم (ومهتدون) خبر ثان أي لم نخط ملتهم وهى عبادة غير الله والقول بأن الملائكة بنات الله وبأن الله راض ونحو ذلك وهم على هدى فانا نهتدي بهداهم وما لهم من حجة عقلية ولا نقلية وانما احتجوا بالتقليد وفى الآية عيب التقليد ويجوز كون (مهتدون) بمعنى (متبعون) وهو اسم فاعل على كل حال أصله مهتديون نقلت ضمة الياء لثقلها الى الدال بعد سلب كسرها فالتقى ساكنان حذف الأول وهو الياء وسلي النبى ﷺ وضرب له مثلاً بقوله.

﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير﴾ أي نبي ﴿الا قال مترفوها﴾ أي الذين أترفتهم النعمة وأبطرتهم وهم مشركوها الجبابرة الرؤساء وسبب قولهم انهم يحبون الشهوات والملاهي ويكرهون مشاق الدين والآية أخبرت ان ذلك القول والتقليد أمر قديم وان متقدميهم لا حجة لهم عقلية ولا نقلية.

﴿انا وجدنا آبائنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون﴾ أي متبعون وفى الآية مثل ما مر فى الآية قبلها ﴿قل﴾ لهم وقرىء ﴿قال﴾ ﴿أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم﴾ الواو للعطف على (قالوا) والهمزة من المعطوف أو الواو للعطف على محذوف دخلت عليه الهمزة أي أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين أبائكم وانما أتى باسم التفضيل (ومن) التفضيلية مع ان ما وجدوا عليه آباءهم لا هداية فيه أصلاً للنظر الى مدعاهم انه هداية فلا دليل في الآية على خروج اسم التفضيل عن معناه التفضيلي مع وجود (من) التفضيلية وفي ذلك استجلاب وتسليم جدلى حيث أثبت لهم مجرد

اللفظ أصل الهداية ولمجيء (أهدى) أمر ماض ووقوعه بعد أداة الشرط لحكاية الحال الماضية الموحاة الى النذير المجرور بمن على أن الخطاب له كما يدل عليه قراءة ابن عامر وحفص قال والخطاب لرسول الله ﷺ وقرىء (لو جئناكم) ويدل أيضاً على أن الخطاب يقل للنذير قوله * ﴿قالوا﴾ أي المترفون*

﴿انا بما أرسلتم به كافرون﴾ خطاب منهم لرسلهم بما يقنطهم صلى الله عليهم وسلم من ايمانهم ومن النظر والتفكر ولو كان قل خطاباً للنبي ﷺ (وجئتكم) الخ خطاباً منه لقومه لكان قوله (قالوا انا بما أرسلتم به كافرون) معترضاً بين ذلك وبين قوله * ﴿فانتقمنا منهم﴾ أي من المترفين استيصالاً والاصل عدم الاعتراف وان قلنا (قل) الخطاب للنبي وجئتكم الخ خطاب لقومه فضمير (قالوا) لقومه ﷺ والمعنى الاخبار والازراء بهم بأنهم قالوا (انا بما أرسلتم به أنت ومن قبلك كافرون) وبما متعلق بـ (كافرون) وقدم المفاضلة والاهتمام به من حيث الكفر والاخبار بالانتقام وعيد لقريش وضرب مثل بمن سلف.

﴿فأنظر كيف كان عاقبة المكذبين﴾ كانت اهلاكاً وادخالا للنار فلا تكترث بتكذيب من كذبك فعاقبته ذلك (وكيف) حال من عاقبه (وعاقبة) بالرفع فاعل كأن التامة أو (كيف) خبر وعاقبة مبتدأ وكان زائدة أو (كيف) خبر كان (وعاقبة) اسمها ولم تكن التاء فى (كان) لان عاقبة ظاهر مؤنث مجازاً وقال ابن عصفور: (زيادة (كان) مختصة بالشعر * ﴿واذ﴾ أي واذكر وقت * ﴿قال ابراهيم﴾ أمره بالذكر ليروا كيف تبرأ ابراهيم عن التقليد وتمسك بالدليل وليقلدوا ابراهيم فانه شرف آبائهم أو أمره بذلك تحليلاً له ﷺ أن يقول ذلك كما قال ابراهيم * ﴿لأبيه وقومه انني براء﴾ بفتح الباء مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد وغيره وعبارة بعض أنه صفة تجرى على الواحد المذكر وغيره والمراد به (بريء) . كما قرأ ابن مسعود به وقرىء (براء) بضم الباء والراء بكسرها ﴿مما تعبدون﴾ أي مما

تعبدونه ومن عبادتكم ويؤيد الأول قوله * ﴿الا الذي أفطرني﴾ أوجدنى وخلقنى فاني لا أبرأ منه بل أعبده لكونه أهلا للعبادة فانه الخالق فان جعلت (ما) مصدرية أو موصولاً اسمياً أو نكرة موصوفة واقعة على الأصنام وهى غير عاقلة ولا يعبدون الا اياها فالاستثناء منقطع وان جعلت موصولاً اسمياً أو نكرة موصوفة واقعة على ما يعلم وما لا يعلم وقلنا انهم يعبدون الله وغيره من الاصنام فالاستثناء متصل وأجازه الزمخشري كون الذي بدلاً مما أجازه ابدالاً في الاثبات بعد (الا) ويجوز كمن (الا) اسماً مضاف للذي بمعنى غير (نعتاً) لما النكرة الموصوفة وقيل (الا) حرف والنعت هي وما بعدها ولا يصح معنى الابدال الا ان قلنا بعبادتهم لله والأصنام * ﴿فانه سيهديني﴾ فى المستقبل وفى الآية الأخرى يهدينى والمراد بـ (يهدي) الحال على استمرار الهداية فى الحال والاستقبال جميعاً والهداية المستقبلة ثبات على الهداية أو هداية لأشياء أخرى فان الطاعة لا تتناهى * ﴿وجعلها﴾ أي جعل ابراهيم كلمة التوحيد أو جعلها الله * ﴿كلمة باقية﴾ أي كلاماً باقياً واطلاق الكلمة على الكلام حقيقة لغة وقيل مجاز من اطلاق اسم البعض على الكل * ﴿في عقبه﴾ أي فى ذريته أو بعده فيكون أبداً في ذريته أو بعده من يوحد ويدعو اليه الى آخر الدنيا وانما عاد الضمير المنصوب الى كلمة التوحيد للدلالة عليها بقوله (انني) الخ وعبارة بعضهم ان قوله (انني براء) الخ استدعاء وترغيب في طاعة الله ولعل مراده استدعاء وترغيب لقريش وغيرهم بحكايته والأمر بالذكر له وان الضمير في (جعلها) قالت فرقة لكلمة التوحيد فى قوله (انني براء) الخ وان مجاهداً وغيره قالوا انه لكلمة لا اله الا الله لان اللفظ يتضمنها والعقب الذرية وولد الولد ما امتد وفروعهم* وقرىء (كلمة) بفتح الكاف واسكان اللام (وعقبه) بفتح العين واسكان القاف لغة فيهما وفيما وازنهما للتخفيف وقرىء في عاقبه بالالف أي فيمن عقبه * ﴿لعلهم يرجعون﴾ لعل من أشرك منهم يرجع الى التوحيد بدعاء من وحد اليه والترجي بالنظر الى الخلق والقول بأن العقب في الآية الذين

ضعيف وقيل الضمير إن في (لعلهم يـرجعـون) لأهـل مكـة لعلهم يرجعـون عمـا هم عليـه الى دين ابـراهيم ﴿بل متعت هؤلاء﴾ المشركين المعاصرين لرسول الله ﷺ ﴿وأباءهم﴾ بالمد فى العمر والنعمة ولم أعـاجلهم بالعقوبة واشتغلوا بذلك عن التوحيد وهذا توبيـخ لهم وتقبيـح وتعبير متعهم بطول العمر وسعة الرزق والعافية وكان ذلك وسيلة لشركهم والواجب عليهم الشكر والتوحيد كما تـوبـخ من أحسنت اليـه وأسـاء بقـولك أنـا السبب فى اساءتك اذ أحسنت اليك ولم ترد تقبيح الاحسـان وكـذا المـراد التـوبيـخ فى قراءة (بل متعنا) وقراءة بل (متعت) بفتح التاء الا ان فى هذا مزيد تـوبيـخ كأنه جرد من ذاته ذاتاً خاطبها واعترض على نفسه فى قوله (وجعلهـا كلمـة باقية فى عقبـه لعلهم يـرجعـون) * ﴿حتى جـاءهم الحق﴾ الاسلام وقيـل القرآن * ﴿ورسول﴾ سيدنا محمد ﷺ ﴿مبين﴾ واضح الرسالة بمعجزاته من ابان اللازم وموضح لرسالته بالآيات أو موضح التوحيد والأحكام بـالحجج والآيات من أبان الهدى وجعل مجبي الحق والرسول غاية للتمتيع لان تمتعهم المفهوم من التمتع المراد به مسببه وهو اشتغالهم عن التوحيد والطاعة فخيـل انهم ينتهون عند مجيئهما لانه سبب الانتهاء * ﴿ولما جاءهم الحق﴾ لينتهوا * ﴿قالوا هذا سحر وانا به كـافـرون﴾ جاء وانما هـو أقبـح من اشتغـالهم عن التوحيد والطاعة غفلة ضموا الى هذا الشرك شرك المعاندة والمكابرة للـرسـول ومعاداته والاستخفاف بالقرآن والشرع والرسول واصرار عقب الانـذار وقـدم به للمفاضلة والاهتمام بـالحق من حيث التكـذيب * ﴿وقالوا لولا﴾ حرف تخضيض *

﴿نزل هذا القرآن على رجل من﴾ احدى * ﴿القريتين﴾ نعت لرجل على حذف مضاف أي من أهل القريتين أو من رجلي القريتين وعلى تسمية الحال باسم المحل فالمراد بالقريتين الناس الساكنيها أو القرية حقيقة في المحل وفي أهله وذلك خـلاف * ﴿عظيم﴾ نعت آخـر من تقـديم النعت الظـرفي على المجـرد ان لم يحـل من القـريتين حـالا من ضمير عظيم و القـريتـان مكـة

والطائف وعظيم مكة الوليد بن المغيرة المخزومي وعظيم الطائف حبيب بن عمرو الثقفي قاله ابن عباس وغيره وبعض يقول حبيب بن عمرو بن عمير وقيل عظيم مكة الوليد بن المغيرة وعظيم الطائف عروة بن مسعود الثقفي ويكنى ابا مسعود وقيل عظيم مكة عتبة بن ربيعة وعظيم الطائف أبو عمير بن عبد ياليل الثقفي وممن قال عظيم مكة عتبة بن ربيعة وعظيم الطائف كنانة أو عمير مجاهد وممن قال عظيم مكة الوليد وعظيم الطائف عروة قتادة.

وقد بان لك أن المراد من احدى القريتين ومرادهم ان منصب النبوة منصب عظيم شريف لا يليق الا بشريف عظيم المال والجاه من إحداهما فاذا لم يكن محمد كذلك فليس بنبي لعنهم الله لم يعلموا ان النبوة رتبة يتأهل لها بسابق علم الله من تحلٍ بالفضائل القدسية لا من تحلٍ بعرض الدنيا لما كرر الله عليهم الحجج بأنّ الرسل لا يكونون الا رجالاً من أهل القرى لانكارهم أنكروا من وجه آخر هو تحكمهم أن يكون أحد هذين الرجلين وعن بعض أن المراد عظيم السن والا فرسول الله أعظم من هؤلاء اذ كان المسمى عندهم الأمين وقوله*

﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾ أي النبوة انكاراً لصحة فعلهم وتوبيخاً لهم عليه وهو التحكم بأحد الرجلين وتجهيلاً لهم وتعجيباً منهم من أين يكون لهم مفاتيح النبوة وتدبيرها فيضعوها حيث شاءوا وهذا أمر لا يتولاه غيره من ملك ونبي مكلف بهم وقيل المراد بالرحمةالنبوة وغيرها وكيف وهم عاجزون عن تدبير أمرهم من معيشة في الدنيا * ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم﴾ مأكلهم ﴿في الحياة الدنيا﴾ ولم نسو بينهم فمنهم غني وفقير وقوي وضعيف وفي هذا دليل على أن المعيشة خلالهم وحولهم من الله وان الحرام رزق لا كله فالمغصوب رزق لغاصبه يؤاخذ عليه من حيث الغصب ويطلق عليه رزق الله خلافاً لبعض وخطأ من قال أكل غير رزقه والآية ضربت مثلا لعجزهم وتزهيداً في السعاية وعوناً على التوكل وازالة للمراء قال بعضهم لما أتى (نحن قسمنا بينهم) زال المراء قال ﷺ «اذا أراد الله بعبد خيرا أرضاه بما قسم له

وبارك له فيه واذا لم يرد به خيراً لم يرضه بما قسم له ولم يبارك فيه *

﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات﴾ في الرزق وغيره غني وفقير ومالك ومملوك وقوي وضعيف ومخدوم وخادم وعريق ومولى * ﴿ليتخذ﴾ متعلق برفعنا ﴿بعضهم﴾ كالغني والمخدوم والمالك ﴿بعضاً﴾ كالفقير والخادم والمملوك ﴿سخرياً﴾ مسخر بالعمل له بالاجرة أو غيرها أي ليستعمل بعضهم بعضا في حوائجه فيحصل بينهم التضامن والتآلف ولو استووا في الفقر مثلاً لهلكوا أو في الغنى لهلك بعضهم بعضاً وخربت الدنيا ولو كان لهم تدبير ما في الأمر لدبر الفقير لنفسه الغنى والدليل العز وهكذا وعن بعضهم المراد باتخاذ البعض بعضاً سخرياً أن يملكه والسين مضمومة وقرىء بكسرها والياء للنسب والمراد كما مر التسخير بالعمل أي الاستخدام ولا مدخل لمعنى الهزء هنا * ﴿ورحمة ربك﴾ الجنة وقيل النبوة وما يتبعها وقيل دين الله وما يتبعه من الفوز في الدنيا وعلى الأول قتادة والسدي ﴿خير﴾ في نفسها ولا يصلها الا المؤمن ﴿مما يجمعون﴾ أي الكفار من حطام الدنيا والعظيم من رزق من رحمة ربك لا من رزق من حطام الدنيا فانه على شرف الزوال والانقراض وعن بعضهم لا شك أن الجنة هى الغاية ورحمة الله في الدنيا الهداية والايمان وفي الآية تزهيد في الدنيا وتحقير لها.

﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة﴾ أي مجتمعين على الكفر والشرك اذا رأوا الكفار في سعة وتنعم وقدر بعضهم لولا كراهة أن يكون *

﴿لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم﴾ بدل اشتمال من قوله لمن أو تعلل أي لأجل بيوتهم كقولك وهبت له ثوباً لقميصه أي ليكون له قميصاً وهب لهم سقفاً من فضة لتكون سقف بيوتهم أو حال من (سقفاً) * ﴿سقفاً﴾ بضمتين جمع سقف بفتح فسكون وقرىء (سقفاً) بضم فاسكان للتخفيف كرسل ورسل ولو اختلف مفرده ومفرد الرسل وقال الفراء: السقف بضم فاسكان جمع سقيفة وقرىء (سقوفاً).

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (سقفاً) بفتح السين واسكان القاف مفرداً

بمعنى الجمع بدليل جمع البيت أو لان المعنى جعلنا لكل بيت سقفاً وقرىء (سقفاً) بفتحتين لغة في المفرد ﴿من فضة﴾ سميت لانها تفض أي تذهب سريعاً * ﴿ومعارج﴾ جمع معرج بدون ألف أي آلة العروج أي الصعود وهى الدرج ومن أجاز حذف ياء مفاعيل أجاز أن يكون جمع معراج بالألف وقرىء (معاريج) بالياء جمع (معراج) بالألف والمراد معارج من فضة * ﴿عليها يظهرون﴾ أي يعملون عليها الى السطوح ومنه قولة عائشة رضي الله عنها : (والشمس في حجرتها لم تظهر بعد) * ﴿ولبيوتهم أبواباً﴾ أي وجعلنا لبيوتهم أبواباً من فضة أو عطف على معمولي عامل ويراعى المبدل منه في ذلك فانهم ﴿وسرراً عليها يتكئون﴾ أي وجعلنا لهم سرراً أو معطوف على (أبواباً) كما تقول جعلت للدار خادماً مع انه يخدم أهلها لا نفسها و(سرراً) جمع سرير وهو نوع من الكراسي وقرىء (سرراً) بفتح الراء لاستثقال الضمتين مع حرفي التضعيف * ﴿وزخرفاً﴾ أي ذهباً.

قاله ابن عباس وقتادة والسدي وقالت فرقة الزينة من كل شيء كالتزويق والنقش ونحوه مثله (حتى اذا أخذت الأرض زخرفها) سئل ابن هشام ان لولا للامتناع فيلزم أن لا يكون للكفار معارج ولا أبواب لبيوتهم ولا سرر لهم وأجاب بأن المراد معارج من فضة وأبواب منها وسرر منها وقال ان الآية في بيان حقارة الدنيا عند الله والمعنى والله أعلم ولولا كراهة أن يكون الناس أمة واحدة مجتمعة على الكفر لوسعنا الدنيا على الكفار لحقارتها عندنا فجعلنا لهم كذا كذا ولا قدر لها عند الله قال ﷺ : «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة» وروي (جرعة ماء).

وعن ابن مسعود : (اضطجع رسول الله ﷺ على حصير فأثر في جنبه فلما استيقظ جعلت أمسح عليه وأقول يا رسول الله ألا أذنت لي قبل أن ينال هذا الحصير منك فأبسط عليه شيئاً يقيك فقال رسول الله ﷺ «مالي وللدنيا وما للدنيا ومالي ما أنا والدنيا الا كراكب استظل في فيء أو ظل شجرة ثم راح وتركها» .

ودخل عمر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ فوجده على سرير أثر فيه شريطه فبكى وقال ﷺ: ما يبكيك فقال: فكرت فيما فيه قيصر وكسرى من النعم وهما كافران وأنت رسول الله فيما أرى فقال: «أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم».

وروي أن الشريط المذكور من شريط المدينة وان تحته ﷺ وسادة أديم حشوها ليف وان سرر كسرى وقيصر من الذهب والفضة وانه قال: «يا ابن الخطاب أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة» فقال: بلى قال كذلك».

وعن الحسن وأبي هريرة : (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) .

وعن قتادة بن النعمان أن رسول الله ﷺ قال «اذا أحب الله عبداً حماه من الدنيا كما يظل أحدكم يحمى سقيمه من الماء» .

قال كعب يقول الله [لولا أن أحزن عبدي المؤمن لأعطيت الكافر كذا وكذا قال الراوي قال لجعلت على رأسه غطاء من حديد لا يصدع رأسه].

وعن ابن المسور بن شداد أحد بني فهر كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول الله ﷺ على السخلة الميتة فقال «أترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها قالوا من هوانها ألقوها يا رسول الله قال فان الدنيا أهون على الله من هذه على أهلها» * ﴿وان كل﴾ ان مخففة مهملة * ﴿ذلك لما﴾ اللام فارقة بين النفي والاثبات وما زائدة * ﴿متاع﴾ خبر كل .

وقرأ عاصم وحمزة وقال بعضهم وهشام لما بالتشديد على انها حرف استثناء وان نافية. كما قرىء (وان كل ذلك الا متاع) . وكما قرىء (وما كل ذلك الا متاع) وقرأ بعض (ذلك) بكسر اللام جارة لمحل (ما) أي الذي هو متاع الحياة * ﴿الحياة الدنيا﴾ يتمتع منها قليلاً وتزول * ﴿والآخرة﴾ قيل أي الجنة *

﴿عند ربك للمتقين﴾ أي الذين يتقون الشرك والمعاصي والدنيا والآية دليل على أن النعيم نعيم الآخرة وعلى أنه لم يجعل ذلك النعيم الدنيوي للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الايمان لقلته وعدم تجرده وفي الاغلب عن

الكدورات ولتأديته الى الدخول في الايمان لاجل الدنيا وهو من صفات من يظهر الايمان ويخفي الشرك فالحكمة في جعل الناس فقيراً وغنياً وتغليب الفقر على الغنى فافهم* ﴿ومن يعش﴾ بضم الشين أي من يتعام عن ذكره ويعرض عنه وهو يعرف انه الحق ويتجاهل ويتغابى كقوله جل وعلا فجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم من قولهم (عشا) بالفتح (يعشو) اذا نظر نظر الذي لا يبصر بالليل ولا آفة به كما يقال عرج بالفتح اذا مشى كالأعرج ولا عرج به وقرىء (بفتح الشين) أي ومن يعم عن ذكره كقوله (صم بكم عمي) من قولك (عشي) بالكسر (يعشى) بالفتح اذا كان لا يبصر ليلاً كعرج بكسر الراء اذا كان وعرج وقرىء يعشو باثبات الواو أما على ان من موصولة وسكن (نقيض) لئلا يكون الباء المكسورة لا المدغمة والضاد ولام له بوزن فعل بكسر الفاء وضم العين لو ضمت الضاد أو على انها شرطية حذفت الضمة المقدرة على الواو دون الواو كما هو لغة أو شرطية والواو ضمير لها مراعاة لمعناها وروعي بعد ذلك لفظها ويضعفه ان اللفظ لا يراعى بعد مراعاة المعنى ولعل من يثبت الواو يرفع نقيض قالوا أو حرف ومن موصول *

﴿عن ذكر الرحمن﴾ يعرض عن ذكر الله لم يخف عقابه ولم ينج ثوابه وقيل الذكر القرآن والاولى ان المراد من يقل نظره في شرع الله ويغمض جفونه عن النظر فيما ذكر به عباده من قرآن ووحي وغيره ﴿نقيض له شيطاناً﴾ نخذله ونخله بينه وبين الشياطين أو نضم له شيطاناً أو نيسره له ونعده وذلك عقاب على الكفر .

كما روي ان الله يعاقب على المعصية بالتزيد في المعاصي ويجازي على الحسنة بالتزيد من الحسنات. وقرأ يعقوب (يقيض) بالياء وضميره للرحمن وقرىء بالياء مبنياً للمفعول ورفع شيطان ﴿فهو﴾ أي الشيطان* ﴿له قرين﴾ يوسوسه ويغويه ويخيل انه هدي ولايفارقه * ﴿وانهم﴾ أي الشياطين لان المراد بالشيطان الجنس أو للدلالة عليهم بالفرد منهم ﴿ليصدونهم﴾ أي يصدون العاشين وجمع نظراً لمعنى من * ﴿عن السبيل﴾ أي الطريق الذي

من حقه أن يسبل أي يمشي فيه وهو دين الله .

﴿ويحسبون انهم مهتدون﴾ أي العاشون ﴿حتى اذا جاءانا﴾ حتى اذا جاءنا الذي يعشو والشيطان وهما في سلسلة وذلك قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وأبي بكر وقرأ غيرهم (جاءنا) بالافراد أي جاءنا الذي يعشوا وحتى ابتدائية أو غاية لقوله فهو له قرين أي يقرن به الى يوم القيامة ويقرن أيضاً بعد ذلك .

قال الفخر : (اذا قام من قبره أخذ الشيطان بيده حتى يدخلا النار) وكذا قال أبو سعيد الخدري * ﴿قال﴾ الذي يعشو لشيطانه ﴿ياليت بيني وبينك بعد المشرقين﴾ أي مثل ما بين المشرق والمغرب من البعد وغلب اسم المشرق هذا هو الصحيح وعليه الاكثرون وقيل بعد مشرق الشتاء ومشرق الصيف وهو ضعيف لان المراد المبالغة في البعد وهذا البعد قليل وقيل المراد بعد المشرقين من المغربين فاكتفي بذكر المشرقين وقيل مشرق الشمس في أطول يوم ومشرقها في أقصر يوم وهو قريب من الثاني * ﴿فبئس القرين﴾ أنت يا شيطان قال الله لهم * ﴿ولن ينفعكم﴾ يا هؤلاء الذين يعشون فاعل ينفع ضمير التمني المدلول عليه بقوله ياليت الخ ﴿اليوم اذ ظلمتم﴾ اذ بدل كل من اليوم لان المراد اذا صح عندكم ظلمكم وظهر لكم * ﴿أنكم﴾ بفتح الهمزة على تقدير لام التعليل أى لانكم *

﴿في العذاب مشتركون﴾ أنتم والشياطين كما اشتركتم في سببه وهو العصيان واليوم متعلق بينفع على أن النفي منصب على المقيد من أصله وهو النفع لا على القيد وهو اليوم وهو خلاف الغالب أي لا تقع أصلاً أو القيد على انه اذا كان لا ينفع اليوم فلا وقت ينفع فيه ومتعلق بالنفي بانتفاء النفع أي بالنفي أي انتفي النفع اليوم أو بلن لانه بمعنى الانتفاء بناء على جواز التعليق بحرف المعنى وقيل لا وقيل بالجواز ان ناب عن فعل حذف لحرف النداء ولا تكون اذ للتعليل الا ان كسرت همزة ان أو فتحت وجعل مصدر خبرها فاعلاً لينفع لئلا يجتمع تعليلان بلا عطف الا ان جعل الثاني تعليل

للاول مع معلله وأنت خبير انه يجوز كون خبر ان في تأويل مصدر فاعلاً لينفع أي لن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في أمر صعب معاونتهم فيه وتحملهم لان لكل منكم ما لا تسعه طاقته ويلهيه عن غيره ولا كما ينفع الواقع في أمر صعب تأسيه بمثله ممن وقع فيه فيستريح بالتأسي لان هذا العذاب لشدته لا يطرقه التأسي وذلك مذهب ابن هشام ويقوي الأول وهو كون الفاعل ضمير التمني .

ولما كان ﷺ يشتد غاية في دعاء قومه وهم مصرون أنكر عليه بقوله ﴿أفأنت تسمع﴾ مضارع اسمع ﴿الصم﴾ جمع أصم وهو من لا يسمع مفعول أول والثاني محذوف أى الكلام ﴿أو تهدي العمي﴾ جمع أعمى .

قال في الخلاصة فعل لنحو أحمر وحمراء واسماع الصم اما كناية عن هداية الضال والاسماع والصم على حقيقتهما واما استعارة عنها واما العمى فاستعارة لا غير لا كناية لان كناية الاعمى في وجهه تمكن هدايته بأن تأخذ بيده وتوصله لموضع أراد لا ان أراد بهدايته أن يجعل له بصراً يهتدي به فتصح الكناية أيضاً وما صدق الجملتين واحد انك لا تقدر أن ترشد من ليس أهلاً للارشاد ولا حاجة أن تقول المراد لا تقدر على ارشادهم قهراً واجباراً وذلك الانكار تعجبي كأنه قال تعجبوا أيها الناس من هذا الذي يريد اسماع الصم وهداية العمى وفي الآية اشارة الى توغلهم في الكفر لا تقدر على هداية من استغرق في الضلال بأن صار غشاءه مقروناً بالصم ووصفه الله أيضاً بالعمى*

﴿ومن كان في ضلال مبين﴾ واضح * والعطف على الصم أو العمى تفسيرى أو اعتبر فيه تغاير الوصفين مفهوماً والمراد بالوصفين الضلال مع العمى أو الصمم و (من) موصولة وأشار بهذا الى أن الموجب لذلك الذي هو بعد هدايته لهم تمكنهم في الضلال وفي ذلك كله تقنيط من ايمانهم * ﴿فإما﴾ ان الشرطية وما الزائدة ولهذا أكد الفعل بالنون * ﴿نذهبن بك﴾ أي أذهبناك الى الاخرة بالاماتة قبل أن ننصرك عليهم ونشفي صدور المؤمنين*

﴿فانا منهم منتقمون﴾ أشد الانتقام في الآخرة وقيل بالقتل في الدنيا والعذاب في الآخرة * ﴿أو نرينك﴾ في حياتك * ﴿الذي وعدناهم﴾ من العذاب *

﴿فإنا عليهم مقتدرون﴾ أي قادرون لايفوتنا عطف بأو (نرينك) على (نذهبن) (وفإنا عليهم مقتدرون) على (فإنا منهم منتقمون) فذلك من العطف على معمولي عامل ولعطف (نرينك) على فعل الشرط المسبوق بما الزائدة كان مؤكداً بالنون وقرأ يعقوب برواية رويس بالسين المهملة (تذهبن ونرينك) بنون التوكيد الخفيفة وذلك تسلية للنبى ﷺ بما يصيب مشركي مكة وقد أنتقم منهم يوم بدر وما هو الا حياته وذلك قول الجمهور وقيل في حياته يوم بدر ونحوه وبعد مماته النفخة الأولى مع قيام الساعة يهلك بها كفار آخر الأمة وقيل عنى بما بعد موته ما يكون من أمته وقد كانت فيهم نقمة شديدة بعده أكرمه الله ولم يره في أمته الا ما تقر به عينه وأبقى النقمة بعده .

وروي انه أراه الله ما يصيب أمته بعده فما رئي ضاحكاً مبسطاً حتى مات والصحيح الاول كما تقول نعطيك اما غداً واما اليوم وأنت تريد الجزم بالعطاء اليوم ولكن قويت الكلام له ويجوز أن يريد ما في حياته وما بعده مماته كما تقول ان أعطيناك صابونا غسلت به وان أعطيناك ديناراً أبرأت ذمتك به وأنت تريد اعطاءهما جميعاً له ولكنك بينت ما يفعل بهذا وما يفعل بذاك وأما القول الآخر فضعيف لانه ان أراد ما يصيب الموحدين بعده فلا يوافق مساق الآية لان مساقها على ما تقر به عينه وان أراد ما يصيب الكفار بعده فذلك ما يريد فكيف يقال أكرمه أن لا يرى في أمته ما يكره.

﴿فاستمسك بالذي أوحي اليك﴾ هو القرآن كذا قيل والأولى ان المراد جميع الوحي وقرىء (بالذي أوحي اليك) بفتح الحاء بالبناء للفاعل وهو ضمير الله عز وجل *

﴿انك على صراط مستقيم﴾ دين لاعوج به لا يميل عنه الا هالك فعليك به وزد كل يوم صلابة في المحاماة على دين الله ولا يخرجك الضجر بأمرهم

الى شيء من اللين وكن كالثابت الـذي لا ينشطـه تعجيـل ظفـر ولا يثبطـه تأخيره فسواء عجل لك الظفـر أو أخـر لمـا بعـد المـوت ﴿وإنه﴾ أي الذى أوحى اليـك * ﴿لذكر﴾ شرف عظيـم * ﴿لك ولقومك﴾ وقـال الحسن: تذكرون به الحلال والحرام والأحكام فيعلمون ما يحلـون ومـا يحـرمـون وعن بعضهم ذكر لك بما أعطـاك من النبـوة والحكمـة ولقـولك يعني المؤمنين بـما هداهم الله به وقيل القوم هم العـرب والقـرآن شرف لهم اذ نـزل بلغتهم ثم يختص بـذلك الشرف والاخص فـالاخص من العـرب حتى يكـون الاكثـر لقريش ولبني هاشم وعن ابن عباس الذكر في الدنيا والقوم قريش وهو المراد بالتفسير الذي ذكرت قيل قول الحسن وعن بعض أن المراد بالذكر التذكـرة والموعظة فالقوم على هـذه الأمـة وروي هـذا عن الحسن أيضـاً وكـذا المـراد بالقوم الأمة على الرواية الأولى ذكر ذلك بعضهم .

وعن ابن عباس كان رسول الله ﷺ اذا سئل لمن الأمر بعدك لم يجب بشيء حتى نزلت هذه الآية فكان بعد ذلك يقول هو لقريش.

وعن ابن عمر عنه ﷺ «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقى منهم اثنـان» وقال الناس في هذا الامر نبع لقريش وقال قدموا قريش ولا تقـدمـوهـا وعن معاوية سمعت رسول الله ﷺ يقول ان هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد الا أكبه الله على وجهه ما أقامـوا الـدين * ﴿وسوف تسألون﴾ القيام بحقه وأداء شكره وشكر النعمة فيه حيث خصصتم به .

قاله الحسن وقال ابن عبـاس تسـألـون عن أوامـر القـرآن ونـواهيـه وقيـل تسألون أقمتم به ذا الدين واستمسكتم به أم ضيعتموه وقيل سوف تسـألـون عن رعيتكم وذنوبكم.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو ضاع شيء بجانب الفرات لخشيت أن أسأل عنه أهو السؤال يوم القيامة *

﴿واسـأل من أرسلنـا من قبلك من رسلنـا أجعلنـا من دون الـرحمن آلهـة يعبدون﴾ لم يرد حقيقـة السؤال لانـه لم يـدرك الـرسـل والمـراد البحث هـل

جاءت عبادة غير الرحمن في شريعة نبي من الانبياء وهو عالم بأنها لم تكن وكفاه كتاب الله بل آية منه وحقيقة ذلك الاستشهاد باجماع الرسل على التوحيد والدلالة على انه ليس ببدع وهو أقوى ما حملهم على التكذيب وهذا كما تسأل الشعراء الديار والرسوم والاطلال وكقول بعض سل الأرض من شق أنهارك وغرس شجرك وجنى ثمارك فانها ان لم تجبك جواباً أجابتك اعتباراً وكقولهم قال الجدار للوتد لم تشقنى فقال الوتد سل من يدقني.

وروي عن ابن عباس لما أسري بالنبي ﷺ بعث له آدم وولده من المرسلين فأذن جبرائيل ثم أقام وقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما صلى قال جبرائيل سل يا محمد من قبلك من أرسلنا الخ قال: لا أسأل وقد اكتفيت وانه قد ثبت يقيناً من أن يسأل.

هذا قول الزهري وابن زيد وسعيد بن جبير وذلك في السماء وقيل في بيت المقدس ليلة الاسراء وقال الجمهور اسأل أتباع من أرسلنا وجملة شرائعهم وعليه ابن عباس في أكثر الروايات عنه والكلبي ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي والحسن ومقاتل ويقويه قراءة ابن مسعود وأبي واسأل الذين أرسلنا اليهم وادعى بعضهم ان المراد سل جبرائيل وعن الفراء وغيره ان أهل التوراة والانجيل يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم فكأنه سأل الرسل ولم يصدر سؤال منه لانه عالم .

وعن العتبي الخطاب مواجهة له والمراد المشركون وقرىء وسل باسقاط همزة الوصل وفتح والسين نقلا من الهمزة بعدها *

﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه﴾ أي وملأ فرعون أي جماعته وهم القبط *

﴿فقال إني رسول الله رب العالمين﴾ اليكم والى غيركم*

﴿فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون﴾ يسخرون بآياتنا الدالة على توحيدي ورسالة موسى ويسمونها سحراً ويتضاحكون وذلك بعد مطالبتهم له بالآيات والاخبار بذلك تسلية للنبي ﷺ وضرب مثل وأسوة بموسى ﷺ

ونقض لقولهم (لو أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) فان موسى لم يعظم عند هؤلاء الـذين هم قـوم فـرعـون واستشهـاد بـدعـوة مـوسى الى التوحيد وذكر (اذا) الفجائية اعلاماً بأنهم فاجأوا الضحك والتكذيب أول ما رأوا الآيات دون تأمل وجواب لما في الآية جملة اسمية مقرونة باذا الفجـائيـة عند ابن مالك وعليه الصبـان فعلي ان لمـا هـداه ظـرف يتعلق بيضحكـون وقيل باذا لدلالتها على معنى فاجأوا *

﴿وما نريهم من آية الا هي أكبر من أختها﴾ من قرينتها التي تقدمتها .

قاله الحسن والكلبي قالا اليد أكبر من العصا وهن تسع السنون والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم واليد والعصا وانشقـاق الحجـر بـالمـاء وغير التسع كانفلاق البحر وقيل لم يرد ان كل واحدة أكبر من أختها على الحقيقة بل المراد وصف الجميـع بـالكبر وبلـوغ أقصى درجـات الاعجـاز لا يكـدن يتفاوتن كالعادة في الاشياء المتلاقية في الفضل المتقاربة فضـلاً عن أن تختلف الآراء فيها فيفضل بعضهم هذا وبعضهم ذلك بـل الـواحـد تـارة يفضـل ذا وتارة ذاك ويتحصل من ذلك أن الكل أكبر مما سوى ذلك كله كقولك هـذا أفضل رجل رأيته أي أفضل من في الذين رأيتهم اذا فرزتهم رجلاً رجلاً وجاء على ذلك قوله من أبيات حماسة :

من تلق منهم تقل لقيت سيدهم مثل النجوم التى يسري بها الساري

وقد سئلت فاطمة بنت الخرشب أي أولادها أفضل وهم الخمسة فـرامت أن تفضـل فـأبصرت مـراتبهم متقـاربـة فقـالت ثكلتهم ان كنت أعلم أيهم أفضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها أو المراد ان كلا من الآيات أكبر من الأخرى باعتبار نوع من الاعجاز ليس في باقيهن وعلى كل تفسير لم يرد كل واحدة فاضلة مفضولة من جهة واحدة فلا تناقض *

﴿وأخذناهم بالعذاب﴾ كالسنين والطوفان ﴿لعلهم يرجعون﴾ عن كفرهم أي أخذناهم ارادة لرجوعهم وارادته فعل غيره هى أن يأمره بايجـاده فيختـار ذلك المكلف ولو أراد بـالجبر لكـان مـا أراد قطعـاً * ﴿وقالوا﴾ عند معاينة

العذاب * ﴿يا أيُّـهَ﴾ بفتح الهاء بدون ألف بعدها في الخط كما حذفت في النطق للساكن وذلك الموقف بالاسكان ومن يقف بـألف أثبتها خطا وهو الكسائي وأبو عمرو ﴿الساحر﴾ العالم الحاذق قالوا ذلك على جهة التعظيم فان علم السحر عندهم جسيم ممدوح فهو يقولون للعالم ساحر لاستعظامهم السحر وهذا مناسب لقولهم (انا لمهتدون) ولحالهم الشديدة التي هم فيها هذا هو الراجح عند الامام الثعالبي من علماء الجزائر.

ورجح الزمخشري ان المراد رد النبوة وعدم تصديقها وان آياته سحر فكإنهم قالوا يا أيها الذي غلبنا بسحره لا بنبوة وقولهم هذا في تلك الحال الشديدة لشدة فرط حماقتهم ولا ينافيه قولهم (انا لمهتدون) فان قولهم (انا لمهتدون) وعد معزوم على نكثه فهو قول اللسان بدليل فلما كشفنا الخ.

وقرأ ابن عامر (يا أيـّهُ) بضم الهاء تبعاً للياء .

﴿ادع لنا ربك بما عهد عندك﴾ بما عهده عندك أو بعهده عندك أو بعهده عنك من النبوة أو من ان دعاءك يستجاب أو بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة أو بما عهد عندك من كشف العذاب ان آمنا.

﴿انا لمهتدون﴾ مؤمنون ﴿فلما كشفنا﴾ أزلنا * ﴿عنهم العذاب﴾ بدعاء موسى * ﴿إذا هم ينكثون﴾ جواب لما ومن منع أن يكون جوابها جملة اسمية مقرونة باذا الفجائية أو بالفاء قدر في مثل ذلك جوابها نقضوا عهد الاهتداء على فجأة من وقت كشف العذاب والله أعلم بشدة جهلهم وقسوتهم وفي الأمة مثلهم *

﴿ونادى فرعون﴾ أي أمر بالنداء * ﴿في قومه﴾ في مجامعهم بعد كشف العذاب لما كشف دعاءه موسى للتوحيد فأمر بالنداء افتخاراً ومخافة أن يؤمن بعضهم أو نادى هو بنفسه في جماعة عنده من عظماء القبط فينشر عنه نداء في الجموع فكأنه نادى فيها.

﴿قال ياقوم أليس لي ملك مصر﴾ هو من بحر الاسكندرية الى أسوان بطول النيل* ﴿وهذه الأنهار﴾ الخلجان الكبار الخارجة من النيل وقيل أنهار

النيل ومعظمها نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهـر تنيس وهي خلجـان وعبارة بعضهم الانهار النيل كأنه أراد انه جامع الانهار تصب فيه أو فيـه من المـاء ما يكون في عيون كبار* ﴿تجري من تحتي﴾ أي بأمري وقبضتي أضعها حيث شئت وقيل تجري بين يدي في جناني وبستاني وقيل تحت قصري وقيل تحت سريره لارتفاعه والياء مفتوحة عند نافع والبزي وأبي عمرو*

﴿أفلا تبصرون﴾ عظمتى وشدة ملكي عجباً كيف يـدعي الـربـوبيـة من عظم مُلْك ملك مصر عنده وعجب الناس من غاية عظمته وأمر بالنـداء في أسواقها وطرقَها لئلا يخفي ذلك عن صغير أو كبير .

وهذا هارون الرشيد لما قرأ الآية قال : (لأولينها أحسن عبيـدي فـولاهـا الخطيب وكان على وضوئه لم ينتقض اذ صدق في قـولـه واعتقـاده فيـها وعـد ووليها عبد الله بن طاهر أيضاً فخرج اليها ولمـا شارفهـا ووقـع عليهـا بصره قال: أهي القرية التى افتخر بها فرعـون حتى قـال: (أليس لي ملك مصر) والله لهي أقل عندي من أن أدخلها فثنى عنانه عنهـا والـواو عطفت (هـذه) على (ملك) و (تجري) حال من هـذه أو واو الحـال وهـذه مبتـدأ (وتجـري) خبره * ﴿أم﴾ متصلة أي أفلا تبصرون أم تبصرون لكن وضع قولـه * ﴿أنا خير﴾ موضع تبصرون لانهم اذا قالـوا أنت خير فهم عنـده بصراء وهـذا من اقامة السبب مقام المسبب والاسمية مقام الفعلية .

قاله ابن هشام قال وهـو معنى كـلام سيبـويـه وقـال أخطـأ من قـال ان معطوف (أم) محذوف وان الوقف عليها لانه لم يـوجـد حـذف معطـوف دون عاطف الا أن وقع بعد حرف الجواب ويبقى حرف الجواب بعـد العـاطف واعترض كلامه فان سبب اعتقاد كونهم بصراء قولهم (أنت خير) والمـذكـور مقولهم دون قولهم وأجيب بأن الأصل أم تقولون (أنت خير) فحذف القـول وحكى بـالمعنى ويصـح كـون الآيـة من اقـامـة المسبب مقـام السبب لأن اعتقادهم خبريته مسبب عنده عن كونهم بصراء ويجـوز كـون (أم) منقطعـة بمعنى (بل وهمزة التقريـر) وذلك انـه قـدم تعـديـد بعض أسبـاب الفضـل

والتقدم عليهم وهو ملك مصر وجري الانهار تحته ونادى بذلك وملأ أسماعهم ثم قال (أنا خير) كأنه يقول اثبت عندكم أنا خير وهذه حالي.

وحكى سيبويه انها منقطعة لأن ما بعدها نقيض ما قبلها نحو (أزيد عندك أم لا) فان (أزيد عندك) كاف وانما ذكر أم لا ليبين انه عرض له ظن نفي انه عنده فاستفهم كما كان قد عرض له ظن ثبوت انه عنده فاستفهم عنه وكذا في الآية لو اقتصر على قوله (أفلا تبصرون) لكفي لكن أفاد بقوله: (أم أنا خير) انه عرض له ظن ابصار بعدما ظن أولا عدمه.

﴿من هذا الذي هو مهين﴾ ضعيف حقير لا يأهل للرئاسة وأصل المهانة القلة.

وعن الفراء قرأ بعض الناس (أما أنا خير) بفتح الميم بعدها ألف وهي للاستفتاح والتوكيد.

وفي مصحف أبّي (أم أنا خير أم هذا الذي هو مهين)، أي بل آأنا خير أم هذا والاشارة الى موسى *

﴿ولا يكاد يبين﴾ أي لا يكاد يظهر كلامه ويوضحه أي لا يظهره الا بعد جهد وذلك لجمرة جعلها في لسانه بيده في صغره جربه فرعون بها وبتمرة فتناولها بعد ما مد يده للتمرة فصرفها جبرائيل الى الجمرة فعفي عن قتله بعد ارادة قتله لتناوله من لحيته.

والراجح ان هذه العقدة باقية في لسانه وقيل المراد انه لا يكاد يبين حجة تدل على صدقه الا حجة له والصحيح الأول كانت الأنبياء بلغاء فصحاء فعابه فرعون بعقدة لسانه انه لا يصلح للرئاسة * ﴿فلولا﴾ حرف تحضيض*

﴿ألقي عليه أسورة من ذهب﴾ قال مجاهد: (أي لولا ألقى الله عليه مقاليد الملك ان كان صادقاً علامة لسيادته لانهم اذا أرادوا تسويد الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق ذهب).

وعن الحسن: (الاساورة الكنز) والصحيح انه حلى الذراع وقيل هلا ألقي

عليه من السماء أساورة تكرمة له والاساورة جمع اسورة والاسورة جمع والاسوار واساوره جمع سوار حذفت الياء بعد الواو وعوض عنها التاء ويؤيد قراءة بعض أساوير.

وقرأ يعقوب وحفص عن عاصم اسورة جمع سوار وقرىء (أساور) جمع اسورة أو جمع سوار حذفت الياء ولم يعوض عنها وقرىء (فلولا ألقي) بفتح الهمزة والقاف أي الله اسورة وأساور *

﴿أو جاء معه الملائكة مقترنين﴾ متقاربين بعضهم ببعض أي متتابعين يشهدون بصدقه أو مقترنين به حيث كان له لاعانته وتصديقه والأول لمجاهد وعن بعضهم يحمونه ويشهدون له ويقيمون حجته ولا شك ان فرعون شاهد حماية الله لموسى لم يبق معها أمر.

﴿فاستخف قومه﴾ طلب منهم الخفة في مطاوعته في تكذيب موسى أو حملهم على أن يخفوا أو استخفهم وجدهم فرعون اخفاء الأحلام جهالاً *

﴿فأطاعوه﴾ فيما أمرهم به من التكذيب *

﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ خارجين عن طاعة الله ولذا أطاعوا الخارج عن طاعته وهو فرعون وقومه هم القبط ومن انضم اليهم في طاعة فرعون*

﴿فلما آسفونا﴾ أغضبونا بالافراط في العناد والعصيان واغضاب الله ايجاب عقابه وانتقامه تعدى بالهمزة أسف بالقصر اشتد غضبه وأسفه زيد بالمدة شدد غضبه *

﴿انتقمنا منهم﴾ بالعذاب لانهم استوجبوا تعجيل العذاب وان لا نحلم عنهم وهذا العذاب غير الاغراق أو هو بناء على أن الفاء يجوز عطف المرادف والمفسر بها وهو خلاف المشهور والانتقام بمعنى ارادة الانتقام الذي هو العذاب وارادة الشيء غيره وعن بعض لما أغضبونا بالاقامة على المخالفة والبدع اتباعاً للهوى نزعنا نور المعرفة من قلوبهم وسراج التوحيد عن أسرارهم ووكلناهم الى أنفسهم وفيه أن نزع النور كان قبل الاغضاب ومعه واستمر لا بعده الا أن أريد ادامته *

﴿فأغرقناهم أجمعين﴾ في البحر * ﴿فجعلناهم سلفاً﴾ قدوة لمن بعدهم من الكفار يتقدمون بهم في استخفاف مثل عقابهم على أفعالهم وقيل سلفاً عبرة وهو اما مصدر نعت به أو جمع سالم كخدم جمع خادم أو سلفة كشجرة وشجرة.

وقرأ حمزة والكسائي (سلفاً) بضم السين واللام جمع سليف كرغيف ورغف أو سالف كصابر وصبر بضمتين سلف بضم السين وفتح اللام *

﴿ومثلا للآخرين﴾ يتمثلون بهم وبحالهم فلا يفعلون أفعالهم أو حديثاً عجيباً سائراً مسيراً المثل يحدث به ويقال ان مثلهم مثل فرعون أو عظة وعليه قتادة وعن بعضهم (سلفاً) للكفار بعدهم الى كفار أمة محمد ومثلاً لغير الكفار من أمته *

﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً﴾ ضربه مثلاً ابن الزبعري الشاعر قبل اسلامه حين نزل (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) فقال المشركون رضينا أن نكون مع عيسى لانه عبد من دون الله عبده النصارى .

روي ذلك وعن ابن عباس وقال الكلبي : لما نزل (انكم وما تعبدون) الخ قرأها النبي ﷺ مقابل باب الكعبة فاشتد ذلك على أهل مكة فدخل ابن الزبعرى على قريش وهم يخصون في ذلك فقال: أتكلم محمد بهذا فقالوا: نعم فقال: والله لئن اعترف لأخصمنه فجاءه فقال: يا محمد الآية فينا أو في الأمم معناها فقال: فيكم وفي الأمم والهتهم فقال: خصمتك والذي تحلف به وقيل ورب الكعبة ألست تثني على عيسى ومريم والملائكة خيراً وقد علمت ان النصارى أهل كتاب يعبدون عيسى وأمه ويزعمون انه ابنه وطائفة من الناس يعبدون الملائكة واليهود يعبدون عزيرا ويقولون انه ابن الله أفليس هؤلاء مع آلهتنا في النار فسكت ﷺ وتضاحكت قريش وقالوا معه الملائكة أولى بالعبادة من آدمي فنحن نعبدهم وقيل لما سمعوا (ان مثل عيسى عند الله) الخ قالوا نحن أهدى من النصارى عبدوا آدمياً وعبدنا الملائكة فنزل ولما ضرب ابن مريم الخ .

وفي رواية عن ابن عباس وغيره انه لما نزل (ان مثل عيسى) الخ قالت قريش ما يريد محمد من ذكر عيسى الا أن نعبده كما عبدت النصارى عيسى * ﴿اذا قومك﴾ المشركون من قريش (اذا) للمفاجأة وينبغي أن يكون الحق جواز قرن جواب لما باذا الفجائية وكونه اسمية لكثرة ذلك والتأويل خلاف الأصل وذلك دليل لجواز كونه اسمية مقرونة بالفاء وفي ذلك كله خلاف * ﴿منه﴾ أي من المثل * ﴿يصدون﴾ بضم الصاد عند نافع وابن عامر والكسائي وبالكسر عند الباقين ومعناهما واحد هما لغتان أي يضحكون فرحاً لظنهم انه ﷺ مغلوب في الحجة أي رفعوا أصواتهم فرحاً وجذلاً وضحكاً كما يضج القوم اذا انفتح لهم شيء منغلق بعد أن أعياهم حجة أو غيرها أو معناه يعرضون فالهاء للحق و (من) بمعنى (عن) أو (الهاء) للمثل و (من) للتعليل و (عن) محذوفة أي يصدون لأجل المثل عن الحق ولا حاجة الى تعليقها بيوحدون مقدراً بعد قومك أو باذا الفجائية قبل المضموم بمعنى يعرضون ، قرأ نافع وابن عامر والكسائي (يصدون) بضم الصاد بمعنى يعرضون من الاعراض بمعنى الصدود ، وجاءت بمعنى (يضجون) وبمعنى صرف الغير الصد أو بمعنى الضجيج الصديد ﴿وقالوا﴾ ابن الزبعرى وغيره من قومك *

﴿أألهتنا خير﴾ قرأ الكوفيون بتحقيق الهمزتين بعدهما ألف والباقون بتسهيل الثانية وبعدها ألف وقرىء باسقاط همزة الاستفهام لدلالة (أم) عليها*

﴿أم هو﴾ أي عيسى ليس عندك خير منه فاذا كان هو من حصب جهنم كان أمر آلهتنا هيناً فتنكر معه وآلهتنا الملائكة خير أم عيسى فاذا جاز أن يعد ويكون ابنا لله فالملائكة أولى من عيسى وعزير .

وذلك قول ابن زيد والجمهور وعليه الكلبي وقال الحسن وقتادة الضمير لنبينا محمد ﷺ ويؤيده في مصحف أبّي ومصحف ابن مسعود أم هذا اشارة لمحمد على انه يجوز أن تكون الاشارة لعيسى جعلوا كأنه حاضر والصحيح

ان الضمير لعيسى وعلى انه لمحمد فكأنه قيل آلهتنا الملائكة خير أم محمد بل هي فلا نعبدها ونتركها وما أراد الا أن نعبده أو فضلوا أصنامهم عليه * ﴿ما ضربوه﴾ أي عيسى ما ضربه مثلاً أو ما ضربوا المثل وهو عيسى *

﴿الا جدلاً﴾ الا لأجل الجدال والغلبة في القول لا لطلب التمييز بين الحق والباطل فهو مفعول لأجله ويجوز كونه حالاً أي ذوي جدل أو مجادلين ﴿بل﴾ للانتقال *

﴿هم قوم خَصِمون﴾ لك خصم بكسر الصاد صفة مبالغة من خاصم كضارب بالكسر أي شداد الخصومة متمادون فيها بغير الحق .

وفي الحديث «ما ضل قوم بعد هدي كانوا عليه الا أوتوا الجدل ثم تلا ما ضربوه لك الى خصمون» وبيان عنادهم ومكابرة عقولهم انهم قد علموا ان المراد (بما تعبدون) الاصنام لا غير وكذا المراد بقوله ﷺ نزلت فيكم وفي آلهتكم وفي الأمم وآلهتهم ومحال أن يريد الأنبياء والملائكة وثناء عليهم قرينة عدم ارادتهم وأيضاً قد علموا انما لغير العالم ولا تستعمل للعالم وحده أو مع غيره الا بقرينة وهو ﷺ لم ينصبها لهم هي الا لغير العالم .

وقد أجاب ﷺ ابن الزبعري بقوله : «ما أجهلك بلغة قومك» (ما) لغير العاقل ذكره الصبان فبان ان ذلك الجدال خداع لما رأى كلام رسول الله ﷺ محتملاً لفظه وجه العموم قابلاً لان يراد بها العاقل وغيره بقطع النظر عن عدم القرينة مع علمه بأن المراد الأصنام وجد للحيلة مساغاً فصرف معناه الى الشمول والاحاطة بكل معبود فقيل انه ﷺ لم يجبه حتى أجاب عنه ربه بقوله (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) قيل عيسى وعزير والملائكة * ﴿إن﴾ أي ما * ﴿هو﴾ أي عيسى * ﴿الا عبد﴾ ليس الهاً ولا إبنا لله يجوز في الآية قبل هذه انهم لما أنكر عليهم قولهم الملائكة بنات الله وعبادتهم قالوا ما قلنا بدعاً من القول ولا فعلنا نكرا من الفعل فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه واليهود جعلوا عزيرا ابن الله وعبدوه ونحن أفضل منهم قولاً وفعلاً نسبنا اليه الملائكة ونسبوا ابني آدم فتقول لهم مذهب الجميع شرك وما نتصلكم مما أنتم عليه بما أوردتموه الا

قياس باطل بباطل وان عيسى وعزير والملائكة لم يعبدوا برضى منهم وما عيسى الا عبد كسائر العبيد ﴿أنعمنا عليه﴾ صفة عبد والهاء له أي عبد منعم عليه بالنبوة والمنزلة العلية والانجيل *

﴿وجعلناه مثلاً لبني اسرائيل﴾ آية دالة على الله وأمراً عجيباً يكون كالمثل السائر لبني اسرائيل وعبرة وذلك أن الله جل وعلا خلقه من غير أب وأجري على يديه احياء الموتى وابراء الأكمه والأبرص والاخبار بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم وذلك في الغرابة بحيث يتخذ مثلا.

﴿ولو نشاء لجعلنا منكم﴾ يا أهل مكة * ﴿ملائكة﴾ أي لخلقنا منكم ملائكة بلا رجال من رجالكم وقيل من نسائكم كما خلقنا عيسى بلا أب لتعرفوا تمييزنا بالقدرة الباهرة وتعلموا ان الملائكة أجسام لا تتولد الا من أجسام وذات القديم متعالية عن ذلك فمن للابتداء أو جعلنا بدلكم ملائكة فمن للبدلية.

﴿في الأرض يخلفون﴾ يخلفونكم في الارض كما يخلف الولد أباه أو نهلككم ونجعلهم خلائفكم في الارض يعبدونني أو لا نخلقكم بل نخلق الملائكة في الارض .

وقال ابن عباس ومجاهد : (يخلف بعضهم بعضاً فلا تستغربوا حال عيسى ونحوه وما هو عجيب فان القدرة ذلك وأعجب منه والملائكة أجسام كما انكم أجسام صلحت القدرة لان يخلقهم توليداً وأن يخلقهم ابداعاً فمن أين لسوى الله الالوهية والنسبة الى الله *

﴿وانه﴾ أي عيسى أي نزوله قاله ابن عباس وغيره وقالت فرقة أي محمداً وقال قتادة : (أي القرآن) وقيل ضمير الشأن استعظاماً لأمر الآخرة ويرده أن ضمير الشأن لابد تفسيره بالجملة.

﴿لعلم﴾ وقرأ عكرمة (للعلم) بلامين أولا الاولى مفتوحة أي علامة سميت علماً لحصول العلم بها.

كما قرأ ابن عباس (لعلم) بفتح اللام بعد العين أي علامة وكذا قرأ جماعة.

وقرأ أبّي لذكر على تسمية ما يذكر الشيء به ذكراً كما يسمى ما تعلم به علماً * ﴿للساعة﴾ يوم القيامة فان نزول عيسى من أشراط الساعة يعلم به دونها وقد علمت بتقدير المضاف قبل الهاء ولان احياء الموتى مثلاً يدل على قدرة الله التي منها اقامة القيامة والبعث.

وفي الحديث : «ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام على ثنية بالأرض المقدسة يقال لها افيق وبيده حربة يقتل بها الدجال فيأتى بيت المقدس والناس في صلاة الصبح وقيل العصر فيتأخر الامام فيقدمه عيسى عليه الصلاة والسلام ويصلى خلفه على شريعة سيدنا محمد ﷺ ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرج البيع والكنائس ويقتل النصارى واليهود الا من آمن» .

وروي أيضاً انه ينزل فعليه ممصرتان وشعر رأس دهين كأن رأسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الاسلام ولا يقبل الجزية ويهلك الله الملل على يده الا الاسلام وانه يمكث أربعين سنة فيموت ويصلي عليه المسلمون.

وفي الحديث : «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عادلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويقبض المال حتى لا يقبله أحد» .

وفي الحديث : «ليس بيني وبين عيسى نبي وانه نازل فيكم فاعرفوه وانه مربوع الى الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين كأن رأسه يقطر وان لم يصبه بلل».

وفي الحديث: كيف أنتم اذا نزل ابن مريم وامامكم منكم . وروي فأمكم منكم بفتح الهمزة والميم أي كان أمامكم رجلاً منكم أي أمكم رجل منكم وبضمهما أي امامكم منكم وفي رواية فأمكم بكتاب ربكم وسنة نبيكم وأما كون نبينا من أشراط الساعة فتصديقه قوله «بعثت أنا والساعة كهاتين» يعني السبابة والوسطى .

وان قلت فاذا رجع الهاء للقرآن كما هو مذهب الحسن فكيف كون القرآن من علامتها قلت هو نازل على آخر الأنبياء الذي هو علامة الساعة كانشقاق القمر وانه مخبر بالساعة وأحوالها ودليل عليها.

﴿فلا تمترن بها﴾ أي بالساعة لا تشكن فيها حذفت نون الرفع للجزم لاكراهة توالي النونات والواو التي هي فاعل لالتقاء الساكنين ودلت عليها الضمة .

وقال ابن عباس المعنى لا تكذبن بها * ﴿واتبعونِ﴾ بحذف الياء وأثبتها في الوصل أبو عمرو أي اتبعوا هداي أو شرعي أو رسولي فحذف المضاف وقيل هذا قول الرسول أمره الله أن يقوله لهم أي اتبعوا نصحي وتوحيدي *

﴿هذا صراط مستقيم﴾ الاشارة الى دين الله الذي يدعوهم اليه وعن بعضهم ان رجع ضمير (انه) للقرآن فالاشارة للقرآن وذلك طريق موصل الى الجنة لا يضل سالكه.

﴿ولا يصدنكم الشيطان﴾ عن اتباعي أي لا يصرفنكم عنه أو عن هذا الصراط المستقيم *

﴿انه لكم عدو مبين﴾ واضح العداوة أخرج أباكم من الجنة وعرضكم للبلية *

﴿ولما جاء عيسى بالبينات﴾ بالمعجزات كاحياء الموتى وابراء الأكمه والأبرص والاخبار بالمأكول والمدخر أو بآيات الانجيل أو بالشرائع الواضحات أو بالجميع *

﴿قال قد جئتكم بالحكمة﴾ بالانجيل أو بالشريعة وقيل بالتوبة .

﴿ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه﴾ قال مجاهد: يعني تبديل التوراة وقيل ما تختلفون فيه من أحكام التوراة وقيل من اختلاف الفرق الذي تحزبوا في أمر عيسى وقيل الذى جاءهم به عيسى هو الانجيل وهو بعض مااختلفوا فيه ولم يبين لهم في غير الانجيل ما احتاجوا اليه وذلك الذي اختلفوا فيه هو شيء كثير بين لهم بعضه فقط وهو ما كان من أمر الدين فان

الانبياء لم تبعث لبيان ما كان من أمر الدنيا كما قال ﷺ «أنتم أعلم بأمر دنياكم» ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ فيما أبلغكم إياه عنه *

﴿ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه﴾ بيان لما أمرهم أن يطيعوه فيه وهو التوحيد والتعبد بالشرائع * ﴿هذا﴾ المذكور من كون الرب واحد والتعبد * ﴿صراط مستقيم﴾ طريق يوصل الى الجنة وهو من كلام عيسى أو من كلام الله مقرر لكلامه ومصدق له *

﴿فاختلف الأحزاب﴾ الفرق المتحزبة بعد عيسى وهم النصارى أو النصارى واليهود * ﴿من بينهم﴾ من بين النصارى وقيل من بين النصارى واليهود وقيل الاحزاب اليهود والنصارى ومن بينهم من بين قومه المبعوث اليهم*

﴿فويل للذين ظلموا﴾ أشركوا مطلقاً أو من المتحزبين بقولهم عيسى اله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة وذلك ان اختلافهم في ذلك وفي التوحيد فقيل اله وقيل ابن الله وقيل ثالث والكل ظلموا وقيل عبد الله وهو الحق *

﴿من عذاب يوم أليم﴾ موجع وذلك وعيد للمتحزبين المختلفين على الباطل * ﴿هل﴾ أي ما * ﴿ينظرون﴾ أي ينتظرون كما نقول في قوله (الى ربها ناظرة) أي منتظرة متشوقة الى رحمة ربها والواو لقريش *

﴿الا الساعة أن تأتيهم بغتة﴾ فجأة ومصدر (ما) بعد (ان) بدل اشتمال من الساعة أي هل ينظرون الا الساعة اتيانها أي ما ينتظرون الا اتيان الساعة *

﴿وهم لا يشعرون﴾ بوقت مجيئها أو هم غافلون عنها بالدنيا وانكارها وليس بتوكيد لمعنى البغتة لامكان اتيانها بغتة وهم فطنون* ﴿الأخلاء﴾ جمع خليل أو خل أي الاحباء على المعصية * ﴿يومئذ﴾ يوم اذ تأتيهم الساعة بغتة وهو متعلق بعدو * ﴿بعضهم لبعض عدو﴾ لبعض حال من عدو ومتعلق به يتعادون لظهور بطلان ما تخالوا عليه وظهور انه سبب العذاب والتخال في غير ذات الله ينقلب تعادياً وعن بعضهم انها نزلت في أبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط .

قال أبو مدين : (دليل تخلطك صحبتك للمخلطين) .
قال ابن عطاء الله : (قل ما تصفو لك الطاعات وتسلم من المخالفات مع الدخول في الاسباب لاستلزامها لمعاشرة الاضداد ومخالطة أهل الغفلة والبعاد وأكثر ما يدخلك في الذنب رؤية المذنبين) .
وفي الحديث : «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالله» والنفس من شأنها التشبه بصفات من قارنها فصحبة الغافلين معينة على وجود الغفلة وفي الحكم الفارقية من ناسب شيئاً انجذب اليه وظهر وصفه عليه.
قال مالك: (لا تصحب فاجراً لئلا تتعلم من فجوره).
وعن ابن رشد لا تصحب الا من تقتدي به في دينه لان قرين السوء يردي قال الحكيم *

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن مقتدي

وعن علي: (اذا مات أحد الخليلين الكافرين قال يارب ان فلانا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني اني غير ملاقيك فاذا مات الأخر قال لهما: ليثن كل منكما على صاحبه فيقول بئس الأخ بئس الخليل وبئس الصاحب * ﴿الا المتقين﴾ ثناء منقطع أن أريد بالاخلاء غير المتقين وان أطلق لفظه عاماً على انه لم يرد الا غير المتقين وانه يستثنيهم فمتصل أي إلا المتصادقين في الله فان خلتهم تبقى وتزيد لرؤيتهم ان النفع دخل من بعضهم على بعض .
وفي الحديث يقول الله : [وجبت محبتي للمتحابين فيّ والمتبادلين فيّ والمتزاورين فيّ]
وفي الحديث : «المتحابون في الله على منابر من نور في ظل العرش يوم لاظل الا ظله» وقيل هذا أيضاً من كلام الله.
وقيل يا رسول الله : أي جلساؤنا خير ؟ قال: «من ذكركم بالله رؤيته وزادكم في علمكم منطقه وذكر بالله عمله».
وعن أبي مدين : (دليل انقطاعك أي الى الله صحبتك للمنقطعين).

وعن علي : (اذا مات أحد الخليلين المؤمنين قال يارب ان فلاناً كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر ويخبرني اني ملاقيك يارب فلا تضله بعدي واهده كما هديتني وأكرمه كما أكرمتني واذا مات الآخر جمعهما فقال ليثن كل منكما على صاحبه فيقول نعم الاخ نعم الخليل نعم الصاحب) .

وقيل المراد الا المجتنبين أخلاء السوء واذا بعث الناس فزعوا كلهم فيقول الله للمتقين*

﴿يا عبادي لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون﴾ فيرجوها الناس كلهم فيتبعها بقوله*

﴿الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين﴾ فييأس الكفار.

قاله الطبري عن المعتمر عن أبيه عن غيره و (الذين) منصوب على الاختصاص أو نعت لعبادي والجملتان معترضان وقرىء باسقاط ياعبادي اكتفاء بالكسرة غير أبي بكر ونافع وأبي عمرو وابن عامر وصلاً ووقفاً وأثبتها ساكنة وصلاً ووقفاً نافع وأبو عمرو وابن عامر وفتحها أبو بكر وصلاً والواو للعطف أو للحال يقال للمسلمين *

﴿ادخلوا الجنة﴾ وقوله * ﴿أنتم﴾ توكيد للواو * ﴿وأزواجكم﴾ عطف على الواو * ﴿تحبرون﴾ حال من الواو والأزواج أو أنتم مبتدأ وتحبرون خبر ومعناه تسرون سروراً يظهر حبوره على وجوهكم والحبور الأثر والنعمة.

وقال الزجاج: (يكرمون اكراماً يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل) وعليه الكلبي وقيل تزينون من الحبر وهو حسن الهيئة وعلى الأول الحسن*

﴿يطاف عليهم بصحاف﴾ جمع صحفة وهى القصعة الواسعة * ﴿من ذهب﴾ يغدى عليهم بها في كل واحدة لون ليس في غيرها يأكل من آخرها كما يأكل من أولها ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها ولا يشبه بعضها بعضاً ويراح عليه بمثلها ويطوف على أرفعهم درجة كل يوم سبعمائة ألف غلام مع كل غلام صحفة من ذهب فيها ما ذكر *

﴿وأكواب﴾ جمع كوب الكوز مستدير الا عروة له ليشرب الشارب من حيث شاء وقيل الكوب الكوز المدور القصير العنق والعروة والابريق هو المستطيل الطويل العنق والعروة* ﴿وفيها﴾ أي في الجنة ﴿ما تشتهيه﴾ وقرىء (تشتهي) وعليه غير نافع وابن عامر وحفص * ﴿الأنفس﴾ أي ما يخطر فيها حتى انه ليشتهي طعاماً وفي فيه غيره فينقلب الى ما أراد *

﴿وتلذ الأعين﴾ بمشاهدته وذلك حصر لأنواع النعيم لانها اما مشتهاة في النفوس واما مستلذة في العيون.

قال رجل: يا رسول الله هل في الجنة خيل فاني أحبها قال ان يدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تركب فرساً من ياقوتة حمراء فتطير بك في أي الجنة أي في أي مواضع الجنة شئت الا فعلت وقال آخر: هل في الجنة ابل فانى أحبها فقال: ان يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذة عينك ولم يقل له مثل ما قال للأول) .

قال كعب: (يأتي الملك من الله الى ولي الله فيستأذن فيقول ائذنوا له فينتهى اليه وبين أصبعية سبعون حلة خير من الدنيا وما فيها فيقول لقد أعطاني ربي ما اشتهت نفسي ولذت عيني مارأيت في الجنة مثل هذا فيقول له الملك لك مثل هذا اذا شئت فيقول الملك للشجر حوله أنا رسول ربي اليكن لتطيعن لفلان مثل هذا اذا شاء فما مد يده الى مثلها الا أخذها.

ويوافقه ما قيل عن أبي هريرة : دار المؤمن درة مجوفة في وسطها شجرة تنبت الحلل ويمسك بين أصبعين من أصابعه سبعين حلة منظومة باللؤلؤ والمرجان * ﴿وأنتم فيها خالدون﴾ خبر (ان) لأنتم والخبر خالدون وفيها متعلق به والخلود تمام النعمة فان النعيم الزائل موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال معقب للتحسر في ثاني الحال فليس نعيم الدنيا كذلك لدوامه ﴿وتلك﴾ اشارة الى الجنة مبتدأ خبره * ﴿الجنة﴾ و ﴿التي أورثتموها﴾ نعت الجنة أو الجنة نعت تلك وبيانه أو بدله والتي خبره والتي نعت الجنة والخبر* ﴿بما كنتم تعملون﴾ ويعلق الباء على غير هذا الاخير بأورثتموها وقرىء

(ورثتموها) بالتشديد والبناء للمفعول وبالتخفيف والبناء للفاعل وشبهت الجنة في بقائها على أهلها بالميراث الباقي على الورثة أو شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه عليه العامل أو قال أورثتموها لان المؤمنين يأخذون منازل الاشقياء في الجنة فمنازل الاشقياء لعملهم تنتقل للمؤمنين والباء للملابسة أي أورثتموها ملابسة لثواب أعمالكم أو للمقابلة وهي التي تدخل على الاعواض ولاتنافي بين الآية وحديث (لن يدخل الجنة أحد بعمله) لان المثبت في الآية الدخول بالعمل المقبول والمنفي في الحديث دخولها بالعمل المحروم والقبول برحمة الله فلا دخول الا برحمته .

قاله القسطلاني وما موصول اسمي أو حرفي.

﴿لكم فيها فاكهة كثيرة منها﴾ من للتبعيض متعلقة بقوله ﴿تأكلون﴾ وقدمت الحصر والفاصلة أي لا تأكلون الا بعضاً وأعقابها باقية في أشجارها وهى موفرة بالثمار أبداً لا ترى شجرة عارية منها كما ترى شجر الدنيا وما أكل خلف بدله كما روى «لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها ثمرة الا نبت مكانها مثلاها».

وروي أيضاً انه ﷺ قال: «والذي نفسي بيده ان أهل الجنة ليتناولون من قطوفها وهم متكئون على فروشهم فما تصل الى أحدهم حتى يبدل الله مكانها أخرى» ولعل تفصيل النعم بالمطاعم والملابس وتكريره في القرآن وهو قليل بالنسبة الى سائر نعم الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة قاله القاضي*

﴿إن المجرمين﴾ المشركين الكاملين في الاجرام وكل مشرك كذلك والموحدين أهل الكبائر ولهذا اشترط للجنة مع الايمان الموجود في كل موحد الكون مسلماً أي مخلصاً لعمله وتوحيده عن الكبائر المفسدة أو المراد هنا المشركون ويؤيده قوله (ولكن أكثركم للحق كارهون) الخ وقوله (قل ان كان للرحمن) الخ وعلى الأول يصرف هذان القولان للمشركين فقط أو كراهة

الحق شاملة لعدم العمل به مع وجود الايمان به فيدخل فيها الموحد أو قوله لقد جئناكم خطاب لأهل مكة لا لأهل النار *

﴿في عذاب جهنم﴾ متعلق بقوله * ﴿خالدون﴾ وخالدون خبر وهما خبران لان * ﴿لا يُفتّر﴾ لا يخفف العذاب أو لا ينقص يقال فترت الحمى سكنت عنه قليلاً أو نقص حرها أو بردها والتشديد لتعديه ﴿عنهم وهم فيه﴾ أي في العذاب وقرىء (فيها) أي في جهنم * ﴿مبلسون﴾ ساكتون سكوت يأس لانهم آيسون من الرحمة.

وقال بعض أي منقطعو الرجاء آيسون وقيل مبعدون يائسون من الخير.

وعليه قتادة ولا خروج ولا موت قال الضحاك يجعل المجرم في تابوت من نار ويردم عليه فيبقى فيها خالداً لا يرى ولا يرى *

﴿وماظلمناهم﴾ ما عذبناهم بغير ذنب * ﴿ولكن كانوا هم﴾ توكيد للواو أو بدل وقيل حرف وقيل ضميرلا محل له * ﴿الظالمين﴾ لأنفسهم بذنوبهم *

﴿ونادوا يا مالك﴾ يعنون ملكاً هو خازن النار يستغيثون به.

وقرأ عليّ وابن مسعود (يامال) بالترخيم على لغة من ينتظر فكسر اللام.

وقرأ ابن السراء (يا مال) منوى على لغة من لا ينتظر فضمها قيل لابن عباس ان ابن مسعود قرأ (ونادوا يا مال) فقال ما اشتغل أهل النار بالترخيم وكأنه يرى ان الترخيم تزيين في المنطق وهو كذلك ولكنه يأتي أيضاً لغير التزيين فيجوز هنا أن يكون أهل النار لضعفهم ومللهم لعظم ما هم فيه اقتطعوا بعض الاسم *

﴿ليقض علينا﴾ اللام للدعاء جازمة أي ليمتنا * ﴿ربك﴾ فيستريح من قضي عليه اذا أماته أي سل ربك أن يميتنا وهذا النداء لا ينافي ابلاسهم لانهم في أزمنة متطاولة وأحقاب ممتدة تختلف بهم الاحوال فييأسون أوقاتاً ويرجون أوقاتاً أو نداءهم مع ابلاسهم لشدة ما بهم أو تمنوا بلا رجاء أو

الذي أبلسوا منه جروحهم أو التخفيف للاماتة ولعلهم نسوا ذبح الموت ﴿قال﴾ مالك خازن النار بعد ندائهم بأربعين عاماً أي مقدارها ﴿انكم ماكثون﴾ لابثون وفيه استهزاء والمراد لا خلاص لكم بموت ولا بغيره وبعد جواب خازن لهم يدعون ربهم قدر عمر الدنيا مرتين ثم يجيبهم اخسأوا فيها ولا تكلمون فما سر القوم بعد ذلك بكلمة فما كان الا الزفير والشهيق كصوت الحمير أوله زفير وآخره شهيق.

وعن ابن عباس: (انما يجيبهم خازن النار بعد ألف سنة وقيل بعد مائة سنة) والاول وهو الأربعون قول عمرو بن العاص.

وفي الحديث : «يأتي عليهم الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكاً فيدعون يا مالك ليقض علينا ربك» .

﴿لقد جئناكم بالحق﴾ خطاب من الله لأهل مكة كما يدل له قراءة من قرأ لقد جئتكم فهو مستأنف عن القصة النارية أو هو تمام قول مالك الى (كارهون) والأول أولى وعلى كل يجوز عود ضمير وقال لمالك ويجوز عودة لله فالكلام كله لله.

سألوا مالك أن يسأل القضاء عليهم فأجابهم الله بذلك وعلى خطاب أهل مكة يكون في ذلك تخويف فصيح أي انظروا كيف يكون حالكم أي جئناكم بالارسال والانزال على لسان الرسول ان كان الخطاب لأهل مكة وعلى ألسنة الرسل ان كان لاهل النار.

﴿ولكن أكثركم﴾ وهو من لم يؤمن ﴿للحق كارهون﴾ لان مع الباطل الدعة ومع الحق التعب *

﴿أم أبرموا أمراً﴾ في تكذيب الحق ورده والمكر برسول الله ﷺ وابرام الامر واحكامه وقيل أبرموا أمراً اجمعوه وعزموا عليه أي بل ابرموا أمراً ولم يقتصر على كراهة الحق وذلك الأمر قتل رسول الله ﷺ أو اخراجه أو نحو ذلك اجتمعوا عليه في دار الندوة و (أم) بمعنى (بل) وهمزة التوبيخ * ﴿فانا مبرمون﴾ محكمون أمرنا في اهلاكهم جزاء وان كادوه كدتهم بمثل كيدهم أو

مجمعون أمرنا والعدول عن الخطاب للاشعار بأن ذلك أسوأ من كراهتهم * ﴿أم يحسبون انا لا نسمع سرهم﴾ حديث أنفسهم بذلك وقيل ما يسرون الى غيره * ﴿ونجواهم﴾ أي حديثهم بينهم وقيل ما يجهرون به بيتهم أم هذه مثل تلك ﴿بلى﴾ نسمعها * ﴿ورسلنا﴾ الحفظة مع علمنا * ﴿لديهم﴾ أي عندهم خبر أول والثاني ﴿يكتبون﴾ أو هو الخبر ولديهم متلق به والمراد أن الحفظة ملازمة لهم يكتبون ذلك كغيره من أفعالهم .

قال يحيى بن معاذ الرازي : (من ستر من الناس ذنوبه وأبداها للذي لايخفي عليه شيء في السموات فقد جعله أهون الناظرين اليه وهو من علامات النفاق) *

﴿قل ان كان للرحمن ولدا﴾ ببرهان تأتون به * ﴿فأنا أول العابدين﴾ لذلك الولد تعظيماً لوالده أو العابدين للرحمن باثبات الولد له فانه ﷺ أعلم وأولى بتعظيم ما يجب تعظيمه أو ذلك كما يقوله الثابت القاطع على عدم قيام زيد ان قام فعلي لك ألف دينار وانما يقول ذلك من كان على ثبات من مدعاه فقد نفي ﷺ الولد عن الله بأبلغ وجه وقطع بكذبهم أقوى قطع هذا ما ظهر لي صفوه ومطابقته لفصاحة القرآن ومن ذلك قولك لمدعي الرؤية ان كان الله يرى فلا جعلني ممن يراه لثباتك على أنه لا يرى .

وقال مجاهد : المراد ان كان له ولد في زعمهم فأنا أول العابدين الموحدين المكذبين قولكم باثبات الولد وقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول النافين من أن يكون له ولد من عبد بعيد اذا اشتد أنفه فهو عبد وعابد وقرىء (العبدين) وباء ماضية مكسورة وياء مضارعة مفتوحة وقيل ان نافية والمراد أنا أول من يوحد الله من قومي والقول الآخر عليه ابن زيد وابن عباس والوقف فيه على ولد.

وعن أبي عبيدة : (العابدين) معناه الجاحدون عبدني حقي جحد نية.

وعن أبي حاتم : (العابد شديد الغضب)

وقرأ حمزة والكسائي ولد بضم الواو واسكان اللام وقد فسر الوليد ابن

المغيرة لعنه الله الآية وذلك أن النضر بن عبد الدار من قصي قال ان الملائكة بنات الله فنزلت الآية فقال النضر: ألا ترون انه قد صدقني فقال له الوليد ما صدقك ولكن قال (ما كان للرحمن ولد) فأنا أول الموحدين من أهل مكة ان لاولد ﴿سبحان رب السموات والأرض رب العرش﴾ بدل من رب السموات والأرض أو نعت وزعم بعضهم ان العرش الكرسي *

﴿عما يصفون﴾ عما يقولون من الكذب من ادعاء اتخاذ الولد والولادة من صفات الجسم ولو كان جسماً لم يقدر على خلق العالم وتدبير أمره * ﴿فذرهم﴾ اتركهم * ﴿يخوضوا﴾ في باطلهم * ﴿ويلعبوا﴾ في دنياهم فقد أقمت عليهم الحجة وذلك منسوخ بآية القتال كذا قيل والظاهر ان هذا وعيد يقال لهم ولو مع الأمر بالقتال فلا نسخ ومثله (اعملوا ما شئتم) ﴿حتى يلاقوا﴾ مبني للفاعل أصله يلاقيوا بكسر القاف نقلت اليه ضمة الياء لثقلها فحذفت الياء لالتقاء الساكنين واليوم مفعول به أو للمفعول أصله يلاقوه بفتح القاف نقلت اليها الضمة كذلك أو قلبت الياء الفا لتحركها بعد فتح فحذفت الألف للساكن وضمت القاف لمجانسة الواو ولم تعتبر الألف المحذوفة فاليوم ظرف أي يلاقيهم الله أو أعمالها أو أجزاءها *

﴿يومهم الذي يوعدون﴾ هو يوم القيامة. هذا قول الجمهور.

وقال عكرمة وغيره يوم بدر وفي ذلك اعلام ان ما يقولون من باب الجهل والخوض واللعب وانه مطبوع على قلوبهم لايرجعون البتة وان ركب في دعوتهم ما صعب وما سهل وفي ذلك أيضاً خذلان لهم وتخلية وابعاد بالشقوة في الآخرة والرابط محذوف أي يوعدونه أي يوحدون أن يعذبوا فيه والمضارع للاستمرار التجددي أي أوعدوا به مرة بعد أخرى أو بمعنى الماضي*

﴿وهو الذي في السماء اله﴾ بتخفيف الهمزتين واسقاط الاولى وتسهيلها كالفاء * ﴿وفي الارض اله﴾ النكرتان لمسمى واحد تعالى عن التعدد وبهما يتعلق في لان اله بمعنى معبود قيل أو مالك أو النافذ أمره أو مضمن ذلك المعنى .

وقرأ ابن مسعود وعمر بن الخطاب وأبّي وغيرهم (وهو الذي في السماء الله وفي الارض الله) بالتعريف وفي التعليق ما مر وصدر الصلة على كل من ذلك محذوف أي هو اله أو هو الله لطول الصلة بالجار والمجرور والعطف وليس المراد بالسماء والارض خصوصهما بل هو معبود في جميع السماوات والأرضين وما بينهن مالك كل شيء نافذ الأمر في كل شيء وفي الآية نفي ما يعبد من دونه وتعظيم واخبار بألوهيته ويجوز كون (في السماء) خبر (واله) مبتدأ والرابط له لانه ظاهر قام مقام المضمر للوصف بالألوهية وكذا ان جعل (اله) فاعلاً للجار والمجرور يكون الرابط (اله) لقيامه مقام الضمير ومنع ابن هشام ذلك واقتصر على التعليق باله لانه ولو جامداً بدليل انه يوصف لكنه مؤول بمعبود وعلى تقدير المبتدأ له قال ولا يحسن تقدير الظرف صلة واله بدلاً من الضمير المستتر فيه وتقدير وفي الأرض (اله) معطوفاً كذلك لتضمنه الابدال من ضمير العابد مرتين وفيه بعد حتى قيل بامتناعه ولان الحمل على الوجه البعيد ينبغي أن يكون سببه التخلص به من محذور أن يكون هو موقعاً في ما يحوج الى تأويلين فلا ولا يجوز على هذا الوجه أن يكون (وفي الأرض اله) مبتدأ وخبر لئلا يلزم فساد المعنى ان استؤنف وخلو الصلة من عائد ان عطف أحد التأويلين ان المبدل منه في حكم المطروح فتخلو الصلة من عائد فيقول هو وان طرح تقديرا موجوداً حساً فلا تضر فيه طرحه والآخر مثله هذا في الجملة الثانية وأشار بقوله هذا الوجه الى جعل الظرف صلة (واله) بدلاً من المستتر فيه ولو جعل اله بدلاً لمحذوف وفي السماء متعلق باله وجعل وفي الارض اله استئنافا لفسد المعنى أيضاً*

﴿وهو الحكيم﴾ في تدبير خلقه*

﴿العليم﴾ بمصالحهم وهذه الجملة كالدليل على استحقاق الألوهية*

﴿وتبارك﴾ تعظم *

﴿الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما﴾ كالهواء*

﴿وعنده﴾ لاعند غيره*

﴿علم الساعة﴾ أي علم بالقيامة التى تقوم الساعة فيها*

﴿واليه﴾ لا الى غـيره * ﴿ترجعون﴾ للجزاء وفيه التفات عن الغيبة الى الخطاب للتهديد وذلك قراءة نافع وابن عامر وأبي عمرو وعاصم وروح وبعض قرأ للبناء للفاعل وقرأ الباقون بالمثناة تحت مبنيا للمفعول وقريء (تحشرون) بالتاء الفوقية .

قال النضر بن الحارث ونفر معه ان كان ما يقول محمد حقاً فنحن نتولى الملائكة فهم أحق بالشفاعة من محمد فنزل قوله .

﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة﴾ هم الاوثان عند الحسن أي لا تملك الشفاعة لعبادها واستثنى عيسى وعزيرا والملائكة بقوله *

﴿الا من شهد بالحق﴾ لانهم عبدوا من دون الله ولهم شفاعة كذا قال الخازن والمناسب لكون الآية نزلت بسبب النضر ومن معه أن يراد بمن شهد بالحق من شهد بكلمة الاخلاص قيل (الذين يدعون) شامل للملائكة وعيسى وعزير والاصنام ومن شهد بالحق الملائكة وعيسى وعزير فالاستثناء متصل وعليه قتادة وقيل: الذين يدعون هم الاصنام ومن شهد هو الملائكة وعيسى وعزير فالاستثناء منفصل وعن مجاهد الذين يدعون الملائكة وعيسى وعزير ومن شهد هو من شهد بكلمة الاخلاص وقال الكلبي: الذين يدعون الملائكة ومن شهد من شهد بالكلمة وعليها فالاستثناء منقطع أيضاً أي لكن من شهد بالحق يشفعون له لا لغيره وقريء تدعون بالتاء الفوقية وبها مع التشديد والشفاعة مفعول يملك *

﴿وهم يعلمون﴾ بالتوحيد كما نطقوا بألسنتهم الا من شهد على يقين واخلاص وهم المشفوع فيهم أو الشافعون على ما مر والواو للحال والجمع مراعاة لمعنى من ولو روعي لفظها فقل *

﴿ولئن سألتهم﴾ قيل أي العابدين أو المعبودين أو الكل والحق ان المراد العابدين المشركين *

﴿من خلقهم ليقولن الله﴾ أي خلقهم الله أو الله خلقهم*

﴿فأنى يؤفكون﴾ أي كيف يصرفون عن عبادته* ﴿وقيله﴾ مصدر قال والهاء للنبي ﷺ وفي (قيله) ثلاث قراءات : النصب والجر والرفع ؛ فأما الجر فهي قراءة عاصم وحمزة وبقية السبعة بالنصب (قيله) وأما الرفع فهي قراءة الأعرج وقتادة وابن هرمز ومسلم بن جندب ، فمن جر جملة على معنى : (وعنده علم الساعة وعلم قيلِهِ ، ومن نصب فعلى معنى: (وعنده علم الساعة ويعلم قيلَه ، وهذا اختيار الزجاج ، وقال الفراء والأخفش: يجوز أن يكون (قيله) عطفاً على قوله : (أنا لانسمع سرهم ونجواهم) قال ابن الانباري: سألت ابن المبرد بأي شيء تنصب القيل ؟ فقال : أنصبه على (عنده علم الساعة ويعلم قيلَه) ، وأجاز الفراء والأخفش أن ينصب القيل على معنى : (لانسمع سرهم ونجواهم) ، وأجاز الفراء والأخفش أن ينصب على المصدر كأنه قال : (وقال قيلَه) ، ومن رفع (قيلُه) فالتقدير: (عنده قيلُه أو قيلهُ مسموع أو قيله هذا القول).

والذي قالوه ليس بقوي في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما يمسها اعتراضاً ، ومع تنافر النظم ، وأقوى من ذلك وأوجه أن يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم ، والرفع على قولهم ، كأنه قال: ما قسم يقيله يارب أو قيله يارب قسمي ، (ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) وقال ابن الانباري: ويجوز في العربية وقيله بالرفع على أن ترفعه بـ (إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) أو يكون على تقدير (وقيله قيله يارب) فحذف قيله الثاني اذي هو خبر.

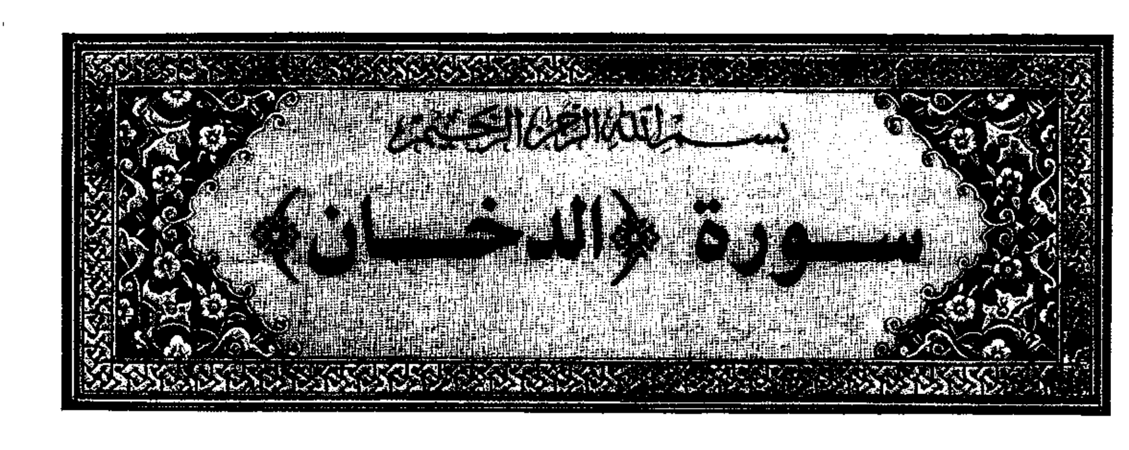
﴿فاصفح عنهم وقل سلام﴾ أي أعرض عنهم وعن دعوتهم أيساً من ايمانهم وفي ضمن ذلك منع من أن يدعو عليهم بالعذاب ويسالمهم ويتركهم وقيل معنى (قل سلام) قل خيراً بدلاً من شر والخبر محذوف أي سلام عليكم والمبتدأ محذوف أي أمريء مسالمة وذلك كلام حلم بين المشركين والمؤمنين ثم نسخت الآية بالسيف*

﴿فسوف تعلمون﴾ وعيد لهم وتسلية لرسوله بعد تعظيمه وتعظيم دعائه باقسامه بقيله أي سوف يعلمون عاقبة كفرهم يوم القيامة وقيل معناه يعلمون انك صادق .

وقرأ غير نافع وابن عامر بالياء التحتية على انه ليس من المأمور بقوله وأما هما فقرآ بالفوفية على انه من جملة المأمور بقوله في قوله.

(وقل سلام).

اللهم ببركة سيدنا محمد وبركة السورة اخز النصارى واكسر شوكتهم وغلب الموحدين والمسلمين عليهم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة «الدخان»

سـورة ﴿الدخـان﴾

وهي مكية وقيل الا (انا كاشفو العذاب) الآية . وآيها سبع وخمسون وقيل تسع وخمسون وقيل ست وخمسون وكلمها ثلاثمائة وست وأربعون كلمة حروفها ألف وأربعمائة واحدى وثلاثون وعنه ﷺ «من قرأ (حم الدخان) في ليلة أصبح يستغفر له ألف ملك» وعنه أيضاً «من قرأ (حم) التي يذكر فيها الدخان في ليلة جمعة أصبح مغفوراً له» .

«من قرأ (حم الدخان) في يوم جمعة أو ليلة جمعة بنى الله له بيتاً في الجنة ومن علقها أمن من كل شيطان وهيب وحبٍّ».

ومن قرأ (حم الدخان) الى (بدخان مبين) أول ليلة من شعبان بعد صلاة العصر خمساً وعشرين مرة الى الليلة الرابعة فيقرأها ثلاثين ويستغفر بعد ذلك ويدعو أجاب الله له ويقرأها في كل ليلة فيها ذِكر» *

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حم والكتاب﴾ أي القرآن والواو للقسم ان جعلت (حم) تعدادا للحروف أو اسماً للسورة خبراً لمحذوف وللعطف ان كانت (حم) قسماً.

وانا أنزلناه جواب القسم * ﴿المبين﴾ المظهر للحلال والحرام والأحكام * ﴿انا أنزلناه﴾ أي الكتاب من اللوح المحفوظ اى السماء الدنيا *

﴿في ليلة مباركة﴾ ليلة القدر ونسخه الملائكة فيها ثم كان جبرائيل ينزل به وهو في بيت العزة نجوماً على حسب الوقائع ثلاث آيات وأربعاً وخمساً وأقل وأكثر وهي المراد بمواقع النجوم .

وذلك قول قتادة والحسن وابن زيد والجمهور.

وقال عكرمة الليلة المباركة ليلة النصف من شعبان وتسمى ليلة النصف من شعبان الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الصك وليلة الرحمة وسميت ليلة البراء وليلة الصك لان البندار اذا استوفي الخراج من أهله كتب لهم البراءة في الصك والله عز وجل يكتب للمؤمن البراءة من النار ليلة النصف من شعبان وانه قام بشرائط العبودية ويكتب للكافر البراءة من الجبار وانه استخف بحق الله وانما سميت ليلة مباركة لانها ذات بركة في ذاتها أو لمجاورة الملائكة فيها للآدميين وقربهم .

وفي الحديث يسح الخير ليلة النصف من شعبان سحاً وكذلك سميت ليلة الرحمة لنزول الرحمة وتسمى أيضاً ليلة القسمة للارزاق وليلة التقدير لما يقضي الله فيها وتنسخ السفرة الكرام فيها اسم كل من يموت من شعبان الى شعبان ويعطون النسخ لملك الموت فيها وينتظر الوقت وقيل في ليلة القدر والصحيح الأول وان الرجل ليظلم ويفجر ويحج وينكح يعرش ويبنى وقد نسخ اسمه من الاحياء ولا ليلة أفضل منها بعد ليلة القدر والتحقيق ليلة المولد فليلة القدر فليلة الاسراء فعرفة فالجمعة فليلة نصف شعبان فليلة العيد وكذا أيامها والليل أفضل من النهار وقيل النهار وهذا في غير تلك الليالي أما هن فأفضل من نهرتهن والملك يقبض كل ذي روح .

وقالت المعتزلة: (الثقلين فقط) والمبتدعة (ان أعوانه يقبضون أرواح البهائم) دونه وخص ذكر النكاح والغرس ونحوهما لعظمهما وغيرهما كذلك ويقبض ولو في البحر على الصحيح ويقبض روح نفسه عند بعض.

والصحيح ان الله يقبضها وذلك بعد فناء الخلق وظاهر القبض ان الروح جوهر .

وعن ابن عباس: (تقضى الأقضية) كلها ليلة النصف من شعبان) أي تظهر للملائكة وقضاؤها أزلي وتعطى لأربابها ليلة القدر فقيل أربابها جبرائيل وعزرائيل وميكائيل تعطى نسخة الأرزاق لميكائيل ونسخة الحرب

والزلزلة والصاعقة والخسف لجبرائيل ونسخة العمل لاسماعيل صاحب سماء الدنيا ليفتح السماء للعمل المقبول والذي لم يؤمر برده ونسخة الموت لملك الموت وكذا المصائب.

وفي رواية تعطى ليلة السابع والعشرين فهى ليلة القدر وأول من يعلم بموت الانسان حافظه لانه يعرج بعمله وينزل برزقه فيرى ان لا رزق له.

وكان ﷺ يكثر الصوم حتى يقال انه لا يفطر والافطار حتى يقال لا يصوم وأكثر صيامه في شعبان فقالت له عائشة فقال فيه : «انه شهر ينسخ فيه لملك الموت من يقبض وأرجو أن ينسخ اسمي وأنا صائم» ومراده أن ينسخ أثر الصوم لان النسخ ليلاً والصوم نهاراً أو لعله قال ذلك لانه يواصل ان شاء لو النسخ نهار.والتسليم لملك الموت ليلاً والصوم متقدم على ليلة النصف والا فمعنى صائم عازم على الصوم وبركة الصوم تعود على ما قبله.

وروي انه يكثر الصوم فيه ليموت صائماً ان مات فيه . وقال أيضاً بعد سؤاله أكثر صومه لغفلة الناس فيه ولرفع صحائف الأعمال الى الله فيه ويثبت التعليل بجميع ذلك وكان يتحرى أيضاً صوم الاثنين والخميس لعرض الأعمال فيهما على الله عالماً بها فقيل تعرض فيهما مفصلة وأعمال العام في شعبان وغيره مجملة وقيل كل يوم وليلة يعرض تفصيلاً والجمعة والعام اجمالاً وقيل اليوم والليلة ترفع أعمالهما بلا عرض وفائدة العرض اجمالاً وتفصيلاً الترغيب والترهيب وكلمة لا اله الا الله تصعد بنفسها وترفع الأعمال كل يوم وكل ليلة وتقابل باللوح المحفوظ .

ولا يكمل ﷺ الا رمضان وقيل يكمل شعبان في بعض الاعوام وقيل يفطر منه قليلاً أولاً وتارة آخر وتارة وسطاً .

وفي الحديث : «أفضل الصوم بعد رمضان المحرم» ولم يكثر صومه بل أكثر صوم شعبان لانه علم ذلك آخر الحياة ولانه تعرضه فيه موانع الصوم ولم يستكمل غير رمضان لئلا يظن وجوبه كذا قيل وفيه انه يجب الشيء بقوله لا بعمله وقيل يستكمله وحده لدفع اللبس بغيره وأفضل الأشهر للصوم بعد رمضان وليلة النصف من شعبان والمحرم ورجب فذو الحجة فذو القعدة

فشعبان وتسمى أيضاً ليلة نصفه ليلة تكفير الذنوب ذنوب السنة الصغار وليلة القدر ذنوب العمر وليلة الجمعة ذنوب الاسبوع ووجه التسمية لايوجب التسمية وان لم تصادف الذنوب أثبتت حسنات قيل وتخفف من الذنوب الكبار وعن قومنا الكبار لا يمحوها الا التوبة أو الحج المبرور وحق العبد لابد من محاللته وتسمى أيضاً ليلة الاجابة لانه لا يرد دعاء فيها وكذا في ليلة الجمعة وأول ليلة من رجب وليلتي العيدين وليلة القدر ورمضان ويوم عرفة وتسمى أيضاً ليلة الحياة لانه لا يموت شيء بين مغربها وعشائها لانشغال الملك بقبض الصحف أو بتهيئتها للقبض ليلة القدر وتسمى ليلة عيد الملائكة وعيدهم الآخر ليلة القدر وقيل عيدهم الليلتان لانهم لا ينامون وتسمى ليلة الشفاعة أيضاً لسؤاله ﷺ الشفاعة لأمته ، فيها سأله داود أن يجيب دعاء من دعا فيها وتسمى أيضاً ليلة الجائزة لما فيها من اعطاء الأرزاق والأمطار وغيرها وليلة الرجحان لرجحان ثواب العمل فيها على ثوابه في غيرها كما وكيفاً وليلة التعظيم لانها أعظم الليالي بعد ليلة القدر ولعظمها بنزول القرآن فيها وغفران العظائم وليلة القدر وليلة الغفران والعتق من النار وان قلت فضلت هذه الليلة لذاتها أو لنزول القرآن فيها .

قلت: قيل تفضيل الأزمان والاماكن لذاتها ورجحه بعض وقيل تفضيلها باعتبار تضعيف العمل فيها وعليه ابن عبد السلام وقيل باعتبار ما يقع فيها من عمل وغيره وقال السبكي منها ما لذاته كقبر النبي فانه ينزل عليه بنفسه من الرحمة والملائكة والتعظيم ما لا يوصف ولا عمل فيه والبركة في هذه الليلة اما لنزول القرآن فيها أو لمعنى لا نعلمه وعلى التفضيل للذات فنزول القرآن زيادة تشريف ولانها ليلة افتتاح الرحمة ونزول القرآن ليلاً لانه وقت الخلوة والاختصاص ومجالسة الملوك وهي أشرف من مجالستهم نهاراً .

وأكرمت جماعة من الأنبياء ليلاً قال الله عز وجل (فلما جن الليل) الخ أقام الحجة على قومه وقال (فاسر بأهلك) الخ وقال (سوف أستغفر لكم

ربي) ودعا سحر ليلة الجمعة وقرب موسى نجياً ليلاً وأسرى بنبينا محمد ﷺ ليلاً وانشق له القمر ليلاً وآمن به الجن ليلاً وخرج الى الغار ليلاً وقدم الله عز وجل ذكر الليل على النهار في غير آية وهو محل الاجابة والغفران والعطاء وأكثر أسفاره ﷺ ليلاً لان الارض تطوى فيه والليل أصل لخلق الظلمة قبل النور واذا كان أول الشهر وسواده يجمع ضوء البصر ويجد كليل النظر ولكن قيل لاليل في السماء فمعنى نزوله فيها ليلاً نزوله وقت الليل في الأرض وقد علمت ان الصحيح ان المراد بالليلة المباركة هنا ليلة القدر ويدل له شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن فعين وقت نزوله من الشهور وبين في هذه الآية انه في الليل وعين الليل بقوله في ليلة القدر ويوافقه فيها (يفرق كل أمر) فان القدر معناه التقدير في قول والفرق تقدير.

قال ابن عباس: (يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما هو كان في السنة كله الا السعادة والشقاوة فتكتبان مرة ولا تمحوان وقيل أراد فراغ الكتابة فيها وان ابتداءها ليلة النصف من شعبان وعن بعضهم ان الواو للعطف لا للقسم لكراهة قسمين معاً وهذا بناء على ان (حم) قسم والكتاب القرآن وقيل جميع الكتب قال على الاول للعهد الذكري لذكره (بحم) على انها اسم للقرآن وفي غير هذه السورة قبلها وعلى الثانى للاستغراق واعتراض الثانى باقتضائه ان الكتب كلها نزلت ليلة النصف من شعبان أو ليلة القدر .

وأجيب بأن المراد بالهاء في (أنزلناه) على الاستخدام أو للوح قال للعهد الذي في ذهن النبي ﷺ وابن عباس على الأول وأسند الابانة أي التبيين للقرآن لحصولها به وأكد الكلام بالقسم وان لانكار المشركين نزوله ولعل معنى نزول اللوح نزول ما فيه وقيل الكتاب اللوح والهاء القرآن وقيل الهاء للامر بعدها أي أنزلناه أمراً من عندنا كقولك ضربته زيداً ونزل بعد نزوله جملة منجماً أي مفرقاً في عشرين سنة وقيل ثلاث وعشرين وقيل خمس وعشرين على الخلاف في مدة اقامته في مكة بعد البعثة وقيل نزل الى سماء

الدنيا في عشرين ليلة قدراً وثلاث وعشرين أو خمس وعشرين في كل ليلة قدر ما ينزل في سنتها مفرقاً بحسب الوقائع وقيل نزل من اللوح المحفوظ أول ما نزل منه الى سماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل منجماً في أوقات مختلفة من سائر الأوقات الى أن تم وقيل نزل جملة على السفرة في بيت العزة بلا واسطة جبرائيل ونجومه على جبرائيل في عشرين ليلة قدراً وثلاث وعشرين أو خمس وعشرين ونجمه جبرائيل على سيدنا محمد ﷺ في أحد تلك الأعداد وانما نزل أولاً جملة الى السماء في بيت العزة تعظيماً له ولمن نزل عليه باعلام سكان السموات انه آخر الكتب الرسل لأشرف الأمم ونزل بعد ذلك مفرقاً تشريفاً له ولأمته وليثبت به فؤاده فانه اذا كان الوحي يتجدد في كل حادثة كان أقوى للقلب ويحدث سرور عظيم له لمجيء الملائكة من عند الله وهو في كل مكان وكان أجود ما يكون في رمضان لكثرة لقائه جبرائيل عليه السلام وليتحفظ وينزل آية فأكثر وأقل نزلت عشر في قصة الافك وعشر من أول سورة المؤمنين ونزل (غير أولى الضرر) الخ وحده وهو بعض آية والغالب انه ينزل خمساً خمساً فينبغى تعلمه كذلك ويأخذه جبرائيل من اللوح وقيل يلهم وأحرف القرآن في اللوح كل واحد كجبل قاف وتحت كل معان لا يحيط بها غير الله فقيل ينخلع النبي الى صورة الملك أو يتغلب عليه الصفات الملكية فيأخذه كأنه أخذه ملك عن ملك أو ينخلع جبريل الى صورة البشر فكأنه أخذه بشر عن بشر والواضح أنه يبقى على حاله وجبرائيل تارة يبقى على صورة الملك وتارة لا وقيل : كيفية الوحي سر لا يدرك بالعقل وانما يعرف انه جبرائيل لاظهار الله عل يديه معجزات عرفه بها أو خلق فيه علماً ضرور يعرفه به والراجح نزول اللفظ والمعنى نزل المعنى وقيل عبر النبي وقيل المعنى وعبر جبريل .

﴿انا كنا منذرين﴾ فسر به وبالجملة بعده جواب القسم كأنه قيل أنزلناه لان من شأننا الانذار أي التخويف أي انا على ما نحن عليه من الاجلال كنا مخوفين بالقرآن من عصى لا نأخذهم من غير انذار لاجل رحمتنا وكنا

للدلالة على الوقوع في الماضي مع البقاء الى الحال وتقدير بالقرآن مذهب المدابغي والحق ان المراد مطلق الانذار فيشمل الانذار بغير القرآن كالتوراة وخص الانذار لانه المقصود بالارسال ولعمومه المكلفين لان الطابع ينذر ليزداد ويدوم وينذر عن سلب المعرفة والبشارة خاصة بالطابع وأما فبشرهم بعذاب فمجاز وقيل أعم مطلقاً وعن بعضهم ان الجملة جواب القسم وانا أنزلناه معترضة لتفخيم المقسم عليه والمختار ان الجواب (انا أنزلناه) وعليه ابن هشام لسبقه وسلامته من اللازم على ان الجواب (انا كنا منذرين) فان يفرق من تتمة الاعراض وقد تخلل بينهما المقسم عليه * ﴿فيها﴾ أي في الليلة المباركة يتعلق بيفرق ﴿يفرق﴾ يبين ويوضح *

﴿كل أمر حكيم﴾ أي محكم وهو فعيل بمعنى مفعول من الرباعي أي متيقن لا يستطاع أن يطعن فيه وهو رزق وأجل ونصر وهزيمة وخصب وقحط وغير ذلك من أمور السنة في السموات والأرض وذلك الى الآن الا الوحي فقد انقطع بموت النبي ﷺ يبين ذلك للملائكة فيجدونه موافقاً فيزدادون ايماناً (حكيم) بمعنى ذي حكمة أي مفعول على ما تقتضيه الحكمة فجائز عقلى من اسناد ما للفاعل للمفعول جعل الزمخشرى (انا كنا منذرين) راجعاً لقوله (إنا أنزلناه) كما مر وجعل فيها (يفرق كل أمر حكيم) (في ليلة مباركة) أي أنزلناه في هذه الليلة لانه أمر جليل وهذه الليلة يفرق فيها كل أمر حكيم وهذه الليلة المباركة هى ليلة النصف من شعبان يفرق فيها كل أمر حكيم جميعاً عند عكرمة وابتداء عند أبي الضحى والكرمانى والزمخشرى وينتهي ليلة القدر ولذلك قيل فضل رجب في العشر الأوائل منه لاجل فضل أول ليلة منه وفضل شعبان في العشر الاوسط لاجل ليلة النصف وفضل رمضان في العشر الأخر منه لاجل ليلة القدر وشهر شعبان شهر الصلاة عليه ﷺ لان الله وملائكته يصلون الخ نزلت فيه قيل: فالصلاة عليه فيه أفضل منها في غيره واعترض بأنه يلزم ان كل عبادة نزلت

في شهر يكون وقوعها فيه أفضل من ايقاعها في غيره وقيل معنى (يفرق كل أمر حكيم) يعطي كل عامل بركات أعماله فيلقي على ألسنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته وقيل قرىء (يفرق) بالتشديد و (يفرق) بالفتح في الياء وكلاهما مبني للفاعل وهو الله وينصب (كل) وقرأ زيد بن عليّ (نفرق) بالنون*

﴿أمراً من عندنا﴾ (أمرا) حال من أمر الاول لوصفه عند ابن هشام وادعى الزمخشري انه منصوب على الاختصاص قال وصف الامر بالحكم أولا وزاده جزالة بأن قال (أعني أمراً حاصلاً من عندنا) وكما اقتضاه علمنا وتدبيرنا وكأنه أراد بالاختصاص تقدير أعني فلا اشكال والا فلم تكمل شروط الاختصاص ويجوز أن يراد بالامر ضد النهي ثم ان اما أن يوضع موضع فرقاناً الذي هو مصدر يفرق لان معنى الامر والفرقان واحد لانه اذا فصل شيئاً وأثبته وقد أمر به وأوجبه واما أن يكون حالاً من فاعل (أنزلناه) أي أمرين أو من مفعوله أي (أنزلناه) حال كونه أمراً من عندنا بما يجب أن يفعل أو أنزلناه مأموراً به.

﴿انا كنا مرسلين رحمة من ربك﴾ أي نرسل الرسل اليهم رحمة منا وقيل (رحمة) عائد لأنزلناه وما بينهما اعتراض وقيل ليفرق وقيل الأمر ضد النهي وهو مفعول لأجله ويصح مفعولاً لمرسلين وذلك أن التكليف تعريض للمنافع ووضع الرب موضع الضمير ايذاناً بأن الربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين.

وقرأ زيد ابن علّي برفع (أمر) خبراً لمحذوف أي هو أمر وفيها تقوية لنصب أمر بأعني في قراءة نصبه وقرأ الحسن (رحمةٌ) وهي تصير انتصابها بأنه مفعول به.

وروي ان الله يطلع ليلة النصف من شعبان الى العباد فيغفر لأهل الأرض الا مشركاً ومشاحناً أي اطلاع منه وفضل أي اكثار ذلك عن باقي الساعات وانه يغفر للمؤمنين ويمهل الكافرين ويترك أهل الحقد بحقدهم حتى يتركوا

الحقد وعن عائشة رضي الله عنها فقدت رسول الله ﷺ ليلة فخرجت تطلبه فاذا هو ببقيع الفرقد مقبرة لأهل المدينة كان به شجر الفرقد وذهب ونقى اسمه رافعاً رأسه الى السماء فقال أتخافين أن يحيف الله ورسوله عليك أي يميل عن الحق فقالت: لا يا رسول الله لكن ظننت انك أتيت بعض نسائك فقال «ان الله ينزل ليلة النصف من شعبان الى سماء الدنيا أي تنزل رحمته فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب» وتلك ليلتها وأخذتها الغيرة .

وروي أيضاً ان ليلتها وافقت ليلة النصف من شعبان ففقدته في جوف الليل فطلبته في بيوت نسائه فلم تجده ورجعت لبيتها فوجدته ساجداً كأنه الثوب الملقى على الأرض قائلاً : «سجد لك سوادي أي ظلي كناية عن شخصه وخيالي وآمن بك فؤادي وهذه يدي وما جنيت بها على نفسي ياعظيماً يرجى لكل عظيم اغفر لى الذنب العظيم سجد وجهى للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره فرفع رأسه فسجد وقال فيه أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقابك وبك منك لا أحصي ثناء عليك كما أثنيت أنت على نفسك أقول كما قال أخى داود أعفر وجهى في التراب سيدي وحق لوجهي سيدي أن يغفر له أي وسيدي ورفع رأسه فقال اللهم أرزقني قلباً تقياً من الشرك نقياً لا جافياً ولا شقياً » ، ثم انصرف من صلاته فدخل معي في الخميلة وهي كساء له وبر ويقال المطنفسة أيضاً ولي نفس عال فقال ﷺ ما هذا النفس يا عائشة فأخبرته فطفق يمسح بيديه على ركبتي ويقول ويس هاتين الركبتين ما لقيتا في هذه الليلة ليلة النصف من شعبان ينزل الله فيها أي رحمته الى السماء الدنيا فيغفر لعباده الا المشرك والمشاحن قالت : وانه يغفر للمؤمنين ، وكسائي اذ ذاك من شعر المعز ولحمته من وبر الابل والمشاحن المخاصم والمعادي لأمر دنيوي .

وقال الأوزاعي: (صاحب البدعة المفارق للجماعة والأمة) وقيل عنه ليس هو من لا يكلم الرجل بل من في قلبه شحناء لأصحاب رسول الله ﷺ أي على غير الحق كالرافضية .

وقال ثوبان : (التارك للسنة الطاعن في الأمة السافك دماءهم) .
وروي (الا مشاحناً وقاتلاً بغير حق) وروي انه يغفر للمستغفرين ويتوب على التوابين ويستجيب للسائلين ويكفي المتوكلين ويغفر لمن يشاء وانه يقول هل من داع فأجيبه هل من مستغفر فأغفر له هل من تائب فأتوب عليه الا زانية تكسب بفرجها أو عشاراً أو رجلاً بينه وبين أخيه شحناء) .
وقالت عائشة : (دخل عليّ فوضع ثوبيه فلبث قليلاً فلبسهما وخرج فغرت وظننته أتى بعض صويحباتي فخرجت أتبعه فأدركته بالبقيع يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والشهداء فقلت بأبي أنت وأمي أنت في حاجة ربك عز وجل وأنا في حاجة الدنيا فانصرفت فدخلت في حجرتى ولي نفس عال فلحقنى رسول الله ﷺ فقال ما هذا النفس يا عائشة فقلت بأبي أنت وأمي أتيتني فوضعت عنك ثوبيك فقمت فلبستهما فأخذتني غيرة شديدة فقال : هذه ليلة النصف من شعبان ولله فيها عتقاء لأكثر من عدد شعر غنم كلب لا ينظر أي نظر رحمة فيها الى مشرك ولا مشاحن ولا قاطع رحم ولا ساحر ولا كاهن ولا مسبل ثيابه للخيلاء ولا عاق لوالديه ولا مدمن خمر أي شاربها ولو مرة ان لم يتب ثم وضع ثوبيه فقال أتاذنين لي في قيام الليلة ياعائشة فقلت نعم بأبي وأمي، فقام فسجد ليلاً طويلاً أي جزءا طويلاً حتى ظننت انه قبض فقمت ألتمسه ووضعت يدي على باطن قدميه فتحرك أي ليعلمها بالحياة ففرحت أي بتحقق حياته وسمعته يقول في سجوده أعوذ بعفوك أبي على نفسك فلما أصبحت ذكرتهن له وقال ياعائشة أتعلمتهن فقالت نعم فقال تعلميهن أي داومي على حفظهن وعلميهن فان جبريل علمنيهن وأمرني أن أرددهن في السجود .
وروي انها قالت دخل معي في لحافي فنمت وانتبهت فلم أجده فطفت في حجرات نسائه فلم أجده فقلت لعله ذهب الى جاريته مارية القبطية فمررت في المسجد فوقعت رجلي عليه وهو يقول : « سجد لك سوادي» الى قوله «أن يغفر» ثم رفع رأسه فقلت : بأبي أنت وأمي أنت في واد أي مذهب

وأنا في واد قال: ياحميراء أما تعلمين ان هذه الليلة ليلة النصف من شعبان ان لله فيها عتقاء من النار بعدد شعر غنم كلب قلت يا رسول الله ما بال شعر غنم كلب قال لم تكن في العرب قبيلة أكثر غنيمة منهم الا مدمن خمر وعاق والديه ومصوراً أو مصرا على الزنى ومصارما ومضرباً في التجارة أي يخلط الجيد بالرديء وكاذباً في الشراء وفتاناً أي نماماً والمراد بالشعر التمثيل والا فيمكن أن يكون المغفور لهم أكثر.

وروي «قوموا ليلها وصوموا نهارها فان الله ينزل أي رحمته عند غروب الشمس الى سماء الدنيا ويقول ألا مستغفر فأغفر له ألا مسترزق فأرزقه ألا مبتلى فأعافيه ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر».

وقال عطاء : (النزول في كل ليلة فلعل خصوص ذكر هذه الليلة لنزوله أي رحمته من الغروب ولتكثير الرحمة وباقي الليالي ينزل أي رحمته ثلث الليل الاخير وعن بعض إن يوم النصف كليلتها وكذا ليلة القدر وليلة الجمعة مع يوميهما وتسمى ليلة اللحظ لانه يلحظ فيها للكعبة أي يعاملها معاملة الملحوظ اليه بالرحمة.

وروي «من أحياها وليلة التروية وليلة عرفة وليلة النحر وليلة الفطر وجبت أي ثبتت له الجنة ومن قامها وليلتي العيد لم يمت قلبه يوم تموت القلوب» أي بمحبة الدنيا وقيل لا يجبر عند الموت ولا في القبر ولا في القيامة وقيام الليل عبادة الله فيه بأي عبادة لله ويحصل بمعظم الليل وقيل بساعة.

وقال لعمه العباس: «يا عماه ألا أعلمك ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبوك ألا أفعل لك عشر خصال اذا فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك أوله وآخره قديمه وحديثه خطأه وعمده صغيره وكبيره سره وعلانيته أن تصلي أربع ركعات تقرأ في كل ركعة الفاتحة وسورة فاذا فرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائم فقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقول وأنت راكع عشراً ثم ترفع فتقول عشراً وتسجد وتقول عشراً وترفع وتقول عشراً وتسجد وتقول عشراً وترفع وتقول عشراً فذلك خمس

وسبعون تسبيحة في كل ركعة تفعل ذلك في كل يوم أو في كل جمعة أو في كل شهر أو في كل عام أو في عمرك مرة (وأراد بعشر خصال ما ذكره بقوله أوله وآخره) الخ فيغفر ذنوبك ولو مثل زبد البحر أو رمل عالج» وتسمى صلاة التسبيح ومن أراد الجنة فعليه بها وليس للشدائد والعموم مثلها فان صلاها ليلاً فالأولى أن يسلم كل ركعتين وسواء ذلك وغيره ان صلى بالنهار ولا يجهر فيها كثيراً وان سها فيها سجد للسهو ثلاثمائة تسبيحة وروي انه ﷺ يدعو بعد التشهد وقبل السلام «اللهم اني أسألك توفيق أهل الهدي وأعمال أهل اليقين ومناصحة أهل التوبة وعزم أهل الصبر وجد أهل الخشية وطلب أهل الرغبة وتعبد أهل الورع وعرفان أهل العلم حتى أخافك اللهم اني أسألك مخافة تحجزني عن معاصيك حتى أعمل بطاعتك وعملاً أستحق به رضاك حتى أناصحك في التوبة وخوفاً منك حتى أخلص لك في النصيحة وحباً لك حتى أتوكل عليك في الامور كلها وحسن الظن بك سبحان خالق النور ربنا تمم نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير برحمتك يا أرحم الراحمين» ؛ ثم يسلم ثم يدعو بحاجته .

وفي الحديث من صلى فيها مائة ركعة أرسل اليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنون له من عذاب القبر وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكائد الشيطان وأعطى ﷺ تمام الشفعة فيها وذلك انه سأل الثالث عشر من شعبان في أمته فأعطي الثلث منها وسأل ليلة الرابع عشر فأعطي الثلث ثم سأل الخامس عشر فأعطي الثلث فتمت الا من شرد عن الله شراد البعير ومن عادة الله في هذه الليلة أن يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة .

وسئل مالك بن دينار عن سبب توبته فقال كنت شرطياً أي جنديا من أتباع السلطان بعلامة ذلك ثم اشتريت جارية نفيسة ووقعت مني أحسن موقع وولدت مني بنتاً فشغفت بها فلما دبت على الارض ازدادت في قلبي حباً وألفتنى وألفتها فلما لها سنتان ماتت فأكدرني حزنها فلما كانت ليلة

النصف من شعبان وكانت ليلة جمعة رأيت في منامي كأن القيامة قامت ونفخ في الصور وبعث من في القبور وحشروا وأنا معهم فسمعت حساً فاذا بتنين عظيم أسود أزرق فتح فاه مسرعاً نحوي فهربت مرعوباً فمررت بشيخ نقي الثوب طيب الرائحة فسلمت عليه فرد السلام فقلت أيها الشيخ أجرنى من هذا التنين أجارك الله عز وجل فبكى وقال أنا ضعيف وهو أقوى مني فأسرع لعل الله يقيض من ينجيك فصعدت على شرف فأشرفت على طبقات النيران فكدت أقع فيها من فزعي فصاح صائح ارجع فلست من أهلها فاطمأننت الى قوله فرجعت ورجع التنين في طلبي فأتيت الشيخ فقلت يا شيخ سألتك أن تجيرني من هذا التنين فلم تفعل فبكى الشيخ فقال أنا ضعيف ولكن سر الى هذا الجبل فان فيه ودائع المسلمين فان كان لك فيه وديعة فستنصرك فنظرت الى جبل مستدير من فضة فيه طاقات مخرقة وستور معلقة على كل طاقة مصراعان من الذهب الأحمر مفصلة بالياقوت مكفوفة بالدر على كل مصراع ستر من الحرير فلما نظرت الى الجبل هرولت اليه والتنين ورائي حتى قربت منه صاح بعض الملائكة الموكلين بالجبل عليهم السلام ارفعوا الستور وافتحوا المصارع وأشرفوا فلعل لهذا اليائس بينكم وديعة تجيره من عدوه فلما فتحت المصاريع وأشرفوا عليّ رأيت أطفالاً كالأقمار وقرب التنين مني فحرت في أمري فصاح بعض الاطفال ويحكم أشرفوا كلكم فقد قرب منه عدوه فأشرفوا فوجاً بعد فوج فاذا بابنتي التى ماتت قد نظرت اليّ وبكت وقالت أبي والله ثم وثبت في كفة من نور كرمية السهم حتى صارت عندي ومدت يدها الشمال الى يدي اليمنى فتعلقت بها ومدت يدها اليمنى الى التنين فهرب ثم أجلستنى وقعدت في حجري وضربت بيدها اليمنى الى لحيتى وقالت يا أبت (ألم يان للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) فبكيت وقلت يا بنيتي وأنتم تعرفون القرآن فقالت يا أبت نحن أعرف به منكم قلت أخبريني عن التنين الذي أراد أن يهلكني قالت ذلك عملك السيء تجسم في صورة هذا التنين قويته فأراد أن يغرقك في نار جهنم قلت:

والشيخ الذي رأيته قالت: ذلك عملك الصالح أضعفته حتى لم تكن له طاقة لعملك السيء فقلت: يا ابنتي ماتصنعون بهذا الجبل قالت: أطفال المسلمين سكنوه الى يوم قيام الساعة ننتظركم تقدمون فنشفع لكم فانتبهت فزعاً مرعوباً فكسرت آلات المخالفة وعقدت مع الله توبة نصوحاً فتاب عليَّ سبحانه وتعالى *

﴿انه هو السميع العليم﴾ لا غيره وهذا تحقيق لربوبيته *

﴿رب السموات والارض وما بينهما﴾ يرفع رب خبر ثالث وجره بدل من ربك وهو قراءة الكوفيين ومن منع تعدد الخبر جعل المرفوع خبر المحذوف ﴿ان كنتم﴾ يا أهل مكة ﴿موقنين﴾ جوابه محذوف دل عليه ما تضمنه ما سبق أي ان كنتم موقنين بأنه تعالى رب السموات والارض فأيقنوا بأن محمداً رسوله وان كنتم من أهل الايقان في العلوم علمتم ان الأمر كما قلنا وان كنتم موقنين في اقراركم اذا سئلتم عن خلقهن فقلتم الله خلقهن علمتم ان الأمر كما قلنا وان أردتم الايقان فاعلموا ذلك أو لما أقروا ان الخالق هو الله قيل ان ارسال الرسل وانزال الكتب منه ان أيقنتم انه الخالق وذلك لو لم يوقنوا لم يصح أن يثبتوا له الارسال والانزال وهذا كما تقول هذا عطاء زيد الذي تسامع الناس بكرمه واشتهر سخاؤه ان بلغك حديثه ورد كقولهم موقنين بقوله (بل هم في شك) *

﴿لا اله الا هو يحيي ويميت﴾ حذف المفعول لعدم تعلق الغرض به أو للتعميم *

﴿ربكم﴾ بدل من هو أو من رب أو خبر لمحذوف وقرىء بالجر بدلا من ربك* ﴿ورب﴾ بالرفع والجر *

﴿آبائكم الأولين بل هم في شك﴾ من هذا القرآن * ﴿يلعبون﴾ يهزأون رآمين عنه وقيل في شك من البعث يلعبون استهزاء بك يا محمد واقرارهم عن غير يقين وغير جد وحقيقة بل مخلوط بهزء ولعب (وفي شك) خبر (ويلعبون) خبر ثان وحال من ضمير الاستقرار ويلعبون خبر (وفي شك)

متعلق به أو حال من الواو * ﴿فارتقب﴾ انتظر لهم يا محمد * ﴿يوم﴾ مفعول ارتقب وهو يوم قبل يوم القيامة * ﴿تأتي السماء﴾ جملة مضاف اليها يوم * ﴿بدخان مبين﴾ ظاهر يدخل في أسماع الكفرة والمنافقين وتنضج رؤوسهم حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ أي المشوي ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه . قاله ابن عباس وعلي وابن عمر والحسن والحسين وأبو سعيد الخدري وندل له ما رواه حذيفة بن اليمان أول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن تشوق الناس الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا .

قال حذيفة : يارسول الله وما الدخان فتلا ﷺ الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوماً وليلة أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام وأما فهو كالسكران أن يخرج من منخريه وأذنيه ودبره وقال ابن مسعود وغيره معنى الدخان ان الارض أجدبت واشتد الجوع حتى انهم يرون من شدته كهيئة الدخان بين السماء والارض وكان ذلك في قريش في مكة ومن معهم.

وعن مسروق كنا جلوساً عند عبد الله بن مسعود وهو مضطجع بيننا فأتاه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن ان قاصاً عند باب كندة يقص ويزعم ان الآية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمن منه كهيئة الزكام .

وفي رواية انه قص انه يأتي دخان يوم القيامة فيأخذ بأنفاس الخلق فقعد وهو غضبان فقال اتقوا الله أيها الناس من علم منكم شيئاً فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من علم الرجل أن يقول فيما لا يعلم الله أعلم ثم قال ألا سأحدثكم ان قريشاً لما استعصت على رسول الله ﷺ دعا عليهم وقال «اللهم أعنّي عليهم بسبع كسبع يوسف عليه السلام» وفي رواية (اللهم سبع كسبع يوسف) فأصابهم الجهد وماتت أشياؤهم حتى أكلوا الجيف والعظام جيف الكلاب وغيرها فيرى الرجل ما بين السماء كالدخان من ضعف البصر للجوع أو لأن الهواء يظلم أيام القحط لقلة الأمطار وكثرة الغبار والعرب تسمى الشر الغالب دخاناً وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه

ولا يراه من الدخان فمشى اليه أبو سفيان ونفر معه وناشدوه الله والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف أن يؤمنوا فلما كشف رجعوا الى شركهم .

وفي رواية قال أبو سفيان انك تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله وذلك انه لما دعا عليهم بالسبع أجابه الله بقوله (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان) أي بقحط.

وروي انه لما حكى لابن مسعود قصة القاض . قال بعد قوله فان من علم الرجل الخ فان الله عز وجل قال لنبيه ﷺ (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) .

قال خمس مضير اللازم والروم والبطشة والقمر الدخان واسناد الإتيان للسماء لان ذلك يكفها عن الامطار وقيل اليوم يوم الدجال ونزول عيسى ونار عدن وقيل يوم القيامة وقيل الدخان قسوة القلب ولا عقوبة أعظم من فساده * ﴿يغشى الناس﴾ نعت لدخان*

وجملة ﴿هذا عذاب أليم ربنا اكشف﴾ أزل*

﴿عنا العذاب انا مؤمنون﴾ مفعول لحال محذوف أي قائلين أو يقولون هذا الخ وقيل مفعول بمعطوف ومحذوف أي فقالوا هذا وقولهم انا مؤمنون وعد فلما كشف العذاب ولم يوفوا به فانتقم الله منهم يوم بدر *

﴿أنى لهم الذكرى﴾ كيف يتعظون بالدخان ومن أين لهم الاتعاظ به*

﴿وقد جاءهم رسول﴾ أي محمد * ﴿مبين﴾ واضح أو موضح لهم من الآيات والمعجزات ما هو أعظم من الدخان وكيف يوفون بوعدهم عند كشف العذاب وقد جاءهم بما هو أوجب للاتعاظ فلم يتعظوا وقيل كيف ينفعهم الايمان عند نزول العذاب *

﴿ثم تولوا عنه وقالوا﴾ قال بعضهم هو * ﴿معلم﴾ علمه عداس وهو غلام أعجمي وقال بعضهم ﴿مجنون﴾ يلقى اليه الجن ما يقوله * ﴿انا كاشفو﴾ مزيلوا * ﴿العذاب﴾ الدخان بدعائه ﷺ * ﴿قليلاً﴾ مفعول مطلق أي كشفاً قليلا أو ظرف زمان أي زماناً قليلاً ما بقي من أعمارهم الى يوم بدر فيهلكهم.

﴿انكم عائدون﴾ راجعون الى الكفر بعد الكشف.
ومن فسر الدخان بظهور الدجال ونـزول عيسى ونـار عـدن قـال : (اذا جاء الدخان قالوا ربنا اكشف الخ فيكشفه بعد الاربعين فيرتدون).
ومن فسره بما هو يوم القيامة قال المعنى لو كشفنا لعـدتم وانكم عـائدون للكفر على فرض الكشف واذكر * ﴿يوم﴾.
وقال بعض انه بدل من يوم وعن بعض انه ظرف لننتقم محذوفاً دل عليـه (انا منتقمون) وليس ظرفاً لـ (منتقمـون) لان معمـول خبر (ان) لا يتقـدم عليها وهو يوم بدر أو يوم القيامة والاول لابن مسعود وأكثـر العلماء والثـاني لابن عباس وفـرقـة * ﴿نبطش﴾ بفتـح النـون وكسر الطـاء * ﴿البطشة﴾ مصدر مفعول مطلق * ﴿الكبرى﴾ وقرىء (نبطش) بضم الطاء وقرأ الحسن بضم النون وكسر الطاء وعليها فالبطشة اسم مصدر ومفعول مطلق والمفعول محذوف أي يجعل الملائكة باطشين ونحملهم على البطش أو مصـدر مفعـول به أي نجعل البطشة الكبرى بـاطشـة بهم ويـدل لـه قـراءة بعض (تبطش) بفتح التاء الفوقية ورفع البطشة والبطش التناول بقوة *
﴿انا منتقمون﴾ في ذلك اليوم * ﴿ولقد فتنا﴾ بلونا*
﴿قبلهم قوم فرعون﴾ بارسال موسى اليهم وفتنا فرعون معهم وأوقعنـاهم في الفتنة بالامهال وتوسيـع الـرزق فكـان ذلك سبباً في المعـاصي وتكـذيب موسى وقرىء بتشديد التاء للتأكيد *
﴿وجاءهم رسول كريم﴾ على الله جلّ وعـلا أو على المؤمنين أو في نفسـه لشرف نسبه وفضل حسبـه ولم يبعث الله نبيـاً الا من أشراف قـومـه والتنكير للتعظيم وألطف لتفسير الفتنة والمراد بالرسول سيدنا موسى عليه السـلام * ﴿أن أدوا﴾ (ان) حرف تفسير لأن مجيء الرسل يكون بدعـوة ورسـالـة ففي جاء معنى القول دون حروفه أو حرف مصدر خفيفة أو مخففة فيقدر حرف الجـر أي بـأن أدوا واسم المخففـة ضمير الشـأن محذوف والتـأديـة الايصـال والاظهار والمفعول محذوف أي أوصلوا * ﴿الـيّ﴾ يا * ﴿عباد الله﴾ ايمانكم

وظهروه واقضوا ذلك فانه حق واجب فعباد منادى بمحذوف والمراد قوم فرعون ويجوز أن يكون المراد بالعباد بني اسرائيل فيكون مفعولاً لأدوا أي ارسلوا معي بني اسرائيل وخلصوهم اليّ وعلى الأول ابن عباس وعلى الثاني جماعة أي ارسلوا بني اسرائيل لا تعذبوهم واستظهر بعضهم انه بعث الى دعاء فرعون للايمان وارسال بني اسرائيل فلما أبى الايمان دعاه أن يرسل بني اسرائيل وعلل موسى ذلك بقوله *

﴿إني لكم رسول أمين﴾ أي غير متهم بل ائتمنه الله على وحيه غير متهم في دعوى الرسالة لتصديق المعجزات له وقوله لكم ورسول وأمين اخبار لان أولكم متعلق برسول على أن اللام بمعنى الى أو نعت لرسول أو أمين نعت لرسول *

﴿وان لا تعلوا﴾ أي لا تستكبروا وان كما مر * ﴿على الله﴾ بالاستهانة برسوله ووحيه * ﴿اني﴾ بفتح الياء عند نافع وابن كثير وأبي عمرو واسكانها عند غيرهم*

﴿آتيكم بسلطان﴾ برهان * ﴿مبين﴾ واضح على صدقي وهذا تعليل استئنافي للنهي وآتي مضارع أو اسم فاعل ولما كان من شأن من يؤدي اليه شيء أن يكون أميناً قال بعد ذكر التأدية (اني لكم رسول أمين) ولما كان الاستعلاء ناشئاً عن تحقير المستعلى عليه وعدم سلطانه قال (اني آتيكم بسلطان مبين) ولما قال هذا توعدوه بالقتل فقال*

﴿واني عذت﴾ بذال معجمة أي اعتصمت وقرىء بابدالها تاء وادغام التاء في التاء وهي قراءة أبي عمرو وحمزة والكسائي وأبي جعفر وهشام بخلاف عنه *

﴿بربي وربكم أن ترجمون﴾ أن تقتلوني وقيل أن ترجموني بالحجارة وقال ابن عباس أن تشتموني لقولكم انك ساحر وأنا غير مبال بكم متوكل على الله أي يعصمني من رجمكم اياي *

﴿وان لم تؤمنوا لي﴾ أي ان لم تخضعوا لي في تصديقي أو اللام بمعنى الباء*

﴿فاعتزلون﴾ تنحوا عني لا موالاة بيني وبين من لم يؤمن أو لا تكونـوا لي ولا عليّ والياء أثبتها ورش في الوصل .
وقال ابن عباس : (اعتزلوا دعائي باليد واللسان) والاول ضعيف لانه انما يصح كلاماً ممن هو غالب وموسى اذ ذاك غير غـالب ولهـذا قيـل ان قـولـه (وان لم تؤمنوا) الخ كالنص في انه في آخر الأمر يطلب بني اسرائيل فقـط الا ان أراد (اعتزلوني) يا كفار أكلاً وشرباً ومساً ونحو ذلك .
والصحيح قول ابن عباس والذي قبله أي فليس من جزاء داعيكم للفلاح أن تضروه .
وعن ابن عمر قال رسول الله ﷺ من استعاذ بالله فـاعيـذوه ومن سـألكم بالله فاعطوه ومن استجار بالله فأجيروه ومن أتى اليكم بمعروف فكافئوه وان لم تقدروا فادعوا له حتى تعلموا ان قد كافأتموه فلم يؤمنوا *
﴿فدعا ربـه أن﴾ أي بـأن ﴿هؤلاء قوم مجرمـون﴾ أي مشركـون وذلك تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبـوه ولـذلك سماه دعـاء وقيـل دعـا عليهم بأن يكونوا مجرمين أي يبقون على الاجـرام حتى يجـاوزوا وقيـل كـان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقون باجـرامهم وقيـل (ربنـا لا تجعلنـا فتنـة للقوم الظالمين) وعليهما فانما ذكر الله السبب الذي استوجبوا به الهـلاك وهـو كونهم مجرمين وقـرىء بسكـون على اضـمار القـول أو على تضمين الـدعـاء القول* ﴿فأسر﴾ أضمر القول بعد فاء العطف أي فقال الله (أسر) اجـابـة لدعائه أو رابطة لجواب شرط محذوف أي كان الأمر كما تقول فأسر.
وقرأ غير نافع وابن كثير وأبي جعفر بقطع الهمزة .
قال ابن العربي السرى : سير الليل والادلاج سير السحر والتـأويب سير النهـار * ﴿بعبادي﴾ بنـي اسرائيـل * ﴿ليلاً﴾ فقـد دبـر الله أن تتقـدمـوا ويتبعكم فرعون وجنوده اذا علموا بخروجكم كما قال *
﴿انكم متبعون﴾ فينجي المتقدمين ويغرق التابعين *
﴿وأترك البحر رهواً﴾ هذا كلام متصل بما قبله .

وقال قتادة وغيره خوطب به بعد ما جاوز البحر والرهو اما الساكن وذلك انه لما خرج منه موسى ومن معه هم أن يضربه بعصاه فيلتئم كما ضربه فانفلق وذلك لئلا يلحقه فرعون ومن معه وقيل هم أن يأمر البحر يلتئم فأمره الله بتركه ساكناً على حاله طريقاً يبساً ليدخله فرعون وقبطه فاذا حصلوا فيه أطبقه الله عليهم ولو التأم عند ارادة موسى لم يغرقوا جميعاً .

كذا قيل وام المنفرج أي اتركه منفرجاً ليدخلوه فأغرقهم وعلى الاول ابن عباس والكل في اللغة وعلل الترك بقوله *

﴿انهم جند مغرقون﴾ فهو تعليل استئنافي جملي وقرىء بفتح الهمزة تعليلاً اتصالياً افرادياً على تقدير اللام أي لانهم وفائدة هذا أن يطمئن موسى فيتركه رهوا فيغرقوا*

﴿كم تركوا من جنات﴾ أي بساتين وكم للتكثير كانت أجنتهم بضفتي النيل من رشيد الى أسوان * ﴿وعيون﴾ خلجان النيل وقد مر في قوله عز وجل (وهذه الانهار تجري) الخ جنات وأنهار وعيون كانت وزالت قيل كان النيل جارياً تحت ديار مصر لا تحتاج دار لماء من خارج *

﴿وزروع ومقام كريم﴾ ما كان لهم من المجالس والمنازل الحسنة كما يدل له قراءة غير الجمهور بضم الميم وقاله ابن عباس المراد المنابر * ﴿ونعمة﴾ النعمة بفتح النون التنعم والتلذذ وبالكسر ما يتنعم به قال بعضهم هو أعم وقد تكون الامراض والمصائب نعماً ويقال فيها نعمة بالفتح الا عند الأولياء المتلذذين بها *

﴿كانوا فيها فاكهين﴾ وقرأ غير الجمهور (فكهين) بغير ألف وعليه ابن عامر وحفص وأبو جعفر والمعنى مطلقاً (فرحين متنعمين) وزعم بعض ان (فاكهين) بالألف اشرون بطرون وفاكهين خبرا لكون وفيها متعلق به أو بالكون وهما خبراً للكون وكم مفعول تركوا من جنات نعت لكم ولو فصل.

وذكر الطرطوشي وهو من علماء طرطوشة من أمصار الأندلس ردها الله للاسلام في سراج الملوك انه قال أبو عبد الله بن حمدون كنت مع المتوكل

لما خرج الى دمشق فركب يوماً الى رصافة هشام بن عبد الملك فنظر الى قصورها ثم خرج فنظر الى دير هنالك قديم حسن البناء بين مزارع وأشجار فدخله فبينما هو يطوف به اذا بورقة قد التصقت في صدره فأمر بقلعها فاذا فيها مكتوب:

يا منزلاً بالدير أصبح خالياً ☆ تلاعب فيه شمأل ودبور
كأنك لم تسكنك بيض أوانس ☆ ولم تتبختر في قبابك حور
وأبناء أملاك غواشم سادة ☆ صغيرهم عند الانام كبير
اذا لبسوا أدراعهم فعوابس ☆ وان لبسوا تيجانهم فبدور
على انهم يوم اللقاء ضراغم ☆ وانهم يوم النزول بحور
ليالي هشام بالرصافة قاطن ☆ و فيك ابنه يا دير وهو أمير
اذا العيش غض والخلافة لذة ☆ وأنت طريب والزمان غدير
وروضك مرتاد ونور مزهر ☆ وعيش بني مروان فيك نظير
سقاك اله العرش صوب سحائب ☆ عليك بها بعد الرواح بكور
تذكرت لحيك قومنا فبكيتهم ☆ بشجو ومثلي بالبكاء جدير
فعزيت نفسي وهي نفس اذا جرى ☆ لها ذكر قومي أنة وزفير
لعل زماناً جار يوم عليهم ☆ لهم بالذي تهوى النفوس يدور
فيفرح محزون وينعم بائس ☆ ويطلق من ضيق الوثاق أسير
رويدك ان الدهر يتبعه غد ☆ وان صروف الدائرات تدور

فلما قرأها المتوكل ارتاع ثم دعا صاحب الدير فسأله عمن كتبها فقال لاعلم لي وانصرف وفي هذا ردع لمن يغتر بزخرف هذا الدار*

ألا انما الدنيا كأحلام نائم ... وما خير عيش لا يكون بدائم

﴿كذلك﴾ أفعل بمن عصاك وقيل مثل ذلك الاخراج أخرجناهم وقيل التقدير الامر كذلك والعطف في * ﴿وأورثناها﴾ على احدى هذه الجمل في الاقوال الثلاثة أو على (تركوا) وضمير النصب منها الجنات وما بعدها *

﴿قوما آخرين﴾ لا قرابة لهم بهم ولا دين ولا ولاء وهم بنو اسرائيل وكانوا مستعبدين في أيدي فرعون .

هذا قول قتادة والحسن : ان بني اسرائيل رجعوا الى مصر بعد هلاك فرعون وضعفه بعض وقيل هم غير بني اسرائيل *

﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾ لانهما انما تبكيان على المؤمن المتوفي السماء لصعود عمله اليها والارض لعمله فيها وبكاؤها أربعون صباحاً وقيل: بكاء السماء حمرة أطرافها .

قيل لمجاهد حين قال (تبكيان) على كل مؤمن مات ماله ما تبكيان فقال لانه يعمر الارض بالركوع والسجود وتسبيحه وتكبيره دوى في السماء كدوي النحل .

وفي الحديث: ما من مؤمن الا وله بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه فذلك قوله تعالى (فما بكت عليهم) الى (منظرين) .

وفي الحديث: اذا مات المؤمن تنادت بقاع الارض عبد الله المؤمن مات فتبكي السماء والارض فيقول الله ما يبكيكما فتقول الارض لم يمش على ناحية منا الا وهو يذكرك وقيل يبكي عليه موضع عبادته من الارض وموضع صعود عمله في السماء فقط أربعين صباحاً .

وهو رواية ابن عباس : وما من مؤمن يسجد سجدة الا بكى عليه موضع سجوده من الأرض وشهد له يوم القيامةوذلك بكاء يعلمه الله كيف هو وقيل تمثيل وتخيل ومبالغة في وجوب الجزع والبكاء على المؤمن كما تقول العرب في عظيم مات بكت عليه السماء والأرض وبكته الريح وأظلمت له الشمس وكسفت وفي الآية تهكم بفرعون وقبطه وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال بكت عليه السماء والارض والاشعار بعدم تغير الشيء بهلاكهم وعدم الاعتداد بوجودهم واختار بعض هذا القول وبعض كون البكاء حقيقياً يعلمه الله كما توصف السماء بالاهتزاز لموت عالم وانكسار قلعة منها .

وفي الحديث : ما مات مؤمن في غربة غابت عنه بواكيه الا بكت عليه السماء والارض .

وقال الحسن : التقدير فما بكى عليهم أهل السماء والارض الملائكة والمؤمنون *

﴿وما كانوا بمنظرين﴾ مؤخرين عن وقت هلاكهم ولا الى الاخرة بل عجلوا العذاب في الدنيا وقيل لم يؤخروا للتوبة ولا غيرها كالشفقة عليهم ولا يوصف الله بالشفقة حقيقة اتفاقاً *

﴿ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين﴾ من الاستعباد والاتعاب وقتل الابناء واستخدام النساء *

﴿من فرعون﴾ حال من العذاب أي واقعاً من جهته أو بدل من قوله من العذاب كان فرعون في نفسه عذابا لافراطه في التعذيب أو يقدر مضاف أي من ذي العذاب المهين من فرعون أو من العذاب المهين من عذاب فرعون وقرىء من عذاب المهين بالاضافة فيقدر مضاف ويراد بالمهين فرعون أي من عذاب المهين من عذاب فرعون.

وقرأ ابن عباس من فرعون بفتح الميم على صورة الاستفهام كأنه مبهم منكر لنكر شيطنته وذلك ان الاستفهام يأتى للتأويل كقراءة ابن عباس فالمراد انه لما وصف العذاب بالشدة زادهم تهويلاً بقوله من فرعون أي هل تعرفون من هو في فرط عتوه فما ظنكم بعذاب يكون المعذب به مثله ولذا قال انه كان عالياً من المسرفين زيادة لتعريف حاله وتهويل عذابه *

﴿إنه كان عالياً﴾ جباراً أو متكبراً رفيع الطبقة من بينهم بليغاً في اسرافه فقوله * ﴿من المسرفين﴾ حال من ضمير عالياً أو نعت كذا فهمت من كلام الزمخشرى ثم رأيت القاضي فهم ذلك أو هو خبر ثان للكون أي كان‌لله عالياً ثابتاً من المسرفين أي عالياً مسرفاً والاسراف المبالغة في الفساد * ﴿ولقد اخترناهم﴾ أي بنى اسرائيل * ﴿على علم﴾ منا حال والاستعلاء مجازى أي ثابتين نحن على علم أي عالمين بانهم أحقاء بذلك الاختيار وعالمين بحالهم أو على بمعنى مع أي مع علمنا انهم يزيغون في بعض الأحوال فتعلق

بالفعل وقيل للتعليل أي لشيء سبق عندنا فيهم انه سينفد ولعلم لهم وفضائل *

﴿على العالمين﴾ متعلق باخترناهم أي على عالمي زمانهم العقلاء وقيل على الناس جميعاً لكثرة الأنبياء منهم الا هذه الامة التى هي خير أمة أخرجت للناس ﴿وآتيناهم من الآيات﴾ كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الآيات التي لم تكن في غيرهم* ﴿ما فيه بلاء مبين﴾ نعمة جليلة أو اختبار طاهر والله يبلو بالنعمة كما يبلو بالمصيبة (ونبلوكم بالخير والشر فتنة) وقد قيل المراد ابتليناهم بالرخاء والشدة * ﴿ان هؤلاء﴾ أي مشركي مكة لانهم المساقون بالذات وأما فرعون وجنده فللدلالة على انهم مثلهم اصرارا وضلالة وللانذار بهم *

﴿ليقولون ان هي﴾ أي ما الموتة التي بعدها الحياة * ﴿الا موتتنا الأولى﴾ وهو كونهم نطفاً فلنا موتة ثانية لا حياة بعدها أو المراد الا الموتة الخ المزيلة للحياة الدنيوية ولا قصد الى ثبات موتة ثانية كما تقول هذا أول مال اكتسبته ولم تكسب آخر بعده فان أولا لا يستلزم ثانياً على مختار السيوطي فلو قال قائل أنت طالق ان كان أول ما تلدينه ذكراً طلقت اذا ولدته ولو لم تلد بعده وقيل يستلزمه فلا تطلق حتى تلد مرة أخرى وعليه فاطلاق الاولى باعتبار قول المؤمن ان لنا ثانية وعلى كل فلا منافاة بين ذكر لفظ الاولى وانكارهم البعث بنحو قولهم * ﴿وما نحن بمنشرين﴾ بمبعوثين وان أخطأنا في انكار البعث * ﴿فأتوا﴾ يا محمد ومن معه * ﴿بآبائنا ان كنتم صادقين﴾ في ادعاء البعث والجزاء ليدلونا على ذلك وقيل سموا له قصياً وغيره وكان قصي كبيراً مشاوراً فيشاوروه وتوعدهم الله وخوفهم العذاب في قوله * ﴿أهم﴾ أي كفار مكة ﴿خير﴾ أي أشد قوة ومنعة والهمزة للانكار * ﴿أم قوم تبع﴾ بالاضافة وتبع مؤمن دون قومه ولذلك ذمهم الله دونه وهو نبي أو رجل صالح اذا كتب قال بسم الله الذي ملك براً وبحراً .

وفي الحديث : «لا تسبوا تبعاً فانه أسلم» . وأما ما روي فإني (لا أدري) أكافر أم مسلم فهو قبل أن يعلم بأنه مؤمن وعن ابن عباس: انه نبي ونظر

الى قبرين بناحية حمير فقال هـذا قبر رضـوى وقبر حبّى ابني تبع لايشركـان بالله شيئاً .

وقال الزجاج : (حفـر قبر بصنعـاء في الاسـلام ووجـدت فيـه امـرأتـان صحيحتان عند رأسيهما لوح من فضة مكتوب فيـه بـالـذهب هـذا قبر حيـا ولميس ويروى قبر حبى وتماضر بنتا تبع ماتتا وهما تشهدان أن لا الـه الا الله ولا تشركان به شيئاً وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما وتبع هذا من حمير من ملوك اليمن ويسمى ملكهم تبعاً لانه يتبع الذي قبله وقيل: لكثـرة أتبـاعـه كما يسمى الملك في الاسلام خليفة ويقال للظل تبع لانه يتبع الشمس وكان تبع هذا هو الذي كسا البيت أولاً وسـار بـالجيـوش وبنى الحيرة وسمـرقنـد وقيل: هدمهما قيل: وكان يعبد النار ثم أسلم ودعا قومه للاسـلام فكـذبـوه وهذا لا يصح على انه نبي .

وعن ابن اسحاق والسهيلي من علماء سهيل بلدة بالأندلس لا يرى سهيل بالاندلس الا من جبل مشرف عليها كان تبع الآخر هو أبو كرب أسعـد بن ملكيكرب ، سار للمشرق على المدينة وخلف فيها ابنا له فقتـل غيلـة ولـما رجع اليها في طريقه عزم على خرابها واستئصال أهلها فخرج سلف الانصار يقاتلونه نهاراً ويضيفونه ليلاً فأعجبه ذلك وقال انهم لكرام وجـاءه حبران من قريظة ابني عم كعب وأسد وقالا: لا تفعل والا حيل بينك وبين مـا تـريـد ولم تأمن عقوبتك عاجلاً فانها مهاجر نبى من قريش يولد بمكة اسمه محمـد وقيل قالا اسمه أحمد ومنها يكون قتاله قال من يقاتله وهـو نبي قـالا قـومـه يسيرون اليه فيقاتلونه هنا فانتهى فدعواه الى دينهما فاتبعهما وأكرمهما وانصرف وخرج بهما ونفر من يهود الى اليمن وقال شعراً وأودعه عند أهـل المـدينـة في كتاب يتوارثونه كابراً عن كابر الى أن هـاجـر النبى ﷺ فـأدوه اليـه وقيـل ان الكتاب والشعر عند أبى أيوب الانصارى*

شهـدت على أحمـــد انــه ... رسول من الله باري النسم

فلـو مد عمرى الى عمـره ... لكنت وزيـــراً لـه وابن عـم

فأتاه في الطريق نفر من هذيل وقالـوا نـدلك على بيت فيـه كنـز من لؤلؤ

وزبرجد وفضة قال أي بيت هذا قالوا بمكة فذكر الملك ذلك للحبرين فقالا هو بيت الله بل اتخذه مسجداً وأنسك عنده وانحر واحلق وما أرادوا الا هلاكك لعلمهم انه لا يقصده أحد بسوء الا هلك فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وصلبهم ولما بلغ مكة كسا البيت الحبرات وهى برد تصنع باليمن ونحر بالشعب ستة آلاف بدنة وأقام بها ستة أيام وطاف وحلق ولما دنا من اليمن قالت حمير: لا تدخل علينا وقد فارقت ديننا ودعاهم لدينه وقال خير من دينكم فحاكموه للنار في أسفل جبل تأكل الظالم فأجاب للمحاكمة وقال أنصفتم فخرجوا بأوثانهم وقربانهم وخرج الحبران والمصاحف في أعناقهما فأقبلت فأكلت الأوثان والقربان وحامليها وخرج الحبران بمصاحفهما يتلوان التوراة تعرق جباههم لم تضرهما ودخلت وذلك في فم مسكنها فأمنت حمير ومن ذلك كان أصل اليهودية في اليمن.

عن الرياشي انه قبل النبى ﷺ بسبعمائة سنة*

﴿والذين من قبلهم﴾ أي قبل قوم تبع كعاد وثمود من الكفار *

﴿أهلكناهم﴾ ولم يفوتونا لانا أقوى والجملة خبر الذين والمبتدأ والخبر استئناف بها للذين قبل قوم تبع هدد به قريشاً أو (الذين) معطوف على (قوم) وأهلكناهم استيناف بها لقوم تبع ومن قبلهم هدد به قريشاً أو حال وقوله*

﴿إنهم كانوا مجرمين﴾ بيان لكون الاجرام جامعا لهم وان سبب الاهلاك الاجرام *

﴿وما خلقنا السموات والارض وما بينهما﴾ أي وما بين الجنسين أو باعتبار حال السموات حين كن سماء ثم فتقت بعد.

وقرأ عبيد بن عمير وما (بينهن) ﴿لاعبين﴾ لاهين حال من ضمير (خلقنا) وفي ذلك ارشاد الى البعث فيجازى على الاعتبار بهن والامتثال بما نزل والعمل في الارض وغير ذلك*

﴿ما خلقناهما إلا بالحق﴾ بسبب الحق الذي اقتضى الدليل من الايمان والطاعات والبعث والجزاء *

﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ لقلة نظرهم والضمير لكفار مكة أي لايعلمون في الحال والقليل يعلم أو لا يعلمون مطلقاً فان جل المنظور اليهم مات كافراً *

﴿ان يوم الفصل﴾ بين العباد بتمييز الحق عن الباطل والمحق عن المبطل وبين الاقارب والاحباب ﴿ميقاتهم﴾ وقت غدوهم يجازيهم بأفعالهم وهو يوم القيامة * ﴿أجمعين﴾ يوم اسم (ان) (وميقات) خبره وقرىء بنصب (ميقات) اسما لان و (يوم) ظرف خبري ﴿يوم﴾ بدل من يوم أو حال من ميقات أو متعلق بيفصل محذوفاً دل عليه الفصل لا متعلق بالفصل لانه لا يفصل المصدر من معموله بأجنبي ولا يجوز تعليقه بمحذوف فعرف نعت لميقات لان النعت يسبق التوكيد على الراجح وأجازه القاضي لجواز تأخيره مرجوحاً أو لجعله (أجمعين) حالاً ﴿لا يغني مولى﴾ من قرابة أو نصر أو عبودية وغيرها * ﴿عن مولى﴾ أي مولى كان * ﴿شيئاً﴾ قليلاً من اغناء وهو مفعول مطلق أي لا يغني عنه اغناء أو مفعول به أي لا يدفع عنه شيء من العذاب *

﴿ولا هم ينصرون﴾ الضميران للمولى الاول لانه نكرة في سياق النفي تعم.

﴿الا من رحم الله﴾ هم المؤمنون يشفع بعضهم لبعض يعفو عنهم ويقبل شفاعتهم و (من) بدل أو منصوب على الاستثناء من الواو *

﴿انه هو العزيز﴾ الغالب لا يمنع منه من يريد تعذيبه * ﴿الرحيم﴾ بأوليائه المؤمنين ﴿ان شجرة الزقوم﴾ بفتح الشين وقرىء بكسرها وذلك لغتان والثالث (شيرة) بالياء وشجرة الزقوم شجرة تكون بتهامة من أخبث الشجر وأمرها أكلا لا تبقى على حالها بل تزيد من المرارة ما لا يوصف والا لكانت قوتاً حسناً عند أهل النار ومر الكلام باذن الواحد الاحد في والصفات *

﴿طعام الأثيم﴾ أي المذنب كثيراً ذنوباً عظاماً وهو أبو جهل وكذا لأتباعه وغيرهم من كل كافر ويراد بالأثيم جنسه فيعمهم وكل كافر وهو صفة مبالغة روي انه لما نزل (أذلك خير أم شجرة الزقوم) قال ابن الزبعري ان

أهل اليمن يدعون ان أكل الزبد والتمر التزقم فدعا أبو جهل تمر عجوة وزبداً فقال تزقموا فان هذا هو الذي يخوفكم به محمد ﷺ فنزل (ان شجرة الزقوم) الخ. وانما قصد بذلك ضرباً من المغالطة على الجهلة وأقرأ أبو الدرداء رجلاً (طعام الاثيم) فقرأ الرجل (طعام اليتيم) وكان يقرأه ويعلمه فقال: قل (طعام الفاجر) وما أراد الا التنبيه على المعنى لا يتهم المذنب بالكفر والفجور فبطل استدلال أبي حنيفة وغيره على تبديل الكلمة بكلمة تؤدي معناها كاملاً فأجاز قراءة القرآن بلغة فارس وهذا عندي منكر ولو سلمنا ففي التبديل بالعربية كفاية ومن أين للمبدل طاقة على فصاحة القرآن وبلاغته حتى يؤديه بالتبديل والصحيح عن أبي حنيفة المنع كصاحبيه وهو رواية علي بن الجعد ويدل له أنه لا يحسن الفارسية فكيف يجيزها بدلاً وفي الحديث «لو أن قطرة الزقزم قطرت في الدنيا لأفسدت معايشهم» فكيف بمن يكون طعامه ﴿كالمهل﴾ وقرىء بفتح الميم خبر ثان وهو دردى الزيت الاسود قاله ابن عباس وابن عمر وقال ابن مسعود ما ذاب من ذهب أو فضة أو نحاس ويدل للاول (يوم تكون السماء كالمهل) مع قوله فكانت وردة كالدهان قيل وأصل المهل ما يمهل في النار أي يترك حتى يذوب ﴿تغلي﴾ خبر ثالث وقرىء بالمثناة تحت ﴿يغلي﴾ والضمير للمهل والجملة حال منه أو لطعام والجملة مستأنفة أو حال منه أو للزقوم والجملة مستأنفة وهى قراءة ابن كثير وحفص ورويس وزعم القاضي ان الضمير للطعام أو الزقوم لا للمهل اذ الأظهر ان الجملة حال من أحدهما *

﴿في البطون كغلي الحميم﴾ الماء الحار الذي تناهى غليانه تسقط فروة وجهه بقربه اليه قيل الذي يتطاير من غليانه ويقال يومئذ للزبانية * ﴿خذوه﴾ أي الاثيم ﴿فاعتُلوه﴾ بضم التاء عند نافع وابن كثير ويعقوب ويكسرها عند غيرهم لغتان أي جروه بقوة وعنف واهانة وقهر وخذوه بمجامعه والعتل الرجل الغليظ *

﴿الى سواء الجحيم﴾ وسطها وقيل: معظمها وهما متلازمان. ﴿ ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم﴾ قيل ان خازن النار يضرب رأسه فيثقبه

ثم يصب فيه حمياً وان ما وقع الصب على العذاب مع أن المصبوب انما يكون جسماً كالحميم وهو المصبوب لا عذابه لانه اذا صب الحميم فقد صب عذابه وضمن صب معنى أجدى وذكر العذاب معلقاً به الصب مستعاراً له وذلك أهول وأبلغ مما فيه في آية يصب من فوق رؤوسهم الحميم وكأنه قيل من الحميم الذي لا يفارقه العذاب .

وقال القاضي كأن الأصل من عذاب هو الحميم فعدل عنه الى اضافة البيان للتخفيف وزيد من الدلالة على أن المنصوب بعض هذا النوع وهو بناء على جواز زيادة (من) في الايجاب والمعرفة والتحقيق انها للتبعيض والمفعول محذوف لا مجرورها أي شيئاً من عذاب الحميم ولعل هذا هو مراده ومعنى زيادة (من) في كلامه انه يكفي أن يقول صبوا فوق رأسه عذاب الحميم ولم يقل الله ذلك بل أدخل (من) الجارة التبعيضية واذا صب عليه قيل له * ﴿ذق﴾ أي العذاب *

﴿انك أنت العزيز الكريم﴾ بزعمك عند قومك وقيل له ذلك استهزاء به وتقريعاً .

وروي أن أبا جهل قال لرسول الله ﷺ: ما بين جبليها أعز ولا أكرم مني فوالله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعل بي شيئاً وانه قال أنا أعز أهل هذا الوادي وأكرمهم.

وقرأ الكسائي بفتح الهمزة على تقدير الاضافة أي عذاب لانه لم يوجد شرط بقاء المضاف اليه على حاله بعد حذف المضاف الا عند من لم يشترط وبيانه انه ينبغي الكسر اذا حذف المضاف وانما يفتح مع ذكره لتكون الاضافة لمصدر وبالفتح قرأ الحسن بن علي على المنبر * ﴿ان هذا﴾ العذاب هو * ﴿ما﴾ أي الذي * ﴿كنتم به تمترون﴾ أي تشكون أي فيه أو تجادلون بسببه *

﴿ان المتقين في مقام﴾ بضم الميم به عند نافع وابن عامر اسم مكان من أقام أي في موضع اقامة وبفتحها عند غيرهما اسم مكان من أقام أي موضع قيام هذا بحسب الأصل أو المراد هنا في الفتح مطلق المكان استعمالاً

للخاص في العام * ﴿أمين﴾ فعيل بمعنى فاعل اما على حذف مضاف أي (أمين صاحبه) برفع (صاحب) على الفاعلية حذف ونابت عنه الهاء وأتي بدلها بضمير رفع المستتر واما على اسناد ما للمحل (وصف المكان) بأنه آمن غير خائف لانه يحله من يأمن ولا يخاف فكأنه أمن بنفسه كما نقول مكان خائف اذا كان يخاف نازله أو فعيل بمعنى مفعول أي مأمون أي أمن فيه المكاره من نحو الانتقام والآفات والتغير *

﴿في جنات وعيون﴾ بدل من في مقام أمين ومعطوف وجيء بذلك دلالة على حسن المقام واشتماله على ما يستلذ من المآكل والمشارب ﴿يلبسون﴾ ما شاءوا والجملة خبر ثان لان أو حال من ضمير الاستقرار في خبرها أو مستأنفة * ﴿من سندس﴾ ما رقّ من الديباج والديباج الحرير * ﴿واستبرق﴾ ما غلظ من الديباج قاله الضحاك وهو عجمي أصله استبر عربته العرب أي جعلته عربياً بالتصرف فيه وتغييره عن مناهجه واجراؤه على أوجه الاعراب فلا يقال كيف وقع في القرآن لفظ عجمى؟ ويجوز أن يكون عربياً من البراقة * ﴿متقابلين﴾ حال من ضمير الاستقرار أي قابل بعض بعضاً في مجالسهم ليتآنسوا ولا يستدبر بعضهم بعضاً وأسرتهم دائرة بهم ﴿كذلك﴾ متعلق بمحذوف خبر لمحذوف أي الأمر كذلك أو الكاف اسم (خبر) للمحذوف أو متعلق بمحذوف أو نعت لمصدر محذوف أو الكاف اسم منصوب ومابعده عطف على ذلك المحذوف أي آتيناهم كذلك أو آتيناهم ايتاء ثابتاً كذلك الايتاء أو ايتاء مثل ذلك الايتاء *

﴿وزوجناهم بحور عين﴾ الحوار طوال الاعنق وقيل البيض جمع حوراء والعين بكسر أوله جمع عيناء أو واسعات العيون حسانها وعدّي (زوج) بالباء لتضمين معنى قرن والزوج مقرون بزوجته والمراد نساء الجنة وقيل نساء الدنيا الداخلات الجنة و (عين) نعت حور .

وقرأ عكرمة بالاضافة أي بالحور من العين لان العين حور وغير حور وقيل شداد بياض الأعين والعين شداد السواد فهن من الحور التى لم تشب سواد عيونها زرقة .

وقرأ ابن مسعود (بعيس عين) جمع عيساء وهى البيضاء مثل العيساء من النوق وقيل البيضاء تعلوها حمرة .

وفي الحديث «اخراج القمامة من المسجد مهور الحور العين» .

قال مجاهد : (يحار فيهن الطرف من بياضهن وصفاء لونهن يرى مخ سوقهن من وراء ثيابهن ويرى الناظر وجهه في كعب احداهن كالمرآة من رقة الجلد وصفاء اللون*

﴿يدعون فيها﴾ الخدمة والمبصرفين وينادونهم * ﴿بكل فاكهة﴾ اشتهوها أي يأمرون الخدم باحضار ما اشتهوا من الفاكهة أي فاكهة في أي زمان وأي مكان وضمير فيها للجنيات ﴿آمنين﴾ من الضرر والخروج منها وقيل من الموت والأوصاب والشيطان * ﴿لا يذوقون﴾ وقرأ عبيد بن عمير (لايذاقون) بالبناء للمفعول وابن مسعود (لا يذوقون فيها طعم الموت) *

﴿فيها الموت الا الموتة الأولى﴾ قال أبو حيان الاستثناء منقطع أي لكن الموتة الاولى وذاقوها قلنا أو متصل أريد أن يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة الأولى موضع ذلك لأن الموتة محال ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال وذلك مبالغة في تعميم النفي وامتناع الموت كأنه قيل ان كانت الموتة الاولى يستقيم ذوقها في المستقبل فانهم يذوقونها والضمير للجنة والمراد أن المؤمن اذا كان فيها لايموت ولاحاحة الى قول القاضي: المؤمن يشارف الجنة بالموت ويشاهدها عنده كأنه فيها أو الضمير للآخرة ولا حاجة فيه الى قول القاضي والموت أول أحوالها والأول أولى. ولعل مراد القاضي انه استثني الموت بموت يفرض فرضاً في الجنة أو في الآخرة لان السعيد حين يموت يرى منزله في الجنة ويدخل عليه ريحانها فكأن موتهم في الدنيا موت في الجنة أو في الآخرة وقيل (الا) بمعنى (بعد) ﴿ووقاهم﴾ وقرىء بالتشديد للتأكيد* ﴿عذاب الجحيم فضلاً﴾ مفعول لأجله مصدر فضل أم مفعول مطلق أي وقاهم وقاية فضل أو مفعول مطلق لمحذوف اسم مصدر له أي تفضل عليهم بادخال الجنات والنجاة من الجحيم فضلاً أي تفضلاً ولما حذف تفضل أظهر ضمير الخطاب وأتى

بالظاهر بعد فضل قوله *
﴿من ربك﴾ وقرىء (فضل) بالرفع أي ذلك فضل *
﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾ لانه خلاص عن المكاره وفوزه بالمطالب *
﴿فانما يسرناه ﴾ أي القرآن بدليل السياق اللاحق أي سهله * ﴿بلسانك﴾ أي بلغتك وهى لغتهم ليفهموه كما قال ﴿لعلهم يتذكرون﴾ يتعظون والفاء تعليل المحذوف أي ذكرهم بالكتاب المبين فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون ذلك فذلك للسورة وقد مر بيانها لكنهم لم يتذكروا * ﴿فارتقب﴾ أى انتظر هلاكهم وذلك قبل فرض الجهاد لكن لا نسخ فان ارتقاب ما يحل بهم ممكن مع الجهاد *
﴿انهم مرتقبون﴾ هلاكك وما يحل بك تعليل جملى استئنافي أو مجرد استئناف وقيل انتظر النصر من ربك فانهم ينتظرون قهرك وقيل أنظر العذاب فانهم ينتظرون موتك وذلك وعد له ﷺ ووعيد لهم ووجه مناسبة هذه السورة لما قبلها أنه أمر نبيه آخر الزخرف بالصفح في قوله (فاصفح عنهم وقل سلام) وخوفهم بقوله (فسوف يعلمون) فاتبع ذلك بأوائل الدخان بتهديد (وانذر) بقوله (فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين) الخ كذا قيل وقال بعضهم ان الحواميم ترتبت لاشتراكها في الافتتاح (بحم) وبذكر الكتاب فيما عدا (شورى) وصفته فيها وهي ايحاء الله اياه حيث قال فيها (كذلك يوحى اليك) مع تقارب المقادير في الطول والقصر وتشاكل الكلام في النظام وبأنها مكيات وفي حديث انها نزلت جملة بمكة وفيها شبه من ترتيب ذوات الراءات الست يونس وهود ويوسف والرعد وابراهيم والحجر.
وعن ابن عباس وجابر رضي الله عنهم ان الحواميم السبعة نزلت عقب الزمر متواليات كترتيبها في المصحف ولم يتخللها نزول غيرها.
اللهم بحق السورة ونبيك محمد ﷺ أخز النصارى واكسر شوكتهم وغلب الموحدين والمسلمين عليهم وصل اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.





ســورة ﴿الجـاثية﴾

قال الكرماني تسمى الشريعة وبسورة الدهر وهى مكية ، قال قتادة : الا (قل للذين آمنوا) الآية وآيها ست وثلاثون وقيل سبع وثلاثون وكلمها أربعماية وثمانون وحروفها الفان ومائة وواحد وتسعون بمثناة قبل السين.

قال ﷺ : «من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب ومن قرأها حجبه عن كل بؤس في الدنيا والآخرة وان علقت على الطفل أول ولادته حفظ من الجن والهوام باذن الله تعالى»

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حم﴾ مبتدأ اسم للسورة على حذف مضاف أي تنزيل (حم) وخبره ﴿تنزيل الكتاب﴾ وقوله * ﴿من الله العزيز الحكيم﴾ متعلق بتنزيل وان جعل (حم) تعداد للحروف (فتنزيل) مبتدأ (ومن الله) خبر ويجوز كون (حم) قسماً والجواب.

﴿ان في السموات والأرض لآيات للمؤمنين﴾ على قدرة الله ووحدانيته والجملة بينهما معترضة وزعم بعض ان تنزيل صفة (حم) والمعنى ان في السموات والارض نفسهن أو يقدر مضاف في خلق السموات والارض ويدل له * ﴿وفي خلقكم﴾ من نطفة ثم علقة ثم مضغة الى غير ذلك ﴿وما يبث﴾ أي يفرق وما معطوف على خلقكم بتقدير مضاف أي وفي خلق ما ينبث أو بدون تقديره فان بثه وتنوعه واستجماعه لما يتم معاشه الى غير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار ولا يعطف على الكاف لقبح العطف على ضمير الجر المتصل بلا اعادة خافض أو لمنعه ولو أعيد لقيل (وخلْق ما يبث) بسكون اللام لان الخافض المضاف ولو كان منفصلاً باستعارة لجاز

نحو إنّا كأنت وزيد بجر زيد عطفاً على أنت ومن أجاز ذلك فلا قبح عطف (ما) على (الكاف) ان شاء وعندي هنا وجه لم أره لغيري وهو عطف (ما) على (محل الكاف) الذي هو النصب لا محله الذي هو (الجر) وذلك ان (الخلق) مصدر مضاف للمفعول وادعى الفخر جواز كون (العزيز الحكيم) نعتين لكتاب ﴿من دابة﴾ بيان لها * ﴿آيات﴾ مبتدأ (وفي خلقكم) خبره والعطف على ان ومعموليها وهذا أولى من قول القاضي بالعطف على محل ان واسمها وذلك في قراءة الرفع .

وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بالنصب على ان ذلك من باب العطف على معمولي عامل واحد المعمولان في السموات وآيات الأول والعامل ان فقوله (في خلقكم) عطف على (في السموات) وقوله (آيات) معطوف على (آيات) * ﴿لقوم يوقنون﴾ بالبعث *

﴿واختلاف الليل والنهار﴾ أي ذهابهما ومجيئها وسواد وبياض وطول وقصر*

﴿وما أنزل الله من السماء من رزق﴾ أي من مطر وسماه رزقاً لانه يشرب ولانه سبب الرزق * ﴿فأحيا به﴾ أي بما أنزل من السماء من رزق وهو المطر* ﴿الأرض﴾ جعلها نامية كما ينمو الحيوان * ﴿بعد موتها﴾ بعد يبسها* ﴿وتصريف الرياح﴾ تقليبها في الجهات جنوباً وشمالاً والدبور والصبا وباردة وحارة.

وقرأ حمزة والكسائى (الريح) بالافراد وعدم نموها كالميت *

﴿آيات لقوم يعقلون﴾ الدليل فيؤمنون وقرأ (آية) بالافراد هنا في قوله (وما يبث من دابة آيات) (وآيات) بالنصب معطوف عل اسم ان (واختلاف) مجرور بالعطف على مجرور (في) وهذا عند من جوز العطف على معمولي عاملين مختلفين ومن منع جعل اختلافه مجروراً بفي محذوفة وهذا

جائز في مثل الآية مما تقدم فيه مثل الجار لا مجروراً بالعطف فيكون في المقدرة ومجرورها معطوفين على المتقدمين اللذين هما خبر لان (وآيات) على اسم ان عطف معمولين على معمولي عامل واحد أو بعطف (اختلاف) على مجرور (في) وبنصب (آيات) بأعنى محذوفاً وذلك قراءة حمزة والكسائى ويعقوب وقرأ غيرهما برفع (آيات) عطفاً على جر لاختلاف على مجرور (في) وعطفاً لآيات على محل (ان) واسمها ومحلها رفع على الابتداء فيما قيل أو على محل اسم (ان) بناء على عدم شرط وجود المحرز في العطف على المحل وذلك عطف على معمولى عاملين فعامل الرفع الابتداء وعامل الجر (في) ومن منع ذلك جعل الجر (بفي) مقدرة والجملة مبتدأ وخبر وجعل (آيات) خبر المحذوف أي (هي آيات) (واختلاف) معطوف على المجرور وقرىء برفع (اختلاف) (وآيات) على الابتداء والاخبار والجملة معطوفة على جملة (ان) ومعموليها ومن أجاز العطف على المحل مع عدم وجود المحرز أجاز عطف(اختلاف) بالرفع على محل اسم ان (آيات) على خبرها ويجوز عطف الاول محل (ان) واسمها الثاني على خبرها وفي ذلك عطف على معمولي عاملين قال ابن هشام: أما رفع (آيات) وجر (اختلاف) فعلى نيابة الواو مناب الابتداء و(في) واما النصب في الآيات فعلى نيابتها مناب (ان) وفي قال وأجيب بتقدير في الجارة ويؤيده قراءة ابن مسعود قالوا: ونابت عن عامل واحد وهو الابتداء أو (ان) وبأن انتصاب(آيات) على التوكيد للاولى ورفعها على تقدير مبتدأ وبأن النصب على اضمار (ان) واضمارها بعيد باختصار واختلفت الفواصل (المؤمنين ويؤمنون ويعقلون) لاختلاف الآيات دقة وظهوراً الا أن المنصفين اذا نظروا النظر الصحيح في السموات والارض علموا انها مصنوعة ولابد من صانع فيؤمنون واذا نظروا في خلق الناس وما على الأرض والتنقل من حال لأخرى ازدادوا ايماناً وأيقنوا وانتفي اللبس واذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد كالليل والنهار والمطر والريح استحكم علمهم وخلص يقينهم وعدوا فيمن عقل أسرار كتاب الله وآيات السموات

والأرض بجملة يثيرها الفكر ويخبر بكثير منها الشرع فجعلها للمؤمنين وذكر خلق البشر والحيوان وكأنه أغمض فجعله للموقنين الذين نظرهم يؤديهم الى اليقين وذكر اختلاف الليل والعبرة بالامطار والرياح فجعل ذلك (لقوم يعقلون) اذ كل عاقل يحصلها وهذا النظر يعطيه اللفظ ولو كان غير اللازم * ﴿تلك﴾ الآيات ﴿آيات الله﴾ حجة الدالة على وحدانيته * ﴿نتلوها﴾ حال من(آيات) وعاملة معنى الاشارة والنون التفات من الغيبة للتكلم تعظيماً وقرىء بالياء * ﴿عليك﴾ يا محمد * ﴿بالحق﴾ متعلقان بنتلو ويتعلق قوله بالحق بمحذوف حال من ضمير الرفع المستتر أو من ضمير النصب ويجوز كون (عليك) اسم فعل (وبالحق) متعلق به والحق العدل والصدق والاعلام لحقائق الأمور *

﴿فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾ أي بعد آياته وذكر (الله) للتعظيم كقول من يعظم زيد (أعجبنى زيد وكرمه) أصل كلامه (أعجبنى كرم زيد) ثم كرر (زيد) أولاً وكرمه ثانياً ليسند الاعحاب الى زيد ثم أتى كرمه أو يقدر مضاف أي (بعد حديث الله وآياته) فحديثه القرآن لقوله (الله نزل أحسن الحديث) (وآياته) دلائله أو القرآن أيضاً والعطف لتغاير أحسن الحديث والآيات مفهوماً وان تجد ما صدق .

وقرأ ابن عامر وأبو بكر وحمزة والكسائي بالتاء المثناة فوق والاولى موافقة (ليعقلون ويوقنون) وفي الآية تهويل وتوبيخ *

﴿ويل لكل أفاك﴾ كذاب بصفة مبالغة ﴿أثيم﴾ صفة مبالغة أيضاً أي كثير الآثام وعظيمها *

﴿يسمع آيات الله تتلى عليه﴾ حال من آيات * ﴿ثم يصر﴾ يقيم على كفره * ﴿مستكبراً﴾ عن الايمان معجباً بها عنده (والاصرار) موجود حال السماع وبعده وثم انما هى لاستبعاد الاصرار بعده وأصل الاصرار من اصرار الحمار العانة (الأتان) أن ينحى عنها صاراً أذنيه * ﴿كأن﴾ أي كأنه * ﴿لم يسمعها﴾ والآية في النضر بن الحارث وما كان يثيره من أحاديث

الأعاجم ويشتغل به الناس عن سماع القرآن وقيل: في أبي جهل والحكم عام لكل من كان كذلك والجملة خبر (كأن) المخففة المحذوف اسمها ضمير الشأن والمجموع حال من ضمير (يصر) أو ضمير (مستكبراً) *

﴿فبشره بعذاب أليم﴾ مؤلم وذلك لاصراره والتبشير حقيقة في الشر عند بعض والمشهور انه حقيقة في الخير فقط فهو هنا مجاز للتهكم *

﴿واذا علم من آياتنا﴾ القرآن * ﴿شيئا اتخذوها هزوا﴾ حين العلم لان (اذا) متعلقة (باتخذ) من غير أن يرى سبت الهزؤ وضمير النصب بجميع الآيات أي (اذا سمع بآية خاض بالاستهزاء بجميع الآيات واثارة سماعها الى الاستهزاء بالكل أو لشيء) لان المراد به آية كذا ظهر لي ثم رأيت الاول للزمخشري وأجاز كون جواب (اذا) محذوفاً ناب عنه (اتخذ) والاصل اذا علم ما يمكن التمسك به طعناً افترضه واتخذ آيات الله هزوا كاعتراض النضر في (انكم وما تعبدون) الخ وفي (شجرة الزقوم) ويتخذون الآيات هزوا سواء علموا اللفظ أو اللفظ والمعنى أو الحقيقة لتصورهم كفرهم عناداً ولو عرفوا الحقيقة خلافاً لمن قال لو علموا الحقائق لآمنوا*

﴿أولئك لهم عذاب مهين﴾ موقع في الهوان والاشارة للأفاكين الآثمين * ﴿من ورائهم جهنم﴾ أي من خلفهم لانها بعد آجالهم وغافلون عنها أو من قدامهم لتوجههم اليها ووراء بمعنى قدام مجاز وقيل انه حقيق وان وراء اسم للجهة التى يواريها الشخص أي يسترها من خلف أو قدام *

﴿ولا يغنى عنهم﴾ أي لا يدفع * ﴿ما كسبوا﴾ من مال وولد * ﴿شيئا﴾ من العذاب و (شيئاً) مفعول مطلق *

﴿ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء﴾ أي ولا الأصنام التى اتخذوها أولياء والظاهر ان المراد ما يشمل المعبود من ملك وآدمي ان عبدوا آدمياً *

﴿ولهم عذاب عظيم هذا﴾ القرآن * ﴿هدى﴾ من الضلالة ويدل على ان الاشارة (القرآن) قوله * ﴿والذين كفروا بآيات ربهم﴾ لان آياته القرآن وتنكير هدى للتعظيم أي كامل في الهداية كقولك (زيد رجل) تريد الكمال.

﴿لهم عذاب﴾ لكفرهم * ﴿من رجز أليم﴾ بجر (أليم) نعتاً (لرجز) وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص برفعه نعتاً (لعذاب) قيل: معنى (عذاب) حظ لان (الرجز) هو العذاب أي (عذاب) من جملة العذاب أي حظ منه وقيل (الرجز) أشد العذاب *

﴿الله الذي سخر لكم البحر﴾ مبتدأ وخبر أو خبر ونعت والمبتدأ محذوف أي (هو الله) الذي سخره لكم بأن جعله أملس السطح يعلوه نحو الخشب ويغوص فيه بقدر ما يتمكن *

﴿لتجرى الفلك فيه بأمره﴾ باذنه وتسخيره وأنتم فيها مع ما تريدون جملة* ﴿ولتبتغوا﴾ تطلبوا * ﴿من فضله﴾ بالتجارة والغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطرى وغير ذلك من منافع البحر * ﴿ولعلكم تشكرون﴾ نعمة الله *

﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه﴾ تنتفعون به خلق ما في السموات من نجوم وقمر وشمس وماء وما في الأرض من دابة وشجر ونبات وأنهار وغيرها وسخرها للنفع جميعاً.

قال بعض (جميعاً) توكيد ورده ابن هشام بقلة التوكيد بـ (جميعاً) ويحذف الضمير وقيل حال من ماء ومنه حال آخر ومتعلق (بسخر) خبرالمحذوف أي ذلك منه و(جميعاً) حالاً من ضمير استقرار منه بناء على جواز تقديم حال أما في (السموات) مبتدأ (ومنه) خبر وجميعاً حال من (ضمير) الاستقرار وعلى هذا (فسخر لكم) توكيد للاول و (ما في الأرض) مبتدأ و (منه) خبر و (جميعاً) كما مر آنفاً و (ما في السموات) مفعول سخر.

وقرأ ابن عباس (منه) بالمثناة فوق والنصب على المفعولية المطلقة (لسخر) أو لفعل محذوف أي فمنه أو مفعول لأجله .

وقرأ مسلم بن محارب بالمثناة والرفع على انه خبر لمحذوف أي ذلك منه أو فاعل سخر على الاسناد المجازي كما تقول أشبعنا جوده.

وقرأ مسلمة أيضاً بالهاء وعن بعض اذا سكن القلب لمولاه قوي حاله وسخر له كل شيء وآنس به كل شيء من الوحوش والطيور كما جرى

لشيبان خرج مع أحد فعرضهما أسد فقال أما ترى هذا ياشيبان فقال: لا تخف فلما سمع الأسد كلامه أتاه يبصبص له بذنبه فأخذه بأذنه فعركها فقال له: ما هذه الشهرة ؟ فقال: لا شهرة لولا مخافتها ما حملت زادى الى مكة الا على ظهره وكان اذا حضر صلاة الجمعة نادى ذئباً أحرس غنمي حتى نرجع من الصلاة نعطك الاجرة وكان يقول لشاب صاحبه في سياحة ان كنت تخاف فلا تصاحبني *

﴿ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ في صنائعه * ﴿قل للذين آمنوا﴾ اغفروا فحذف هذا القول الذي هو اغفروا لدلالة قوله * ﴿يغفروا﴾ المجروم في جواب الامر أو بأن الشرطية المحذوفة أي بأن قلت اغفروا يغفروا وقيل مجزوم بلام الامر محذوفة والمجموع هو المقول *

﴿للذين لا يرجون أيام الله﴾ قال مجاهد لا يخافون ولا يتوقعون وقائعه بأعدائه من قولهم لوقائع العرب أيام العرب والحق عندي ان المعنى لايأملون أيام انعامه ونصره وتنعيمه في الجنة وغير ذلك والآية منسوخة بآية السيف عند الاكثر والحق انها محكمة والمراد العفو الجائز بعد الأمر بالقتال وعن بعض انها تتضمن الغفران عموماً فينبغى أن يقال ان الأمور العظام كالقتل والكفر مجاهرة نسخ غفرانه وغيرها كالخفاء في القول يحتمل أن تكون حكمة فيه وأن يكون العفو أقرب الى التقوى .

وقال ابن عباس: (نزلت في عمر شتمه رجل من غفار في مكة فهم ببطشه) وقيل ان ناساً من الصحابة من أهل مكة آذاهم المشركون أذى شديداً فشكوا له ﷺ فنزلت .

وروي عن ابن عباس أيضاً أراد (بالذين آمنوا) عمر و (بالذين لايرجون) عبد الله بن أبّي وذلك انهم نزلوا في غزوة بنى المصطلق على بئر يقال له المريسيع فأرسل عبد الله بن أبّي غلامه ليسقى له فأبطأ فقال: ما حبسك قال: غلام عمر قعد على البئر فما ترك أحدا يسقي حتى ملأ قرب النبي ﷺ وقرب أبى بكر وملأ لمولاه فقال عبد الله ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل: (سمن كلبك يأكلك فبلغ قوله عمر واشتمل بسيفه يريد التوجه اليه

فنزلت وعن ابن عباس أيضاً لما نزل (من ذا الـذي يقـرض الله) الـخ قـال يهودي اسمه فِنحاص احتاج رب محمد فاشتمـل عمـر بسيفـه وخـرج اليـه فنزلت الآية وأعلمه جبريل بما هم عمر فـأرسـل اليـه فـرجـع فقـال: ضـع سيفك فقال صدقت يا رسول الله صدقت يامحمد أشهد انك أرسلت بـالحق فقرأ له الآية*

﴿ليجزي قوماً بما كانوا يكسبـون﴾ تعليل لقل (والقوم) المؤمنـون والتنكير للتعظيم أي قوماً مخصوصين صـابـرين على أذى المشركين (والكسب) العفـو المورث ثواباً عظيماً بكظم الغيظ .

وعن سعيد بن المسيب كنا بين يدي عمر فقرأ الآية فقال: ليجـزي عمـر بما صنع أي بصبره واحتماله فقال عند نزول الآيـة: والله لاتـرى الغضب في وجهي والمراد (بالقوم) الكفار فـالتنكير للتحقير والكسب الاسـاءة أو المـراد (بالقوم) المؤمنون والكافرون (وبالكسب) العمل مطلقاً ويـدل لـه مـا بعـده وفاعل (يجزي) ضمير الله وقرىء (ليُجزي قوم) بالبناء للمفعول ورفع قوم.

وقرأ أبو جعفر بالبناء له ونصبه على أن النائب المجرور أو مصدر الفعـل مضمراً أو الخير أو الشر كذلك وفيهما نيابة المفعول الاول مـع وجـود الثـاني وهي مرجوحة واختـارهمـا بعض على نيـابـة المصـدر قـائلاً ان الاسنـاد اليـه ضعيف ولاسيما مع المفعول به.

وقال ابن هشام: النائب ضمير الغفران وقال في توضيحه أجاز الكوفيـون نيابة غير المفعول به مع وجوده ومثل بـالآيـة وأجيب بـما مـر وبشـذوذ تلك القراءة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي (لنجزي قوماً) بالنون *

﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها﴾ مر مثله * ﴿ثم الى ربكم ترجعون﴾ فيجازيكم على أعمالكم * ﴿ولقد آتينا﴾ أعطينا * ﴿بني اسرائيل الكتاب﴾ التوراة * ﴿والحكم﴾ الفتيا بأحكام الله وما في التـوراة أو الحكمـة والفقه أو العمل بأحكـام الله أو السلطـة * ﴿والنبوة﴾ لموسى وهارون ومن بعدهما كثرت الانبياء فيهم ما لم تكثر في غيرهم *

﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ مما أحله الله وأطابه من الأرزاق وسع عليهم في

الدنيا وأورثهم أموال فرعون وديارهم وأنزل عليهم المن والسلوى *

﴿وفضلناهم على العالمين﴾ جميعاً ما خلا هذه الامة فهي أفضل أو المراد في زمانهم حيث أتاهم ما لم يؤت أحداً .

قال ابن عباس : لم يكن أحد من العالمين في زمانهم أكرم على الله ولا أحب اليه منهم والمراد عقلاء العالمين لان التفضيل على الناقص تنقيص * ﴿وآتيناهم﴾ أعطيناهم * ﴿بينات﴾ أي آيات ومعجزات * ﴿من الأمر﴾ أمر الدين وقيل المراد بيان الحلال والحرام وقيل: العلم بمبعث محمد ﷺ وقيل: آيات من أمر محمد ﷺ مبينة لصدقه ﷺ ولصدق موسى وقيل: جميع ذلك و (الآيات) في طريق الباطن أن يفتح الله سمع عبده لفهم خطابه ويجعل فؤاده وعاء لكلامه ويعطيه فراسة صادقة يحكم بها في عباده بحكم يقين وخبر صدق * ﴿فما اختلفوا﴾ في ذلك الامر وهو بعثة نبينا مثلاً *

﴿الا من بعد ما جاءهم العلم﴾ بحقيقة الحال الموجبة لعدم الخلاف والآية تعجيب صار العلم لهم سبب الخلاف وذلك انهم لم يقصدوا نفس العلم وثوابه بل الرئاسة علموا فأظهروا النزاع والحسد كما قال *

﴿بغياً بينهم﴾ أي عداوة وحسداً * ﴿ان ربك يقضي بينهم﴾ بالجزاء على العمل *

﴿يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة﴾ طريقة من بعد موسى وأصل الشريعة مورد الماء والناس يردون الدين * ﴿من الأمر﴾ أمر الدين قيل: واحد الأمور أو واحد الأوامر وقيل: الأمر الدين* ﴿فاتبعها﴾ لأنها الثابتة بالبرهان*

﴿ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ هم كفار قريش الرؤساء قالوا له ﷺ ارجع الى دين آبائك *

﴿انهم لن يغنوا عنك﴾ لن يدفعوا عنك ﴿من الله﴾ أي من عذابه * ﴿شيئاً﴾ ان اتبعت أهواءهم * ﴿وان الظالمين﴾ أي الكافرين *

﴿بعضهم أولياء بعض﴾ لاتوالوهم لانهم غير جنسكم ولا ولاية لهم من الله * ﴿والله ولى المتقين﴾ لتقواهم فوالى الله بالتقى لأولي للكفار وفي ذلك

تحقير قالت قريش يوم أحد: لنا العزى ولا عزى لكم فقال ﷺ: أجيبوهم الله مولانا ولا مولى لكم فهو ناصر المتقين دنيا وأخرى * ﴿هذا﴾ القرآن * ﴿بصائر﴾ بينات تبصرهم الدين هي في القلب كالبصر في الوجه والمفرد البصيرة وهى المعتقد الوثيق في الشيء * ﴿وهدى﴾ من الضلال وقرىء (هذه) أي (هذه الآيات) بصائر وهدى * ﴿ورحمة﴾ أي نعمة * ﴿لقوم يوقنون﴾ يطلبون اليقين أو يصدقون بالبعث * ﴿أم﴾ منقطعة بمعنى بل الانتقالية والانكار أو بمعنى بل الابطالية أبطلت عدم يقين من لم يوقن أي ليس بشيء والانكار أيضاً والمراد بالانكار انكار الحساب .

﴿حسب الذين اجترحوا﴾ اكتسبوا ومنه الجوارح وفلان جارحة أهلهم كاسبهم * ﴿السيئات﴾ الكفر والمعاصي نزلت لان الكفار قالوا لئن كانت آخرة كما تزعمون لنفضلن عليكم فيها كما فضلنا في الدنيا وهذه الآية تتناول بلفظها حال العصاة من أهل التقوى وهو موقف العارفين بكون عنده .

وكان تميم الداري يصلي ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يرددها ويبكي حتى أصبح. ورددها الربيع بن خيثم ليلة فبكى حتى أصبح. وكذا الفضل ابن عياض وكان الفضل يقول لنفسه ليت شعرى من أي الفريقين أنت وتسمى الآية مبكاة العابد ين .

قال بعضهم: ولفظها يعطي اجتراح الشرك بدليل المعادلة بالايمان فيحتمل أن تكون المعادلة بين الاجتراح وعمل الصالحات ويكون الايمان في الفريقين ولهذا بكى الخائفون وهذا هو المذهب *

﴿أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ (كالذين) مفعول (ثان) لنجعل و (نجعل) في تأويل مصدر مفعول لحسب ناب مناب مفعولين وهو أول والثاني مقدر أي حسبوا جعلهم كالذين الخ يوجد *

﴿سواء محياهم ومماتهم﴾ (سواء) خبر مقدم و (محيا) مبتدأ مؤخر وانما أخبر به عن اثنين المحيا والممات لانه مصدر لكنه بمعنى اسم الفاعل والجملة مفعول ثان بعد مفعول ثان لنجعل كما يتعدد خبر المبتدأ .

وقال الزمخشري: بدل من الكاف لانها تحل محله فهي في حكم المفرد

كقولك (ظننت زيداً أبوه قائم) ويجوز كون (محيا ومماث) مصدرين ميميين أو اسمي زمان أو اسمي مكان وذلك الاعراب بناء على أن الضميرين للموصول الاول أنكر أن يكون حياة الكفار وموتهم سواء في البهجة والكرامة فانهم أكلوا طيباتهم في الحياة حيث أقاموا على المعاصي والشهوات وانما كرامة الموت للمؤمنين لطاعة الله ويدل لذلك قراءة حمزة والكسائي وحفص بنصب (سواء) على انه من تعدد المفعول الثاني أو حال من ضمير الاستقرار في قوله (كالذين) أو من ضمير الكاف على انها اسم فيه ضمير مستتر كما في قوله مماثل أو مفعول ثان (كالذين) حال من هاء نجعلهم أي (مثل الذين) الخ في زعمهم أو (كالذين) مفعول ثان (وسواء) بدل من الكاف على انها اسم أو من مقدر منفرد ان جعلت حرفاً (ومحيا) فاعل (سواء) والمصدر برفع الفاعل ولاسيما انه هنا بمعنى (مستو وصفا) والوصف يرفع الفاعل ولو لم يعتمد على الصحيح وان جعلنا (سواء) حالاً أو مفعولاً للجعل وقد اعتمد على صاحب الحال وعلى المبتدأ في الأصل وقرىء بنصب (مماث) فهو (ومحيا) ظرفا زمان أو مكان شذوذاً لانهما ميميان وعاملهما من غير لفظهما ومعناهما أو لا شذوذاً بل مصدران ميميان نابا عن ظرف الزمان وان أرجعنا الضميرين في (محياهم ومماتهم) للموصول الثاني فالحالية منه أو الجملة استئناف لبيان مقتضى الانكار أي (موتهم وحياتهم على الاسلام) وان أرجعناه للثاني أو الأول فبدل أو استئناف لبيان تساوى (محيا) كل صنف (ومماته) في الهدى والضلال كل يموت على ما عاش أو لانكار الاستواء بعد الموت في الكرامة وترك المؤاخذة كما استووا في الرزق والصحة في الحياة قيل: أو حال من ضمير الاول وضمير الثاني وفيه اختلاف عاملين في الحال*

﴿ساء ما يحكمون﴾ ما مصدرية أي (ساء الحكم حكمهم) أو (ساء حكماً حكمهم) هذا و (ساء) كـ (بئس) أو اسم أي (ساء الحكم الذي يحكمونه) أو (ساء الذي يحكمونه) أي يثبتونه .

قال مسروق : قال لى رجل مكي هذا مقام أخيك تميم الداري ولقد رأيته قام ذات ليلة حتى أصبح أو قرب أن يصبح يقرأ (أم حسب الذين) الآية

يركع بها ويسجد ويبكى *

﴿وخلق الله السموات والأرض بالحق﴾ أي بالعدل كأنه دليل على أن عدم جعل هؤلاء كهؤلاء عدل وتهديد لهؤلاء الكفار بالعدل ينصر المظلوم ويثيبه دون الظالم والثواب في الآخرة وان لم يكن النصر في الدنيا ، وهذا كما تهدد سارقاً بقولك الأمير يحكم بكتاب الله *

﴿ولتجزي كل نفس بما كسبت﴾ العطف على (الخلق) لان فيه معنى التعليل أو على محذوف أى خلقهن ليدل بهن على قدرته (ولتجزى) أو ليعدل ولتجزي ﴿وهم لا يُظلمون﴾ قيل المقصود من هذا الحق اظهار العدل والرحمة ولا يثيب أو يعاقب أحداً على خلاف ما تأهل له من عمل بل اثابته زيادة وسمي ذلك ظلماً لانه لو فعله أحد لكان ظلماً ولو نقص الله من ثواب أو ضعف عذاباً لم يكن ظلماً * ﴿أفرأيت﴾ أخبرني * ﴿من اتخذ إلهة هواه﴾ أي صير إلهة هواه وخضع له فيما أراد سمى اتباع عبادة كأنه يعبده كما يعبد الرجل الله .

قال ابن عباس وقتادة: لا يهوى شيئاً الا ركبه لانه لا يخاف الله ولا يؤمن به ولا يحرم ما حرم وقيل اتخذ معبوده ما تهواه نفسه وذلك ان العرب تعبد الحجارة والذهب والفضة والخشبة فاذا رأي ما هو أحسن رفضه وكسره وعبد استحسن واتفق مع هواه وقرىء بالجمع لانه اذا كان يعبد تارة هذا وتارة ذاك وتارة ذلك فكأنه جعل هواه يعبد كل واحد في وقت وسمى الهوى لانه يهوي بصاحبه في النار والآية تسلية للنبي ﷺ وهى وان نزلت في هوى الشرك لكنها تتناول جميع هوى النفس .

قال ﷺ : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والفاجر من ابتع نفسه هواه وتمنى على الله » .

وعن سهل بن عبد الله التستري: (هواك داؤك فان خالفته فداؤك)

وعن وهب : (اذا عرض لك أمران شككت في خيرهما فأنظر أبعدهما من هواك فآتيه) .

قال حكيم :

اذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى   الى كـــل ما فيـه عليك مقــــال

قال أبو عمران الواسطي : (انكسرت بنا السفينة فبقيت أنـا وامـرأتي على لوح وقد ولدت في تلك الحالة صبية فصاحت بي أيقتلني العطش فقلت هو ذا يرى حالنا فرفعت رأسي فاذا رجل في الهـواء جـالس في يـده سلسلـة من ذهب وفيها كوز من ياقوتة حمراء فقال : هاكما اشربا فأخذت الكوز فشربنـا منـه أطيب من المسك وأبـرد من الثلـج وأحلى من العســـل فقلت من أنت يـرحمك الله فقـال : عبـد لمـولاك فقلت لـه : بم وصلت الى هـذا ؟ فقـال : تركت هواي لمرضاته فأجلسني في الهـواء ثم غـاب عني ولم أره ﴿وأضله الله على علم﴾ منه في الأزل بأنه من أهل الضلال والشقاوة أو بوجود الهدايـة أو على علم من الكافر بتركه للحق فالآية على هذا من آيات العناد .

والأول لابن عباس أو عالماً بضلال هـذا الكـافـر وفسـاد جـوهـر روحـه (والاضلال) الخذلان والاستعلاء مجازى أو (على) بمعنى مع * ﴿وختم على سمعه﴾ ألقى عليه مانعاً وغطاه به وذلك استعارة للخذلان فلا يسمع سمعاً نافعاً * ﴿وقلبه﴾ فلا يتعظ ولا يعقل .

﴿وجعل على بصره غشاوة﴾ فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار وكأنـه لا يرى كما كأنه لا يسمع والغشاوة الظلمـة فـلا يبصر الهـدى والغين مكسـورة وقريء بفتحها وبضمها أو غشوة بالفتح والكسر مـع سكـون الشين والفتـح والسكون لحمزة والكسائي وهنا يقدر مفعول رأيت الثاني أي يهتدي .

﴿فمن يهديه من بعد الله﴾ أي من دون الله وقيل من بعد اضلال الله ايـاه والاستفهام انكارى أى لا هادي له * ﴿أفلا تتذكرون﴾ بادغام تاء المـاضي في الذال والباقية تاء المضارع وقرىء (يتذكرون بالياء) (والتذكر) الاتعاظ ولا حيلة للقدرية مع الآية صرح انه ختم على سمعه وقلبه وبصره لكن ما ذلك الا عدم التوفيق فاشتغلوا بكفـرهـم ولا جبر * ﴿وقالوا﴾ أي منكروا البعث * ﴿ما هى﴾ أي الحياة أو الحال * ﴿الاحياتنا الدنيا﴾ حياتنا القريبة الزوال ﴿نموت ونحيا﴾ تموت الاباء وتحيا الأولاد أو حياة الاولاد حياة للاباء المـوتى أو يموت بعضنا ويبقى بعضنا أو نكون أمواتاً نطفاً في الأصلاب ونحيا بعـد

ذلك أو عطفت الواو السابق على اللاحق أي نحيا ونموت بعد الحياة أو أراد التناسخ وهو نقل روح الميت الى الجسد الآخر وهو عقيدة أكثر عبدة الاوثان وقريء (نحيا) بضم النون وفتح الياء.

﴿وما يهلكنا الا الدهر﴾ الا مرور الزمان كما قرىء (الأدهر) يمر وقيل الأطول الزمان وهو في الاصل مدة بقاء العالم من دهره أي غلبه ﴿وما لهم بذلك من علم﴾ والباء متعلقة بمجرور (من) لان (من) زائدة فلا تمتنع وتقديم معمول المصدر مختلف فيه والباء بمعنى في متعلق بالاستقرار ﴿ان هم﴾ أي ماهم * ﴿الا يظنون﴾ ويقلدون وينكرون ما لم يحسوا به ولا دليل لهم زعموا ان مرور الأيام والليالي هو المؤثر في هلاك النفس وينكرون ملك الموت وقبض الروح وينسبون الحوادث الى الدهر وحركات الافلاك وترى أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان وأما نسبة الموحد شيئاً الى الزمان فمجاز، فنهى النبي ﷺ عما يقوله المشركون ويعتقدونه بقوله «لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله فالدهر من أسماء الله وان الله هو فاعل ما تسبون فيه الدهر لا الدهر وهو مخلوق له متصرف فيه مثلكم».

وفي الحديث : [يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار].

وفي رواية : [يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدى الليل والنهار].

وفي رواية :[يؤذيني ابن آدم ويقول الدهر فاني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره فاذا شئت قبضتهما].

ويؤذيني مجاز بالاستعارة فان الله لا يصله نفع ولا ضر والاشارة في الاية الى القول أو الى نسبة الحواث للدهر أو انكار البعث والأول أولى لعمومه لان معنى (ان هي الا حياتنا الدنيا) الخ انه لا بعث *

﴿واذا تتلى عليهم آياتنا﴾ آيات القرآن * ﴿بينات﴾ حال من آياتنا أي واضحات الدلالة على ما يخالف اعتقادهم قيل: أو مبينات له وجواب اذا محذوف أي عمدوا الى الحجج الباطلة. قاله ابن هشام.

﴿ماكان حجتهم الا أن قالوا ائتوا بأبائنا ان كنتم صادقين﴾ لعدم قرنه

بالفاء مع وجود ما النافية وقال الرضي: يجوز خلو جواب (اذا) من الفاء لعدم عراقتها في الشرطية وقال بعض: بحذف الفاء ورد بأن حذفها يختص بالضرورة على الصحيح وقيل: جوابها قسم محذوف وجوابه الذي هو قوله (ما كان) الخ أي فوالله ما كان وقيل: يقدر قيل: (اذا) وما بعدها جوابه والمجموع دليل جوابها فاذا علقت بجوابها لم يرد انما العدد لها باتفاق كما قيل فان فيها خلافاً ولانه لا صدر لما وقع في جواب (اذا) عند من يعلقها به .

وقال ابن الحاجب: خارجة عن الشرط متعلقة بكان ولا جواب لها وحجتهم بالنصب خبر كان وان قالوا اسمها وقرىء برفع (حجة) على انه الاسم وان قالوا خبرها وهو لغير السبعة وهو ضعيف لأن ان وان المقدرتين بمصدر معرف يحكم لهما بحكم الضمير لانه لا يوصف ذلك المصدر كما لا يوصف الضمير والاخبار بالضمير عما دونه في التعريف ضعيف .

قاله ابن هشام ورد بأن كونه لا يوصف لا يقتضي تنزيله منزلة الضمير والمقدرتان بمصدر منكر كذلك ينزل مصدرهما منزلة الضمير نحو أعجبني أن قام رجل والمقدر بمصدر مضاف لمعرفة غير ضمير كذلك وحرف المصدر غير ان وان مثلها وسمي قولهم حجة لانهم احتجوا به كما يحتج بالقول الصحيح أو تهكماً أو لهما معاً أو لكونه حجة في زعمهم .

قال الزمخشرى: أو لانه في أسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع كأنه قيل ما كان حجتهم الا ما ليس بحجة والمراد نفي أن يكون لهم حجة البتة وقوله كأنه الخ غير مختص بالاحتمال الآخر فافهم والمراد بالصدق الصدق في البعث وحجتهم داحضة لانه لا يلزم من عدم اتيان النبى ومن معه بالآباء في الدنيا عدم البعث مطلقاً ادعوا ان ذلك حجة مبكتة فأجاب الله بقوله *

﴿قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم﴾ أي يبعثكم بعثاً منها ومؤجلا* ﴿الى يوم القيامة﴾ للمجازاة وقد أمكن البعث الآن والحكمة اقتضت تأخيره ومن قدر على الابداء والاماتة قادر على البعث والحجج الواضحة دلت على انه المحيي المميت أو (الى) بمعنى (في) ومر مثله * ﴿لاريب فيه﴾ في

جمعكم أو في ذلك المذكور من الاحياء والاماتة والجمع والمراد لا يشك في الجمع من تحقق الاحياء والاماتة منه *

﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على ما يدعون وهم قائلو ذلك *

﴿ولله ملك السموات والأرض﴾ خلقهن وما فيهن بعد عدم مع عظمهن كذلك يبعث من مات وهذا تعميم للقدرة بعد تخصيصها بالاحياء والاماتة والجمع * ﴿ويوم﴾ متعلق بيخسر* ﴿تقوم الساعة يومئذ﴾ بدل من يوم * ﴿يخسر المبطلون﴾ أي يهلك الكافرون أو يخسرون أهلهم من الحور أو يظهر خسرانهم بأن يصيروا الى النار أو يصح خسرانهم وقد كان مشكوكاً فيه قبله والمبطل الداخل في الباطل المخالط له * ﴿وترى كل أمة﴾ كل جماعة عظيمة من الناس وقال مجاهد الامة الواحد من الناس قال بعضهم هذا قلق في اللغة وان قيل في ابراهيم قس بن ساعدة أمة فانه تجوز تشريفاً وتشبيهاً * ﴿جاثية﴾ أي باركة على الركب غير مطمئنة القعود قيل: هي جلسة الخصم بين يدى الحاكم ينتظر القضاء وهى هيئة المذنب الخائف .

قاله مجاهد وقال ابن عباس وقتادة والكلبي معناه مجتمعة من الجثوة وهي الجماعة بضم الجيم والجمع جثى كهدى .

وعن قتادة : معناه جماعات كالباقر والجامل للبقر والجمال وقرىء (جاذية) بالذال المعجمة وهو أشد من الجاثي لانه الذي يجلس على أطراف أصابعه .

قال سلمان: ان في القيامة ساعة هى عشر سنين يخر الجميع فيها جثواً حتى ابراهيم ينادي ربه لا أسألك الا نفسي *

﴿كل أمة تُدعى الى كتابها﴾ وقرأ يعقوب بنصب (كل) ابدالاً من كل (وتدع صفة أو مفعول ثان (لترى) واضافة (كتاب) للجنس لذا أفرد أو لان المراد يدعى كل واحد منها الى كتابه والمراد صحائف الأعمال ويحتمل عندي الكتاب المنزل عليها تحاكم اليه هل وافته أو خالفته *

﴿اليوم تجزون ما كنتم تعملون﴾ من خير أو شر * ﴿هذا كتابنا﴾ المراد صحائف الاعمال وأضافه لنفسه أو لنفسه وملائكته لانه أمرهم وكتبوه وهو

أيضاً مالكه وقيل جنس الكتب المنزلة وقيل اللوح المحفوظ وقال ابن قتيبة: القرآن وقيل المراد وترى كفار كل أمة جاثية *

﴿ينطق عليكم بالحق﴾ يشهد على أعمالكم بلا زيادة ولا نقصان ﴿انا كنا نستنسخ﴾ الملائكة * ﴿ما كنتم تعلمون﴾ أي ندعوهم ونأمرهم أن يكتبوه وذلك صحائف العمل . قاله الحسن. وقيل: نثبت ونحفظ.

وعن ابن عباس وغيره ان الله يأمر بعرض الأعمال كل يوم خميس فينقل من الصحف التي ترفع الحفظة كل ما له ثواب أو عقاب ويلقى الباقي هذا هو النسخ من أصل ألستم قوماً عرباً هل يكون النسخ الا من كتاب وقيل النسخ من اللوح المحفوظ كل عام وقيل (نستنسخ) نأخذ نسخته ويثبت الله ما له ثواب أو عقاب ويلقى غيره منها *

﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته﴾ كالجنة ورضاء ومنة وغير ذلك وفسرها كثير بالجنة *

﴿ذلك هو الفوز المبين﴾ الظفر الواضح لخلوصه عن الكدورات أو الموضح لخسارة المبطلين *

﴿وأما الذين كفروا﴾ جوابه محذوف أي فيقال لهم ﴿أفلم تكن آياتي﴾ أي قرآنى ﴿تتلى﴾تقرأ * ﴿عليكم﴾ والهمزة مما بعد الفاء العاطفة على محذوف أي فيقال لهم ألم تأتكم فلم تكن آياتى فحذف القول والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقرينة وقال بعض المتأخرين الفاء من الجواب المقدر أي فيقال لهم (ألم تكن) حذف القول ومتعلقه وقدمت الهمزة على الفاء لتمام صدارتها . قاله ابن هشام.

﴿فاستكبرتم﴾ تكبرتم عن الايمان بها وبما فيها ﴿وكنتم قوماً مجرمين﴾ عادتهم الاجرام أي الاشراك والذنوب العظام ﴿واذا قيل﴾ لكم يا كفار * ﴿ان وعد الله﴾ بالبعث أو موعوده وهو البعث ﴿حق﴾ لا خلف فيه * ﴿والساعة لا ريب فيها﴾ يوم القيامة وذلك مبتدأ وخبر عطفاً على ان وما بعدها أو على محل ان واسمها وقرأ حمزة بالنصب عطفاً للساعة على وعد والجملة (لا ريب فيه) على (حق) ولو جعلنا حقاً غير وصف لان ذلك من

العطف على معمولي عامل فالعاطف قام مقام العامل.
وقرأ ابن مسعود (وان الساعة) * ﴿قلتم ما ندري ما الساعة﴾ (ما) خبر (والساعة) مبتدأ وهذا أولى من العكس والجملة مفعول لأدري قامت مقام فعلين والمعلق ما استفهامية وهذا انكار منهم واستغراب * ﴿إن نظن الا ظناً﴾ فيه دليل لاجازة التفريغ الى المصدر المؤكد وأجيب بأنه نوعي أي ظناً ضعيفاً والتنكير للتحقير .
وقال المبرد : الاصل (ان نحن الا نظن ظناً) والمراد نفي ما عدا الظن وأكد هذا النفي بقوله ﴿وما نحن بمستيقنين﴾ وذلك انهم يظنون ولا يتيقنون ثم يغلب عليهم الجهل والكفر ويتركون ذلك الظن أو الظن لما سمع لبعضهم من الآباء وما تليت عليهم من الآيات ﴿وبدا﴾ أي ظهر في الاخرة ﴿لهم سيئات ما عملوا﴾ أي جزاؤها على حذف مضاف أو السيئات العقوبات السيئات المستوجبة هي ما عملوه * ﴿وحاق﴾ نزل وأحاط ولا يستعمل الا فيما يكره *
﴿بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ من العذاب (فما) واقعة على العذاب وقيل على الدين ويقدر مضاف أى جزاء ما كانوا الخ ﴿وقيل اليوم﴾ متعلق بقوله * ﴿ننساكم﴾ نترككم في العذاب والنسيان يستعمل للترك عمداً أو هو هنا مجاز أي نترككم ترك ما ينسى * ﴿كما نسيتم﴾ تركتم أو تغافلتم لعدم المبالاة كما ينسى الشيء *
﴿لقاء يومكم هذا﴾ بدل أو بيان أو نعت ليوم أي تركتم العمل والاستعداد للقائه والايمان باللقاء واضافة اللقاء لليوم اضافة مصدر لظرفه كمكر الليل أي لقاء الله في يومكم والاشارة للتهديد باليوم الحاضر ويجوز تقدير لقاء جزاء يومكم ﴿ومأواكم النار﴾ منزلكم ومرجعكم ﴿وما لكم من ناصرين﴾ يمنعونكم منها و ﴿ذلكم﴾ الجزاء *
﴿بأنكم اتخذتم آيات الله﴾ قرآنه ودلائله * ﴿هزوا﴾ تستهزءون بها ولا تتفكرون * ﴿وغرتكم الحياة الدنيا﴾ وحسبتم ان لا حياة سواها وأنكرتم البعث ﴿فاليوم﴾ متعلق بقوله * ﴿لا يخرجون﴾ بالبناء للمفعول .

وقرأ حمزة والكسائي بالبناء للفاعل بفتح التاء وضم الراء ﴿منها﴾ من النار * ﴿ولا هم يُستعتبون﴾ لا يطلب منهم أن يرضوا ربهم بالتوبة لانها لا تنفع يومئذ والاعتاب الارضاء ﴿فللّه﴾ لا لغيره * ﴿الحمد﴾ على وفاء وعيده بالمكذبين *

﴿رب السموات ورب الأرض﴾ فاحمدوه على الوفاء والعظمة * ﴿رب﴾ بدل من رب * ﴿العالمين﴾ فهو كامل القدرة وكل نعمة منه وذلك دلالة على التوحيد والتعظيم وابطال لأمر ما تعبد الكفار * ﴿وله الكبرياء﴾ بناء مبالغة في العظمة فكبروه * ﴿في السموات﴾ فتعلق بما تعلق له أو حال من ضمير الاستقرار * ﴿والأرض﴾ لظهور آثار الكبرياء فيهن* ﴿وهو العزيز﴾ الذي لا يغلب * ﴿الحكيم﴾ فيما قدر وقضى .

قال جل وعلا : [العز ازاري والكبرياء ردائى فمن ينازعنى عذبته] (وروي) [فمن ينازعنى شيئاً منهما] (وفي رواية) [الكبرياء ازاري والعظمة ردائى فمن نازعني في واحد قذفته في النار] والرداء والازار كناية عن الصفة اللازمة الكثيرة التى لا يشاركه أحد فيها فان الانسان لا يترك ثوبه ويعرى والثوب مغط للانسان وشامل له ولا يشاركه فيه غيره ومثل ذلك في كلام العرب غير قليل .

اللهم يارب ببركة هذه السورة وسيدنا محمد ﷺ اخز الروم واكسر شوكتهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.




بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الأحقاف

سـورة ﴿الأحقـاف﴾

مكية كلها وقيل الا (قل أرأيتم ان كان من عند الله) الآية .

قال عوف بن مالك الأشجعي: (نزلت بالمدينة في قصة اسلام عبد الله ابن سلام .

وقال مسروق: نزلت الآية بمكة وانما كان إسلام ابن سلام بالمدينة وانما كانت خصومة خاصم بها النبي ﷺ واستثنى بعضهم (ووصينا الانسان) الآيات الأربع واستثنى بعضهم (ووصينا الانسان) (قل أرأيتم ان كان) والآية (فاصبر كما صبر) الآية.

وهى أربع وثلاثون آية وقيل خمس وثلاثون وكلمها ستمائة وأربع وأربعون وحروفها ألفان وخمسمائة وتسعون وفي حساب الفان وستمائة حرف .

وعنه ﷺ : « من قرأ سورة الأحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا »

وفي رواية: «أعطي من الأجر بعدد كل ما في الدنيا واذا كتبها وعلقها أمن شر الجان وكل محذور واذا نام وهي تحت رأسه أمن من كل طارق من الجن والانس» .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حم تنزيل الكتاب﴾ القرآن * ﴿من الله﴾ خبر تنزيل ومر غير ذلك* ﴿العزيز﴾ في ملكه* ﴿الحكيم﴾ في صنعه *

﴿ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما﴾ بين النوعين أو اعتبر ان السموات كانت سماء * ﴿الا بالحق﴾ بالعدل متعلق بخلقنا أو بمحذوف نعت لمصدر محذوف أي الا خلقاً ملتبساً بالحق ليدل على قدرتنا ووحدانيتنا والحق هو ما تقتضيه الحكمة والعدل.

وعن بعض الحق البعث والحساب والجنة والنار * ﴿وأجل﴾ أي وبتقدير أجل * ﴿مسمى﴾ مقدر معين وهو يوم القيامة ينتهي اليه الكل وتفنى فيه السموات والأرض وأشياء مما بينهما وما مر من الاعراب وأولى من جعل بالحق حالا من المفعول لان المقترن بالحكمة والمدة حقيقة ليس هو المخلوقات كذا قيل ويجوز كونه حالاً من ضمير خلقنا .

﴿والذين كفروا عما أنذروا﴾ متعلق بقوله * ﴿معرضون﴾ أي معرضون عما أنذروا به أي خوفوا به من هول ذلك الأجل لا يتفكرون فيه ولا يستعدون له ويجوز كون (ما) مصدرية * ﴿قل أرأيتم﴾ اخبرونى بعد تأمل ﴿ما تدعون﴾ تعبدون مفعول أول *

﴿من دون الله﴾ وذلك هو الاصنام * ﴿أروني﴾ أخبروني توكيد أرأيتم * ﴿ماذا﴾ مبتدأ وخبر * ﴿خلقوا﴾ صلة (ذا) وجملة المبتدأ والخبر مفعول ثان أو (ماذا) مفعول (خلقوا) وخلقوا مفعول ثان والاستفهام معلق انكاري أي لم يخلقوا شيئاً ﴿من الأرض﴾ ولا مما فيها وقيل من بيان لما * ﴿أم﴾ أي بل * ﴿لهم﴾ الضمير لما يعبدون وكذا الذي في خلقوا * ﴿شرك﴾ مشاركة * ﴿في السموات﴾ فيه نفي لما توهم الكفرة ان للوسائط شركة في ايجاد الحوادث السفلية ولذلك خص الشركة بالسموات لا مدخل لها في الخلق ولا في الشركة فمن أين يستحقون العبادة وقيل ان (أم) بمعنى همزة الانكار فقط

وان الأصل شرك في خلق السموات * ﴿ائتوني بكتاب﴾ منزل * ﴿من قبل هذا﴾ الكتاب الذي هو القرآن الناطق بالتوحيد * ﴿أو أثارة من علم﴾ بقية من علوم الاولين أو من علوم العلماء أو من علم الانبياء من قولك سمنت الناقة على اثارة من سمن أي بقية شحم ذاهب والأمر للتعجيز أي لا كتاب ولا اثارة الا شاهد بابطال الشرك وقرىء اثارة بكسر الهمزة أي مناظرة فانها تثير المعاني التى تبعثها وتظهرها و (اثرة) باسقاط الالف وبفتح الهمزة والثاء أو شيء أوثرتم به وخص بكم و (اثرة) بفتح الهمزة واسكان الثاء مصدر للمرة أي رواية ونقل وكذا تطلق (الاثارة) بالفتح والألف وقرىء أيضاً (اثرة) بالكسر فالاسكان أي شيء خصصتم به وأوثرتم كالذي مر و (أثرة) بالضم فالاسكان اسماً لما يؤثر أي يختار أيضاً ويخصص به والمكرمة أو الرواية والنقل كالذي مر وتفسير الحسن (الاثارة) العلم تستخرجونه وتثيرونه ومجاهد هل أحد يؤثر علماً في ذلك.

وعن القرظي: هي الاسناد وقيل علامة من علم .

وقال ابن عباس: الخط في التراب شيئاً تفعله العرب .

وفي الحديث: «كان نبيّ من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك» . قال ابن العربي: الآية من أشرف أي القرآن استوفت الدلالة على الشرائع عقليها وسمعيها (قل أرأيتم) الى (في السموات) بيان دلالة العقل المتعلقة بالتوحيد وحدوث العالم وانفراد الباري بالقدرة والعلم والوجود والخلق و (ايتوني) الخ بيان دلالة السمع والاثارة ما يروى وان لم يكن مكتوباً * ﴿ان كنتم صادقين﴾ في دعواكم ويجوز كونه مستأنفاً وان نافية أي لستم صادقين بناء على جواز كونها نافية ولو بدون الا * ﴿ومن﴾ استفهام انكاري أي لا أحد * ﴿أضل ممن يدعو﴾ أي من المشركين الذين يعبدون * ﴿من دون الله﴾ السميع المجيب القادر على تحصيل البغية الخبير * ﴿من﴾ مفعول يدعو * ﴿لا يستجيب له﴾ أي الاصنام التى لا تستجيب لهم لعدم سماعها ولو سمعت لم تستجب لهم فضلاً عن ان تعلم سرهم وتراعي مصلحتهم

فليست تحثهم الى ما يسألونها اياه * ﴿الى يوم القيامة﴾ أي لا تستجيب لهم في الدنيا التى يتوهمون انها تجيب فيها أما يوم القيامة فلا شك في عدم الاجابة بل تلعنهم * ﴿وهم﴾ أي ما يدعون وهو الاصنام * ﴿عن دعائهم﴾ متعلق بما بعده والضمير للعابدين العابدين للاصنام * ﴿غافلون﴾ أي على هيئة من يمكن منه عدم الغفلة وغفل والا فالاصنام لاعقل لها فضلاً عن أن تغفل وأطلق (من) الموضوعة للعاقل وهم الغفلة وعدم الاستجابة تهكماً بها وبعبادها وكانوا يصفونها بالتمييز جهلاً وغباوة وقرىء ما لا يستجيب وقرىء (يدعو غير الله من لا يستجيب) فمن بدل غير وأجاز بعضهم رجوع قوله وهم الى عبادها ويجوز أن يراد بمن لا يستجيب أولو العلم المعبودون كعيسى وغيرهم كالاصنام فالتعبير بمن وهم وعدم الاستجابة وبالغفلة للتغليب كما وقع التعميم في قراءة ما ومعنى رجوعهم الاول الى عباد ما ذكر انهم لم يضعوا عبادتهم موضعها ويجوز عود الثانى للاصنام وما معهم فتكون الاضافة اضافة مصدر لمفعوله * ﴿واذا حشر﴾ جمع للبعث * ﴿الناس كانوا﴾ أي ما يعبدون من دون الله * ﴿لهم﴾ أي لعبادهم متعلق بكانوا أو بقوله * ﴿أعداء﴾ أو نعت لهم فذلك أشقى شقاوة لانهم يتعبون أنفسهم بعبادتها في الدنيا ولا تستجيب لهم وتعاديهم في الآخرة وتجحد عبادتهم كما قال *

﴿وكانوا بعبادتهم كافرين﴾ جاحدين مكذبين بلسان الحال أو المقال بل يجمع كل معبود بعابده بين يدي الله فيخاصمه بالكلام وقيل الواو في قوله و(كانوا) للعبادة كقولهم (والله ربنا ما كنا مشركين) *

﴿واذا تتلى عليهم﴾ على أهل مكة * ﴿آياتنا﴾ أي القرآن ﴿بينات﴾ واضحات قيل أو مبينات أو جمع بينة بمعنى حجة وهو حال *

﴿قال الذين كفروا للحق﴾ أي لاجل الحق وفي شأنه أو هي لام التبليغ مجازاً كقولك قلت لزيد والحق هو الآيات والذين كفروا هم المتلو عليهم

والاصل قالوا لهم فوضع الظاهرين مع المضمرين ليذكرهن بلفظ الحق تعظيماً وتقوية ويذكرهم باسم الكفر * ﴿لما جاءهم﴾ من غير تأخير ليتأملوا وينظروا وفيه توكيد لمعنى اذا وان جعلت لما اسماً كانت توكيداً أو بدلاً من اذا استعمالها في المستقبل مجازاً أو استعمالاً لاذا في الماضي كذلك أو لان الاستقبال في (اذا) للحكاية حال قد كان مستقبلاً ثم مضى فجيء بلما المضوية.

﴿هذا سحر مبين﴾ ظاهر قوي يفرق بين المرء وبنيه أوظاهر البطلان لا شبهة فيه * ﴿أم﴾ للاضراب عن ذكر تسميته سحراً الى ذكر ما هو أشنع وانكار لهذا الاشنع وهو قولهم بالافتراء وتعجيب * ﴿يقولون افتراه﴾ أي اختلق محمد القرآن من نفسه أي دع قولهم هذا سحر مبين واسمع قولهم المستنكر المقضي منه العجب وذلك ان محمداً كان لا يقدر عليه فضلاً عن أن يقوله ويفتريه على الله ولو قدر دون العرب لكانت قدرته معجزة لخرقها العادة وان كانت معجزة كانت تصديقاً من الله له والحكيم لا يصدق الكاذب فلا يكون مفترياً * ﴿قل﴾ يا محمد على سبيل الفرض والتقدير *

﴿ان افتريته فلا﴾ أي فأنتم لا ﴿تملكون لي من الله شيئاً﴾ من رد عقوبة الافتراء فكيف أتعرض للعقوبة وأنتم لا تقدرون على ردها ولا أتوقع منكم نفعاً ولا ضراً والعقوبة عاجلة أو آجلة .

زقال الزمخشري: عاجلة ويجوز كون الافتراء مراداً به العقوبة تعبيراً بالسبب عن المسبب *

﴿هو أعلم بما تفيضون﴾ به تندفعون وتخوضون* ﴿فيه﴾ أي في الحق أو في الله أي في آياته من الطعن والقدح كقولهم (سحر مبين) * ﴿كفي به﴾ أي بالله والهاء فاعل كفي جر بالباء الزائدة * ﴿شهيداً﴾ بأنه صادق مبلغ غير مفتر وانكم كاذبون منكرون وذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء افاضتهم والاولى ان (شهيد) حال لا تمييز لانه وصف *

﴿بيني وبينكم وهو الغفور﴾ لمن تاب ﴿الرحيم﴾ به ترجية واستجلاب

لهم بل قيل المراد لمن تاب منكم وقيل المراد غفور رحيم في تأخير العذاب عنكم * ﴿قل ما كنت بِدعاً﴾ أي بديعاً كخف بمعنى خفيف وقرىء (بِدَعا) بفتح الدال صفة أو مصدراً بتقدير مضاف أي ذا بدع * ﴿من الرسل﴾ أي ماكنت أولهم بل قد جاء قبلي مثلي كثير أو ماكنت أدعو الى ما لا يدعون ولست آتيكم بما تقترحون وأخبركم بكل غيب سألتموه فان الرسل لم يكونوا يأتون الا بما آتاهم ولقد أجاب موسى فرعون بقوله (علمها عند ربي) فكيف تنكرون نبوتي لئن لم آت بما أردتم *

﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ في الدنيا أخرج من بلدي أم أقتل كما فعل بالانبياء قبلي أو ترمون بالحجارة أو يخسف بكم كالمكذبين قبلكم.

وقيل الخطاب للكفار والمؤمنين معاً أي لا أدري ما يفعل بكم أيها المؤمنون أيضاً أتخرجون معي أم لا وغير ذلك ثم أخبره الله انه يظهر دينه على الدين كله وانه (لا يعذبهم وهو فيهم ولا يعذبهم وهم يستغفرون).

وقال الحسن : ما أدري ما يصير أمري وأمركم في الدنيا ومن الغالب والمغلوب ثم أخبره انه يظهر دينه وأمته على الاديان والامم وأما في الآخرة فقد علم انه ومن إتبعه في الجنة وغيرهم في النار وقيل ما أدري ما يفعل بي ولا بكم من الأوامر والنواهي وهل يدركني مقيماً بين أظهركم أم يخرجني ونسب للحسن وأخبره وأمره بالهجرة بعد ذلك.

وعن ابن عباس وجماعة : ما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وكان ذلك في صدر الاسلام فحلف المشركون باللات والعزى اثنا ومحمد عند الله سواء ولولا ان القرآن افتراء منه لاخبره بما يفعله به كما فعل مع سليمان وعيسى والحواريون خبرهم الله بالنصر وهذا هو الضلال .

وقيل: إن رأس المنافقين عبد الله قال: كيف تتبعون من لا يدري ما يفعل به ولا بمن اتبعه ؟ فقال له أبو بكر يا رسول الله ألا تخبرنا بما يفعل بك وقد شق ذلك على المسلمين فنزل (ليغفر لك الله) الخ فقال الصحابة هنيئاً لك علمت ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فنزل (ليدخل المؤمنين) الخ

(وبشر المؤمنين بأن لهم) الخ فآيات الغفران ناسخات لهذه .
كذا قالوا عن ابن عباس وقتادة وعكرمة ونسب الى الحسن .
قيل: ولم يطل حكم آية منسوخة كهذه بقيت بمكة عشر سنين وبالمدينة ستاً والتحقيق ان نسخ معنى الاخبار وبقاء اللفظ لا يقع واعلم ان الاخبار بغفران الذنوب عام الحديبية.
عن أنس : نزل (انا فتحنا لك فتحاً مبيناً) الخ في رجوعه من الحديبية وأصحابه حزنوا لانه حيل بينهم وبين مناسكهم ونحروا الهدي بالحديبية وقال لقد نزل عليَّ آية أحب اليَّ من الدنيا وما فيها بعد ما خرج على وجهه يتهلل فرحاً.
وعن أم العلاء امرأة من الانصار بايعت النبي : كان لنا عثمان بن مظعون رضي الله عنه قرعة من المهاجرين فتكفلنا به فأنزلناه في بيوتنا فوجع وجعه الذي به مات وكفناه في أثوابه فقلت رحمك الله أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله فقال ﷺ وما يدريك ان الله قد أكرمه فقلت بأبي أنت يا رسول الله فمن يكرمه الله فقال أما هو فقد جاءه اليقين والله اني لارجو له الخير والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي قلت فوالله لا أزكي بعده أحداً يا رسول الله قالت ورأيت له عيناً تجري فذكرتها للرسول ﷺ فقال ذلك عمله.
وعن ابن عباس والكلبي انه ﷺ رأى وهو بمكة أرضاً ذات سباخ ونخيل وشجر يهاجر اليها وفرح المسلمون برؤياه هذه فلما اشتد البلاء على أصحابه بمكة من المشركين قالوا له متى تهاجر الى تلك الارض التي رأيت فسكت فتنزل (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) أنخرج من مكة أو نموت فيها .
وقرىء (يفعل) بالبناء للفاعل وهو الله ولا دخل لا في قوله (ولا بكم) مع عدمها في قوله بي (لدخول) النفي في قوله (ما أدري) كقولك ما جلس زيد في الدار ولا في السوق قيل ويجوز أن تكون الآية نفياً للآلهة المفضلة (وما) موصولة مفعول أدري أو استفهامية مبتدأ خبره (يفعل بي) بالبناء للمفعول

ومفعول مقدم ليفعل مبنياً للفاعل والمبتدأ والخبر على الأول من وجهي الاستفهام مفعول (أدري) قام مقام مفعولين والجملة الفعلية كذلك على الثاني والمعلق الاستفهام * ﴿ان اتبع﴾ أي لا أتبع *

﴿الا ما يوحى الي﴾ وقرىء بالبناء للفاعل لا أتجاوز الوحي فمن لي بالاخبار عن كل غيب وباستعجال خلاص المسلمين من أذى المشركين * ﴿وما أنا الا نذير﴾ بالعذاب * ﴿مبين﴾ واضح الانذار بالبراهين أو أوضح لكم الشريعة * ﴿قل أرأيتم﴾ أخبروني * ﴿ان كان﴾ أي القرآن *

﴿من عند الله وكفرتم به﴾ الواو للحال على تقدير قد أو المبتدأ الى (وقد كفرتم) أو وأنتم كفرتم أو للعطف وبعض يجيز قرن الماضي بواو الحال فلا تقدير والواو في *

﴿وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله﴾ عاطفة على كان أو كفرتم بوجهيه أو للحال من (تاء) كفرتم والعطف (في) * ﴿فآمن﴾ على (شهد) (وفي) * ﴿واستكبرتم﴾ على (آمن) نحو أحسنت اليك وأسأت وأقبلت اليك وأعرضت أي أخبرونى ان اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة علم بني اسرائيل على نزول مثله وايمانه به مع استكبارهم عنه وعن الايمان فأنتم أضل الناس أو فلستم ظالمين فحذف الجواب للدلالة*

﴿ان الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ عليه ولا يقدر ذلك بدون الفاء كما فعل الزمخشرى قاله ابن هشام لاجل الاستفهام والشاهد عند الجمهور ومسروق هو موسى والآية مكية وقال أنس ومجاهد وغيرهما الشاهد عبد الله بن سلام والآية مدنية.

قال عبد الله بن سلام في نزول (قل كفي بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب قال أرأيتم ان كان من عند) الخ الاية وهاء مثله للقرآن والمثل التوراة أي شهد على مثله انه من الله أو المثل ما في التوراة من المعنى المصدقة للقرآن المطابقة له من التوحيد والوعد والوعيد وغيرها بدليل (وانه لفي زبر الأولين) (ان هذا لفي الصحف الاولى) (كذلك يوحى اليك والى

الذين من قبلك) والمراد على نحو ذلك وهو كونه من عبد الله وفي التوراة شهادة لموسى برسالة سيدنا محمد ﷺ ومتعلق (آمن) محذوف أي آمن بالقرآن أي آمن الشاهد به لما رآه من جنس الوحي مطابقاً للحق أو آمن بالنبي والذي حضر القرآن هو عبد الله والايمان مسبب عن الشهادة لانه لما علم ان مثله نزل على موسى وانه من جنس الوحي وأنصف واعترف كان ايمانه نتيجة بدليل الفاء والخطاب للعرب وقيل لليهود بلغ ابن سلام وهو في أرض يخترقها قدوم النبي ﷺ فأتاه وقال أسألك عن ثلاث لا يعلمها الا نبي ما أول أشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة ولم يسبق الولد أباه أو أمه وروي أو أخواله وانما قال له ذلك بعد ما نظر الى وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق أنه النبي المنتظر فقال ﷺ أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب وأول طعام أهل الجنة كبد الحوت الذي تحت الارض والولد يشبه أباه ان سبق ماءه وأمه ان سبق ماؤها أخبرني بهم آنفاً جبريل فقال ابن سلام ذلك عدو اليهود من الملائكة أشهد انك رسول الله ثم قال ان اليهود قوم بهت يا رسول الله ان علموا باسلامي قبل أن تسأل عني بهتوني عندك وجاء واختفي ابن سلام فقال لهم النبي ﷺ: أي رجل عبدالله بن سلام فيكم ؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال أرأيتم ان أسلم قالوا أعاذه الله من ذلك قيل فأعاد عليهم وقالوا مثل ذلك فخرج عبد الله فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت أخاف يارسول الله واحذر.

قال سعد بن أبي وقاص: ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي على الارض انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام ذكر ذلك الزمخشري والثعالبي والخازن وغيرهم.

قال سعيد وفيه نزل (وشهد شاهد) وقال مسروق بن الأجدع والله ما نزلت في ابن سلام لأن (حم) نزلت بمكة واسلامه كان بالمدينة بل في محاجة كانت من رسول الله ﷺ لقومه ومثل القرآن التوراة شهد موسى على التوراة ومحمد

على القرآن وكل يصدق الآخر أي شهد على التوراة التي هي مثل القرآن انها من عند الله كما شهد محمد على القرآن فآمن من آمن بموسى واستكبرتم يا معشر العرب عن الايمان بمحمد والقرآن وجملة (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) استئناف مشعر بأن كفرهم لضلالهم المسبب عن ظلمهم *

﴿وقال الذين كفروا﴾ من اليهود قيل من أهل مكة وهم الظالمون والمراد بالكفر الظلم والشرك * ﴿للذين آمنوا﴾ أي لأجلهم وفي شأنهم ﴿لو كان﴾ الايمان ﴿خيرا ما سبقونا اليه﴾ وهم السقاط يعنون الفقراء والموالي والرعاة كعمار وصهيب وبلال وابن مسعود وقيل (الكفار) بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع والذين آمنوا جهينة ومزينة واسلم وغفار وقيل ان أمة لعمر أسلمت وكان عمر يضربها حتى يفتر ثم يقول لولا اني فترت لزدتك ضرباً فريا فكان كفار قريش يقولون لو كان خيراً ما سبقتنا اليه فلانة وقيل يقوله اليهود عند اسلام عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل اختفي أبو ذر في أستار الكعبة يستمع ويطلب النبي فيخرج ليلاً يطوف ويشرب من زمزم ولا طعام ولا شراب سواه فعرف النبي بالنعت فعرض عليه الاسلام فأسلم فقال ادع لي قومك فذهب فلقي رئيساً لهم لا يعصونه فقال: تركت الظهر بمكة غالباً فاجلب اليها تصب بمنى ففعل فعرض عليه الاسلام فأسلم فقال له ادع قومك فأتاهم فقال أطيعوني في هذه المرة واعصوني بعد قالوا وما ذلك قال أسلموا تدن لكم العجم وتعترف لكم العرب فتفرقوا ونفروا ما كنا نراك تقول هذا ثم تلاوموا وقالوا أليس صاحبنا الذي قد عرفنا يمنه وحسن رأيه في الامر فقالوا ما الذي تعرض علينا فقال ما ذكر فأسلموا فقالت قريش ذلك * ﴿واذ لم يهتدوا به﴾ متعلق بمحذوف أي ظهر عنادهم اذ لم يهتدوا بالقرآن لا بقوله * ﴿فسيقولون﴾ لانه مستقبل فذلك مثل قولهم حينئذ الا الآن أي كان حينئذ فاسمع الآن لكن لا حذف في (فسيقولون) لكنه مسبب عن ذلك المحذوف قيل والفاء تمتنع تعليق (اذ) يقولون أيضاً قلت ان كانت عاطفة لا زائدة .

قال ابن هشام ومما حملوه على التعليل (واذ لم يهتدوا به فسيقولون) *

﴿هذا﴾ القرآن * ﴿افك﴾ كذب * ﴿قديم﴾ متقدم كقولهم (أساطير الأولين) والجمهور لا يثيب التعليل (باذ) على انها حرف وعلى التعليل فهي تعليل (ليقولون) والفاء زائدة ولا يضر المضي كما ادعى الدماميني وأجاز ابن الحاجب كون (اذ) هذه شرطية لدلالتها في الماضي على التحقيق كإذا في المستقبل وسيقولون جواب * ﴿ومن قبله﴾ أي من قبل القرآن خبر *

﴿كتاب موسى﴾ مبتدأ وهو التوراة وقريء بفتح ميم (من) ونصب (كتاب) أي (وآتينا من كان قبله كتاب موسى) * ﴿اماما﴾ حال من ضمير الاستقرار في الخبر و (من كتاب) في قراءة النصب وقيل مفعولا لجعل محذوفاً أي جعلناه اماماً يؤتم به في دين الله كما يؤتم بالامام *

﴿ورحمة﴾ لمن آمن وعمل به * ﴿وهذا﴾ أي القرآن ﴿كتاب مصدق﴾ للتوراة التى تضمنت خبره وقيل المراد مصدق للتوراة والانجيل وقيل لما بين يديه أي لما تقدمه من جميع الكتب.

وفي مصحف ابن مسعود (مصدق لما بين يديه) * ﴿لساناً﴾ حال من الضمير في (مصدق) أو من (كتاب) لنعته بمصدق ان لم يجعل (مصدق) خبراً ثانياً وعامل الحال عامل صاحبها وفائدة تلك الحال الاشعار بالدلالة على أن كونه مصدقاً للتوراة دليل على أنه وحي وتوقيف من الله كما دل على انه حق وقيل مفعول (مصدق) أي (يصدق لسانا نفسه) أو يقدر مضاف أي يصدق ذا لسان والتنكير للتعظيم * ﴿عربياً﴾ مفهوماً لهم * ﴿لتنذر﴾ يامحمد به بالتاء الفوقية عند نافع وابن عامر والبزي بخلاف عنه ويعقوب قرأ غيرهم بالتحتية أي (لينذر) الكتاب أو الله والرسول ﷺ واللام تعليل لمصدق ولجعله عربياً وقرىء بفتح الياء وكسر الدال ومن نذر كضرب * ﴿الذين ظلموا﴾ أشركوا وهم أهل مكة أو كل مشرك * ﴿وبشرى﴾ في محل جر أي مقدر الجر وانما تقدر فتحة نائبة عن الجر لان ألفه للتأنيث وذلك عطف على مصدر:

كل حي مستكمل مدة العمر ومؤد اذا انتهى أمده

والمود الهالك فعبر بالأمد وهو النهاية عن المدة وذلك بيان لما تكابده الأم في تربية الولد مبالغة في التوصية بها *

﴿حتى اذا بلغ أشده﴾ صار كهلاً واستحكمت قوته وعقله وهو ثلاثون سنة وقيل أن يزيد على الثلاثين ويناطح الأربعين .

وقال قتادة: (ثلاث وثلاثون) سنة وذلك أول الأشد وغايته أربعون وقيل ما بين ثماني عشرة سنة الى أربعين قيل وأقوى الأقوال في الاشد ست وثلاثون سنة ﴿وبلغ أربعين سنة﴾ قيل لم يبعث نبى الا بعد أربعين لانها حد للانسان في فلاحه ونجابته وفي الحديث ان الشيطان يجر يده على وجه من زاد على الاربعين ولم يتب فيقول بأبي وجه لا يفلح وانه اذا بلغ أربعين أمنه الله من الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ خمسين خفف الله عنه الحساب فاذا بلغ الستين رزقه الله الانابة لما يحب فاذا بلغ سبعين غفر له ما تقدم وما تأخر وشفع في أهل بيته ونادي المنادى من السماء هذا أسير الله في أرضه وهذا في المقبل على آخرته المشتغل بطاعة ربه اذا تقبل منه والآية في سعد بن أبى وقاص وقيل على العموم وقال ابن عباس في أبي بكر وهو الصحيح . صحب رسول الله وهو ابن ثماني عشر سنة ورسول الله ﷺ ابن عشرين الى الشام في تجارة فنزل رسول الله في ظل سدرة ومضى أبو بكر الى راهب هنالك يسأله عن الدين فقال من الرجل الذي في ظل الشجرة فقال محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال له هذا نبي والله ما استظل تحتها أحد بعد عيسى الا محمدا نبي الله وصدقه أبو بكر فكان لا يفارق رسول الله ﷺ في سفر ولا حضر فلما بعث على الاربعين وأبو بكر ابن ثمان وثلاثين أظهر الاسلام ولما بلغ الاربعين دعا ربه كما قال *

﴿قال ربّ أوزعني﴾ الهمني * ﴿أن أشكر﴾ أي لأن أشكر أو الى أن أشكر وقيل أوزعن ادفع عني الموانع أو بمعنى اجعل حظي الشكر والأول لابن عباس*

﴿نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ﴾ أي أبي وأمي بتشديد الياء وفيها

ياء التثنية وياء الاضافة والرابط محذوف أي أنعمتها وتقديره أنعمت بها مرجوح لعدم جر الموصول بمثل هذا الجار والنعمة التوحيد وغيره وقيل: التوحيد قيل: ذلك يؤيد قول ابن عباس على ان الآية نزلت في أبي بكر أسلم أبواه جميعاً ولم يجمع لأحد من المهاجرين أبواه غيره. قال ابن عباس: النعمة التوحيد قيل: لما بلغ أربعين بعد سنتين من مبعث النبي ﷺ آمن به أبواه ولم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أسلم هو وأبواه وأولاده وبناته كلهم الا أبا بكر.

قلت ذكر الثعالبي ان كونها نزلت في أبي بكر وأبويه ضعيف لانها بمكة وأبوه أسلم عام الفتح وانما طلب الشكر على نعمة الله على والديه لان النعمة عليهما نعمة عليه *

﴿وأن أعمل صالحاً ترضاه﴾ قال ابن عباس: الصلوات الخمس قال: أجاب الله دعاه فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله منهم بلال ولم يرد شيئاً من الخير الا أعانه الله عليه) وقيل أراد عموم العمل الصالح والتنكير للتعظيم أو لانه أراد نوعاً من الجنس يستجلب رضى الله ودعا الله أيضاً *

﴿وأصلح لي في ذريتي﴾ أي اجعل ذريتي موقعاً للصلاح ومظنة له كأنه قال هب لي الصلاح في ذريتي وأوقعه فيهم.

قال ابن هشام أصلح مضمن معنى فعل قاصر يتعدى بفي وهو (بارك) فتعدى بفي كقوله*

وان تعتذر بالمحل من ذي ضروعها الى الضيف يخرج في عراقيبها النصل

فانه أخرج (متعد) وضمن معنى يعشو فلزم وجعل ابن الحاجب الفعلين منزلين منزلة اللازم على طريق فلان يعطى اذا لم يكن الغرض بيان ما يعطي ومن يعطيه كأنه قيل بفعل الاعطاء والمنع واذا قصد هذا المعنى وقصد ذكر خوض متعلقة أتى بفي كأنه محل له أو أوقع الصلاح في ذريتى ويوجد نصلي في عراقيبها اخراج الجرح وفي (هزي اليك بجذع النخلة) من

الكشاف ما يوافقه.

ويروى بخرج بالجيم قبل الراء وبالمهملة بعدها وضمير تعتذر للناقة والمحل انقطاع المطر وذي الضروع اللبن والعراقيب جمع عرقوب بالضم وهو في رجل الدابة بمنزلة الركبة في يدها وهو عصب غليظ أجاب الله دعاءه فآمن أولاده كلهم عبد الرحمن وابن عبد الرحمن وابن ابن عبد الرحمن أبو عتيق محمد وآمن أبوه أبو قحافة عثمان بن عمرو وأمه أم الخير بنت صخر ابن عمرو وأدركوا كلهم النبي وآمنوا ولم يجتمع لأحد من الصحابة مثل ذلك سواه.

قال بعض لم يكفر منهم أحد هو وأبواه وأولاده وبناته * ﴿اني تبت اليك﴾ الى ما تحب*

﴿واني من المسلمين﴾ الخاضعين لك بالقلب والجوارح واللسان * ﴿أولئك الذين يتقبل عنهم﴾ (عن) على بابها وقال ابن هشام بمعنى (من) بدليل التقبل من أحدهم الخ ﴿أحسن ما عملوا﴾ هو الطاعة فانها أحسن من المباح والمباح حسن ولا يثاب عليه فافعل على بابه وانظر ما مر في مثله أو بمعنى حسن والمباح ولو كان حسناً لا يرد في المقام ولا يوصف فيه بالحسن ولا بالقبح *

﴿ويتجاوز عن سيئاتهم﴾ لا يؤاخذهم بها لتوبتهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص(نتقبل ونتجاوز) بالنون ونصب (أحسن) وقرىء يتقبل بتجاوز بالمثناة تحت والبناء للفاعل ونصب (أحسن) والجمع في ذلك دليل على أن المراد بالانسان الجنس *

﴿في أصحاب الجنة﴾ أي معهم حال من الهاء في (عنهم) أو من الهاء في (سيئاتهم) وعليه فانما جاء الحال من المضاف اليه لان السيئات بمنزلة الجزء من عاملها أو في الظرفية فيه أي كائنين في أصحاب الجنة معدودين فيهم كقولك (أكرمني الأمير في ناس من أصحابه) أي في جملة من أكرم ونظمني في عددهم * ﴿وعد الصدق﴾ مصدر موكل لنفسه فان يتقبل ويتجاوز وعد الصدق كقولك له عليَّ ألف اعترافاً *

﴿الذين كانوا يوعدون﴾ في الدنيا وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار *

﴿والذي قال لوالديه﴾ مبتدأ والمراد الجنس ولذلك أخبر عنه بقوله (أولئك الذين حق عليهم القول) قال الحسن: نزلت في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث على العموم وعليه جماعة فهي فيمن دعاه أبواه للاسلام فأبى مطلقاً وهو الصحيح فيما قيل وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه.

وروي عن ابن عباس انها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل اسلامه دعاه أبوه أبو بكر وأمه أم رومان وهي أم عائشة الى الاسلام فأفف بهما وقال ابعثوا الى جذعان بن عمرو وعثمان بن عمرو وكانا من أجداده وقيل عبد الله ابن جذعان وعامر بن كعب ومشايخ وقريش حتى أسألهم عما يقول محمد وأنكرت عائشة أن يكون ذلك في عبد الرحمن وقالت: ما نزل في آل أبى بكر من القرآن الا براءتي ولا يعترض عليها بقوله عز وجل (ثاني اثنين) وقوله (ولا ياتل أولو الفضل) لما مر في غير الآية .

قال الزمخشرى ويرد قولهم بنزولها فيه قوله (أولئك الذين حق عليهم القول) وهم أهل النار وهو من أفاضل الصحابة وأبطالهم قال القاضي وقد يراد مراد من قال بالنزول فيها انها نزلت بسبب قوله ذلك عامة وهو خارج باسلامه عما تضمنه قوله أولئك الذين حق عليهم القول لان الاسلام يجب ما قبله وكتب معاوية الى مروان بالحجاز وهو عامله فيه أن يبايع الناس ليزيد فقال عبد الرحمن: لقد جئتم بهرقلية أتبايعون لأبنائكم وقال معاوية: ياأيها الناس هو أي عبد الرحمن الذي قال الله فيه (والذي قال لوالديه) الخ وقيل خطب مروان وذكر مبايعة يزيد فقال عبد الرحمن لقد جئتم الخ فخذوه فدخل بيت عائشة ولم يقدروا عليه فقال مروان يا أيها الناس هو الذي أنزل الله فيه (والذي قال) الخ والصحيح الأول فغضبت عائشة فقالت والله

مانزلت فيه ولو شئتم أن أسميه لسميته ولكن لعن الله أباك وأنت في صلبه وأنت فضض من لعنه الله (والفضض) بفتح الفاء والضاد وضمهما المتفرق وهرقل ملك الروم أول من ضرب الدراهم وأحدث البيعة* ﴿أف﴾ بالتنوين والكسر عند نافع وحفص وبفتح الفاء من غير تنوين عند ابن كثير وابن عامر (أفَّ) وبالكسر من غير تنزين عند الباقين وقرىء بالفتح والتنوين وبالضم والتنوين وفيه لغات ذكرتها في النحو والتنوين للتنكير قال بعض هو صوت اذا صوت به الانسان علم انه متضجر ﴿لكما﴾ اللام للبيان كسقيا لك أو للتعليل .

قال بعض: المعنى هذا التأفيف لكما خاصة ولأجلكما دون غيركما * ﴿أتعدانني﴾ بفتح الياء عند نافع وابن كثير وقرىء بنون واحدة وقرأ هاشم بالادغام وقرىء بفتح النون الاولى تخفيفاً من كسرتين في نونين بعدهما ياء ويضم النون أيضاً والهمزة للاستفهام التوبيخى الانكارى (وتعد) مضارع وعد والألف ضمير الوالدين والنون نون الرفع والثانية نون الوقاية ﴿أن أخرج﴾ من القبر وأبعث وقرىء (أخرج) بفتح الهمزة وضم الراء ﴿وقد خلت﴾ هلكت ﴿القرون﴾ الأمم * ﴿من قبلي﴾ ولم يرجع واحد منهم * ﴿وهما﴾ الوالدان ﴿يستغيثان الله﴾ يقولان الغوث بالله منك ومن قولك استعظاماً لقوله أو يسألانه أن يغيثه بالتوفيق للايمان ويقولان له * ﴿ويلك﴾ ان لم تؤمن أو المراد الحث على الايمان لا حقيقة الويل وهو الثبور ﴿آمن﴾ بالبعث * ﴿ان﴾ وقرىء بالفتح أي بأن أو لان ﴿وعد الله﴾ بالبعث أو موعوده وهو البعث أو الوعد مطلقاً *

﴿حق فيقول ماهذا﴾ الذي تدعونني اليه * ﴿الا أساطير الأولين﴾ أكاذيبهم المسطرة* ﴿أولئك الذين حق﴾ وجب* ﴿عليهم القول﴾ بالعذاب ﴿في أمم﴾ في جملة أمم أو مع أمم ومر مثله * ﴿قد خلت من قبلهم من الجن والانس﴾ بيان للأمم فان بعض الجنس يسمى باسمه أو تبعيضه والآية دليل على موت الجن مثلنا لا مرة وهو الصواب *

﴿انهم كانوا خاسرين﴾ تعليل جلي لحق القول أي كافرين أو ذم لهم

واخبار بعقابهم * ﴿ولكل﴾ من الفريقين الكافر والمؤمن والعاق والبار * ﴿درجات مما عملوا﴾ منازل من أعمالهم درجات للمؤمن ودركات للكافر وسمى الكل درجات تغليباً لانها الخير قيل ولانها غالبة في المثوبة .

قال ابن زيد من علماء قرطبة درجات المحسنين تذهب علواً ودرجات المسيئين تذهب سفلى .

وقال ابن عباس : لكل من المؤمنين درجات من سبق الى الاسلام أفضل ممن تخلف * ﴿ولنوفيهم﴾ أي نفعل ذلك للعدل والفضل ولنوفيهم وهو بالنون عند نافع وابن حمزة والكسائي وابن ذكوان والياء عند ابن كثير وأبي عمرو وعاصم وهشام أي (وليوفيهم) الله * ﴿أعمالهم﴾ أي جزاءها * ﴿وهم لا يظلمون﴾ بنقص ثواب وزيادة عقاب * ﴿ويوم﴾ أي ويقال يوم * ﴿يعرض الذين كفروا على النار﴾ وقيل مفعول لـ (اذكر) ويقدر القول بعد النار والعرض عليها هو التعذيب بها ودخولها قاله الحسن ويجوز أن يراد عرض النار عليهم فقلت مبالغة ويدل له قول ابن عباس : (يجاء بهم اليها فيكشف لهم عنها فهو كعرضت الناقة على الحوض).

وقال أبو حيان: لا قلب في نحو ذلك ورد هو على الزمخشري بان القلب ضرورة واذا صح المعنى بدونه فما لحامل عليه وعرض الناقة على الحوض والحوض على الناقة صحيحان .

قال تلميذ أبو حيان بهاء الدين السبكي: حكمة مدعي القلب ان المعروض ليس له اختيار والاختيار للمعروض عليه فعرض الحوض على الناقة لا قلب فيه لانها قد تقبله وقد ترده وعرضها عليه مقلوب لفظاً وعرض الكفار على النار ليس بمقلوب لفظاً لانهم مقهورون فكأنهم لايختارون والنار متصرفة فيهم كما يقال عرضت العود على النار لانها تتصرف فيه والذي في الآية قلب معنوي والذي في عرضت الناقة لفظي * ﴿أذهبتم﴾ بهمزة واحدة على الاخبار * ﴿أذهبتم﴾.

وقرأ ابن ذكوان: (أأذهبتم) بهمزتين مخففتين من غير مد وقرأ هشام وابن

كثير بهمزة ومد وهشام أطول مداً وعن ابن عامر ويعقوب بهمزتين بينهما ألف وعنهما أيضاً بهمزتين خفيفتين * ﴿طيباتكم﴾ لذائذكم *

﴿في حياتكم الدنيا﴾ باستيفائها فلا حظ لكم اليوم * ﴿واستمتعتم بها﴾ في الدنيا *

﴿فاليوم تجزون عذاب الهون﴾ أي الهوان وقد قرىء عذاب (الهوان) أي عذاباً مقترناً بذل وخزي * ﴿بما كنتم تستكبرون﴾ تتكبرون * ﴿في الأرض﴾ عن الايمان والعبارة قيل أو على الناس * ﴿بغير الحق﴾ بالشرك والتكذيب *

﴿وبما كنتم تفسقون﴾ وقرىء بكسر السين والباء للسببية وذلك سببان قلبي وهو الكبر وجارحي وهو الفسق.

وعن بعض المراد بالفسق الشرك و (ما) مصدرية أو اسم واقع على المصدر فالرابط محذوف أي بالكون الذي كنتموه تفسقوه والهاء ضمير المصدر وتفسقون خبر وبالكون الذي كنتموه تفسقون كذلك وقيل الاصل (بما كنتم تستكبرون به وبما كنتم تفسقون به) وهو من جهة الربط واضح جدا فاعلم ان الآية ولو كانت في الكفار المشركين فهى مزجرة ومنهاة للمؤمنين.

وقال أبو عبيدة في حديث عمر «لو شئت لدعوت بصلائق (الشواء أو الخبز الرقاق العريض) وصناب (الأصبغة المتخذة من الخردل والزبيب) وكركر (رص زور البعير) ، وأسنمة وفي بعض الحديث : « وأفلاذ (جمع فلذ وهي قطعة الكبد) » وقال عمر : لو شئت لكنت أطيبكم طعاماً وأحسنكم لباساً ولكني أستبقى طيباتي وقال أتظنون انا لا نعرف طيب الطعام ذلك لباب البر بصغار المعز ولكني رأيت الله تعالى نعى على قوم انهم أذهبوا طيباتهم في حياتهم الدنيا. ذكره الربيع بن زياد وقال نحوه لخالد بن الوليد حين قدم الشام فقدم اليه طعاما طيبا فقال هذا لنا فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا ولم يشبعوا من خبز الشعير فقال خالد لهم الجنة فبكى عمر وقال لئن كان حظنا في الحطام وذهبوا بالجنة فقد بانوا بوناً بعيداً وعن جابر بن عبد الله اشتريت لحماً بدرهم فرآني عمر فقال ماهذا يا جابر فقلت

اشتهيت لحماً فاشتريته فقال أو كلما اشتهى أحدكم شيئاً اشتراه أما تخاف أن تكون من أهل هذه الآية (أذهبتم طيباتكم) الآية قال عمر: دخلت على رسول الله ﷺ فاذا هو متكىء على حصير أثر في جنبه وما في البيت شيء يرد البصر فقلت ادع الله أن يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم ولا يعبدون الله فاستوى جالساً ثم قال «وفي شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا» فقلت استغفر لي يارسول الله ودخل النبي ﷺ على أهل الصفة وهم يرقعون ثيابهم بالأدم فقال أنتم خير أم يوم يغدو أحدكم في حلة ويروح في أخرى ويغدى عليه بجفنة ويراح عليه بأخرى ويستر بيته كما تستر الكعبة قالوا نحن يومئذ خير قال بل أنتم خير أي الان وأراد باليوم وقت يفيض المال وقدم صحابي الى فضالة بن فضالة في مصر وقال لم آتك زائراً ولكن سمعت أنا وأنت حديثاً عن رسول الله ﷺ رجوت أن يكون عندك فقال: وما هو ؟ فقال: كذا وكذا فقال: فما لي أراك شعثاً وأنت أمير المؤمنين قال: ان رسول الله ﷺ كان ينهى عن كثير من الارقاء وذكر الصحابة الدنيا يوماً عند النبي ﷺ فقال: «ألا تسمعون ان البذاذة من الايمان ان البذاذة من الايمان» والبذاذة التقحل وعن ابن عبد البر: انه كان رث الهيئة وخرج في أصحابه الى البقيع فقال السلام عليكم يا أهل القبور لو تعلمون ما نجاكم الله منه مما هو كائن بعدكم ثم أقبل على أصحابه فقال هؤلاء خير منكم فقالوا: يا رسول الله اخواننا أسلمنا كما أسلموا وهاجرنا كما هاجروا وجاهدنا كما جاهدوا وأتو على آجالهم فمضوا فيها وبقينا في آجالنا فما يجعلهم خيراً منا قال هؤلاء خرجوا من الدنيا لم يأكلوا من أجورهم شيئاً وخرجوا وأنا الشهيد عليهم وانكم قد أكلتم من أجوركم ولا أدري ما تحدثون من بعدي فعلقوها وانتفعوا بها وقالوا ما نصيب من الدنيا ننتقص من أجورنا وكان اذا سافر آخر عهده بانسان من أهل بيته فاطمة وأول من يدخل عليه اذا قدم فاطمة فقدم من غزوة وقد علقت سترا على بابها وحلت الحسن والحسين قلبين من فضة فلم يدخل فظنت انه منعه ما رأى فهتكت الستر وفكت القلبين عن الصبيين فانطلقا اليه يبكيان

فأخذهما منها قال يا ثوبان اذهب بها الى آل فلان ان هؤلاء عليّ أكره أن يأكلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا يا ثوبان اشتر لفاطمة قلادة من عصب وسوارين من عاج وقالت عائشة رضي الله عنها ما شبع آل محمد ﷺ من خبز شعير وروي يومين متتابعين حتى قبض ويأتي علينا الشهر ما نوقد ناراً انما هو الأسودان التمر والماء الا أن يؤتى باللحم.

وفي رواية تأتي ثلاثة أشهر وما نوقد ناراً الا التمر والماء وقد يسقينا لبناً ويبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عيشاً وأكثر خبزهم الشعير .

وقال: «لقد خفت في الله ما لم يخف أحد وأوذيت ما لم يؤذ أحد ولقد أتى علي ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام الا شيء يواري ابط بلال».

قال أبو هريرة: رأيت سبعين من أصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء اما ازار واما كساء قد ربطوا في أعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهة أن تبدو عورته وأتى عبد الرحمن ابن عوف بطعام صائماً. فقال قتل مصعب بن عمير وهو خير مني فكفن في بردة ان غطى رأسه بدت رجلاه وان غطيت رجلاه بدت رأسه وقتل حمزة وهو خير مني فلم يوجد ما يكفن فيه الا بردة ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط فقد خشيت أن نكون قد عجلت لنا طيباتنا في الحياة الدنيا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام*

﴿وأذكر أخا عاد﴾ هو هود أخوهم في النسب لا في الدين * ﴿اذ﴾ بدل اشتمال من (أخا) * ﴿أنذر قومه بالأحقاف﴾ الباء بمعنى (في) متعلقة بمحذوف نكرة حال من القوم أو بمحذوف معرفة نعته والذي وقع به الانذار هو (أن لاتعبدوا) أو متعلق (بأنذر) والأحقاف جمع حقف رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من أحقوقف ولم يبلغ أن يكون جبلاً وقيل: الاحقاف ما استدار من الرمل وهو الشيء أعوج سكنوا بين رمال مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر بشين معجمة مفتوحة وحاء مهملة ساكنة من بلاد اليمن وعن بعض بين عمان وعدن ولهم (ارم ذات العماد) .

وقال ابن عباس: الاحقاف واد بين عمان ومهرة وقيل في اليمن في حضرموت بموضع يقال له مهرة وكانوا أهل عمد سيارة في الربيع فاذا هاج العود رجعوا الى منازلهم ﴿وقد خلت﴾ مضت * ﴿النذر﴾ الرسل جمع نذير بمعنى منذر أو انذار والجملة حال أو معترضة * ﴿من بين يديه﴾ أي قبل هود * ﴿ومن خلفه﴾ أي بعده يدعون الى ما يدعو هود وقرىء ومن بعده ﴿لا تعبدوا الا الله﴾ (ان) مفسرة (ولا) ناهية والتفسير للانذار الاول أو ناصبة ولا نافية فيقدر الباء أي بأن لا تعبدوا الا الله وقيل ومن خلفه الرسل في زمانه أي ومن بعد انذاره *

﴿انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ هائل بسبب شرككم والخوف هنا تحقيق أي تعذبون ان بقيتم على عبادة غير الله أو للشك على معنى ان بقيتم على عبادة غيره عذبتم والا فلا ولا أدرى ما يختم به عليكم *

﴿قالوا أجئتنا لتأفكنا﴾ لتصرفنا * ﴿عن آلهتنا﴾ عن عبادتها .

﴿فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين﴾ في وعيدك بالعذاب على الشرك وهذا منهم استعجال * ﴿قال﴾ هود *

﴿انما العلم عند الله﴾ لا علم لي بوقت عذابكم ولا مدخل لي في استعجاله ﴿وأبلغكم ما أرسلت به﴾ اليكم من الانذار والارسال الى دين الله ما عليّ وما اليّ ذلك وقرىء (أبلغكم) بالتخفيف من الابلاغ *

﴿ولكني أراكم قوماً تجهلون﴾ لا تعلمون ان الرسل انما بعثوا مبلغين منذرين لا معذبين ولا مقترحين غير ما أذن فيه تجهلون مفعول ثان بعد مفعول ثان فلا التفات أو نعت لقوم ففيه التفات من الغيبة للخطاب ﴿فلما رأوه﴾ (الهاء) للعذاب أو الى (ما) من قوله بما تعدنا أو الى (عارضاً) (وعارضاً) تمييز وحال وبدل من الهاء وهذا أغرب وأفصح وهو مما يعود فيه الضمير بما بعده لفظاً ورتبة * ﴿عارضاً﴾ سحاباً عرض في أفق السماء سمي لانه يمنع من رؤية السماء والقمرين والنجوم وقيل: العارض الذى يعرض في ناحية ثم يطبق السماء *

﴿مستقبل أوديتهم﴾ متوجهاً اليها واضافته لفظية لانـه للحـال على ذلك المعنى أو للاستقبال أي آتياً وارداً أي سيمطرهم فلذلك وقع نعتاً لنكرة وكذا في ﴿قالوا هذا عارض ممطرنا﴾ وممطر للاستقبال فقط جاءهم من جانب واد يمطرون منه لا من غيره يقال له المغيث جاء سحابة سوداء وقد حبس عنهم المطر مدة طويلة ففرحوا شديداً وقال لهم هود ليس كما ترون *

﴿بل هو ما استعجلتم بـه﴾ استهزاء فأضمر القول ويدلل لـه قـراءة ابن مسعود وقال: (هو دليل) الخ وقرىء (قل بل) الخ أي قال الله (قل بل هو ما استعجلتم به من العذاب) * ﴿ريح﴾ بدل من ماء أو خبر لمحذوف أي هو ريح أو هي ريح بالتأنيث للاخبار بالمؤنث لجواز نعت الـريـح ﴿تدمر﴾ نعت أيضاً أو حـال من ريـح ومن مجـرور وفي معنى (تـدمـر) تهلك ﴿كل شيء﴾ أي كل شيء أرسلت عليه وهـو نفس عـاد وأمـوالهم فحـذف النعت لدليل ما تذر من شيء أنتم عليه الخ فـذلك حمـل مطلق على (مقيـداً) ولـما كانوا هم وأموالهم كثيراً عبر بالكلية عن الكثـرة وقـرىء (يـدمـر) بـالتحتيـة المفتوحة والتخفيف ورفع كل من دمر يدمر كضرب يضرب أي هلك ورابـط النعت أو الحال على هذا محذوف أي الها أو الضمير في ربها * ﴿بأمر ربها﴾ أي باذنه لا حركة ولا سكون الا بأمره وارادته وذكر الامر ليفيد أنها مأمـورة من عنده وانها في قبضته وأضاف الرب الى (ها) وهو ضمير الريح ليدل انها مخلوقة له وان تصريفها شاهد قدرته ويجوز كون (يدمر) الخ بالتحتية استئنافاً للدلالة على أن لكل موجود سواء وقتاً مخصـوصـاً يهلك فيـه فـالعمـوم على ظاهره (وها) من (ربهـا) لكـل شيء لانـه بمعنى الأشيـاء * ﴿فأصبحوا لا يرى﴾ يـا محمـد لـو حضرت بـلادهم أو ايـاه من تمكن منـه الـرؤيـة ﴿الا مساكنهم﴾ وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بالمثناة تحت بالبنـاء للمفعـول ورفـع (المساكن) وقرأ الحسن بالمثناة فوق والبنـاء للمفعـول ورفـع (المسـاكن) مثـل قوله:

ومـــا بقيت الا الضـــلوع الجـــراشـــع

قال ابن جني التأنيث مع الفصل بـالالفـة ضعيفـة وأجـازه ابن مـالك في السعة ولم يقل انه لغة أهلكت الريح المسماة بالدبور أموالهم طارت بين السماء والارض ومزقتها وأنفسهم وصغارهم وكانت تحمـل الفسطـاط والظعينـة حتى يرى ذلك كالجرادة وأول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحاً فيها كشهب النار وذكر ان أول مـا عـرفـوا بـه انـه عـذاب انهم رأوا مـا كـان في الصحراء من رجال ومواش تطير بهم الـريـح فـأغلقـوا أبـوابهم على أنفسهم فقلعتها الريح وصرعتهم ودفعتهم بالحجارة وأمال الله عليهم الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم كشفت الـريـح عنهم فطـرحتهم في البحر ولما أحسّ هود بالريح خط على نفسـه ومن معـه خطـاً الى جنب عين تنبع ولم يصبهم الا ريح طيبة تلذذها النفس.

ذكره الزمخشري وهذه معجـزة عظيمـة لهـود ﷺ وذلك مقـدار الخـاتم من الريح أرسله خازنها بأمر الله وفي هذا اظهار كمال قدرة الله .

وفي الحديث «انه اذ رأى الريح أفزع وقال اللهم اني أسـألك خيرهـا وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها ومن شر ما أرسلت بـه واذا رأى سحـابـة يرجى امطارها قام وقعد وجاء وذهب وتغير لونه فاذا أمطرت زال ذلك عنه» وقالت له عائشة يوماً لِـمَ ذلك والناس يفرحـون اذا رأوا غيـماً فقـال: « من يؤمنني أن تكون مثل ذات عاد اذ قالوا (هذا عـارض ممطـرنـا) » وانـه قـال «نصرت بالصبا وهلكت عاد بالدبور» ﴿كذلك﴾ أي كما جزيناهم *

﴿نجزي القوم المجـرمين﴾ المشركين كفـار مكـة والمـراد غير قـوم هـود * ﴿ولقد مكناهم﴾ أي قوم هود * ﴿فيما﴾ ما اسم موصول أو نكرة موصوفـة واقعة على الصحة وطول القامة والعمر وكثرة المـال * ﴿ان﴾ نافية ولو نفي بما لتكرر لفظ ما .

كما قاله ابن هشام وهو مستبشع كقول أبي الطيب :

لعمرك ما بان منك بضايرى ماشيء رب

ولاشباع قلب الألف هاء في مهما والاصل ما وقيل بسيطة ولا قلب فيها ويجوز أن تكون (ان) شرطية حذف جوابها أي في ما ان * ﴿مكناكم فيه﴾ طغيتم أو كان بغيكم أكثر أو زائدة كقوله:

يرجِّيء المرء ما إن لا يراه وتعرِض دون أدناه خطوب

أي أدنى شيء يتأمله وأجاز بعض كونها مخففة والأول أوجه لموافقته (هم أحسن أثاثاً ورئيا) (كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً).

قال ابن هشام ويؤيد النفي قوله تعالى (مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم) وقيل بمعنى (قد) هو أدخل في التوبيخ وفي الحث على الاعتبار *

﴿وجعلنا لهم سمعاً وابصاراً وأفئدة﴾ ليعرفوا معطى تلك النعم ويشكروه ﴿فما﴾ ما نافية فمن زائدة وقيل للتقرير فمن للبيان أو زايدة في الايجاب وهذا هلى مذهب مجيز زيادتها فيه *

﴿أغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا أفئدتهم﴾ جمع فؤاد * ﴿من شيء﴾ من مكروه أو من غنى * ﴿اذ كانوا يجحدون﴾ اذ حرف تعليل وقيل ظرف متعلق بأغنى أو بما النافية والتعليل مستفاد من ترتيب الحكم على ما أضيف اليه على هذا كقولك (أضربته اذا ساء قيل: غلبت (اذ) (وحيث) في ذلك دون سائر الظروف والظاهر ان غيرهما مثلهما * ﴿بآيات الله وحاق بهم﴾ نزل *

﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ من العذاب * ﴿ولقد أهلكنا ما حولكم﴾ يا أهل مكة * ﴿من القرى﴾ كحجر ثمود بالحجاز وقرى قوم لوط بالشام وقرى عاد باليمن ويقدر مضاف أي أهل ما حولكم قيل بدليل لعلهم لايرجعون* ﴿وصرفنا الآيات﴾ أي كررنا الحجج البينات * ﴿لعلهم يرجعون﴾.

قال الشيخ هود رحمه الله لعل من بعدهم يرجعون الى الايمان ويجوز أن يرجع الضمير لمن أهلك والواو للحال أو لعطف السابق على اللاحق فان الاهلاك بعد الآيات* ﴿فلولا﴾ حرف تحضيض *

﴿نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة﴾ هلا منعتهم آلهتهم من الاهلاك الذين يتقربون بهم الى الله (قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وأول

مفعولي (اتخذ) محذوف رابط للصلة أي (اتخذوهم) وثانيهما قرباناً وآلهة بدل أو بيان أو ثانيهما آلهة وقرباناً حال أو مفعول لاجله على انه بمعنى التقرب قاله القاضي وقال الزمخشري: لا يصح كون (قرباناً) مفعولاً ثانياً (وآلهة) بدلاً لفساد المعنى قيل أي لأن الآلهة لا تتخذ قرباناً بل يتقرب اليها وقال ابن هشام لانهم اذا ذموا على اتخاذهم قرباناً من دون الله اقتضى مفهومه الحث على أن يتخذوا الله قرباناً دون الآلهة كما انك اذا قلت لا تتخذ فلاناً معلماً من دوني كنت آمراً له أن يتخذك معلماً دونه والله يتقرب اليه بغيره لا الى غيره وقرىء بكسر القاف والقربان كل ما يتقرب به الى الله * ﴿بل ضلوا﴾ أي غابت الالهة * ﴿عنهم﴾ عند نزول العذاب والمراد عدم النفع لهم كانهم لم يحضروا * ﴿وذاك افكهم﴾ كذبهم والاشارة الى الإتخاذ أي وذلك الاتخاذ أثر افكهم وقرىء (افكهم) بالفعل أي (جعلهم افكين وصرفهم عن الحق) وبالفعل مشدداً للمبالغة *

﴿وما كانوا يفترون﴾ أو وكونهم يفترون وأجاز بعض كون ما بمعنى الذي والرابط محذوف أي يفترون فيه أو يفترونه*

﴿واذ صرفنا اليك نفراً من الجن﴾ (واذ) مفعول (أذكر) وصرفنا أرسلنا والنفر اسم جمع ويجمع على النفر وفي حديث أبي ذر لو كان ههنا أحد من أنفارنا والنفر يطلق على التسعة وما دونها الى الثلاثة وعن بعضهم النفر القوم لا أنثى فيهم وكان ذلك الجن ذكوراً لا أنثى فيهم وقرىء (صرفنا) بالتشديد للتأكيد لانه صرف اليه سبعة من جن نصيبين شامر وماصر وحسى ومسى والأفخر والأرد وأنيان وقيل : والأحقب فجعلهم النبي ﷺ رسلاً الى قومهم. هذا قول ابن عباس وقيل تسعة بالمثناة أو لا وقيل وكان زوبعة من هذه التسعة .

قال عطاء : كان النفر يهود ثم أسلموا وفي الخبر فرق الشرك والتوحيد كلها والحق انهم مكلفون مثابون معاقبون .

وقال أبو حنيفة : لا ثواب لهم الا النجاة من النار صنف يطير وصنف كالحية والكلب وصنف يرحل ويظعن والكل ممن أرسل اليه نبينا ﷺ ولما

مات أبو طالب ناصره خرج الى ثقيف يستنصرهم وعمد الى سادتهم عبد ياليل ومسعود وحبيب (وهو اخوة بنو عمرو بن عمير) وعندهم قريشية جمحية فدعاهم الى الله فقال أحدهم وهو يمرط ثياب الكعبة ان أرسلك الله. والآخر: ما وجد أحدا يرسله غيرك والآخر: لا أقول شيئاً ان أرسلك الله فأنت أعظم من أن أرد عليك بالكلام وان كذبت فما ينبغي أن أكلمك فقام آيساً من خير ثقيف قائلا اكتموا اذ فعلتم كره أن يتجرأ قومه عليه وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون حتى اجتمع عليه الناس وألجأوه الى حائط عتبة وشيبة ابني ربيعة فرجعوا وقعد تحت عنبة وهما فيه يريان ما فعلوا به فقال «اللهم أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتي وهواني على النـاس وأنت أرحم الـراحمين وأنت رب المستضعفين أنت ربي الى من تكلني الى بعيد يتجهمني أو الى عدو ملكته أمري ان لم يكن لك عليّ غضب فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع اني أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحل عليّ سخطك لك العتبى حتى ترضى لا حول ولا قوة الا بك» فرحمه ابنا ربيعة فقالا لعداس وهو غلام نصراني لهما ناوله عنباً في ذلك الطبق فناوله له فقال (بسم الله) فنظر عداس الى وجهه وقال والله ما يقول أهل البلدة هذا الكلام فقال: من أي البلاد أنت يا عداس ؟ وما دينك ؟ فقال: نصراني من نينوي فقال : أمن قرية الرجل الصالح يونس ابن متى ؟ فقال عداس: ما يدريك به ؟ قال: ذاك أخي نبي وأنا نبي فقبل عداس رأسه ويديه وقدميه فقال أحدهما أفسد غلامك ولما جاءهما قالا ويلك مالك تقبله فقال ما في الارض خير منه أخبرني بأمر انما يعلمه نبي فقالا ويحك لا تترك دينك فانه خير.

ونظر سحابة فناداه جبريل منها سمع الله كلامك وقد أمر ملك الجبال فمره بما شئت فسلم عليه ملك الجبال وسماه يا محمد وقال مرني بما شئت ان شئت أطبقت عليهم الأخشبين فقال بل أرجو أن يخرج منهم من يعبد الله.

وقد لقي تلك القريشية فقال: ماذا لقيت من احمائك فرجع الى مكة

فصلى بنخلة ليلاً فمر به النفر من جن نصيبين قاصدين اليمن حين منعوا من الاستراق بالشهب فاستمعوا له كما قال *

﴿يستمعون القرآن﴾ حال مقدرة أي مقدراً لهم الاسماع * ﴿فلما حضروه﴾ أي القرآن فلا التفات ويقويه (فلما قضي) بالبناء للمفعول وقيل الضمير للرسول ففيه التفات ويقويه قراءة بعض (فلما قضي) بالبناء للفاعل* ﴿قالوا انصتوا﴾.

قال بعضهم لبعض اصغوا لقراءته وحرصوا حتى كاد بعضهم يقع على بعض*

﴿فلما قضي﴾ فرغ من القراءة وقرىء ببنائه للفاعل على أن الضمير له ﷺ.

﴿ولوا الى قومهم منذرين﴾ مقدرين الانذار لقومهم بما سمعوا وذلك لايمانهم والا لم ينذروا قومهم *

﴿قالوا يا قومنا انا سمعنا كتاباً﴾ هو القرآن * ﴿أنزل من بعد موسى﴾ كانوا يهودا لم يسمعوا بأمر عيسى كما مر عن عطاء وقال ابن عباس لم تسمع الجن بأمر عيسى وأقول يحتمل انهم علموا به وذكروا المتفق عليه ﴿مصدقاً لما بين يديه﴾ تقدمه كالتوراة وغيرها من كتب الله فيه ما فيها من التوحيد والبعث ونحوهما * ﴿يهدي الى الحق﴾ أي الاسلام ﴿والى طريق مستقيم﴾ يوصل الى الجنة *

﴿يا قومنا أجيبوا داعي الله﴾ الى الاسلام محمداً ﷺ واضافة داعي الله اضافة اسم فاعل لغير معموله وفي الآية دليل على انه بعث الى الانس والجن جميعاً زعموا من مقاتل انه لم يبعث اليهما قبله نبي ﴿وآمنوا به﴾ عطف خاص على عام لشرفه فان الايمان أهم أقسام المأمور به *

﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾.

قال الشيخ هود: (من) زائدة في الاثبات والتعريف أي (يغفر لكم

ذنوبكم كلها) بايضاح ومن منع ذلك جعلها للتبعيض وليس بنافية (ان الله يغفر الذنوب جميعاً) لان الموجبة الجزئية انما تناقضها السالبة الكلية لا الموجبة الكلية وذاك البعض هو ما فعلوا قبل الاسلام وأما ما بعده فيؤخذون به في الدنيا ولو كالزنا أو ذلك لأن أحكامهم فيما بينهم مثلنا.

وقال القاضي: هو ذنوبهم فيما بينهم وبين الله فان الظلم لا يغفر بالايمان والمذهب غفران الكل *

﴿ويجركم من عذاب أليم﴾ يمنعكم منه ويدخلكم الجنة. قاله ابن عباس والضحاك ومالك وابن أبي ليلى وهو مذهبنا وعليه الفخر وهو الصحيح.

وقال أبو حنيفة والليث: ثوابهم أن يمنعوا من النار بدليل الآية.

قال الليث وأبو الزناد: يرجع المؤمنون منهم تراباً اذا قضي بين الناس وحينئذ (يقول الكافر يا ليتني كنت تراباً) وقيل هم في صحارى الجنة.

وعن عمر بن عبد العزيز في رحاب حول الجنة لا فيها.

قال ضمرة بن حبيب يدل على أن لهم ثواباً (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) الانسيات للانس والجنيات للجن *

﴿ومن لايجُب داعي الله فليس بمعجز﴾ بفائت الله بهربه *

﴿في الأرض وليس له من دونه﴾ أي الله * ﴿أولياء﴾ أنصار من عذابه * ﴿أولئك﴾ الذين لم يجيبوا داعي الله * ﴿في ضلال مبين﴾ اذ أعرضوا عن اجابة من هذا شأنه هذا تمام كلام الجن المنذرين لقومهم ويحتمل أن يكون تمامه (أليم).

وروي ان الجن لما رجموا بالشهب قالوا انما هذا لنبأ حدث فبثهم ابليس ليعرفوا الخبر وأول من بعث سبعة نفر أو تسعة من أشراف جن نصيبين أو نينوى منهم زوبعة وهم أكثر الجن عدداً وهم عامة جنود ابليس وهم مزمنية فبلغوا تهامة ثم الى نخلة فوافقوه يصلي في الليل وقيل الفجر فاستمعوا لقراءته وقالو هذا ما حال بيننا وبين خبر السماء وذلك عند انصرافه من الطائف كما مر.

قال ابن جبير: ما قرأ على الجن ولا رآهم ولكن مروا به فاستمعوا فأخبره الله. وذكر الزمخشرى والثعالبي في السير وغيرهما ان بعضهم قال انه أمر رسول الله ﷺ أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نفراً منهم جمعهم له فقال لأصحابه أمرت أن أقرأ على الجن فمن يتبعنى منكم فأطرقوا وأعاد ثانياً وثالثاً فأجابه ابن مسعود قال: لم يحضر معه غيري انطلقنا الى شعب الحجون فخط لي خطاً وقال لا تخرج منه حتى أرجع وذهب فافتتح القرآن وسمعت لغطاً شديداً حتى خفت عليه وغشيه أسودة كثيرة حتى لا أراه ولا أسمعه ثم ذهبوا كقطع السحاب فرغ منهم مع الفجر فجاءني فقال لي: نمت فقلت: لا والله يا رسول الله لقد هممت مراراً أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول لهم اجلسوا فقال لو خرجت لم آمن أن يتخطفك بعضهم وهل رأيت شيئاً قال رجالاً سوداً في ثياب بيض فقال أولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر ألفاً والسورة التي قرأها عليهم (اقرأ باسم ربك) وعن جابر انه قرأ عليهم (سورة الرحمن) واذا قرأ (فبأي آلاء ربكما تكذبان) قالوا: لا بشيء من آلائك نكذب ربنا لك الحمد ولما ولت هذه الجملة تفرقت على البلاد منذرة للجن.

قال ابن مسعود: قال سألوني الزاد فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة ويروى بكل عظم ذكر عليه اسم الله فقيل حين وضعه وقيل حين الذبح والعظم لهم والروث والبعر لدوابهم فقالوا يقذرها الناس علينا فنهي أن يستنجى بالعظم والروث أي والبعر أو أراد بالروث ما يشمله أي أن يزال النجو بها وهو الحدث قال فقلت سمعت لغطاً شديداً فقال تحاكموا اليّ في قتيل قتل بينهم فحكمت بالحق قال فتبرز أي قضى حاجة الانسان وأتاني فقال هل معك ماء فقلت نبيذ التمر فصببت على يديه فتوضأ فقال (تمرة طيبة وماء طهور) .

قلت حديث التوضي بنبيذ التمر ضعيف غير ثابت عندنا وعند كثير من قومنا ثم انه ان صح فما توضأ الا بعد ما استنجى أو لم يفرض على نفسه وغيره يومئذ الا الاستنجاء بالماء .

قال قتادة : قدم ابن مسعود الكوفة فرأى شمطاً من الزط ففزع ثم قال اظهروا فقيل قوم من الزط فقال ما أشبههم بنفر الجن المستمعين .

وعن علقمة قلت لابن مسعود هل صحبه منكم أحد ليلة الجن ؟ قال لا لكن كنا معه في ليلة ففقدناه فالتمسناه في الاودية والشعاب فقلنا استطير واغتيل فبتنا شر ليلة وقال بعدما أصبح وجاء من قبل حراء قلنا : طلبناك فلم نجدك فبتنا شر ليلة قال أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم قال فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون وكل بعرة علف لدوابكم فقال: «لا تستنجوا بها فانها طعام اخوانكم من الجن» .

قال الشعبي: كانوا من جن الجزيرة. قال الثعالبي: اختلفت الروايات هنا هل هذا الجن هم الوفد والمتجسسون واختلفت الروايات .

عن ابن مسعود والتحرير ان النبي ﷺ جاءه نفر من الجن دون أن يشعر بهم وهم المتجسسون من أجل رجم الشهب وهو المراد بـ (قل أوحي اليَّ) الخ ثم وفد عليه وفدهم بعد ذلك قال وفي قولهم(انصتوا) تأدب مع العلم وتعليم كيف يتعلم.

وعن ابن مسعود لا يأتون على عظم أو روث بعد تزويد النبي لهما الا وجدوه لحماً أو تمراً .

وعن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود خرجنا حاجين ومعتمرين حتى اذا كنا في الطريق هاجت ريح فارتفعت عجاجة من الارض حتى اذا كانت على رؤوسنا انكشفت عن حية بيضاء فنزلنا وقد تخلف صفوان بن المعطل فأبصرها فصب عليها من مطهرته وأخرج خرقة من عيبته فكفنها فيه ودفنها ثم أتبعنا، فلما جن الليل، اذا امرأتان تسألان ، أيكم دفن عمرو ابن جابر؟ فقلنا: ما ندري من عمرو بن جابر ! فقالتا ان كنتم ابتغيتم الأجر فقد وجدتموه ، ان فسقة الجن اقتتلوا مع المؤمنين فقتل عمرو ، وهو الحية التي رأيتم ، وهو بقية النفر الذين استمعوا القرآن من محمد ﷺ ، ثو ولوا

الى قومهم منذرين وذكر ان قوماً قالو لابن مسعود رأينا في طريق الشام ريحاً مرتفعاً فانتهينا اليها فرأينا في مكانها حية قتيلاً فنزل بعضنا فكفنها في عمامة له ودفنها ولما نزلنا وجن الليل جاءت امرأتان وسلمتا علينا وقالتا أيكم دفن عمراً فقلنا ما دفنا اليوم رجلا قالتا بلى الحية قال نعم قالتا فان نويتم الأجر والآخرة فقد أصبتم اقتتل فسقة الجن ومسلموهم فقتل من بينهم والله انه لأحد النفر الذين استمعوا القرآن عند محمد ﷺ *

﴿أو لم يروا﴾ أو لم يعلم منكرو البعث.

﴿ان الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن﴾ والعياء يطلق على فشل الأعضاء تعالى الله عنه وعنها وعلى عدم معرفة وجه الشيء تعالى الله عن ذلك .

وفي ذلك رد على اليهود قبحهم الله اذ زعموا انه عيي بخلقهن فاستلقى فوضع احدى رجليه على الأخرى فاستراح * ﴿بقادر﴾ الباء زائدة لتأكيد النفي في خبر ان لتقدم النفي كأنه قيل (أليس بقادر) قاله ابن هشام وقرأ ابن مسعود ويعقوب باسقاطها وهو دليل الزيادة.

قال الزجاج : (لو قلت ما ظننت أن زيداً بقائم لجاز) .

قال ابن هشام: والذي سهل ذلك تباعد ما بينهما ولهذا لم تدخل في (أو لم يروا ان الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم) *

﴿على أن يحيي الموتى بلى﴾ ايجاب للمنفي أي قدرته وواجبة لا تنقضى ولا تنقطع بالايجاد لم يعجزه خلق السموات والأرض العظام وابداعها فكيف باحياء الموتى بل الكل في قدرته سواء *

﴿انه على كل شيء قدير﴾ وقرىء بقدر وهذا تقريره للقدرة العامة الشاملة لتلك الخاصة * ﴿ويوم﴾ أي ويقال للذين كفروا يوم*

﴿يعرض الذين كفروا على النار﴾ يقال لهم ذلك وهم في النار والاعراض التعذيب .

صدر السورة بتحقيق المبدأ وذكـر في خـواتمهـا اثبـات المعـاد وذلك وعيـد لقريش وقيل (يوم) مفعول أذكر فيقدر لقـولـه * ﴿أليس هذا بالحق﴾ هذا القول والاشارة للعذاب والمراد توبيخهم والتهكم عليهم لاستهزائهم بالـوعـد والوعيد (وما نحن بمعذبين) * ﴿قالوا بلى﴾ هو حق * ﴿وربنا﴾ انه الحق اعتراض على أنفسهم بعد الانكار وتصديق حيث لا ينفع .

وعن الحسن : (انهم ليعذبون في النار وهم راضون يعرفون انه العدل) * ﴿قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ دليل على ان الاشارة للعذاب .

قال القاضي : ما مصدرية والأمر للاهانة والتوبيخ وأقول قـول الـزمخشري والمعني للتهكم الخ عـائد الى أليس هـذا بـالحق وكـان القـاضي أرجعـه الى (ذوقوا العذاب) ثم ظهر لي انـه يصـح هـذا أيضـاً ويصـح عـوده للكـل * ﴿فاصبر﴾ على أذى قـومك* ﴿كما صبر أولـو﴾ أصحـاب ﴿العزم﴾ الجد والثبات والصبر والحزم * ﴿من الرســل﴾ على أذى قـومهم (ومن) للبيـان فأولو العزم هم الرسل جميعاً .

هذا قول ابن زيد من علماء الاندلس وعليـه الـرازي وعن بعض الأنبيـاء كلهم أولو العزم الا يونس لعجلة كانت فيه قال (ولاتكن كصاحب الحوت) ولا آدم بقوله تعالى (ولم نجد له عزماً) ويجوز أن تكون (من) للتبعيض فأولو العزم بعض الـرسـل فقـط فقيـل أصحـاب الشرائع اجتهـدوا في تـأسيسهـا وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاغين فيهـا ومشـاهيرهم نـوح وابراهيم وموسى وعيسى .

وقال الكلبي : هم الذين جمروا بالجهاد وأظهـروا العـداوة لـلأعـداء وقيـل ثمانية عشر في قوله (وتلك حجتنا آتينا ابراهيم) الخ (فبهداهم اقتـده) وقيـل ستة ذكرت نسقاً في الاعراف والشعراء نوح وهـود وصـالـح ولـوط وشعيب وموسى وقيل خمسـة نـوح وابـراهيم ومـوسى وعيسى ومحمـد عليهم الصـلاة والسلام .

قلت لا يصح هذا تفسيراً في الآية لانه قال (فاصبر كما صبر أولـو العـزم)

وانما يعد سيدنا محمد منهم خارج الآية لأنه كان كما أمره الله ولهذا فسر قتادة وابن عباس الآية بالأربعة فقط وقرنهم بمحمد في (ومنك ومن نوح) الخ وفي (شرع لكم) الخ وقال مقاتل ستة صابرون عل البلاء نوح صبر على بلاء قومه يضربونه بالحجارة حتى يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح ولده واسحاق على الذبح ويعقوب على فقد ولده وبصره ويوسف على الجب والسجن وأيوب على الضر . وزاد الزمخشري موسى قال له قومه (انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين) وداود بكى على خطيئته أربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وقال انها معبرة فاعبروها ولا تعمروها .

قال النبي ﷺ : « ياعائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد ، ياعائشة ان الله لم يرض من أولي العزم الا الصبر على مكروهها والصبر على محبوبها ولم يرض الا أن كلفني ما كلفهم فقال (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) واني والله لابد لي من طاعته والله لأصبرن كما صبروا ولأجتهدن ولا قوة الا بالله» وقوله ولا قوة الا بالله استثناء ليمنه*

﴿ولا تستعجل لهم﴾ لكفار قريش بالعذاب فانه نازل بهم في وقته لامحالة كأنه ضجر بعض الضجر فأحب نزول العذاب فقيل له ذلك *

﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون﴾ من العذاب وذلك يوم القيامة *

﴿لم يلبثوا﴾ في الدنيا *

﴿الا ساعة من نهار﴾ وذلك لطول عذاب الآخرة وشدته حتى صار عمرهم والبرزخ كساعة استقصروا ذلك حتى يحسبوه ساعة والمنقضي من الزمان عدم وعذاب الآخرة دائم.

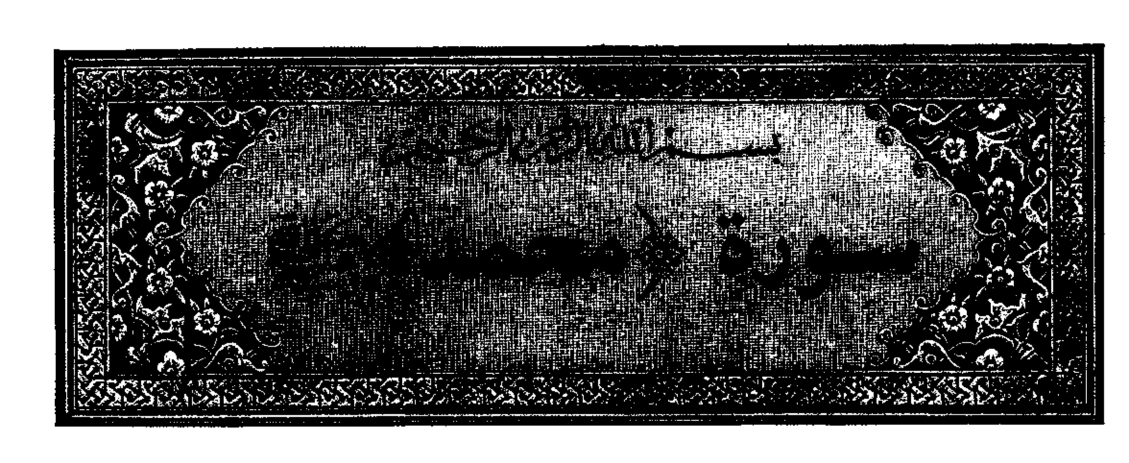
قال الغزالي : (اعلم ان صاحبك الذي لا تفارقه في حضرك وسفرك ونومك ويقظتك وحياتك وموتك هو ربك ومولاك وسيدك وخالقك ومهما ذكرته فهو جليسك اذا قال أنا جليس من ذكرني ومهما انكسر قلبك حزناً على تقصيرك في حق دينك فهو صاحبك وملازمك اذ قال أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي فلو عرفته يا أخى حق معرفته لاتخذته صاحباً وتركت

الناس جانباً فان لم تقدر على ذلك في جميع أوقاتك فاياك أن تخلي ليلك ونهارك عن وقت تخلو فيه بمولاك وتتلذذ بمناجاته وعند ذلك فعليك بأدب الصحبة مع الله وأدبها اطراق الطرف وجمع الهم ودوام الصمت وسكون الجوارح ومبادرة الأمر واجتناب النهي وقلة الاعتراض على القدر ودوام الذكر باللسان وملازمة الفكر وإيثار الحق والياس من الخلق والخضوع تحت لهبه والانكسار تحت الحيا والسكون عن حبل الكسب ثقة بالضمان والتوكل على فضل معرفة يحسن اختياره وهذا كله ينبغي أن يكون شعارك في جميع ليلك ونهارك فانه آداب الصحبة مع صاحب لا يفارقك والخلق يفارقك في بعض أوقاتك) *

﴿بلاغ﴾ أي في ذلك الاخبار بلاغ فالمحذوف الخبر وذلك الذي وعظتم به بلاغ والقرآن بلاغ فالمحذوف المبتدأ وكذا ان قيل السورة بلاغ وقيل بلاغ مبتدأ وخبره لهم وما بينهما اعتراض والمعنى عليه لهم وقت يبلغون اليه كأنهم اذا بلغوه ورأوا ما فيه استقصروا مدة عمرهم وعلى ما أقبله البلاغ الكفاية أو التبليغ من الرسول ويؤيده انه قرىء (بلغ) على الامر متصلاً بما بعده وقرىء (بلاغاً) أي بلغ بلاغاً . وقرأ الحسن بجره نعتا لنهار وتقدير ابن هشام في الرفع (هذا بلاغ) قال وقد صرح به في (هذا بلاغ للناس) * ﴿فهل﴾ أي ما * ﴿يهلك الا القوم الفاسقون﴾ وقرىء بفتح الياء واللام من هلك بالكسر وبفتحها وكسر اللام من هلك بالفتح وعليهما فالقوم فاعل وقرىء بالنون مضمومة وكسر اللام ونصب القوم ونعته وفي الآية وعيد محض وانذار بين لأن الحسنة بعشر والسيئة بمثلها وغفر الصغائر باجتناب الكبائر ووعد الغفران على التوبة فلن يهلك مع فضله وسعة رحمته الا فاسق وفي الحديث (الا هالك) ولذا قال ثعلب هذه أرجى آية في كتاب الله .

اللهم ببركة هذه السورة وسيدنا محمد اخز النصارى وغلب الموحدين والمسلمين عليهم واكسر شوكة النصارى اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم كثيراً.




بسم الله الرحمن الرحيم
سورة محمد

ســـورة ﴿محمـــد﴾ ﷺ

وتسمى سورة القتال وهى مدنية عند مجاهد قال السيوطي قال الزمخشرى هو قول الضحاك وسعيد بن جبير وحكى الشعبي قولاً غريباً انها مكية وقيل مدنية الا (وكأي من قرية) . . الآية ، وآيها ثمان وثلاثون آية وقيل سبع وثلاثون وحروفها ألفان وثلاثمائة وتسعة وثلاثون وكلمها مائة وتسع وثلاثون.

روي عن النبي ﷺ « من قرأ سورة محمد كان حقاً على الله أن يسقيه من أنهار الجنة ومن غسلها بماء زمزم وشربها كان محبوباً مقبول القول لا يسمع شيئاً الا وعاه وان غسل بمائها مرضاً زال باذن الله »

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الذين كفروا وصدوا﴾ أعرضوا بأنفسهم أو صدوا غيرهم *

﴿عن سبيل الله﴾ عن الايمان والعمل به وهم كفار مكة * ﴿أضل أعمالهم﴾ جعلها ضالة وهي كيدهم للنبي ﷺ أبطله وجعل الدائرة عليهم فهو مغمور بكيد الله غائب فيه كما يضل الماء في اللبن وعليه الضحاك وقال مقاتل اثنا عشر رجلاً من المشركين يصدون الناس وقيل الذين يطعمون الجيش يوم بدر رؤساء قريش أبو جهل والحارث بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم .

وعليه ابن عباس وقيل أهل الكتاب وقيل كل مشرك وقيل أعمالهم مثل الاطعام وصلة الارحام وفك الاسير واجارة المستجير ﴿وأضل الله أعمالهم﴾ لم يتقبلها وجعلها غائبة في كفرهم مغمورة به ولا تنفع مع الكفر وقيل لريائهم بها والصحيح لكفرهم أوله ولريائهم وقيل أول السورة متعلق بآخر السورة قبلها أي الفاسقون هم الذين كفروا أبطل أعمالهم لريائهم بها *

﴿والذين آمنوا﴾ بالله ورسوله * ﴿وعملوا الصالحات﴾ .

قال مجاهد: (هم ناس من قريش وقيل من الانصار وقال ابن عباس ومجاهد هم الانصار وقيل مؤمنو أهل الكتاب والأولى ان المراد كل مؤمن كما ان الأولى ان المراد بالذين كفروا كل كافر صاد *

﴿وآمنوا بما نزل﴾ وقرىء (نُزِّل بالبناء للمفعول وبالبناء للفاعل و (نَـزَّل) بالبناء للفاعل (ونَزَل) بالتخفيف والمراد وصدق القرآن ويجوز دخوله في قوله (والذين آمنوا) وعلى كل خصه بالذكر من بين سائر ما يجب الايمان به ومن بعد دخوله في العموم وصلاحيته للدخول تعظيماً لشأنه واعلاماً انه لا يصح الايمان الا به وانه الاصل فيه * ﴿على محمد﴾ عن خليفة والد أبي سويد؛ سألت محمد بن عديّ بن أبي ربيعة كيف سماك أبوك محمداً قال سألت أبي عما سألتني عنه فقال لي كنت رابع أربعة من بني غنم أنا فيهم وسفيان بن مجاشع بن جرير وامامة بن هند بن خندف ويزيد بن ربيعة خرجنا في سفر نريد ابن جفنة ملك غسان فلما شارفنا الشام نزلنا على غدير فيه شجرات وقربه شخص نائم فتحدثنا فاستمع كلامنا فأشرف علينا فقال ان هذه لغة ما هي لغة هذه البلاد فقلنا نحن قوم من مضر فقال من أي المضريين ؟ قلنا من خندف قال يبعث فيكم خاتم النبيين فسارعوا وخذوا حظكم منه ترشدوا قلنا ما اسمه قال محمد فرجعنا فولد لكل واحد منا ولد سماه محمداً *

﴿وهو الحق من ربهم﴾ أي القرآن والجملة معترضة بين المبتدأ والخبر تأكيد لتعظيم ما نزل أو حال لازمة وقيل المراد لم يخالفوا محمداً ﷺ في شيء؛ ان دين محمد هو الحق ناسخ غير منسوخ بغيره اذ لا دين بعده وتعريف الطرفين للحصر * ﴿كفر﴾ غفر * ﴿عنهم سيئاتهم﴾ لتوبتهم عنها وايمانهم وعملهم الصالح * ﴿وأصلح بالهم﴾ حالهم في الدين والدنيا بالعون والتوفيق والنصر قاله قتادة وقيل قلوبهم لان القلب اذا صلح صلح سائر الجسد .

وقال ابن عباس: عصمهم عن المعصية والاصرار عليها ولا يثنى البال ولا يجمع وشذّ (بالات) ولا فعل له *

﴿ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأنَّ الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم﴾

هذا تصريح بما أشعر به ما قبله ولذا يسميه علماء البيان تفسير والاشارة الى المذكور من الاضلال والتكفير والاصلاح وذلك مبتدأ والخبر بأن الذين الخ أو خبر لمحذوف أي الامر ذلك فتعلق البناء بالنسبة والباء سببية والباطل ما لا ينتفع به.

وقال مجاهد: ابليس وما يأمر به والحق الشرع ومحمد قيل القرآن*

﴿كذلك﴾ الضرب أو البيان*

﴿يضرب الله للناس أمثالهم﴾ الضمير للناس أي يضرب لهم أمثال أنفسهم أو الفريقين وعليه الزجاج أي يضرب أمثالهم للناس ليعتبروا أو جعل اتباع الباطل مثلاً لعمل الكفار والاضلال مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلاً للمؤمنين وتكفير السيئات مثلا لفوزهم وعن بعضهم أمثالهم أحوالهم وعن بعضهم صفة أعمالهم *

﴿فاذا لقيتم﴾ من اللقاء وهو الحرب أو لقيتم فى المحاربة *

﴿الذين كفروا فضرب الرقاب﴾ الاصل اضربوا الرقاب ضرباً فحذف الفعل وقدم المصدر وأنيب منابه مضافاً للمفعول مثل سبحان الله للاختصار وفيه التوكيد لان النصب دليل الفعل المحذوف ولو كان نائباً عنه وبدلا من اللفظ به وضرب الرقاب كناية عن القتل سواء كان بضربها أو بضرب غيرها كما يقال ضرب الامير رقبته وضرب عنقه وضرب ما فيه عيناه وضرب علاوته بكسر العين وهى الرأس ما دام في الرقبة وخص الرقاب لان القتل أكثر ما يكون بضربها ولتصوير القتل بأشنع صوره وهو ازالة العضو الذي هو رأس البدن وأعلاه وأوجهه ومشتمل على حواس ولا حياة مع زواله فما وجدتم القتل به فاقتلوا .

بعث رسول الله ﷺ سرية الى حيّ فأصابوهم فقطعوا شجرة وأضرموها ناراً وألقوا فيها رجلا فمات فلما بلغ ذلك النبي ﷺ قال «لم أبعث لأعذب بعذاب الله ولكن بعثت بضرب الاعناق» .

وبعث ﷺ معاذ بن جبل فقال «ان أمكنك الله من فلان فاحرقه بالنار»

ثم قال ردوه فرجع فقال « قلت ذلك وأنا غضبان لا يحل لأحد أن يعذب بعذاب الله فان قدرت فاضرب عنقه » .

وفي الحديث «لا يجتمع كافر وقاتله في النار» .

وقال «ما أغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار وقال غبار في سبيل الله ودخان جهنم لا يجتمعان في جوف عبد ولايجتمع الشح والايمان في قلب عبد» .

وقال: «الغدوة في سبيل الله وروحة خير من الدنيا وما فيها ولموقف الرجل في الصف أفضل من عبادة ستين سنة» وقال لابن رواحة وقد تخلف عن الخارجين للغزو في يوم الجمعة ليصلي الجمعة مع رسول الله ﷺ «لو أنفقت ما في الارض جميعاً ما أدركت فضل غدوتهم» وغير ذلك *

﴿حتى اذا أثخنتموهم﴾ بالغنم في القتل وقهرتموهم مأخوذ من الشيء الثخين أي الغليظ أى أثقلتموهم بالقتل والجراح ومنعتموهم النهوض والحركة * ﴿فشدوا﴾ أى احكموا * ﴿الوثاق﴾ بفتح الواو وقرىء بالكسر وهو ما يوثق به أي احفظوهم لئلا يفلتوا منكم ولئلا يهربوا وذلك في الاسارى *

﴿فاما مَنّاً بعد واما فداء﴾ مصدران مؤكدان حذف عاملها أي فاما تمنون مَنّاً بعد الاسر واما تفدون فداء وقرىء (فدى) بالفتح والقصر خيرهم بين أن يمنوا بالاطلاق من غير شيء وأن يفادوهم بمال أو أسارى المسلمين والآية محكمة عند جمهور العلماء وقوله فاضربوا فوق الاعناق الخ ونحوهما كقوله فاما تثقفنهم ففي الحرب الخ وأجاز لهم أيضاً الاسترقاق والقتل فهذه مبينة لقوله (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) وهو الصحيح وهو مذهب الشافعية والحسن وعطاء وابن عمر والثوري والشافعي وأحمد واسحاق وابن عباس وحجتهم ان النبي ﷺ عمل بذلك والخلفاء بعده وانه مَنّ على أبي عروة الجمحي قال الزمخشري وعلى أثال الحنفي وقال غيره ثمامة بن أثال الحنفي ذلك انه بعث ﷺ خيلاً لجهة نجد فجاءت به فربطوه بسارية في

المسجد فخرج ﷺ اليه فقال ما عندك يا ثمامة فقال عندي خير يا محمد إن تقتل تقتل ذا دم وإن تنعم تنعم على شاكر وان أردت المال فلك ما شئت وقال له ذلك في اليومين بعده فقال ما ذكر فقال اطلقوه فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ودخل المسجد وقال أشهد ان لا اله الا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله والله ما كان على الارض أبغض اليّ من وجهك وأنت الآن أحب الوجوه اليَّ والله ما كان دين أبغض اليَّ من دينك وأصبح أحب اليّ وبلدك أحب البلاد وان خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى ؟ فبشره ﷺ وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قيل له صبأت قال لا ولكني أسلمت مع رسول الله ﷺ والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ .

وأسرت الصحابة رجلاً من بني عقيل فأوثقوه وكانت ثقيف قد أسرت مسلمين ففاداه بهما .

وقال أبو حنيفة وأصحابه إما القتل واما الاسترقاق وإما المن والفداء نزلا في يوم بدر ثم نسخا بالآيات السابقة أم نزلا مخصوصين ببدر وعليه قتادة والضحاك والسدي وابن جريج والاوزاعي وأصحاب الرأي لئلا يعودوا حرباً للمسلمين.

وقال مجاهد : (إما الاسلام وإما القتل) وقال الزمخشري : ويجوز أن يراد بالمن أن يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا أو يمن عليهم فيخلوا للجزية ان كانوا من أهل الذمة أو بالفداء أن يفادى بأساراهم أسارى المشركين . فقد رواه الطحاوي مذهباً عن أبي حنيفة والمشهور انه لا يرى فداؤهم لا بمال ولا بغيره ومذهبنا التخيير .

وكان أبو عروة الجمحى ممن أسر ببدر قال يا رسول الله مُنَّ عليّ فاني فقير ولي بنات فرقَّ النبي ﷺ فخلى سبيله ولم يأخذ منه شيئاً فقدم مكة فهجا رسول الله ﷺ وكان شاعراً فلما خرج المشركون الى أحد قالوا أخرج معنا قال ان محمداً قد منّ عاماً أولا فخلى سبيلي فأنا أكره أن أقاتله فقال له

أبو سفيان أنفق على عيالك فخرج معهم فلما قاتلوا أخذ أسيراً فأتوا به النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ يا عدو الله ألم أمنّ عليك في العام الاول فرجعت الى مكة فهجوتنى فقال اني خرجت كرهاً يا محمد فمن عليّ هذه المرة فقال رسول الله ﷺ «لا والله لا نمسح خديك فتقول سخرت بمحمد مرتين فاضربوا عنقه» فقتل صبراً فقال النبي ﷺ «اما انه من جهد البلاء أن يقتل المرء صبراً »*

﴿حتى تضع الحرب أوزارها﴾ آلاتها وأثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والخيل وأنشد الزمخشري للأعشى*

وأعددت للحرب أوزارها   رماحاً طوالا وخيلاً ذكوراً

وقيل لعمرو بن معد يكرب وأصل (الوزر) ما يحمله الانسان والسلاح يحمل والخيل تجري وكأن الحرب حاملة لذلك لانها لابد لها منه فاذا انقضت فكأنها وضعته والاضافة للملابسة والمراد حتى يمسك أهل الحرب عن القتال اسلاماً أو مسالمة وقيل الحرب جمع حارب أو اسم جمعه كصاحب وصحب وقال الحسن وقتادة (أوزارها) ذنوب أهلها من الشرك والمعاصي أي حتى سلموا وأضاف (الاوزار) اليها للملابسة أو يقدر مضاف وقيل حتى تضع حربكم أوزارهم أي شركهم ومعاصيهم بأن يسلموا وقال مجاهد حتى ينزل عيسى فيقتل الدجال ويكسر الصليب ويقتل الخنزير وتضع الجزية فلا تقبل من كتابي بل اما القتل أو الاسلام أو حتى تدخل الملل كلها في الاسلام فلا يبقى جهاد وذلك عند نزوله .

وفي الحديث «الجهاد ماض منذ بعثني الله الى أن يقاتل آخر أمة الدجال وقال من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ولا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق من ناوأهم الى يوم القيامة» ولا يقتل الا الذكر الحر المكلف و (حتى) غاية للضرب أو للشد أو للمنّ أو للفداء متعلقة باحدها ويقدر مثلها لغيره وان علق بالمن أو الفداء على قول أبي حنيفة فالمعنى (حتى تضع حرب بدر أوزارها) * ﴿ذلك﴾ خبر المحذوف أى الأمر فيهم ما ذكر أو مفعول أي افعلوا بهم ذلك *

﴿ولو يشاء الله لانتصر منهم﴾ أي لانتقم منهم باستئصال ببعض أسباب الهلاك كالخسف والزلزلة والموت العام والغرق والملائكة وغير ذلك من جنود الله من غير القتال منكم * ﴿ولكن﴾ أمركم بالقتال *

﴿ليبلو بعضكم ببعض﴾ أيها الناس بأن يجاهد المسلمون ويصبروا فيجازوا ثواباً عظيماً ويعذب المشركين على أيديهم معاجلة لبعض ما أعد لهم من العذاب وليرتدع بعضهم عن الشرك *

﴿والذين قاتلوا في سبيل الله﴾ أي جاهدوا وهذه قراءة الجمهور وقرأ عاصم في رواية (قتلوا) بالفتح واسقاط الالف وقرأ أبو عمرو وحفص وعاصم في رواية (قُتِلوا) بالبناء للمفعول من الثلاثي وقرىء بتشديد التاء والبناء للفاعل أو (قَتَّلوا ،قُتِّلوا) للمفعول .

قال قتادة: (نزلت فيمن قتل من المؤمنين يوم أحد وقد فشى قتالهم وجرحاهم) * ﴿فلن يُضِل أعمالهم﴾ أي لن يضيعها ويحبطها وقرىء بالبناء للمفعول ورفع الاعمال وقرىء (يَضِل) بفتح الياء ورفع الاعمال وكان المسلمون يقولون لمن خرج غازياً اعلم انه كلما تباعدت عن أهلك ازددت من الله قرباً قاله الحسن * ﴿سيهديهم﴾ في الدنيا والآخرة لما ينفعهم وهذا على غير بناء للمفعول أما عليه فالمعنى سيهديهم الى الثواب أو سيثبت هدايتهم وعن الحسن يحقق لهم الهدي .

قال ميسرة الخادم غزونا في بعض الغزوات فاذا فتى الى جانبي مقنع في الحديد فحمل على الميمنة فثناها ثم على الميسرة فثناها ثم على القلب فثناه ثم قال *

أحسن بمولاك سعيد ظنا ★ هذاه الذي كنت له تمنا
تنج بأحور الجنان عنا ★ مالك قاتلنا ولا قتلنا
لكن الى سيدكن اشتقنا ★ قد علم السر وما أعلنا

فحمل فقتل عدداً ثم رجع الى مصافه فتكالب عليه العدو ثم حمل وقال:

قد كنت أرجو ورجائي لم يخب ★ أن لا يضيع اليوم كدي والطلب
يا من ملا تلك القصور باللعب ★ لولاك ما طابت ولا طاب الطرب

وقتل عدداً ثم رجع فتكالب عليه العدو فحمل وقال:

يا هبة الخلد قفي ثم اسمعي ★ مالك قاتلنا فكفي وارجعي
ثم ارجعي الى اجنان وأسرعي ★ لا تطمعي لا تطمعي لا تطمعي

فقاتل حتى قتل * ﴿ويصلح بالهم﴾ مثل ما مر وقيل يقبل أعمالهم وما في الدنيا من ذلك لمن لم يقتل وأدرجوا في المقتولين على قراءة (قتلوا) بالبناء للمفعول تغليباً *

﴿ويدخلهم الجنة عرفها لهم﴾ بينها ووصفها في الدنيا لهم حتى اشتاقوا اليها فعملوا ما استحقوها به قاله الحسن وقال أبو سعيد الخدري ومجاهد وقتادة ألهمهم مساكنهم وأزواجهم وخدمهم وبينا لهم فيهتدوا اليها من غير استدلال كأنهم سكنوها منذ خلقوا .

قال القرظي وهو قول أكثر المفسرين قال ﷺ «لأحدكم بمنزله في الجنة أعرف منه بمنزله في الدنيا» وقال مقاتل يمشي الملك الموكل بحفظ أعماله بين يديه ويعرفه ذلك وقالت فرقة رسم على كل منزل اسم صاحبه وقال فرقة عرفها رفعها وأعلاها من الاعراف بمعنى الجبال ومنه أعراف الخيل .

وقال ابن عباس ومدرج وغيره طيبها والعرف الطيب وقيل حدها وعرف الدار حدها وكذا عرفها لكل جنة وحدود له *

﴿يا أيها الذين آمنوا أن تنصروا الله﴾ أي دينه أو رسوله أو أولياءه *

﴿ينصركم﴾ على عدوكم يخلق القوة فيكم وغير ذلك ويفتح لكم *

﴿ويثبت أقدامكم﴾ في الحرب أو في دينه أو المراد في كليهما ولا تزال أقدامكم يوم القيامة في النار *

﴿والذين كفـروا فتعسـاً لهم﴾ أي خذلانـاً لهم وزلـلاً وهـلاكـاً عكس مـا للمؤمنين وقـل فيهم بصيغـة الـدعـاء عليهم وهي أبلـغ وفي المؤمنين بصيغـة الوعد لانه لا يجب عليه شيء .

وقال ابن عباس بعداً لهم وأبو العالية سقوطاً لهم وثبوراً وانحطاطاً وعكسه له يقولونه لمن أرادوا ارتفاعه وقيامه قال الاعمش :

« بـــذات لـــوث عفـــرنـــات »

اللوث بفتح اللام القوة والعفرنة القوية وقال ابن السكيت التعس أن يخر على وجهه والضحاك خيبـة لهم وابن زيـد شقـاء لهم وابن عبـاس التعس في الدنيا القتل وفي الآخرة التردي في النار والذين مبتدأ (وتعساً) مفعـول مطلق لمحذوف وجوباً سماعاً على انه اخبار ووجوباً على انه دعـاء وجملتـه خبر وفي الاخبار بالدعاء خلاف والفاء زائدة في الخبر لشبه المبتدأ باسم الشرط عمومـاً وابهاماً أو رابطـة وامـا محذوفـة أي (وأمـا الـذين) الـخ أو (الـذين) مفعـول لمحذوف فسره (تعساً) لهم أي أتعس الذين والفاء زائدة قاله الزمخشري وأبـو حيان قال ابن هشام وأما تجويز بعضهم في الـذين الاشتغـال قـولهم أو قلنـا بجواز تقديم معمول المصدر الذين لا يخلو للفعـل وحـرف المصـدر وجـواز تفسيره عـامـل معمـول قبلـه لان الضمير ليس معمــولا لــِ (تعســاً) ولا للمحذوف بل متعلق بمحذوف خبر لمحذوف أي ارادتي لهم لا أعني لتعديه بنفسه خلافاً لابن عصفور وليست اللام مقوية للمصدر لضعفـه في العمـل أو للمحذوف لضعفه بالحذف لانها غير صالحة للسقوط لا يقال (تعساً أباه) خلافاً لابن الحاجب ولا هي مخفـوضهـا نعتـاً للمصـدر لانـه نـائب الفعـل والفعل لا يوصف وانما هي لام تأكيد البيان لان المدعو عليهم معلومون ولو لم يعلموا فهي للبيان ومثلها كبا له وكذا في المدعو له (كسقيا له) * ﴿وأضل أعمالهم﴾ العطف على (تعسوا) الذى نائب عنه (تعساً) عطفاً لـلاخبـار على الانشاء أو العطف على اخبار محذوف أي فقال (تعساً لهم) و (فقضى تعسـاً لهم) ﴿ذلك﴾ المذكور من التعس والاضلال * ﴿بأنهم﴾ أي لانهم *

﴿كرهوا ما أنـزل الله﴾ من نفس القرآن ومعانيه من التكـاليف، والاحكـام المخالفة لما ألفوه من الشرك والجور وغيرهما*

﴿فأحبط أعمالهم﴾ أبطلهـا لشركهم فـلا تنفعهم مكـارم الاخـلاق التي يفعلونها كالصدقة على اليتيم وكرر احباط العمل حيث قال (وأضل أعمالهم) وقال (فأحط أعمالهم) اشعاراً بأنه يلـزم الكفـر يكـره القـرآن ولا ينفك عنـه بحال قيل ولا خلاف ان للمشرك حفظة يكتبون سيئاته وأما حسناته فقيل لا تكتب وانما يثابون عليها بنعم الدنيا وقيل حسنات من سيسلم مكتوبة .

قال ﷺ لحكيم بن حزام «أسلمت على ما سلف لك من خير» .

﴿أفلم يسيروا في الارض فينظـروا كيف كـان عـاقبـة الـذين من قبلهم﴾ كثمود وقوم شعيب ﴿دمر الله عليهم﴾ دمره أهلككه ودمر عليه استأصل ما يختص به من نفس وأهل ومال وولـد وعـداه بعلى لتضمنـه معنى غضب أو على التعليل والمفعول محذوف أي أهلكهم وأمـوالهم وأولادهم وأهاهم بسبب ذنوبهم ﴿وللكافرين﴾ بك يا محمد والاصل ولهم فـوضـع الظـاهـر مـوضـع المضمر تشنيعاً لهم بعنوان الكفر .

وقال الشيخ هود المـراد كفـار آخـر هـذه الامـة يهلكـون بـالنفخـة الاولى ﴿أمثالها﴾ أي أمثال تلك العاقبة أو العقـوبـة أو الهلكـة لان التـدمير يـدل عليها أو للسنة لقولـه (سنـة الله في الـذين خلـوا) وقيـل ذلك التضعيف في الآخرة فقط ﴿ذلك﴾ المذكور من نصر المؤمنين واهـلاك المشركين * ﴿بأن﴾ أي لان * ﴿الله مولى﴾ أي (ولي) وبه قرأ ابن مسعود*

﴿الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم﴾ أى لا مولى نصر لهم واما وردوا الى الله مولاهـم الحق فالمولى فيه المالك .

قال قتادة: نزلت يوم أحد كثرت الجراح في المسلمين وكان رسول الله ﷺ في الشعب ونادى المشركون اعل هبل قيل نادى أبو سفيان فقـال رسـول الله ﷺ قولوا الله أعلى وأجل ونادى المشركون يوم بيوم والحرب سجال ان لنا عزاً ولا عز لكم فقال ﷺ قولوا الله مـولانـا ولا مـولى لكم ان القتلى مختلفـة أمـا قتلانا فأحياء يرزقون وأما قتلاكم ففي النار يعذبون*

﴿ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ في غير حدود وهي الماء والعسل واللبن والخمر وما شاءوا وهم في الدنيا معتنون بالله ولهم رزقهم كما ترزق الكفار وأقل وأكثر *

﴿والذين كفروا يتمتعون﴾ يتلذذون بشهوات الدنيا *

﴿ويأكلون كما تأكل الانعام﴾ غافلين عن العاقبة لا همة لهم الا بطونهم وفروجهم كما تأكل الانعام وهمتها ذلك غافلة عن العاقبة وعما اريد بها من النحر والذبح والخدمة الشديدة والموت.

وفي الحديث «لو تعلم ما علمتم من الموت لما أكلتم منها سميناً والدنيا بأجمعها سجن المؤمن» بالنسبة لما له في الآخرة وجنة الكافر بالنسبة لما له من العذاب في الآخرة وهو كالبهيمة في عدم التمييز حتى عبد ما لاينفع ولا يضر ويجوز أن يراد (كما تأكل الأنعام) غافلة عن الآخرة ولا ضير لها * ﴿والنار مثوى﴾ منزل ومقام ومصير * ﴿لهم﴾ وفي الحديث «المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء» فقيل المراد زهد المؤمن في الدنيا وحرص المشرك وقيل المؤمن يأكل الحلال والكافر يأكل الحلال والحرام والحلال قليل وقيل حض المؤمن على قلة الاكل اذا علم ان كثرته صفة المشرك فينفر عنها وقيل مؤمن ومشرك مخصوصان في الحديث وقيل المبالغة في كثرة الاكل لا حقيقة السبعة وقيل المؤمن التام يمنعه تفكيره وخوفه من استيفاء الاكل بخلاف المشرك وقيل يسمي فلا يأكل معه الشيطان والمشرك لايسمي فيأكل معه فلا يكفيه القليل وقيل الحديث على ظاهره وقد يكون (معي) من أمعاء المشرك كمعي المؤمن وأصغر وأكبر (والمؤمن لا يأكل الا في معي واحد) من أمعائه السبعة فان لكل انسان سبعة أمعاء المعدة وبعدها ثلاثة متصلة بها رقاق البواب فالصائم فالرقيق وبعدهن ثلاثة غلاظ الاعور فالقولون فالمستقيم وقيل السبعة الحرص والشره وطول الامل والطمع والحسد وحب السمن ولعل السابعة سوء النية والواحد للمؤمن من سد الخلة وقيل

المشرك يتبسط في الملبس والمطعم والمشرب والمنكح والمركب واقتناء الأموال والمؤمن يقتصر منها على قدر الحاجة وقيل يأكل قدر الشبع الشرعي وهو ثلث البطن وثلث للشرب وثلث للنفس ان لم يقدر على أقل وطعام الواحد يكفي اثنين فالثلث طعام الواحد اذا قسم بينهما كفي كل واحد السدس فالمؤمن يكفيه سدس بطنه وقيل للمؤمن معيّ وهو أكل الطبع وللكافر سبعة طبع وستة حرص ومن شأن المؤمن الكفاف بخلاف الكافر ولا تدخل الحكمة معدة ملئت طعاماً ومن قل طعامه قل شربه وخف نومه فتظهر بركة عمره وصلح بدنه ونفسه وقلبه ولا يقسو ولا يبطر والعكس لمن كثر طعامه وفي الحديث « أهل الشبع في الدنيا هم أهل الجوع غداً ».

وفي رواية «المؤمن يشرب في معي واحد والكافر يشرب في سبعة أمعاء» والكافر كفر نفاق كالمشرك في غالب ذلك * ﴿وكأين﴾ بمعنى كم التكثيرية بنيت لتضمنها معنى حرف التكثير كرب مبتدأ خبره أهلكناهم أو من باب الاشتغال وقرىء (كآين) بوزن ضارب لكن بالسكون*

﴿من قرية هي أشد قوة من قريتك﴾ مكة ﴿التى أخرجتك﴾ أي من أهل قرية أهلها أشد قوة من أهل قريتك التي أخرجك أهلها حقيقة كما مر ﴿أهلكناهم﴾ بأنواع العذاب والمراد بالاخراج تسبب فيه ﴿فلا ناصر لهم﴾ جار مجرى الحال المحكية لان اهلاكهم أمر مضى وكأنه قال فلا ينصرون .

نزلت الآية لما خرج ﷺ الى الغار والتفت الى مكة وقال «أنت أحب بلاد الله الى الله والـيّ ولو لم يخرجوني لم أخرج» . قيل في الآية دليل على تفضيله ﷺ على موسى لانه لم يخرج خوفاً منهم كما خرج موسى ولم يقل خرجت ولا جزعت لكونه من الله وبالله في جميع أوقاته ولا يجوز عليه التفات الى الغير بحال * ﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾ هي القرآن أو ما يعمله والحجج العقلية كالنبي ﷺ والمؤمنين وقيل البينة من ربه اليقين من دينه وقرىء (أو من كان) *

﴿كمن زين له سوء عمله﴾ أي عمل السوء وهو الشرك والمعاصي أو ما هو سوء من جملة عمله فان منها سوءاً وغيره والمراد أبو جهل ومن معه وقيل كل مشرك *

﴿واتبعوا أهواءهم﴾ مراعاة لمعنى من بعد مراعاة لفظها وان منع ذلك فالضميران لمن تقدم أي ما هم فيه من الشرك والمعاصي مجرد اتباع الهوى لاشبهة لهم فيه فضلاً عن الحجة *

﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ أي صفتها فلا يقتضي مشبهاً ومشبهاً به قاله سيبويه والنضر بن شميل وغيرهما وهو مبتدأ محذوف الخبر أي فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل تقدير مثل عجيب أو شيء عظيم فقيل كمن هو خالد أي مثل أهلها كمثل من هو خالد . . . الخ وهو كلام في صورة الاثبات ومعناه النفي لانخراطه في سلك الانكار في قوله (أفمن) وفائدة التعرية عن حرف الانكار زيادة تصوير لمكابرة من يسوي بين التمسك، بالبينة واتباع الهوى وانه بمنزلة من يسوي بين الجنة التى تجري من تحتها الأنهار والنار التى يسقى أهلها الحميم وهذا من التسليم الذي هو في غاية الانكار وقوله* ﴿فيها أنهار﴾ معترض بين المبتدأ والخبر في حكم الملة فهو كالتكرير لها وكأنه قيل التي فيها أنهار أو حال أو خبر لمثل وقرىء على أمثال الجنة *

﴿من ماء غير آسن﴾ أي غير متغير وقرأ ابن كثير (أسن) بالقصر وعلى القصر قول يزيد بن معاوية*

لقد سقتنى رضاباً غير ذي أسن   كالمسك فت على ماء العناقيد

وقيل المعنى غير متغير ولا منتن واما (أجِن) فمعناه تغير وأنتن مثله والاول عن ابن عباس وقتادة *

﴿وأنهار من لبن لم يتغير طعمه﴾ بالقروصة والحموضة كلبن الدنيا وليس فيه ما يكره من الطعوم كما يكون في لبن الدنيا وذلك لخروجه من الضرع بخلاف لبن الجنة *

﴿وأنهار من خمر لذة للشاربين﴾ لا نتن فيها ولا مرارة ولا حموضة ولا

اذهاب عقل ولا صداع لم تعصر بالايدي والارجل بل خلقت كذلك (ولذة) تأنيث (لذ) بمعنى (لذيذ) أو مصدر نعت به مبالغة أو بتقدير (ذات لـذة) أو بتأويله بلذيذ وقرىء بالنصب على انه مفعول لاجله أي (تلذذاً) بناء على عدم شرط اتحاد الفاعل قال بعض أو حال وبالرفع على انـه نعت (لأنهـار) وفيه ما مر * ﴿وأنهار من عسل مصفي﴾ أي خلق صفياً خالياً عن الشمع وغيره لانه لم يخرج من النحل وفي ذلك تمثيـل لشراب الجنـة بـأنـواع تستلـذ مجردة عن النقص وتوصف بالغزارة قال ﷺ «ان في الجنة بحـر المـاء وبحـر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الأنهـار بعـد وقـال ﷺ «سيحـان وجيحان والفرات والنيل لكل من أنهار الجنة . فسيحان نهر أذنـة وجيحـان نهر المصيصية وهما عظيمان وجيحان أكبر وليسا (سيحون وجيحون) .

قال كعب : (نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة ونهر الفـرات نهـر لبنهم ونهـر مصر نهر خمرهم ونهـر سيحـان نهـر عسلهم وهـذه الاربعـة تخـرج من نهـر الكوثر) والأنهار التى في الآية قيل من أصل شجرة طوبى والورقة منها تغطي هذه الامة والنبق كقلل هجر وقيل يخـرج من أصلهـا أربعـة اثنـان بـاطنـان يفرغان في الجنة واثنان ظاهران هما النيل والفرات وصحح النووي ان كـون تلك الأنهار من الجنة على ظاهره قال بعضهم أنهار الجنـة تخـرج من أصـل واحد من قبة في أرض الذهب ثم تمر بالبحر المحيط وتشقه ولولا ذلك كانت أحلى من العسل وأطيب رائحة من الكافور وفي قلبي مثل هذا شيء فان ماء الجنة أعظم من أن يؤثر فيه البحر لشدة حلاوته الا أن يقال اثره الله فيه مع ذلك*

﴿ولهم فيها من كل الثمـرات﴾ في تأخير الثمرات في الـذكـر عن الشراب اشارة الى أن شراب الجنة وأكلها للتلذذ لا لحاجة والمبتدأ محذوف بقي وصفـه أي أصناف من كل الثمـرات ولا عيب فيهـا من عيـوب ثـمار الـدنيـا قـال الحسن منها ما يعرفونه في الدنيا وما لا يعرفون .

قال بعضهم: أهبـط الله الى الأرض من الجنـة ثـلاثين ثمـرة عشر يؤكـل

داخلها وخارجها وعشرة خارجها فقط وعشر داخلها *

﴿ومغفرة من ربهم﴾ عطف على المبتدأ المحذوف أو مبتدأ محذوف الخبر أي لهم أم عطف على ضمير الاستقرار في (لهم) والمغفرة للذنوب وهي قبل دخول الجنة قالوا وتعطف السابق أو هي رفع التكليف عنهم فيها فهى تعطف اللاحق والله راض عنهم مع احسانه اليهم وسيد العبد في الدنيا قد يكون مع احسانه اليه ساخطاً عليه والله ساخط على أهل الشقاوة وهو محسن اليهم في الدنيا وراض ومحسن دنيا وأخرى على أهل السعادة *

﴿كمن هو خالد في النار﴾ خبر مثل كما مر أو خبر لمحذوف أي من هو في هذا النعيم أو بدل من قوله كمن زين والاعتراض بين المبتدأ والخبر أو البدل والمبدل منه لبيان ما به يمتاز من هو على بينة في الآخرة والذي عليه ابن هشام انه خبر لمحذوف *

﴿وسقوا ماء حميماً﴾ شديد الحرارة أسعرت غليه النار منذ خلقت اذا دنا منهم أشوى وجوههم ورؤوسهم ووقعت جلدتها وهو بدل شراب الجنة واذا شربوه قطع أمعاءهم كما قال * ﴿فقطع أمعاءهم﴾ جمع معي بالكسر والقصر والفه عن ياء لقولهم معيان وهي المصارين وعن بعضهم الحوايا وفي الحديث يصب الحميم على رؤوسهم فينفذ الى بطونهم فيسلت ما فيها ويخرج من أقدامهم ثم يعاد كما كان .

وفي «رواية يخرج من أدبارهم» *

﴿ومنهم من يستمع اليك﴾ من هؤلاء الكفار منافقون يستمعون اليك ولا يفهمون ولا يرسخ في قلوبهم لتهاونهم *

﴿حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم﴾ من الصحابة * ﴿ماذا قال﴾ محمد * ﴿آنفاً﴾ أي الساعة القريبة قبل ساعتنا أو في الساعة التى نحن في آخرها فهو ظرف كما للزمخشري والعراقي وعن ابن حيان لا أعلم أحداً عده من الظروف ، وقال الثعلبي الذي ائتنفه معناه الآن وقال أبوحيان هو أسم فاعل والمستعمل من فعله ائتنفت الأمر واستأنفته أي مبتدأ فهو حال من ضمير قال قيل كأنه قال ما القول الذي ائتنفه الآن قبل

انفصالنا عنه وقيل هو من (أنف الشيء) وهو ما تقدم منه مستعار من أنف الوجه وقالوا ذلك استهزاء وبعضهم يقوله جهالة ونسياناً وذلك في المجلس مطلقاً وقيل في خطبة الجمعة قيل كان يخطب فاذا عاب المنافقين خرجوا وقالوا ذلك.

وقيل: قالوا لعبد الله بن مسعود فعبر عنه باسم الجماعة تعظيماً له أو لان سؤال العالم كسؤال غيره من العلماء.

وقال ابن عباس: (أنا منهم وقد سئلت فيمن سئل) وقرىء (آنفاً) بالقصر قيل وهو أفصح وهو قراءة ابن كثير وقيل قراءته المد * ﴿أولئك﴾ المنافقون*

﴿الذين طبع الله على قلوبهم﴾ بالكفر والكبر حتى انهم لا يرجعون يسألونه ويقولون لغيره * ﴿واتبعوا أهواءهم﴾ في النفاق لان الله أمات قلوبهم أي خذلهم * ﴿والذين اهتدوا﴾ وهم المؤمنون ينتفعون بما يسمعون* ﴿زادهم﴾ الله أو كلام رسوله أو استهزاء المنافقين ﴿هدى﴾ بالتوفيق والالهام مع هدايتهم * ﴿وآتاهم تقواهم﴾ أي يبين لهم ما يتقون وأعانهم على اتقائه وقيل ما يتقون به النار وأعطاهم جزاء تقواهم وعليه سعيد بن جبير وعلى الاول السدي *

﴿فهل ينظرون الا الساعة﴾ أي ينتظرونها ليس غيره * ﴿أن تأتيهم﴾ بدل اشتمال من الساعة وقرىء (إن تأتهم) بكسر الهمزة وحذفت الياء وهو شرط مستأنف والجواب (فأنى لهم) الخ وقوله: (فقد جاء) الخ علة على القراءتين وعلى الكسر والحذف مصاحف أهل مكة وعن بعضهم الساعة النفخة الأولى وسميت القيامة ساعة لسرعتها * ﴿بغتة﴾ فجأة وهم على كفرهم ونفاقهم وهذا تقريب وتهديد.

وروي عن أبي عمرو (بغتة) بتشديد الغين ولعله غلط من الراوي بل بفتحها بلاتشديد كما قرأ الحسن فيما مر وفي الحديث «بادروا بالأعمال سبعاً هل تنتظرون الا فقراً منسياً أو غنى مطغياً أو مرضاً مفسداً أو هرماً مقعداً أو موتاً مجهزاً أو الدجال أو الساعة» (وهي أدهى وأمر) *

﴿فقد جاء أشراطها﴾ علاماتها جمع شرط بفتح الراء كقول أبى الاسود:

فان كنت قد أزمعت بالصرم بيننا فقد جعلت أشراط أوله تبدو

فينبغى الاستعداد للساعة والذي جاء من أشراطها انشقاق القمر ومبعث النبي ﷺ قال «بعثت أنا والساعة كهاتين أي السبابة والوسطى» فسبقتها كفضل احداها على الاخرى .

قال أنس عند قرب وفاته: ألا أحدثكم حديثاً عن النبى ﷺ لا يحدثكم به أحد غيري سمعته يقول «لا تقوم الساعة حتى يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر ويفشو الزنى ويذهب الرجال ويبقي النساء حتى يكون واحد لخمسين امرأة» وفي رواية من أشراط الساعة (أن يرفع العلم) الخ .

وروي ان من أشراطها تقارب الزمان ونقص العلم وظهور الفتن والشح والهرج أى القتل ومنها أن تضيع الامانة ويفوض الأمر لغير أهله والدخان من السماء وعن الكلبي كثرة المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام وموت الفجأة وأن تتكلم الذئاب وكون العلم في صغير الشأن وفيض المال وموت الفجأة وأن تلد الامة ربها وربتها أي تكثر السراري فيلدن لساداتهن بنين وبنات وقيل يكثر بيعهن حتى تشتري المرأة أمها وتستعبدها جاهلة بها وقيل غير ذلك وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان والمراد الفقراء يظهر غناهم وأن يكون الأسافل على المنابر ويقرب الأجل ويطرب المعاجز ويعجز المنصف وتكون الصلاة منا والزكاة مغرماً والامانة مغنماً والاستطالة للقراء ويسود كل قوم منافقون وتلي رقاب الناس الحفاة العراة الجوع وأن يكون سيد القوم لكع بن لكع وأن يظهر أولاد الزنى ويعظم رب المال وتظهر أصوات الفساق في المساجد ويظهر أهل المنكر على أهل الحق وتقتتل فئتان عظيمتان قتالاً عظيماً ودعواهما واحدة ويبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله وتكثر الزلازل ولا يجد رب المال من يأخذ زكاته ويعرضه ولا يقبل لكثرته ويمر

الرجل بقبر أخيه ويقول ياليتني مكانه وطلوع الشمس من مغربها والدجال ويأجوج ومأجوج وخروج عيسي وخروج الدابة وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ونار تخرج من عدن تحشر الناس الى المحشر وأن يستغني الرجل بالرجل والنساء بالنساء وينتسبوا لغير نسبهم ولا يرحم الكبير الصغير ولا يوقر الصغير الكبير ويترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ويتعلم العلم لينال به الدراهم والدنانير ويكون المطر صيفاً والولد قليلاً ويشيد البناء ويتبع الهواء ويباع الحكم وتفضض المصاحف وتزخرف المساجد وتظهر الرشا ويؤكل الربا ويباع الدين بعرض قليل من الدنيا وتستخف الدماء وتقطع الارحام ويصير الغنى غراً وتركب النساء السروج ويتكلم النساء في الطرق ويظهر أهل الباطل على الحق وتكون البيان أمراء النساء سلاطين وتشاور الاماء وفتن كقطع من الليل المظلم يموت قلب الرجل فيها كما يموت بدنه يصبح مؤمناً ويمسي كافراً ويصبح كافراً ويمسي مؤمناً وتظهر المعازف والحرير ويصير المنكر معروفاً والمعروف منكراً وتظهر البدع وتستباح الفواحش ولا يستحى منها وتتبرج النساء وتحبس الزكاة وتقل الصدقات وترفع البركات وتقل الأرزاق ولاتنال المعيشة الا بالشبهات ويهان العلماء ويكرم الشعراء ويكون قوم يصلون ويصومون ويقرأون القرآن ويتمردون على الرحمن لا تتجاوز قراءتهم حناجرهم أقوالهم أحلى من العسل ورائحتهم أنتن من البصل قلوبهم مسودة وسرائرهم خبيثة وعمال ظلمة وشهود زور وحكام فجور وشراب خمر يحدون غيرهم عليها ويزنون ويجلدون عليه يأمرون بالبر وينسون أنفسهم ويمرقون من الدين مروق السهم والغش حرفتهم الغيبة فاكهتهم والخيانة مصانعتهم ويرفعون أصواتهم بكلام الدنيا في المساجد ولا يرحم غنيهم فقيرهم ويشيدون بنيانهم ويهينون مساجدهم والامير كالاسد والقاضي كالذئب والتاجر كالثعلب والفاسق كالكلب والمؤمن كالشاة ثم بكى ﷺ وقال «يا لها من شاة بين أسد وذئب وثعلب وكلب ويتوقعون ريحاً وتهتز الأرض بهم وتقع الفتنة بينهم فيقتل

بعضهم بعضاً ويسيء بعضهم الى بعض فينتقم الله من الكل ولا تتم التجارة أو الحوائج الا بالايمان ويذهب الصالحون وتبقى حثالة الناس لا يبال الله بهم في أي واد من العذاب يهلكهم وقال مثلكم كمثل ورق بلا شوك الى سبعمائة سنة ثم شوك وورق الى ثمانمائة سنة ثم شوك ان تركتهم لا يتركوك وان فررت جذبوك سلطان جائح وغنى بخيل وعالم راغب وعابد مراء وفقير كذاب وتاجر فاجر وصانع خائن وشيخ غافل وشاب فاضح وامرأة لا حياء لها والمؤمن ذليل والفاجر عزيز وتأكل الام من فرج بنتها ويقحطون ثلاث سنين ويخرج الدجال بالطعام والشراب وكم من تابع له يقول له علمت انه كاذب لكن أصيب من طعامه وشرابه فيهلك ويكسف والقمر ليلة الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ويرتفع القرآن وقد أهوى صاحب الصور بالصور الى فيه وقدم رجلاً للنفخ الا فاتقوا النفخة .

كل ذلك أحاديث عن النبي ﷺ ومر على أصحابه فقال «كيف أنعم وصاحب القرن قد حنى جبهته واضعاً سمعه ينتظر متى يؤمر بالنفخ وتترك الصلاة ويعق الوالدان وتطاع الزوجة ويقاتلون قوماً كأن وجوههم المجن المطروقة أى الاتراس الى غير ذلك من أحاديث موضوعة وغير موضوعة *

﴿فأنى لهم اذا جاءتهم﴾ الساعة* ﴿ذكراهم﴾ أي ومن أين لهم وكيف لهم التذكر أى لا تنفعهم ذكراهم حينئذ واذا علمت الامر من سعادة هؤلاء وشقاوة هؤلاء * ﴿فاعلم﴾ أي دم على العلم أو زد علماً ومثله المؤمنون *

﴿أنه لا اله الا الله﴾ وقيل الخطاب في المعنى لمن لم يؤمن أو شك ولا ملك لأحد عند قيام الساعة وفي الحديث ما قال عبد لا اله الا الله مخلصاً الا فتحت له أبواب الجنة الى العرش ما اجتنب الكبائر.

﴿واستغفر لذنبك﴾ ليس كذنبنا بل شيء كان الأولى له الترقي وعن بعض أن اللام للتعليل وانه قيل له ذلك مع انه لا ذنب له ليستن به أمته وقيل استغفار تواضع وقال اني لأستغفر الله كل يوم مائة مرة وقيل استغفر من هم الطبع قال انه ليغان على قلبي وأنا أستغفر الله في كل يوم سبعين مرة .

وقال مكي الخطاب في المعنى للمؤمنين .
وفي رواية «انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في اليوم مائة مرة» وقال «توبوا الى ربكم فوالله انى لأتوب الى ربي عز وجل مائة مرة في اليوم ».
وفي رواية «أكثر من سبعين مرة» و (الغين) التغطية أو من الغين الذي هو السحاب الرقيق الذي يغشي السماء وقيل ذنبه حزنه على ما يصير لأمته وقيل هو اشتغاله بأمور المسلمين وان كان أعظم طاعة وأوجب واجب لكن التفرد لله أرفع في نفسه وحسنات الابرار سيئات المقربين وقيل (الغين) السكينة واستغفاره لها اظهار العبودية والافتقار وقيل الفترة عن الذكر ومن شأنه أن لا يفتر فيستغفر منها .
وقيل خوف الانبياء والملائكة خوف اجلال وان أمنوا من عذابه وقيل (الغين) حالة حسنة واستغفاره شكر كما قال «أفلا أكون عبداً شكوراً» وقيل بتقدير مضافين أي لذنب أهل بيتك*
﴿وللمؤمنين والمؤمنات﴾ أهل بيتك وغيرهم وان قلنا المراد بقوله لذنبك لذنب أهل بيتك فالمراد هنا غيرهم وأمر الله اياه أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات اكرام لأمته وهو الشفيع المجاب.
وقيل المراد كل مؤمن ومؤمنة واذا قلنا الخطاب لامته في المعنى ففي الآية ايجاب الاستغفار والترحم لجملة المؤمنين والمؤمنات عليها .
قال ﷺ «من لم يكن عنده ما يتصدق به فليستغفر للمؤمنين والمؤمنات» وانما حذف المضاف فأعاد اللام اشعار بشدة احتياجهم وكثرة ذنوبهم حتى كأنهم ذنوب ولان ذنبهم غير جنس ذنبه اذا قلنا المراد بقوله لذنبك ذنب نفسه *
﴿والله يعلم متقلبكم ومثواكم﴾ متقلب مصدر ميمي من تقلب والمثوى مصدر ميمي من ثوى أي يعلم تقلبكم في الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها والتقلب التصرف ويعلم صيرورتكم الى الآخرة والثواء الصيرورة والنزول والآخرة يصار اليها وهى دار الاقامة أو هما اسما مكان أو اسما زمان

والاقامة في الجنة أو النار وذلك قول ابن عباس والضحاك .
وروي عنه ان المثوى اقامتكم في قبوركم وآخرتكم.
وقال الطبري وغيره (ومتقلبكم) تقلبكم في أشغالكم بالنهار (ومثواكم) بالليل الى مضاجعكم وقيل (متقلبكم) من الاصلاب الى الارحام (ومثواكم) في الدنيا وقبوركم والمراد الكناية عن علم الله حالكم ولو دق فحقيق أن يتقي ويطلب منه الغفران .
سئل سفيان بن عيينة عن فضل العلم فقال ألم تسمع فاعلم (انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك) فأمر بالعمل بعد العلم (واعلموا انما الحياة الدنيا لعب) الى (سابقوا الى مغفرة من ربكم) واعلموا (انما أموالكم) الى (فاحذروهم) واعلموا (ان ما غنمتم) الخ*
﴿ويقول الذين آمنوا لولا﴾ للتحضيض * ﴿نزلت سورة﴾ في أمر الجهاد وهذا مدح لهم بحرصهم على الجهاد *
﴿فاذا أنزلت سورة﴾ في الجهاد وقرىء (نزلت) بالبناء للفاعل*
﴿محكمة﴾ لانسخ فيها لان القتال نسخ الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ الى يوم القيامة وقيل معناه غير متشابهة لا تحتمل وجهاً الا وجوب القتال .
قال قتادة ومجاهد كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة وهي أشد القرآن على المنافقين وقيل معناه محدثة لانها حين تحدث لا يتناولها النسخ ثم تنسخ بعد أو تبق ويدل له قراءة ابن مسعود (محدثة) .
﴿وذكر فيها القتال﴾ وقرىء بالبناء للفاعل ونصب القتال *
﴿رأيت الذين في قلوبهم مرض﴾ ضعف في الدين *
﴿ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت﴾ تشخص أبصارهم جبناً وهلعاً كما ينظر من أصابته الغشية عند الموت خافوا لقاء العدو أي نظراً مثل نظر المغشي عليه وعليه نائب المغشي من التعليل ويصح كون النائب من الموت وكون (من) للابتداء والمغشي اسم مفعول من غشي الثلاثي أصله (المغشوي) كمضروب أجمعت الواو والياء وسبقت احداهما بسكون الاخرى

فقلبت الواو ياء وأدغمت وقلبت الضمة قبلها كسرة للياء وذلك ذم على خوف القتال وذلك ان المؤمنين كان حرصهم على الدين يبعثهم على تمنى ظهور الاسلام وتمنى قتل العدو فكانوا يأنسون بالوحى ويستوحشون اذا أبطا وضعفاء الايمان على العكس وقيل (المرض) النفاق وقيل (الذين آمنوا) هم الذين في قلوبهم مرض آمنوا بألسنتهم فوضع الظاهر موضع الضمير ذماً لهم باسم المرض *

﴿فأولى لهم﴾ وعيد بمعنى فويل لهم وهو أفعل لكن فيه قلباً من الولاء (وليهم المكروه) وهو القرب دعى عليهم أن يليهم مكروه أو من الدعاء عليهم أن يؤول أمرهم الى ما يكرهون وقيل مأخوذ من الويل قلب (ولي) منه بأفعل وليس دعاء حقيقاً لان فاعل الاشياء الله الا ان أريد أمر النبي ﷺ بالدعاء عليهم وهو مفعول مطلق واللام للتبيين والعامل محذوف وجوباً والاكبر انه أفعل من(الولا)*

﴿طاعة وقول معروف﴾ خبر لمحذوف أي أمرنا طاعة على تقدير القول كما يدل له قراءة أبيّ يقولون طاعة وقدر بعضهم (قالوا) وبعضهم لا يقدر القول ويقدر (أمرهم طاعة) وقيل مبتدأ وسوغ الابتداء به عطف النكرة الموصوفة عليه والوصف مقدراً أي (طاعة معروفة) والخبر محذوف أي خبر لهم وقدر بعضهم (الذي يطلب منكم طاعة) وبه فسر تقدير من قدر (أمرهم طاعة) وقدر أيضاً (طاعتكم طاعة) عرف انها بالقول لا بالفعل وذكر ذلك ابن هشام وقيل (أولى) مبتدأ بمعنى أفضل وطاعة خبره كما يقال الاولى لك أو بك أن تفعل كذا وعلى ما سبق فطاعة بدل من التلفظ بقولك أطعنا للدلالة بالجملة الاسمية على الثبوت *

﴿فاذا عزم الامر﴾ أي جد واسناد العزم للامر مجاز حذف أي أصحاب الامر ومجاز في الاسناد وعاملها اذا محذوف وهو جوابها قدره الثعالبي (ناقضوا وعصوا) ويجوز تقديره فأصدق و قيل هو * ﴿فلو صدقوا الله﴾ في الايمان والطاعة أو فيما زعموا من الحرص على الجهاد على ما مر أي تكلموا معه

بالصدق لكان * ﴿لكان﴾ الصدق * ﴿خيراً لهم﴾ فالعامل النسبة المأخوذة من مجموع الكلام لا (صدقوا) لان شرط (لو) وجوابها لا يتقدم معمولهما على (لو) وقوله فلو صدقوا الخ دليل على ان الذين آمنوا هم الذين في قلوبهم مرض والأية ذم لهم على خوفهم ونقض العهد والامر هو الجهاد*

﴿فهل عسيتم﴾ بكسر السين عند نافع وهو غريب قاله الزمخشري ووجهه مناسبة الياء وقيل لغة يقول أهلها (عَسِيَ) كرضِيَ وأطلت ذلك في النحو وهكذا كلما أقللت فيه الكلام هنا فقد أطلته في النحو والخطاب (للذين في قلوبهم مرض) نقل الكلام من الغيبة للخطاب مبالغة للتوبيخ.

﴿إن توليتم﴾ أمور الناس وتأمرتم عليهم أو توليتم عن الاسلام والحق.

وقرأ يعقوب في رواية رويس بالبناء للمفعول أي تولاكم ظلمة وكذا قرأ علي وقرأ بعض (وليتم) وجواب (ان) محذوف دل عليه (هل عسيتم) *

﴿أن تفسدوا﴾ خبر (عسى) مبالغة أو للتأويل بمفسدين أو ذوي افساد أو (عسى أمركم افساد) أو بدل من التاء اشتمالى وافسادهم لكونهم أمراء أو لتوليهم عن الاسلام وتبع للظلمة على قراءة يعقوب والمراد هل يتوقع منكم الافساد وذلك لان أداة الاستفهام لا تدخل على الانشاء والله لا يستفهم حقيقة ولا يترجى ولكن المعنى انهم لضعفهم في الدين وحرصهم في الدنيا أحقاء بأن يتوقع ذلك من عرف حالهم ويقول لهم (هل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا) أو يفعل الله بكم فعل المختبر *

﴿في الارض وتقطعوا أرحامكم﴾ تناحرا على الولاية وتجاذباً لها أو رجوعاً الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الغارات ومقاتلة الأقارب واهلاك البنات والتشديد للمبالغة وقرىء بفتح التاء والطاء أي تتقطعوا فحذفت احدى التائين قال بعضهم نزلت الآية في بني هاشم وبني أمية وقد استولوا بعد حين وأفسدوا فقال الثعالبي هو بعيد لقوله تعالى *

﴿أولئك الذين لعنهم الله﴾ طردهم عن رحمته ﴿فأصمهم﴾ عن الحق وسماعه * ﴿وأعمى أبصارهم﴾ عن الهدى وذلك لافسادهم وتقطيع

الارحام.

قال ﷺ «لا يدخل الجنة قاطع رحم» وقال «من بسط الله له في رزقه فليصل رحمه» وقال «الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله» وقال «لما خلق الخلق قالت الرحم هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى يارب قال فهو لك» .

قال رسول الله ﷺ «فاقرأوا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم» الخ وفي رواية قال الله [من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته] وقال: قال الله جل وعلا [أنا الرحمن وهى الرحم شققت لها اسماً من اسمي من وصلها وصلته ومن قطعها بتته] .

وقال [الرحم شجنة من الرحمن] أي قرابة مشتبكة وهذا استعارة كما في رواية القوم انه لما خلق الخلق أخذت الرحم بحقو الرحمن والحقو انما هو مشد الازار حاشاه عن ذلك والمراد تعظيمها ولعن الله صباح مساء من أبقى ذلك على ظاهره وكلام (الرحم) انما هو تمثيل وافهام من حال الشيء أو كأن ملكاً يتكلم على لسانها *

﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ قال قتادة: كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله ألم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الارحام وعصوا الرحمن ؟ وتدبروا القرآن تفكر أوامره وزواجره ويكون بحضور القلب بالغذاء الحلال الصرف وتقليله وخلوص النية وأصل التدبير النظر في ادباره وعواقبه * ﴿أم﴾ بمعنى بل وهمزة التقرير * ﴿على قلوب اقفالها﴾ مبتدأ واجب التأخير لاتصال ضميره بالخبر الظرفي وكذا لو كان غير ظرفي .

قاله ابن هشام قلوبهم مقفلة فلا يفهمون أخذوا بالمتشابه فهلكوا والتنكير للابهام أي على قلوب قاسية مبهم أمرها أو لان المراد قلوب بعض واضافة الاقفال لضميرها اشعار بأنها أقفال مناسبة لها مختصة بها لاتجانس الاقفال المعهودة وهي أقفال الكفر التى استغلقت فلا تنفتح .

وقرىء (إقفالها) بكسر الهمزة مصدر (أقفل) وليس ذلك تكليفاً بما لايطاق بأن تلك الاقفال كانت باختيارهم فعلوا أفعالا منعتهم الهدى ، هذا مذهبنا معشر الاباضية وأجاز كثير من القوم تكليف ما لايطاق.

روي أن وفد اليمن وفد على النبي ﷺ وفيهم شاب فقرأ النبي الآية فقال الفتى عليها أقفالها حتى يفتحها الله قال عمر فعظم في عيني فما زال في نفس عمر حتى ولي الخلافة فاستعان به *

﴿ان الذين ارتدوا على أدبارهم﴾ رجعوا القهقرى كفاراً.

قال قتادة: (نزلت في قوم من اليهود وعن بعض عنه انهم كفار أهل الكتاب كفروا به ﷺ من بعد ما عرفوه بنعته في كتابهم).

وقال ابن عباس والضحاك والسدي هم المنافقون آمنوا ثم أشركوا وعن بعض عن ابن عباس أسلموا ثم نافقت قلوبهم والآية تعم كل من في ضمن لفظها *

﴿من بعد ماتبين لهم الهدى﴾ بالنبي والقرآن والمعجزات ﴿الشيطان﴾ بحذف ألف الهدى للساكنين واتصال الدال بالشين وذلك لفظاً لا خطاً ﴿سول لهم﴾ زين القبيح حتى رأوه حسناً أو سهل لهم ركوب العظام واسترخاهم ودلاهم اليها وقيل سولهم رجاءهم قال الزمخشري: واشتقه من السؤال من لاعلم له بالتصريف والاشتقاق جميعاً ووجهه أن السول مهموز قلبت همزته لضم ما قبلها وليس التسويل كذلك وأجيب بقولهم هما يتساولان وقرىء (سول لهم) بالاسم على حذف مضاف أي (ذو سول لهم) أو كيد الشيطان (سول لهم) *

﴿وأملى لهم﴾ مد في عمرهم واسناد الاملاء للشيطان لانه مقدر على لسانه ووسوسته يزين لهم القبيح ويقول في آجالهم فسحة فتمتعوا بدنياكم وتموتون الى غير عذاب والذي مد لهم في عمرهم حقيقة هو الله كذا قيل قلت ليس المراد ان عمرهم أطيلت بل الشيطان يمنيهم بطولها وقرىء (أملى لهم) بالبناء للمفعول والفاعل الشيطان ويكون اسناد الاملاء حقيقة على القراءتين ويجوز

عود الضمير الفاعل لله بمعنى لم يعاجلهم بالعقوبة ويدل له قراءة يعقوب (وأملي لهم) بهمزة المتكلم وواو الحال أو الاستئناف وانما تكون حالية على تقدير المبتدأ أي (وأنا أملي لهم) والنائب على قراءة البناء للمفعول وهي قراءة أبي عمرو وهو لهم ولا يجوز أن يكون ضمير الشأن لانه لابد من تفسيره بجملة* ﴿ذلك﴾ الاضلال أو المذكور من التسويل والاملاء * ﴿بأنهم﴾ أي لانهم*

﴿قالوا للذين كرهوا ما نزل الله﴾ أي اليهود وقالوا للذين كفروا بما نزل الله ومحمد رسوله وهم المنافقون وقيل بالعكس وانه قول المنافقين لقريظة وبني النضير (لئن أخرجتم لنخرجن معكم) وقيل قال أحد الفريقين للمشركين*

﴿سنطيعكم في بعض الأمر﴾ أي في بعض الامور فالامر بمعنى الحال والشيء أو في بعض أوامركم فهو من القول والبعض هو التكذيب بالرسول والتنزيل أو بلا اله الا الله أو ترك القتال معه أو الخروج ان خرجوا أو التظافر على عداوته ﷺ قالوا ذلك سراً فأفشاه الله عليهم والاسرار بفتح الهمزة نقل أو لم ينقل جمع سر .

وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسرها مصدر (أسر).

﴿والله يعلم إسرارهم فكيف﴾ يعملون أو كيف حيلتهم * ﴿اذا توفتهم الملائكة﴾ ملك الموت وأعوانه وقرىء (توفاهم الملائكة) على ان الفعل ماض أو مضارع حذف تاء الماضي وتاء المضارع .

﴿يضربون وجوههم وأدبارهم﴾ حال تصوير لشناعة موتهم تخويفاً *

قال ابن عباس: لا يتوفي أحد على معصية الا يضرب من الملائكة في وجهه ودبره والوجه الرأس والدبر العورة ويحتمل أن المراد بالوجوه ما يقابل منهم وبالادبار ظهرهم وما والاه * ﴿ذلك﴾ التوفي ﴿بأنهم﴾ أي لانهم ﴿اتبعوا ما أسخط الله﴾ وهو الكفر وكتمان أهل الكتاب نعت رسول الله ﷺ*

﴿وكرهوا رضوانه﴾ ما يرضاه من الايمان والجهاد وغيرهما من الطاعات * ﴿فأحبط أعمالهم﴾ لاجل ذلك ولم تكن لله لان تأدية الفرض من جملة اتباع

الهوى اذا ترك الفرض الآخر لا من العمل لله ﴿أم﴾ أي بل ﴿حسب الذين في قلوبهم مرض﴾ أي نفاق * ﴿ان لن يخرج الله أضغانهم﴾ أي لن يظهر الله لرسوله والمؤمنين أحقادهم وقيل الضغن الحقد الشديد وكانت رؤوسهم تغلي حنقاً عليهم وقال ابن عباس (الضغن) الحسد رواه البخاري.

﴿ولو نشاء لأريناكهم﴾ أعلمناك بهم بأعيانهم وأسمائهم بدلائل* ﴿فلعرفتهم﴾ العطف على جواب (لو) ولذا قرن باللام* ﴿بسيماهم﴾ بعلامتهم ولم يعينهم ابقاء عليهم وعلى قرباتهم مثالاً خوفاً منهم وان عرفوا بلحن القول وكانوا في الاشتهار على مراتب كابن أبيّ وغيره وقال ابن عباس وأنس والضحاك عرفه بهم في قوله (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً) وقوله (قل لن تخرجوا معى أبداً ولن تقاتلوا معى عدواً) قال أنس ما خفي على رسول الله ﷺ شيء من المنافقين بعد قوله (فلعرفتهم بسيماهم) وكان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكرهم الناس فناموا ذات ليلة فأصبحوا وعلى جبهة كل واحد مكتوباً هذا منافق وعليه فالمشيئة بمعنى التعريف لانها سببه * ﴿ولتعرفنهم﴾ جواب قسم مقدر بدليل النون* ﴿في لحن القول﴾ امالته الى أسلوب التعريض بما فيه تهجين أمر المسلمين فيفطن به قال:

ولقد لحنت لكيما تفقهوا ... واللحن يعرفه ذوو الألباب

والخطأ في الكلام لحن لانه عدول عن الصواب وقال ابن عباس لحن القول منحاه وأسلوبه وانه هو قولهم (ما لنا ان أطعنا من الثواب) ولا يقولون (ما علينا ان عصينا من العقاب) ويطلق اللحن كما رأيت على التورية وعلى الفطنة وعلى الخطأ في الاعراب أو الحروف وقيل في الاعراب واما في الحروف فتصحيف واحتج بالآية من أوجب الحد في التعريض بالقذف وقيل (لحن القول عللهم) الكاذبة وما يعتذرون به في الغزو من الباطل وفيما يتكلمون به أو يفعلونه (يحلفون بالله ان أردنا الا احساناً).

﴿والله يعلم أعمالكم﴾ كناية عن المجازاة عليها واشعاراً بأنه يعلم العلانية والسر فيجازيهم علي نياتهم والخطاب للمؤمن والكافر*

﴿ولنبلونكم﴾ بالأمر بالجهاد والتكاليف الشاقة أي نعاملكم معاملة المختبر لانه لا يخفي عنه شيء *

﴿حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾ على المشاق والمراد حتى يظهر في الوجود جهادكم وصبركم وعدمهما وهو سبب العلم فعبر بالعلم وليس المراد لا يعلم الشيء حتى يقع خلافاً لمن كفر.

وعن الفضيل بن عياض : (انه اذا قرأها بكى فقال اللهم لا تبلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا وعذبتنا)

وكان شريح يقول : (اللهم اني أسألك الجنة بلا عمل عملته وأعوذ بك من النار بلا ذنب تركته) يعني انه مقصر.

ودعت أعرابية عند البيت وقالت : الهي لك أذل وعليك أدل وكان بعض الصالحين يقول اللهم ان كنا عصيناك فقد تركنا من معاصيك أبغضها اليك وهو الاشراك وان كنا قصرنا عن بعض طاعتك فقد تمسكنا بأحبها اليك وهو شهادة أن لا اله الا أنت وان رسلك جاءت بالحق من عندك.

ومن دعاء سلام ابن مطيع : اللهم ان كنت قد بلغت أحداً من عبادك الصالحين درجة ببلاء فبلغنيها بالعافية .

وقيل لفتح الموصلى ادع الله لنا فقال اللهم هنيئاً عطاؤك ولا تكشف عنا غطاءك.

ومن دعاء بعض السلف: اللهم لا تحرمني خير ما عندك لشر ما عندي فان لم تقبل تعبي ونصبي فلا تحرمني أجر المصاب على مصيبته اللهم لاتكلنا الى أنفسنا ولا الى الناس فنضيع *

﴿ونبلو أخباركم﴾ ما يصح أن يخبر به عنكم من طاعة وعصيان في الجهاد وغيره أي يظهرها .

وقرأ ابن كثير (يبلونكم) و (يعلم) و (يبلو) بالمثناة تحت ليوافق ما قبلها.

وقرأ يعقوب باسكان (واو نبلو) للاستئناف بلا تقدير مبتدأ أو على تقديره أي ونحن نبلو*

﴿ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول﴾ أي خالفوه

وعادوه * ﴿من بعد ما تبين لهم الهدى﴾ المراد عند بعضهم كل كافر .
وقالت فرقة : المراد بنو اسرائيل وقيل في قريظة والنضير وقالت فرقة في قوم من المنافقين وقال ابن عباس في المطعمين يوم بدر*
﴿لن يضروا الله شيئاً﴾ أي ضر ما بل يضرون أنفسهم* ﴿وسيحبط أعمالهم﴾ التى يرجون بها الثواب لكفرهم برسول الله ﷺ أو المكائد التى نصبوها له فلا يصلونها بل تكون عليهم وقد قتل قريظة والنضير وأخرجوا وكذا غيرهم *
﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم﴾ بالكبائر كالشرك والنفاق والعجب والرياء والمن والأذى . قاله الحسن وكذا روي عن ابن عباس وزعموا عن الحسنات الاعمال تبطل بالصغائر وليس بصحيح نعم بالاصرار والاصرار كبيرة وقال عطاء المعنى لا تبطلوها بالشك والنفاق وقيل بترك طاعة رسول الله ﷺ كما أبطلها أهل الكتاب بتكذيبه وقال الكلبي: بالرياء والسمعة وكذا عن ابن عباس وكان رجل على عهده ﷺ يصوم ويصلى وكان في لسانه شيء من نحو غيبة أو نميمة أو لمز أو غير ذلك فقال له يافلان انك تبني وتهدم وقيل نزلت في بني أسد أسلموا وقالوا للنبي ﷺ نحن آثرناك على كل شيء وجئناك بأنفسنا وأهلينا أي لا تبطلوها بالمن وقيل لا تبطلوها بطلب الأعواض من ربكم فان الخالص مالم يطلب فيه عوض .
وعن أبى العاليه كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون أنه لا يضر مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت الآية فخافوا الكبائر على أعمالهم.
وقال حذيفة : فخافوا أن تحبط بالكبائر وعن قتادة ؛ رحم الله عبداً لم يحبط عمله الصالح بعمله السيء وفي الآية وما تلوناه عليك دليل على ابطال الطاعات بالكبائر ودلائل ذلك أعظم من أن تحصى وأما قوله (ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) فمعناه أن يلقى الله به غير مفسد له وكذا (من يعمل مثقال ذرة شراً يره) معناه أن يأتي به الى الله غير تائب فكأنه قال (من

يعمل) من السعداء (مثقال ذرة خيراً يره) (ومن يعمل) من أهل الشقاء (مثقال ذرة شراً يره) لقوله قبل أن (يصدر الناس أشتاتاً) وأما (وان تك حسنة يضاعفها) فالمراد به السعيد والسعيد انما يموت تائباً والموت على الكبيرة نقض لما سبق من الطاعات ولا يخفي أنه تعالى عدل في ذلك ويدل لذلك أيضاً انه لا يجمع الكفر والمعاصي مع الايمان والطاعات في شخص لانه غير ممكن جمع أمرين وجود بين متخالفين غاية في شيء ولا يكون أحد مصدقاً منكراً في الله ورسوله ممتثلاً غير منته وليس التصديق مثلاً اسما للتصديق بهذا هذا وهكذا ويدل له أيضاً آيات الابطال في القرآن فان الاصل حملها على ظهرها وقوله ﷺ «الزنى يحبط العمل كما يحبطه الشرك» وقوله «يجيء أقوام يوم القيامة لهم من الحسنات» الخ وقل عائشة (أبلغوا زيدا عنى أنه أبطل حجه وغزوه وجهاده مع رسول الله ﷺ) الخ في قضية شرائه جارية من سريته بثمانمائة درهم الى العطاء وبيعه اياها لها بستمائة نقداً الى غير ذلك من أحاديث وأخبار والتحقيق ان السعيد يثاب على حسناته كلها لانه لا يموت الا تائباً عما يفسدها فيرجع مفسداتها حسنات والشقي يعاقب بسيئاته كباراً وصغاراً لانه يموت غير تائب وقيل ينظر يوم يموت المكلف ما هو الاكثر أحسناته أم سيئاته فيجازى به وقيل كلما عمل حسنة محتها السيئة بعدها .

قال ابن محبوب ويرد له ثوابها ان تاب وفي الآية دليل على انه لا يجوز ابطال النوافل من الصلاة والنافلة بعد الدخول وقد رأى بعضهم ان قطع النافلة لشيء مشتهي من الشهوة الخفية ولولا وجوب النافلة للدخول فيها لما أمر ﷺ عائشة وحفصة بقضاء يوم أصبحتا فيه صائمتين وأفطرتا ولما أمر عائشة ببدله حين أفطرت بعذر الجوع .

وأما قوله ﷺ لعائشة قربي الحيس فلقد أصبحت صائماً فالفاء فيه للتعليل والصوم لغوي أي قربيه لاني قد أمسكت عن الطعام فجعت .

وأما ما يذكره البخاري من أنه أصبح صائماً فليس من الحديث بل فهم منه وأما ذكر من أن أبا الدرداء زاره سلمان فقرب اليه طعاماً فقال كل اني

صايم فقال سلمان لا حتى تأكل فأكل معه فلعله قد بيت نية الافطار ان عرض له عارض أو لأن الافطار موافقة للمسلمين ليس ابطالاً للعمل لانه لا يكتب له أجر صومه وأجر الموافقة ولاسيما مسلم هو النبي وسور هو سوره ولذا قال لأم هانيء وان شئت فلا تقضيه حين دخل عليها بلبن فشرب فناولها فشربت وهي صائمة كراهة أن ترد سوره ﷺ وقال من قال يجب قضاء نافلة أفسدت لغير عذر وقيل ولو لعذر وخص بعض الشهوة الخفية بالفرض وبعض بالمحرم *

﴿إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم﴾ عامة في كل كافر صد أي أعرض أو صد غيره وعلى الاخير فليس صده غيره شرطاً بل لا يغفر لكافر مات على الكفر ولو لم يصد غيره وذكره لبيان الواقع وهو انهم يصدون غيرهم أو لتعظيم هذه الصورة أو لان اصرار الكافر داع الى الكفر وقيل في أصحاب القليب والظاهر الاول سلمناه فيهم ولكن العبرة بعموم اللفظ ويغفر لمن مات تائباً وقيل انه نزلت بسبب ان عدي بن حاتم الطائي قال يا رسول الله ان حاتماً كانت له أفعال بر فما حاله فقال النبي ﷺ هو في النار فبكى عدي وولي فدعاه النبي ﷺ فقال له أبى وأبوك وأبو ابراهيم خليل الرحمن في النار *

﴿فلا تهنوا وتدعو الى السلم﴾ الوهن الضعف والسلم والصلح والواو للعطف فتدعو مجزوم أو للجمع فمنصوب بأن مضمرة في جواب النهى فالمعنى على الاول ولا تدعوا وعلى الثاني لا يكن منكم وهن ودعاء .

قال قتادة: لاتكونوا أول الطائفتين ضرعت للاخرى ولا تبدأوهم بالصلح وحاربوهم حتى يسلموا وقريء (تدعو) بتشديد الدال افتعل من دعا يدعو بمعنى التداعى أو بمعنى دعا.

وقرأ أبو بكر وحمزة بكسر السين ﴿وأنتم الاعلون﴾ حال مخرجة لما اذا لم يكونوا الاعلين فيجوز لهم الصلح أو هو اخبار بمغيب انهم يعليهم الله ويغلبهم عليهم فهي مستأنفة ويجوز مع هذا كونها حالا فلهم الغلبة وان

غلبوا في بعض الاوقات وعلى كل حال فالآية تفيد جواز مصالحة المشركين اما على كون الجملة حالاً فواضح لانها قيل وأما على كونها مستأنفة فلاهم في نفس الامر حين نهوا من الدعاء للصلح أعلى وكذا قوله تعالى (فان جنحوا للسلم فاجنح لها) فان لفظها عام كل صلح بمال أو غيره .

قال أبو اسحاق الحضرمي رحمه الله ما نصه: وقالوا أيضاً يجوز للامام مصالحة عدوه بمال اذا كان في حال الضعف عن قتاله حذراً أن يستولي عدوه على ملكه من غير أن يكون الصلح على اظهار شيء من دعوة الكفر وتشريعه في دار الاسلام وعلى المسلمين الوفاء بذلك الى المدة ما لم ينقض أهل الكفر العهد وليست المدة شرطاً لان العلة في جواز ذلك ضعف المسلمين فاذا وقع الصلح بلا مدة فاذا قووا واخرجوا من الصلح وأعلموا المشركين .

وقال ابن بركة أيضاً ويدل على ان للامام وللمسلمين أن يصالحوا عدوهم عند الضعف والعجز عن محاربته والحذر عن أن يستولوا على مملكته بعد قتله أصحابه قوله تعالى (ولاتهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون) فمنعهم عن مصالحة عدوهم على هذه الشريطة اذا كانوا هم الأعلون ففي هذا دليل على ان عدم الشريطة وهي الاستظهار على عدوهم يوجب جواز ما يوجبه المنع من مصالحته وقد أخبرني بعض شيوخنا ان أصحابنا من أهل عمان كانوا يحملون الى بني عمارة في كل عام مالاً ليدفعوا به شرهم عن أنفسهم والله أعلم الخ.

ومعنى قوله بعد قتله أصحابه ان له أن يحذر أن يقتل العدو أصحابه ويستولي على ملكه وليس المراد انه لا يصالح العدو حتى يقتل العدو أصحاب الامام وقال أيضاً أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي المالكي الأندلسي في كتابه المسمى بكتاب قوانين الأحكام الشرعية ويجوز الصلح مع المشركين لمصلحة كالعجز عن القتال مطلقاً أو في وقت خاص فيجوز بعوض وبغير عوض على ما يكون اسداداً للمسلمين .

والاصل (الأعلوون) بواوين حذفت ضمة الاولى لثقلها فحذفت الواو للساكنين وبقيت اللام على الفتح أو قلبت الفاء لتحركها بعد فتح فحذفت الألف وان كان بعد الواو الأولى ساكن أو أدخل واو الجمع على المفرد بألفه حذف الألف ﴿والله معكم﴾ بالحفظ والنصر والغائب من معه الله وزعم بعض ان الآية منسوخة بقوله (فان جنحوا للسلم فاجنح لها) وليس بشيء لاختلاف معنييها * ﴿ولن يتركم أعمالكم﴾ أي لن يحرمكم ثواب أعمالكم ويفردكم عنها بأن يضيعها فتبقوا بدونها يقال وترت الرجل أي قتلت أخاه وابنه أو صاحبه وغيرهما أي أفردته عنه وجعلته وتراً.

وفي الحديث «من فاته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله» أي أفرد عنهما قتلاً ونهباً وقيل لن ينقصكم من ثوابكم ﴿انما الحياة الدنيا﴾ أى الاغترار بها ﴿لعب ولهو﴾ لا ثبات لها وقيل أهل الدنيا وهم المشركون أهل لعب ولهو أو هم لعب ولهو مبالغة فكيف تمنع عن الآخرة واللعب ما ليس فيه منفعة في الحال ولا في المال وان شغل عن المهمات حتى نسيت فذلك لهو وذلك ذم للدنيا *

﴿وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم﴾ في الآخرة * ﴿أجوركم﴾ على ايمانكم وتقواكم* ﴿ولايسألكم أموالكم﴾ جميعها وانما يسألكم قدر الزكاة يكون في فقرائكم لا حاجة فيه لله أو لرسوله يطيبوا نفساً باخراجه.

قال سفيان بن عيينة والضمير لله أو لرسوله وقيل (لايسألكم من أموالكم) بل يسألكم الطاعة قيل ويدل الاول قوله * ﴿إن يسألكموها فيحفكم﴾ عطف * ﴿تبخلوا﴾ جواب والاخفاء أشد السؤال وهو الذي يستخرج ما عند السؤال كرها وقيل الاجهاد بطلب الكل أحفي شاربه استأصله وعليه الثعلبي * ﴿ويخرج﴾ الله أو رسوله والبخل لانه سبب الاضغان ويدل للاول قراءة ابن يعقوب (ونخرج أضغانكم) بالنون ﴿أضغانكم﴾ أي يظهرها أو يوجدها تكرهون دنيا يذهب بأموالكم أو الاضغان معتقدات السوء والاحقاد والبغض يخاف رسول الله أن تعترى المسلمين أو أن تظهر من المنافقين ويستعملوها وقرىء (يخرج أضغانكم)

باليا والتاء المفتوحتين ورفع الأضغان *

﴿هأنتم هؤلاء﴾ قال ابن هشام تدخل هاء التنبيه على الضمير المخبر عنه بالاشارة نحو(هأنتم أولاء) وقيل انها كانت داخلة على الاشارة فقدمت فرد بنحو (هأنتم هؤلاء) فأجيب بأنها أعيدت تأكيداً وبسطته في النحو وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبر أي أنتم مخاطبون هؤلاء المصوفين وقوله * ﴿تدعون﴾ استئناف بيان لوصفهم أو هؤلاء منادي وتدعون خبر أو موصول على مذهب الكوفيين وجملة تدعون صلة له وهو خبر ﴿لتنفقوا في سبيل الله﴾ ما فرض عليكم من الزكاة تؤدونه الى أهله قال بعض زمثلها من وجوه البر وقيل النفقة في الجهاد وقيل الكل ﴿فمنكم من يبخل﴾ بما فرض عليه *

﴿ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه﴾ أي لتضمين معنى التعدى بالثواب وعن للمجاوزة .

وقال ابن هشام للاستعلاء والظاهر هو الاول لانه الاصل والمعنى يبعد الخير عن نفسه بالبخل * ﴿والله الغني﴾ عن صدقاتكم * ﴿وأنتم الفقراء﴾ اليه والى ثوابها من عنده وفي الحديث وغيره ان طعام الشحيح داء وان الشح أهلك من كان قبلكم وانه حملهم على السفك والقطع والظلم والكذب والزنا تباعدت رجال عن نسائهم ليعتذروا للضيف بعدم النساء ويعتذرن بعدمهم فتناكح الرجال وتناكحت النساء وان الله أمر الجنة أن تتزين وتظهر زينتها وحلف بعزته لا يدخلها بخيل وإنه لا داء أدوى من البخل وشر ما في الرجل شح هالع وان البخيل لا يكون شهيداً . وكان ﷺ غاية في السخاء وأبى الله له البخل.

والسخاء في صورة رجل رأسه في أصل شجرة طوبى وأدلى بعض أغصانها الى الدنيا فمن تعلق بها دخل الجنة وأغصانها مشتبكة بأغصان سدرة المنتهى*

وفي رواية السخاء شجرة مغروسة في الجنة أدلى بعض أغصانها في الدنيا من تعلق بها دخلها والبخل عكسه في النار *

وشجرة الزقوم أصل له أو شجرة غرست فيها وأدلى بعض أغصانها ولا يدخل الجنة الا سخي ولا النار الا بخيل والله يبغض البخيل في الحياة السخي عند الموت والسخي الجهول أحب اليه من العابد البخيل ولا يجتمع البخيل والايمان في قلب ولا أظلم من البخيل وذنب البخل أعظم من العرش والبخيل يكب في النار ولو صلى ألف ألف عام وأجرى الانهار من الدموع والبخل كفر وكل صباح يدعو ملكان اللهم عجل للممسك تلفاً وللمنفق خلفاً وقيل كل مساء .

والسخي قريب من الله والجنة والناس والبخيل بعيد عنهم وأحب الناس الى ابليس الذي آمن وبخل وأبغضهم الفاسق السخي ولن يصلح الدين الا السخاء وخلقان يبغضهم الله البخل وسوء الخلق وكل ما عثر السخي أخذ الله بيده فتجافوا عن ذنبه يا عباد الله ويباهى بمطعم الطعام الملائكة ولا يسأله ﷺ مسلم الا أعطاه وأمره الله بقتل رجال أسرهم الا رجلاً سخياً ومن شح تعرض للزوال وقال لموسى لا تقتل السامري فانه سخي * ﴿وان تتولوا﴾ عن طاعة الله ورسوله ﷺ *

﴿يستبدل قوماً غيركم﴾ بخلقهم ويجعلهم بدلكم والخطاب لجميع الناس عند طائفة والقوم سلمان وقومه .

بينما سلمان الى جانبه ﷺ فسئل عن القوم فقال سلمان وقومه: والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطاً بالثريا لتناوله رجال من فارس وضرب بفخذ سلمان وقال الكلبي كندة والنخع من عرب اليمن وقال الحسن والعجم وقال عكرمة فارس والروم وقيل الأنصار وقيل الملائكة قيل ولولا الحديث لاحتمل أن يراد الخلف بعد ذهاب السلف * ﴿ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ في التولي بل يرغبون في الطاعة صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم اللهم بركته وبركة السورة اخز النصارى واكسر شوكتهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم وصل اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم قدر ما يرضيك *


بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الفتح

﴿ ســـــورة الفتح ﴾

مدنية باجماع لنزولها في مرجعه صلى الله عليه وسلم من الحديبية عن مكة وآيها تسع وعشرون قيل وكلمها ستمائة واثنتان وعشرون كلمة وحروفها ألفان وأربعمائة فانظر هذه والتي قبلها وفي الحديث «من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد فتح مكة مع محمد ﷺ» وسأله عمر في سفر الحديبية بعد الرجوع عن شيء ثلاث مرات ولم يجبه وخاف نزول القرآن فيه فتقدم الناس فسمع مناديا له فرجع اليه وسلم فقال له «لقد أنزلت علي الليلة سورة أحب اليّ مما طلعت عليه الشمس».

وعن أنس نزل ﴿انا فتحنا﴾ .... الى ﴿عظيما﴾ في مرجعه من الحديبية وقد خالطهم ونحن بالحديبية وقال لقد أنزلت عليّ آية أحب من الدنيا جميعا وروى ﴿انا فتحنا لك فتحا مبينا﴾ وفي رواية ﴿انا فتحنا﴾ ..الى ﴿ما تأخر﴾ وقال أحب الى مما على الأرض قال عكرمة هنيئا مريئا هذا الغفران لك فما لنا فنزل ﴿ليدخل المؤمنين﴾ ...الى ﴿الانهار﴾ وقيل الى ﴿عظيما﴾ ومن قرأها عند رؤية هلال رمضان في أول ليلة وسع رزقه في العام ومن علقها في وقت قتال أو خصومة أو خوف أمن من ذلك وفتح عليه وقراءتها تؤمن من الغرق ومن كتب الى (وكان الله عليما حكيما) وهو ظاهر في جلد غزال بزعفران ومسك وماء ورد وجعل ذلك في قلنسوته رزق القبول والخضوع ولا يلبسها الا طاهرا وينفع ذلك لكل أمر لا يطاق والنصر والهيبة والرغم والزجر ومن نقش ذلك في دائرة نحاس اصفر في الساعة الأولى أو الثامنة والقمر في الثور والزق الدائرة في وسط الترس أو الدرقة نصر.

بســم الله الرحمن الرحيـم

﴿ انا فتحنا لك فتحاً مبينا﴾ هو فتح مكة عند أنس في رواية قتادة وعـده به وعبر بالماضي لتحقق الوقوع وفيه مالا يخفى من عظمـة المخبر و (الفتـح) الظفر بالبلد عنوة أو صلحاً بحرب أو بغيرها لأنه متعلق ما لم يظفر به فـاذا ظفر به وحصل في اليد فقد فتح وكأنه قال سنفتح لك أو المراد قـضينـا لك بفتح مكة وقيل بفتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديـد ولكن تـرمى بسهـام وحجارة وأدخلوا المشركين ديارهم وظهروا عليهم حتى سألو الصلح وهو قول الجمهور وهو الصحيح عند بعض وهو مروي عن أنس وإنما كان فتحاً وقد أحصروا ونحروا وحلقوا بالحديبية لأن هذا بالحديبية قبل الهدنة فلما طلبـوهـا وتمت كـانت فتحـا والفتـح فتـح المستصعب وكـان الصلـح مـع المشركين مستصعبا يوم الحديبية متعذرا سهله الله وعليه الشعبي أيضا قال أصاب فيها ما لم يصب في غيرها بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم وما تأخر وظهرت الروم وهم أهل كتاب على فارس وهم مجوس وفرح المؤمنون وقد عرف كونـه فتحا لرسول الله ﷺ في سورة عليين وتسبب لصلـح مكـة وفـرغ بـه لسـائر العرب وفتـح مـواضـع ودخـل في الاسـلام خلق عظيم وبلـغ الهـدي محلـه واطعموا نخيل خيبر وعليه الزهري أيضا قال لم يكن فتـح أعظم من صلـح الحديبية اختلط المشركون بالمسلمين فدخل الاسلام قلوبهم فدخل في ثـلاث سنين في الاسلام خلق كثير فعز الاسلام وعليه البراء أيضا قال تعدون الفتح فتح مكة ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان كنا أربع عشرة مائة وكانت له فيها آية عظيمة وذلك أن الحديبية بئر نفد ماؤها أو قل في ذلك الموضع بـل روي أنه لا قطرة فيها فتمضمض ﷺ عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بـالمـاء حتى شرب جميع من كان معه وقيل ارتفع الماء حتى امتلأت ولم ينفد مـاؤهـا بعـد وروي أنه جلس على شفيرها فدعا باناء فتوضأ ومضمض ودعا وصبـه فيهـا فتركها غير بعيد ثم صدرتهم ومواشيهم وركابهم وقال ابن اسحاق لما بلغ ثنية المرار بركت ناقته فقال الناس خلات القصوى فقال ﷺ «ما خلات وما هو

لها يخلق ولكن حبسها حابس الفيل والذي نفسي بيده لا تدعوني قريش اليوم الى خطة يسألون فيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها» ثم قال للناس انزلو فقالوا يا رسول الله ما بالوادي من ماء ينزل عليه فأخرج سهما من كنانته فأعطاه رجلا من أصحابه اسمه ناجية بن عمرو وهو قائد بدنه فنزل في قليب من تلك القلب فغرزه فيه فجاش بالرواء حتى ضرب الناس عنه بعطن ودخل في الاسلام في الستين أكثر مما دخل قبل وقد وافى الحديبية باربع عشرة مائة وفتح مكة بعده بستين في عشرة آلاف وقيل الحديبية شجرة حدباء هناك وأقبل ﷺ من الحديبية فقال رجل من أصحابه ما هذا الفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا فبلغ النبي ﷺ فقال «ليس الكلام هذا بل هو أعظم الفتوح وقد رأوا منكم ما كرهوا ورغبوا في الصلح» وعليه جابر بن عبد الله أيضا وقال مجاهد فتح خيبر وقيل فتح الروم وفارس وسائر بلاد الاسلام التي يفتحها الله له بالاسلام والدعوة والسيف ولا فتح أعظم منه وأبين وهو رأس الفتوح وكل فتح متشعب منه وقال قتادة قضينا لك على أهل مكة قضاءً بينا ان تدخلها أنت وأصحابك من قابل تطوف بالبيت*

﴿ليغفر لك الله﴾ علته للفتح من حيث أنه مسبب من جهاد الكفار والسعي في اعلاء الدين وتكميل النفوس الناقصة قهراً ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفاء من أيدي الظلمة فالفتح من حيث أنه جهاد سبب للغفران والثواب أو علة بالنسبة للتعدد أي لنجمع لك بين الغفران واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز وذلك خير عاجل وآجل وزعموا عن الحسن أنه عائد الى (واستغفر لذنبك وللمؤمنين) وعن ابن جرير الى (واستغفره انه كان توابا) فان أراد التعليق فبعيد والثاني بعد وان أراد تقدير استغفر وقيل لما كان هذا الفتح سببا لدخول مكة والطواف بالبيت كان سببا للمغفرة وان شئت فاللام للعلة الغائية وهي لام الصيرورة كما بدا لك فان مدخولها مسبب لاسبب وقيل لام القسم كسرت حملا على لام العلة والفتح دليل نون التوكيد ورد بعدم سماع ذلك وأجاز أبو الحسن الاخفش أن

يتلقى القسم بلام كي* ﴿ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ هو ما يصح ان يعاقب عليه وليس بمعصية والمتقدم ما قبل النبوة والمتأخر ما بعدها ومن أجاز الصغائر على الأنبياء قال هي ذنبه قال مقاتل ما في الجاهلية وما بعدها وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تأخر من امرأة زيد وقال عطاء الخراساني ما تقدم من ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك وما تأخر من ذنب أمتك بدعائك وقال سفيان الثوري ما تقدم من ذنبك قبل النبوة وما تأخر مما لم تعلمه وهذا تأكيد كقولك اضرب من تراه ومن لا تراه وكانه قيل ما وقع من ذنبك وما لم يقع فهو مغفور وقيل ما كان سهوا وغفلة وحسنات الابرار سيئات المقربين وزعم هبة الله بن سلامة البغدادي أن الآية ناسخة لقوله تعالى ﴿قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾ * ﴿ويتم نعمته عليك﴾ بأن يعلي دينك ويضم لك الملك الى نبوتك قيل ويرضى عنك في الآخرة* ﴿ويهديك صراطا مستقيما﴾ في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرئاسة والهداية بك الى الصراط المستقيم وهو الاسلام وقيل يثبتك عليه* ﴿وينصرك الله نصرا عزيزا﴾ لا ذل فيه واسناد العز للنصر مجاز مبالغة وحقيقته للمنصور وقيل عزيزا هنا مصدر فيقدر مضاف أي ذا عزة وقيل يقدر مضاف وعزيز وصف أي عزيز صاحبه وقيل عزيز معناه قليل النظر نفيس فلا مجاز ولا تقدير ﴿هو الذي أنزل السكينة﴾ الطمأنينة والثبات من السكون كالبهتة للبهتان قال ابن عباس كل سكينة في القرآن طمأنينة الا التي في البقرة ولزم من السكينة ثبات الأقدام في الحرب وقيل أنزلها بسبب الصلح والأمن ليعرفوا فضل الله عليهم بتيسير الأمن بعد الخوف والهدنة عقب القتال ﴿في قلوب المؤمنين﴾ فثبتوا حيث زل غيرهم أول ما كشف الله للمؤمن المعرفة ثم الوسيلة ثم السكينة ثم البصيرة ﴿ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم﴾ قال الضحاك يقينا مع يقينهم وايمانا بما يشرع مقرونا الى ايمانهم وهو التوحيد يؤمنون بكل ما نزل ويعملون به قال ابن عباس أول ما آتاهم به النبي ﷺ التوحيد فلما آمنوا أنزل الصلاة ثم الزكاة ثم الصوم ثم الحج ثم

الجهاد وقال الكلبي ذلك في أمر الحديبية حين صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل ليتراحموا فيزداد ايمانهم* ﴿ولله جنود السموات والارض﴾ فلو أراد نصر دينكم بغيركم لفعل ولكن أنزل السكينة عليكم ليكون هلاك عدوكم على أيديكم فلكم الثواب ولهم العقاب وهو قادر أن يهلكهم بصيحة أو رجفة أو صاعقة أو نحو ذلك من الجنود فيسلط بعضاً على بعض تارة ويوقع السلم أخرى على ما تقتضيه الحكمة وقد اقتضت أن سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم الفتح وقضى ذلك ليشكروا فيثابوا وليكره الكفار فيعاقبوا؛ (وجنود السموات والأرض) قيل الملائكة وقيل جنود السموات الملائكة وجنود الأرض جميع الحيوانات وقيل جنود السموات الصاعقة والصيحة والماء والريح والحجارة وجنود الأرض الزلازل والخسف والبحر ونحو ذلك وقيل جنود السموات الملائكة والصاعقة وما معها وجنود الأرض الحيوان والزلازل وما معها وقيل جنود السماء الملائكة والانبياء وجنود الأرض الأولياء وقيل جنود السماء القلوب وجنود الأرض النفوس وما سلط عليك فهو من جنوده فان سلط عليك نفسك أهلكك بها وان سلط عليك جوارحك أهلكك بها وان سلط نفس على قلبك قادتك الى متابعة الهوى وان سلط قلبك على جوارحك ألزمها بالادب وألزمها العبادة وزينها بالاخلاص* ﴿وكان الله عليما﴾ بخلقه ومصالحهم * ﴿حكيما﴾ في صنعه وتدبيره وقيل عليما بجنوده وقيل عليما بما في قلوبكم حكيما حيث نصركم* ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ متعلق بمحذوف أي دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا النعم ويشكروا فيدخلهم جنات ويعذب المشركين والمنافقين بما غاظهم من ذلك أو أمره بالجهاد (ليدخل المؤمنين) الخ.. أو (فتحنا) ليدخل أو (يزدادوا) ليدخل الخ قيل أو جميع ذلك أو بدل اشتمال من ليزدادوا نزل (ما أدري ما يفعل بي ولا بكم) فقال الكفار كيف نتبع من لا يدري ما يفعل به ولا بالناس فنزل ﴿ليغفر لك الله ما تقدم﴾ فقال المؤمنون هنيئا لك فما لنا فنزل ﴿ليدخل المؤمنين﴾ فعرفه حال

المؤمنين وحال الكفار وذكر النقاش أن رجلا من عكل قال هذا ما لرسول الله ﷺ فما لنا فقال ﷺ «هي لي ولأمتي كهاتين وجمع بين أصبعيه» ﴿ويكفر عنهم سيئاتهم﴾ عطف سابق علي لاحق لأن تكفيرها قبل الادخال ونكتته أن التفكير من توابع كون المكلف من أهل الجنة فقدم الادخال بمعنى أنهم من أهل الجنة وتكفير السيئات تغطيتها أي محوها وعدم المؤاخذة بها* ﴿وكان ذلك﴾ المذكور من الادخال والتكفير * ﴿عند الله فوزا عظيما﴾ لأنه منتهى ما يطلب من جلب نفع أو دفع ضر و (عند) متعلق بكان لأن صحيح جواز التعليق بالفعل الناقص والمعنى صحيح أو بمحذوف حال من (فوزا) ﴿ويعذب المنافقين﴾ الموحدين أهل الكبائر* ﴿والمنافقات والمشركين والمشركات﴾ (يعذب) معطوف على (يدخل) وان جعلنا (ليدخل) بدلا من (ليزدادوا) فيعذب معطوف على يزدادوا قيل المراد (المنافقون والمنافقات) من أهل المدينة والمشركين من أهل مكة وقدم المنافقين والمنافقات لأن شرهم أعظم لأنه لا يحترز عنه ولا يجاهدونه* ﴿الظانين بالله ظن السوء﴾ أن لا ينصر نبيه ومن معه ويردهم الى مكة والسوء مصدر بمعنى (الرداءة) وهو مراد وقيل بمعنى اسم الفاعل أي الأمر السوء ومثله السوء بضم السين وهما لغتان والفتح قراءة غير ابن كثير وابي عمرو وغالب المفتوح ان يضاف الى ما يراد ذمه والمضموم جار مجرى الشر ضد الخير وقيل ظن المنافقين ما ذكر وظن المشركين أن لا بعث ولا ثواب ولا عقاب وقيل المنافقون والمشركون يصفون الله بغير صفاته* ﴿عليهم دائرة السوء﴾ بالضم والفتح كما رأى دائرة العذاب والهلاك أي القطعة من العذاب* وقيل الدائرة مصدر والسوء عبارةعن رداءة الشيء وفساده والصدق عن جودته وصلاحه فقيل في المرضى فعل صدق وفي المسخوط فعل سوء والدائرة دائرة سوء عندهم لأنهم يسخطونها ودائرة صدق عند المؤمنين وأضيف الظن للسوء بالضم لأنه مذموم والدائرة ولو محمودة عند المؤمنين مسخوطة عند الكافرين فصح الفتح وكان على الغالب وانما قيل للاقدار والحوادث دائرة لدورانها بدوران الزمان*

﴿وغضب الله عليهم﴾ زيادة في الهلاك والعذاب كما أن رضاه زيادة رحمة للسعيد* ﴿ولعنهم﴾ أبعدهم عن رحمته * ﴿وأعد لهم جهنم﴾ هيأها لهم ودائرة السوء والغضب واللعن في الآخرة والاعداد في الآخرة ، والأصل عطف (لعن) (واعد) بالفاء لأن اللعن سبب الأعداد والغضب سبب اللعن ولكن عطف بالواو لاستغلال الكل في الوعيد بلا اعتبار السببية ﴿وساءت﴾ جهنم * ﴿مصيرا﴾ أي مرجعا * ﴿ولله جنود السموات والارض﴾ كرر ليدل بالأول على أن جنود الرحمة مع المؤمنين إذ ذكرهم معهم فالملائكة معهم دنيا وأخرى يلهمونهم ويثبتونهم دنيا وأخرى ويخدمونهم . . الخ ولما ذكر غير المؤمنين ذكر الجنود ليدل أنهم عليهم جنود الغضب ولا يفارقونهم دنيا وأخرى أما في الدنيا فالشياطين وأما في الآخرة فالملائكة وختم آية المؤمنين بـ (كان الله عليما حكيما) لأن من جنود السموات والارض من هو للرحمة ومن هو للغضب وعلم الله ضعف المؤمنين وختم آية الكفار بقوله ﴿وكان الله عزيزا حكيما﴾ مبالغة في وصف عذابهم أي عزيزا في ملكه ونقمته منهم * ﴿إنا أرسلناك شاهداً﴾ على أمتك قيل وعلى غيرهم بأعمالهم وأقوالهم و (شاهدا) حال مقدرة سواء كان معناه محصل الشهادة وحاملها أو كان معناه مؤديها يوم القيامة لأنه حال الارسال وانما يشهد من حين أرسل وبدأ في التبليغ وزعم بعضهم أنه ان كان بمعنى الشهادة فهي حال واقعة وكأنه سري وهمه الى أن مضى تحصيل الشهادة الآن أو في زمانه تكون به الحال واقعة وانما النظر في ذلك الى معنى العامل وهو الارسال ﴿ومبشراً﴾ لامتك بالجنة لمن أضاع * ﴿ونذيراً﴾ مخوفا بالنار لمن عصى وذكر الارسال والشهادة والتبشير والانذار ذكر للنعم وتنبيه له على على ما خلق لأجله كذا قيل* ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله﴾ وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالمثناة تحت (ليؤمنوا) وكذا الأفعال الثلاثة بعده والخطاب للامة وقيل للنبي وأمته كذا قيل ووجهه ان الرسل يجب عليهم ايمانهم بأنفسهم كما وجب على غيرهم الايمان بهم ﴿وتعزروه﴾ تعزروه بالنصر كما قرأ ابن عباس وغيره (تعززوه) بزائين مع

الفوقية أي تتسببون في غلبته وقيل (تعظموه وتقووه) وقيل (تكبروه) والضمير لله ويقدر مضاف حيث لم يصح المعنى أي دينه وقيل النبي * ﴿وتوقروه﴾ أي تعظموه أي تعتقدون عظمته والضمير لله وقيل للنبي وكون الضميرين لله هو مذهب الحسن وكونه للنبي ﷺ المكنى ويؤيد مذهب الحسن قوله * ﴿وتسبحوه﴾ أي الله وعن بعضهم أن مذهب الجمهور رجوع الضميرين للنبي والأخير لله سبحانه وفيه تفريق الضمائر والصحيح أنها كلها لله قال الزمخشري من فرقها فقد أبعدها وقرأ (تعزروه) بضم التاء وسكون العين وكسر الزاي بعده راء وبفتح التاء وسكون العين وضم الزاي وكسرها وقرىء (توقروه) بضم التاء واسكان الواو من (أوقر) بمعنى (وقر) بالتشديد كارم بمعنى وقيل التكريم الجعل كريما والاكرام القاء الكرم والتسبيح التنزيه أو الصلاة وزعم بعض أن الوقف على (توقروه) والابتداء بقوله (وتسبحوه) لأن الضمائر للنبي الا ضمير تسبحوه * ﴿بكرة﴾ الغداة * ﴿وأصيلا﴾ العشي وقيل المراد بهما الدوام قال ابن عباس صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر * ﴿إن الذين يبايعونك﴾ في الحديبية بيعة الرضوان تحت الشجرة على أن لا يفروا قال جابر بن عبدالله بايعناه على أن لا نفر لا على الموت وهذا هو الأشهر وروي عنه أنه قال بايعناه على الموت وعلى أن لا نفر فما نكث أحد منا البيعة الا جد ابن قيس وكان منافقا اختفى تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم وهو من الانصار وروي أنه لم يبايع أصلا وعن معقل بن يسار لم نبايع على الموت بل على أن لا نفر وقال سلمة بن الاكوع بايعنا على الموت ويجمع بين الروايات بان جماعة منهم سلمة بايعوا على أن يقاتلوا حتى يموتوا أو ينتصروا وجماعة منهم معقل على أن لايفروا والمبايعة مفاعلة من البيع لأن الله اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وأصل البيعة عقد الطاعة والوفاء للامام والحديبية بالتشديد عند عامة المتحدثين والتخفيف قيل وهو أفصح وجاء في الحديث انها بئر قال مالك انه من الحرم وقال ابن القصار بعضها منه وعن بعض أنها قرية صغيرة في أقل من مرحلة الى مكة أو على مرحلة

سميت بئر هناك وبينها وبين المدينة تسع مراحل وقيل شجرة حدباء كانت هناك * ﴿انما يبايعون الله﴾ لأنهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة وصفقتهم انما يمضيها الله ويمنح الثمن وأخذك البيعة عقد لله عليه أو عقد الميثاق معك عقد من الله كقوله (من يطع الرسول فقد أطاع الله) والله هو المقصود بالبيعة كما قرأ (انما يبايعونك لله) أي يبايعونك لأجل الله ولوجهه * ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ حال أو استئناف مؤكد لمبايعة الله على طريق التمثيل فيد رسوله التي تعلو أيدي المبايعين هي يد الله والله منزه عن الجوارح وصفات الأجسام أي هو خبير بمبايعتهم فيجازيهم وعن ابن عباس (يد الله) بالوفاء بما وعد من الخير فوق ايديهم وعن السدي يأخذون بيد رسول الله فيبايعونه (ويد الله) فوق ايديهم أي هم في حكمه وقال الكلبي (يده) نعمته عليهم في الهداية فوق ما صنعوه من البيعة (بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان) وقيل (يده) نصره فوق ايديهم أي فوق نصرهم أو (يده) حفظه وايديهم جوارحهم ومن زعم أنا ندرك هذه التفاسير الى السكوت عن التأويل والى الايمان بظاهرها ؛ اليد من غير تكييف ولا تعطيل فقد اختار الحيرة والضلالة بعد ظهور الحق وصح قول بعض يده وايديهم القوة وقول بعض يده ثوابه وقول بعض ونسب للجمهور يده نعمته هي في المبايعة لما يستقبل من محاسنها فوق ايديهم الممتدة للبيعة * ﴿فمن نكث﴾ نقض العهد والبيعة * ﴿فانما ينكث على نفسه﴾ ضرره عليه وقرىء بكسر كاف (ينكث)* ﴿ومن أوفى﴾ لغة تهامة ويقول غيرهم (وفى) * ﴿بما عاهد عليه الله﴾ من البيعة وقرىء (عهد) باسقاط الألف وقرأ حفص (عليهُ) بضم الهاء * ﴿فسنؤتيه﴾ وقرأ غير ابن كثير ونافع وابن عباس وروح بالياء (فسيؤتيه)* ﴿أجرا عظيما﴾ هو الجنة وقيل المراد بما عاهد جميع الفرائض * ﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب﴾ الذين حول المدينة غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم ونخع أو الديل وهم منافقون لم يتمكن الايمان من قلوبهم لما أراد ﷺ المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب

وأهل البادية ليخرجوا معه حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت واحرم هو وساق معه الهدي ليعلم أنه لا يريد حربا فتثاقلوا خوفا عن قتال قريش وثقيف وكنانة والقبائل المجاورة لمكة وهم الاحابش وقالوا يذهب الى قوم قد غزوه في علو داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فيقاتلهم وظنوا أنه يهلك فلا ينقلبوا الى المدينة واعتلوا بالشغل ففضحهم الله لنبيه قبل أن يصل اليهم من مرجعه والمخلف اسم مفعول أي الذين خلفهم الله عن صحبتك أي أقعدهم خلفك * ﴿شغلتنا أموالنا وأهلونا﴾ النساء والذراري لم يكن من يحفظهم لنا ويقوم بمصالحهم وقرىء بتشديد الغين مبالغة وذلك اعتذار بالباطل قال الكلبي لم يخرجوا خوفا للقتال عساه أن يكون واعتذروا لأنه لما رجع من الحديبية وعد خيبرا فرجوا الغزوة معه لغنيمة منها * ﴿فاستغفر لنا﴾ على تخلفنا قالوه مصانعة لا توبة وندما كما إنهم اعتذروا بالشغل مع أنهم لم يخرجوا خوفا ولذلك قال الله عز وجل تكذيبا لاعتذارهم وطلب الاستغفار * ﴿يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا﴾ والاستفهام انكاري أي لا مانع لكم من مشيئته وقضاه * ﴿إن أراد بكم ضرا﴾ من قتل أو هزيمة وخلل في المال والأهل وعقوبة على التخلف وقرأ حمزة والكسائي بضم الضاد في مصحف ابن مسعود (ان اراد بكم سوءا) ﴿أو أراد بكم نفعا﴾ هو خلاف الضر وقيل الضر الكفر والنفع الايمان وذلك تعريض بعدم وصولهم مرادهم * ﴿بل﴾ للانتقال من غرض الى آخر كذا قيل والمراد بالغرض غير غرض الخلق فان الله منزه عنه أو للابطال * ﴿كان الله بما تعملون﴾ من التخلف وقصدكم فيه أو بكل شيء فهو عالم بتخلفكم وقصدكم * ﴿خبيرا﴾ أي عالماً لم يزل ﴿بل﴾ مثل المذكورة للانتقال أو الابطال ما قبل الأولى من الاعتذار وطلب الاستغفار وعدم ايمانهم بالقضاء والقدر * ﴿ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم ابدا﴾ بل سيستأصلهم قريش ومن معهم وقال الحسن هذا في غزوة تبوك إنه يهلك ويهلك دينه (وأهليهم) جمع مذكر سالم حذفت نونه للاضافة

ويقال (أهلات) على نية تاء التأنيث في المفرد كأرض وأرضات وورد (أهلـه) وأما (أهال) كحوار وغواش فاسم جمع كليال لانه لا مفرد لأهال وليال آخره ياء بخلاف جوار وغواش فهما جمعان وقرىء أهلهم باسقاط الياء * ﴿وزين ذلك﴾ ظن عـدم الانقـلاب * ﴿في قلوبكم﴾ وقرىء ببناء (زين) للفاعـل وهو الله كقوله (زينا لهم أعمالهم) أو الشيطان اللعين كقـولـه تعـالى زين لهم الشيطان أعمالهم وهو قد يـوسـوس ويـزين شيئـا حتى يقطـع بـه ويتيقن * ﴿وظننتم ظن السوء﴾ بفتح السين وضمها كما مر وهو عدم الانقلاب وهلاك الدين وغير ذلك من ظنهم الفاسد في الله من الأمور الزائفة * ﴿وكنتم قوماً بورا﴾ فاسدين هالكين عند الله تعالى لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم والبوار في لغة ازد عمان الفساد وفي لغة غيرهم الهلاك والهالك فاسد والبور مصدر نـزل كالوصف ولذلك يوصف به الواحد المذكر وغيره وقيل جمع بـائر * ﴿ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا﴾ هيأنا * ﴿للكافرين﴾ الاصل لهم أي لمن لم يؤمن ولكن أقام الظاهر مقام الضمير ذماً لهم باسم الكفر واعلامـا بـان من لم يجمع بين الايمان بالله والايمان برسوله فهو كافر وبـانـه مستـوجب للسعير بكفره أي اعتدنا لهم جـزاء على كفـرهم ﴿سعيرا﴾ ناراً شديدة والتنكير لأنـه نار مخصوصة كقوله (نـاراً تلظى) وللتهـويـل وفي ذلك تحـريض على الايـمان والتوبة من الظن الفاسد المذكور وغيره كظن خلاف الوعد أو الـوعيـد ﴿ولله ملك السموات والارض﴾ يدبره تدبير قـادر حكيم * ﴿ يغفر لمن يشـاء﴾ بأن يوفقه الى للتوبة من النفاق والشرك ﴿ويعذب من يشاء﴾ بأن يخذله فلا يتوبن وتلك حكمته ومشيته على مقتضى حكمته ولا وجوب عليـه ولا جبر ولكن رحمته أوسع وأكثر الا من رغب عنها كما قال ﴿وكان الله غفورا رحيما﴾ والرحمة من دأبه وسابقة غضبه ففي الآية توجيـه إنـه تعـالى يكفـر السيئـات باجتناب الكبائر ويغفر الكبائر بالتوبة ويبدل الذنوب حسنات إذا تيب عنها ﴿سيقول المخلفون﴾ المذكورون * ﴿إذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها﴾ من خيـبر * ﴿ذرونا﴾ أتركونـا * ﴿نتبعكم﴾ لنأخذ منهـا ﴿يريدون أن يبدلـوا

كلام الله﴾ هو وعده لأهل الحديبية أن يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر ويخصهم بها هذا قول الجمهور فقولهم (نتبعكم) تكذيب لقولهم (شغلتنا أموالنا وأهلونا) وقال ابن زيد كلامه هو قوله (قل لن تخرجوا معي أبدا) . . الخ ورد بان هذا في غزوة تبوك في آخر عمره وآية السورة عام الحديبية وان جهينة ومزين غزت غزوة فتح مكة بعد عام الحديبية وقال مقاتل كلامه هو أنه أمره أن لا يخرجوا معه الى خيبر هو قريب من الأول وأصل الكلام تحريك مخارج الحروف واسكانها كقوله قالوا كلامك هندا . . الخ غلب في الألفاظ المسموعة المقيدة ويطلق لغة أيضا على غير المقيدة وكلامه تعالى الفاظ بواسطة ملك أو غيره وألفاظ مخلوقة في الهواء وقرأ حمزة والكسائي (كلم الله) بكسر اللام جمع كلمة أو اسم جمع لها ﴿قل لن تتبعونا﴾ اخبار بانه سبق في علم الله أنهم لا يتبعونهم ولو شاءوا وطلبوا ومعناه النهي* ﴿كذلكم قال الله من قبل﴾ من قبل عودنا من الحديبية وتهيئكم للخروج الى خيبر إن غنيمة خيبر بمن شهد الحديبية فقط * ﴿فسيقولون بل تحسدوننا﴾ أن نصيب معكم من غنيمة خيبر وذلك ابطال منهم أن يكون حكم الله أن لا يتبعوهم واثبات للحسد وقرىء بكسر السين * ﴿بل كانوا لا يفقهون﴾ لا يفهمون انه ابطال من الله لقولهم واثبات لجهلهم بأمور الدين * ﴿الا﴾ فهما * ﴿قليلا﴾ وهو فطنتهم لأمور كقوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا. . الخ وقيل القليل مجرد التوحيد وقيل الاستثناء من الواو أي الآ ناساً قليلا وهو من تاب منهم وصدق * ﴿قل للمخلفين﴾ المقام للاضمار وعبر بالظاهر تشنيعا عليهم باسم التخلف * ﴿من الاعراب﴾ اختبارا * ﴿ستدعون الى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون﴾ يوحدون أو ينقادون للجزية ان كانوا من أهلها لا سوى ذلك كما يدل له قراءة (أو يسلموا) بالنصب أي تقاتلونهم حتى يسلموا ويجوز كون (أو) بمعنى (الى) أو (كي) التعليلية وهي قراءة أبي مثلها لألزمنك وتقضي حقي وأما اثبات النون فعطف على (تقاتلون) أو خبر لمحذوف أي أو هم يسلمون قاله ابن هشام وذلك اخبار

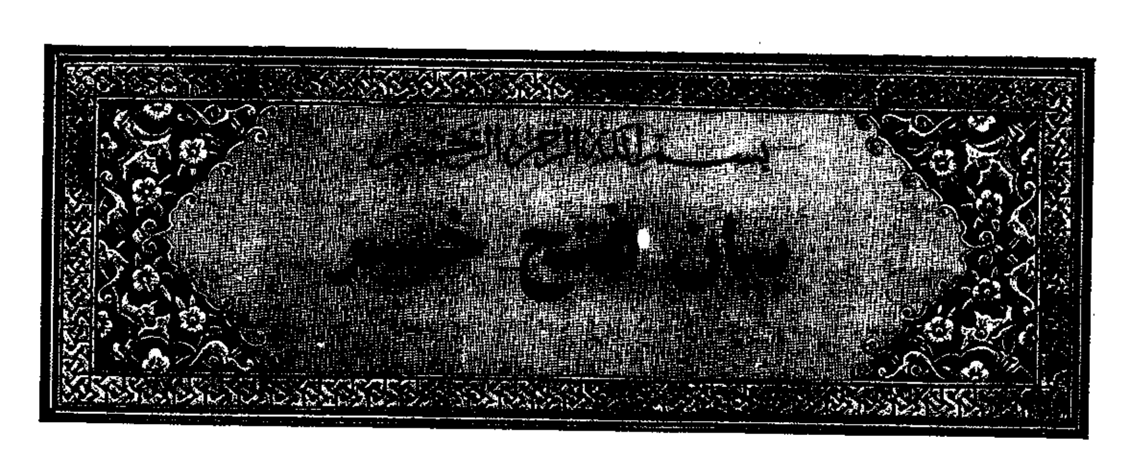
بغيب فهو معجزة والقوم عند قتادة وغيره هم ثقيف وهوازن وغيرهم ممن حارب يوم حنين وقيل عنه هوازن وغطفان وقال سعيد بن جبير هوازن وثقيف وقال ابن عباس ومجاهد فارس وقال كعب الروم وقال الحسن فارس والروم وقال الزهري وجماعة بنو حنيفة أهل اليمامة أصحاب مسيلمة الكذاب وأهل الردة قال الثعلبي قال رافع بن خديج والله كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دعا أبوبكر الى قتال بني حنيفة فعلمنا أنهم المراد فالداعي أبوبكر وقيل دعاهم عمر الى فارس وفي ذلك دليل على صحة خلافتهما لأن الله وعد على طاعتهما الجنة وعلى مخالفتها النار ويؤيد القول بأنه أبوبكر أنهم لم يدعوا الى حرب في أيامه ﷺ بل بعده كيف يدعوهم ﷺ مع قوله (قل لن تخرجوا معي أبدا) . . الخ وعن أبي هريرة لم يأت تأويل الآية بعد ويدل على أنهم هوازن وثقيف وغطفان أن العرب ظهر أمرهم آخر الأمر على عهده ﷺ إما مؤمن نقي واما مشرك مجاهر والمنافقون علموا من امتناع النبي ﷺ من الصلاة عليهم وكان الداعي الى حرب من خالفه من الكفار فكان هوازن وثقيف وغطفان أشد العرب بأسا واما قوله (قل لن تخرجوا) . . الخ فاما أن يراد ما دمتم على ما أنتم عليه من مرض القلوب والاضطراب في الدين ومن تاب قبلت توبته وخرج معه أو على قول مجاهد أنهم لا يخرجون الا متطوعين لا نصيب لهم في الغنيمة وأيضا المراد (لن تخرجوا معي) الى غزوة خيبر أبدا والا لما أمرهم أبوبكر وعمر بالخروج معهما كما امتنعا من قبول زكاة ثعلبة لامتناعه ﷺ منها قيل أقوى الأقوال أنهم ثقيف وهوازن وأبعدها أنهم بنو حنيفة وأهل الردة الذين حاربهم أبوبكر واختاره بعضهم لأن مشركي العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم الا الاسلام أو السيف عند أبي حنيفة ومن عداهم من مشركي العجم وأهل الكتاب والمجوس دون مشركي العجم والعرب وأجيب بأن المراد بالاسلام الخضوع وترك القتال والدخول في السلم فيعم التوحيد والاذعان للجزية فصلح للتفاسير و (تقاتلون) تفسير لـ (تدعون) أي سيطلب منكم مقاتلتهم

أو بدل قيل أو حال مقدرة فتأمل هذه الأقوال ﴿فان تطيعوا﴾ الى قتالهم ﴿يؤتكم الله أجرا حسنا﴾ الغنيمة في الدنيا والجنة في الآخرة وقيل المراد الجنة ﴿وان تتولوا﴾ تعرضوا عن القتال ﴿كما توليتم من قبل﴾ أي عام الحديبية عن النبي ﷺ ﴿يعذبكم عذاباً اليما﴾ في الآخرة لتضاعف جرمكم فمنهم من تاب ولم يتول ولما قال المرضى وأهل الأعذار ما حالنا يا رسول الله أنزل الله * ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ تضييق وانتم في ترك الجهاد وفي معناهم المقعد ومقطوع اليد وصاحب السعال الشديد والطحال الكبير ونحوهم ممن لا يقدر على الكر والفر والاحتراز ومثلهم الفقير الذي يضيع أهله أو ليس له ما يستصحبه معه وما يحتاج اليه الجهاد وكل مانع عن الجهاد وكالقيام على مريض لا قائم عليه فهؤلاء معذورون وقدم الأعمى لأنه لا ينفع في حرس ولا غيره ثم الأعرج لأن عذره أشد من عذر المريض لا مكان زوال المرض عن قريب وسألت عائشة النبي ﷺ هل على النساء جهاد قال نعم جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة ويجوز لهن ولأهل الأعذار وقد غزا ابن ام مكتوم وكان يمسك الراية في بعض حروب القادسية * ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ في أمر الجهاد وغيره * ﴿ندخله جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ فصل الوعد مبالغة فيها لسبق رحمته واجمل الوعيد في قوله يعذبكم عذابا اليما تهويلا ثم كرره للتوكيد بقوله * ﴿ومن يتول﴾ عن الطاعة * ﴿نعذبه عذابا اليما﴾ في الآخرة ولان الترهيب هاهنا أنفع من الترغيب وقرأ نافع وابن عامر (يدخله ويعذبه) بالياء * ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك﴾ بالحديبية وهذا تشريف لهم وتسمى بيعة الرضوان لهذه الآية قال معقلل بن يسار لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي يبايع الناس وأنا رافع غصنا من أغصانها عن رأسه ونحن أربع عشرة مائة وكذا قال الزبير إنهم أربع عشرة مائة وكذا جابر بن عبد الله وروي عن سالم إنهم الف وخمسمائة وعن عبد الله بن أبّي في أنهم ألف وثلاثمائة قال جابر قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية أنتم خير أهل الأرض قال ابن عمر

تفرقوا في ظلال الشجر فاذا الناس محدقون بالنبي ﷺ فقال لي أبي أنظر ما شان الناس فوجدتهم يبايعون فبايعت ثم رجعت واخبرته فبايع ولا يشك عاقل ان من أحدث واصر لا يعمه الرضوان فالمراد الذين بايعوا وأوفوا قال بعض أصحابنا مثل من له ست بنين ثلاثة في الولاية فقال رجل ممن له ولاية أنا أتولى بني فلان اليس الكلام يتوجه الى الثلاثة الذين في الولاية دون غيرهم وهذا معنى الآية وقوله ﷺ «لايدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة» وفي رواية «الا صاحب الجمل الأحمر» فقيل انه جد بن قيس المنافق من بني سلمة ورد بانه لم يبايع نعم قيل أنه بايع لكنه منافق وعلى أنه لم يبايع فالاستثناء منقطع وقيل إنه على ناقة لا على جمل ولم يحضرها عثمان وجعل ﷺ يدا على يد وقال هذه يد عثمان وذلك انه ذهب من الحديبية الى مكة بامره ﷺ وضع اليمنى على اليسرى وقال بعثت عثمان في حاجتكم الى مكة فهذه يميني له قال أصحابنا وهذا كذب عن النبي ﷺ وان المبايعة لا تكون الا من بائع ومشتر وان عثمان زل عن بيعة الرضوان وقيل عددهم الف وخمسمائة وخمسة وعشرون ﴿تحت الشجرة﴾ هي سمرة وقيل سدرة قيل ذهبت بعد سنين وعن جابر بن عبد الله لو كنت ابصر اليوم لاريتكم مكانها وانطلق طارق بن عبد الرحمن ومر بقوم يصلون وقال ما هذا المسجد قالوا هذه شجرة الرضوان يعنون مكانها فاخبر ابن المسيب فقال بايع أبي وخرج في العام المستقبل فلم يقدر هو ومن معه عليها فاصحاب رسول الله لم يعلموها وانتم علمتموها فضحك ومر عمر بذلك المكان بعد ذهابها فقال اين كانت فكثر اختلافهم في موضعها فقال سيروا ذهبت الشجرة وسبب هذه البيعة انه ﷺ بعث خراش بن أمية الخزاعي من الحديبية الى قريش على جمل يقال له الثعلب ليبلغ اشرافهم أنه جاء للعمرة والزيارة لا للحرب فعقروا الجمل ومنعهم الاحابيش من قتل حراش فاتى النبي ﷺ فاخبره فبعث عمر فقال يا رسول الله اخاف على نفسي ليس بمكة احد من بني عدي بن كعب وقد عاديت قريشا بغلظة فابعث عثمانا ابعثه الى أبي سفيان

واشراف قريش فلقيه ابان بن سعيد بن العاص بعد دخول مكة أو قبله وأردفه على دابته واجاره حتى بلغ الرسالة وقال العظماء ان شئت فطف فقال لا حتى يطوف ﷺ واحتسبوه فبلغ النبي والمسلمين انه قتل فدعا الناس ليبايعوه على القتال وقال بكير بن الاشج بايعوه على الموت وقال ﷺ بل على ما استطعتم ثم اتى الخبر ان خبر قتله باطل والاحابيش جمع احبوش وهو الفوج من قبائل شتى يقال تحبشوا من كل قبيلة أي تجمعوا وقيل أحياء من الغارة انضموا الى بني ليث في الصحارية وقيل قريش بنو الحارث بن عبد مناة وبنو المصطلق وغيرهم تحالفوا تحت جبل يقال له حبش وقيل اسم واد بسافل مكة * ﴿فعلم﴾ الفاء للاستئناف اي فهو عليم والعطف والترتيب الاخباري والمعطوف عليه (رضى) او (يبايعون) وانما لم يكن الترتيب في المعنى لان علم الله أزلي سابق نعم يصح في العطف على (يبايعون) الترتيب في المعنى باعتبار وجود ما في قلوبهم في فانه الازل عالم به أنه سيقع ولكن لم يقع الا في زمان وقوعاه فالعلم الموافق لوقوع ذلك بعد المبايعة فافهم وقد يقال مثل هذا في العطف على (رضى) ﴿ما في قلوبهم﴾ من الصدق والحرص في الدين ﴿فأنزل السكينة﴾ الثبات قال مجاهد هي من الله كهيئة الريح وعن بعضهم ريح خجوج وذلك بان شجعهم أو بالصلح ﴿عليهم واثابهم فتحا قريبا﴾ جعله ثوابا عن انصرافهم من الحديبية بلا فتح وغنيمة فهو بعض ثوابهم ولهم الثواب الجزيل دنيا واخرى وقرىء (وآتاهم) والفتح القريب فتح خيبر عقب انصرافهم من الحديبية رجع منها في ذي الحجة من سنة ست وأقام بالمدينة بقبتها وأوائل محرم ثم غزا خيبرا بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم كثيرا وقال الحسن فتح هجر وقيل فتح مكة * ﴿ومغانم كثيرة يأخذونها﴾ من خيبر وكانت أرض مزارع ونخل ومال قسمها عليهم * ﴿وكان الله عزيزا﴾ في نقمته * ﴿حكيما﴾ في أمره لم يزل كامل العزة غنيا عن الاعانة غاية في الحكمة حكم لكم بالغنائم ولاعدائكم بالهلاك ﴿وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها﴾ من الفتوحات الى يوم القيامة قاله مجاهد وغيره

﴿فعجل لكم هذه﴾ غنيمة خيبر وهي في جنب ما وعد به من الغنائم قليل وفي ذلك اشارة الى كثرة الفتوحات وقال زيد بن اسلم وابنه وابن عباس المغانم الكثيرة خيبر وهذ لعجلة البيعة والتخلص من أمر قريش ﴿وكف أيدي الناس عنكم﴾ بالصلح وهم أهل خيبر وحلفاؤهم من بني أسد وغطفان وقريش ومن معهم من أهل مكة ومن حولها وقيل: المراد أهل مكة ومن حولها وقال قتادة (كف أيدي الناس) عن أهل المدينة في مغيبه ﷺ مع المؤمنين بعد ما أرادوا أن يغيروا على عيالهم في المدينة وقيل اليهود فقذف في قلوبهم الرعب * ﴿ولتكون آية المؤمنين﴾ العطف على محذوف هو علة لكف أو لعجل أي لتسلموا ولتكونوا ولتأخذوا ولتكونوا أو بنفعكم بها ولتكون واسم (تكون) عائد الى الكفة أو الغنيمة ويجوز التعليق بمحذوف معطوف أو مستأنف أي وفعل ذلك لتكون آية للمؤمنين والمراد بالآية آية تدل على صدقه ﷺ في اخباره عن الغيوب فيزدادوا يقينا الى يقينهم اذا صدق وعده أو آية يعرفون بها أنهم من الله بمكان وانه ضامن نصرهم ومتوليه وضامن الفتح عليهم وقد صدق ﷺ في وعدهم خيبرا في حين رجوعه من الحديبية ووعد المغانم والآية الأمارة والعنوان على فتح مكة قبل رؤياه ﷺ فتح مكة في منامه ورؤيا الانبياء حق ووحي فتأخر ذلك الى السنة القابلة فجعل خيبر عنوانا لفتح مكة * ﴿ويهديكم صراطا مستقيما﴾ التوكل والثقة بالله وبصيرة أي يزيدكم ذلك وقيل يهديكم الى دين الاسلام ويثبتكم عليه ويزيدكم يقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر*


بسم الله الرحمن الرحيم
باب فتح خيبر

بيان فتح خيبر

على ما ذكره الثعالبي في كتابه المسمى بالأنوار في آيات النبي المختار وغيره أتى ﷺ خيبرا ليلا وكان اذا أتى قوما لم يقربهم حتى يصبح فلما أصبح خرجت اليهود لخدمتهم بمساحيهم ومكاتلهم فلما رأوه قالوا محمد والله محمد والخميس أي الجيش فقال ﷺ الله أكبر خربت خيبرا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وعن بعض وعده الله خيبرا وهو في الحديبية ونزل بواد يقال له الرجيع بين خيبر وعساكر غطفان وغيرهم لئلا يمدوا خيبر وقد جاءوا لمدهم وسمعوا حسا فخافوا أهلهم وأموالهم ورجعوا بعد ما ساروا مرحلة فاخذها ﷺ وسلم حصنا حصنا وشكا اليه بعض أصحابه الجوع فقال اللهم قد علمت حالهم وانه لا قوت لهم وليس بيدي ما اعطيهم فافتح عليهم أعظم حصونها غنى واكثرها طعاما وورد فافتح عليهم حصن الصعب بن معاذ أكبر حصونها طعاماً وودكا وشعيرا وتمرا وسمنا وعسلا ونادى مناديه ﷺ كلوا واعلفوا ولا تحملوا الى بلادكم ووجدوا كثيرا من البز والآنية والغنم والبقر والحمر وآلات الحرب ظن اليهود أن الحصن يكون دهراً فعجل الله خزيهم قيل وجدوا من البز عشرين عكما محزومة من غليظ متاع اليمن وألفا وخمسمائة قطيفة ما بقي مسلم الا أخذ قطيفة قدم بها الى أهله ووجدوا ما يملأ جلد الجمل أكثره أسورة الذهب ودمالجه وفرضته وخلال الذهب ونظم من جوهر وزمرد وخواتم الذهب ومن الكتيبة وحدها مائة درع وأربعمائة سيف والف رمح وخمسمائة قوس عربية بجعابها وحاصروا حصنا يقال له البراز فقاتلوه اشد القتال حتى أصاب النبل ثيابه ﷺ وعلقت به فاخذه وجمعه وأخذ كفا من حصباء فحصب بها حصنهم فرجف وساخ في الأرض فاخذ أهله أخذا وآخر حصونهم فتحا الوطيخ حاصره بضع عشرة ليلة فخرج منه مرحب اليهودي وهو ملكهم راجزا*

قد علمت خيبر أني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب
اذا الحروب اقبلت تلهب * أطعن احيانا وحينا أضرب

فقال ﷺ من لهذا ؟ فقال محمد بن مسلمة أنا والله قال فقم اليه اللهم اعنه فحمل عليه فضربه فاتقاه محمد بالدرقة فامسكت سيفه فقتله محمد ثم خرج أخوه ياسر قائلا هل من مبارز فخرج اليه الزبير بين العوام فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب يقتل ابني يا رسول الله قال بل ابنك يقتله ان شاء الله فقتله الزبير واخذته ﷺ الشقيقة وبعث أبابكر برايته الى حصن فقاتل ولم يكن فتح وقد جهد وبعث من الغد عمر وقاتل اشد ولم يفتح وقد جهد فقال ﷺلأعطين الراية غدا رجلا يفتح على يديه فدعا عليا وهو ارمد فتفل في عينيه فبرىء فخرج فركز الراية في رضم من حجارة تحت الحصن فاطلع اليه يهودي من الحصن فقال من أنت ؟ قال علي بن ابي طالب فقال اليهودي (علوتم وما أنزل على موسى) وما رجع حتى فتح وضربه يهودي فطرح ترسه من يده فتناول بابا عند الحصن يترس به حتى فتح فألقاه قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ فلقد رأيتني في سبعة أنا ثامنهم نجهدن نقلب الباب فما قدرنا والذي بعثه ﷺ الى عليّ هو سلمة بن الأكوع الطويل ولما قال مرحب (قد علمت خيبر) . . الخ أجابه علي :

أنا الذي سمتني أمي حيدره * أضرب بالسيف رقاب الكفره
كليث غابات كريه المنظره * أوفيهم بالصاع كيل السندرة

ولما قال ﷺ لاعطين الراية غدا رجلا يفتح على يديه بات الناس يذكرون أيهم يعطيها فلما أصبحوا غدوا اليه رجاء لها قال لعلي «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم وادعهم الى الاسلام وما يجب عليهم من حق الله فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم» وروي «خير من الدنيا وما فيه»ا وروي «خير مما طلعت عليه الشمس» وعن بعضهم أنه لما بعثه شكا اليه الحر والقراقلة لباسة فقال ﷺ اللهم لا يشتكي

حراً ولا قراً قال عليّ فما وجدتهما الى الآن وعن الوافدي ان اليهود لما أيقنوا بالهلاك بعثوا ابن أبي الحقيق الى النبي ﷺ أن يصالحهم على حقن دمائهم وترك الذرية لهم ويخرجوا من خيبر بذراريهم ويخلوا بينه ﷺ وبين ما كان لهم من مال وأرض وعلى الصفراء والبيضاء والكراع والحلقة وعلى البز الا ثوبا على ظهر انسان فقال ﷺ وبرئت ذمة رسول الله ﷺ ان كتموني شيئا فصالحوه على ذلك وعن ابن عباس صالحهم على كل شيء الا أنفسهم وذراريهم وأتى بالربيع وكنانة ابني أبي الحقيق وأحدهما عروس بصفية فقال اين انيتكما التي كانت تستعار في أعراس المدينة قالا أخرجناها فأنفقناها فقال لرجل اذهب الى نخل كذا كذا فانظر نخلة في رأسها رقعة فانزع الرقعة ففعل فاستخرج ما أخفياه وضربت اعناقهما وبينما النبي ﷺ محاصرا لبعض حصون خيبر اذ أتاه الاسود الراعي واسمه أسلم ومعه غنم يرعاها بالأجرة ليهودي فقال يارسول الله أعرض عليّ الاسلام فعرضه فأسلم فقال كيف أصنع بهذه الغنم قال اضرب وجوهها وقل ارجعي الى صاحبك فوالله لأصحبك ففعل وخرجت مجتمعة كأن سائقا يسوقها حتى دخلت الحصن ثم تقدم الى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين فاصابه حجر فقتله وما صلى صلاة قط فأتي به رسول الله ﷺ فوضعه خلفه وسجي بشملة كانت عليه فالتفت اليه رسول الله ﷺ ثم أعرض فقالوا أعرضت عنه يا رسول الله فقال ان معه الآن زوجتيه من الحور العين قال ابن اسحاق عن عبد الله بن ابي نجيح عن غيره ان الشهيد تنزل زوجتاه من الحور العين تنفضان التراب عن وجهه ويقولان ترب الله وجه من تربك وقتل من قتلك وقال له بنو فزارة ان لم تعطنا من مغانم خيبر قاتلناك فقال موعدكم خيفاء ماء من مياه فزارة فرجعوا هاربين واسلم واحد منهم واحسن وقال لما نفرنا الى أهلنا بخيفاء مع عيينة بن حصن عرسنا في موضع يقال له الخطام فقال عيينة ابشروا اني أعطيت ذا الرقيبة جبلا بخيبر وقد والله أخذت برقبة محمد قال فقدمنا خيبرا فوجدناه ﷺ فتحها وغنمها فقال عيينة اعطني ما غنمت من طعام أبي فاني

انصرفت عنك بأربعة آلاف مقاتل رغبة عن قتالك فقال كذبت ولكن الصباح سمعت انفرك الى أهلك قال اجزني قال لك ذو الرقيبة فقال ما هو قال الجبل الذي رأيت في المنام انك أخذته فانصرف عيينة الى أهله فجاءه ابن عوف رجل من قومه فقال ألم أقل لك إنك في غير شيء والله ليظهرن محمد على مابين المشرق والمغرب يهود كانوا يخبروننا بهذا وقد سمعت ابا رافع سلام بن ابي الحقيق يقول انا نحسد محمدا على النبوة حيث خرجت من بني هارون وهو نبي مرسل ويهود لا تطاوعني على هذا ولنا منه ذبحان واحد بيثرب وآخر بخيبر ويملك الأرض جميعا قال نعم والتوراة التي أنزلت على موسى وما أحب ان تعلم يهود بقولي فيه وعن انس كان ﷺ اذا غزا قوما لم يغزينا حتى يصبح وينظر فان سمع إذانا كف والا اغار عليهم فخرجنا الى خيبر فلما انتهينا اليهم ليلا بات ولم يسمع اذانا في الصبح فركب وركبت خلف ابي طلحة وان قدمي تمس النبي ﷺ ولما خرجنا جعل عمي عامر يرتجز .

تالله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
ونحن عن فضلك ما استغنينا * فثبت الاقدام ان لاقينا

وانزلن سكينة علينا

وقال ﷺ من هذا ؟ قال أنا عامر فقال غفر لك ربك وما خص أحدا بالاستغفار الا استشهد فنادى عمر رضي الله عنه على جمل لو متعتنا يا رسول الله بعامر فلما قدمنا خيبر خرج مرحب يخطر بسيفه قائلا:

قد علمت خيبر اني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلتهب

وبرز له عامر قائلا:

قد علمت خيبر اني عامر * شاكي السلاح بطل معاقر

فوقع سيف مرحب في ترس عامر وذهب عامر له فرجع سيفه على نفسه فقطع أكحله فمات قال سلمة فقال نفر بطل عمله لقتل نفسه فاتيت رسول الله ﷺ فقلت بطل عمل عمي فقال من قال ذلك قلت نفر من أصحابك قال كذب من قال ذلك بل له الأجر مرتين وروي أنه لما بعث علياً قال امش ولا تلتفت حتى يفتح الله على يدك وضرب مرحبا على مغفره وهو من حجر فشقه حتى بلغ سيفه أسنان مرحب قال ابن اسحاق أول حصن فتحوه حصن ناعم وعنده قتل محمد بن مسلمة القت عليه اليهود حجرا ثم العموص حسن ابي الحقيق ومنه صفية بنت حيي بن اخطب جاء بها بلال وبأخرى معها فمر على قتلى اليهود فلما رأتهم التي مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله ﷺ قال أغربوا عني هذه الشيطانة وأمر بصفية فجهزت خلفه وألقى عليها رداءه فعرفوا انه اصطفاها لنفسه وقال لبلال أنزعت منكم الرحمة يا بلال جئت بامرأتين على قتلى رجالها وكانت صفية زوجة لكنانة بن الربيع بن ابي الحقيق رأت أن قمراً وقع في حجرها فعبر ذلك بانها تتمنى ملك الحجاز محمدا فلطم وجهها حتى اخضرت عيناها وبقي أثر في وجهها فسألها ﷺ عنه فاخبرته بذلك ثم أتي بزوجها وعنده كنز بني النضير فجحده وأتي بيهودي قال رأيته يطوف في هذه الخربة كل غداة فقال ﷺ أنقتلك ان وجدناه قال نعم فحفرت الخربة فوجد بعضه وسأله عن البقية فجحد فامر به الى الزبير يستأصل ما عنده فكان يقدح بزنده على صدره فأشرف على الموت ثم دفعه لأخي محمد بن مسلمة فقتله بأخيه وعن أنس صلينا بغلس صلاة الغداة فركب ﷺ وركب أبو طلحة وأتى رديفه فجرى ﷺ في زقاق خيبر وان ركبتي لتمس فخذه ثم كشف عن فخذه حتى بدأ بياضه وهو دليل من قال ليس الفخذ عورة أو كشفه عن غير عمد ولما دخل قال ثلاثا انا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح

المنذرين فأصبناها عنوة فجمع السبي فقال لحية اعطني جارية من السبي يارسول الله قال خذ فأخذ صفية فقيل لا تصلح الا لك يا رسول الله هي بنت سيد قريظة والنضير فقال ادعوه فنظر اليها فقال خذ غيرها فاعتقها ﷺ وتزوجها قيل لأنس ما أصدقها قال نفسها اعتقها وتزوجها جهزتها له ام سلمة في الطريق فأهدتها اليه ليلا فأصبح عروساً فقال من كان عنده شيء فليجيء به فبسط نطعا وهو الجلد وجعل الرجل يأتي بالتمر والآخر بالسمن والآخر بالسويق فتحاس حيسا فكان وليمته قلت: لا صداق واجب عليه وعن عبد الله بن أبّي أصابتنا مجاعة ليالي خيبر فلما كان يوم خيبر وقعنا في الحمر الأهلية فانتحرناها فلما غلت القدور نادى منادي رسول الله ﷺ اكفئوا القدور ولا تطعموا من لحوم الحمر شيئا فقلنا انما نهى عنها لأنها لم تخمس وقال آخرون حرمها البتة وسالت سعيد بن جبير فقال حرمها البتة وعن جابر بن عبد الله نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر ورخص في لحوم الخيل قالت عائشة لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر روي انه جعل الناس يتبايعون غنائمهم فقال رجل يا رسول الله لقد ربحت اليوم ربحاً ما ربحه أحد من أهل هذا الوادي قال ويحك وما ربحت قال ما زلت أبيع وأشتري حتى ربحت ثلاثمائة أوقية فقال ﷺ « ألا أنبئك بخير ربح قال وما هو يارسول الله قال ركعتان بعد الصلاة » وأجلى عمر في امارته اليهود والنصارى الى تيهاء واريحياء لأنه ﷺ لما أراد اجلاء يهود خيبر سألوه ان يقرهم ويعملوا ولهم نصف التمر فأقرهم على انه إذا شاء أخرجهم ولما سمع أهل فدك بإقراره لهم على النصف جاءه أهل فدك وطلبوا ذلك ففعل على أنه اذا شاء أخرجهم وقد بعثوا قبل اليه حين سمعوا فتح خيبر أن يحقن دماءهم ويخلوا له الأموال ففعل فكانت فدك له خاصة لأنهم لم يوجفوا عليها خيلا ولا ركابا ولما اطمأن ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم اليهودية شاة مشوية وروى أبو داود إنها عنز فسألت اليهود أي سم يقتل في الوقت فاشاروا لها وأكثرت منه في الذراع والكتف لأنها سألت أي الشاة أحب اليه

أي أجزائها فقالوا الذراع والكتف فوضعته بين يديه وأيدي من حضر من أصحابه وفيهم بشر بن البراء بن معرور وقيل انها صنعت به ثريدا فتناول ﷺ الذراع فانتهش منه فلم يبتلعه وناول بشر عظما فابتلعه ولفظ رسول الله ﷺ فقال يخبرني هذا العظم انه مسموم فقيل ان بشرا مات به في المرض الذي توفي فيه وقيل انه ﷺ ابتلع فجيء بها لرسول الله ﷺ فسألها فقالت أردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك قال عليّ: أنقتلها ؟ قال لا وروي أنها قالت من اخبرك فقال اخبرتني هذه الذراع قالت صدقت قالت قلت ان كان ملكا استرحنا منه او نبيا لم يضره وروي أنه أكلت منها جماعة ماتوا كلهم بها فلما أخبرته الذراع قال ارفعوا أيديكم فان هذه الذراع تخبرني انها مسمومة وانه احتجم على كاهله من أجل أكله منها وانها لما قال ما حملك على هذا قالت بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت ان كان نبيا لم يضره وان كان غيره استرحنا منه وقيل انه قال « اجمعوا لي من هنا من اليهود فجمعوا فسألهم عن أشياء منها من أبوكم قالوا فلان قال كذبتم أبوكم فلان قالوا صدقت وبررت وسألهم من أهل النار قالوا نكون فيها يسيرا ثم تخلفوننا قال اخسأوا فيها والله لا نخلفكم أبدا وسألهم هل جعلتم في هذه الشاة سما قالوا نعم قال ما حملكم ؟ قالوا ان كنت كذابا استرحنا منك أو نبيا لم يضرك وعفا عنها» رواه أبوهريرة وقيل دفعها الى أولياء بشر فقتلوها قصاصا ولو صح انها اسلمت وانها قالت الآن استبان انك صادق أشهدك ومن حضر إني على دينك وإن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وفهمنا إنها قتلت قصاصا رواية إنه دفعها لأولياء بشر فقتلوها وهذا مراد السهيلي ولولا ذلك لاحتمل إنه أمر بقتلها لنقض العهد ويدل له أنها أخرت حتى مات بشر ويضعف ادعاء أنه أخرها الى أن تحققت عظمة جنايتها فقتلها للنقض وروي انه صلبها ولا يرد على ادعاء ان القتل قصاص منها ولو بني على المماثلة لأن المماثلة للمولى وأما الامام فله فعل ما شاء فصلبها زجرا وتنكيلا والقتل بالسيف لا يوجب كون القتل للنقض لجوازه بدل القتل بالسم وعن

عائشة كان يقول في مرض موته يا عـائشـة مـا ازال أجـد الم الطعـام الـذي أكلت بخيبر فهذا وان وجدت انقطاع ابهـري من ذلك السم وقـال لام بشر ما زالت أكلة خيبر مع ابنك تعاودني فهذا وان قطعه ابهري فجمع الله له بين الشهادة والنبوة* ﴿واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بهـا﴾ العطف على (هذه) اي ومغانم أخرى ومبتـدأ خبره (قـد احـاط الله بهـا) لـوصفهـا (بلم تقدروا) ولكونه نعتا لمحذوف كما رأيت أو منصوبـا على الاشتغـال أي ضمن وقضى أخرى لكم دل عليه قد احاط . . الخ أو الواو واو رُبَّ واحـاطـة الله بها استيلاؤه عليها واظفاركم بها وقيل علمه بانها لكم وعليه ابن عباس وقيل حفظها حتى تاخذوها ومعنى (لم تقدروا عليهـا) انكم لم تقـدروا وستقـدرون وهذا من خارج لا من (لم) قـال ابن عبـاس هي فـارس والـروم ومـا كـانت العرب تقدر على قتالهم بـل يستخـدمـونهم حتى اقـدرهم الله بعـز الاسـلام فعكس الامر وقال قتادة والحسن مكة واختاره بعض المتـاخـرين وقيـل خيبر قبل ان يصيبوها وقال مجاهد كل فتح الى يوم القيامة وعن بعض منها غنـائم هوازن في غزوة حنين وانه قال (لم تقدروا عليها) لمـا كـان فيهـا من الهـزيمـة فثم الرجوع ثم الهزيمة ثم الرجوع * ﴿وكان الله على كل شيء﴾ من الفتح وغـيره * ﴿قديرا﴾ لأن قـدرتـه ذاتيـة لا تختص بشيء دون شيء * ﴿ولو قاتلكم الذين كفـروا﴾ أهل مكة ولم يصالحـوا وقيـل حلفـاء أهـل خيبر مـع أهلها * ﴿لولوا الأدبار﴾ لانهزموا * ﴿ثم لا يجدون وليا﴾ يحرسهم * ﴿ولا نصيرا﴾ ينصرهـم * ﴿سنة الله﴾ مصـدر لمحـذوف اي سن الله ذلك سنـة فحذف العامل واضيف للفاعل قيـل هـو مؤكـد لمضمـون الجملـة قبلـه من هزيمة الكافرين ونصر المؤمنين ونبيهم وقدر بعضهم سن الله غلبة انبيائه سنة وعن بعضهم ان المعنى كسنة لله اشارة الى واقعة بدر * ﴿التي قد خلت من قبل﴾ في الامم الماضية وعن بعضهم (من قبل) ان يقتل من أظهر الشرك إذ أمر النبي بالقتال * ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ تغييرا منه * ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم﴾ يعني أهل مكة روي أن قريشـا جمعت

جماعة من فتيانهم وجعلوها مع عكرمة بن ابي جهل وخرجوا يطلبون غدرة في عسكر النبي ﷺ في الحديبية فقيل كانوا ثمانين هبطوا من جبل التنعيم يريدون غدر النبي ﷺ أو عسكره ولما احس بهم المسلمون بعث في اثرهم خالد بن الوليد وسماه يومئذ سيف الله في جملة من الناس ففروا حتى ادخلهم بيوت مكة وأسروا جماعة فسيقوا الى النبي ﷺ فمنّ عليهم واطلقهم وكان ذلك سبب الصلح ونزول الآية وقيل سبوهم كلهم واطلقهم وقال عبد الله بن معقل بينما أنا رفعت غصنا من شجرة الحديبية عن ظهر رسول ﷺ وعلي بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فدعا عليهم فاخذ الله بأبصارهم فأخذناهم فأطلقهم وقيل خرج عكرمة بن ابي جهل في خمسمائة فبعث خالدا في ناس فهزمهم وادخلوهم دور مكة وعن ابن عباس اظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى ادخلوهم البيوت فرجعوا وقيل ذلك يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة على أن مكة فتحت عنوة لا صلحا ويرد ان السورة نزلت قبله والآية ذكر للمنة ان حجز بين الفريقين ولم يقتتلوا واتفق الصلح وهو أعظم من الفتح * ﴿ببطن مكة﴾ اي في بطنها والمراد الحديبية وقيل التنعيم وقيل وادي مكة وقيل في داخلها لأنهم لحقوهم وادخلوهم البيوت كما قال * ﴿من بعد ان اظفركم﴾ مكنكم ﴿عليهم﴾ وجعلكم ظافرين ﴿وكان الله بما تعملون﴾ من قتالكم أولا طاعة لله ورسوله وكفكم ثانيا تعظيما للبيت وقرا ابو عمرو بالمثناة تحت ﴿بصيرا﴾ فيجازيكم ﴿هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام﴾ عن أن تطوفوا به وتعتمروا ﴿والهدي﴾عطف على الكاف وهو ما يهدى الى مكة أو الكعبة وقرىء بكسر الدال وتشديد الياء (هدِيّ) وهو فعيل بمعنى مفعول والأول مصدر بمعنى مفعول وقرىء بالجر عطفا على المسجد أي وعن نحر الهدي وقرىء بالرفع على أنه نائب لمحذوف أي وصد الهدي * ﴿معكوفا﴾ مجلوسا حال * ﴿ان يبلغ﴾ أي محبوسا على أن يبلغ هو بدل اشتمال من الهدي أومقدر بعن متعلق بالصد وهذا أولى من تقدير لام التعليل ولا النافية * ﴿محله﴾ اي مكانه

الذي يحل فيه نحره وينحر فيه عادة وهو منى وكان هديه ﷺ اذ ذاك مائة بدنة وقيل سبعين ونحره في الحرم وكانت خيمته في الحل ومصلاه في الحرم وبعض الحديبية من الحرم وقد علمت ان المراد (محله) المعهود وهو منى وهو مكان يحل فيه الذبح قال القاضي مكانه الذي لا يجوز ان ينحر في غيره والا لما نحره الرسول ﷺ حيث احصر فلا ينتهض حجه لأبي حنيفة واصحابه على أن مذبح هدي المحصر هو الحرم بعلم الجواب من قولي ان بعض الحديبية من الحرم وانه نحر في الحرم وهو فسر (أعني) أبا حنيفة المحل بموضع حلول النحر ووجوبه ادعى بعض ان المحل مكة والبيت * ﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات﴾ من أصلاب الكفار من سيؤمن في غابر الدهر رواه النقاش والثعلبي عن علّي عنه ﷺ والمشهور انهم هم المستضعفون بمكة و (مؤمنون) نعت لرجال و (مؤمنات) نعت لنساء * ﴿لم تعلموهم﴾ باعيانهم لاختلاطهم بالمشركين والجملة نعت للمؤمنين والمؤمنات وأجاز غير الجمهور كونها خبرا وكون مؤمنون خبرا لأن ذلك كون خاص والجمهور يوجب حذف الخبر بعد لولا مطلقا اي موجودون وبسطت ذلك في النحو * ﴿ان تطأوهم﴾ بأرجلكم كناية عن إهلاكهم بدل اشتمال من (رجال ونساء) اي كراهة ان تطأوهم او من في (لم تعلموهم) ومن الوطي بمعنى الاهلاك قوله ﷺ «وان آخر وطأة وطئها الله عز وجل بوج» وهو واد بالطائف كان آخر وقعة النبي ﷺ به أي لولا ان تقتلوهم لأذن لكم في الفتح * ﴿فتصيبكم منهم﴾ اي من جهنم او من وطئهم * ﴿معرة﴾ مفعلة من عره اي عراه ما يكرهه ويشق عليه وقيل مأخوذ من العر والعر وهو الحرب الصعبة اللازمة وتلك المعرة الاثم بالتقصير في البحث عنهم وقال الطبري: كفارة قتل الخطا لوجوبها دون الدية على قاتل المؤمن في الحرب خطأ وقيل غرم الدية وقال منذر أن يعيبهم الكفار ويقولوا قتلوا أهل دينهم كما فعلوا بنا من غير تمييز وقيل الكفارة والدية وقيل الملام وتأسف النفس في باقي الزمان قلت أو جميع ذلك * ﴿بغير علم﴾ متعلق بـ (تطأوهم) والاثم مع عدم

العمـــد للتقصير في البحث كما مر وضمائر الغيبة للـرجـال والنسـاء تغليبـا للرجال * ﴿ليدخل الله في رحمته من يشاء﴾ متعلق بمحذوف اي كان كف الايـدي ليـدخـل في جنتـه من يشـاء من مؤمنيهم ومشركيهم بـان يؤمنـوا أو يدخل في توفيقه لزيـادة الخير للمؤمنين أو المشركين لتحصيـل الايـمان وقيـل المراد (ليدخل من يشاء) من أهل مكة في الاسلام بعد الصلح وقبل دخولهـا * ﴿لو تزيلوا﴾ تميزوا عن الكفار وقرىء (تزايلوا) وهو قراءة أبي حيوة وقتادة وقيل (تزيلوا) ذهبوا عن مكة وهو من زال بزيل المتعـدي الـذي بمعنى مـاز يميز لكن لزم لأنه مطاوع وقيل من زال يزول واليـاء لغـة فيـه وجـواب لـولا محذوف عند ابي حيان أي (لما كف ايديكم عنهم) وقوله * ﴿لعذبنا﴾ جواب (لو) وقال ابن هشام هو جواب (لولا) وجواب لو محذوف ويجوز كونه جواب (لولا) ولا جواب للولا مع مدخولها كالتكرير للولا ومدخولها لمرجعهـا لمعنى واحد ﴿الذين كفروا منهم﴾ من أهل مكة بايديكم بان نأذن لكم في القتـال ولكن كففنا ايديكم للمصلحة والصلح . *




بسم الله الرحمن الرحيم
بيان صلح الحديبية

بيان صلح الحديبية

خرج ﷺ من المدينة في أكثر من عشر مئة لزيارة البيت والعمرة وقيل في سبعمائة وتسعين بدنة وقلد الهدي من ذي الحليفة وأشعره واحرم منها للعمرة وبعث جاسوسا يخبره عن قريش هو من خزاعة ولما بلغ ﷺ غدير الاشطاط قريبا من عسفان أتاه عيينة الخزاعي وقال جمع لك قريش جموعا وأحابيش ليقاتلوك ويصدوك فقال أشيروا عليّ أيها الناس هل أميل على ذراريهم فنصيبهم فان قعدوا قعدوا منقوصين أو نجوا فعنق قطعها الله أو نؤم البيت ونقاتل من صدنا فقال أبوبكر انما جئت للبيت فتوجه اليه ومن صدك فقاتله فقال امضوا على اسم الله وان خالد بن الوليد في الغميم في جبل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين والغميم موضع وفيه كراع الغميم والطليعة مقدمة بين يدي الجيش تطلع على الاخبار فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش اي بالغبار الساطع معه سواد فركض لأنذار قريش ووصل ﷺ الثنية التي يهبط عليهم فبركت راحلته فقال الناس حل حل زجرا للناقة وقالوا خلأت القصوى أي توقفت وقهقرت كالحرن للفرس فقال ما خلأت وما هو لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل والقصوى ناقته ﷺ ولم تكن قصوى اي مشقوقة الاذن قال « والذي نفسي بيده لا تدعوني قريش اليوم الى خطة اي قضية يعظمون فيها حرمات الله اي كحرمات الحرم وفيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها » ثم زجرها فوثبت فنزل باقصى الحديبية على ثمد اي ماء قليل لا مادة له يتريضه الناس تريضا أي يأخذونه قليلا فنزح وشكوا اليه العطش فامر بغرز السهم في البئر على ما مر فرووا وبينما هم إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه وكانت خزاعة عيبته ﷺ اي موضع سره وثقته من أهل تهامة فقال ناصحا اني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا على اعداد مياه الحديبية معهم العود المطافل ؛ (فاعداد) جمع عدد و (مياه) معمول نزلوا والعود جمع (عائد) وهي الناقة وضعت الى

ان يقوم ولدها وقيل : كل أنثى لها سبع ليال منذ وضعت والمطافل جمع مطفل وهي الناقة التي معها فصيلها وذلك كناية عن أن معهم النساء والصبيان قال وهم مقاتلوك وصادوك فقال ﷺ إنا لم نجيء لقتال أحد ولكن جئنا معتمرين وان قريشا قد أضرتهم الحرب فان شاءوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس فاني أظهر فان شاءوا دخلوا فيما دخل الناس والا فقد جموا بالجيم أي استراحوا بعد التعب وان أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذن الله أمره والسالفة صفحة العنق أو العرق الذي فيه وذلك كناية عن الموت لأنها لا تنفرد الا بالموت فقال بديل سابلغهم ما تقول فجاءهم فقال جئت من عند هذا الرجل وسمعته فان شئتم اعرضت عليكم ما سمعت فقال سفهاؤهم لا حاجة ان تخبرنا عنه بشيء وقال ذو الرأي قل فقال ما سمع فقام عروة بن مسعود فقال اي قوم ألست بالوالد ؟ قالوا بلى قال او لستم بالولد ؟ قالوا بلى قال فهل تتهموني ؟ قالوا لا فقال الستم تعلمون اني استنفرت أهل عكاظ أي دعوتهم للقتال وعكاظ سوق في الجاهلية فلما بلجوا (فتروا) وامتنعوا جئتكم باهلي وولدي ومن أطاعني قالوا بلى قال فان هذا الرجل أعرض عليكم خطة رشد فإقبلوها ودعوني قالوا انه فأتاه فكلمه فقال له ﷺ نحو ما قال لبديل فقال أرأيت ان استأصلت يا محمد قومك فهل سمعت احدا من العرب اجتاح أهله قبلك وان تكن الأخرى فاني والله لأرى وجوها اي شرفاء واشوابا اي اخلاطا من الناس خليقا اي حقيقا ان يفروا عنك فقال له أبو بكر أمصص بظر اللات أنحن نفر عنه والبظر ما يقطع ختانا للمرأة وهذا شتم يدور بينهم واللات الصنم فقال من ذا قيل أبوبكر فقال والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك وجعل كلما كلم رسول الله ﷺ أهوى بيده الى لحية رسول الله فيضرب المغيرة بن شعبة يده بنصل السيف وهو قائم على رأسه ﷺ المغفر ويقول أخر يدك عن لحية رسول الله فقال من هذا قالوا

المغيرة فقال أي غدر بوزن عمر أي يا كثير الغدر وعظيمه وكان صحب قوما في الجاهلية فقتلهم واخذ أموالهم ثم جاء فاسلم وقال عروة فلست أسعى في غدرتك وقال ﷺ أما الاسلام فأقبل وأما المال فلست منه في شيء ثم رجع الى أصحابه فقال اي قوم والله لقد وفدت على الملوك وعلى قيصر وكسرى والنجاشي وما رأيت ملكا يعظمه اصحابه ما يعظم محمدا أصحابه والله ما انتخم الا وقعت في كف واحد يدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ما يحدون النظر اليه تعظيما له وقد عرض عليكم خطة رشد فأقبلوها فقال رجل من كنانة دعوني آتيه فلما اشرف عليه ﷺ وعلى أصحابه قال ﷺ هذا فلان من قوم يعظمون البدن فأبعثوها له فبعثت واستقبله الناس يلبون فقال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء ان يصدوا ولما رجع قال لأصحابه رأيت البدن ثم بعثوا اليه الحليس بن علقمة سيد الاحابيش فلما رآه النبي ﷺ قال هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه فلما رأى الهدي يسيل من عرض الوادي اي يقبل كالسيل في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس رجع قبل الوصول إعظاما لما رأى فقال يا معشر قريش اني قد رأيت ما لا يحل صد الهدي في قلائده وقد أكل وبره للحبس عن محله قالوا اجلس فانما انت رجل اعرابي لا علم لك فغضب وقال يا معشر قريش والله ما على هذا خالفناكم ولا على هذا عاهدناكم ، ولا على هذا عاقدناكم أيصد عن بيت الله من جاء معظما له والله لتخلُّن بين محمد وما جاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد قالوا مه عنا حتى ناخذ لأنفسنا بما نرضى والتقليد أن يجعل في الرقاب شيء كالقلادة من لحاء الشجر أو نعل أو غيره ليعلم انه هدي والاشعار شق جانب السنام فيسيل الدم وقام مكرز ابن حفص وقال دعوني آته فلما أشرف قال ﷺ هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي ﷺ إذ جاء سهيل بن عمرو وقال معمر فاخبرني أيوب

عن عكرمة أنه لما جاء سهيل قال ﷺ قد سهل لكم من أمركم وقال سهيل هات أكتب بيننا وبينكم كتابا فقال لعلّي أكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ولكن أكتب باسمك اللهم فقال المسلمون والله لا نكتب الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال لعليّ أكتب باسمك اللهم هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ﷺ فقال سهيل لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن كنت محمد بن عبد الله فقال ﷺ اني لرسول الله وان كذبتموني أكتب محمد بن عبد الله وذلك قوله « والله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله الا أعطيهم اياها » فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس قال ﷺ وعلى ان يخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تحدث العرب ان أخذنا ضغطة اي قهرا ولكن ذلك من العام المقبل فكتب وقال سهيل وعلى ان لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته علينا فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين من جاء مسلما وعن البراء في قصة الصلح قالوا لو نعلم انك رسول الله ما منعناك شيئا ولكن انت محمد بن عبد الله ثم قال انا رسول الله وانا محمد بن عبد الله أمح ياعليّ رسول الله قال والله لا أمحوك أبدا قال فارينه فمحاه بيده وروي أنه ﷺ كتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله وليس بصحيح بل كتب علي او المراد امر بالكتابة قال البراء قاضاهم على أن من أتاه من المشركين رده اليهم ومن اتاهم لم يردوه ان يدخلها من قابل ويقيم ثلاثة أيام ولا يدخلها بالسلاح فقال انس يارسول الله تكتب ان جاء منهم نرده ومن جاءهم منا لا يردوه قال نعم اذهب الله من جاءهم منا ويجعل الله مخرجا لمن جاء منهم وبينما هم إذ جاء ابو جندل ابن سهيل في قيوده قد انفلت وخرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهار المسلمين فقال سهيل هذا أول من أقاضيك ان ترده اليّ

فقال انا لم نفض الكتاب بعد قال فوالله لا أصالحك على شيء أبدا فقال ﷺ فأجزه لي قال لا أي أجعله جائزا غير ممنوع ان كان بالزاي وأجعله محفوظا ان كان بالراء قال فافذ قال لا فجعل يجره فقال ابو جندل يا معشر المسلمين أرد الى قريش وقد جئت مسلما ألا ترون ما لقيت وقد كان عذب في الله عذابا شديدا وقال ﷺ «يا أبا جندل احتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً اذ قد عقدنا بيننا وبين القوم عقداً وصلحاً وانا لا نغدر ووثب عمر يمشي الى جنب أبي جندل ويقول أصبر يا أبا جندل فإنما هم المشركون ودم أحدهم دم كلب ويدني قائم السيف منه رجاء أن يأخذه فيضربه به فضن بأبيه وكان أصحابه خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها ﷺ فلما رأوا ذلك دخل الناس امر عظيم حتى كادوا يهلكون وزادهم امر ابي جندل شرا الى ما بهم قال عمر والله ما شككت منذ اسلمت الا يومئذ كذا روي عنه واتى عمر النبي ﷺ فقال الست نبي الله حقا قال بلى قال السنا على الحق وهم على الباطل قال بلى وقال اليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار قال بلى وقال فلم نعط الدنية اي الرداءة في ديننا قال ابوبكر ايها الرجل انه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فوالله انه على الحق فقال اليس كان يحدثنا انه سيأتي البيت ويطوف به قال بلى قال فاخبرك انك تأتيه العام قال لا قال فانك تأتيه وتطوف به قال الزهري قال عمر فعملت لذلك أعمالا ولما فرغ من الكتاب قال ﷺ لاصحابه قوموا فانجزوا ثم حلقوا فوالله ما قام رجل منهم قال ثلاثا فلم يقم احد فدخل على ام سلمة فذكر لها ذلك فقالت يا نبي الله اخرج ولا تكلم احدا حتى تنحر وتحلق ففعل فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كادوا يقتتلون وبعضهم قصر فقال ﷺ يرحم الله المحلقين قالوا يا رسول الله والمقصرين قال يرحم الله المحلقين قالوا يا رسول الله والمقصرين قال والمقصرين قالوا يا رسول الله لِـمَ أظهرت الرحمة للمحلقين دون المقصرين قال لأنهم لم يشكوا قال ابن عمر وذلك إن قوما تربصوا لعلهم يطوفون بالبيت وأهدى هداياه جميعا عام الحديبية لأبي جهل في زينة وحلي ليغيظ المشركين ثم جاءت

مؤمنات فنزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات﴾ فطلق عمر امرأتيه يومئذ كانتا في الشرك فتزوج احداهما معاوية بن ابي سفيان والاخرى صفوان بن أمية فنهاهم عن رد النساء وامر برد الصداق ورجع ﷺ الى المدينة فجاءه أبو بصير عتبة بن أسيد قريشي مسلم حبس بمكة فكتب فيه ازهر بن عبد عوف والاخنس بن شريف الثقفي الى رسول الله ﷺ وبعثا في طلبه رجلا من بني عامر لؤي ومعه مولى لهم فقرأ عليّ ﷺ الكتاب وقالا العهد الذي جعلت لنا فقال يا أبا بصير لقد أعطينا ما علمت ولا يصلح في ديننا الغدر وإن الله جاعل لك ومن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجا ودفعه الى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفية فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال ابو بصير لاحد الرجلين والله اني لارى سيفك هذا جيدا فاستله الآخر فقال اجل لقد جربته ثم خربت به فقال ابو بصير ارني انظر اليه فاخذه منه فضربه حتى برد وفر الآخر حتى اتى المدينة ودخل المسجد يعدو فقال ﷺ لقد رأى هذا ذعرا فلما انتهى اليه قال ويلك مالك قال قتل والله صاحبي واني لمقتول فوالله ما برح حتى طلع ابو بصير متوشح السيف حتى وقف على رسول الله ﷺ قال يا نبي الله اوفي لله ذمتك ما رددتني اليه فقد أنجاني الله منه فقال ويل أمة مسعر حرب لو كان معه احد وويل امة كلمة تقال للواقع فيما يكره ويتعجب بها ايضا ومسعر حرب موقدها فلما سمع ذلك علم انه يرده منه فخرج حتى اتى سيف البحر اي ساحله وبلغ المسلمين الذين بمكة قوله ﷺ (ويل أمة) الخ فخرج عصابة منهم اليه فانفلت أبو جندل اليه حتى اجتمعوا قريبا من سبعين فما يسمعون بعير لقريش خرجت الى الشام الا اعترضوها فقتلوا واخذوا فناشدته ﷺ قريش بالرحم وبالله ان من أتاه فهو آمن فارسل اليهم فقدموا عليه المدينة فنزل (وهو الذي كف) الخ وفي رواية انه كان يوم الحديبية شيء من رمي النبل والحجارة وانه قتل مسلم اسمه زنيم وكانت (المواعدة) الى سنتين وانه لما قيل أي فتح فتحنا خطب وقال ان رجالا بلغني عنهم انهم يقولون اي فتح كان أما كان فتحا ان وطينا بلاد المشركين حتى بلغنا مكة وأوتيت بتسعة عشر رجلا فقلت

ألكم عليّ عهد فقالوا لا فاطلقتهم وطلبوا المواعدة من غير ان أطلبها انسيتم يوم بدر اذ أنتم مستضعفون في الأرض فآواكم وأيدكم بنصره انسيتم يوم احد اذ صعدتم الجبل ولا تاوون على احد وانا ادعوكم في اخراكم فنالتكم رحمته انسيتم يوم الخندق اذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر فكفاكم الله القتال قالوا نستغفر مما قلنا يا رسول الله بل كان أعظم الفتوح وروي انه خرج للحديبية للعمرة في ألف وخمسمائة وان قريشا بعثوا خالد بن الوليد في جماعة ليصدوه فاخذ ساحل البحر بعد أن قال من يأخذ بنا ساحل البحر فقال رجل امض يا رسول الله على بركة الله ورسوله فلم يثق به فقال من يأخذ بنا ساحل البحر فقال رجل امض يا رسول الله على بركة الله فمضى ولم يشعر بهم خالد واصحابه حتى نزلوا مياه الحديبية فانطلقوا واستنهضوا قريشا وروي انه لما رجع اليهم عروة بن مسعود قال لم ار ان يصد هؤلاء عن بيت الله فسبوه واتهموه وانهم بعثوا بعده بديل المذكور وارتاب بن ابي الحليس اخا بني الحارث بن عبد مناف ففعلوا به ذلك ايضا لما قال لهم كعروة وانهم بعثوا سهيلا المذكور مع مكرز المذكور وانطلق اناس من المسلمين الى عشائرهم بمكة فحبسوا فيها فنادى منادي الرسول عند انتصاف النهار والقوم في الرجال ان جبريل امر بالبيعة وروي انه رمى مسلم مشركا مسمى (زبير) فقتله فاتبعهم المسلمون وادخلوهم مكة فاقبل اشرافهم فقالوا يا رسول الله لم نرض هذا وانما فعله سفهاؤنا فعرضوا الصلح فقبله واشتد على عمر ان لا يكتبوا البسملة ورسول الله فنهاه ابوبكر عن التعرض على حكم رسول الله ﷺ وكتبوا انهم ان شاءوا اعتمروا في القابل في هذا الشهر وهو ذو القعدة وانهم لا يدخلون بسلاح الا سلاحا خافيا في قرابه كالسيف والقوس وكان عليّ يسرع الكتابة اذا أمره النبي بالكتابة واذا قال سهيل لا يكتب الا ان أمره النبي ﷺ ولما ختموا الكتاب أقبل أبو جندل بن سهيل هذا مقيدا قيده أبوه خشية ان يلحق بالمسلمين وروي انه لما اشارت اليه أم سلمة ان شئت ان ينحروا ويحلقوا فابدأ يتبعوك وفعلوا وانه قال يرحم الله المحلقين فقالوا والمقصرين قال يرحم الله المحلقين فقالوا

والمقصرين قال يرحم الله المحلقين لله ثلاث مرات وفي الرابعة لما قالوا والمقصرين قال والمقصرين وروي أنه قال يرحم الله المحلقين فقالوا والمقصرين قال والمقصرين وروي أنهم قالوا كيف نحل قبل أن نطوف فوجدوا من ذلك كما وجدوا من القضية قيل: فاخرج رأسه من القبة وقد حلق ففعلوا وروي أن ريحا هاجت والقت شعورهم في الحرم حيث يحلق الحاج فقال ابشروا بقبول عمرتكم وأقام في الحديبية شهراً ونصفاً وقيل انهم لم يدخلوا الحرم ولما حلقوا أدخلت الريح شعورهم الحرم * ﴿إذ﴾ متعلق يعذبنا أو (يصدوكم) أو مفعول بـ (أذكر) * ﴿جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية﴾ الحمية الأنفة والغضب وحمية الجاهلية هي التي تمنع الاذعان للحق ومقابلة الحمية على الحق وهي مأمور بها والذين كفروا هم الذين صدوا النبي ﷺ والمؤمنين عن البيت والهدي عن محله وانكروا بسم الله الرحمن الرحيم * وانكروا ان يكون محمد رسول الله (فقيل) الحمية الصد والانكار المذكور وقيل هي قول أهل مكة انهم قتلوا آباءنا وأبناءنا واخواننا فلا يدخلون علينا فيتحدث العرب أنهم دخلوا علينا على رغم أنوفنا واللات والعزى لا يدخلوها علينا وعن بعض أنه جعلها حمية جاهلية لأنها كانت منهم بغير حجة إذ لم يأت ﷺ محاربا لهم ﴿فانزل الله سكينته﴾ اي الوقار الذي خلقه والطمأنينة التي خلقها * ﴿على رسوله وعلى المؤمنين﴾ لئلا يعجلوا فيخطئوا ولو قاتلوا بغير أمر الرسول لعصوا فيدخلون في الحمية المنهي عنها قيل بعثت قريش سهيل بن عمرو وحويطب ابن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الأحنف على أن يعرضوا على النبي ﷺ أن يرجع من عامه ويخلوا له مكة من القابل ثلاثة أيام فأرادوا الكتابة هم والنبي ﷺ وانكروا كتابة البسملة وان محمدا رسول الله فهم المؤمنون ان يأبوا ويمتنعوا وانزل السكينة فتوقروا وحملوا كتابة بسمك اللهم وكتابة محمد بن عبد الله * ﴿والزمهم كلمة التقوى﴾ اختارها لهم وقرنها بهم وهي لا اله الا الله عند الجمهور وابن عباس وقال عطاء الخراساني لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل ما انكره الكفار وهو بسم الله الرحمن الرحيم * ومحمد رسول الله وقال

الزهري بسم الله الرحمن الرحيم وقال عليّ وابن عمر لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقال الحسن الوفاء بالعهد وقيل الثبات واضافة الكلمة الى التقوى لأنها سبب التقوى وأساس التقوى ولأنها كلمة أهل التقوى أو لأنها تنبعث عن التقوى وروي الأول عن النبي ﷺ * ﴿وكانوا أحق بها وأهلها﴾ قيل الهاء في (ألزمهم) والواو في (كانوا) للنبي وللمؤمنين وقيل للمؤمنين والضمير في (بها) للكلمة قيل التقدير أحق بها من كفار وينظر فيه بان الكفار (لا أحقية) لهم بها حتى يكون المؤمنون والنبي ﷺ أحق منهم والظاهر ان (أحق) خارج عن التفضيل كما يدل له قوله (وأهلها) فانه عطف تفسير ولا تفضيل فيها اللهم الا أن يراعى جانب الأمر من الله للكفار بالكلمة وأعطائه اياهم العقل ليقولها وقيل (أحق بها) من غيرها وقيل ان معنى (أهلها) انهم أهلها في علم الله وقضائه لأنه اختار لدينه ونبيه أهل الخير والصلاح وفي مصحف الحارث بن سويد صاحب عبد الله بن مسعود (وكانوا أهلها وأحق بها) وقال بعضهم هي كذلك في مصحف ابن مسعود ولم يحك هذا البعض ذلك عن الحارث قلت لعلها في مصحفيهما جميعا كذلك والحارث هذا هو الذي دفن مصحفه في أيام الحجاج وعنه ﷺ «اذا نادى المؤذن فتحت ابواب السماء واستجيب الدعاء فمن نزل به كرب أو شدة فليقل كما يقول واذا قال حي على الصلاة حي على الفلاح قال مثله ثم يقول رب هذه الدعوة الصادقة المستجاب لها دعوة الحق وكلمة التقوى احينا عليها وامتنا عليها وابعثنا عليها واجعلنا من خير أهلها أحياء وأمواتهم ثم يسأل حاجته تقض ان شاء الله» قيل وفي الحديث بيان كلمة (التقوى) على نحو تفسير الجمهور وفي صحيح مسلم انه يعوض على الحيلتين لا حول ولا قوة الا بالله بدل كل واحدة ورواه حديثا وصححوه والقولان في مذهبنا وثالث هو انه يجعل مثله كان في الولاية ويحوقل ان لم يكن اعني المؤذن فيها ﴿وكان الله بكل شيء عليما﴾ فهو العالم بمصالح صلح الحديبية والكف عن القتال وبكونهم أحق بها وأهلها ورأى صلى الله عليه وسلم في النوم عام الحديبية قبل خروجه اليها انه يدخل مكة

والمسجد هو وأصحابه آمنين محلقين ومقصرين بن واخبر أصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم يدخلونها في عامهم وقالوا ورؤيا الرسول حق وقيل رأى انه وأصحابه دخلوها آمنين محلقين مقصرين وقيل رأى كأنه وأصحابه الخ والتشبيه اما لأن الرؤية في المنام أو لعدم تحقيقه الرؤيا والأول أولى ولما تأخر ذلك ارتاب بعض المنافقين وعن بعضهم قال عبد الله ابن أبيّ عبدالله ابن نفيل ورفاعة بن الحارث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام واين رؤياه التي رآها وشق ذلك على الناس كما مر فنزل ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا﴾ فان رؤياه واقعة لا محال في وقتها المقدر وهو العام القابل وقد وقع ذلك في النفوس حتى وقع في نفوس بعض المسلمين فاجابهم النبي ﷺ هل قلت لكم يكون في عامنا هذا وقد نطق أبو بكر قبل بمثل ما قاله ﷺ وقال مجاهد كانت رؤياه بالحديبية فوثق الجميع بان الفتح في وجهتهم هذه وعن مجمع بن جوية الانصاري انصرفنا عن الحديبية اذا الناس يبزون الاباعير فقيل مابال الناس قالوا أوحي الى رسول الله ﷺ فاسرعنا فوجدنا النبي ﷺ واقفا على راحلته عند كراع الغميم فلما اجتمع الناس قرأ (انا فتحنا لك فتحا) فقال عمر أو فتح هو يارسول الله قال نعم (والذي نفسي بيده) وفيه دليل على ان المراد بالفتح صلح الحديبية وقد مر الخلاف أو السورة والرؤيا منصوب على نزع الخافض اي في الرؤيا وهكذا في مثله كقوله تعالى (صدقوا ما عاهدوا الله عليه) ومر توجيهه بغير ذلك * ﴿بالحق﴾ حال من الله او من رسوله او من الرؤيا او متعلق بصدق او بمحذوف صفة مصدر محذوف اي صدقا ملتبسا بالحق وصدق الرؤيا انها لم تكن من اضغاث الاحلام والحق خلاف الباطل والحكمة البالغة لما في ذلك من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الايمان والمتزلزل عنه ويجوز كون (بالحق) قسما بالمعنى المذكور وانه اسم من اسماء الله عز وجل وجوابه * ﴿لتدخلن﴾ وان لم نجعل بالحق قسما فلتدخلن جواب لمحذوف او جواب لصدق فانهم قالوا ما يدل على التحقيق والقطع يجاب كالقسم * ﴿المسجد الحرام ان شاء الله﴾ هذا تعليق للوعد بالمشيئة تعليما للعباد ان يقولوا في عداتهم ذلك متأدبين

بادب الله ومقتدين بسنته والا فالله عالم جزما لا شك معه قال ثعلب استثنى الله فيما يعلم ليستثني الخلق فيما لا يعلمون وقال ذلك اشعارا بان بعضهم لا يدخل لموت او غيبة او مرض او غير ذلك فالشرط راجع الى الخلق من حيث انه اذا رد واحد منهم الوعد الى نفسه امكن ان يتم وان لا يتم لنحو (موت) وغيره او حكاية لما قاله ملك الرؤيا وكان ادخل في كلامه (ان شاء الله) او حكاية لما قاله ﷺ او لمجرد التوكيد والتبرك او لان المؤمنين يأبون الصلح ويريدون الدخول في عامهم فذكر (ان شاء الله) اشارة الى ان الامر بمشيئة وزعم بعض ان الشرط راجع الى الأمن لا الدخول لا شك فيها قلنا وكذا الا من لا شك وقيل (ان) بمعنى (اذ) وهو مذهب الكوفيين وكذا في كل ما تحقق وقد ذكر ذلك ابن هشام وقال ان قول بعضهم المراد (لتدخلن) جميعا ان شاء الله الا ان يموت منكم احد قبل الدخول لا يدفع السؤال وقيل انه يعني (قد) واعترض القول بالحكاية بان لايصح ادخال شيء من كلام الغير من غير اعلام به ورد بوجوده مع قرينة والقرينة موجودة وهو الشك واعترض هذا بأن النبي والملك لا يشكان فيما اخبرا به عن الله واجيب بانهما لم يخبرا من الله على جهة الجزم وايضا كثيرا ما يعلق النبي في كلامه مع تحققه عنده وال في (المسجد) و (الشجرة) للعهد الذهني او التي في المسجد الحرام للذكرى * ﴿آمنين﴾ في الذهاب والرجوع وهذا الدخول الموعود به هو الذي وعده الكفار من عام قابل بعد الحديبية وآمنين حال مقارنة * ﴿محلقين رؤوسكن ومقصرين﴾ حالان مقدران وقيل الرؤيا وحي لا منام وقيل نزل (لقد صدق) الله . . الخ يوم فتح مكة وعن ابي سعيد الخدري حلق رسول الله ﷺ واصحابه يوم الحديبية الا عثمان وابا قتادة فاستغفر للمحلقين ثلاثا وللمقصرين واحدة ومعنى الآية محلقا بعضكم ومقصرا آخرون والتحليق ازالة الشعر كله والتقصير اخذ بعضه * ﴿لا تخافون﴾ للحال مؤكدة المحال الاخرى وهي (آمنين) لا للعامل الا ان جعل حالا من ضمير(آمنين) أو استئناف اي لا تخافون بعد ذلك * ﴿فعلم ما لم تعلموا﴾ من الحكمة والصواب في تأخير فتح مكة الى القابل او من ان دخولكم في

السنة المقبلة ولم تعلموا انتم * ﴿فجعل من دون ذلك﴾ اي قبل دخول المسجد أو قبل فتح مكة * ﴿فتحا قريبا﴾ هو فتح خيبر ليستريح اليه الأكثرون صلح الحديبية وبيعة الرضوان * ﴿هو الذي ارسل رسوله بالهدى﴾ ملبسا بالهدى أو ارسله بسبب الهدى ولأجله * ﴿ودين الحق﴾ اي الاسلام قبل ذلك بيان لصدق الرؤيا وتوكيد لما وعده من الفتح وانه ما كان ليري رسوله ﷺ شيئا غير صادق فيتحدث به ويتبين خلافه فيكون سببا للضلال * ﴿ليظهره على الدين كله﴾ ليغلبه على جنس الدين من أديان المشركين ولقد حقق ذلك فانك لا ترى دينا قط الا وللاسلام عليه العز والغلبة الى وقتنا هذا وهو اليوم الثاني والعشرون من رمضان من عام الف ومائتين وسبعين وهو الحاكم على الاديان قال رسول الله ﷺ «لا يبقى بيت مدر او شعر الا دخلها الاسلام يعز ذليلا ويذل عزيزا» ولم يقبض ﷺ حتى ظهر على الدين كله بنسخ منه للاديان وازالة الباطل وما من دين الا وقد قهر المؤمنون أهله وقيل ذلك عند نزول عيسى عليه السلام حتى لا يبقى على الأرض كافر قال ﷺ «الأنبياء اخوة لعلاة أمهاتهم شتى ودينهم واحد وانا اولى الناس بعيسى لاني ليس بيني وبينه نبي وانه نازل لا محالة فاذا رأيتموه فانه مربوع الخلق بين الحمرة والبياض سبط الرأس كأن رأسه يقطر وان لم يصبه بلل فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويقاتل الناس على الاسلام فيهلك الله الملل على يده غير الاسلام حتى تقع الأمنة في الارض فيرتعي الاسد مع الابل والنمر مع البقر والذئب مع الغنم ويلعب الغلمان بالحيات» وعن الحسن: ينزل من قبل المغرب مصدقا بمحمد وعلى ملته وبسطت نزوله في غير هذا وقيل اظهاره بالحجج وفي الآية توطين لنفوس المؤمنين على ان سيفتح لهم من البلاد ويقيض لهم الغلبة ما يستقلون اليه فتح مكة* ﴿وكفى بالله﴾ الباء صلة والله فاعل قيل زيدت لتضمن معنى اكتفى كما يجزم جواب الماضي الذي هو بمعنى الامر وبدليل ترك التاء في (كفر بهند)

والفاصل وهو الباء مجوز لا موجب والا لورد كفرت بهند وأحسن بهند فلأن التاء لا تلحق صورة الامر وقيل الفاعل ضمير الاكتفاء بناء على جواز التعليق بضمير المصدر قاله ابن هشام وبسطته في النحو * ﴿شهيدا﴾ حال ويضعف كونه تمييزا لأنه وصف (شهيد) انك مرسل بها ذكر وانه سيظهر ذلك الذي وعده وفيه تسلية للمؤمنين لما تأذوا من قول الكفار لو علمنا انك رسول الله ما صددناك عن البيت * ﴿محمد رسول الله﴾ الذي سبق ذكره في قوله أرسل رسوله وذلك مبتدأ وخبر ومحمد خبر لمحذوف ورسول بدل أو بيان لمحمد ونعته والجملة بيان للمشهود به وقال الجمهور استئناف لتعظيم رسوله ﷺ * ﴿والذين معه﴾ مبتدأ يعني المؤمنين مطلقا وقيل الصحابة وقال ابن عباس من شهد الحديبية والجمهور على الثاني * ﴿اشداء﴾ خبر او محمد مبتدأ ورسوله بيان وبدل ونعت والذين معطوف على محمد و (أشداء) خبر جمع شديد ﴿على الكفار﴾ غلاظ عليهم أقوياء كالاسد على الفريسة قال الحسن بلغ من تشددهم على الكفار انهم يتحررون من ثيابهم أن تمس ثيابهم ومن أبدانهم ان تمس ابدانهم * ﴿رحماء بينهم﴾ خبر ثان اي يتراحمون كالوالد مع الولد جمع رحيم قال الحسن بلغ من تراحمهم فيما بينهم انه لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه والمصافحة لا خلاف فيها والمعانقة لا بأس فيها وكذا التقبيل مع الذكر البالغ حيث لا فتنة أو مع الولد ولو طفلا ولا تقبل طفلة وتقبل يد الرجل لتعظيمه في الدين وكره ابو حنيفة المعانقة وتقبيل شي من جسد الرجل ورخص ابو يوسف في معانقته وذلك كقوله تعالى (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) (وأغلظ عليهم) (بالمؤمنين رؤوف رحيم) وحق على المسلمين في كل زمان ان يراعوا هذا التشدد وهذا الترحم يشددون على من خالف دينهم ويعاشرون اخوتهم في الاسلام متعطفين بالبر والصلة وكف الأذى والمعونة والاحتمال والأخلاق السمحة قال ﷺ «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»

وقال «لا تنزع الرحمة الا من شقي» وقال «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله» وأسباب الألفة كثيرة تلقاه بوجه طليق وتبذل السلام وتطيب الكلام والموفق لا يحتقر من الخير شيئا وفي الحديث «اذا التقى المسلمان كان أحبهما الى الله أحسنهما بشراً بصاحبه أو قال أكثرهما فاذا تصافحا أنزل عليهما مائة رحمة تسعون للذي بدأ وعشرة للذي صوفح» والمسلم يرحم كل أحد الا من منع الشرع رحمته كالكافر المشرك ومن رحمته اذلال للاسلام وكل أحد له رحمة تناسبه حتى الكافر المشرك اذا اذعن للاحكام وفي الآية ما يلحق بالطباق البديعي وهو الجمع بين معنيين يتعلق أحدها بما يقابل الآخر نوع تعلق كالسببية لا اللزوم فالمعنيان الشدة والرحمة والرحمة متعلقة باللين المقابل للشدة فان اللين سبب للرحمة وملزوم لها والرحمة مسببة ولازمة قرىء بنصب (أشداء ورحماء) على المدح والحال من ضمير الاستقرار في (معه) والخبر هو * ﴿تراهم ركعا سجدا﴾ مشتغلون بالصلاة في أكثر أوقاتها وقيل الصلوات الخمس والرؤية بصرية * ﴿يبتغون﴾ يطلبون وهو مستأنف او حال ثالثة والأولى والثانية ركعا (سجدا) وهي مترادفة وان جعلنا سجدا حالا من ضمير (ركعا) و (ركعا) حالا من ضمير (سجدا) ونحو ذلك كانت متداخلة (وركعا وسجدا) جمعا راكع وساجد ويجوز كون الرؤية علمية فيتعدد المفعول الثاني * ﴿فضلا من الله ورضوانا﴾ وادعى بعض ان المراد الصلاة والصوم والدين كله والصحيح الأول وهو نص صريح ان المؤمن المخلص يطلب بعمله الأجر من الله ولا ضير عليه والدرجة العليا ان يعمل تعظيما لله ولا يخطر له ثواب أو عقاب ولا أجر للمرائي وقيل (الذين معه) أبوبكر و (أشداء) عمر و (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) بقية الصحابه وعن بعض قومنا و (رحماء بينهم) عثمان و (ركعا سجدا) عليّ وهذان القولان انما يقول بهما الفقيه الجافي الذي لا حظ له في معرفة الكلام وتصريفه وحقيقته ولو قال قائل الرجل قائم وأراد بالرجل زيدا مثلا وبقائم عمرا لاستحق أن

يكون موضع لوم عند الناس فكيف يقول الله مثل ذلك * ﴿سيماهم﴾ اي علامتهم وقرىء سيماهم * ﴿في وجوههم من أثر السجود﴾ وقرىء من (آثار السجود) في وجوههم (خبر سيماهم) و (من أثر) متعلق بما يتعلق به (في) وبمحذوف حال من ضمير الاستقرار وتلك السيما تكون يوم القيامة وهي نور وبياض يعرفون بها في الآخرة انهم يسجدون في الدنيا لله قاله ابن عباس والحنفي وعطية كما يجعلون غرا محجلين من أثر الوضوء قيل يكون موضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر قيل ويؤيد هذا القول اتصال ذلك بقوله (فضلا من الله ورضوانا) وقيل هي ان يبعثوا غرا محجلين من أثر الوضوء وبذلك يعرفون كما في الحديث وقيل هي في الدنيا فقيل عن ابن عباس انها خشوع يبدو على الوجه من الاسلام وانها سجية الاسلام وسميته اورثهم السجود ذلك وهذه حالة مكثر الصلاة لانها تنهاهم عن الفحشاء والمنكر وقال عطاء بن ابي رباح والربيع بن انس استنارة وحسن يعتريان وجوه المصلين وفي الحديث « من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار » وقال الحسن ابن ابي الحسن وشمر بن عطية بياض وصفرة في الوجه من سهر الليل في الصلاة فمن سهر في الصلاة أصبح في وجهه نور وبياض ومن سهر في اللهو واللعب أصبح في وجهه ظلمة وقيل السيمة الحسن والخشوع والتواضع وقال الضحاك صفرة وقال سعيد بن المسيب ندى الطهور وتراب الارض وعن مالك بن انس وعكرمة وابي العالية كانت جباههم متربة من كثرة السجود وذلك انهم يصلون على التراب وقيل صفرة الوجه خشية الله وقيل ما يؤثره السجود في الوجه من التكعب في الجبهة وعليه سعيد بن جبير وكان علي بن الحسن زين العابدين وعلي بن عبد الله بن عباس يقال لكل منهما ذو الثفنات لأن كثرة سجودهما احدث في جباههما اشباه ثفنات البعير وما ذكر من الثفنات واثر التراب انما يمدح بهما لعدم قصد الفاعل المدح وان قصده فرياء وكفر ولذلك نهي عن كثرة الاعتماد على الأرض

بالوجه وقالوا ترك التراب على الجبهة بعد الصلاة جفاء قال بعض السلف كنا نصلي فلا يرى بين أعيننا شيء وترى أحدنا لا يصلي فترى بين عينيه ركبة البعير فلا ندري اثقلت الأرض أم خشنت الأرض وانما اراد من قصد الرياء وقد جعل الله حسن الثناء علامة للخير والذم علامة للشر وذلك اذا كان من العالم بالاحوال ولا شك انه اذا رأيت أهل ولايتك اثنين فصاعدا يمدحون أو يذمون تحكم بمدحهم او ذمهم روي انهم مروا بجنازة فاثنوا خيرا فقال ﷺ «وجبت الجنة» ومروا باخرى فقالوا شرا فقال «وجبت النار انتم شهداء الله في أرضه» وقال «يوشك ان تعرفوا اهل الجنة من اهل النار» قالوا يا رسول الله به قال «بالثناء الحسن والثناء القبيح» وقيل يارسول الله من أهل الجنة فقال «من لا يموت حتى تملأ مسامعه بما يحب» قيل فمن أهل النار قال «من لا يموت حتى تملأ مسامعه بما يكره» وأتاه رجل فقال متى أعلم اني محسن فقال «اذا قال جيرانك محسن وانت مسيء اذا قالوا انك مسيء» ومرت جنازة فقال ابن مسعود انظروا من أهل الجنة أو النار فقالوا بماذا فقال بالثناء الحسن والسيء وبعد فان ذلك لا يلزم صدقة وما هو الا امارة تصدق وتكذب بدليل أحاديث أخرى مروية ومن كتب محمد رسول الله ﷺ الى آخر السورة شاهد العجب من القبول والتسخير وان علق ذلك على بهيمة خضعت وينفع الحمى الباردة وتزيد القوة والشدة للشيخ المريض والحفظ وتنفع الطفل أيضا ولاسيما ان كتبها ليلة الرابع عشر من شهر رمضان المعظم وقيل في الرابع والعشرين في خرقة حرير أبيض بمسك وكافور وماء ورد ويجلده بعد لف في جلد غزال وتنفع لكل ضرر وجن وانس وجبار والحامل وهي جامعة لحروف المعجم ومن أكثر من قراءتها أجيبت دعوته وخرج من الضيق وتكون له أعوان وأنصار على الخير ويعطى خير الدنيا والآخرة وتكتب هكذا*

قـــــــــوله الحــــــــــق ولــــــــــه المـــــــــلك	حم عسق قوله سلام فهم مغفـرة طس عم اسرافيـل المـر على داود وعـز الله الـذين آمنـوا ﴿محمد رسول الله والذين آمنوا معه اشـداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعـا سجـدا يبتغـون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجـوههم من أثـر السجـود ذلك مثلهم في التـوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطـأه فـآزره فـاستغلـظ فاستوى على سوقه﴾ الخ*

تكتب مدورة حتى تتم وقالوا من كتب هذا قوله الحق وله الملك* ودفنـه في الأرض رأى عجبا بعد تقابل به الشمس حين تطلع*

(ذلك) الوصف واشارة مبهمة أوضحها قوله (كزرع) الخ كقولـه وقضينـا اليه ذلك الأمر ان دابر هؤلاء مقطـوع مصبحين * ﴿مثلهم في التوراة﴾ أي صفتهم العجيبة الشأن المذكورة فيها وذلك مبتدأ ومثلهم خبر * ﴿ومثلهم في الانجيل﴾ وقرىء بفتح الهمزة * ﴿كزرع﴾ مبتدأ وخبر هذا تفسير الضحاك ويجوز كون (مثلهم) معطوفا على (مثلهم) وكزرع خبر لمحذوف اي هم كزرع وهو تفسير مجاهد واختاره بعضهم وتفسيره متعلق بمثل وحال منـه ومن اسم الاشارة ولو كان مبتدأ لأن فيه معنى اشير وذلك ايضا يحتملـه مجاهـد قـال قتادة مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتـون الـزرع ويـأمـرون بـالمعـروف وينهون عن المنكر كالزرع يكونون قليلا ثم يكثـرون وفي التـوراة ان الله قـال لابراهيم عليه السلام حين دعاه في ابنه اسماعيل قد أجبتك في اسماعيـل او باركت عليه وكثرته وعظمته جدا جدا واجعله لأمة عظيمة يعني أمة سيـدنـا محمد ﷺ ومن أراد الاكثار من ذلك فعليه بمقامع الصلبان وروضات الإيمان لبعض علماء قرطبة ردها الله وجميـع بـلاد الانـدلس لـلاسـلام كـان يعـرف خطوط جهـل الكتـاب ولغتهم وجـادلهم وأفحمهم ﴿أخرج شطأه﴾ فراخه وأولاده واوخ الزرع أخرج السنابل حول الأصل أو تهيأ لـلانشقـاق بعـد مـا

يطلع قرأ ابن كثير وابن عامر في رواية ابن ذكوان بفتح الطاء وقرىء (شطأه) بتخفيف الهمزة (وشطاه) بالمد (وشطه) بحذف الهمزة بعد نقل فتحها للطاء (وشطوه) بقلبها واوا وتلك لغات * ﴿فآزره﴾ فقواه من المؤازرة وهي المعاونة وعن الاخفش انه فعل ومن الازر وهو الاعانة او من الازار اي كن له كالازار او شد ازره وهو الحقو ومشد الازار منه والقائل ضمير الزرع أو (شطا) او المعنى ساواه طولا وقرأ ابن كثير في رواية ابن ذكوان (فآزره بهم) بدون الف وقرىء (فازره) كذلك لكن بالتشديد ﴿فاستغلظ﴾ موافق لمجرد اي غلظ والصيرورة اي فصار غليظا والضمير للزرع ﴿فاستوى﴾ استقام * ﴿على سوقه﴾ تم وتلاحق بناؤه والسوق بضم السين جمع ساق وهو العود الذي يقوم عليه فيكون ساقا له وقيل السوق الأصول وعن ابن كثير (سؤقه) بالهمزة * ﴿يعجب الزراع﴾ اي يعجب حسنه ونماءه وكثافته وغلظه وقوته الزراع وذلك مثل ضربه الله للنبي وأصحابه قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى أمرهم بحيث يعجب الناس وعن النقاش عن ابن عباس الزرع النبي فآزره عليّ فاستغلظ بأبي بكر فاستوى على سوقه بعمر وقيل الزرع النبي ﷺ وشطأه أبوبكر فآزره عمر فاستغلظ عثمان فاستوى على سوقه عليّ يعجب الزراع جميع المؤمنين وقيل الزرع النبي والشطء أصحابه والمؤمنون وذلك ان النبي جاء وحده فهو كحبة واحدة ثم تقوى بالمسلمين بلا شك لكن منهم من مات على غير الوفاء * ﴿ليغيظ بهم﴾ وفاعل يغيظ ضمير (الله) وضمير رسوله وقيل (الزراع) هو رسوله والضمير المجرور للمؤمنين واللام متعلق بمحذوف اي انماهم وارقاهم ليغيظ بهم * ﴿الكفار﴾ او متعلق بوعد لأن الكفار اذا سمعوا بما وعد للمؤمنين في الآخرة مع ما يعزهم به في الدنيا غاظهم ذلك قال الحسن من غيظ الكفار قول عمر رضي الله عنه بمكة لا يعبد الله سرا بعد اليوم قال مالك بن انس: من اصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله ﷺ فقد اصابته هذه الآية. وعندنا كذلك ما لم تقم حجة ذم احدهم * ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾

وماتوا عليها ولم ينقضوها بالموت على الكبيرة مثل قتل النفس التي حرم الله فان الاتيان الى الآخرة بالعمل الصالح شرط مذكور في غير الآية فتحمل عليه الآية * ﴿منهم مغفرة واجرا عظيما﴾ هو الجنة وقيل المغفرة جزاء الايمان والاجر العظيم جزاء العمل الصالح و (من) للتبعيض فخرج من لم يأت بالعمل الصالح وأتى به وأبطله بمثل قتل حرقوص وضرب ابن مسعود وضرب ابي ذر غير ذلك وقال القوم هي للبيان ليدخل جميع الصحابة وعن ابن جبير الضمير للشطء وان الشطء من يولد ويؤمن الى يوم القيامة والجمع نظر للمعنى سلمنا انها للبيان لكن لابد من اخراج من لم يمت على الوفاء وهذه احاديث نص في الاخراج وما ورد من الأحاديث في المدح فمحمول على ذلك الشرط والتخصيص والصحابة كلهم عدول وفي الآية الا من ظهر منه ما يبرأ به منه وليس كما يدعي بعض الأصحاب ان المتولين منهم معدودون والمتبرأ منهم معدودون والباقي يوقف فيه بل نتولى الباقي لشهرتهم في الخبر وكثرة الدلائل ولكونهم تحت الامام العادل وأما من توقف فيه أصحابنا فلفعل سوء لا يبلغه البراءة وليسوا أعني من توقفوا فيهم في الولاية ثم توقفوا فيهم بل ولو كان فيهم فلا ضير في نقله منها الى الوقوف لأن ولايته تبع قال الشيخ أحمد اعلم ان الصحابة كلهم عدول الآ من ظهر تجريحه أو ارتداده وقيل كغيرهم في التوقف عن البحث عن العدالة وقيل بعدالتهم وقيل عدول الى وقت الفتن ثم يجب البحث وجاء في العامة خير الناس قرني ثم الثاني ثم الثالث يعني الصحابة والتابعين وتابعيهم والقرن مختلف فيه قيل عشر سنين وقيل عشرون وهكذا الى مائة وقال «لاتسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو ان أحدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مدهم ولا نصيفه» وهذا فيمن لم يرد فيه خبر منه ﷺ بذمه ولم يذمه ولم ير منه وكذا قوله «لاتتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم أحبني ومن أبغضهم فقد أبغضني ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله يوشك أن يأخذه» وقوله «ما من أحد يموت من أصحابي بأرض إلا بعث قائدا ونورا لهم» وقال

في الخاصة «أبوبكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف وأبوعبيدة في الجنة» ولم يصح عد عثمان وعليّ فيهم الأحاديث تنافي ذلك يسلمها الخصم وصعد أحدا فرجف فقال اثبت انما عليك نبي وصديق وشهيد يعني أبا بكر وعمر ولم يصح عد عثمان في الشهادة مع عمر وقال «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في الله عمر وأشدهم حراء عثمان» يعني الحياء الطبيعي والمكتسب الذي يكون في غير المتوف أيضا « وأفضلهم علـيّ » يعني فضل علم وشجاعة نحوهما «وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرأهم أبيّ بن كعب ولكل قوم أمين وأمين هذه الأمة ابوعبيدة بن الجراح وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر» وقال «اقتدوا بالذين من بعدي من أصحابي أبي بكر وعمر واهتدوا بهدي عثمان أي مما وافق الحق وتمسكوا بعهد ابن مسعود» وقال «أحب النساء اليّ عائشة وأحب الرجال أبوها وبعده عمر وقال «رحم الله أبابكر زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة وصحبني في الغار وأعتق بلالا من ماله رحم عمر يقول الحق وان كان الحق مرا» تركه وما له من صديق وكيف يصح أن يقول رحم الله عثمان تستحي منه الملائكة ورحم الله عليا اللهم أدر الحق معه حيث دار مع ما وصفهما به من الوقوع ثم الفتنة فان صح قوله ذلك فإنما قاله قبل علمه بما يحدثان بعده وكان أبو عبد الله محمد بن محبوب يقف عن الحسن والحسين وقال ولم أجد أحدا أعاب الحسين بشيء غير أنه أعان على قتل ابن ملجم فيما قال أبو صفرة والله أعلم أكان أم لا والحسين أحسن حالا وقلبي عليه أرأف اذا كان يرمي بالنبل ودمه ينضح وكتب اليه يزيد بن معاوية أن يبايعه فهرب الى مكة ثم خرج واتبعه زيادا بجنود فقتلوه ووقف فيهما بعض المسلمين مثل ابن محبوب وتبرأ منهما بعض وبالبراءة جزم في الضياء وتبرأوا من عليّ وعثمان وطلحة وجميع من رضي بحكومة الحكمين وحسان وفي كتاب الناسخ والمنسوخ هو ليس في الولاية عند اصحابنا الا ما يوجد في بعض الأثر من ولايته ووقفوا في محمد بن مسلمة وابن عمر وسعيد بن ابي وقاص وابي هريرة وابي الدرداء ابي امامة وكعب الاحبار وعبد الله بن سلام قال

وأشك في زيد بن ثابت اهو في الولاية أم لا وما سمعت من عبد الرحمن بن أبي بكر الا خيرا وتولوا أبابكر وعمر وأبا عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وأبا ذر وسلمان وحمزة والعباس وحرقوصا وأبّي بن كعب وزيد بن صوجان وخزيمة بن ثابت ومحمدا وعبد الله ابني بديل وعمارا وبلالا وسالما وعثمان بن مظعون وأويس وعبد الله بن رواحة واعلم يا أخي ان الاقتصار على هؤلاء تحجير للواسع وقد ثبت من رواية أبي عبيدة عن جابر بن زيد رضي الله عنهما عن عائشة رضي الله عنها انها قالت يغفر الله لأبي عبد الرحمن وهو ابن عمر وهذه منها ولاية له واذا اثبتت ولايته لم يتوقف فيه لشيء رئي فيه مما لا تدخل عليه الولاية بل يتولى حتى يري منه موجب براءة وثبت من رواية أبي عبيدة عن جابر بن زيد عن أنس ان أبا طلحة لما تصدق ببير قال له ﷺ بخ بخ ذلك ما رابح يروح بصاحبه الى الجنة فهذا إخبار بأنه من أهل الجنة وادعاه انه اشارة الى حقيقة المال تكلف ولم أر أحدا ادعى ذلك وثبت في القناطر انه ﷺ قال لابي الدحداح كم من عذق رداح ودار فياح في الجنة لابي الدحداح فهذا نص انه من أهل الجنة والواضح ما قررته لك والا فلا أقل من أن توالي من مات من الصحابة قبل الفتنة الا من اشتهر عنه شر فبالله عليك ما يزيح الولاية عمن اختاروا رسول الله ﷺ عن أنفسهم وأهلهم وأموالهم وماتوا دونه في قتال المشركين كجعفر ذي الجناحين الملقب بجعفر الطيار وغيره وتولى بعض أصحابنا المتأخرين مالك بن دينار وابراهيم بن أدهم وربيعة بن العدوية ونحوهم وهم من غير الصحابة وصرح أبو محمد عبد الله بن محمد بن ناصر بن ميال بن يوسف وزير أفلح بن عبد الوهاب بولاية مالك بن دينار وهرم بن حيان اللهم ببركة سيدنا محمد ﷺ وبحق السورة علينا اخز النصارى وأهنهم وإكسر شوكتهم وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه وسلم تسليما.


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿سورة الحجرات﴾

﴿ســـورة الحجرات﴾

مدنية كلها باجماع وقال السيوطي: حكى قول شاذ انها مكية وآيها ثـمان عشرة وكلمها ثلاثمائة وأربعون وحروفها ألف وأربعـمائة وست وسبعـون قـال ﷺ « من قـرأ سـوة الحجـرات أعطي من الأجـر بعـدد من أطـاع الله ومن عصاه » قيل اذا كتبت على جدار البيت لم يقربه شيطـان واذا كتبت وشربت أدرّت اللبن.

بســم الله الرحمن الرحيــم

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسولـه﴾ من (قدم) المشدد اللازم الذي بمعنى (تقدم) كوجه وبين (الذين) بمعنى توجه وتبين كما يـدل له قراءة يعقوب (تقدموا) بفتح التاء والقاف والدال أصله (تتقدمـوا) بتـائين في قراءة يعقوب وابن عباس والضحاك حـذفت احـداهمـا ويـدل لـه قـراءة بعض بفتح التاء واسكان القاف وضم الدال من القـدوم اي لا تقـدمـوا الى امر من أمور الدين قبل الله ورسـولـه ولا مفعـول لـه او من (قـدم) المشـدد المتعدي فمفعوله امـا محذوف للتعميم وامـا ملغي لم يتعلق الغـرض بـذكـره وغير مقصود حتى ان الفعل لازم او منـزل منـزلتـه ويتـوجـه النهي الى نفس التقدمة كأنه قيل لا تخالطوا التقدمة وكونه من المتعدي بـوجهيـه المـذكـورين اولي لبلاغته بلاغة شديدة وقد يقال المعنى على اللزوم كـذلك لأن معمـولـه محذوف اي لا تقـدمـوا الى امـر من الأمـور من فعـل او قـول و (يـدي الله ورسوله) كناية وتمثيل ولا يد لله حقيقة ولرسوله يد ان لم ترد احداهمـا تقـول جلست بين يدي فلان تريد قدامه قريبـا منـه بين الجهتين المقـابلتين ليـديـه فتسمي الجهتين باسم ما قربتا منه وهو اليدان وتقول جلست بين يديه ولو لم

يكن له يدان وذلك تصوير لشناعة من يتقدم الى شيء قبل ان يأذن الله به ورسوله وذلك من عدم احترامهما ومن الاجتراء عليهما وتعظيم النفس عندهما وذلك في أمور الدين ونحوهما وشامل للنهي عن ان يمشي ماش بين يدي رسول الله ﷺوعن ان يفتتح بالكلام قبله وعن السبق بالجواب عند السؤال وعن جابر بن عبد الله والحسن انه في الذبح يوم الأضحى قبل النبي ﷺ وهو انما يذبح بعد الصلاة فامرهم باعادة الذبح وهكذا كل من ذبح قبل الصلاة وهذا مذهب أبي حنيفة الى ان تزول الشمس وقال الشافعي يجوز اذا مضى من الوقت مقدار الصلاة وعن البراء بن عازب عنه ﷺ «أول ما نبدا به يومنا هذا ان نصلي ثم نرجع فنخرج فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا ومن ذبح قبل ان يصلي فانما هو لحم عجله لأهله ليس من النسك» قال ذلك في خطبته ﷺ وعن البراء ان خاله ضحى لابن له قبل صلاة النبي ﷺ فقال انها لا تجزي عن احد بعدك وقيل انه في النهي عن صوم يوم الشك قال مسروق دخلت عائشة فيه فقالت للجارية اسقيه عسلا فقلت اني صائم فقالت: قد نهى الله عن صوم هذا اليوم اي لا تصوموا قبل نبيكم وعن عمار من صامه فقد عصى ابا القاسم وعن الحسن لما استقر بالمدينة أتته الوفود من الآفاق فاكثروا سؤاله وقال عبد الله بن الزبير قدم وفد تميم اليه ﷺ فقال أبوبكر: أمر القعقاع بن معبد وقال عمر: أمر الأقرع بن حابس فقال أبوبكر: انما أردت خلافي فقال عمر لا وتنازعا فنزلت وقال قتادة نزلت في ناس يقولون لو انزل الله كذا وقيل بعث ﷺ سبعة وعشرين رجلا عليهم المنذر بن عمرو الساعدي الى بني عامر فقتلوهم الا ثلاثة تأخروا عنهم فسلموا ، وانكفأوا الى المدينة ، فلقوا رجلين من بني سليم ، فسألوهما عن نسبهما ، فقالا من بني عامر لانهم أعز من بني سليم ، فقتلوهما وسلبوهما ، فجاء نفر من بني سليم الى رسول الله ﷺ ، فقالوا : ان بيننا وبينك عهداً ، وقد قتل منا رجلان فودهما النبي ﷺ بمائة بعير ونزلت الآية في قتل الرجلين. ويجوز ان يكون المراد (لا تقدموا بين يدي رسول الله) وقال (بين

يدي الله ورسوله) تعظيما له بذكر الله أولا واشعارا بجلال قدره عند الله كما تقول اعجبني زيد وعمله دلالة على قوة الاختصاص وفي الآية توطئة للنهي عن رفع الصوت فوق صوته ﷺ وقال ابن زيد : المعنى لا تمشوا بين يدي رسوله وقول بعض لا تفتاتوا معناه لا تفيتوا شيئا حتى يقصه على لسان رسوله * ﴿واتقوا الله﴾ في نهيه وامره تعنكم التقوى على عدم التقدمة المنهي عنها وعلى جميع الرذائل وعدم التقدمة هو من التقوى ولكن كما تقول مثلا للسارق لا تسرق واجتنب سبب العار تنهاه اولا عما فعل وتعم له ثانيا بما لو امتثل امرك فيه لم يرتكب السرقة وذلك ابلغ * ﴿ان الله سميع﴾ لاقوالكم * ﴿عليم﴾ بافعالكم وحق مثله ان يتقي * ﴿يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ لأن في الرفع عدم الاحترام زعم بعضهم انها نزلت لارتفاع صوت ابي بكر وعمر عند النبي ﷺ في القصة المذكورة والصحيح انها بسبب عادة الاعراب من قلة الظرافة وعلو الصوت وقيل ذلك النهي اذا خوطب ﷺ وليكن صوتكم دونه فتظهر مزيته وقيل الخطاب للمنافقين في المعنى وفي اللفظ للمؤمنين ليكون الأمر اغلظ على المنافقين وقيل كان المنافقون يرفعون اصواتهم ليظهروا قلة مبالاتهم به ﷺ فيقتدي بهم ضعفة المسلمين وعن الحسن الخطاب للمنافقين لفظا ومعنى ولكن وصفهم بالايمان باعتبار ما اقروا به وقد كان من المسلمين من يرفع صوته عنه ﷺ فلا ينهاه وانما عنى المنافقين الذين يريدون أذاه والاستخفاف به وقرأ ابن مسعود (بأصواتكم) بزيادة الباء لتأكيد النهي عن الواقع منهم وهو الرفع الشديد لا لجواز القليل واعاد النداء عليهم استدعاء منهم بتجديد الابصار عند الخطاب الوارد والتوطئة للانصات للحكم النازل وزجرا عن الغفلة والفتور عن تأملهم وعما يعملون بمحضره ﷺ من الاذن الذي تعود المحافظة عليه بعظيم الجدوى عليهم في دينهم لأن في اعظام صاحب الشرع اعظام الشرع ومستعظم الشرع لا يدعه استعظامه ان يقصر في جدواه أو ان يفعل ما يصده عنه وكره رفع الصوت عند قبره ﷺ وبحضرة العالم وفي المساجد

قال القاضي أبو بكر ابن العربي حرمته ميتا كحرمته حيا وكلامه المأثور بعد موته كالمسموع من لسانه ولكلامه المأثور مثل القرآن لأنه وحي فيجب اذا كان حديثه يقرأ ان لا يرفع الصوت عليه ولا يعرض عنه كما في حياته ﷺ ﴿ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض﴾ بل دون ذلك ودون الجهر الخفاء والمراد الينوا القول لينا قريبا من الهمس الذي يضادد الجهر كما يخاطب المهيب المعظم ولما نزلت الآية قال ابو بكر لا اكلمك الا السرار واخا السرار حتى القى الله وكان عمر بعدها كذلك لا يسمعه النبي ﷺ حتى يستفهمه وكان ابوبكر اذا قدم وقد ارسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالوقار عنده ﷺ وعن ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي وكان في اذنه وقر وكان جهور الصوت ويتأذى ﷺ بصوته وروي لما نزلت احتبس في بيته فسأل ﷺ سعد بن معاذ ما شأن ثابت أشتكى ؟ فقال انه لجاري وما علمت له شكوى فأتاه سعد فذكر له قوله نزلت الآية فقال: لقد علمتم إني من أرفعكم صوتا فاخاف ان يكون قد حبط عملي وروي فانا من أهل النار فذكر للنبي ﷺ ما قال فقال: بل هو من أهل الجنة وروي انه دعاه فقال اني جهير أخاف ان يحبط عملي فقال ﷺ «لست هناك تعيش وتموت بخير وانك من أهل الجنة» وروي انه لما نزلت قعد في الطريق يبكي فمر به عاصم بن علي فقال ما يبكيك فقال اخاف ان تكون نزلت فيّ وغلبه البكاء فاتى زوجته جميلة بنت عبيد الله بن أبي سلول فقال اذا دخلت بيت فرسي فشدي علي الضبة بمسمار ولا اخرج حتى يتوفاني الله او يرضى عني رسوله فاخبر عاصم النبي ﷺ فارسله اليه ولم يجده في الطريق ووجده في أهله في بيت الفرس فقال انه ﷺ يدعوك فقال: كسر الضبة فاتاه فقال: ما يبكيك قال أنا صيِّت أي شديد الصوت اخاف أن تكون الآية نزلت فيّ فقال: اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال: رضيت ببشرى الله ورسوله لا أرفع صوتي على رسول الله ﷺ أبدا وقيل: قيل لثابت انك تعيب على أصحابك من القول

وتأتي بأسوأ فقال: ما هو ؟ قال ترفع صوتك فوق صوت النبي وتجهر له بالقول فقال أو فيّ نزلت قيل نعم والكاف متعلقة بـ (تجهروا) او بمحذوف نعت لمصدر محذوف اي جهر ثابت كجهر بعضكم او لا تعلق او اسم بمعنى مثل نعت لمصدر محذوف فانما نهوا عن الجهر الذي اعتادوه بينهم الخالي عن مراعاة حق النبوة والمؤمن ولو صدر منه رفع وجهر لم يقصد به استخفافا واستهانة لأنهما كفر ويجوز رفع الصوت في الحرب وجدال معاند ونحوهما ارهابا بحضرته وقد امر العباس وكان صيتاً ان يصرخ بالناس يوم حنين وروي أن غارة أتتهم يوما فصاح العباس ياصباحاه فاسقطت الحوامل لشدة صوته وانه يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع في جوفه وقال ابن عباس وغيره معنى (لاتجهروا له) الخ لا تنادوه باسمه كما ينادي بعضكم بعضا بل قولوا يارسول الله او يا نبي الله * ﴿ان تحبط أعمالكم﴾ في تأويل مصدر مفعول لأجله على تقدير مضاف ناصية لا الناهية لان فيها معنى الفعل اي انتهوا عما نهيتم خشية الحبوط اي خشية منكم للحبوط كقولك لا تضرب زيد لادبه اي انته عن ضربه لأنه أديب او ناصبة ما بعد لا وعليه فالعلة صيرورية فان الرفع والجهر سببان موصولان للاحباط فكأنهم رفعوا وجهروا لاجل الاحباط فكأنه قيل ما تفعلون من الرفع والجهر لأجل الاحباط كفوا عنه فالنهي منصب على ما يفعلون وعلى العلة دفعة بخلاف الوجه الأول ويجيز بعضهم تقدير لا النافية مع لام التعليل المعلقة بلا الناهية أي انتهوا لئلا تحبط أعمالكم واختلفوا في ارتفاع الحرف كلا الناهية الأولى والثانية وفي التنازع في المفعول لأجله وعلى جوازه فيه فقيل: يقدر ضمير نائب عن المصدر الواقع مفعولا لأجله وقيل يقدر ضمير مجرور باللام وعلى كل يقدر متصلا بالفعل سواء قلنا تنازع الفعلان أو الحرفان ويؤيد النصب بالفعل الأول أو الثاني قراءة ابن مسعود بنصب (يحبط) على حد النصب في (لا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي) وحبوط العمل فساده كقولك حبطت الابل اي فسد بطونها بأكل الحبط ودلت الآية ان من يأمن الآثام يرتكب ما

يحبط عمله وان في العمل ما لا يدري انه اثم محبط فهو حول الحمى فليحذر من الوقوع فكأنه قال الامر غميض فاحذروا ان تقعوا * ﴿وانتم لا تشعرون﴾ بالوقوع في الاحباط ﴿إن الذين يغضون﴾ يخفضون * أصواتهم عند رسول الله﴾ اجلالا له ومخافة من مخالفة النهي كعمر وابي بكر وثابت المذكور انه من أهل الجنة وانه يموت شهيدا وكان من خبره انه شهد اليمامة في حرب مسيلمة ورأى انكسارا من المسلمين وانهزام طائفة فقال أف لهؤلاء وقال لسالم مولى أبي حذيفة ما كنا نقاتل اعداء الله مع رسول الله ﷺ مثل هذا وثبتا وقاتلا حتى قتلا فرأى صحابي ثابتا في المنام وقال له ان فلانا الصحابي اخذ درعي وقد شده برمة وهو في ناحية من العسكر على فرس فات خالد بن الوليد يسترد درعي وإئت أبابكر خليفة رسول الله ﷺ وقل له ان عليّ دينا ليقضى عني وفلان من رقيقي عتيق فوجد خالد الدرع على ما وصف وأجاز ابوبكر الوصية قال مالك بن انس لا أعلم وصية اجيزت بعد موت صاحبها الا هذه * ﴿اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾ دربها ومرنها للتقوى فهم مستقلون بالتقوى صابرون عليها وعلى مشاقها ووضع الامتحان موضع المعرفة لأنه سببها و (اللام) متعلق (بامتحن) او بمحذوف خال من القلوب او من الهاء ومعناها كمعنى اللام في قولك انت لذلك الشجاع اي كاف أمره مختص به أو ضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها للتقوى من قولك امتحن الذهب اذابه وميز ابريزه من خبثه وقال عمر أذهب الشهوات عنها وهذا داخل فيما مر ومن غلب شهوته وغضبه فقد امتحن قلبه للتقوى والآية نزلت قيل في ابي بكر وعمر والجملة خبر لأن وجملة ﴿لهم مغفرة﴾ لذنوبهم * ﴿وأجر عظيم﴾ وهو الجنة لغضهم وسائر طاعتهم خبر ثان او خبر والجملة قبلها معترضة أو هذه استئناف والتي قبلها خبر أو هذه خبر و (أولئك) بدل او نعت لاسم ان والذين بدل او نعت لأولئك وفي الآية من المدح ما لا يخفي أكد (بان) وأخبر بجملتين اسميتين

او باحداهما وجاءت احداهما معرفتين واحدى المعرفتين اسم اشارة البعيد اشارة المعلق والمسند اليه في الاخرى نكرة للابهام والامتحان افتعال من محن للاختبار البليغ او البلاء الجهيد ويجوز كون (لهم) خبرا ثانيا أو خبرا وما قبله معترض و (مغفرة) فاعله أو (أولئك) مبتدأ خبره (لهم) و (مغفرة) فاعل أو خبره جملة (لهم مغفرة) من مبتدأ وخبر والمجموع خبر لأن ولمرتكب الرفع والجهر ضد ذلك في الشر * ﴿إن الذين ينادونك﴾ بغلظة وجفاء وهم وفد بني تميم وقيل اكثره منهم * ﴿من وراء الحجرات﴾ (من) للابتداء و (الوراء) الجهة التي يواريها الشخص بنفسه ولو من قدامه ولذا يطلق الوراء على قدام ايضا ويقال ناداني من وراء الدار اي قطر من اقطارها الظاهرة من غير اعتبار وجه الدار أو دبرها و (الحجرات) جمع حجرة بالضم فالاسكان وهي القطعة من الارض المحجوزة بحائط يحوط عليها (فُعّلة) بمعنى مفعولة كغرفة وقبضة وقرىء بفتح الجيم وباسكانها والمراد حجرات نسائه ﷺ تفرقوا عليهن تطلبا لكل واحدة حجرة نادوه مناداة الأجلاف من غير قصد الى جهة ناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء هذه واسند النداء الى جميعهم والمنادى بعضهم فقط لرضى الباقين قيل انهم سبعون وقد قيل ان المنادي عيينة والاقرع والزبرقان بن بدر نادوه وقت الظهيرة وهو راقد يا محمد اخرج الينا يا محمد اخرج الينا أو نادوه من وراء الحجرة التي كان فيها وجمعت تعظيما له ﷺ وفي ذكر الحجرات وانه ﷺ نودي منهن كناية عن خلوته بالنساء * ﴿أكثرهم لا يعقلون﴾لان العقل يقتضي حسن الأدب ولا سيما لمن كان في هذا المنصب ولفظ (الاكثر) اما لان فيهم من يعقل وهو قليل (والاكثر) بمعنى الكثير وهم من لا يرجع عن الشر والقليل يرجع او لان القلة تطلق على النفي ايضا في كلامهم وليس فيهم عاقل وفي الآية بينات عديدة اجلالا له ﷺ وورد على النظم المسجل به على الصائحين سفها وجهلا والكناية بالحجرات عن الخلوة والمقيل مع بعض نسائه والتعريف بأل لا بالاضافة وتشفيع ذمهم باستجفائهم وضعف عقولهم

وضبطهم لموضع التمييز في الخطاب تسلية له ﷺ وتهوينا لسوء أدبهم وبدأ السورة بالنهي عن التقدمة مطلقا ثم أردفه بالنهي عن الرفع والجهر وهما من جنس التقدمة والنهي عنها وطأ للنهي عنهما ثم أثنى على الغاضين أصواتهم دلالة على عظمته عند ربه وأردف ذلك بذكر ندائهم في حال الخلوة ببعض نسائه نداء الأجلاف بعضهم بعضا لمن يكلمه المهاجرون والأنصار بالسرار للتنبيه على فظاعة فعلهم وعليك بمراعاة الأدب كما حكى عن أبي عبيدة العلامة العمالة ـ رحمه الله ـ انه قال: ما دققت بابا على عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه فروي انه لما نادوه مرارا وأيقظوه من النوم خرج ونزلت الآية وقال: « هم جفاة بني تميم لولا إنهم من أشد الناس قتالا للاعور الدجال لدعوت عليهم أن يهلكوا » وكان نداؤهم في المسجد من وراء الحجرات ولما خرج قالوا له: نحن ناس من بني تميم جئنا اليك بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك فقال ما بالشعر بعثت ولا بالفخر أمرت ولكن هاتو فقام شاب فقال الحمد لله الذي جعلنا خير خلقه وآتانا أموالا نفعل بها ما نشاء فنحن من خير أهل الأرض وأكبرهم عدة ومالا وسلاحا ومن أنكر قولنا فليأت بأحسن من قولنا وأفعالنا فقال ﷺ لثابت بن قيس: قم فاجبه فقام وقال: الحمد لله سبحانه أحمده واستعينه واؤمن به وأتوكل عليه وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمدا عبده ورسوله دعا المهاجرين من بني عمه أحسن الناس وجوها واعظمهم احلاما فاجابوه فالحمد لله الذي جعلنا انصاره ووزراء رسوله فنحن نقاتل الناس على أن يشهدوا ان لا اله الا الله فمن قالها منع منا نفسه وماله ومن أبى قاتلناه وكان علينا هنيئا أقول قولي هذا واستغفر الله عز وجل لي وللمؤمنين والمؤمنات فقام ذلك الشاب فقال:

نحن الكرام فلا حي يعادلنا ... فينا الرؤوس وفينا يقسم الربع
ونطعم الناس عند القحط كلهم ... من السديف اذا لم يؤنس الفزع
أنى اتينا فلا يأتي لنا أحد ... إنا كذلك عند الفخر نرتفع

فارسل الى حسان فقال مرة ان يسمعني ما قال يا رسول الله فاسمعه فقال :

نصرنا رسول الله والدين عنوة على رغم باد من معد وحاضر
السنا نخوض الموت في حومة الوغى اذا طاب ورد الموت بين العساكر
ونضرب هام الدارعين وننثني الى حسب من حذم غسان قاهر
فلولا حياء الله قلنا تكرما على الناس بالحيين هل من منافر
فاحياؤنا من خير من وطيء الحصى وأمواتنا من خير أهل المقابر

فقام الأقرع بن حابس فقال : أي والله لقد جبيت ما قاله هؤلاء وقد قلت شعرا فأسمعه فقال هات فقال:

أتيناك كيما يعرف الناس فضلنا اذا فاخرونا عند ذكر المكارم
وإنا رؤوس الناس من كل معشر وان ليس في أرض الحجاز كدارم
وان لنا المرباع في كل غارة تكون بنجد او بارض التهائم

فقال رسول الله ﷺ قم يا حسان فاجبه فقال:

بني دارم لا تفخروا ان فخركم يعود وبالا عند ذكر المكارم
هَبِلتم علينا تفخرون وانتم لنا خول من بين قن وخادم
وأفضل ما نلتم من المجد والعلا وداقتنا من بعد ذكر الاكارم
فان كنتم جئتم لحقن دمائكم واموالكم من قبل قسم المقاسم
فلا تجعلوا لله ندا واسلموا ولا تفخروا عند النبي بدارم
والا ورب البيت مالت أكفنا على هامكم بالمرهفات الصوارم

فقال الأقرع : والله ما أدري ما هذا الأمر تكلم خطيبنا فكان خطيبهم أحسن قولاً وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم أحسن شعراً ثم أعطاهم ﷺ وكساهم وعن الحسن إن المنادين منافقون وعنه جاء شاعر فنادى يا رسول الله فقال ﷺ بعدما خرج : ويحك ويلك مالك فقال قلت لي ويحك ويلك فوالله ان حمدي لزين وان شتمي لشين فقال ﷺ «سبحان الله ذلك الله

سبحـان الله ذلك الله» وعن ابن عبـاس بعث رسـول الله ﷺ سريـة الى بني العنبر وأمر عليهم عيينة بن حصن الفزاري فلما علموا انه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة وقدم بهم على رسـول الله ﷺ فجـاءه بعـد ذلك رجالهم يفدون الذراري فقدموا وقت الظهيرة ووافقوه ﷺ قائلا في أهلـه فلـما رأتهم الذراري جاءوا الى آبائهم يبكون فعجلوه أخرج الينـا يـا محمـد أخـرج الينا يا محمد حتى أيقظوه فقالوا يا محمد هات عيـالنـا فنـزل جبرائيـل ان الله يأمرك ان تجعل بينك وبينهم رجلا فقال ﷺ اترضون ان يكون بيني وبينكم شبرة بن عمر وهو على دينكم قالوا نعم قـال شبرة انـا أحكم وعمي شـاهـد وهو الأعور بن سامة فرضوا به فقال أرى ان تفـادي نصفهم وتعتق نصفهم ففعـل ﷺ * ﴿ولو﴾ ثبـت * ﴿إنهم صبروا حتى تخـرج اليهم﴾ كما هـو الادب * ﴿لكان﴾ صبرهم * ﴿خيرا لهم﴾ او لكان ثبـوت صبرهم او حسن الادب في طاعة الله وطاعة رسوله خيرا لهم (وصبر) في تأويـل مقـدر فـاعـل لمحذوف عند الكوفيين والزمخشري وهو واضح وقال (يس) مبتـدأ لا خبر لـه لاشتمال ما بعد ان على المسند اليه والمسند وقيل خبره محذوف مقدر قبله قاله ابن هشام وغيره وبسطته في النحو وروي انهم نادوه وقـالـوا اخـرج الينـا يـا محمد فان مدحنا زين وذمنا شين فخرج قائلا انـما ذمكم الله الـذي مـدحـه زين وذمه شين وانه لـما أعطـاهم اعطى عمـرو بن الأهتم تخلف في ركـابهم لحداثة سنة مثل مـا اعطـاهـم فـازرى بـه بعضهم وارتفعت الاصـوات ونـزل (يأيها الذين آمنوا لا تـرفعـوا) الى قـولـه * ﴿والله غفـور رحيم﴾ لمن تـاب (حتى) مختصة بالغاية المضروبة نحو أكلت السمكـة حتى رأسهـا ولا تقـول حتى نصفها او صدرها والى عامة في الكل فـأفـادت حتى ان خـروجـه ﷺ اليهم غاية قد ضربت لصبرهم فما كان لهم ان يقطعوا امرا دون الانتهاء اليـه وفائدة قوله اليهم انه لو خرج ولم يكن خروجه اليهم للـزمهم ان يصبروا الى ان يعلمـوا ان خـروجـه اليهم و (خيرا) بمعنى النفــع او اسم تفضيــل اي (خير) اليهم من الاستعجال لأن في الاستعجال عدم الأدب والتعظيم وفادى

نصف الأسارى وقد كان قبل ذلك يريد ان يردهم جميعا بدون فداء ولو صبروا لكان بلا فداء ومن الغفران والرحمة اقتصاره على النصح والتقريع لهؤلاء المسيئين الادب * ﴿يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق﴾ خارج عن الحق وكل خارج عن شيء فهو فاسق عنه يقال (فسقت الرطبة عن قشرها) ومقلوبة (فقست البيضة) كسرتها واخرجت ما فيها وفقست الشيء اخرجته من يد مالكه مغتصبا * ﴿بنبأ﴾ اي بخبر وتنكير (نبأ) وفاسق للتعميم اي فاسق بأي نبأ ﴿فتبينوا﴾ توقفوا وأطلبوا البيان والثبوت كما قرأ حمزة والكسائي وابن مسعود (فتثبتوا) ولا تعتمدوا قول الفاسق لأن من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه والفاء فيها معنى السببية اي تبينوا لأجل فسقه ولا تأخذوا كلامه واما غيره فيؤخذ به وينظر شاهد آخر روي انه ﷺ بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط أخا عثمان لأمه الى بني المصطلق بعد الواقعة يأخذ منهم الصدقة وكانت بينه وبينهم عداوة في الجاهلية وحقدا وهو الذي ولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن ابي وقاص فصلى بالناس سكران الفجر أربعا وقال ازيدكم فعزله عثمان ولما شارف ديار بني المصطلق ركبوا مستقبلين له فحسبهم مقاتليه وسوسه الشيطان فرجع وقال للرسول ﷺ منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي فغضب ﷺ وهم بغزوهم ولما بلغهم رجوعه جاءوا فقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا اليه راكبين فرحين معظمين أمرك فرجع وخفنا انه ورد منك كتاب اليه بالرجوع لغضب علينا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله فاتهمهم وقال لتنتهن أو لأبعثن اليكم رجلا هو عندي كنفسي يقاتل مقاتلكم ويسبي ذراريكم قيل فضرب بيده على كتف عليّ يشير انه الرجل المذكور وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد بعد رجوعهم خفية في عسكر وقال ان رأيت ما يدل على ايمانهم فخذ منهم زكاة والا فافعل فيهم ما نفعل بالكفار فوافاهم مؤذنين لصلاة المغرب ثم سمع آذان العشاء متهجدين فأعطوه الصدقات ولم ير الا الطاعة فرجع واخبر رسول الله ﷺ فنزلت الآية وقبل ولما شارفهم الوليد قيل له انهم مانعوك

مقاتلوك فرجع وقيل ان خالدا لما وافاهم كذلك قص لهم ان فاسقا سعى بهم وان رسول الله بعثني خفية مختبرا فرحمكم الله وأصلحكم وقيل انه رأى تهجدا وصلاة بالليل وسمع أذان الصبح وبنو المصطلق حي من خزاعة وفسق الوليد هذا فسق نفاق ولما كان رسول الله ﷺ وأصحابه بمنزلة لا يجسر احدهم فيها ان يكون الا نادرا كالوليد قال ان جاءكم بأن الشكية وفي الآية اشارة ما ان على المؤمنين ان يكونوا بهذه المنزلة لئلا يطمع فاسق ان يخاطبهم بكلمة زور عن بعض ان الآية عامة قلنا نعم وقال ان الوليد أخطأ وظن وليست الآية حاكمة بفسقه او حاكمة بفسق تاب منه قلنا لو كان يتوب ما سماه الله فاسقا الا ان يراد ان فعله فعل فسق لا انه فاسق فافهم * ﴿أن تصيبوا﴾ مفعول لأجله اي (كراهة اصابتكم) وقيل على تقدير لام الجر ولا النافية اي(لئلا تصيبوا) * ﴿قوما بجهالة﴾ متعلق بتصيبوا وبمحذوف حال من الواو اي (ثابتين بجهالة لأمرهم) * ﴿فتصبحوا﴾ أي (تصيروا) ﴿على ما فعلتم﴾ من الخطايا * ﴿نادمين﴾ مغتمين غما لازما لأنه كلما تذكروا يندمون ويتمنون انه لم يقع ولذلك ترى العرب تسمي الهم صاحبا ونجيا وسميرا وضجيعا ومن مقلوبة بزيادة الهمزة أدمن الأمر بمعنى أدامه ومدن بالمكان اقام به ومنه المدينة * ﴿واعلموا أن فيكم رسول الله﴾ فلا تقولوا الباطل فان الله يخبره وقال الحسن انه معكم مرشد فلا تضلون ما قبلتم عنه وقدم خبر (ان) توبيخا لبعض المؤمنين على تزيينهم لرسول الله ﷺ الايقاع ببني المصطلق تصديقا للوليد ومثل هذا قد يصدر من المؤمن وقيل المعنى ان فيكم رسول الله على حال يجب تغييرها وهي ارادتكم ان يتبع رأيكم في الحوادث ولو فعل لوقعتم في المشقة والهلاك كما قال * ﴿لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنِتُّم﴾ لوقعتم في المشقة والهلاك دينا ودنيا فهذه الجملة حال من ضمير الاستقرار في خبر (ان) او من الكاف و (لو) جعلت استئنافا لم يظهر هذا المعنى وهؤلاء اخيار الأئمة لو يطيعهم لعنتوا فكيف بغيرهم وقال (يطيع) ولم يقل (أطاع) للدلالة على المستمر تستمر ويدل له لفظ كثير والمعنى ان

امتناع (عنتكم) بسبب امتناع استمراره على طاعتكم فان المضارع يفيد الاستمرار ودخول (لو) يفيد امتناع الاستمرار والمعنى ان امتناع عنتكم بسبب استمرار امتناعه عن اطاعتكم لأنه كما ان المضارع المثبت يفيد استمرار الثبوت يجوز ان يفيد المنفي استمرار النفي والداخل عليه (لو) يفيد استمرار الامتناع كما ان الجملة الاسمية المثبتة تفيد تأكيد الثبوت ودوامه والمنفية تفيدنا تأكيد النفي ودوامه لا نفي التأكيد والدوام وفي الآية توبيخ للكذبة واستثنى الذين يمنعهم جدهم في التقوى عن الجسارة على طلب رسوله ان يتبعهم بقوله ﴿ولكن الله حبب اليكم الايمان﴾ أي (الى بعضكم) واغنت عن ذكر البعض صفتهم المفارقة لصفة غيرهم وهذا ايجاز دقيق وعن بعض انهم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ولمغايرة الصفتين جاءت (لكن) لأنها تخالف ما قبلها نفيا واثباتا وايضا ما قبلها يفيد انه لا عذر لهم وجاءت (لكن) وما بعدها تبين ان لهم عذرا وهو تحبيب الله لهم الايمان فبالغوا في حبه وزينه لهم وكره لهم الكفر والفسوق والعصيان كما في باقي الآية وحملهم ذلك على الأمر بالايقاع ببني المصطلق لما سمعوا قول الوليد وقد قال ﷺ لما انزل (ان جاءكم فاسق) الخ التثبت من الله والعجلة من الشيطان فيجوز ان يكونوا كلهم مريدين الايقاع لشدتهم في الدين * ﴿وزيّنهُ﴾ حسّنه * ﴿في قلوبكم وكرّه إليكم الكفر﴾ تغطية النعم بالجحود * ﴿والفسوق﴾ الخروج عن قصد الايمان بركوب الكبائر * ﴿والعصيان﴾ اي ترك الانقياد لأمر الشرع قال بعضهم (حبب الايمان) بما وعد من الثواب وكره ذلك بما وعد من العقاب ومن أحب الايمان ازاد في قلبه فيطيع بخلاف محبة شيء فان المحب له قد يسأم منه وعن ابن عباس (الفسوق) (الكذب) والايمان الكامل تصديق واقرار وعمل فكرّه اليكم الكفر في مقابلة (حبب اليكم) الخ و(الفسوق) اي الكذب في مقابلة الاقرار والعصيان في مقابلة العمل وتحبيب الله وتكريهه اللطف والتوفيق ومدحهم لفعلهم واعتقادهم على توفيقه فانه تعالى ذم قوما يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا واما مدح العرب الرجل بالجمال

فبالنظر الى ما يشعر بـه الجـهال غـالبـا من الاخـلاق المحمـودة من الجميـل وجعله كثير من المعاينين خطأ ورأوا انها المدح على الكسب ويؤيد القول بان طالبي طاعـة الـرسـول لأمـرهـم هـم البعض وان المحبب اليهم الايـمان غير ذلك البعض قوله * ﴿اولئك﴾ المستثنون ﴿هم الراشدون﴾ المستقيمون على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشـاد والـرشـادة وهمـا الصخـرة بخـلاف البعض الطالبين المطـاعـة فـانهم لم يحبب اليهم ويكـره مثـل ذلك التحبيب والتكـريـه ودرجتهم دون ذلك وعـدى (حبب وكـره) بـالى لتضمنهـما معنى الايصال وأما (بغض) التشديد فهو في نفسه محتاج في تعديتـه بـالى الى ذلك التأويل فليس كره تعدى بـالى تضمينـا لمعنى (بغض) كـما قـال القـاضي * ﴿فضلا من الله ونعمـة﴾ مصدر نـاصبـه (حبب) أو (كـره) فـان التحبيب والتكريه افضال من الله وانعام كقعدت جلوسا كـما قيـل الا ان اعتبر جهـة خلق الله الرشاد فكأنه قيل أفضل عليهم افضالا وأنعم إنعاما او خبر لكـان محـذوفة على قلـة أي كـان ذلك فضـلا ونعمـة او حـالا أي جـري ذلك فضـلا ونعمـة او مفعـولا لأجـله لـ (حبب) أو (كـره) او مفعـولا لأجـلـه لـ (الراشدون) بنا على عدم اشتراط اتحاد الفاعل واعتمادا على جهة مخلـوقيـة الرشاد فان خلقه والافضال والانعام فاعلها واحد واذا جعل العامـل (حبب او كره) فالجملة معترضـة * ﴿والله عليم حكيم﴾ علم احوالهم وتفـاضلهم وتفضيله بعضا على بعض وتوفيق الجميع فضـلا حكمـة وعن بعضهم عليم بكم وبما في قلوبكم حكيم في امره وقيـل عليم بـما في خـزائنـه من الـرحمـة والخير حكيم فيما ينزله منها بقـدر الحـاجـة وكـان قتـادة يقـول قـد قـال الله لأصحاب محمد ﷺ (واعلمـوا ان فيكم رسـول الله) الـخ وانتم والله اسخف رأيا وأطيش أحلاما فليتهم الرجل نفسه ولينتصح كتاب الله *

قيل ان الحارث بن ضرار قدم على رسول الله ﷺ فأسلم ودعاه الى الزكـاة فأجاب فقال أرجع الى قومي فأدعوهم الى الاسـلام والـزكـاة فمن استجـاب

جمعت زكاته وترسل اليّ وقت كذا ونملن لرسولك ما جمعت وجمع ممن استجاب وبلغ الوقت ولم يرسل ﷺ اليه فظن انه ساخط فجمع شرفاء قومه فقال ان رسول الله ﷺ وقت لي وقتا ليقبض الزكاة ولم يأت فما أراه الا ساخطا وكان ﷺ بعث اليه الوليد ليأخذ ما جمع من الطريق وقال ان الحارث منعني الزكاة واراد قتلي فبعث ﷺ الى الحارث وهو مقبل بأصحابه الى المدينة فتلاقوا فقال لهم الى من بعثتم فقالوا اليك قال ولم يقولوا ان رسول الله ﷺ ارسل اليك الوليد فرجع وزعم انك منعته وأردت قتله فقال والذي بعث محمدا بالحق ما رأيته ولا أتاني ولما دخل على رسول الله ﷺ قال منعت الزكاة وأردت قتل رسولي فقال لا والذي بعثك بالحق نبيا ما رأيته ولا اتاني ولا أقبلت الا حين احتبس عليّ رسولك خشية سخط الله ورسوله * **﴿وان طائفتان﴾** فاعل (اقتتل) محذوفا لا مبتدأ على الصحيح * **﴿من المؤمنين اقتتلوا﴾** جمع نظرا للمعنى واعتبار اللفظ ان يقال اقتتلتا كما قرا به ابن أبي عبلة وقرأ عبيد بن عمير (اقتتلا) بتأويل الرهطين وكما قال * **﴿فأصلحوا بينهما﴾** ولم يقل (بينهم) وكذا قال احداهما (وبينهما) والاصلاح بالنصح والدعاء الى حكم الله مر رسول الله ﷺ على حماره لعيادة سعد بن أبي عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر واردف اسامة بن زيد خلفه وعلى الحمار قطيفة فمر على مجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول قبل ان يسلم ومعه مسلمون وذوو أوثان ويهود ولما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله على فيه بردائه وقال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله ﷺ ووقف فنزل ودعاهم الى الله وقرأ القرآن فقال عبد الله أيها المرء انه لأحسن مما تقول ان كان حقا فلا تغشنا به في مجالسنا وارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة يارسول الله فاغشنا في مجالسنا فانا نحن ذلك فاستاب المشركون واليهود والمسلمون حتى كادوا يتبارزون فلم يزل النبي ﷺ يخفظهم حتى مكثوا ثم ركب دابته فنزلت الآية.

وعن ابن عباس وقف ﷺ على مجلس بعض الأنصار وهو على حمار فبال الحمار فامسك عبد الله بن أبي أنفه وقال خل سبيل حمارك فقد آذانا نتنه فقال عبد الله بن رواحة: والله أن بول حماره أطيب من مسكك وروي حماره أطيب منك وبول حماره أطيب من مسكك ومضى ﷺ وطال الخوض بينهما حتى استابا وتجالدا اي تضاربا وجاء فوقاهما وهما الأوس والخزرج وتجالدوا بالعصى وقيل بالأيدي والنعال والسعف فرجع اليهم فأصلح بينهم فنزلت وقيل نزلت فقرأها عليهم فاصطلحوا وفي زواية قيل له ﷺ لو أتيت عبد الله بن أبي فانطلق اليه على حمار عليه اكاف وقطيفة ومعه المسلمون والأرض سبخة الى ان بلغه فكان ما ذكر وقال قتادة نزلت في رجلين من الانصار كانت بينهما ممارأة في حق بينهم فقال أحدهما لآخذن حقي عنوة لكثرة عشيرتي ودعاه الآخر ليحاكمه الى النبي ﷺ فابى أن يتبعه وتدافعا بالأيدي والنعال وعن الحسن أحدهما منافق تعزز بقومه والمشركين والآخر مؤمن تعزز بالمسلمين وتدافعا فنزلت وقيل كانت أمرأة من الأنصار أسمها ام زيد تحت رجل ورقي بها الى علبة فحبسها فيه لشيء بينهما فجاء قومه وقومها فاقتتلوا بالأيدي والنعال فنزلت وعن بعض أن باطن الآية الروح والقلب والعقل والطبع والهوى والشهوة فان بغت هذه الثلاثة فقاتلها بسيوف المراهنة وسهام المطالعة وأنوار الموافقة حتى تغلبها الثلاثة الأولى ﴿فان بغت احداهما﴾ اي تعدت بالاستطالة والظلم واباء الصلح * ﴿على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء﴾ ترجع * ﴿الى أمر الله﴾ أي حكمة وانما أطلق الفيء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس وعلى الغيمة لرجوعها من الكفار الى المسلمين وعن أبي عمرو (وحتى تفي) بغير همز وقيل ان ابا عمرو يخفف الأولى من الهمزتين الملتقيتين ولطفت تلك الخلسة على الراوي فظنه قد طرحها * ﴿فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل﴾ وعن ابن عباس (حتى يفيئوا الى امر الله) فان فاءوا فخذوا بينهم بالقسط * ﴿وأقسطوا﴾ أي أعدلوا في كل الأمور * ﴿إن الله يحب المقسطين﴾ يحمدهم بحسن الجزاء قيد الاصلاح هنا بالعدل

لأنه مظنة الحيف من حيث انه بعد القتال واما الاقتتال في أول الآية فهو ان تقتتلا باغيتين معا او راكبتين شبهة وأيتهما كان فالواجب اصلاح ذات البين بالحق والوعظ الشافي ونفي الشبهة وان اصرتا وجب القتال واما الضمان فلا يتجه وليس كذلك اذا بغت احداهما فان الضمان يتجه على الوجهين المذكورين و (القسط) بالكسر (العدل) والفعل منه (أقسط) كما تدل عليه الآية وهمزته للسلب اي ازال (القسط) بالفتح وهو الجور واصله اعوجاج في الرجلين ويقال في الفعل ايضا (قسط) بالفتح (يقسط) بالكسر والضم (والقُسط) بالضم رائحة وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت واذا كفت عن الحرب تركت واذا تولت عمل بما روي عن النبي ﷺ انه قال «يا ابن ام عبد هل تدري كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الأمة ؟» قال: الله ورسوله اعلم قال «لا يجهز على جريحها ولا يقتل أسيرها ولا يطلب هاربها ولا يقسم فيؤها» قال أصحابنا: الا ان كان لهم ماوى يلجأون اليه فانه يقتل ويجهز على الجريح ويتبع الهارب قال الزمخشري اما ان تقتتل الفئتان بغيا منهما جميعا فالواجب اصلاحهما وان اقامتا على البغي قوتلتا واما ان تقتتلا لشبهة وكلتاهما تدعي انها محقة فالواجب ازالة الشبهة بالبرهان وان لم تقبلا قوتلتا واما ان تبغي واحدة فقط والواجب ان تقاتل فان ثابت أصلح بينهما بالعدل فان كانت قليلة تلك الباغية لا منعة لها ضمنت ما جنت وان كثرت ولها منعة لم تضمن الا عند محمد بن الحسن واما قبل التجمع او حين تتفرق عند وضع الحرب اوزارها فما جنته ضمنته عند الجميع فحمل الاصلاح بالعدل في قوله (فاصلحوا بينهما بالعدل) على مذهب محمد واضح منطبق على لفظ التنزيل وعلى قول غيره وجهه ان يحمل على كون الفئة قليلة العدد والذين ذكروا ان الغرض اماتة الضغائن وسل الاحقاد دون ضمان الجنايات ليس ذلك منهم بحسن الطباق المأمور به من أعمال العدل والقتال واقامة الحجة على يدي امام او من قدر والباغي في مثل هذا المقام الخارج عن الامام العدل بتأويل محتمل ونصبوا لهم اماما واما ان قلوا ولا منعة او لم

يكن لهم تأويل او لم ينصبوا اماما فلا يتعرض ان لم ينصبوا قتالا ولم يتعرضوا للمسلمين وان فعلوا فحكمهم حكم قطاع الطرق كذا قيل ونادى مناد يوم الجمل لا يتبع مدبر ولا يقتل اسير ولا يجهز على جريح وما غرم أحد مالا ولا اقتص احد من احد وكذا يوم صفين وسمع عليّ رجلا يقول في ناحية المسجد لا حكم الا لله فقال: كلمة حق أريد بها باطل لكم علينا ثلاث لا نمنعكم مساجد الله ان تذكروا فيها اسم الله ولا نمنعكم الفيء ما دامت ايديكم مع ايدينا ولا نبدؤكم بقتال قلت الحق انه اذا حكم الله بحكم في مسألة فلا حكم لاحد فيها سواه فالحق مع الرجل ولو كان عليّ أعلم عالم قيل وفي الآية دليل على ان البغي لا يزيل اسم مؤمن لأن الله سماهم مؤمنين مع كونهم باغين وسماهم اخوة مؤمنين قلت لا دليل اما وان طائفتان من المؤمنين فتسميتهم فيه مؤمنين باعتبار ما يظهر لنا قبل ظهور البغي واما (انما المؤمنون اخوة) فتسميتهم فيه مؤمنين اخوة اما باعتبار ما ظهر لنا قبل البغي فقوله (واصلحوا بين أخويكم) في معنى اهدوهم الى الحال التي كانوا عليها قبل او المراد بالمؤمن الموحد لا الموفي بدليل لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن واما لفظ آمن وايمان فلا يختصان بالموفي وسئل عليّ عن اهل الجمل وصفين أمشركون فقال لا فقيل أمنافقون فقال لا ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا فقيل فما هم قال اخواننا بغوا عليّ قلت أراد بالمنافقين من اسر الشرك او شك في الايمان بعض شك ونفي عنهم هذه الصفة والمراد بقوله اخواننا بغوا علينا انهم موحدون غير مؤمنين في زعمه * ﴿انما المؤمنون اخوة﴾ في الدين والموالاة وهذا بيان لكون الايمان قد عقد بين أهله من السبب القريب والنسب اللاصق عقدا عظيما فهم منتسبون الى أصل واحد وهو الايمان الموجب للحياة الأبدية قال بعض:

أبي الاسلام لا أب لي سواه | اذا افتخروا بقيس أو تميم

وذلك تعليل للامر بالاصلاح وانهاض الى الاصلاح بركوب السهل والصعب فان فتنة اخيك فتنة لك وهو عضدك قال ﷺ «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عنه الريح الا باذنه ولا يؤذه بقتار قدره» ثم قال «احفظوا ولا يحفظ منكم الا قليل» وقال ﷺ «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج بها كربة من كرب الآخرة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة» وكرر الامر بالاصلاح مرتبا على الاخوة بالفاء حيث قال * ﴿فأصلحوا بين أخويكم﴾ اذا افتتنا والاثنان اقل من يقع بينهم الافتتان فاذا وجب الاصلاح بين إثنين كان بين الكثير ألزم لان الفساد في الكثير أكثر والاصل (فأصلحوا بينهما) فوضع الظاهر موضع المضمر ليذكره بلفظ الأخوة المقتضبة للاصلاح والشفقة وليضيق الى المأمورين بالاصلاح وخص الاثنين لأنهما اقل من يفتتن وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرأ ابن عامر (بين أخوتكم) وعاصم (بين اخوانكم) وهي قراءة حسنة لان الاكثر في جمع الاخ في الدين ونحوه من غير النسب اخوان والنسب اخوة واخاء واخوة الايمان محضة ان زاحت عنهما شبهة الاجنبية وأبى لطف حالهم في التمازح ان يقدموا على ما يتولد منه التقاطع فبادروا قطع ما يقع من ذلك ان وقع ﴿واتقوا الله﴾ في مخالفة حكمه وفي حق الاخوة والاصلاح فان التقوى تحمل على التواصل والمبادرة الى قطع التقاطع وتصلكم رحمته عند ذلك كما قال * ﴿لعلكم ترحمون﴾ اذا عدلتم وقال ﷺ « ان المؤمن بأخيه مثل اليدين لاغني لأحداهما عن الأخرى ومثل المؤمنين كالجسد اذا اشتكى بعضه تداعى سائره» وقال «المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله كل على المسلم حرام عرضه وماله ودمه» التقوى هاهنا فحسب أمرىء من الشر ان يحقر أخاه المسلم * ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خير منهم﴾ اي لا يسخر بعض المؤمنين من بعض اذ قد يكون المسخور منه خيراً من الساخر عند الله

والناس لا يطلعون الا على ظاهر الاحوال والمعتبر خلوص الضمائر وتقوى القلوب فقد يسخر الرجل بذي عاهة او من رث حاله او بالعي وغير ذلك ولعله يكون اخلص وأتقى من الرجل فيكون مهينا لمن عظم الله والسلف يحذرون ذلك غاية قال عمر بن شرحبيل لو رأيت رجلا يرضع عنزا فضحكت منه خشيت ان اصنع مثل الذي صنع وعن ابن مسعود البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت ان احول كلبا والآية نزلت في ثابت بن قيس وذلك انه كان في اذنه وقر فكان اذا اتى رسول الله ﷺ وقد اخذوا مجالسهم اوسعوا له الى جنبه ليسمع واقبل يوما وقد فاتته ركعة من الفجر وانصرف ﷺ فاخذوا المجالس وكان الرجل اذا جاء ولم يجد مجلسا أقام قائما فلما فرغ ثابت من الصلاة جعل يتخطاهم ويقول افسحوا ففسحوا الا رجلا بينه وبين النبي ﷺ فقال له تفسح فقال قد اصبت مجلسا فاجلس فجلس خلفه مغضبا ولما انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل فقال من هذا قال انا فلان فقال له ثابت ابن فلانه ذكر حالة يعير بها في الجاهلية فنكس الرجل رأسه واستحى فنزلت فقال ثابت لا افخر بعدها على احد ابدا في الحسب وقال الضحاك نزلت في وفد بني تميم المذكورين وكانوا يستهزئون بفقراء أصحاب رسول الله ﷺ كعمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى أبي حذيفة اي لا يستهزىء غني بفقير ولا مستور عليه بمن لم يستر عليه ولا ذو حسب بلئيم وأشباه ذلك مما ينصه به قيل والمعنى وجوب ان يعتقد كل أحد ان المسخور به لعله بما كان عند الله خيرا من الساخر وجملة (عسى ان يكونوا خيرا منهم) مستأنفة جواب للسؤال عن علة النهي والا فالأصل ان توصل بما قوله بالفاء والقوم الرجال خاصة لأنهم القوام بأمور النساء الرجال قوامون على النساء قال ﷺ «النساء لحم على وضم الا ماذب عنه» والذابون هم الرجال وذلك صريح في الآية وفي قول زهير:

أقوم آل حصن أم نساء

واما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والاناث فليس لفظ القوم

بمعتاد للفريقين. ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الاناث لأنهن توابع لرجالهن وقيل القوم لجماعة من الرجال او من الرجال والنساء معا وعليه فذكر النساء بعد عطف الخاص على العام لزيادة سخريتهن وهو اسم جمع وجمعه لقوام وجمع أقوام أقاويم وقيل هو في الأصل جمع قائم كصوم وزور جمعي صائم وزائر وعليه فاقاويم جمع جمع الجمع وقيل اصله مصدر قام قال بعض العرب اذا اكلت الطعام احببت قوما اي يتحدثون معي وابغضت (قوما) قياما لانه يستحب القعود بعد الأكل الا في العشاء وعسى اما تامة وما بعدها فاعل او ناقصة وما بعدها اسمها اغنى عن خبرها لاشتماله على المسند والمسند اليه او ناقصة اسمها ضمير الشان وما بعدها خبرها مفسر له ولو كان في تأويل المفرد اعتبارا لوجود الجملة قبل التأويل او لان ان انما دخلت بعد وقوع ما بعدها خبرا وهو جملة وبسطت ذلك في النحو * ﴿ولا نساء من نساء عسى ان يكُنَّ خيرا منهن﴾ اي ولا تسخر مؤمنات من مؤمنات اذ قد يكون المسخور منهن خيرا من الساخرات نزلت في نسائه ﷺ عيرن أم سلمة بالقصر قاله أنس وقال ابن عباس في صفية بنت حيي قال لها بعض نساء النبي ﷺ يهودية بنت يهوديين وروي عن أنس انه بلغ صفيه ان حفصة قالت بنت يهودي فبكت فدخل عليها ﷺ وهي تبكي فقال ما يبكيك قالت ان حفصة قالت بنت يهودي فقال ﷺ انك لابنة نبي وعمك نبي وانك لتحت نبي ففيم تفتخر عليك ثم قال اتقي الله يا حفصة والمراد باليهوديين يهودي ويهودية وهما أبوها وأمها فغلبت المذكر والمراد بالنبي موسى وبالعم هارون عليهما السلام كما روي انه قال هلا قلت ان أبي هارون وان عمي موسى أن زوجي محمد وروي أن عائشة كانت تسخر من زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت قصيرة وعن ابن عباس ان ام سلمة ربطت حقويها بسبنية وسدلت طرفها خلفها تجره فقالت عائشة لحفصة انظري ما تجر خلفها كانه لسان كلب ونكر القوم والنساء اما للبعضية أي (بعض المؤمنين والمؤمنات) واما لافادة الشياع ان تصير كل جماعة منهم منهية عن السخرية

وانما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة اعلاما باقدام غير واحد من رجالهم أو نسائهم على السخرية وتشنيعا للشأن الذي كانوا عليه ولأن مجلس الساحر لا يكاد يخلوا ممن يلتهي ويستضحك على قوله ولا يأتي ما عليه من النهي والانكار فيكون شريك الساحر في الوزر وكذا كل من يطرق سمعه فيستطيبه ويضحك به فذلك وان اوجده واحد يؤدي الى تكثير السخرية وانقلاب الواحد جماعة وقوما والسخرية لا تجوز وان على منافق او مشرك الا على معصية يذكرها ذما لفاعلها أوجه الله وردعا عنها لا للانتقام او العجب ولا يجوز السخرية بما خلق الله من نحو لون وطول او عرض مطلقا وقرأ ابن مسعود (عسوا ان يكونوا ،عسين ان يكن) فهي ذات الخبر وتامة ما بعدها بدل او ناقصة وما بعدها بدل مغن عن الخبر ومتعديه بمعنى قارب وما بعدها مفعول * ﴿ولا تلمزوا انفسكم﴾ وقرأ يعقوب بضم الميم واللمز الطعن باللسان وقال بعض أو بالاشارة وغيرها مما يفهم وعن بعض أن الهمز لا يكون الا باللسان والصحيح انه يكون باليد وعن الثعالبي اللمز في المشهد والهمز في المغيب وقيل عكس هذا وعنه ﷺ شر الناس ذو الوجهين الذي يلقى هذا بوجه وذاك بوجه وهو نوع من الغيبة لأنه ذكر المؤمن قصد الضر والغيبة ذكره بما يضره ولو من غير قصد ضر والمراد لا يلمز بعضكم بعضا وقال انفسكم لأن المؤمنين كنفس ومن لمز اخاه كأنه لمز نفسه وقيل لا تفعلوا ما تلمزون به لأن من فعل ما يستحق به اللمز فقد لمز نفسه اي تعرض للمزها مثل ان يفعل قبيحا او يلمز غيره فيلمز لأنه لا يخلو من عيب والصحيح المشهور الأول اي خصوا أنفسكم بالانتهاء عن العيب فيها والطعن فيه ولا عليكم ان تعيبوا غيركم (فمن لايدين) بدينكم ولا يسير بسيركم ذما للمعصية وزجرا عنها لا لحظ من حظوظ الهوى قال ﷺ «اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس» أي لا بما ليس فيه فان بهتان الباري حرام ولو مشركا وقد قال الحسن في الحجاج اخرج اليّ بنانا قصيرة فلما عرفت فيها الأعنه في سبيل الله ثم جعل يطبطب شعرات له ويقول يا أبا سعيد

يا أبا سعيد ولما مات قال اللهم أنت أمته فأقطع سنته فانـه أتـانـا أخيفش أعيمش يخطر في مشيته ويصعد بالمنبر حتى تفـوتـه الصـلاة لا من الله يتقي ولا من الناس يستحي فوقه الله وتحته مائة ألف أو يزيدون لا يقول له قـائل الصـلاة أيهـا الـرجـل هيهــات دون ذلك السيف والســوط * ﴿ولاتنابزوا بالألقاب﴾ أي لا يدع بعضكم بعضاً بلقب السوء والنبز مختص بلقب السوء عرفاً والتنابز تفاعـل من النبـز ويقـال (تنـازب) تفـاعـل من النـزب والمعنى واحد.

وقيل (التنابز) التلاقب وهو ذكر كل لقب آخر والمراد لقب السـوء الـذي يضر الملقب كما هو نص الآية في القول الأول.

وأما ماكان مدحاً كالصديق والعتيق لأبي بكـر والفـاروق لعمـر وأسـد الله لحمزة وسيف الله لخالد فحسن في أهله ولقد لقبوا عثمان ذا النورين لتـزوجـه بنتي رسول الله ﷺ.

قيل: ولقبوا علياً أبـا تـراب لقب مـدح وقـل من المشـاهير في الجـاهليـة والاسلام من ليس له لقب ولم تزل هذه الألقاب الحسنـة في الأمم كلهـا من العرب والعجم تجري في مخاطبتهم ومكاتبتهم ولم ينكـرهـا الشرع وقـد لقب الزمخشري جار الله لانه جاور بيت الله خمس سنين قال ﷺ «من حق المؤمن على أخيه أن يسميه بأحب أسمائه اليه» فالتلقيب والتكنية بما هـو حسن من السنة والأدب الحسن وقد قال عمر : أشيعوا الكنى فانها منبهة وكـذا مـا لا يكرهه من الألقاب يجوز دعاؤه به وتسميته به ليعرف لا للاستحقار كقـولهم (سليمان الأعمش) و (واصل الأحدب) وكقولهم (الأعرج) وهؤلاء ليسوا منـا ولكن التنابز بالألقاب لا يجوز ولو على منافق أو مشرك الا بما كـان ذمـاً لهم لوجه الله لا سخرية وعبثاً أو لهواً والمرجع الى الكـراهيـة فلـو كـره أحـد أن تكنيه أبا الخير لم يجز تكنيه به قال أبو جبيرة بن الضحاك وهو أخي ثابت بن الضحاك الأنصاري فينا نزلت هذه الآية بني سلمة قدم علينا رسـول الله ﷺ وليس لنا رجل الا له اسمان او ثلاثة فيقـول رسـول الله يـا فـلان فيقـال مـه

يارسول الله انه يغضب من هذا الاسم وقال ابن عباس (التنابز) أن يدعى بمعصية تاب منها وقيل قول الرجل يا كافر يا فاسق يا منافق وقيل قول الرجل لمن اسلم من اليهودية يا يهودي او من النصرانية يا نصراني وهكذا وقيل ان تقول يا كلب يا حمار يا خنزير لأخيك او لمن هو في الوقوف * ﴿بئس الاسم﴾ هو حقيقة الاسم الذي يتنابز به وقيل حقيقة ما ذكر من اسم يسخر به واسم يلمز به واسم يتنابز به والمراد ذكر الاسم ولذا ابدل منه قوله * ﴿الفسوق﴾ والمخصوص محذوف اي التنابز او جعل الفسوق هو المخصوص فحذف المضاف وهو ذكر وابقى المضاف اليه وهو الاسم وقيل استعمل الاسم بمعنى الذكر كقولهم ظار اسمه بالخير أو بالشر بين الناس اي ذكره بالخير او الشر * ﴿بعد الايمان﴾ استقبح الجمع بين الايمان والفسق الذي يأباه الايمان والفسق ما ذكره من السخرية واللمز والتنابز فدل انها فسق واستقبح ذكر احد باسم كفر بعد ايمانه اي ما اقبح قولهم يا يهودي لمن اسلم من اليهود وامن وقيل المراد كل الفسق * ﴿ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾ ظلم نفاق بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب وعنه ﷺ «لعن المؤمن كقتله والشهادة عليه بالكفر كقتله» وقال «ما من مسلمين الا بينهما من الله ستر فان قال احدهما كلمة هجر خرق ستر الله وان قال احدهما لصاحبه يا كافر فقد وقع الكفر على أحدهما» * ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن﴾ اي اطرحوه جانبا (واجتنب) متعد لواحد لانه مطاوع (جنب) كنصر والمطاوع بكسر الواو ينقص درجة عن المطاوع بالفتح و (جنب) يتعدى لاثنين و (من) للتبعيض فذلك البعض موصوف بالكثرة ويدل لذلك ﴿إن بعض الظن اثم﴾ أو قل هذا البعض قليل والبعض في قوله من الظن كثير فامر باجتناب (كثير) حذرا من الوقوع في قليل ونكر (كثيرا) ليحتاط في كل ظن حتى يعلم من أي نوع فان من الظن ما يجب اتباعه كحسن الظن بالله مثل ان تظن قبول عملك كما يجب ان تظن عدم قبوله وما يحرم كالظن في الاشياء الالهية والنبوية

والاقتصار على ظن عدم القبول وظن السوء بالمؤمن وما يباح كالظن في الامور المعاشية وما يندب كظن الخير بالمؤمنين اي ايقاع الظن فيه وليس مقابل هذا الظن ظن السوء فانه حرام في حق المؤمن بل مقابله ان لا يحدث لك فيه ظن لا ظن خير ولا ظن سوء وهذا المقابل جائز قال الحسن اذا ظننت بأخيك المسلم خيرا فانت مأجور او شرا فانت آثم وعنه ﷺ «ان الله حرم من المسلم دمه وعرضه وان يظن به ظن السوء» وعن الحسن كنا في زمان الظن بالناس حرام فانت اليوم اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت ومن شوهد منه الصلاح والامانة في الظاهر حرم ظن السوء به ومن اشتهر بالريب جاز ظن السوء ولا حرمة لفاسق واذا اظهر فسقه وهتك ستره هتكه الله واذا ستره لم يظهره الله وروي من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له ويظن به سوء وحرم ظن السوء بالمسلم لأن ما يشاهد منه من الخير ينافي السوء وبعض الافعال قد يكون قبيحا في الصورة وفي نفس الأمر غير قبيح وفي الحديث «ان الله حرم من المسلم دمه وعرضه وان يظن به ظن السوء» واذا نهى عن الظن فالقول والعمل بمقتضاه احق بالنهي فكما يحرم القول بمساوىء الانسان يحرم ظن المساوىء به وفي الحديث «اياكم والظن فانه اكذب الحديث وحسن الظن من حسن العبادة» واتفق العلماء انه لا اثم على من يخطر بالبال من سوء الظن لأنه ضروري وانما الاثم على عقد القلب به ولو عرف كثيرا لكان الامر باجتناب الظن منوطا بما يكثر منه دون ما يقل فيكون ما اتصف بالقلة مرخصا فيه وليس كذلك والاثم الذنب وعن بعضهم ان همزته عن واو كانه من (وثمت) الشيء اثمه اي كسرته والظن يكسر الاعمال وسوء الظن الذي تكلم به والذي لم يتكلم به واذا تكلم واعلم الناس انه ظن فليتب بحضرتهم ان كان عندهم مسلما واذا تكلم على القطع فان الناس يحكمون عليه بانه بهته فليتب ويخبر بانه ظن وقد اشتكى حذيفة الى رسول الله ﷺ درب لسانه اي حدته وقبل فحشه فقال «أين أنت من الاستغفار اني لأستغفر الله كل يوم مائة مرة وعن ابن عمر إنا كنا لنعد

لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة «رب اغفر لي وتب عليّ انك انت التواب الرحيم» قال بعضهم نزلت في رجلين اغتابا خادمهما والحق انها نزلت في ظنهما البخل بأسامة وذلك انه ﷺ اذا غزا او سافر ضم الرجل المحتاج الى رجلين موسرين يخدمهما الى المنزل يهيىء لهما الطعام والشراب فضم سلمان وهو الخادم المذكور الى رجلين في سفر فتقدم الى المنزل فنام ولم يهيىء لهما شيئا فبعثاه اليه ﷺ يسأله طعاما فارسله الى أسامة يعطيه فضل طعام وأدام ان كان اي بقيتهما وكان أسامة خازنه ﷺ فاتاه فقال ما عندي شيء فرجع فاخبرهما فقالا كان عند اسامة لكن بخل فبعثاه ايضا الى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فلما رجع قالوا لو بعثناه الى بئر سمحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند اسامة ما أمر لهما به رسول الله ﷺ فلما جاءا الى رسول الله ﷺ قال لهما مالي ارى حمرة اللحم في افواههم قالا لا والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما قال ظللتما تأكلان لحم سلمان واسامة وان وما بعدها جملة مستأنفة للتعليل * ﴿ولا تجسسوا﴾ اي لا تبحثوا عن عورات المسلمين والجس بالجيم الطلب والتجسس تفعل منه وقرأ الحسن وغيره (ولا تحسسوا) بالحاء المهملة والمعنى واحد وقيل (التحسس) بالحاء شره التجسس بالجيم وغايته وقيل الجيم في الشر والحاء في الخير وهذا غالب ومن غيره قراءة الحسن ويقال لحوافز الانسان الحواس وفي الحديث «لا تنافسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا» وعن مجاهد «خذوا ما ظهر لكم ودعوا ما ستر الله» وخطب ﷺ فرفع صوته حتى اسمع العوائق في خدورهن قوله «يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين فان من يتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته» وعن زيد بن وهب قلنا لابن مسعود: هل لك في الوليد بن عقبة بن أبي معيط تقطر لحيته خمرا فقال ابن مسعود انا قد نهينا عن التجسس فان ظهر لنا شيء اخذنا به وعن عمر ما يقرب منه في رواية الحسن انه جاء رجل لعمر فقال ان فلانا يشرب الخمر

فقال اذا رأيته قد قعد عليها فاذني فاتاه يوما فاخبره فانطلق عمر الى الرجل فوافق جميع القلة فلما رأى الرجل عمر قال يا عمر أمرك الله ان تجسس فخرج عمر وتركه قلت ظاهره ان ما انكشف بالتجسس لا يقام به الحد ولم يحده لأنه رآه وحده وفيه تأمل وفي الحديث «المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله التقوى ها هنا التقوى ها هنا التقوى ها هنا (يشير الى صدره) بحسب امرىء من الشر ان يحقر أخاه المسلم» وقال «ان الله لا ينظر الى اجسادكم ولا الى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم» ونظر ابن عمر الى الكعبة فقال ما اعظمك واعظم حرمتك والمؤمن اعظم حرمة منك وقال ﷺ «من رأي عورة فسترها كان كمن أحيى موؤدة وقال: «لا يستر عبد عبدا في الدينا الا ستره الله يوم القيامة» ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ الغيبة ذكر المتولي بما يكره وقد كان فيه وان ذكرته بما ليس فيه ولا ضرر عليه فيه فكذب او بما ليس فيه ضرر فبهتان ولاغيبة في المتبرأ منه واجاز بعضهم ذكر المتولى بما فيه ان لم يرد الذاكر تنقيصه واما الموقوف فيه فلا يقدم عليه بخير الآخرة ولا بشرها ولا بما يكون ولاية او براءة من اجاز ذكر المتولي بما فيه بلا ارادة تنقيص اجاز ذكر الموقوف عنه بما فيه بلا ارادة تنقيص بلا شك وفي الحديث «الغيبة أشد من الزنا» لأن الزاني يتوب الله عليه والمغتاب لايتاب عليه حتى يستحل المغتاب وقد يموت او يأبى فلا يجد من يستحله فان علم الله منه التوبة النصوح فلعله برضى عنه خصمه من فضله الا الزاني بأحد كرها فلا توبة له حتى يعطيه حقه أو يستحله والزاني برقيق حتى يعطي الحق لمولاه أو يحله مولاه والزاني بطفل حتى يعطي حقه لأبيه او لنائب ابيه او له ان بلغ او يحله ابوه او هو ان بلغ ومر ﷺ ليلة الاسراء بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقال من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال: الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم وفي رواية مر بقوم يقطعون لحومهم ويأكلونها بدمائهم ولهم خوار فسأل جبريل فقال الهازئون اللمازون وروي ان عمر بن عبد العزيز اذا ذكر عنده رجل بفضل او صلاح

قال كيف اذا ذكر عنده اخوانه فان قبل بنقصهم قال ليس كما تقولون وسئل الحسن عن رجل لا يعرف له مال ثم يكون له فيقال من أين لـه هـذا المال فقال ان علم انه يكره ذلك فلا يقـل وذكـروا انـه ان قـال قـائل هـو قصير الثوب او طويله فغيبة ولا يجوز ذكره على جهة النقص ولو بما لا يكره وعن ابن عباس الغيبة ادام كلاب النـاس وعن عـائشـة قلت للنبي ﷺ «حسبك من صفية كذا وكذا» قال بعض الرواة يعني قصيرة فقال لقد قلت كلمة لـو مزجت بالبحر لمزجته اي يتغير طعمه وريحـه لنتنهـا وهـو ابلـغ زاجـر قـالت وحكيت له انسانا فقال ما أحب اني حكيت انسانـا وان لي كـذا وكـذا وعن بعضهم كانوا لا يرون الغيبة الا ان يسمع صاحبها اي فابطـل ذلك نعم ان لم تصله فقيل يتوب ولا يذكرها لئلا يجرح قلبه وقيل يـذكـرهـا لـه ويطلب العفو ولم يبيحوا الا ما تدعو اليـه الضرورة كتجـريحـه اذا شهـد ولا يتبرأ من المجرح بالكسر وكتعريفه لمن استنصح لاجل التروج ونحو ذلك كـان يقـال هو فقير ولاطفال المتولي غيبة والغيبة بكسر الغين مصدر غـابـه اي ذكـر في الغيبة مطلقا كاغتابه ثم خصصت شرعاً بـذكـر المتـولي بـما يكـره وهـو فيـه ويسميها بعض الفقهاء ولو حاضرا على الحقيقة العرفيـة وبعض لا يسميهـا عيبه الا ان غاب نغم ذكره بما يكره حاضرا كبيرة ذكره بعض فانظر صحتـه ثم ظهرت صحته كما يدل له ما سبق آنفـا * ﴿أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا﴾ فيه تنفيرات عن الغيبة الأول الاستفهام التقريبي الثاني جعل ما هو في الغاية من الكراهة مـوصـولا بـالمحبـة الثالث اسناد الفعـل الى احـد للتعميم والاشعار بان احدا منكم لا يحب أكل الميت الرابع انه لم يقتصر على تمثيل الغيبة أكل لحم الانسان حتى جعل الانسان اخـا الخامس انه لم يقتص على لحم الاخ حتى جعـل ميتـا السادس تعقيب ذلك بقولـه ﴿فكرهتموه﴾ تقريرا وتحقيقا لذلك وعرض الانسان كلحمه بل اشد تألما قال ميمـون بينـما أنا قائم اذ بجيفة زنجي وقائل يقول كل يا عبد الله قلت ومـا آكـل قـال بـما اغتبت عبد فلان قلت والله ما ذكرته بخير ولا شر قال نعم لكنك استمعت

ورضيت وكان ميمون لا يغتاب احدا ولا يدع احدا يغتاب احدا وعن بعضهم الهمزة للتوبيخ وأعلم ان ميتا حال من الاخ المضاف اليه لان المضاف جزء من المضاف اليه كما قال ابن هشام وغيره ويجوز كونه حالا من اللحم لجواز وصفه بالموت وقرىء (ميتا) باسكان الياء والتشديد قراءة نافع وغيره وقرىء بتشديد الراء والبناء للمفعول أي جبلتم على كراهته قال قتادة كما تكره ان وجدت جيفة مدودة ان تأكل منها كذلك فاكره لحم اخيك وهو حي والفاء للاستئناف اي فتحقق بوجوب الاقرار عليكم وبانكم لا تقدرون على دفعه وانكاره ان تجحد وكراهتكم له وتقذركم منه فليتحقق ايضا ان تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة والطعن في اعراض المسلمين أو الفاء للعطف عند من اجاز عطف الخبر على الانشاء او رابطة لجواب شرط محذوف على تقدير (قد) اي صح ذلك فقد كرهتموه او ان عرض عليكم هذا فقد كرهتموه او زائدة في الجواب اعلاما بالشرط المحذوف فلا تقدر (قد) او عاطفة على محذوف اي عرض عليكم ذلك فكرهتموه فان حضوره في انفسهم كاعراضه وقيل لفظه خبر ومعناه انشاء اي فاكرهوه في (الفاء) الاعراب المذكور الا ان العطف يكون على (أيحب أحدكم) عطف انشاء على آخر ولا يقدر (قد) عند الجعل جوابا بل قرن بالفاء لانه انشاء والانشاء الواقع جوابا يقرن بها وقال ابن هشام (كرهتموه) خبر لمحذوف اي فهذا كرهتموه والغيبة مثله فاكرهوها وقال الفارسي فكما كرهتموه فاكرهوها فقال ابن الشجري انه ردىء لحذف ما المصدرية دون صلتها وقال ابن هشام انه تقدير معنى لا اعراب فلا رداءة و (كره) متعد لواحد ولما شدد تعدى لآخر والاول نائب الفاعل ولو ضمن معنى الايصال لتعدى بالى فيقال (فكره اليكم) والعطف في * ﴿واتقوا الله﴾ على (لا يغتب) او على (اكرهوا) لمحذوف أي (فأكرهوها) اي الغيبة واتقوا الله في أمرها وجميع نواهيه وتوبوا منها تقبل توبتكم وينعم عليكم بثواب المتقين التائبين * ﴿إن الله تواب﴾ قابل توبة التائب او يعطيه الثواب والمبالغة في الثواب لأنه يقبل التوبة قبولا

عظيما اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب او لكثرة المتوب عليهم او لكثرة ذنوبهم عدا شيئا من أفعال الجاهلية السخرية وقد كانوا يجرون مع شهواتهم لم يقوموا بأمر ولا نهي من الله وانزل الله الآية ردعا وتأديبا لهذه الأمة وختم تلك الأشياء بالأمر بالتقوى وذكر الثواب ويذكر الرحمة كما قال * ﴿رحيم﴾ واحتج بالتسوية بقوله * ﴿يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى﴾ آدم وحواء فاضلكم واحد فكيف تتفاخرون وتتناقصون وتسخرون وقيل كل منكم ولد من ذكر وانثى واب وام وكلكم خلق الله قيل مر ﷺ ذات يوم ببعض الأسواق في المدينة واذا غلام اسود قائم ينادى عليه بالبيع وهو يقول من اشتراني فعلى شرط ان لا يمنعني من الصلوات الخمس خلف رسول الله ﷺ فاشتراه رجل على هذا الشرط فكان ﷺ يراه عند كل صلاة مكتوبة ففقده يوما وقال لصاحبه اين الغلام فقال محموم يا رسول الله فقال لاصحابه قوموا بنا نعوده فقاموا معه وعادوه ولما كان بعد ايام قال لصاحبه ما حال الغلام قال يا رسول الله ان الغلام لما به فقام ودخل عليه وهو في برحائه فقبض ودفنه فدخل على الصحابة من ذلك أمر عظيم فقال المهاجرون هاجرنا ديارنا واموالنا وأهلونا ولم ير منا احد في حياته ومرضه وموته ما القى منه هذا الغلام وقالت الانصار آويناه ونصرناه وواسيناه باموالنا فآثر علينا عبدا حبشيا فنزلت الآية وقيل امر رسول الله ﷺ يوم الفتح بلالا يؤذن فعلا ظهر الكعبة فاذن فقال عتاب بن اسيد بن العيص الحمد لله الذي قبض ابي ولم يشهد هذا اليوم وقال الحارث بن هشام اما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا وقال سهل بن عمرو ان يكره الله شيئا يغيره وقال ابو سفيان اني لا أقول شيئا اخاف ان يخبره رب السماء فاخبره جبريل بقولهم فدعاهم فسألهم فاقروا فنزلت وقال ابن عباس نزل في ثابت بن قيس بن شماس وقوله وفي الرجل الذي لم يفسح له ابن فلانة فقال ﷺ «من الذاكر فلانة فقال ثابت انا يا رسول الله فقال أنظر في وجوه القوم فنظر فقال مارأيت ياثابت قال رأيت أبيض وأسود وأحمر قال فانك لا تفضلهم الا بالدين والتقوى وعن

الحسن كان بين ابي ذر ورجل كلام وكانت الام يكرهون ذكرها فذكره ابن ذر بها فبلغ ذكر ذلك رسول الله ﷺ فقال اعيرت فلانا بامه يا ابا ذر انظر الى من حولك من ابيض واحمر واسود فمالك على احد منهم فضل الا ان تفضله بتقوى الله * ﴿وجعلناكم شعوبا وقبائل﴾ وقرىء (شعبا) باسقاط الواو وهو جمع شعب بفتح الشين واسكان العين والشعب الجمع العظيم المنتسب الى أصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعميرة تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل والاسرة وهما بمعنى واحد وهو قرابة الرجل الادنون فخزيمة شعب وكنانة قبيلة منهم وقريش وعمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وأسرة وسميت الشعب لتشعب القبائل منها وقيل بتجمعهم وعن بعض ان الشعب رؤوس القبائل من ربيعة ومضر والاوس والخزرج وان القبيلة كبكر من ربيعة وتميم من مضر وان العمارة بفتح العين كنزار من بكر ودارم من تميم وان البطن كبني غالب ولؤي من قريش وان الفخذ كبني هاشم وبني امية من بني لوي وان الفصيلة كبني العباس وبني هاشم وبعد ذلك العشيرة وانه ليس بعدها شيء يوصف وعن الحسن الشعوب وبنو الاب والقبائل فوق ذلك وعن مجاهد الشعوب النسب البعيد والقبائل ودون ذلك وعن الكلبي الشعوب القبائل المرتفعة الناس تميم وبكر واسيد وقيس والقبائل دون ذلك نحو نهشل وبني عبد الله بن حازم وقيل الشعب بطون العجم والقبائل بطون العرب والاسباط من بني اسرائيل وقيل الشعب الذين لا ينتسبون الى احد بل ينتسبون الى المدائن والقرى والقبائل الذين ينتسبون الى آبائهم * ﴿لتعارفوا﴾ ليعرف بعضكم بعضا في قرب النسب وبعده لا للتفاخر والاصل (لتتعارفوا) بتائين حذفت احداهما كما قرىء بهما وكما قرىء بالادغام وقرىء (لتتعرفوا) بتائين وعدم الالف وبتشديد الراء وقرأ ابن عباس (لتعرفوا) بفتح التاء وكسر الراء الخفيفة وفتح همزة ان تعليلا لمحذوف كما يأتي ومعنى قراءته لتعلموا كيف تتناسبون * ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾

استئناف لبيان الخصلة التي يفضل بها الانسان غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله وقرىء بالفتح كما مر اي نهيناكم عن التفاخر بالانتساب لأن أكرمكم عند الله أتقاكم قال ﷺ «من سره ان يكون أكرم الناس فليتق الله» وفي الحديث «أوحى الله اليّ أن تواضعوا حتى لا يفتخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد» وقال «ليتهين أقوام يفتخرون بآبائهم انما هم فحم جهنم او ليكونن على الله أهون من الجعل ان الله اذهب عنكم غيبة الجاهلية وفخرها انما هو مؤمن تقي او فاجر شقي كلكم بنوا آدم وآدم من تراب» والغيبة بالمهملة وعاء الثياب استعير للكفر وعبادة الاصنام وقيل المراد به الفخر وعن ابن عمر وابي هريرة ان النبي ﷺ طاف يوم فتح مكة على راحلته يستلم الاركان بحجته وهي عصى محنية الرأس كالصولجان ولما خرج لم يجد مناخا فنزل على أيدي الرجال ثم قام فخطبهم فحمد الله واثنى عليه وقال «الحمد لله الذي اذهب عنكم غيبة الجاهلية وتكبرها يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم قرأ الآية ثم قال أقول قولي هذا واستغفر الله» وعن الحسن الكرم التقي والحسب المال وعن ابن عباس كرم الدنيا وكرم الآخرة التقي وسئل ﷺ اي الناس أكرم قال «أكرمكم عند الله اتقاكم قالوا ليس عن هذا نسألك قال أكرم الناس يوسف نبي الله بن نبي الله بن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب قالوا نعم قال فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا» بضم القاف على المشهور وروي كسرها ومعناه اتعظوا * ﴿إن الله عليم﴾ بظاهركم يعلم انسابكم وغيرها * ﴿خبير﴾ بباطنكم قيل المتقي هو العالم بالله المواظب لبابه المتقرب الى جنابه وقيل التقوي أن يجتنب العبد المناهي ويأتي بالاوامر والفضائل ولا يغتر ولا يأمن فان اتفق أن يرتكب منهياً تاب في الحال وان أخر التوبة فليس بمتق لان المتقي لايرتكب نهياً وهو مع ذلك خائف لا يشتغل بغير الله وان التفت لحظة الى نفسه وأهله وولده جعل ذلك ذنبه واستغفر ﴿قالت الأعراب آمنا﴾ قال مجاهد

نزلت في بني أسد وهي قبيلة كانت تجاور المدينة أظهروا الاسلام وفي الباطن انما يريدون المغانم وهم منافقون وقيل مشركون أسروا الشرك قبل قدوم نفر منهم في سنة مجدبة فأظهروا الاسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر فسدوا طريق المدينة بالقذورات وأغلوا أسعارها وكانوا يغدون ويروحون ويقولون أتتك العرب بأنفسها على رواحلهم جئناك بالاثقال والعيال والذرارى ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان ويقولون اعطنا الصدقة فنزلت الآية وقيل نزلت في الاعراب مذكورين في سورة الفتح وهم جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار يقولون آمنا ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم فلما استنفروا للحديبية تخلفوا عنها فنزل (قالت الاعراب آمنا) أي صدقنا بقلوبنا وهو الايمان الكامل وهو الذي وافق اللسان العمل * ﴿قل لم تؤمنوا﴾ أي لم تصدقوا بقلوبكم*

﴿ولكن قولوا أسلمنا﴾ أي أقررنا بألستنا واستسلمنا مخافة القتل والسبي*

﴿ولما يدخل الايمان في قلوبكم﴾ ايمان القلب الوفاء بالقول والعمل وهو حقيقة الايمان الكامل وهو متوقع منهم بدليل (لما) والله عالم بما يكون وما كان وذلك هو الاسلام في قوله تعالى (ان الدين عند الله الاسلام) وقوله ﷺ (بني الاسلام على خمس) والاسلام الناقص مجرد الاقرار وهو الذي في الآية ولكن دل لفظاً (لما) على صدور الاسلام الكامل منهم وعن سعد بن أبى وقاص أعطى رسول الله ﷺ رهطاً وأنا جالس ولم يعط رجل منهم هو أعجبهم اليّ فقلت مالك عن فلان والله اني لأراه مؤمناً فقال «اني لأعطي الرجل وغيره أحب اليّ منه خشية أن يكب في النار على وجهه» وقيل الايمان هو التصديق مع الثقة وطمأنينة النفس والاسلام الدخول في السلم والخروج من أن يكون حرباً للمؤمنين باظهار الشهادتين فما واطأ فيه القلب اللسان ايمان وما لم يواطئه فيه اسلام وعندنا الاسلام والايمان سواء والمسلم والمؤمن سواء وبسط ذلك في الفقه وقد قيل الاسلام العمل الصالح والايمان

التصديق والاقرار ونظم الكلام أن يقول قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا وأن يقول (قل لم تؤمنوا) ولكن أسلمتم وعدل عن ذلك الى هذا النظم ليفيد تكذيب دعواهم أولا دفع ما انتحلوه ويحترز من النهي عن القول بالايمان ومن الجزم باسلامهم وقد فقد شرط اعتباره شرعاً ولو قال ولكن أسلمتم لكان تسليماً لهم واعتداداً بقولهم وهو غير معتد به ولم يصرح بتكذيبهم مراعاة لحسن الادب ورفقاً وتعليماً اذ لم يقل كذبتم بل قال لم تؤمنوا وقوله (أولئك هم الصادقون) تعريض بأن هؤلاء كاذبون وكثيراً ما يكون التعريض أبلغ من التصريح فقوله (لم تؤمنوا) تكذيب وقوله (ولما يدخل الايمان) توقية لما أضمروه أن يقولوه* ﴿وإن تطيعوا الله ورسوله﴾ قولاً وعملاً ظاهراً وباطناً سراً وعلانية أي أخلصتم له الايمان وتركتم النفاق وهذا فتح لباب التوبة * ﴿لا يلتكم﴾ لا ينقصكم ولا يظلمكم كأنه السلطان حقه (ليته أخذه) ونقصه وعن أم هشام السلولية انها قالت: الحمد لله الذي لا يفات ولا يلات ولا تصمه الأصوات وذلك لغة الحجاز .

وقرأ أبو عمرو (لايألتكم) بألف أو همزة بعد الياء وكسر اللام من (آلته) حقه (بالته) وهو لغة غطفان والمعنى واحد * ﴿من أعمالكم﴾ من أجور أعمالكم ﴿شيئا إن الله غفور﴾ لما فرط من المطيعين * ﴿رحيم﴾ بالتفضل عليهم ﴿انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ أي ان الصادقين في ايمانهم هم الذين صدقوا بالله ورسوله ولم يشكوا بتشكيك الشيطان أو بعض المضلين أو ينظره نظراً غير سديد ثم يستمر على الضلال بل تيقنوا وافاديتم استقرار الايمان في الازمنة المتطاولة غضاً جديداً فان عدم الشك شرط في اعتبار الايمان ابدالاً في حال الايمان فقط وأفاد بذكر الشك ان ما أزاح عنهم الايمان هو الشك وارتاب مطاع راب يقال رأبه فارتاب أي واقعه في شك فوقع *

﴿وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾ أي جاهدوا العدو أو الشيطان والهوى ويجوز أن يكون جاهدوا بمعنى بالغوا في الجهد أي المشقة

فلا يقدر له مفعول والجهاد بالنفس والمال يعم العبادات المالية والبدنية كالغزو والخدمة في الله والصلاة والحج والزكاة والصدقة مما يتحامل فيه الرجل على ماله أو بدونه أو كليهما لوجه الله *

﴿أولئك هم الصادقون﴾ في ايمانهم بدليل جهادهم بالمال والنفس ولما نزلت الآيتان جاءت الاعراب تحلف انها صادقة الايمان وهى كاذبة أنزل *

﴿قل أتعلمون الله بدينكم﴾ أي أتخبرونه بما أنتم عليه من قولكم (آمنا).

﴿والله يعلم ما في السموات وما في الارض﴾ الجملة حال لازمة وفي ذلك تجهيل لهم فانه لا تخفي خافية فكيف يقولون بألسنتهم ما يعلم الله خلافه وقيل أتعلمون الله بدينكم ابطال لقولهم(آمنا) وعليه الكلبي *

﴿والله بكل شيء عليم ﴾ لا يحتاج الى اخبار

﴿يَمُنون عليك ان أسلموا﴾ أي بأن أسلموا أي باسلامهم بلا قتال بخلاف غيرهم ممن أسلم بعد قتال قيل نزلت في بني أسد وقرأ ابن مسعود (يمنون عليك اسلامهم) والمنة ما تعطيه بلا أن تثاب عليه من المن وهو القطع لانك تعطيه لتقطع حاجته ثم يقال مَنَّ عليه صنعه أي عده عليه نعمة فعلى هذا فان (أسلموا) مفعول (تمنون) وكذا (الاسلام) في قراءة ابن مسعود وفي قوله ﴿قل﴾ لهم *

﴿لاتمنوا عليّ اسلامكم﴾ وقيل المنة النعمة الثقيلة وقيل الاسلام منصوب على تقدير الباء *

﴿بل الله يَمُنُّ عليكم أن هداكم للايمان﴾ بفتح همزة (ان) على تقدير الباء أو المفعولية يمن والمعنى على الباء الاعتدال بكذا وعلى عدمها عدة كذا وقريء ان يكسر الهمزة وقرأ ابن مسعود اذ هداكم* ﴿ان كنتم صادقين﴾ في قولكم آمنا جوابه محذوف أي فلله المنة عليكم وقوله (ان هداكم للايمان) معناه على ما زعمتم مع أن الهداية لا تستلزم الاهتداء وفي الآية دقة وذلك ان ما كان منهم سماه الله اسلاماً ونفي كونه ايماناً كما زعموا انه ايمان فلما منوا

بـما على رسول الله ﷺ قال الله سبحانـه ان هؤلاء يعتـدون عليك بـما ليس جديراً بالاعتداد وهو فعلهم الذي هو إسلام فقل لهم لا تعتدوا علي بفعلكم المسمى اسلاماً لا ايماناً بل لله المنة عليكم لهدايته اياكم للايمان الذي تدعونه ان صدقتم *

﴿ان الله يعلم غيب السمـوات والارض﴾ فهو عـالم بسركم والغيب مـا غاب عنا *

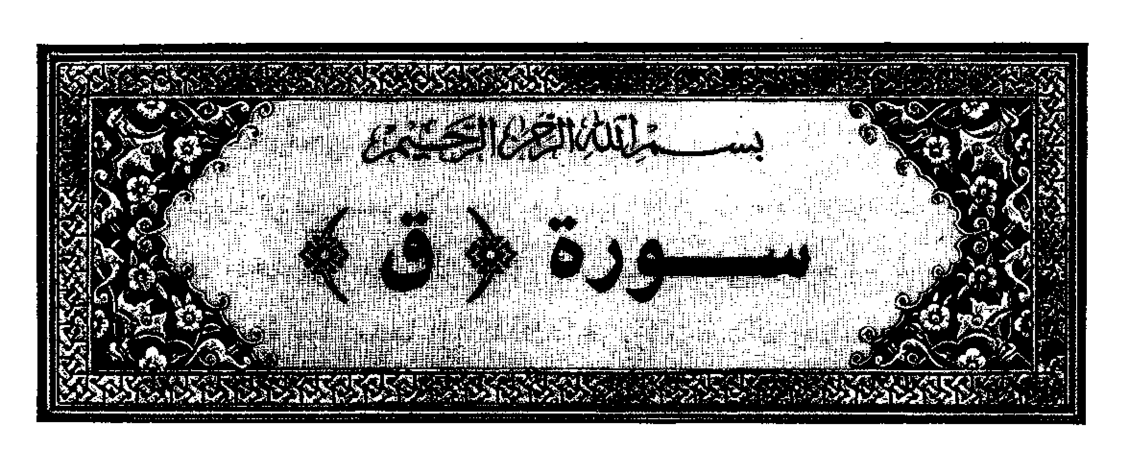
﴿والله بصير بما تعملون﴾ سِراً أو علانية وهذا بيان لكونهم غير صـادقين في دعواهم .

وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية عنه بـاليـاء المثنـاة تحت لما في الآيـة من الغيبة لان الله سبحانه لم يخاطبهم بـل يحكي عنهم ويـأمـر النبي ﷺ ان الله يخاطبهم بل هذه القراءات أولا لأن في الاولي التفاتاً من الغيبة الى الخطاب.

اللهم بحق هـذه السـورة علينـا وحق نبيك محمـد ﷺ اخـز النصـارى وأهنهم وأكسر شـوكتهم وغلب المسلمين والمـوحـدين عليهم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم *






بسم الله الرحمن الرحيم
سورة «ق»

سـورة ﴿ ق ﴾

وتسمى سورة الباسقات وهى مكية باجماع قال بعضهم الا (ولقد خلقنا السموات) الآية فمدنية .

قال السيوطي: (استثني منها (ولقد خلقنا الانسان) الى (لغوب) فانه نزل في اليهود وآيها خمس وأربعون وكلمها ثلاثمائة وخمسة وسبعون وحروفها ألف وأربعمائة وسبعون .

قال ﷺ من قرأ سورة (ق) هون الله عليه تارات الموت وسكراته وتارات الموت تتابع النفس أو أهوال الموت واذا قرئت عند المحتضر هونت عليه سكرات الموت وتمحى بماء المطر للخوف والبطن ويبل به فم الطفل فتخرج أسنانه بسهولة وتنفع لنمو الاشجار والنخيل والحرث والاثمار والسلامة لها من الافات يؤخذ أول مطر الربيع في اناء حديد مطلى أو زجاج لم يستعمل وليكتب البسملة وما بعدها الى كذلك الخروج بزعفران وماء ورد ويغسلها عند انشقاق الفجر ويقرأ الايات عند الغسل ويرش به ما أراد من ذلك وان رش في أصل شحرة نفع جداً وكذا أن نقع الحب في الماء المذكور وحرث ويجوز الكتب في سبع ورقات.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ق﴾ فيه ما في ص قال ابن عباس هو قسم قال الحسن ما أدري ما تفسير (ق وطسم وحم وكهيعص) وأشباه ذلك وقيل ذلك كله أسماء للسور وقيل أسماء للقرآن وقيل أسماء لله وقيل (ق) مفتاح أسمائه المبدوءة بالقاف كالقادر وقيل (قضاء) الامر و (قضاء) ما هو كائن وقيل جبل محيط بالدنيا من زمردة خضراء متصلة عروقه بالصخرة التي عليها الأرض والسماء ويجبال الدنيا وخضرة السماء منه ولا يعلم ما رآه الا الله وقيل هو من وراء الحجاب الذي تغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة وممن قال بأنه الجبل مجاهد والضحاك وابن زيد وعكرمة في رواية وقالوا ان منه خضرة البحر أيضاً وهو أول جبل خلق ثم جبل أبي قبيس ثم الجبل الذي تغرب الشمس من ورائه * ﴿والقرآن المجيد﴾ الكريم في أوصافه وقيل الكريم على الله وقيل ذي الشرف على الكتب وقيل سماه مجيداً لانه كلام المجيد أو لانه من علمه وعمل به مجد وقيل كثير الخير والبركة والواو عاطفة على (ق) ان جعل (ق) قسماً للقسم ان لم يجعل قسماً على حد ما مر في (ص) والجواب محذوف أي ما آمن كفار مكة بمحمد ﷺ أو لم يعجبوا بالارسال بل يكون الرسول منهم أو ماردوا أمرك بحجة وقال الزجاج لنبعثن وقيل الجواب وهو قوله (قد علمنا ما تقضى الارض منهم) وحذف اللام لطول الكلام وقيل هو ما يلفظ من قول الخ وزعم بعض انه (بل عجبوا) ولعل المراد انه ما دل عليه *

﴿بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم﴾ أي ما ردوا أمرك بحجة بل عجبوا الخ أو لم يعجبوا بمجرد الارسال وفى الآية انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو أن ينذرهم أحد من جنسهم ويؤكد الانكار انهم قد علموا شرفه وعدله ومن كان هكذا لم يكن الا ناصحاً مشفقاً * ﴿فقال الكافرون﴾ أي المشركون * ﴿هذا﴾ الانذار دل عليه (منذر) أو الاشارة الى اختيار الله محمداً للرسالة وهو المراد بالمنذر * ﴿شيء عجيب﴾ أي معجب غريب قيل ذلك حكاية لتعجبهم والأصل فقالوا ووضع الظاهر موضع المضمر اشعاراً لشعثهم والمقال

وتسجيلاً على كفرهم بذلك والصحيح ان ذلك عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من الارسال وذلك أن الانذار المشار اليه انذار بالبعث وانما بالغ بوضع الظاهر موضع المضمر وحكى تعجبهم ليكون أدخل في الانكار لان تعجبهم من الارسال استبعاد لتفضيل مثلهم عليهم وتعجبهم من البعث استقصار لقدرة الله عز وجل عما هو أهون مما يشاهدون من صنعه * ﴿أئذا﴾ أي أنرجع اذا * ﴿متنا وكنا تراباً﴾ أي وصرنا تراباً ودل على تقدير (نرجع) قوله * ﴿ذلك﴾ الرجع * ﴿رجع بعيد﴾ عن الوهم أو العادة أو الامكان والرجع مصدر رجع للتعدي فنرجع المقدر مبنى للمفعول أو مصدر اللازم على غير قياس بمعنى الرجوع فيقدر مبنياً للفاعل ﴿قد علمنا ما تنقص الارض منهم﴾ أي من موتاهم وهو رد لاستبعادهم بازاحة ما هو الاصل فيه لان من لطف علمه حتى علم ما تنقص الارض من أجساد الموتى قادراً على رجعهم أحياء وعن السدي ما تنقص الارض منهم ما يموت فيدفن منهم وفي الحديث «كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركّب» قال الحسن ومنه يركب ابن آدم وزعم بعض ان ما تنقص الارض هو اللحى وهم أهل الجنة يخرجون مرداً وعجب الذنب عظم كالخردلة وقال السدي ما تنقص الأرض ما يحصل في بطنها من موتاهم قيل وهذا قول حسن مضمنة الوعيد .

قال الزمخشري ويجوز أن يكون الرجع بمعنى الرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعاداً لانكارهم ما أنذروا به من البعث والوقف قبله على هذا حسن يعنى جواب القسم قرىء بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال ألف بينهما على الوجهين وبهمزة واحدة مكسورة على الاخبار أي (اذا متنا) بعد أن نرجع كما يدل له (ذلك رجع بعيد).

قال الزمخشري : اذا كان الرجع بمعنى المرجوع فناصب اذا ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث *

﴿وعندنا كتاب حفيظ﴾ لتفاصيل الاشياء كلها مما كتب فيه من جميع ما

يكون وهو اللوح المحفوظ أو المراد تمثيل علمه بتفاصيل الاشياء بعلم من عنده كتاب جامع يطالعه واللوح المحفوظ ليس ذكره على القول الاول الا زيادة لقوة علم التفاصيل والله عالم بلا أول ولا آخر ولا ينسى أو حفيظ بمعنى محفوظ من الشياطين والتغيير ولذلك سمي اللوح المحفوظ ﴿بل كذبوا بالحق﴾ النبوة أو النبي أو القرآن أو البعث * ﴿لما جاءهم﴾ من غير تأمل والاضراب تابع للاضراب الاول للدلالة على انهم جاءوا بما هو أفظع من تعجبهم وهو التكذيب وقرىء (لما جاءهم) بكسر اللام وتخفيف الميم واللام بمعنى عند أي عند مجيئه اياهم فما مصدرية قاله ابن جني وهى قراءة الجحدري كما قال ابن هشام *

﴿فهم في أمر مَّريج﴾ أي مضطرب يقال مرج الخاتم في أصبعه اذا قلق من الهزال يقولون تارة شاعر وتارة ساحر وتارة كاهن لا يثبتون على شيء واحد ومنه مرجت العهود وقال ابن زيد أمر مختلط ومنه (مرج البحرين) وقيل بعض يقول شاعر وبعض يقول ساحر وبعض يقول كاهن وقيل ملتبس وهم في شك من البعث وما ترك قوم الحق الا مرج عليهم *

﴿أفلم ينظروا﴾ بعيونهم معتبرين بعقولهم حين أنكروا البعث * ﴿الى السماء فوقهم﴾ متعلق بمحذوف حال من السماء * ﴿كيف بنيناها﴾ رفعناها بلا عمد .

وفي الحديث «بينكم وبين السماء مسيرة خمسمائة عام وغلظها كذلك» وهكذا كل سماء وبين السابعة والعرش ما بين سمائين وقيل أكثر * ﴿وزيناها﴾ بالكواكب والشمس والقمر * ﴿ومالها من فروج﴾ شقوق فهى ملساء سليمة من العيوب وكيف حال من أحد الضميرين بعدها استفهامية تعجبية بالنسبة للخلق والجملة بعدها معها مفعول للنظر وانما عمل في الجملة لاجل الاستفهام كذا قيل وهو سهو بل الجملة معها بدل اشتمال من السماء ابدال جملة من مفرد وليست (كيف) بدلاً من السماء لدخول الى على المبدل منه وكيف لا يدخل الى عليها وان سمع دخول (على) عليها شذوذاً

الا ان أغتفر في الثانى ما لم يغتفر في الاول وللزوم تعلق الاستفهام بما قبله ولبقاء الجملة بعدها غير مرتبطة.

قاله ابن هشام وأما قولهم أنظر الى كيف يصنع فكيف خارج عن معناه الى معنى لفظ الحال أي الى حال صنعه والجملة بعدها مضاف ويلزم من جعل الجملة مع كيف بدلاً من السماء تسليط الى المذكورة أو الى محذوفة على كيف وتعليق الجار بالاستفهام كذا قيل ويجاب بأن البدل مجموع كيف وما بعدها وتبعيته لمحل الجار والمجرور فلا محذور * ﴿والأرض مددناها﴾ أي بسطناها على وجه الماء وعن عطاء ان الارض دحيت أي بسطت من تحت الكعبة .

وعن مجاهد: كان البيت قبل الارض بألف سنة ودحيت الارض من تحته وقال بعضهم مكة أم القرى منها دحيت الارض * ﴿وألقينا فيها رواسي﴾ جبالاً ثوابت على الارض لئلا تنكفىء .

قال الحسن لما خلق الله الارض جعلت تميد فلما رأت الملائكة ذلك قالوا ربنا هذه لا يقر على ظهرها خلق فوطأها بالجبال فرأتها الملائكة وأعظموها أعني الجبال وقالوا ياربنا هل خلقت خلقاً أشد من الجبال قال نعم الحديد قالوا يا ربنا هل خلقت خلقاً أشد من الحديد قال نعم النار قالوا ربنا هل خلقت خلقاً أشد من النار قال نعم الماء قالوا ربنا هل خلقت خلقاً أشد من الماء قال نعم الريح قالوا ربنا هل خلقت خلقاً أشد من الريح ابن آدم أي قدرت في علمك وقضيت خلفاً ابن آدم حينئذ لم يكن ﴿وأنبتنا فيها من كل زوج﴾ أي صنف * ﴿بهيج﴾ يبتهج به أي يفرح لحسنه وكل نبات زوج* ﴿تبصرة﴾ أي تبصيراً كما هو القياس وهو مفعول لاجله لمحذوف أي فعلنا ذلك تبصرة * ﴿وذكرى﴾ أي مذكراً أو مفعول لاجله لانبتنا ويقدر مثله لما سبق * ﴿لكل عبد منيب﴾ مخلص راجع الى طاعتنا مفكر في بدائع خلقنا وقرىء برفع (تبصره وذكرى) رفعاً ظاهراً في (تبصره) مقدراً فى (ذكرى) خبر لمحذوف أي خلقها تبصرة وذكرى باسكان اللام *

﴿وانها نزلنا من السماء ماء مباركاً﴾ كثير المنافع والبركة وفيه حياة كل شيء* ﴿فأنبتنا به جنات﴾ أي بساتين * ﴿وحب الحصيد﴾ أي جمع حب الزرع المحصود أي الذي من شأنه الحصد كالبر والشعير وغيرهما ما يحصد حصداً وذلك قول البصريين وقال الكوفيون من اضافة الموصوف للصفة أى الحب المحصود ﴿والنخل باسقات﴾ أي طوالا أو حوامل من أبسقت الشاة اذا حملت فيكون من أفعل فهو فاعل كأيفع فهو يافع والذي في القاموس أبسقت الناقة وقع في ضرعها اللباء قبل النتاج فهي مبسق ولم يقل باسق والتفسير بالطوال أولى لمجيئه على أصل الوصف بخلاف التفسير بالحمل فان فيه وضع فاعل موضع مفعل و (باسقات) حال مقدرة لان النخل ليس طويلاً ولا حاملاً حال الانبات وزعم بعض ان (باسقات) معناه مستويات وأفرد النخل بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها.

وقرأ النبي ﷺ (باصقات) بابدال السين صاداً لأجل القاف * ﴿لها طلع﴾ أي تمر يطلع ويظهر ولا يسمى طلعاً بعد انشقاق الكفرّى ويطلق أيضاً على الكفرّى * ﴿نضيد﴾ أي (منضود بعضه فوق بعض) أي (مركوم) فهو فعيل بمعنى مفعول أو نضيد بمعنى (متراكم) فهو فعيل بمعنى فاعل والمراد كثرة ما في الكفرّي من الثمار أو كثرة الكفرّى ﴿رزقاً للعباد﴾ مفعول مطلق نائب عن الرزق بفتح الراء من نيابة اسم العين عن المصدر فان الرزق بالكسر اسم للشيء الذي رزقه الله للعبد أو هو حال وعلى الأول فالعامل محذوف أي رزقنا ذلك رزقاً ويجوز كون العامل (أنبتنا) لان الانبات رزق بفتح الراء وعلى الحالية فالعامل (أنبتنا) وهو مصدر بلا نيابة لان الرزق بالكسر قد يكون مصدراً وعليه فيجوز أن يكون مفعولاً لأجله وعامله (أنبتنا) ويجوز على كونه اسم عين أن يكون مفعولاً لمحذوف أي جعلنا ذلك رزقاً للعباد*

﴿وأحيينا به﴾ أي بالماء * ﴿بلدة ميتاً﴾ يستوى في (ميت) بالاسكان المذكر والمؤنث ويجوز تأنيثه مع المؤنث بل هو الاصل وقد سبق كلامه فيه

والبلدة الميت هي اليابسة واحياؤها اخراج النبات فيها * ﴿كذلك الخروج﴾ أي كما يحيي الارض بعد الموت يخرج الاموات أحياء والكاف خبر مضاف لاسم الاشارة والخروج مبتدأ أو كذا جار ومجرور متعلق بمحذوف وخبر ولا تتعلق والخبر محذوف ينزل ماء كالمني ينبت به الاموات أحياء * ﴿كذبت قبلهم﴾ أي قبل قومك يا محمد ﴿قوم نوح﴾ أنث القوم لتأويله بالجماعة أو بالقبائل ﴿وأصحاب الرس﴾ كل بئر لم تطو ونحوها ما لم يطو كالمعدن والمراد فى الآية بئر عظيمة أقاموا عليها بمواشيهم يعبدون الاصنام ونبيهم حنظلة بن صفوان وقيل غيره جعلوه فيها وردموا عليه فأهلكهم الله وقال الضحاك الرس بئر قتل فيها يس وقيل هم قوم عاد وقيل الرس أباريق وقيل واد* ﴿وثمود﴾ قوم صالح * ﴿وعاد﴾ قوم هود * ﴿وفرعون﴾ أراده وقومه لان المتعاطفات قبله وبعده جماعات فانما يناسبها أن يراد به نفسه وقومه وخصه بالذكر لانه المكذب المستخف * ﴿واخوان لوط﴾ في النسب لا في الدين وكانوا أصهاره وعن بعض ان لوطاً كان مرسلاً الى طائفة من قوم ابراهيم فلذلك قال واخوان لوط ﴿وأصحاب الايكة﴾ الغيضة وقد مر * ﴿وقوم تبع﴾ تبع هو ملك باليمن أسلم ودعا قومه فكذبوه واسمه أبو كرب وقد سبق الكلام عليه وسأل ابن عباس كعباً عن تبع ذكر قومه ولم يذكر هو فقال انه كان معه اثنا عشر رجلاً من أولاد الانبياء فقال له قومه اقتلهم فأبى فجمع بينه وبينهم فحاجوه وتعاهدوا على أن يوقدوا ناراً ثم يدعى كل قوم وما يعبدون ثم يدخلونها فمن هلك هلك ومن نجا نجا فدخلها أولاد الانبياء وخرجوا من الجانب الاخر فلم تضرهم وقد اختاروا اثنى عشر من أحبارهم ليدخلوها فلم يقدروا فضرب تبع أعناقهم وحلق رأسه وآمن فقتله قومه *

﴿كل كذب الرسل﴾ كقريش أي كل قوم كذب الرسل وأفرد الضمير نظراً للفظ أو لان المراد كل واحد من تلك الاقوام أو لان المراد كل انسان منهم وقال (الرسل) لان من كذب رسولاً فقد كذب الرسل جميعاً أو لتعدد

الرسل عليهم في وقت واحد أو واحداً بعد واحد في أزمان أو كذبوا برسولهم ويغيره ﴿فحق﴾ وجب ﴿وعيد﴾ كلمة العذاب لتكذيبهم فكذبوا جميعاً فلا يضق صدرك من كفر قريش ففي الآية تسلية له ﷺ وتهديد لهم وقيل (حق وعيدي للرسل بالنصر) والياء أثبتها ورش في الوصل *

﴿أفعيينا بالخلق الأول﴾ الاستفهام للانكار والتوبيخ والياء الاولى مكسورة والثانية ساكنة سكوناً ميتاً لانه عيي كرضي والعي العجز أو عدم الاهتداء لوجه الامر وذلك جواب لقولهم (ذلك رجع بعيد) أي لم نعجز كما علموا عن الخلق الاول فضلاً عن أن نعجز عن الثاني وهذا باعتبار مايفهمون والأقاويل والثاني سواء فى قدرته فاذا لم ينكروا قدرتنا على الخلق الاول ففي عدم انكارهم اعتراف بالقدرة على الثاني والخلق الاول خلق آدم وأولاده وغيرهم والثاني في البعث وعن بعضهم الخلق الاول انشاء الانسان من نطفة على التدريج وقال الحسن الخلق الاول آدم انتهى كلام البعض فهم لا ينكرون الخلق الاول لكنهم في لبس من البعث كما قال *

﴿بل هم في لبس﴾ خلط وشبهة وشك * ﴿من خلق جديد﴾ مستأنف وهو البعث لبس عليهم الشيطان وتلبيسه تزيينه اليهم ان احياء الموتى أمر خارج عن العادة فتركوا لذلك ما هو القياس الصحيح ان من قدر على الانشاء قادر على الاعادة بل أقدر في وهمهم ونكر الخلق الجديد تعظيماً لشأنه واشعاراً بأنه حال شديد حق من سمع به أن يهتم به ويخاف يبحث ولا يقعد على لبس فى مثله واشعار بأنه على فجأه غير متعارف ولا معتاد *

﴿ولقد خلقنا الانسان﴾ الناس قال للاستغراق ﴿ونعلم ما توسوس به نفسه﴾ أي ما تحدث به وهو ما يخطر بالبال فلا يخفي علينا منه شيء والوسوسة الصوت الخفي ولو في الخير ومنه وسواس الحلي ثم كان يستعمل في الشر فقط والباء للالة مثلها في قولك صات بكذا وهمس به والضمير في به لما ان جعلت موصولاً اسمياً أو الباء للتعدية والضمير للانسان وما موصول حرفي يقولون حدث نفسه بكذا كما يقولون حدثته به نفسه ويجوز أن تكون الباء زائدة *

﴿ونحن أقرب اليه من حبل الوريد﴾ مثل في فرط القرب كقولهم هو مني مقعد القابلة ومعقد الازار وقربه مجاز والمراد نحن أعلم بحاله ممن كان أقرب اليه من حبل الوريد لو كان فكأن ذاته قريبة فتجوز بقرب الذات الى قرب العلم لان قرب الذات موجب لقرب العلم واضافة الحبل للوريد بيانية أو المراد حبل العاتق فيضاف للوريد كما يضاف الى العاتق لاجتماعهما فى عضو واحد وهو عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمهما متصلان بالوتين والوتين عرقان متصلان بالقلب اذا انقطع مات صاحبه يردان من الرأس اليه قيل سمي وريداً لان الروح ترده وقيل الوريد نياط القلب وهو الوتين المذكور وقيل عرق يجري فيه الدم ويصل الى كل جزء من أجزاء البدن وهو بين الحلقوم والعلياوين ويجوز أن يكون المعنى ونحن أقرب اليه لنفود أمرنا فيه وجريانه كجريان الدم في عرقه *

﴿اذ يتلقى المتلقيان﴾ اذ مفعول لأذكر محذوفاً أو ظرف متعلق بأقرب والمتلقيان الملكان الموكلان به ويعمله ومنطقه يكتبان ويحفظان وفي التعليق بأقرب إشعار بأنه غني عن حفظ الملكين اذ كان أقرب وقت تلقيهما من حبل الوريد فانه أعلم منهما ومطلع على ما يخفي عليهما لكن استحفظهما ردعاً للعبد عن المعصية وتأكيداً في اعتبار الاعمال وضبطها للجزاء والزاماً للحجة يوم الاشهاد ويجوز أن يراد بقوله (ونحن أقرب) الخ تلقى الملكين فقوله(اذ يتلقى) بيان للقرب أي نحن مطلعون عليه لان حفظتنا موكلون به تمثيل لانه عليم بالذات ولم يقصد انه عليم بالملكين والتلقي الأخذ بالحفظ والكتابة *

﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾ أي قاعد والاصل عن اليمين ملك قاعد وعن الشمال ملك قاعد وقعيد واقع على اثنين كما يقع فعيل بمعنى فاعل على الاثنين وعلى أكثر وقيل قعيد بمعنى مقاعد كجليس بمعنى مجالس وقيل قعيد بمعنى ملازم لا يبرح كما يقال للمرأة قعيد لملازمتها البيت وصاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيئات .

وعنـه ﷺ : «ان مقعـد مليكك على ثنيتك ولسـانك قلمهـا وريقك مدادهما وأنت تجري فيها لايعنيك لا تستحى من الله ولا منهما» والحفظة اثنان وقيل أربعة وقيل ستة وقيل لا يقصرون على عدد معلوم والمراد بالقعيد الجنس عند من يقول أكثر من اثنين *

﴿ما يلفظ من قول﴾ من صلة وقول مفعول به أي ما يخرج قولا من فمه أو مفعول مطلق عند من أجاز زيادة من فيه.

وقرىء ببناء يلفظ للمفعـول فمن زائدة في النـائب الـذي هـو في الاصـل مفعول أومصدر * ﴿الا لديه﴾ عنده ﴿رقيب﴾ ملك يرقب عمله ﴿عتيد﴾ حاضر وأراد بالرقيب العتيد الجنس .

قال الحسن الحفظة أربعة اثنان بالنهار واثنان بالليل .

قال ﷺ « يتعاقب فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهـار ويجتمعـون عنـد صلاة الفجر » .

قال أبو هـريـرة وعنـد صـلاة العصر فيسـألهم ربهم وهـو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقـولـون أتينـاهم وهم يصلـون وتـركنـاهم وهم يصلـون ولا يفارقان العبد الا عند غائطه وعند جماعه وعند الكـذبـة لنتنهـا فيكـره وقيـل يحرم الكلام عند الغائط والجماع وكذا العمل لانـه اذا تكلم أو عمـل جـاءاه ليكتبا فيضرهما وقيل انما يفارقانه ان أبدى هو أو زوجته عـورتـه عند الجـماع وقيل لا يفارقـانـه أصـلاً وعلى الأول فـالله حـافـظ لـه عنـد مفـارقتهـا والا لاختطفته الجن والصحيح ان الحفظة لا يكتبون الا الأعمال البدنية لقـول الله سبحانه لهم أنتم الحفظة على أعمال العبـاد وأنـا الـرقيب على مـا في قلـوبهم وقيل يطلعهم الله على ما في القلب فيكتبونه ويكتبون كل شيء حتى أنينه في مرضه.

قاله الحسن وقتادة ومجاهد قال الكلبي ثم يمحى مـا لا ثـواب ولا عقـاب فيه وقيل : انما يكتبان ما له ثـواب أو عقـاب ويـدل لـه قـولـه ﷺ «كـاتب الحسنات على يمين الرجل وكـاتب السيئـات على يسـاره وكـاتب الحسنـات

أمين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشراً واذا عمل سيئة قال لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح ويستغفر قيل مجلسهما تحت الثغر على الحنك .

وكان الحسن البصري يعجبه أن ينظف عنفقته قال بعضهم ما خطا عبد خطوة الا كتبت له حسنة أو سيئة .

قال ﷺ : « قالت الملائكة رب ذلك عبدك يريد أن يعمل سيئة وأنت أعلم وأبصر فيقول ارقبوا عبدي فان عملها فاثبتوا عليه بمثلها وان هو تركها فاكتبوها له حسنة فانما تركها من خشيتي »

فعليك بحفظ لسانك الا عن مصلحة ومتى استوى الكلام والسكوت فالسكوت أولى لان المباح قد ينجر الى المعصية بل ينجر كثيراً والسلامة لا يعدلها شيء ويدل له حديث «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» .

وحديث «من حسن اسلام المرء تركه ما لايعنيه» .

قال عقبة بن عامر : «يا رسول الله ما النجاة قال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك» وقال ﷺ: «من وقاه الله شر ما بين لحييه وشر ما بين رجليه دخل الجنة» ولما ذكر استبعادهم البعث وأزاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه أخبر بقوله*

﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾ على انهم ليلاقون ذلك عن قريب عند الموت وقيام الساعة حين عبر بلفظ الماضي في قوله و (جاءت) وقوله و (نفخ) و (سكرة الموت) شدته الذاهبة بالعقل والباء للتعددية أي وأحضرت سكرة الموت حقيقة الامر الذي أنطق الله به كتبه وبعث به رسله أو حقيقة الامر من سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذي خلق له الانسان من أن كل نفس ذائقة الموت أو الباء للملابسة أي ملتبسة بحقيقة الامر أو بالحكمة أو الغرض الصحيح.

وقرأ أبو بكر وابن مسعود رضي الله عنهما (سكرة الحق بالموت) قيل:

للدلالة على انها السكرة التى كتبت على الانسان وانها حكمة والباء للتعدية أي أحضرت سكرة الحق الموت لانها سبب الموت أو لان الموت يعقبها فكأنها جاءت به أو الباء بمعنى (مع) أي جاءت ومعها الموت وقيل الحق في هذه القراءة الله أضيفت السكرة الى الله تعظيماً لشأنه ويجوز هذا في القراءة الاولى على حذف مضاف أي بأمر الحق وقرىء (سكرات الموت) .

قال العراقي في الفيئة وسكرة الموت اختلاط العقل وقيل جاءت الى آخره معطوف على يتلقى المتلقيان أي واذ تجيء سكرة الموت قال الحسن يقال للكافر عند موته * ﴿ذلك ماكنت﴾ أي الموت * ﴿منه تحيد﴾ تميل وتفر ولم يكن شيء أبغض الى الكافر من الموت وسأل بعضهم زيد بن أسلم فقال الخطاب لرسول الله ﷺ فحكاه لابن كيسان فقال والله ماله سن عالية ولا لسان فصيح ولا معرفة بكلام العرب هو للكافر ثم حكاهما للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس فقال أخالفها جميعاً هو البر والفاجر فالخطاب للانسان في (ولقد خلقنا الانسان) على طريق الالتفات أو الاشارة للحق والخطاب للفاجر وشأن الانسان انه يقول أعيش كذا وكذا وينفر عن الموت ويسوف قال عبد الحق في العاقبة لما نزل الموت بمالك بن أنس قال لمن حضره ليعاين الناس من عفو الله وسعة رحمته ما لم يخطر على قلب بشر كشف له عن سعة رحمته ما أوجب ان قال هذا . ومالك هذا في البراءة عند أصحابنا وهو امام المالكية قال أبوسليمان الداراني دخلنا على عابد نزوره وقد حضره الموت وهو يبكي فقلنا ما يبكيك رحمك الله قال:

وحق لمثلي بالبكاء عند موته ... و مالي لا أبكي وأجلي قد اقترب
ولي عمل في اللوح أحصاه خالقي ... فان لم يجد بالعفو وصرت الى العطب

﴿ونفخ في الصور﴾ نفخة البعث * ﴿ذلك يوم الوعيد﴾ للكفار بالعذاب والاشارة الي اليوم الذي يقع فيه النفخ الذي دل عليه السياق أو الى النفخ المدلول عليه بنفخ على تقدير مضاف أي وقت ذلك النفخ هو يوم الوعيد

أي يوم القيامة * ﴿وجاءت﴾ في ذلك اليوم * ﴿كل نفس﴾ أنث كل لاضافته لنفس * ﴿معها سائق وشهيد﴾ حال من (كل) لاضافته الى ما هو في حكم المعرفة مع ان اضافة التخصيص كافية في مجيء الحال من النكرة وأيضاً ذكر بعض ان المسوغات للابتداء مسوغات للحال ومنها العموم والسائق ملك يسوق الانسان الى المحشر والشهيد ملك من حفظته يشهد بعمله قاله عثمان وقيل يسوقه الى الجنة أو النار وقيل الشهيد غير الملك الحافظ وقال مجاهد السائق كاتب سيئاته والشهيد كاتب حسناته .

وقال أبو هريرة : السائق ملك والشهيد عمله .

وقال ابن عباس: السائق ملك والشهيد جوارحه وقيل السائق نفسه أو قرينه والشهيد جوارحه أو أعماله وقيل المراد جنس السائقين وهم الملائكة يوكلون أن يسوقوا الناس وجنس الشهداء الحفظة والجوارح وغيرهم كالبقاع ففي الحديث «لا يسمع صوت المؤذن انس ولا جان ولا شيء الا شهد له يوم القيامة» وقيل السائق والشاهد ملك واحد من الحفظة فالعطف من عطف الصفة على أخرى .

قال ابن عباس وغيره يقال للكافر *

﴿لقد كنت في غفلة﴾ في الدنيا * ﴿من هذا﴾ عما نزل بك اليوم وقيل يقال للكافر والمؤمن اذ ما من أحد الا وله اشتغال ما عن الآخرة وعليه الحسن وسالم بن عبد الله واختاره الفخر * ﴿فكشفنا﴾ أزلنا * ﴿عنك غطاءك﴾ أي غفلتك وانهاكك في الشهاوي وقصور النظر الحاجبة للسمع والبصر والقلب عن الحق وكثيراً ما تصدر تلك الاشياء عن المؤمن.

قال ﷺ «الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا» * ﴿فبصرك اليوم حديد﴾ البصر البصيرة كما يقال فلان حديد الذهن وقال مجاهد بصر الوجه أي يشتد نظره الى سيئاته وحسناته في كتابه وأهوال يوم القيامة واليوم يوم القيامة والحديد الشديد النظر غير الكليل وقيل الخطاب للنبي ﷺ أي كنت في غفلة من الامر فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحي وتعليم القرآن فبصرك اليوم حديد

ترى مالايرون وتعلم ما لا يعلمون فاليوم يوم الوحي ونزول القرآن أي ومتم ذلك ويؤيد كون الخطاب للكافرين أو لكل انسان قراءة من قرأ بكسر التاء والكافات خطاباً للنفس * ﴿وقال قرينه﴾ هو الملك الموكل عليه بكتابة عمله القبيح وقيل ملك يسوقه قاله قتادة وابن زيد *

﴿هذا ما لديّ عتيد﴾ هذا ما ثبت عندي من عملك حاضر يقول ذلك للانسان وقيل لله أي قد أحضرته وأحضرت ديوان عمله وقيل قرينه الشيطان المقيض له أي هذا الانسان هو ما في قبضتى حاضر هيأته لجهنم لاضلالي له وهو الشيطان في قوله (نقيض له شيطاناً فهو له قرين) ويدل له (قال قرينه ربنا ما أطغيته) فذلك ملك يسوقه وآخر يشهد عليه وشيطان يقول اعتدته لجهنم باغوائي .

وقال جماعة من المفسرين (القرين من الزبانية) أي هذا ما عندي من العذاب حاضر أعددته لهذا الكافر و (عتيد) بدل من (ما) الموصولة أو خبر ثان لهذا أو خبر لمحذوف وان جعلت (ما) موصوفة فعتيد صفة ثانية ويجوز كون (عتيد) خبراً لمحذوف (ولديّ) متعلق بعتيد والجملة صلة أو صفة ويقول الله للملكين السائق والشاهد * ﴿القيا في جهنم﴾ والمراد جنس الملكين ليناسب قوله * ﴿كل كفار﴾ وعليه عبد الرحمن بن زيد وقيل الخطاب للملكين من خزنة النار وعليه جماعة من المفسرين وقيل الخطاب لواحد من الخزنة أو لكاتب سيئاته أو لسائقه فالالف اما بدل من نون التوكيد الخفيفة اجراء للوقف مجرى الوصل ويؤيده قراءة الحسن الفين بنون التوكيد الخفيفة تكتب نوناً أو الفا في الخط على مقتضى الوقف لو وقف عليها واما فاعل منزل منزلة تكرر الفعل الاصل الق الق للتوكيد وما جاز على عادة كلام العرب الفصيح أن يخاطب الواحد بخطاب الاثنين لان العرب يترفقون في الأسفار ونحوها ثلاثة فكل واحد يخاطب اثنين فكثر في أشعارها وكلامها حتى صار عرفاً في المخاطبة واستعمل في الواحد فقالوا خليلي وصاحبي بالتشديد وقفا نبك وقفا وأسعدا .

قال الحجاج : (يا حرسي اضربا عنقه) وقال الشاعر:

فان تزجراني يا ابن عفان أنزجر   وان تدعاني احم عرضاً ممنعاً

وتحتمل هذه الامثلة ان الالف بدل من النون كالوقف وانها بدل من تكرير الفعل والكفار شديد الكفر ﴿عنيد﴾ معاند مجانب للحق معاد لاهله ﴿مناع﴾ كثير المنع ﴿للخير﴾ للزكاة المفروضة وكل حق واجب في المال والكلام الحسن والافعال الحسنة والمعاونة على الاشياء الحسنة ويحول بين الناس وبين الخير وقيل الخير الاسلام وانها نزلت في الوليد بن المغيرة كان يمنع بني أخيه من الاسلام ويقول من أسلم منكم لم أنفعه بخير ما عشت والمنع عن الخير عادة له * ﴿معتد﴾ ظالم مشرك مجاوز للحق بقلبه وجوارحه ﴿مريب﴾ شاك في الله وفي دينه *

﴿الذي جعل مع الله الهاً آخر﴾ بدل من كل ومن أجاز نعت النكرة المخصصة بالمعرفة أجاز كون (الذي) نعتاً لكل أو للكفار فجملة *

﴿فألقياه في العذاب الشديد﴾ تكرير للتوكيد من التوكيد اللفظي المقرون بالفاء أو الذي مبتدأ خبره جملة ألقياه وقرنت بالفاء لتضمنه معنى الشرط أو مفعول لمحذوف يفسره ألقياه والفاء زائدة * ﴿قال قرينه﴾ الشيطان المقيض به قرنت الاولى بالواو وللدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول أعنى مجيء كل نفس مع الملكين وقول (قرينه) ولم تقرن هذه قصداً للاستئناف للجملة الواقعة في حكاية القول وهي (قال قرينه) فانه جملة حكاية والاستئناف كثيراً ما يقصد في التقول كما في المقاولة بين موسى وفرعون فانه لما قال (قال قرينه هذا ما لدي) وتبعه قوله (قال قرينه) *

﴿ربنا ما أطغيته﴾ وتبعه (لا تختصموا لدي) علم ان ثم مقاولة من الكافر لكنها طرحت لدليل كأنه قال رب هو أطغاني فقال قرينه يا ربنا ماصيرته طاغياً وما أوقعته في الطغيان بالجبر * ﴿ولكن كان في ضلال بعيد﴾ عن الحق من قبل نفسه وهواه فأعنته عليه فان اغواء الشيطان انما يؤثر فيمن كان مختل الرأي مائلاً الى الفجور أو كونه في ضلال بعيد هو اتباعه لوسوسته

(وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي) .
وعن أبي هريرة ان المؤمن يمتطى شيطانه كما يمتطى أحدكم بعيره في السفر* ﴿قال﴾ الله * ﴿لاتختصموا لدي﴾ أي عندي فى موقف الحساب فانه لا فائدة في الاختصام فيه وذلك استئناف بياني كالاول كأنه قيل فماذا قال الله فقيل قال لا تختصموا لدي*
﴿وقد قدمت اليكم بالوعيد﴾ على الطغيان في كتبي وعلى ألسنة رسلي ولم تبق لكم حجة والجملة حال من الواو معللة للنبي والباء زائدة والوعيد مفعول أو الباء لتعديه اللازم على ان قدم بمعنى تقدم على حذف مضاف أي تقدم رسلي اليكم بالوعيد أو مفعول قدم محذوف أي قدمت الرسل اليكم بالوعيد ويجوز كون بالوعيد حالاً أي قدمت اليكم مخبراً بالوعيد منذراً به وقال ابن عباس : القرين في قوله (قال قرينه) الملك يقول الكافر يا رب ان الملك زاد علي في الكتابة فيقول ربنا ما أطغيته أي ما نسيته الى طغيان لم يفعله ويجوز كون بمعنى تقدم وبالوعيد حالاً وقدم مضمناً معنى القول مسلطاً على قوله *
﴿ما يبدل القول لدي﴾ لا أخلف الوعد ولا الوعيد ففي الآية ابطال لما زعم هؤلاء انه يخلف الوعيد وقيل المعنى لايكذب كاذب عندي ولا يغير القول عن وجهه لاني علام الغيوب قيل وهو الصحيح اذ لم يقل ما يبدل قولي *
﴿وما أنا بظلام للعبيد﴾ ان قلت النفي متوجه الى كثرة الظلم وعظمه فيلزم وصف الله بقليل الظلم وحاشاه عن كثير الظلم وقليله فكيف المخرج قلت المبالغة راجعة الى النفي أي انتفى الظلم عن ربك انتفاء بليغاً أو جواب لما عساه أن يقول الكافر من انه ظلام فنفى ماللكافر فلا مفهوم أو المراد اني لا أعذب من يستحق العذاب فان من يعذب من لا يستحقه هو ظلام أو ظلام للنسب لا للمبالغة أي (بظليّ) بتشديد الياء أي بذي ظلم كلبان لصاحب اللبن مطلقاً كثيراً أو قليلاً ولكن الذي يظهر لي انه إنما

يقال في النسب فعال لكثير الشيء أو عظيمه ولا يزيد الله في اساءة المسيء ولاينقص من احسان المحسن * ﴿يوم نقول﴾ الله ﴿لجهنم هل امتلأت﴾ متعلق بظلام أو مفعول لمحذوف أي أذكر أو أنذرهم يوم كذا فان أنذر قد يتعدي الى المنذر به بنفسه ويجوز تعليقه ينفخ فيشار بقوله ذلك يوم الوعيد الي يوم يقول لجهنم فلا يقدر مضاف .

وقرأ سعيد بن جبير (يوم يقول الله) وقرأ غير أهل المدينة ونافع وأبي بكر (نقول) بالنون وقرأ ابن مسعود والحسن (يقال) بالياء والبناء للمفعول والاستفهام تقريري أو تعجبي وانما قال ذلك تحقيقاً لقوله لأملأن جهنم وهذا قبل دخول جميع أهلها * ﴿وتقول﴾ جهنم طالبة للزيادة ﴿هل من مزيد﴾ .

قال ابن عباس: لا يزال يزيدها وتستزيده وتقول: يارب لقد أقسمت لتملأني فيضع قدمه فيقول هل امتلأت فتقول قطني قطني لقد امتلأت .

وعن أنس: لا تزال تستزيد حتى يضع رب العرش وفي رواية رب العزة وفي أخرى الجبار فيها قدمه فتقول قط قط بعزتك وقدمه هو من يقدمه لها من أهل العذاب وقيل المراد قدم الرجل على حذف مضافين وارادة الجنس بالقدم أي قدم بعض مخلوقاته وقيل ان قوماً استحقوها وخلقوا لها ولعلهم سموا بهذا الاسم ومن قال قدم رجل وأثبته لله نافق .

زعم بعض السلف الجهال نؤمن بأن القدم حق ولا نتكلم في تأويلها بل نجريها على ظاهرها وهذه ضلالة بعد بيان الطريق وفي رواية بعد لفظ قدمه فينزوي بعضها الى بعض فهذا الانزواء اما لامتلائها بالقدم الذي هو خلق من خلقه تعالى واما لان القدم معناه زجر منه تعالى لها بأن ذلك هو الامتلاء فلا تطلبي زيادة وانما طلبت الزيادة غيظاً على الكفار وقيل ليس قولها هل من مزيد طلباً للمزيد بل استفهام انكاري أي لا موضع في للمزيد لامتلائي وهذا بعد طلبها للمزيد ليوافق الحديث فهل من مزيد في الآية مثل قطني قطني في الحديث يخلق الله لها لساناً حقيقياً تتكلم به أو المراد بقولها ما يفهم من حالها فالقول بلسان الحال قصد التصوير المعنى في القلب لان

بقاء أركانها فارغة كالقول هل من مزيد لي أو لانها لشدة زفيرها وتشبثها بالعصاة كطالب المزيد ويذكر انها تطلب الزيادة فتلقي فيها جبال ويبقى فضل في الجنة فينشيء لها خلقاً وذكروا عن رسول الله ﷺ انه قال «تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة مالي لا يدخلني الا ضعفاء الناس فقال الله لها أنت رحمتي أرحم بك من أشاء وقال للنار انما أنت عذابي أعذب بك من أشاء ولكل واحدة ملؤها» .

ولعل هذه الرواية لم تصح كيف تقول الجنة مالي لا يدخلني الا ضعفاء الناس فانها قد علمت ان العظيم هو من يدخلها وهو الذي تحبه وأما العصاة فخبيثون عندها مستقذرون الا ان قالت ذلك تهكماً على النار وانكاراً لافتخارها بهؤلاء ومن زائدة في المبتدأ والخبر محذوف أي لي والمزايد مصدر ميمي كالمجيد أي زيادة أو اسم مفعول كالمبيع * ﴿وأزلفت﴾ أي قربت * ﴿الجنة للمتقين﴾ أي الذين اتقوا الشرك * ﴿غير بعيد﴾ غير ظرف أي مكاناً غير بعيد وقدر ابن هشام زماناً غير بعيد أو حال من مصدر أزلفت أي أزلفته الأزلاف غير بعيد قاله ابن هشام قال أو من الجنة فالتذكير اما تقدير موصوف مذكر أي شيئاً غير بعيد أو لتأويل الجنة بالبستان أو لأن (بعيداً) (فعيل) بمعنى فاعل يستوي فيه للمذكر والمؤنث كثيراً لكونه على وزن المصدر كالصهيل والنعيق أو مفعول مطلق أي أزلافاً غير بعيد وعلى كل حال فهو توكيد لقوله أزلفت وأزلافها جعلها عن يمين العرش بحيث يراها أهل الموقف قبل دخولها ويقال للمتقين * ﴿هذا ما توعدون﴾ والاشارة للمرء أو الى الثواب أو لمصدر أزلفت أو للبستان .

وقرأ ابن كثير بالياء ويجوز أن يكون الخطاب للأمة في الدنيا * ﴿لكل﴾ بدل من قوله للمتقين أو خبر لمحذوف أي هو كل * ﴿أواب﴾ رجاع الى طاعة الله وقال ابن عباس وعطاء مسيح وقال المحاسبي الراجع الى ربه بقلبه وقال عبيد بن عمير كنا نتحدث إنه الذي اذا قام من مجلسه استغفر مما جرى فيه وكان النبي ﷺ يفعل ذلك ﴿حفيظ﴾ لحدود الله وقيل مراقب

لنفسه وعن ابن عباس الذي يحفظ ذنوبه حتى يستغفر عنها وقال سعيد بن المسيب الأواب الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقيل الذي اذا ذكر ذنوبه في الخلاء استغفر منها *

﴿من خشي الرحمن بالغيب﴾ بدل من كل عند مجبر المبدل من البدل أو خبر لمحذوف أو بدل من موصوف أواب لا نعت لموصوف أواب لانه لا يوصف بشيء من الموصولات الا بما فيه ال أو ذو أو مبتدأ خبره * ﴿وجاء بقلب منيب﴾ مقبل على الطاعة مخلص ووصف القلب بالانابة لانه هو المعتبر هذا وقال عبيد بن عمير كنا كما نتحدث ان الرجل اذا قال في مجلسه سبحان الله العظيم اللهم اغفر لي ما أصبت في مجلسي هذا غفر له.

وفي الحديث: « ما افترق قوم عن مجلس على غير ذكر وصلاة على نبيهم الا تفرقوا على جيفة حمار و كان عليهم حسرة يوم القيامة». وعلم جبرائيل النبي ﷺ أن يقول اذا أراد أن يقوم من مجلسه «سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت استغفرك اللهم وأتوب اليك» *

﴿ادخلوها﴾ على تقدير يقال لهم ادخلوها لمراعاة لمعنى من والخبر في الحقيقة يقال لهم ادخلوها أو منادي بمحذوف أي يا من خشي الرحمن ادخلوها يخشون الله ولم يروه فهذا هو الغيب أو يخشون عقابه غائب أو يخافونه حيث لا يراهم أحد وبالغيب حال من الفاعل أي غائبين عن الخلق أو غير مشاهدين لله عز وجل أو من المفعول أو صفة لمصدر محذوف أي خشية ملتبسة بالغيب أو من مضاف أي عقاب الرحمن أو متعلق بخشى أي خافه بسبب الغيب الذي أوعده من عذابه أي بمعنى في الغيب أو خافه في الخلوة وفي ذكر الرحمن الدال على سعة الرحمة مع الخشية مدح بليغ للخاشي اذا خافه مع علمه بسعة رحمته كما مدحه بأنه خشى بالغيب واشعار بأنهم رجوا رحمته وخافوا عذابه *

﴿بسلام﴾ أي ثابتين مع سلامة من العذاب وزوال النعم أو مع سلام من الله وملائكته عليكم والحال مقدرة وادخلوها ثابتين مع سلام منكم أي

سلموا وادخلوا فالحال مقارنة * ﴿ذلك﴾ اليوم الذي يدخلون فيه الجنة ﴿يوم الخلود﴾ الدوام في الجنة اذا دخلوها ودخل أهل النار النار نودي يا أهل الجنة خلود لا موت فيها ويا أهل النار خلودلا موت فيها أي يوم تقدير الخلود * ﴿لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد﴾ مزيد مصدر ميمي أو اسم مفعول يسألون الله حتى تنتهي مسألتهم فيعطون ما سألوا ثم يزيدهم ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من النعم فهذا هو المزيد وهو مبهم تفخيماً واذا اشتهوا شيئاً جاءهم من غير أن يدعوا به ويكون في فم أحدهم طعام أو شراب فيخطر على قلبه غيره فيتحول في فمه الى ما يريد ويأخذ الثمرة ويأكل منها ويخطر غيره فتتحول اليه الى عشرة ألوان أو ما شاء الله .

وعن ابن عباس: اذا انصرف أهل الجنة الى منازلهم انصرف أحدهم الى سرادق من لؤلؤ خمسين ألف فرسخ فيه قبة من ياقوتة حمراء لها ألف باب وفيها سبعمائة امرأة فيتكيء على أحد شقيه فينظر اليها كذا وكذا ثم على الآخر كذلك ثم يدخل عليه ألف ملك من ألف باب معهم الهدية من ربهم فيقولون السلام عليك من ربك فيضعون ذلك فيقول ما أحسن هذا فيقول الملك للشجر حوله ان ربكن يأمركن أن تقطرن له كل ما اشتهى على مثل هذا وذلك كل جمعة وقال بلغنا ان أرفع أهل الجنة درجة تأتيه الهدية من ربه عند مواقيت الصلاة.

قال السدي لا يزال أهل الجنة معجبين بما هم فيه حتى يفتح الله المزيد فاذا فتحه لم يأتهم شيء الا وهو أفضل مما في جناتهم وقيل ان السحاب تمر بأهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذي قال الله عز وجل (ولدينا مزيد) وزعمت الجهال ان المزيد رؤية الله تعالى عنها في كل جمعة وهذا منهم نفاق واختار بعض العلماء عدم تعيين المزيد لان الله أبهمه ﴿وكم أهلكنا قبلهم﴾ قبل كفار مكة*

﴿من قرن هم أشد منهم بطشاً﴾ قوة وسطوة كعاد وفرعون * ﴿فنقبوا في

البلاد﴾ الفاء لعطف الفعلية على الاسمية لا لعطفها على أشد لانه لاتعطف الجملة على اسم التفضيل وهى المتسبب عن شدتهم والتنقيب التصرف في الأرض والسير فيها والجولان وقيل الابعاد في السير قيل جالوا فيها حذر الموت والعذاب حين جاءهم وفيه تخويف لأهل مكة لانهم على مثل سبيلهم وقيل نقب أهل مكة أي جالوا في أسفارهم في بلاد القرون فالفاء لمجرد التعقيب وأصل التنقيب البحث عن الشيء والطلب له ويدل على ارجاع الضمير لأهل مكة قراءة بعضهم (فنقبوا) بالأمر وهي قراءة ابن عباس وقرىء (فنقبوا) بفتح القاف مخففة والمعنى واحد الا ان التشديد مبالغة وقرىء (فنقبوا) بكسر القاف مخففة من النقب وهو أن يثقب اخفاف ابلهم وأراد حفيت أقدامهم لكثرة طوافهم في البلاد ويحتمله قراءة التشديد أيضاً بالمبالغة * ﴿هل من محيص﴾ لهم أو لغيرهم من الموت والعذاب أو هل رأى لهم أهل مكة محيصاً من أمر الله والمحيص الملجأ والمهرب ومحيص مبتدأ محذوف الخبر كما رأيت * ﴿ان في ذلك﴾ المذكور في السورة أو ما ذكر من اهلاك القرى * ﴿لذكرى﴾ تذكرة وموعظة ﴿لمن كان له قلب﴾ واع لحقائقه لان من له قلب غير واع كأنه لا قلب له .

قال ابن عباس: القلب العقل وقيل قلب حاضر مع الله * ﴿أو ألقى السمع﴾ أصغى لاستماع القرآن * ﴿وهو شهيد﴾ حاضر الذهن ليفهم معانيه وألقى قيل كالغائب أو شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجره أو بعض الشهداء من قوله (لتكونوا شهداء على الناس).

وعن مجاهد وقتادة شاهد على صدقه من أهل الكتاب لوجود نعته عنده .

وقال البخاري والمحاسبي لا يحدث نفسه بغير ما يسمع معرض عن غيره قال المحاسبي من استمع لحديث أو علم أو عظة أو حكمة أو قرآن معرضاً عن غير ما يسمع لا يحدث نفسه بغير ما يسمع فهو قد ألقى السمعة وهو شهيد اسم سماه الله له واصل اليه لامحالة ويجوز عود الضمير للقلب .

وقرأ السدي وجماعة أو ألقى السمع بالبناء للمفعول أي ألقى عنده السمع وفتح له أذنه وقيل ألقى سمعه أو ألقى السمع منه فأل للتعريف الحقيقي أو عوض عن الضمير *

﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾ سبق الكلام عليه وقيل اليوم منها ألف سنة وان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون *

﴿وما مسنا من لغوب﴾ تعب وقرىء بفتح اللام كالقبول وهذا رد على اليهود زعموا انه خلق السموات والأرض في ستة أيام أولها الأحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش ووضع احدى رجليه على الاخرى فاستراح ولذلك ترك اليهود العمل يوم السبت قيل وما وقع من التشبيه في هذه الامة أصله منهم واختار الفخر ان الآية رد على المشركين بخلق السموات والارض وما بينهما وبعدم اعيائيه بالخلق الاول فضلاً عن الاعادة.

وأما ما حكاه اليهود عن التوراة فكذب أو جهالة بتأويله لأن الاحد والاثنين أزمنة مستمرة فلو بدأ الخلق يوم الاحد كان الزمان قبل الجسم والزمان لا ينفك عن جسم واليوم عبارة عن زمان سير الشمس من الطلوع للغروب وقيل خلق السموات والارض لم يكن شمس ولا قمر لكن يطلق اليوم على الوقت والحين وقد يعبر به عن مدة الزمان أي مدة كانت وانتفاء التعب عنه لتنزهه عن صفات المخلوقين ولعدم المماسة بينه وبين خلقه انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴿فاصبر على ما يقولون﴾ أي اليهود من التشبيه أو غيرهم من التكذيب والنسبة للجنون والسحر والكهانة والشعر وانكار البعث أو ما يقولونه جميعاً فان القادر على خلق ذلك قادر على بعثهم وعقابهم ويا عجباً من قوم كلما رأوا لفظ (الصبر) في القرآن قالوا انه منسوخ بآية السيف كلا انه الصبر المأمور به في كل وقت قبل نزول القتال وبعده *

﴿وسبح بحمد ربك﴾ قال ابن هشام قيل الباء للمصاحبة والحمد مضاف الى المفعول أي نزهه حامداً له على ما أنعم به عليك من اصابة الحق وغيرها عما لايليق به وقيل للاستعارة والحمد مضاف الى الفاعل فتعلق البناء بسبح

أي سبحه بـها حمـد بـه نفسـه وعلى الاول متعلق بمحـذوف حـال بتلخيص وزيادة*

﴿قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾ أي الغروب لها وغروبها *

﴿ومن الليل﴾ متعلق بقولـه * ﴿فسبحه﴾ أي ربك والـفــاء زائدة أو في جواب اما محذوفة على اما من الليل فسبحه ومن للتبعيض أي سبحـه بعض الليل بمعنى في أو للابتداء تسبيحـه من الليـل ولا تتركـه الى النهـار أو من الليل معطوف على قبل وسبحه تـوكيـد لسبـح * ﴿وأدبار السجود﴾ عطف على قبل أو على محل المجرور أي وانقضاء الصلاة وانقطـاعهـا مصـدر أدبـر وقـرأ غير نـافـع وابن كثير وحمـزة بفتـح الهمـزة جمـع دبـر أي عقب أمـرهم بالتسبيح بعد الصلوات الخمس قال عطاء ولفظه سبحان الله والحمـد لله أي سبحه قبل الطلوع والغروب وفي الليل وعقب كل صلاة مكتوبة وفي الحديث من سبح لله دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وحمد الله كذلك وكبره كـذلك فتلك تسعة وتسعون وقال تمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك ولـه الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت ذنـوبـه وان كـانت مثـل زبـد البحـر وجاءه ﷺ الفقراء وقالوا ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم قـال ومـا ذاك قالوا صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وأنفقوا من فضول أموالهم وليست لنا أموال قال أفلا أخبركم بما تدركون به من كان قبلكم وتسبقـون من جـاء بعدكم ولا يأتي أحد بمثل ما جئتم به الا من جاء بمثلـه تسبحـون في كـل صـلاة عشراً وتحمـدون عشر وتكبرون عشراً وقيـل سبـح بمعنى صـل وقبـل طلوع الشمس صلاة الفجر وقبل الغروب .

قال ابن عباس والحسن صلاة الظهـر والعصر ومن الليـل صـلاة المغـرب والعشاء وأدبار السجود .

قال عمر وعلي ومجاهد الركعتان بعد المغرب وأدبار النجوم الركعتـان قبـل صلاة الفجر قالت عائشة رضي الله عنها لم يكن ﷺ أشد تعاهـداً على شيء من النوافل من ركعتى الفجر وقالت قال ﷺ ركعتا الفجر خير من الدنيا وما

فيها وقيل قبل الغروب صلاة العصر وتؤخذ صلاة الظهر من غير هذا كقوله لدلوك الشمس وقيل من الليل المغرب والعشاء والتهجد وأدبار السجود النوافل بعد الفرض وقيل الوتر بعد العشاء وقيل من الليل التسبيح وقيل عن مجاهد التنقل ليلاً وقال ابن زيد العشاء فقط وقيل ركعتا الفجر.

وفي الحديث : من صلى بعد المغرب قبل أن يتكلم كتبت صلاته في عليين * ﴿واستمع﴾ اصغ لما أخبرك به من أحوال يوم القيامة وفي ذلك تهويل وتعظيم للمخبر به المستمع اليه كما روي انه ﷺ سبعة أيام يقول لمعاذ بن جبل يا معاذ اسمع ما أقول ثم حدثه بعد ذلك * ﴿يوم ينادي المنادي﴾ النقاش عن أبى ربيعة عن البزي وابن مجاهد عن قتيل ينادي باثبات الياء في الوقف والباقون يقفون باسكان الدال وتحذف نطقاً في الوصل للساكن وحذفت في الخط في مصاحفنا ويوم متعلق بمحذوف دل عليه ذلك يوم الخروج أي يخرجون من القبور يوم ينادي أو مفعول استمع كأنه قيل انتظر يوم ينادي كما تقول لمن تعده بورود فتح استمع كذا أي كن منتظرا له أو على حذف مضاف أي استمع حديث يوم ينادي أو صيحته وعلى تعليقه بمحذوف معمول استمع مقدر أي انتظر صيحة القيامة والنشور أو نحو هذا وقيل متعلق بمحذوف تقديره تعلم عاقبة تكذيبهم يوم ينادي باثبات الياء وصلاً عند نافع وأبي عمرة ووصلاً ووقفاً عن ابن كثير والمنادي في الصور ينفخ اسرافيل يقول أيتها العظام البالية والاوصال المنقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادي بالحشر * ﴿من مكان قريب﴾ من صخرة بيت المقدس يقوم عليها وينادي وهي أقرب الارض الى السماء باثنى عشر ميلا قيل وهي وسط الأرض وقيل أقرب بثمانية عشر ميلاً . وقيل ينادى الملك بين السماء والأرض وينفخ وقيل معنى القرب انه يسمع جميع الخلق وقيل ينادى من تحت أقدامهم وقيل يسمع من كل شعرة أيتها العظام البالية وقيل يقول أيتها الاجسام الهامدة والعظام البالية والرمم الذاهبة هلمي الى الحشر

والوقوف بين يدي الله ﴿يوم﴾ بدل من يوم * ﴿يسمعون الصيحة﴾ الضمير للحق والصيحة النفخة الاخيرة من اسرافيل قبل النداء أو بعده * ﴿بالحق﴾ بالبعث متعلق بالصيحة أو الحق ضد الباطل فهو الحكمة فيتعلق بيسمع وكذا ان جعل اسماً لله أو نعتاً له أي باذن الله يعلق بيسمع ويجوز تعليقه بالصيحة * ﴿ذلك﴾ أي يوم النداء أو السماع * ﴿يوم الخروج﴾ من القبور وهو من أسماء يوم القيامة ويوم الخروج في الدنيا هو يوم العيد لخروج الناس فيه *

﴿انا نحن نحيي﴾ في الدنيا عند الاجل *

﴿ونميت والينا المصير﴾ في الآخرة للجزاء وقيل نميت في الدنيا ونحيي للبعث (والينا المصير) بعد الموت وحذف المفعول لعموم أو لعدم تعلق القصدية * ﴿يوم تشقق﴾ بدل من يوم الأول أو الثاني أو متعلق بمصير ولو كان مصدراً ميمياً لانه ظرف أو بما يتعلق به الينا والاصل تتشقق أبدلت التاء شينا بعد الاسكان وأدغمت الشين في الشين .

وقرأ عاصم وحمزة والكسائى وخلف وأبو عمرو بترك التشديد على حذف احدي التائين وقرىء بالتائين وترك التشديد وقرىء (يشقق) بالتحتية والتشديد والبناء للمفعول *

﴿الأرض عنهم سراعاً﴾ حال من الهاء مقدرة أي مقدر لهم الاسراع وهو جمع سريع وقيل المحذوف أي تخرجون سراعاً الى المحشر *

﴿ذلك حشر علينا يسير﴾ أي ذلك الحشر لان المقام يدل عليه ولان الخروج هو عن الاخراج والاخراج حشر أو لان الاحياء مراد به البعث والحشر البعث والجمع ويسير سهل وعلينا متعلق به وقدم عليه الفاصلة والحصر أي لا يسهل الا علينا أما غيرنا فلا يتيسر له لاني العالم القادر لذاتى لا يشغلنى شأن عن شأن ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وفيه معادلة لقولهم ذلك رجع بعيد والفصل بين الصفة والموصوف *

﴿نحن أعلم بما يقولـون﴾ أي بما يقولونـه أو بقـولهم وذلك انهم يقـولـون ساحر ويقولون كاذب وغير ذلك وذلك تسلية لـه ﷺ ووعيـد لهم والضمير لكفار مكة والعلم بقولهم كناية عن عقابهم ومستلزم له *

﴿وما أنت عليهم بجبار﴾ مسلط عليهم تجبرهم على الايمان أو تفعـل بهم ما تريد وانما أنت داع فقيل نسـخ بـآيـة السيف ويحتمـل انك لا تقـدر على ايمانهم ان لم أقدره فلا نسخ وقيل المـراد التحلم عنهم وتـرك الغلظـة عليهم و(جبار) اما بمعنى ذي القوة والملك والسلطة أي لست كذلك فتقهرهـم على الايمان أو من جبره على الامر بمعنى أجبره وعليهم متعلق بجبار.

وعن ابن عباس قال المؤمنون لو خوفتنا يا رسول الله فنزل قوله *

﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيـد﴾ ولا ينتفع بـه غيره ثبت هـذه اليـاء في الوصل ورش والله أعلم.

اللهم بحق نبينا محمد ﷺ علينا وحق هذه السورة اكسر شوكـة النصـارى واخزهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم صلى الله على سيـدنـا محمـد وآلـه وصحبه وسلـم.






بسم الله الرحمن الرحيم
سورة «الذاريات»

ســورة ﴿الذاريات﴾

مكية كلها باجماع المفسرين وآيها ستون وكلمها ثلاثمائة وستون وحروفها ألف ومائتان وسبعة وثلاثون .

وعنه ﷺ : « من قرأ والذاريات أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا » .

وقالوا (من قرأها عند مريض خفف الله ألمه وتنفع لعسر الولادة).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والذاريات﴾ أي والرياح التى تذر التراب وغيره * ﴿ذروا﴾ أي تهب به قال تذروه الرياح ويقال أيضاً تذريه ذرياً أقسم بالرياح تشريفاً لها وتنبيهاً عليها ودلالة على الاعتبار بها فيتوصل الى التوحيد ويحتمل أن يريد النساء اللاتي يلدن فانهن يذرين الأولاد والأشياء التى تذري الخلائق من الملائكة وغيرهم وعن بعضهم ان الذاريات الرياح اجماعاً وبه أجاب عليّ نصرانياً سأل عنها وسكن أبو عمرو وحمزة التاء وأدغماها في الذال بعدها بعد قلبها ذالاً * ﴿فالحاملات وقراً﴾ السحب تحمل الماء والوقر الثقيل مفعول لحاملات وقرىء بفتح الواو وتسمية للمحول بالمصدر أو هذا المفتوح مفعول مطلق أي الحاملات حمل وقرىء ثقل وتفسير الحاملات بالسحب هو ما أجاب به على النصراني .

وقال ابن عباس: (السفن الموقورة بالناس وأمتعتهم) وقال جماعة من العلماء جميع الحيوانات الحاملات في البطن والسفن أيضاً وقيل النساء الحوامل وقيل الرياح الحاملة للسحاب *

﴿فالجاريات يسراً﴾ جريا ذا يسر أي ذا سهولة فيسراً مفعول مطلق قال عليّ للنصرانى هي السفن وقيل السحب وقيل الكواكب وقيل جميع ذلك .

﴿فالمقسمات أمراً﴾ قال عليّ للنصراني الملائكة تقسم الأرزاق سأله النصراني عن ذلك وعن أشياء فأجابه فآمن وقال على المنبر سلوني قبل أن لاتسألوني ولم تسألوا بعدي مثلي فقام ابن الكواء فسأله عن الذاريات

والحاملات والجاريات والمقسمات فأجابه بذلك وقال الحسن المقسمات السحب يقسم الله بها أرزاق العباد وزعم زاعمون انها الكواكب السبعة والصحيح انها الملائكة والجمع على المقسمات باعتبار الجماعات .

وقال مجاهد المراد أربعة جبرائيل صاحب الوحي والغلظة وميكائيل صاحب الرزق والرحمة واسرافيل صاحب الصور واللوح وعزرائيل صاحب قبض الأرواح وأراد بأمر الجنس أي تقسم الامور من الامطار والارزاق والآجال والخلق في الارحام والرياح وغير ذلك وقيل المقسمات الرياح يقسمن الامطار بتصريف السحاب ويجوز أن يريد بالذاريات والحاملات والجاريات والمقسمات الرياح لانها تنشىء السحاب بأن تبدو الأبخرة الى السماء فينعقد سحاباً وتحمله وتصرفه ويجري في الجو جرياً سهلاً للسفن وغيرها وتقسم الامطار بتصريف السحاب فالترتيب بحسب فعل الرياح تجيء أولا وتذر التراب وغيره كالأبخرة الى آخره ما مر قريب والصحيح ان المراد بكل غير الأخر كما مر فالترتيب باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة وأقسم بهن تشريفاً لهن وتنبيهاً على ما فيهن من الدلالة على عجيب الصنع وقيل أقسم بنفسه على حذف مضاف أي ورب الذاريات الخ وجواب القسم هو قوله *

﴿انما توعدون لصادق﴾ ما مصدرية أي ان وعدكم لصادق أي وعدي اياكم بالبعث والجزاء اسم موصول فاقتداره على تلك الاشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة دليل على اقتداره على البعث وتوعدون من الوعد لانه كثيراً ما يطلق على الشر من الوعيد أو من الايعاد *

﴿وان الدين لواقع﴾ أي الحساب قاله مجاهد وقيل الجزاء بعد الحساب *

﴿والسماء ذات الحبك﴾ ذات الطريق كحبك الرمل والماء اذا ضربته الريح وحبك أثار تثنية وتكسراً والدروع محبوكة لان حلقها مطرق طرائق ويقال ان خلق السماء كذلك لكن لا ترى كذلك لبعدها من الناس أو ذات طرق يسلكها النجوم أو طرق يسلكها النظار ويتوصل بها الى المعارف

أو الملائكة وعن الحسن حبكها طرائقها وهي نجومها تزينها كما يزين الموشى طرائق الوشي وقيل ذات البيان وقيل حبكها احكامها المتقن .

وقال ابن عباس: ذات الخلق الحسن المستوى جمع حباك كمثال ومثل أو جمع حبيكة كطريقة وطرق وقرىء الحبك بضم فاسكان والحِبْك بكسر فاسكان والحبَك بفتحتين والحِبَك بكسر ففتح والحَبْك بفتح فاسكان والحبك بكسر فضم قاله ابن هشام وقال ابن جني قراءة أبي مالك الغفاري قال ابن هشام والمهمل من أوزان الثلاثى فعل بكسر الفاء وضم العين أي لكراهة الانتقال من الكسر الثقيل الى الضم الاثقل وأما قراءة أبي السمال فقيل لم تثبت وقيل اتبع الحاء للباء واللام ساكن حاجز غير حصين والاصل حبك بضمتين وقيل على تداخل اللغتين اذ يقال حبك وحبك بضمتين ويكسرتين فكسر الحاء من لغة الكسر وضم الباء من لغة الضم واعترض هذا بأن التداخل انما يكون بين حرفي كلمتين لا بين حرفي كلمة ووجهه بعض بعدم تسليم ان التداخل لا يكون في كلمة واحدة ووجهه الجار بردي بأنه تلفظ بالحاء المكسورة من لغة كسر الحاء والباء وغفل عنها وتلفظ بالباء المضمومة من لغة ضمها وقال ابن جني أراد القارىء أن يكسر الحاء والباء فبعد كسره الحاء قال القراءة المشهورة فضم الباء.

قال ابن مالك هذا الوجه لو اعترف به من عزيت اليه هذه القراءة لدل على عدم الضبط ورداءة التلاوة ومن هذا شأنه لا يعتمد على ما سمع منه لامكان عروض ذلك له واختار أبو حيان الاتباع للباء ورد بأن ال كلمة فهي حاجز حصين ومن ثم امتنع القراء من ضم الساكن في نحو ان الحكم الا لله وقل الروح وغلبت الروم ولم يلحقوها بنحو قل أنظر أو نحو أو أنقص وأجيب بأن هذا الاعتراض لا ينافي أحسنيه ذلك القول واعترض أيضاً بأنه لا يجري في غير الآية وأجيب بأنه لم يسمع في غير الآية فافهم ﴿انكم﴾ ياأهل مكة * ﴿لفي قول مختلف﴾ في الرسول ساحر وشاعر ومجنون تارة

يقولون كذا وتارة كذا أو بعض يقول كذا وبعض يقول كذا أو في القرآن أو القيامة أو أمر الديانة قال الضحاك قول الكفرة لا يكون مستوياً بل متناقضاً مختلفاً وكون الخطاب للكفار هو قول ابن زيد .

وقال قتادة الخطاب للناس أي منكم مؤمن ومنكم مكذب .

قال القاضي ولعل النكتة في هذا القسم تشبيه أقوالهم في اختلافها وتنافي أعراضها بالطرائق للسموات في تباعدها واختلاف غاياتها * ﴿يؤفك﴾ يصرف * ﴿عنه﴾ عن الرسول أو القرآن أو الدين أو عما توعدون أي عن الايمان بذلك * ﴿من أُفك﴾ أي يصرف عنه من صرف الصرف الذى لا صرف أشد منه حتى انه كانه لا صرف سواه كقوله لا يهلك على الله الا هالك وقيل يصرف عنه من صرف في علم الله والصارف الشيطان وأعوانه من الجن والانس ومن ذات المصروف اذا أراد رجل الايمان قالوا ساحر أو كاهن أو نحو ذلك ويجوز عود الضمير للقول أي يصدر افك من افك عن القول المختلف وبسببه كقوله ينهون عن أكل وعن شرب أي يكثر سمنهم بسبب أكل وشرب .

وقرأ سعيد بن جبير يؤفك عنه من افك بفتح الفاء أي يصرف عنه من صرف الناس عنه وهم قريش يحذرون الناس عنه .

وقرأ زيد بن عليّ يأفك بكسر الفاء من افك أي يصرف الناس عنه من هو مصروف وعنه أيضاً يأفك عنه من افك أي يصرف الناس عنه من هو كاذب أشد الكذب وقرىء (يؤمن) عنه من (امن) يحرم عنه من حرم *

﴿قتل الخراصون﴾ أي لعن الكذابون أصحاب القول المختلف قال للعهد ولم يقل قتلوا ليذمهم بهذا الاسم وقيل الكهانون وذلك دعاء بالنسبة للخلق أي قل يا محمد قتل الخراصون كقوله قتل الانسان ما أكفره وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى قبح ولعن والمراد هنا انشاء اللعنة بالنسبة الى السامعين والا فلعنته أعاذنا منها أزلية والخراص الذي يقول بالظن وقرىء قتل الخراصين أى قتل الله ﴿الذين هم في غمرة﴾ أي جهل يغمرهم

يغطيهم* ﴿ساهون﴾ غافلون عما أمروا به وقيل الغمرة الغفلة وقيل الحيرة وساهون معناه لاهون وفي غمرة خبر وساهون خبر ثان أو خبر وفى غمرة متعلق به * ﴿يسألون﴾ النبى ﷺ استهزاء وتكذيباً ﴿أيان﴾ بكسر الهمزة وفتحها قراءتان ولغتان أي متى ﴿يوم﴾ أي وقوع يوم ﴿الدين﴾ أي الجزاء وهو يوم القيامة ولك أن لا تقدر الوقوع فان الزمان يقع في الزمان على طريق التخييل لا التحقيق قاله الصبان أو يعتبر أن يوم الدين بعض من زمان واسع تخييلاً أو تحقيقاً ان قلنا أطلق على وقت الحساب ودخول أهل النار النار وأهل الجنة الجنة وأجاب سؤالهم بقوله .

﴿يوم هم على النار يفتنون﴾ يعذبون ويوم متعلقة بمحذوف أي يجيء يوم هم الخ أو هو كائن يوم هم الخ أو يقع يوم هم الخ وهم مبتدأ وعلى للاستعلاء أو بمعنى فى وقيل يفتنون يحرقون فتنت الذهب أحرقته اخباراً ومنه الفتن وهى الحرة لأن حجارتها كأنها محرقة وأجاز بعضهم كون يوم خبر لمحذوف أي يوم الدين هو يوم هم الخ وفتح للبناء لانه أضيف للجملة والجملة غير معربة وهو مبهم لانه ليس يوماً محدوداً ويدل له قراءة ابن أبي عبلة بالرفع.

قاله ابن هشام وبسطت ذلك في االنحو ويقال لهم حين التعذيب * ﴿ذوقوا فتنتكم﴾ تعذيبكم * ﴿هذا﴾ العذاب مبتدأ خبره *

﴿الذي كنتم به تستعجلون﴾ أو بدل من فتنتكم والذي نعت أو بيان أو بدل لذا واستعجالهم في الدنيا بقولهم متى هو ايان هو ويجوز أن يكون ذوقوا نائباً لحال محذوفة أى مقولا لهم ذوقوا *

﴿ان المتقين في جنات﴾ بساتين * ﴿وعيون﴾ تجري فيها ﴿آخذين﴾ حال من ضمير الاستقرار أي قابلين * ﴿ما آتاهم﴾ أعطاهم ﴿ربهم﴾ وفى كونهم آخذين ما أعطاهم اشارة الى أن جميعه حسن كقوله ويأخذ الصدقات أي يقبلها ويرضاها قال ﷺ «لو ان ما يقل ظفر مما في الجنة بدا التزخرف له ما بين خوافق السموات والارض ولو ان رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدا سواره

لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم *

﴿انهم كانوا قبل ذلك﴾ قبل دخولهم الجنة ﴿محسنين﴾ اعمالاً وذلك تعليل استئنافي لاستحقاقهم ذلك *

﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾ قال بعضهم هذا تفسير لاحسانهم وما زائدة ويهجعون ينامون ومن الليل نعت بـ (قليلاً) وقليلاً ظرف زمان متعلق بيهجع أي كانوا يهجعون زماناً قليلاً من الليل ويصلون أو يذكرون باقيه ويهجعون خبر كان أو قليلاً مفعول مطلق أي هجوعاً قليلاً أو قليلاً خبر وما مصدرية والمصدر فاعل قليلاً كقولك الزيدون قليل قيامهم اذا جعلت قليل خبر (الزيدون) أو المصدر بدل من الواو أو ما اسم موصول فاعل قليلاً أو بدل من الواو وقد يصح أن يجعل في (قليلاً) ضمير جمع مستتر والمصدر أو الموصول بدل من الضمير المستتر كما تقول (بنو لهب) خبير ومن الليل بيان للموصول ولا يعلق بيهجعون اذا جعلت ما مصدرية أو موصولاً والمعنى على ذلك كله قلة النوم في الليل وهو قول الحسن والجمهور على ان ما مصدرية وقال بعض من أجاز خروج ما النافية عن المصدر ما نافية وقليلاً معمولا لما بعدها والصحيح انها لها الصدر لا يعمل ما قبلها فيما بعدها وقيل قليلاً خبر كان وعليه الوقف والمراد قلة عددهم ويبتدأ بما بعده وما نافية فالمراد انهم لا ينامون في الليل أصلاً والصحيح الاول وفيه مبالغة في القلة وزيادة ما وعلى كونها نافية يصح أن يكون المعنى ان بعضاً من الليل لا ينامون فيه على ان (من) التبعيض لا ان جعلت بمعنى فى أو للبيان قيل لبعض التابعين مدح الله قوماً كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ونحن قليلاً من الليل ما نقوم فقال رحم الله امرأ رقد اذا نعس وأطاع ربه اذا استيقظ .

وعن ابن عباس ومطرف لا تأتى ليلة الا صلوا أولها أو وسطها أو آخرها الا قليلاً .

وفى الحديث : «أصيبوا من الليل ولو بركعتين ولو أربع» .

وعن أنس يحيون ما بين العشائين وقيل لا ينامون حتى يصلوا العتمة ونهى ﷺ عن النوم قبله. وعن الحديث بعدها قال بعض الا حديث خير * ﴿وبالأسحار﴾ أي في الأسحار * ﴿هم يستغفرون﴾ مبتدأ وخبر وبالاسحار متعلق بيستغفرون وفيه تقديم معمول الخبر الفعلي على مبتدأ واستغفارهم من ذنوبهم أو لرؤيتهم التقصير في قيامهم حتى كأنهم أذنبوا أو من نومهم القليل أم من ذلك كله يقولون اللهم اغفر لنا وقيل يصلون بالاسحار لطلب المغفرة وفي الاخبار بالفعل عن الضمير اشعار بأنهم أحقاء بالاستغفار دون المصرين وكانهم المختصون به لوفور علمهم بالله واستدامتهم الاستغفار.

وفي الحديث: من أحب أحبائى المشاءون الى المساجد المستغفرون بالأسحار المتحابون في أولئك الذين هذه صفتهم اذا أردت بأهل الارض سوء فذكرتهم صرفته عنهم بهم .

وعن أبي موسى الاشعري لن يستفتح على العدو بأقوى من صلاة السحر .

قال ابن زيد: السحر السدس الأخير من الليل .

قال ابن الجوزي : علامة المحبة طلب الخلوة بالحبيب وبيداء الليل فلوات الخلوات ان لله ريحاً تسمى الصبيحة مخزونة تحت العرش تهب عند الأسحار فتحمل الدعاء والانين والاستغفار وكان ﷺ اذا قام من الليل قال: «اللهم لك الحمد أنت قيوم السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك الحق وقولك الحق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله الا أنت ولا اله غيرك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم».

وفي الحديث: «من قام من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله سبحان الله والله أكبر

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ودعا بها أراد استجيب له وان توضأ وصلى قبلت صلاته» .

وروى المخالفون عن أبي هريرة انه ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى الثلث الاخير وفي روايـة حتى يبقى الثلث الاخير وفى أخـرى حتى يضىء الفجر فيقول من يدعونى فاستجيب له ومن يسألنى فأعطي لـه ومن يستغفرني فأغفر له .

وفي رواية يقول أنا الملك فيقول من الخ .

قلت ان صح عنه هذا فمعناه نزول الرحمة والا طاف وقربها من العبد والاقبال على الداعين بالاجابة لان الصعود والنزول من صفات الاجسام تعالى الله عنها وخص الوقت لانه وقت خلوص النية وتوفر الرغبة وغفلة أكثر الناس وزعم من يريد الجهل بعد وضوح العلم انه يؤمن بظاهره ويتركه من غير تأويل وينزه الله عن صفات الجسم * ﴿وفي أموالهم حق﴾ نصيب يوجبونه على أنفسهم تقرباً لله عز وجل واشفاقاً على الناس ولا نسخ فيه لانه صدقة مندوب اليها وهو الصحيح وقيل منسوخ بالزكاة وقيل المراد بالزكاة * ﴿للسائل﴾ أي الطالب ﴿والمحروم﴾ الذي يحسب غنياً فيحرم الصدقة أي يمنع منها لتعففه .

وفي الحديث «ليس المسكين الذي ترده الاكلة والأكلتان والتمرة والتمرتان قالوا فما هو قال الذي لايجد ولا يتصدق عليه» هذا هو الصحيح لقرنه بالسائل وعليه الحسن .

وقال ابن عباس : الذي حورف عنه الرزق أي ميل عنه به وضيق عليه وقيل الذي ينجز فلا ينمو له مال ولا يستفيد وقيل الذي لا سهم له في الغنيمة ولا في الفيء وقيل هم أهل الصفة لا يقدرون على الغزو فحل لهم أخذ الزكاة قبل أن يسعى أهلها في براءة ويبحث فيه بأن السورة مكية كلها كما مر والجهاد فرض بالمدينة وقيل الذي أصابت ماله جائحة وقيل المملوك وقيل المكاتب وقيل الذي لا سهم له في الاسلام ونسب هذا القول لابن

عباس * ﴿وفي الارض آيات للموقنين﴾ بالله السالكين طريق البرهان كلما رأوا آية ازدادوا ايماناً وايقاناً يكون لهم ما في الارض دلائل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته من انبساط الارض وارتفاع بعض على بعض وجعلها مسالك وسهلاً وجبلاً وبراً وبحراً وصلبة ورخوة وتربة وسبخة واختلاف الالوان وأشجاراً ونباتاً وثماراً مختلفة مسقية بماء واحد ويختلف الطعم واللون والرائحة وعيون ومعادن ودواب وغير ذلك مما هو منافع مختلفة الخواص لساكنيها في صحة وعفة * ﴿وفي أنفسكم﴾ عطف على الارض أو خبر مبتدأ محذوف أي وفي أنفسكم آيات فالمعطوف جملة على أخرى والانفس الصور أي بدأ في خلق أبيكم من تراب ثم أنتم من نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظام الى نفخ الروح ثم الخروج ثم اختلاف تركيبكم الى الممات باطناً وظاهراً فانظر الى القلب وما يركز فيه من الفهم وما يخطر فيه واستنباط الصنائع والى اللسان والنطق ومخارج الحروف وتركيبها وترتيبها وما سوى في الاعضاء من المفاصل للانعطاف وعن بعضهم كانوا قليلاً من الليل الخ أي لا يغفلون ولا ينامون عن الذكر وفي أموالهم الخ .

عن الحسن البصري أدركت ناساً كان الرجل منهم يعزم على أهله أن لايردوا سائلاً وأدركت أقواماً أي الرجل ليخلفن أخاه في أهله أربعين عاماً وان من قبلكم يأخذ من الدنيا قوتاً وثوباً خلقاً ويبتاعون الآخرة بالفضل ويجتهدون في العبادة ويبكون على خطاياهم حتى يموتوا (وفي أنفسكم) أي في صورها وتقديرها بأحسن التقدير أنظر الى عروقها السائرة فيها كالانهار وشقوقها من غير ألم وصل اليكم وكذا شق الاذن والبصر .

وقال مجاهد: أراد بأنفسكم خروج الطعام والشراب من موضعين ومدخلهما من موضع .

وقال ابن عباس : اختلاف الألسنة والصور والألوان والطبائع .

وقال ابن زيد : العقل مضغة لا يعرف أحد ما العقل الذي هو فيه وفيك الروح وما تدري ما هى الى غير ذلك .

قال أبو عمر الداني : معرفة العبد نفسه من أولى ما عليه اذ لا يعرف ربه الا من عرف نفسه ولا ينكر عاقل وجود الروح من نفسه وان لم يدرك حقيقته كذلك لا ينكر وجود الله عز وجل الذي دلت عليه أفعاله وان لم يدرك حقيقته * ﴿أفلا تبصرون﴾ ذلك وتعتبرون وتستدلون به على الخالق.

قال بعضهم الخطاب للمشركين قيل خلق في نفس ابن آدم ألفاً وثمانين عبرة ثلاثمائة وستون ظاهرة وثلاثمائة وستون باطنة لو كشفت لابصرتم وثلاثمائة وستون غامضة لا يعرفها الا نبي أو صديق لو بدت منها عبرة لذوي العقول لوصلوا الى الاخلاص والشهاوي تجبّ قلوب العارفين * ﴿وفي السماء رزقكم﴾ أسباب رزقكم وهي المطر وقيل السحاب والرزق المطر فانه سبب الرزق .

وعن سعيد بن جبير الرزق هو الثلج وكل عين منه وكان الحسن اذا رأى السحاب قال لاصحابه فيه والله رزقكم ولكنه تحرمونه بخطاياكم.

وقال واصل الاحدب أراد القضاء والقدر أي الرزق عند الله على قدر ما سبق في علمه * ﴿وما توعدون﴾ من الثواب والعقاب وقيل من الخير والشر وقيل الجنة للمؤمنين في السماء والنار في الأرض للمنافقين والكل مكتوب في السماء في علم الله .

وقال ابن سيرين: الساعة والقول الثاني لمجاهد وقال الضحاك الجنة والنار وهما في السماء السابعة الجنة عن يمين العرش والنار عن شماله *

﴿فورب السماء والارض إنه﴾ أي ما توعدون أو ما ذكر من الايات والرزق وما توعدون وقيل القرآن ﴿لحق﴾ وقيل ما توعدون مبتدأ فورب السماء والارض انه لحق خبر والهاء عائدة لما والفاء زائدة لشبه الموصول باسم الشرط *

﴿مثل ما أنكم تنطقون﴾ ما زائدة ومثل حال من المستتر في حق أي مثل نطقكم أو مفعول مطلق أي حقاً مثل نطقكم فحذف الموصوف ويجوز كون فتحه بناء لابهامه مع اضافته لمبني وهو ما ان جعلت نكرة موصوفة أو

معرفة موصولة وكسرت الهمزة أو مع اضافته لما لم يظهر اعرابه ولم يكن معرباً وهو انكم تنطقون بفتح الهمزة والمعرب هو المصدر لا مجموع ان وما بعدها المضاف اليه مثل في الصورة ومحل مثل حينئذ بالرفع على انه صفة حق كما يدل له قراءة حمزة والكسائي وأبي بكر بالرفع والمراد كما انه لاشك لكم في ما تنطقون لا شك في تحقق ذلك وقيل تنطقون بلا اله الا الله وعن بعض الحكماء كما انه لا يتكلم غيرك بلسانك كذلك لا يؤكل رزقك .

قال الاصمعي : أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابي على قعود فقال من الرجل فقلت من بني أصمع قال من أين أقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الله قال أو لله كلام يتلى قلت نعم قال اتلو علي فتلوت والذاريات الى وفي السماء رزقكم قال حسبك فنحر ناقته وقسمها على مزاقيل وأدبر وكسر سيفه وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت أطوف فاذا أنا بمن يهتف بي بصوت دقيق فالتفت فاذا أنا بالاعرابي قد نحل واصفر فسلم علي واستقرأني السورة فقرأتها الى الآية فصاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ثم قال وهل غير ذلك فقرأت فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه لقوله حتى ألجأه الى اليمين قاله ثلاثاً فخرجت نفسه.

قال ﷺ : « قاتل الله أقواماً أقسم لهم ربهم بنفسه فلم يصدقوه »

وقال ﷺ : « لو فر أحدكم من رزقه لتبعه كما يتبعه الموت ».

قال المحاسبي : وقع الاضطراب في القلوب مع انه جاء بالضمان من الله لوجهين فانه المعرفة بحسن الظن وأن يعارض النفس خوف الموت فتستجيب واذا جعلت ما موصوفة أو موصولة فالرابط محذوف شذوذاً أي تنطقون به أو قياساً أي مثل نطق تنطقونه أو النطق الذي تنطقونه * ﴿هل أتاك﴾ خطاب له ﷺ تفخيم للحديث وتنبيه على انه ليس من علم رسول الله ﷺ وان ما عرفه بالوحي * ﴿حديث ضيف ابراهيم﴾ الضيف يطلق على الواحد فصاعداً لانه في الاصل مصدر والمراد اثني عشر ملكاً منهم جبريل وقيل

تسعة هو عاشرهم وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل وملك آخر وسماهم ضيفاً لانهم في صورته أو لان ابراهيم حسبهم ضيفاً وجعل لهم ما يجعل للضيف وهم الذين بشروه باسحق وجاءوا بعذاب قوم لوط ﴿المكرمين﴾ عند الله بالمنزلة عند ابراهيم عليه الصلاة والسلام اذ خدمهم بنفسه واستخدم لهم زوجته وعجل لهم القرى وبش لهم وكان منذ سبعة أيام لم يطعم شيئاً ينتظر ضيفاً لانه لا يأكل الا معه فلما جاءوه استبشر بهم وقام بما يصلح لهم ولم يطعم معهم فان علامة الخلة المؤكدة أن يطعم ولا يطعم.

وقال ابن عباس : سماهم مكرمين لانهم غير مدعوين.

وكان النبي ﷺ يقول اذا قرب اليه الطعام «اللهم بارك لنا في ما رزقتنا وقنا عذاب بسم الله» وقال « اذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند الدخول وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء واذا دخل ولم يذكر قال الشيطان أدركتم المبيت واذا لم يذكر الله عند طعامه قال أدركتم المبيت والعشاء * ﴿اذ دخلوا﴾ متعلق بالمكرمين ان قلنا المراد اكرام ابراهيم لهم والا فبحديث ملاحظة لمعنى التحدث أو بالضيف ملاحظة لمعنى الضيافة أو مفعول بأذكر * ﴿عليه﴾ في صورة آدميين *

﴿فقالوا سلاماً﴾ أي قالوا هذا اللفظ وقيل مصدر نائب عن فعل انشاء أي نسلم سلاماً وقرىء سلام بالرفع خبره محذوف أي سلام عليكم * ﴿قال سلام﴾ أي هذا اللفظ وخبره محذوف أي عليكم وجاء به مرفوعاً ليكون رده أحسن من سلامهم لان الاسمية للثبوت فهذا من اكرامه أيضاً كأنه قيل فماذا قال ابراهيم في جوابهم فقيل: قال سلام أي حياهم بتحية أحسن وقرىء سلاماً قال سلماً بالنصب على ما مر والسلم السلام .

وقرأ حمزة والكسائى سلم بالرفع * ﴿قوم منكرون﴾ أي أنتم قوم منكرون أو هؤلاء قوم الخ قال ذلك في نفسه وقيل بلسانه وانما أنكرهم لانه ظن انهم بنو آدم ولم يعرفهم أو لأنهم ليسوا من جنس الناس الذين عهدهم أو لأن السلام لم يكن تحيتهم أو لدخولهم بغير استئذان وفي ضمنه أن قاله بلسانه

طلب المعرفة كما تقول ان لم تعرفه لم أعرفك تريد أن يعرفك نفسه * ﴿فراغ الى أهله﴾ ذهب بخفية فان من آداب المضيف أن يخفي أمره وأن يبادره بالقرى من غير أن يشعر به فيكفه * ﴿فجاء بعجل سمين﴾ وفي هود حينئذ أي مشوى فهو سمين مشوي كان عامة مال ابراهيم البقر فجاء بعجل قاله قتادة *

﴿فقربه اليهم﴾ وضعه بين أيديهم ليأكلوا فان من آداب الضيف أن يقدم اليه بالطعام ولا يكلف المشي اليه .

وفي الحديث «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» ويدل على كونه حينئذ قوله قربه اليهم وقوله حين رآهم لا يأكلون * ﴿قال الا﴾ حرف تحضيض حثهم على الاكل ولا بأس بحث الضيف على الأكل ولو قبل الشروع في الاكل أو حرف عرض بأن قال ذلك أول ما وضعه أو بعده أو الهمزة للانكار ولا للنفي بأن قاله حيث رأى اعراضهم * ﴿تأكلون﴾ منه * ﴿فأوجس﴾ أضمر * ﴿منهم خيفة﴾ لانهم لم يأكلوا طعامه فظن انهم أرادوا سوءاً .

وعن ابن عباس وقع في نفسه انهم ملائكة أرسلوا لعذاب وعن عون ابن شداد أن جبريل مسح العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمه فزال خوفه*

﴿قالوا لاتخف﴾ انا رسل ربك * ﴿وبشروه بغلام عليم﴾ يكثر علمه وقيل نبي وقرأ الحسن بنبي عليم والمراد اسحاق على الصحيح لان الصفة صفة سارة لا هاجر وقال مجاهد هو اسماعيل *

﴿فأقبلت امرأته في صرة﴾ أي صيحة كقولك صر القلم أو الباب صريراً لكنه جاء بفعلة للدلالة على المرة ويتعلق بمحذوف حال أو متعلق بأقبلت سواء أول أقبلت بأخذت أم لا وشرط القاضي التأويل وذلك تفسير ابن عباس وجماعة .

وقال النحاس في صرة في جماعة نسوة قال الحسن أقبلت امرأته وهى سارة

الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليها وصيحتها قولها (أواه) تعجباً وقيل يا ويلتا.

وقال عكرمة رنتها وذلك من عادة النساء اذا سمعن شيئاً * ﴿فصكت وجهها﴾ لطمته ببسط يدها قاله ابن عباس وذلك استهوال منها وذلك من عادتهن اذا أنكرن شيئاً ومن عادة المتعجب وقال سفيان وغيره ضربت بكفها جبهتها وهذا مستعمل في الناس حتى الآن وقيل ضربت جبهتها بأطراف الأصابع فعل المتعجب وقيل ضربت جبينها بعد ضم أصابعها وذلك من عادة النساء أيضاً اذا أنكرن شيئاً ووجدت حرارة دم الحيض فلطمت وجهها من الحياء * ﴿فقالت﴾ أنا * ﴿عجوز﴾ قال مجاهد كان عمرها تسعا وتسعين سنة وعمر ابراهيم مائة سنة قال ابن اسحاق عمرها تسعون وعمره مائة وعشرون سنة * ﴿عقيم﴾ عاقر لم ألد قط فكيف ألده ﴿قال كذلك﴾ أي كما قلنا لك انك تلدين غلاماً * ﴿قال ربك﴾ وانما نخبرك عنه والكاف متعلق بقال أو بمحذوف نعت لمصدر محذوف أو اسم هو مفعول لقال والله قادر على ما تستبعدين .

وروي ان جبريل قال لها انظرى الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة * ﴿انه هو الحكيم العليم ﴾ فقوله حق وفعله محكم ولما علم انهم ملائكة لا ينزلون الا باذن الله رسلاً وكان بين التبشير والولادة سنة * ﴿فقال فما خطبكم﴾ أي شأنكم وقيل الخطب الامر العظيم *

﴿أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين﴾ مشركين من قوم لوط * ﴿لنرسل عليهم حجارة من طين﴾ طبخ بنار جهنم كما يطبخ الآجر وصار في صلابة الحجارة * ﴿مسومة﴾ مرسلة من سومت الماشية أرسلتها فهو نعت حجارة مؤكد للعامل أو بمعنى مقدر ارسالها فى علم الله أو معلمة من السومة وهى العلامة علم على كل حجر اسم من يقع عليه وقيل علمت بأنها من حجارة العذاب وقيل بعلامة انها ليست من حجارة الدنيا وقيل كان في كل حجر منها مثل الاصابع ﴿عند ربك للمسرفين﴾ في الفجور لم يقنعوا

بما أبيح لهم من النساء مع شركهم* ﴿فأخرجنا من كان فيها﴾ أي في قرى قوم لوط دل على ذلك السياق ﴿من المؤمنين﴾ أنجاه من العذاب *

﴿فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾ قيل أي غير أهل بيت من المسلمين .

قال الزمخشرى : (وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد وانهما صفتا مدح) واعترض القاضي بأن ذلك لا يقتضي الآ صدق المؤمن والمسلم على من اتبع لوطاً وذلك لا يقتضى اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة وقيل الايمان التصديق والاسلام العمل الصالح فذكرهم أولاً بالايمان اشعاراً بأنهم أمروا باخراج كل موحد ولو لم يعمل بالطاعات ثم ذكرهم بالاسلام اشعاراً بأنهم عملوا الصالحات وقيل الاسلام أعم فلا دلالة على اتحاد مفهوميهما والمراد لوط وابنتاه وأما امرأته فهالكة وقيل كان لوط وأهل بيته الناجون ثلاثة عشر.

قال قتادة : لو كان فيهم أكثر من ذلك لأنجاهم لتعلموا ان الايمان محفوظ لا ضيعة له وفي الآية قيل تحذير لقريش أن يصيبهم مثل ما أصاب قوم لوط ﴿وتركنا فيها﴾ أي في اهلاكها ورد بعضهم الضمير في فيها في المواضع لقرية واحدة وهى سدوم وهي قرية قوم لوط *

﴿آية للذين يخافون العذاب الأليم﴾ فانهم المعتبرون بها فلا يفعلون مثلهم وهى خرابها أو تلك الاحجار أو صخر منضود فيها أو ماء أسود منتن وبالثالث قال ابن جريج * ﴿وفي موسى﴾ عطف على في الارض أو على فيها على حذف مضاف أي في قصة موسى أو ارساله والمعنى صحيح بلا تقدير الجعل وقيل يقدر وجعلنا في موسى آية كقوله

علفتها تبناً وماء بارداً

أي وسقيتها ماء * ﴿اذ أرسلناه﴾ متعلق بالترك أو بالجعل أو باستقرار قوله في الارض ﴿الى فرعون بسلطان﴾ بحجة * ﴿مبين﴾ واضحة وهي معجزاته كاليد والعصا ويتعلق بمحذوف حال أو بأرسلناه * ﴿فتولى﴾

أعـرض عن الايـمان * ﴿بركنِه﴾ أي مع ركنه وهو جنـوده لانهم كـانـوا لـه كالركن يتقوى بهم وعليه الكلبي وقرىء بضم الكاف أو أعرض عن الايمان لأجل ركنه واستعان بهم على الكفر أو الركن الشدة أو الجـانب أي أعـرض بجنبه والمراد عدم الايمان كما تقول جئت الى زيد فولاني جانبـه تـريـد انـه لم يقض مرادك * ﴿وقال﴾ هو * ﴿ساحر﴾ يفعل تلك الخوارق باختيـاره * ﴿أو مجنون﴾ يفعلها بدون اختياره وقيل كأنه جعل الخوارق منسوبة الى الجن وتردد هل حصل ذلك باختياره أو بغيره وذكر بعضهم عن أبي عبيـدة ان أو بمعنى الـواو قـال البعض وهـو ضعيف لا داعى اليـه * ﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم﴾ طرحناهم * ﴿في اليم﴾ البحر * ﴿وهو مليم﴾ آت بما يلام عليه من تكذيب الرسول ودعوى الربوبية والجملة حال من هاء أخذناه .

ووصف يـونس عليـه السـلام بـما وصف بـه فـرعـون من الأمـة في آيـة وموجبات اللوم تختلف ويحسبها يكون اللوم راكب الكبيرة على قدرها وراكب الصغيرة على قدرها واسم العصيان يعمهما * ﴿وفي عاد﴾ أي في اهلاكهم * ﴿اذ أرسلنا عليهم الريـح العقيم﴾ سماها عقيـماً لانهـا أهلكتهم وقطعت دابرهـم أو لانها لا منفعة فيها من انشاء مطر أو القاح شجـر وهى الـدبـور عند الحسن والنكباء عنـد علي والجنـوب عنـد ابن المسيب * ﴿ما تذر﴾ ما تترك * ﴿من﴾ زائدة * ﴿شيء﴾ نفس أو مـال * ﴿أتت عليه﴾ أمرت به والجملة نعت شيء * ﴿الا جعلته كالرميم﴾ مـا رمّ أي بلي وتفتت من عظم أو نبات وغيره وقيل الرماد .

﴿وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين﴾ يفسره تمتعوا في داركم ثلاثة أيام أي بعد عقر الناقة قاله الفراء وقيل معناه تمتعوا الى آجالكم بغير عـذاب ان آمنتم وان عصيتم عـذبتكم قيـل لهم ذلك حين بعث صـالـح قـالـه الحسن ﴿فعتوا﴾ تكـبروا * ﴿عن أمـر ربهم﴾ أي عن امتثـالـه وهـو الامـر بمعنى الطلب الجـازم أو الامــر بمعنى الشيء أي عن طـاعــة ربهـم ﴿فأخذتهم الصاعقة﴾ أي العذاب وهى الصيحة المهلكة لعتوهم وذلك بعد الثلاثة.

وقرأ الكسائي الصعقة باسكان العين مرة من الصعق وعن بعض الصاعقة كل عذاب مهلك وعن ابن عباس الموت * ﴿وهم ينظرون﴾ كانت نهاراً عاينوها وكانت العمالقة معهم في الوادي ينظرون اليهم وما ضرتهم ولا مفعول لينظر هنا لان المراد وهم بمثابة النظر لا كالليل وحال العمى أوله مفعول حذف لعدم تعلق الغرض في كلام العرب به أي الاشياء وعن بعضهم ينظرون العذاب وعن بعضهم ينظرون اليها وقيل ينظرون بمعنى ينتظرون في تلك الايام الثلاثة ﴿فما استطاعوا من قيام﴾ أي ما قدروا على النهوض حين نزول العذاب أو ما قدروا عليه لموتهم كقوله فأصبحوا في دارهم جاثمين وقيل كقولهم ما يقوم به أي عجز عن دفعه وعن بعض ما استطاعوا من قيام الى حوائجهم ومن زائدة ﴿وما كانوا منتصرين﴾ عليّ من أهلكهم وقيل ممتنعين من العذاب * ﴿وقوم نوح﴾ أي وأغرقنا قوم نوح أو أهلكناهم أو أذكرهم وقرىء بالجر أي وفي قوم نوح كما قرأ ابن مسعود عطفاً على ثمود أو على الأرض أي وفي اهلاك قوم نوح بماء السماء والأرض آية * ﴿من قبل﴾ متعلق بالاهلاك أو بالاغراق أو بمحذوف حال أي من قبل هؤلاء واهلاكهم وهم عاد وثمود وقوم فرعون *

﴿انهم كانوا قوماً فاسقين﴾ خارجين عن الطاعة وعن بعض ان قوم نوح بالنصب عطف على الهاء في أخذتهم أو في نبذناهم ويرده ان الفاء للسببية وعتو ثمود ليس سبب اهلاك قوم نوح الا ان أراد أنه مفعول لمحذوف دل عليه أخذتهم ويجوز عطف القوم بالنصب على محل في ثمود بناء على جواز العطف على المحل ولولا يصح ظهور ذلك المحل في الفصيح أو على ان النصب على نزع الخافض جائز في النثر فنقول محله يظهر في الفصيح والجر قراءة أبى عمرو وحمزة والكسائى ﴿والسماء﴾ بالنصب على الاشتغال * ﴿بنيناها بأيد﴾ أي بقوة فهو مفرد والهمزة أصل وعلامة جره كسرة الدال يقال أيدته بأيد ، أي بقوة وقدرة؛ وأيد جمع (يد) فالهمزة زائدة وتقدر الياء بعد الدال حذفت لالتقاء الساكنين يقدر عليها الجر والمراد الفوات وفي

نسخنا معشر المغاربة (بأيد) بهمزة فياء مفتوحتين فياء ساكنة وفي بعضها تكتب الثانية حمراء وهي الزائدة وقيل أصل والاولى صورة للهمزة من حيث كانت مفتوحة مكسور أما ما قبلها اتفقت المصاحف على كتب باييد بيائين وعلله أبو عمرو الداني وغيره بأن الياء الثانية هي الزائدة زادوها للفرق بينه وبين ايد الذي هو جمع يد أحد الأعضاء ولولا الياء المزيدة لتوهم انه جمع يد وانه فعل بحذف آخره ولذا لم تزد في (داود ذا الايد) اذ لو كانت كلمة الايد فيه جمع يد لقيل (ذي الايدي) بياء بعد التنوين اذ لم يلتق ساكنان فتحذف وذلك هو المختار واختاره الخراز اذ قال *

وآخر اليـــاء يبن من بأييد   للفرق بينـــه وبين الأيـــدي

وفيه وجه آخر أن تكون الياء الاخيرة هي الاصل وهي عين الكلمة والاولى فالألف معاً صورتان للهمزة اذا قرىء بالتحقيق والتسهيل فالالف للتحقيق والياء للتسهيل فعلى الوجه الاول تجعل النقطة الصفراء مع الحركة على الالف وتجعل الدائرة على الياء الثانية دلالة على زيادتها ويجعل على الاولى حمرة علامة للسكون ليظهر الزائد من غيره هكذا (باييد) واما على الوجه الثاني فعلى الالف نقطة صفراء مع حركتها وعلى الياء الاولى نقطة حمراء واختار بعض انه ان قرىء بالتحقيق جعلت الصفراء على الالف وتترك الياء عارية وان قرىء بالتسهيل جعلت الحمراء على الياء وتركت الالف عارية ويحتمل أن يوجه بأن الياء الاولي صورة للهمزة على مراد الوصل والألف زائدة تقوية للهمزة فتجعل الدائرة على الالف والهمزة حمراء على الياء الاولى وان يكونا معاً صورتين للهمزة على مراد الانفصال والاتصال فتجعل الصفراء على الالف مع حركتها وتعرى الياء وعلى الوجه الاول خصت الياء الاولى بالجرة وهي السكون اذ لو جعل على الاولى السكون دارة وعلى الاخرى دارة لم يدر أيها الزائدة وان قلت لم زيدت في أيد بمعنى قوة مع انها لو زيد في أيد جمع يد لحصل الفرق.

قلت الذي هو جمع يد لم يقع فى القرآن الا بالياء بعد الدال بخلاف هذا

الذي بمعنى القوة فلولا الياء المزيدة لتوهم انه جمع يـد وأيضـاً الـذي بمعنى القوة مفرد خفيف سالم من الاعتلال فخصت الزيادة به وجزم السيوطي بأنـه ان قرىء كما كتب فهو لحن كما كتب ولا أوضعوا بلام ألف فهمزة وانما يقرأ بلام فهمز وفي الآية التورية المرشحة وهي ذكر لفظ له معنيان قريب وبعيـد ومعان كذلك مع ارادة البعيد بقرينة خفية مع ذكر ما يلائم القـريب والمعنى البعيد هنا القوي وهى المراد والبعيد أيدي الجـوارح تعـالى الله عنهـا والبنـاء يلائمها أو ذلك تمثيل وتصوير لعظمة الله سبحانه وتوقيف على كنه جـلالـه من غير أن يتصمد للمفردات حقيقة ومجاز ﴿وانا لموسعون﴾ ذووسعة وقدرة على الانفاق وأوسعنا السماء حتى ان الارض فيها كالحلقة في الفلاة .

وقال ابن عباس قادرون على بنائها وعنه لموسعون الرزق بالمطـر وكـذا عن الحسن وقيل جعلنا بينهـا وبين الارض سعـة ﴿والارض فرشناها﴾ بالنصب على الاشتغال مهدناهـا لتستقـروا عليهـا ﴿فنعم المـاهدون﴾ نحن فحـذف المخصوص * ﴿ومن كل شيء﴾ من الاجنـاس * ﴿خلقنا زوجين﴾ نوعين قـال الحسن كـالشمس والقمـر والارض والسـماء والليــل والنهــار والصيف والشتاء والبر والبحر والسهل والجبل والنور والظلمـة والانس والجن والـذكـر والانثى والايمان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطـل والحلـو والحـامض والموت والحياة والجنة والنار والسواد والبياض والصحة والمـرض الى غير ذلك وقيل الذكر والانثى والله فرد * ﴿لعلكم تذكرون﴾ فتعلمون ان التعدد من خواص الممكنات وان واجب الـوجـود لا يقبـل التعـدد فـاعبـدوه وحـده * ﴿فـفِـرُوا الى الله﴾ بالايمان والتوحيد من عقـابـه الى ثـوابـه ومن المعصيـة الى الطـاعـة ومن الجهـل الى العلم ومن سخطـه الى رضـاه لمـا نـزل (واسجـد واقترب) سجد ﷺ فكشف له عالم الملك فلم ير شيئاً أعظم من عقـاب الله وعفوه فقال في سجوده اللهم اني أعوذ بعفـوك من عقـابك ثم سجـد ثـانيـة أعظم من الاولى فكشف له عالم الملكوت ولم ير شيئـاً أعظم من سخـط الله ورضاه فقال اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك ثم سجد ثالثة أعظم منهـا

فبدا له عالم الجبروت فقصر عقله عن عظمة مولاه فقال اللهم اني أعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ونبه بلفظ الفرار على أن وراء الناس عقاباً يجب الفرار عنه فلفظه فروا جامع بين التحذير والدعاء وكان ﷺ فى المسجد وسمع في زاويته اللهم أعني على ما ينجيني مما خوفتني فقال ألا تضم اليها أختها اللهم ارزقني شوق الصادقين الى ما شوقتهم اليه فذهبوا ينظرون فاذا هو الخضر والقول مقدر أي قل يا محمد ففروا الى الله * ﴿اني لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها آخر اني لكم منه﴾ من عذابه للمشرك والمنافق* ﴿نذير﴾ مخوف * ﴿مبين﴾ واضح بالمعجزات و موضح ما يجب أن يؤتى وما يجب أن يتقى فاعلموا ان الايمان لا ينفع بلا عمل كما لا ينفع عمل بلا ايمان ولذا كرره * ﴿كذلك﴾ أي الأمر مثل ذلك أو الاشارة الى تكذ يبهم اياه كذلك عادة الامم تكذب أنبيائها يدل عليه *

﴿ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا﴾ هو * ﴿ساحر أو مجنون﴾ ولا يتعلق بأتى ولا بمحذوف يفسره أتى لان ماله الصدر على الصحيح قاله القاضي قلت بل يجوز تعليقه بـ (أتى) محذوفاً مع ما دل عليهما أتى وما المذكور ان لان المفسر بالكسر حينئذ ما وما بعد لان ما بعدها لكفار مكة والآيةتسلية له ﷺ * ﴿أتواصوا به﴾ أي تواصى الأولون والآخرون بهذا القول أي وصى بعضهم بعضاً حتى قالوه جميعاً والاستفهام للنفي أي ما تواصوا لان الاولين لم يدركوا الاخرين أو للتعجيب ﴿بل هم﴾ الاولون والآخرون * ﴿قوم طاغون﴾ اضراب عن التواصي وابطال له الى أن علة اجتماعهم على القول هي الطغيان الموجود فيهم فالمراد بالطغيان انكار الله وفساد في القلب فالجوارح * ﴿فتول عنهم﴾ أعرض عن مكذبيك بعد ما كررت عليهم الدعوة فأبوا * ﴿فما أنت بملوم﴾ على معاصيهم لابلاغك أو على الاعراض وذلك منسوخ بآية القتال فحزن ﷺ وأصحابه وظنوا ان الوحي انقطع وان العذاب قد حضر ونزل *

﴿وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين﴾ فطابت نفوسهم أي عظ الكفار بالقرآن فينتفع به من كان مؤمناً في علم الله وتقطع حجة الشقاة وقيل ذكر

من آمن فان الذكرى تزيده ايماناً والفاء للتعليل *

﴿وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون﴾ عام أريد به الخصوص أي ما خلقت بعضهم الا للعبادة بدليل ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً ومن خلق لجهنم لا يكون للعبادة ويدل له قراءة ابن عباس ما خلقت الجن والانس من المؤمنين الا ليعبدون وقال عليّ الا لأمرهم بالعبادة وقيل ليكونوا عبادي وقيل الا ليعرفوني وقيل الا ليخضعوا لي وقيل الا ليوحدوني وهذه الثلاثة تحتاج الى التأويل المذكور أيضاً فان منهم من لم يعرفه ومن لم يخضع ومن لم يوحده والمراد خضوع الذوات فان كل ذات خاضعة لا تخرج عما أريد بها أو بعضهم يعرفه ويخضع ويوحد حيث ينفعه وهم المؤمنون وبعضهم في الشدة فقط أو عند الموت أو المراد ما خلقتهم الا كما يعبدونني بأن جعلت لهم العقول وأوضحت لهم الشرائع فمنهم من عبد ومنهم من عصى وهذا كما تبري أقلاماً كلها تصلح للكتابة وتكتب ببعض دون بعض وقد لا تكتب بواحد لكن الله عالم بأهل العبادة وأهل المعصية لم يزل وذلك ان الغاية وهى هنا ما يفعل الشيء لأجله لا يلزم وجودها وهذا كما روي عن الحسن ان المعنى بينت لهم سبل العبادة كقوله (انا هديناه السبيل اما شاكراً واما كفوراً) ولو أراد العبادة منهم على سبيل القهر والالجاء لوجدت من جميع الناس والجن وقالت الروافض المعنى ما خلقتهم الا قاصداً أن يعبدوني جميعاً وعبده بعضهم دون بعض كما تقاتل الناس فبعضهم يذعن ويطيع وبعض لا وهذا منهم كفر قبحهم الله و (اللام) لام المآل أو لام التعليل الحقيقي ان أجزنا تعليل أفعال الله بالأغراض أما الغرض فلا يوصف به الله حقيقة نعم يوصف بأنه فعل كذا الحكمة كذا عند كثير.

وذكر صاحب المواهب ان أفعاله لا تعلل بالأغراض وان ما أوهم ذلك فتعليل لحكم ومنافع هى غايات وان معنى (ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) أي قرنتهم بالعبادة وحذفت الياء من يعبدوني ويطعموني ويستعجلوني ويوقف باسكان النون * ﴿ما أريد منهم من رزق﴾ لي

ولأنفسهم وغيرهم * ﴿وما أريد أن يطعمون﴾ فاني الكافل بما يقيم الأنفس فتفرغوا لما تفلحون به وليس من شأني الأكل والحاجة بخلاف سادات العبيد فانهم يملكونهم ليستعينوا بهم في الرزق وجميع المنافع والمقاصد .

وقيل المعنى أن ينتفعوني وقيل إن المعنى أن يطعموا خلقي فحذف المضاف وأسند الاطعام لنفسه لان الخلق عياله ومن أطعم عيالك فقد أطعمك .

يقول الله يوم القيامة : [مرضت فلم تعدني يا ابن آدم واستطعمتك فلم تطعمني واستسقيتك فلم تسقني فيقول يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين أي كيف تمرض فضلاً عن أن أعودك وكيف أطعمك وأنت رب العالمين وكيف أسقيك وأنت رب العالمين أي كيف تحتاج لطعام أو سقي فيقول مرض عبدي فلان فلم تعده ولو عدته لوجدتني عنده واستطعمك عبدي فلان فلم تطعمه ولو أطعمته لوجدتني عنده واستسقاك عبدي فلان ولو سقيته لوجدتني عنده].

ويجوز أن تكون ضمائر التكلم للنبي ﷺ على تقدير القول أي قل ما أريد منهم الخ * ﴿إن الله هو الرزاق﴾ يرزق كل ما يحتاج للرزق وفيه ايماء الى انه غني عن الرزق غير محتاج اليه .

وفي قراءة النبي ﷺ «إني أنا الرزاق» وقرىء (هو الرازق) ﴿ذو القوة المتين﴾ شديد القوة نعت لذو أو خبر آخر وقرىء بالجر نعتاً للقوة وذكر لانه فعيل بمعنى فاعل أو لتأويل القوة بالاقتدار أو نعتاً بـ (ذو) وكسر للجوار والله لامشقة عليه ويقول يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك والا تفعل ملأت يدك شغلاً ولم أسد فقرك .

وفي الحديث «من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع شمله وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا الا ما قدر له» *

﴿فان للذين ظلموا﴾ من أهل مكة وغيرهم والظلم الشرك وظلمهم غيرهم وأنفسهم بالمعاصي وقد ظلموا رسول الله ﷺ بالتكذيب وكل أمة

ظلمت رسولها بالتكذيب *

﴿ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم﴾ الامم السالفة من العذاب والذنوب النصيب وأصله الدلو العظيمة المملوءة .

قال ﷺ «يعم ما بين المشرق والمغرب» وقيل ما يملأ الدلو وذلك تمثيل وذلك أن السقاة يقتسمون الماء فيقولون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب قال علقمة مخاطباً عمرو بن شاس الملك :

وفي كل حي قد خبطت بنعمة فحق لشأس من نداك ذنوب

فقال الملك نعم وأذنبه أي أعطاه ذنوباً أي نصيباً من خير وكون الذنوب الدلو العظيمة هو قول ابن فارس وقال الخليل الدلو المملوءة وقيل قريبة الملء .

وعن كثير انه لا يقال للدلو ذنوب الا اذا كان فيها ماء ﴿فلا يستعجلون﴾ بالعذاب ذلك علة جواب لقولهم (متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) .

وعن الحسن انه عذاب كفار آخر الأمة بالنفخة *

﴿فويل للذين كفروا من يومهم﴾ قيل أي في يومهم * ﴿الذي يوعدون﴾ هو يوم القيامة أو يوم بدر.

اللهم بحق نبيك محمد ﷺ وبحق السورة علينا غلب المسلمين والموحدين على النصارى واكسر شوكتهم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .



الفهـــرس



رقم الايداع ٩٨/ ٩١

المطابع العالمية ـ روي ـ سلطنة عمان ـ هاتف ٧٠٢٧٧١

